

مَوْسُوْعَةٌ

لِمَوْصِيَّاتِ الْحَضَرَةِ

الْمَجْلَدُ الْأَوَّلُ

١



جَامِعَةُ الْمَوْصِلِ
وَزَارَةُ التَّعْلِيمِ الْعَالِي وَالْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ

مَوْسُوعَةٌ
لِلْمَوْصِلِ الْحَضَرِيَّةِ
الْمَجْلَدُ الْأَوَّلُ
١

دار الكتب للطباعة والنشر - جامعة الموصل

حقوق الطبع محفوظة لدار الكتب للطباعة والنشر- جامعة الموصل

الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ ١٩٩١ م

١ / ٥٠٠٠ / ٩١٠٢٥



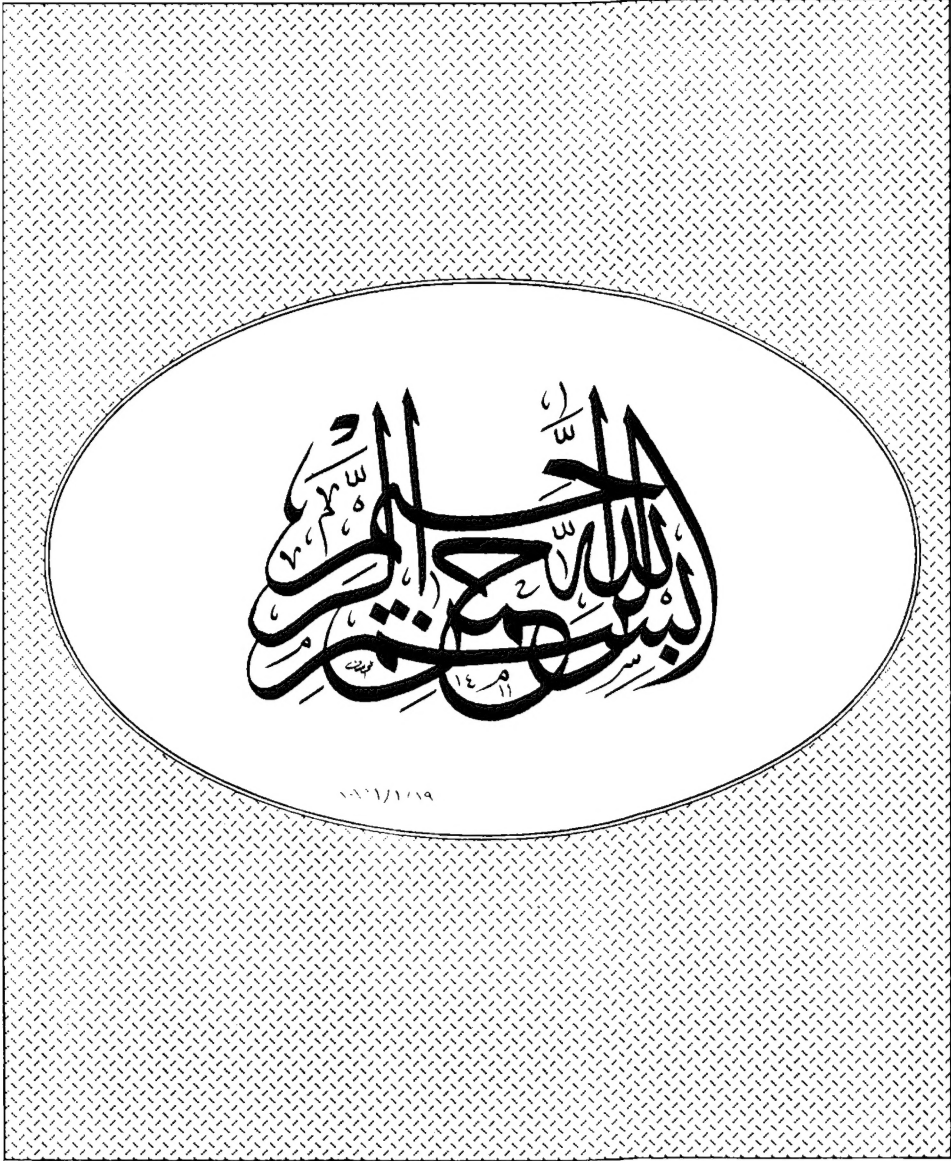
نشر وطبع وتوزيع :

دار الكتب للطباعة والنشر- جامعة الموصل

شارع ابن الأثير- الموصل - جمهورية العراق

هاتف ٧٦٣٢٣١

تلكس ٨٠٩٢



هيئة تحرير موسوعة الموصل الحضارية

رئيس التحرير

عضو

عضو

عضو

المقرر

الأستاذ الدكتور هاشم يحيى الملاح

الأستاذ الدكتور عامر سليمان

الأستاذ الدكتور احمد قاسم الجمعة

الدكتور ابراهيم خليل

الدكتور احمد عبدالله الحسو

كلمة رئيس الجامعة

دأبت جامعة الموصل منذ ولادتها قبل حوالي ربع قرن على شقّ طريق علميّة ، وترسم لها تقاليد واضحة المعالم .

وشاء الله لها أن تنمو نمواً سليماً على صعيدي التوسّع والرسوخ ، وكان من تقاليدها تلك أن تضع خططها العلمية والتربوية على مدار زمن يستوعب الانجاز محسوباً على أساس طبيعة الخطة ، وتوفير مستلزماتها بما يحقق إبداعاً وتفوقاً ينقلان الجامعة أو بعض مؤسساتها من الحالة التي هي فيها الى حالة التصوّر فيها ينبغي أن تكون عليه في المستقبل .

وهكذا وضعت الجامعة خططها الخمسية للبحث العلمي التي قدّرها أن تنتهي عام ١٩٩٠ مؤثرة فيها جملة ميادين بحثية تفضي كلها إلى الإحاطة بمجالات البحث كافة : علمية صرفاً ، وإنسانية ، وتاريخية ومعاصرة ، مايتصل بحضارة الوطن والأمة ، أو يوثق صلة الجامعة بالمجتمع ، مع الاهتمام الخاص بمحيط الجامعة ، وارضها التي يضرب فيها جذر المعرفة الانسانية في الأعماق .

ومنذ خمس سنوات ملأى بالعمل المثابر الدؤوب ، وضعت الجامعة نصب عينها أن تُعدّ (موسوعة) حضارية لمدينة الموصل العريقة في التاريخ والأجداد والمثل العليا والنشاط العقليّ ، فلهذه المدينة العامرة حق من حقوق الأوبة الكريمة على وليدتها الناشئة في العصر الجديد لتذكّر الناس بالماثر الحميدة ، وأن تميط اللثام عن وجهها الناصع ، وأنّ تمسح غبار القرون لعرف كيف كان زهو السنين الخوالد .

لقد أشرقت الموصل في أفق حضاريّ واسع منذ فجر التاريخ ، ونشط فيها الفكر أيّ نشاط وتأنّت على الغزو والاجتياح ، فكان على وليدتها البارة أن تبشر بولادة لها جديدة في هذه الموسوعة سعياً من أجل كتابة تاريخنا المشرق الذي حاولت طمس معالمه شتى الأهواء والنزعات .

وكانت الهيئة المشرفة على إنجاز هذا المشروع الكبير قد جهدت في استكتاب المتخصصين من ذوي العلم والتخصص والدراية من داخل الجامعة ، والجامعات العراقية ومن خارجها ، ونشطت هي واللجان الفرعية المنبثقة عنها في تحري العلمية والدقة والاستيعاب مع الانسجام والتكامل مااستطاعت إلى ذلك سبيلاً ، ليأتي العمل متآلفاً ، وإن اختلفت الرؤى والاجتهادات أحياناً .

ومضت السنوات الخمس ، وقد أطلت الجامعة على السنة الخامسة والعشرين من ولادتها الميمونة ،
وآن لها أن تُعَدَّ لاحتفال الميلاد بعد مرور هذا الزمن الجميل الزاهي من شباب الجامعة التي تغدّ الخطى
على طريق التقدم بلا هوادة أو تردد .

• وإنّني لأشعر بالسعادة إذ تخرج (موسوعة الموصل الحضارية) في عيد تأسيس الجامعة لمناسبة إطفائها
خمس وعشرين شمعة على أحسن ما يكون الإخراج في مطبعة الجامعة التي توالي إصدار نتائج العقل
الجامعي الحي بما يوافق الشكل والمضمون .

وهذه الموسوعة جزء من الاهداء الفكري والتربوي والثقافي لهذه الجامعة الفتية ، التي حباها السيد
الرئيس القائد صدام حسين بالتكريم ، إلى المجتمع وإلى جمهور الباحثين وطلبة المعرفة الواجدين العصر
الجديد من أوسع أبوابه ، وسيجد كل ذي بغية بُغْيَتَهُ في هذا الانجاز الكبير .

ومن ثمَّ حَقُّ للهيئة المشرفة ، ولكل من أسهم في الاعداد والإخراج : باحثين وفنيين ، أن يتلقَّوا منا
أعظم الثناء والإكبار .

دعاء للبناء المخلصين العاملين بيقين لمصلحة العلم ، وقد صدقوا أنفسهم في القول والعمل .
ومنه تعالى المنَّة والسداد والتوفيق

أ.د. عبد الإله يوسف الخشّاب
رئيس جامعة الموصل

المقابلة

إن الحضارة بصفتها مجموع المنجزات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية والفنية التي حققها مجتمع من المجتمعات خلال حقبة زمنية معينة، ترتبط ارتباطاً وثيقاً بحياة الاستقرار في بقعة معينة من الأرض أمداً مناسباً من الزمن حيث يتاح لأفراد ذلك المجتمع أن يتفاعلوا مع البيئة الطبيعية ويواجهوا تحدياتها المتنوعة بطريقة مبدعة خلاقة.

وقد لاحظ العرب منذ زمن بعيد هذا الترابط بين الحضارة والاستقرار في مكان معين فقالوا: إن الحضارة على خلاف البادية، وهي الإقامة في الحضر. ومن ثم فقد أطلقوا على الإنسان الذي يقم في المدينة بصورة دائمة ومستقرة الحضري، في حين أطلقوا على من يعيش حياة البداوة أي التنقل المستمر البدوي^(١).

وهكذا فقد غدت المدن في نظر العرب منذ زمن بعيد مراكز الابداع والتراكم الحضاري حيث يرث كل جيل ما أبدعه الجيل السابق ويضيف عليه حتى تنشأ المدن العظيمة وتزدهر فيها العلوم والفنون والعمران مالم تصادفها بعض النكبات والكوارث التي تزلزل بنائها أو تشتت سكانها. وقد تولى ابن خلدون شرح هذه الظاهرة وتحليل اسبابها في كتاب المقدمة^(٢).

وكان مما قاله ابن خلدون في هذا المجال: «فلا بد في تمصير الامصار واختطاط المدن من الدولة والملك، ثم اذا بنيت المدينة وكمل تشييدها بحسب نظر من شيدها وبما اقتضته الاحوال السماوية والارضية، فعمر الدولة حينئذ عمر لها، فإن كان عمر الدولة قصيراً وقفت الحال فيها عند انتهاء الدولة وتراجع عمراتها وخربت، وإن كان أمد الدولة طويلاً ومدتها منفسحة فلا تزال المصانع فيها تشاد والمنازل الرحيبة تكثر وتتعدد ونطاق الاسواق يتباعد وينفسح الى أن تتسع الخطة وتبعد المسافة، وينفسح ذرع المساحة كما وقع ببغداد وأمثالها»^(٣).

ويلاحظ أن الكثير من المدن قد وجدت منذ زمن بعيد، وشهدت عدداً من الدول والحضارات، ومرت بها فترات ازدهار وانحطاط، وعلى الرغم من كل ذلك، فهي باقية على مر الزمن، شاهدة على التحولات الحضارية التي مرت بها وبالبشرية. وكان من جملة هذه المدن مدينة الموصل، التي ظهرت منذ العصر الآشوري وظلت قائمة حتى الوقت الحاضر.

١. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، بيروت، دار الفكر، بلا ت. ج ٢، ص ١٠.
٢. ابن خلدون، المقدمة، بيروت، دار احياء التراث العربي، (بلا ت) ص ٣٤٢ - ٣٨٠.

٣. المصدر نفسه، ص ٣٤٣.

لقد حملت هذه الحقيقة بعض اساتذة التاريخ ، ومنهم هيئة تحرير موسوعة الموصل الحضارية على التفكير في أن دراسة تاريخ الامة الحضاري بصورة عميقة وشاملة قد تتطلب البدء بدراسة تاريخ المدن التي ساهمت بنشأة تلك الحضارة لأنها كانت بمثابة المراكز التي نمت في داخلها بذور الحضارة وترعرعت على يد أبنائها قيمها وأشكالها المختلفة . وكانت الموصل إحدى أقدم المدن العراقية التي حملت مشعل الحضارة منذ الألف الأول قبل الميلاد وحتى الوقت الحاضر.

وكان خير من يحتضن هذه الفكرة ويسعى لوضعها موضع التنفيذ جامعة الموصل لأنها حاملة مشعل الابداع والحضارة في مدينة الموصل في الوقت الحاضر، وهي تمتلك كل الامكانيات العلمية والمادية لتحقيق هذا الهدف. لذا فقد أجه كاتب هذه السطور الى السيد رئيس الجامعة الاستاذ الدكتور عبد الاله الخشاب يعرض عليه الفكرة من جميع جوانبها العلمية والعملية، فقبلها باهتمام بالغ ونجاب عميق وطلب اعداد دراسة تفصيلية مدونة لغرض مناقشتها في ندوة موسعة تضم اساتذة في تخصصات التاريخ والجغرافية واللغة والادب والفنون وغيرها. وبعد مناقشة مستفيضة للفكرة من جميع جوانبها تقرر تبنيها بحماس والشروع بتنفيذها ضمن خطة البحث العلمي الخمسية للجامعة.

وهكذا فقد تشكلت هيئة تحرير موسوعة الموصل الحضارية ، وتفرع عنها ثلاث لجان متخصصة ، احداها للإشراف على كتابة تاريخ الموصل الحضاري في العهود القديمة برئاسة الأستاذ الدكتور عامر سليمان والثانية برئاسة الأستاذ الدكتور هاشم الملاح للإشراف على كتابة تاريخ الموصل الحضاري في الحقبة الاسلامية ، والثالثة برئاسة الدكتور ابراهيم خليل احمد للإشراف على كتابة تاريخ الموصل الحضاري في الحقبة الحديثة والمعاصرة. وقد تولى الدكتور احمد عبد الله الحسو سكرتارية تحرير الموسوعة .

لقد قامت هيئة تحرير الموسوعة في بداية عملها بإعداد كراس يتضمن خطة تفصيلية بعنوانين الابواب والفصول والمباحث التي ستضمها الموسوعة ، كما وضعت القواعد المنهجية والعلمية الواجب اتباعها في كتابة البحوث كي تضمن الاتساق بين كافة بحوث الموسوعة .

ولم تعتمد هيئة الموسوعة الاسلوب الشائع في تحرير الموسوعات الذي يقوم على توزيع المباحث حسب الحروف الابدائية لأن ذلك يفقد الموسوعة وحدتها الموضوعية ويحرم القارئ من متابعة التطور التاريخي لمجموع الظواهر الحضارية وفقاً لتسلسلها الزمني وترابطها الموضوعي . وفضلت اعتماد المنهج التاريخي الذي يدرس الظاهرة الحضارية في تطورها عبر حقب التاريخ المختلفة . كما يدرسها في اطار علاقاتها المتبادلة مع الظواهر الأخرى .

ولم يكن تحرير الموسوعة على وفق هذا المنهج بالامر اليسير وبخاصة حينما يشارك في كتابة مباحث الموسوعة عدد كبير من الباحثين يزيد على المائة باحث يتوزعون على مختلف الجامعات العراقية .

إن تفاوت الباحثين في اسلوب الكتابة وطريقة المعالجة أمر قد يجوز التغاضي عنه اذا قورن بالصعاب الناجمة عن عملية الربط بين جميع بحوث الموسوعة من أجل تقديم وحدة عضوية متكاملة على الصورة التي تطمح هيئة تحرير الموسوعة إلى تحقيقها .

وعلى الرغم من كل ما تقدم ، فقد عملت هيئة تحرير الموسوعة على تحقيق هدفها متخطية شتى الصعاب ، وبذلك قدمت عملاً جامعاً تضافرت في اخراجه شتى التخصصات العلمية في جامعة الموصل وبقية الجامعات العراقية . كما ساعد باحثون آخرون من خارج الجامعة في كتابة بعض مباحث الموسوعة .

غير أن ماتقدم لا يعني أن الموسوعة قد بلغت درجة الكمال ، فإن الكمال لله وحده ، ولكن بالامكان القول أن الموسوعة تمثل أفضل وأوسع عمل علمي نشر عن مدينة الموصل حتى الوقت الحاضر.

وثمة مسألة في تنظيم فصول ومباحث الموسوعة تجدر ملاحظتها ، وهي أن هيئة تحريرها قد وجدت أن من الضروري دراسة الظواهر الحضارية في منطقة الموصل في سياق التطور السياسي العام الذي مر بالمنطقة عبر مختلف الحقب والعصور من أجل إبراز دور كل عصر في خدمة الحضارة والانسانية . ثم التوقف بعد ذلك عند كل مظهر أو ظاهرة حضارية لدراستها دراسة مفصلة ودقيقة . إن هذه المنهجية في تنظيم الموسوعة قد تؤدي الى بعض التكرار ولكنه التكرار الاشبه بعملية التأكيد والربط الذي يقتضيه سياق البحث والدراسة من أجل إبراز كل جوانب الموضوع ومعالجتها بصورة وافية .

وربما كان من الضروري أن تنبه في هذه المقدمة الى أن الظواهر الحضارية لا يمكن دراستها في اطار جغرافي ضيق ومعزل عن المناطق المحيطة بها لان من طبيعة الحضارة التأثير والتأثير . ومن ثم فإن توجه الموسوعة الى دراسة الحضارة في اطار منطقة الموصل لا يعني اقتصار الدراسة على بقعة الموصل الجغرافية وإنما يتجاوز ذلك الى مختلف انحاء العراق وخارجه طالما كانت هنالك عمليات تفاعل حضاري ، وتأثر وتأثير متبادلين .

ثم ان حدود منطقة الموصل لم تكن ثابتة في حقب التاريخ المختلفة ، إذ تشير الدراسات الآثارية والتاريخية الى أن حدودها كانت تتسع وتضيق بحسب الظروف السياسية التي كانت سائدة فيها . فقد اتسعت الحدود الحضارية والسياسية لمنطقة الموصل حينما غدت نينوى عاصمة للامبراطورية الآشورية لتشمل جميع انحاء العراق « بلاد بابل وآشور » . بل إن تأثيرها قد تجاوز حدود العراق ليشمل معظم انحاء الشرق القديم ، من مصر غرباً الى بلاد عيلام شرقاً ومن البحر الأعلى (المتوسط) شمالاً الى البحر الاسفل (الخليج العربي) جنوباً .

أما في فترات الضعف والتدهور السياسي فإن حدود منطقة الموصل تضيق وتنكمش لتصبح مقصورة على المدينة وما جاورها من قرى وأرياف كما حصل في فترات التسلط الاجنبي التي امتدت من سقوط بابل وحتى قيام الدولة العربية الاسلامية .

إن الملاحظة الآتفة الذكر لا تصح بالنسبة لحدود الموصل خلال العصور القديمة فحسب ، بل انها تصح كذلك بالنسبة لحدودها في خلال الفترة الاسلامية والحديثة ايضاً ، وذلك لأن حدودها قد امتدت لتشمل معظم شمال العراق ومنطقة الجزيرة . بل إن تأثيرها الحضاري وتفاعلها مع ماحولها قد تجاوز هذه الحدود لأن المعطيات الحضارية لها قد غدت جزء من المعطيات العامة للحضارة العربية الاسلامية . كما كانت في السابق جزءاً من المعطيات العامة للحضارة العراقية القديمة . وهكذا شكلت مساهمة الموصل الحضارية رافداً مهماً من روافد الحضارة العربية الاسلامية .

في ضوء ماتقدم فقد اتجهت بحوث الموسوعة الى محاولة إبراز السمات الخاصة للمظاهر الحضارية في منطقة الموصل في اطار الوحدة العامة للحضارة العربية الاسلامية فتحدثت عن مساهمة علمائها في الحركة الفكرية التي ازدهرت في اطار هذه الحضارة ، وعن اشكال الفنون المعارية وغيرها التي عرفت في المنطقة وما انصفت به من خصائص تميزها عن مثيلاتها في المناطق الأخرى .

لقد تألفت الموسوعة من ثلاثة اقسام كبيرة ، خصص القسم الأول منها لدراسة التاريخ الحضاري لمنطقة الموصل في العصور القديمة بدءاً من العصور الحجرية القديمة والوسيلة والحديثة حيث كان يعيش الانسان في الكهوف وحتى انتقاله الى القرية وصولاً الى نشأة المدينة وما ارتبط بها من أنظمة ادارية وسياسية واقتصادية وثقافية . ولم يغفل هذا القسم عن التطورات السياسية التي مرت بها المنطقة في ظل الامبراطورية الآشورية والحكم الكلداني والتسلط الاجنبي .

أما القسم الثاني من الموسوعة فقد خصص لدراسة التطور السياسي والحضاري الذي شهدته منطقة الموصل منذ قيام الحكم العربي الاسلامي وتحرير مدينة الموصل من تسلط الروم البيزنطيين في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رض) مروراً بالحكم الاموي والعباسي المباشر وغير المباشر ، وما اعقب ذلك من وقوع الموصل تحت حكم المغول وغيرهم من الحكام الاجانب وحتى قيام الحكم العثماني .

وقد أولت الموسوعة عناية خاصة لما شهدته الموصل من تطور اقتصادي واجتماعي وثقافي وعمراني وفي اطار الحضارة العربية الاسلامية خلال هذه الحقبة .

أما القسم الثالث من الموسوعة فإنه قد تناول بالدراسة والتحليل أوضاع الموصل السياسية والحضارية في ظل الحكم العثماني ، وجهود ابناء الموصل لتأكيد هويتهم المتميزة في مواجهة محاولات طمس معالم شخصيتهم الحضارية الخاصة . وقد ختم هذا القسم بدراسة أوضاع الموصل السياسية والحضارية في ظل الحكم الوطني وحتى الوقت الحاضر .

وفي الختام ، فإن رئيس وأعضاء هيئة تحرير موسوعة الموصل الحضارية ، لا يسعهم إلا أن يتوجهوا الى السيد رئيس جامعة الموصل الاستاذ الدكتور عبد الاله الخشاب بعميق شكرهم وامتنانهم لما أبداه من حماس وتشجيع لفكرة إصدار الموسوعة . وقد كان لمتابعته المتواصلة ودعمه الكبير من خلال حضوره بعض اجتماعات الهيئة وتقديمه كل وسائل المؤازرة المادية والمعنوية للمشروع ، الاثر الأكبر في انجاز الموسوعة واخراجها على النحو الذي يراه القارئ بين يديه .

أما السادة أعضاء هيئة تحرير الموسوعة الاستاذ الدكتور عامر سليمان والدكتور ابراهيم خليل والدكتور احمد عبد الله الحسوي والاستاذ الدكتور احمد قاسم جمعة فقد كان لجهودهم المتواصلة وتعاونهم البناء مع رئيس الهيئة الأثر البالغ في حسن سير العمل في الموسوعة وانجازها في موعدها المحدد ، لذا فإنني أتوجه اليهم بعميق الشكر وخالص الامتنان .

كما لا يفوتني هذه المناسبة ان اتوجه بالشكر الى الزملاء من الباحثين الذين تجاوزوا معنا في كتابة بحوث الموسوعة وكذلك السادة أعضاء اللجان الفرعية للموسوعة وأخص منهم بالذكر الدكتور توفيق البيوزيكي والدكتور جابر خليل .

وأخيراً من الواجب تقديم الشكر الى السيد أحمد نجم الصبيحة مدير دار الحكمة للطباعة والنشر في جامعة الموصل والعاملين معه كافة لتعاونهم البناء وجهودهم المخلصة من اجل طبع الموسوعة واخراجها بالشكل الذي يراه القارئ كما انه لا بد من التنويه بالجهود التي بذلها الاستاذ يوسف ذنون في خط عنوان الموسوعة والاشراف على تصميمها واخراجها .
وفق الله العاملين وشكر جهود كل من احسن عملاً .

الدكتور هاشم يحيى الملاح
رئيس تحرير موسوعة الموصل الحضارية

المحتويات

جغرافية منطقة الموصل وتاريخها القديم

جغرافية منطقة الموصل

- | | | |
|----|--|---|
| ٣ | جغرافية الموصل دراسة في العلاقات الاقليمية | د. صلاح مجيد الجنائي
كلية التربية ، جامعة الموصل |
| ٢٠ | تحليل موضع مدينة الموصل | د. صلاح مجيد الجنائي |

تاريخ منطقة الموصل القديم

- | | | |
|-----|--|--|
| ٢٧ | من الكهف الى القرية | د. بهنام ابو الصوف
دائرة الآثار والتراث - بغداد |
| ٣٢ | من القرية الى المدينة | أ. د. تقي الدباغ
كلية الآداب ، جامعة بغداد |
| ٥٦ | منطقة الموصل في الألف الثالث قبل الميلاد | أ. د. عامر سليمان
كلية الآداب ، جامعة الموصل |
| ٦٧ | منطقة الموصل في الألف الثاني قبل الميلاد | أ. د. عامر سليمان |
| ٨٢ | منطقة الموصل في النصف الاول من الالف الاول قبل الميلاد | أ. د. عامر سليمان |
| ١٠٩ | علاقات الآشوريين مع الأقاليم المجاورة | د. منير يوسف طه
كلية الآداب ، جامعة بغداد |

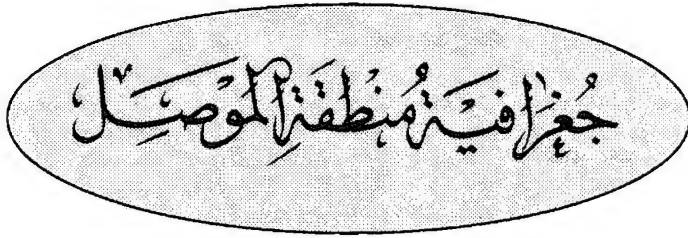
- ١٢١ النشاطات الاشورية في الخليج العربي د. منير يوسف طه
- ١٢٨ منطقة الموصل في فترة الاحتلال الاجنبي د. جابر خليل ابراهيم
كلية التربية ، جامعة الموصل
- ١٤٤ منطقة الموصل تحت وطأة الاحتلال الساساني سالم احمد محل
كلية الآداب ، جامعة الموصل

حضارة منطقة الموصل في التاريخ القديم

- ١٥٩ الزراعة في عصور قمل التاريخ أ.د تقي الدباغ
- ١٧٠ الزراعة في العصور التاريخية أ.د سامي سعيد الأحمد
كلية الآداب ، جامعة بغداد
- ١٨٥ التجارة أ. د سامي سعيد الأحمد
- ٢٠٢ الصناعة أ. د. وليد الجادر
كلية الآداب ، جامعة بغداد
- ٢٢٩ نظام الحكم د. علي ياسين الجبوري
كلية التربية ، جامعة الموصل
- ٢٤٣ الإدارة د. علي ياسين الجبوري
- ٢٦٣ الازواض الاجتماعية أ. د. فاروق الراوي
كلية الآداب ، جامعة بغداد
- ٢٨١ الجيش في العصر الاشوري د. بهيجة خليل اسماعيل
دائرة الآثار والتراث - بغداد
- ٣٠٤ المعتقدات الدينية أ. د. فاضل عبد الواحد علي
كلية الآداب ، جامعة بغداد

المعتقدات الدينية في فترة الاحتلال الاحميني والسلوقي والبارثي	٣١٨
أ. د واثق اسماعيل الصالحلي كلية الآداب ، جامعة بغداد	
المعتقدات الدينية في فترة الاحتلال الساساني	٣٢٩
د. عبد المنعم رشاد كلية الآداب ، جامعة الموصل	
اللغة والكتابة	٣٣٧
أ. د عامر سليمان	
العلوم الانسانية والطبيعية	٣٧٣
د. فوزي رشيد كلية الآداب ، جامعة بغداد	
فن العارة	٣٩٣
أ. د عادل نجم كلية الآداب ، جامعة الموصل	
تخطيط المدن	٤١٩
د. جابر خليل ابراهيم	
الفنون التشكيلية	٤٤٢
أ. د وليد الجادر	
فن النحت	٤٥٣
د. طارق عبد الوهاب مظلوم المركز الاقليمي لصيانة الممتلكات الثقافية في الدول العربية - بغداد	
الموسيقى في بلاد اشور	٤٦٨
د. صبيحي انور رشيد دائرة الآثار والتراث - بغداد	
الانشطة الآثرية	٤٨٩
د. جابر خليل ابراهيم	
الآثار الباقية	٥١٣
أ. د. عامر سليمان	

جُغْرَافِيَةُ مَنْطِقَتِنَا وَصَلِّ وَقَاتِيحُهَا الْفَلَاكِيَّةُ



جغرافية الموصل: دراسة في العلاقات الإقليمية

د. صلاح حميد الجنابي

الحديثة وعناصر الاستقرار والنبات في الركائز
الحضارية التراثية الموروثة.

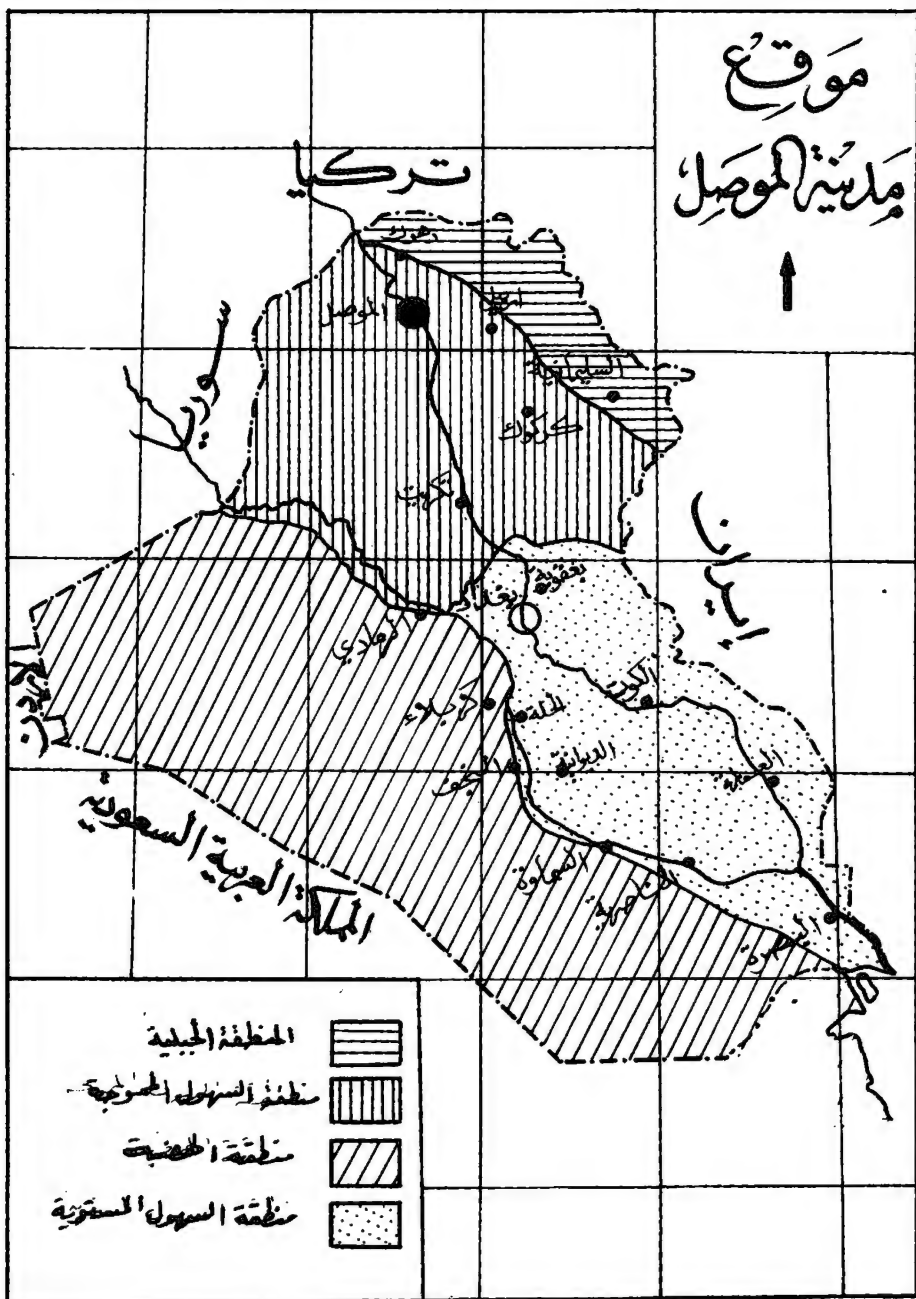
الموقع الفلكي للمدينة :

تقع مدينة الموصل في القسم الشمالي من العراق
عند تقاطع خطي طول ٤٣°٠٨ شرقا وعرض ٣٦°
شمالا، وهي بموقعها هذا تتوسط المنطقة
المعتدلة الشمالية، وعلى الرغم من ان الموقع بالنسبة
لخطوط الطول لا يترك دلالة جغرافية على الموقع الا
في اهميته بتحديد الوقت، غير ان الموقع بالنسبة
لخط العرض يرسم بالضرورة مقدار زاوية سقوط
اشعة الشمس خلال السنة. كما يؤثر في مقدار
الحرارة الواصلة الى سطح المنطقة.

وكان للموقع الفلكي اهمية محدودة في

تحتل مدينة الموصل المرتبة الثالثة في السلم
الطبقي لمراتب المدن العراقية بعد مدينتي بغداد
والبصرة حسب احصاء عام (١٩٧٧)، وتضطلع
بأهمية سكانية واقتصادية وموقعية متميزة في القطر.
كما انها مارست دورا رائدا في رسم صيغة التطور والنمو
الحضري العراقي من خلال تاريخها الطويل بعد ان
جاءت على اعتاب مراكز حضارية قديمة تمتد
جذورها الى فترة الامبراطوريات القديمة في العراق
الشمالي. وترك هذا السفر الطويل للمدينة بصماته
على هذا التمازج الفريد القائم مابين الخلفيات
التراثية في العمارة وتخطيط المدينة، وبين ركائز التجديد
التي خلفتها ضرورات التغير في هيكل المدينة
الحالي.

وتخضع المدينة حاليا- شأنها شأن المدن العراقية
النامية الاخرى- الى صراع حاد بين قوى التغير



Gondwana التي كانت تسيطر على كتلة الارض الصلبة الجنوبية.

ولما كانت قوة الدفع والالتواء اشد في المناطق الشمالية من قاع بحر تيس فان الطيات الكبيرة والمعدة تركزت باتجاه شرقي غربي في كتلة اسيا الصغرى.

وتدرجت قوة التثبيت بالضعف باتجاه الجنوب. وشكلت منطقة الموصل النهايات الجنوبية لقوة الالتواء الامر الذي جعل التباين والتعقيد في بنية المنطقة ليس بالدرجة التي عليها في منطقة الجبال العالية المجاورة لها. الا ان تتابع عمليات الالتواء والدفع على الرواسب قد خلق مجموعة من الانكسارات البسيطة في البنية الاساسية لمنطقة الموصل.

ويعود اقدم التراكيب الجيولوجية في المنطقة الى فترة الزمن الثالث (الكابنوزي Cainozoic)، حيث تظهر بعض الترسبات من حجر الكلس والطفل في مناطق متفرقة من اقليم الموصل، مثل جبل سنجار والمناطق المحصورة بين زاخو وعقرة، وفي جبل مقلوب، وتعد هذه التكوينات من اقدم التكوينات الجيولوجية في اقليم المدينة المباشر.^(١٢)

اما التراكيب الاخرى فانها اكثر حداثة من ذلك، يعود معظمها الى عصور الزمنين الثالث والرابع. حيث تظهر ترسبات هذه العصور في احجار الجبس والصلصال والخال، والصخور التباشيرية واحجار الرمل العائد الى عصر الميوسين الاعلى (فارس الاعلى Upper Fars) وكذلك الصخور الجمعة (الكونكلومرات) البختيارية.^(١٣)

وتعود بعض الصخور الرملية (sandy stone) الى عصور الزمن الرابع، خاصة في الفترة المطيرة (السياستوسين)، وفي فترة العصر الحديث (Recent) تكونت مجموعة من الاسرابات المائية على طول مجاري الانهار والوديان المنحدرة من المنطقة الجبلية، وفي بنية السهول المروحية عند اقدام المرتفعات. وسنعود لبعض تفاصيل البنية عندما نتناول مفردات الاقسام الرئيسة لسطح المنطقة.

الدراسات الجغرافية، حتى في اثره على مقدار اشعة الشمس الواصلة، الا ان الاختلاف بالنسبة للموقع من المسطحات المائية، والارتفاع عن مستوى سطح البحر وطبيعة الرياح السائدة وغيرها من العوامل المسيطرة، تضعف هذا العنصر ان لم تكن تغليه.

الموقع الجغرافي للمدينة:

تحتل مدينة الموصل هضبة مصطبية تنحدر تدريجياً باتجاه نهر دجلة، وهي جزء من هضبة تشكل جزءاً منها من الاقاليم الفيزيوغرافية، وهي منطقة السهول الموجة المحصورة بين الاقليم الجبلي في الشمال والشمال الشرقي والشرق، وهضبة الجزيرة من الغرب والجنوب الغربي.^(١٤)

ان هذا التمايز الواضح في موقع المدينة وفي المناطق المجاورة لها، جعلها نقطة ارتكاز اساسية للمنطقة الجبلية، وبوابة دخول مفتوحة باتجاه ارض الجزيرة وعالم البحر المتوسط، الامر الذي جعلها تتمتع بموقع جغرافي عقدي رسمته ظروف البيئة الطبيعية.

المظاهر الجغرافية التي رسمت موقع المدينة:

يخضع الموقع -خاصة بنمطه العقدي الذي يتمثل بموقع مدينة الموصل- الى تأثير عوامل جغرافية ذات مظاهر طبيعية عدة تعمل بمجموعها على اعطاء الخاصية المميزة لموقع المدينة.

اولاً: التركيب او البنية الجيولوجية:

تكونت منطقة الموصل في نفس الفترة التي تكونت فيها معظم ارض العراق الشمالي، وذلك ضمن الحركة الالية التي ضغطت الرواسب البحرية المتجمعة في قاع بحر تيس Tethys الذي كان يغمر معظم مساحة العراق والمناطق المجاورة له. وقد كانت حركة الرواسب موجهة من الشمال الى الجنوب باتجاه القارة الاركية القديمة (كوندونان)

ثانياً: التضاريس الارضية

تألف المناطق المحيطة بالموصل من مجموعة متنوعة من مظاهر السطح. ونستطيع تمييز المجموعات الرئيسية الآتية:

١- مجموعة الهضاب:

تتألف هضاب المنطقة من هضبتين أساسيتين، أحدهما يدخلها بعض الباحثين ضمن هضاب العراق الغربية، وهي هضبة الجزيرة، في حين يفردها باحثون آخرون مفردة خاصة مميزة من اقسام سطح العراق. والهضبة الثانية هي هضبة الموصل يدخلها بعض الباحثين ضمن المركب الثانوي للمنطقة شبه الجبلية، في حين يضعها آخرون ضمن منطقة السهول الموحجة التي تقع في مكان متقدم من المنطقة الجبلية العراقية. وفيما يأتي نبذة مختصرة عن كل من هاتين الهضبتين:

أ- هضبة أرض الجزيرة:

يشير البعض الى حدودها بأنها تمتد من الحدود العراقية السورية في الشمال والشمال الغربي وتحد الى الجنوب ما بين دجلة من الشرق والحدود العراقية السورية من الغرب، حتى تنتهي عند خط عرض ٣٤ ° ٥٠، وهو الخط الذي يمتد ما بين مرتفعات مكحول وسنجار، وبذلك يكون شكلها العام على هيئة مثلث ينتهي رأسه عند جبل مكحول في منطقة الفتحة بينما تمتد قاعدته مع الحد السياسي الكائن ما بين العراق وسورية.^(١)

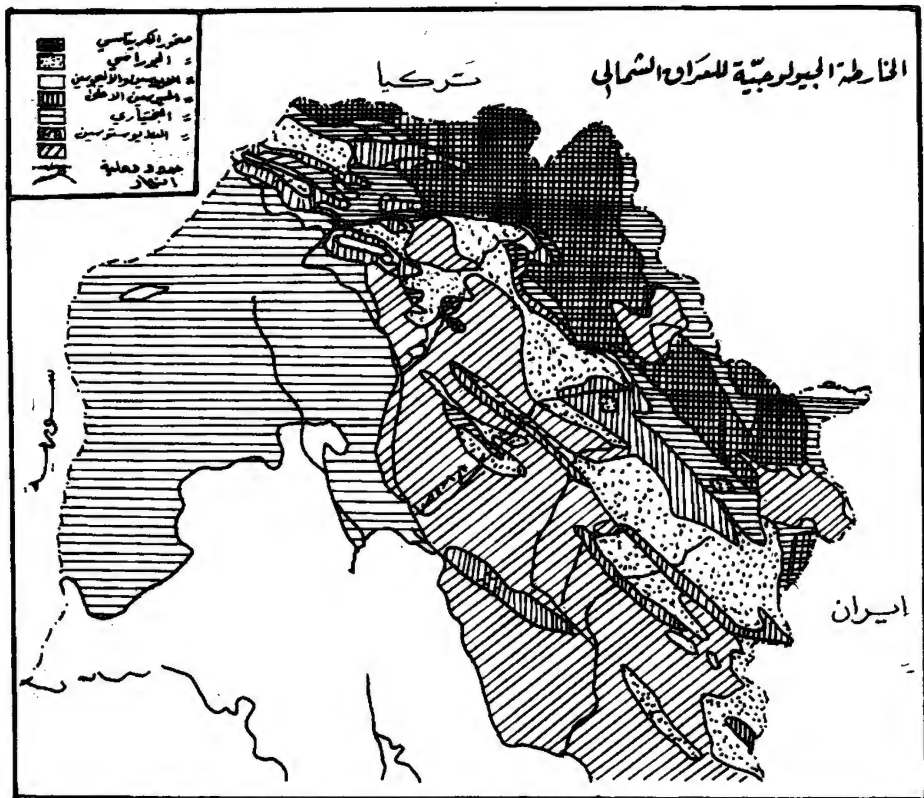
وهي منطقة مرتفعة نسبياً تتكون في الغالب من صخور الجبس الميوسيني، التي يقدر عمرها بعشرة ملايين سنة، ويكون سطحها على شكل حوض ضحل ينحدر بشكل عام نحو الجنوب، كما يحوي انحدارات جانبية من الشرق والغرب، ويعد وادي الثرثار وروافده المصرف الرئيس لمياه أرض الجزيرة. وتتميز منطقة الجزيرة بالتصريف الداخلي المغلق، وبوجود مستنقعات كثيرة جفّ بعضها مكوناً أحواضاً ذات سطح منبسط مملوءة بالترسبات التي جلبتها المياه الجارية. كما تحوي

منخفضات وحفر صغيرة وعلى تلال وهضاب صغيرة شديدة الانحدار. وتكثر في هذه المنطقة المستنقعات والترسبات الملحية، نظراً لكثرة الصخور والاملاح القابلة للذوبان.^(٥)

كما ان قسماً كبيراً من الجزيرة مغطى بترسبات حديثة جلبتها الرياح والمياه يصل عمقها في الحفر والاحواض الى ثلاثة أمتار. اما في المناطق المنبسطة فلا يتعدى كونها طبقة خفيفة ضحلة، وتكثر الكتلان الرملية في الجهة الغربية من هذه المنطقة، وقد تنتقل من اماكنها بسبب الرياح الشديدة، مما يترك أثراً سلبياً خاصة في تغير مجاري الوديان والانهار وفي نظام التصريف العام.

وفي منطقة الجزيرة التواءات صغيرة بعضها ظاهر على سطح الارض، ومعظمها مخفي تحت الترسبات، كما تظهر قطع كثيرة ومتفرقة من احجار الجبس وعلى الأخص ما يعود منها الى عهد فارس الاسفل من العصر الميوسيني. وقد أثرت الرياح في هذه الصخور ونحتها وجعلت حافاتها حادة ودقيقة، مما يجعل السير او التنقل عليها صعباً جداً.

ويعد منخفض الثرثار أوسع منخفض في العراق وأكثرها غرابة من حيث التكوين حيث يتألف من واد طويل تنتهي اليه وديان كثيرة تنحدر من جبال سنجار وما جاورها من أراضي في شمال المنخفض وشرقه، وباقي الاقسام الشمالية من هذا المنخفض تغطيها ترسبات جلبتها المياه الجارية والرياح وتعود الى الزمن الرابع. اما في الاقسام الجنوبية فنجد ترسبات أقدم عهداً تعود الى عصر الميوسين من الزمن الثالث وتشتمل على احجار الطين والرمل والجبس التي تظهر بوضوح قرب بحيرة الثرثار. ان الحافات الشرقية لمنخفض الثرثار اكثر وضوحاً من الحافة الغربية، وتظهر عليها الصخور والحصى والصخور المكنلة لفترة البختياري السفلى من العصر الباليوسيني، اما الحافات الغربية للمنخفض فلا تظهر بوضوح وان الانحدار يكون



القسم الغربي مما يترك اثره على مقدار ما يتوفر من مياه جوفية وعيون وغطاء نباتي .

اما قسم الهضبة الغربي فهو مكون من أراضي متموجة ذات سطح غير منتظم ، تظهر عليه طبقات من صخور حجر الرمل والطفل والصخور المكنكة وحجر الطين والجبس . كما توجد صخور صلبة جنوب الموصل تسمى محلياً بـ (مرمر الموصل) وهي صخور الانهدريت Anhydrate . كما ان هناك واديا مقعرا الى الشمال من مدينة الموصل تنصرف مياهه بواسطة وادي المر وتوابعه الى نهر دجلة ، وينقطع سطح الهضبة ببعض التلال المتوسطة الارتفاع مثل تلال عين زالة وموسى .

مكيحيل وخنوكة، وتستمر في مرتفعات القيارة ٣١٠ أمتار والعطشان ٤٩٠ متراً وعداية ٤٤٧ متراً وشيخ ابراهيم ٥٣٦ متراً وتلعفر ٥٩٨ متراً واشكفت ٦٢٤ متراً ثم جبل سنجار الذي يعلو أكثر هذه السلاسل طولاً وارتفاعاً حيث يبلغ ارتفاعه ١٤٦٣ متراً وطوله ٧٧ كم ويعرض يبلغ في المعدل ١٣ كيلو متراً.

وبعود السبب في قلة ارتفاع هذه المجموعة من المرتفعات الى ان قوى الدفع لم تكن من الشدة بحيث ترفعها الى مستويات اعلى، ويظهر ذلك من انتظام طبقاتها الالتوائية، وقلة الخطوط الانكسارية وزحف الطبقات فيها، فضلاً عن ان عوامل التعرية ساعدت على ازالة المناطق المرتفعة، وما ساعد على ذلك هو قلة او انعدام النبات الطبيعي فيها.

وتحتوي هذه المرتفعات صخور البختياري المكتملة وعلى مجموعة من صخور الرمل والجبس العائدة الى عهد فارس (عصر الميوسين). وتحتوي هذه الصخور على جانبي المرتفعات تحت الترسبات الحديثة.

(٢) الخط الثاني

عبارة عن مجموعة من السلاسل الجبلية ذات الاتجاه القوسي من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي، ويتراوح ارتفاعها من ١٠٠٠ - ١٧٠٠ متر تقريباً. وتمثل هذه السلاسل الجبلية حداً فاصلاً اقليمياً وطبيعياً بين مجالات تأثير المراكز الحضرية المهمة في المنطقة، خاصة الموصل واربيل ودهوك، وعموماً تكون جبال زاوة داغ وعقرة داغ حداً فاصلاً بين هضبة الموصل والجبال العالية، وتوازي هذه السلاسل من جهة الشمال والشرق وديانا طويلة استوطنت بمجموعة من القرى الزراعية، يتحرك بعضها باتجاه مدن اقدام الجبال مثل الشيخان وعقرة وتكون داخلة ضمن اقليم الموصل. او أن ظروف البيئة الطبيعية لم توفرها مراً باتجاه الموصل بل باتجاه دهوك واربيل لتكون تحت سيطرة تلك المدن.

وتتكون صخور هذا الخط من الجبال من صخور نارية ومتحولة ورسوبية شديدة المقاومة، اما سهولها ووديانها التي تتخلل هذه الجبال فقد تكونت من صخور لينة نسبياً مثل صخور الطفل وصخور الرمل والحصى، التي تتراوح اعماؤها من اواخر الزمن الاول حتى الزمن الرابع. ان الحركات الباطنية التي كونت الجبال تدرجت شدة باتجاه شمالي شرقي، وقد نتجت عنها انكسارات زاحفة والتواءات مضاعفة معقدة ادت الى اختلال طبقات الصخور بعضها ببعض وإلى اختلاف في مواقعها الاصلية، فظهرت الصخور القديمة فوق الحديثة بدلاً من أن تكون تحتها.

ب- مجموعة المرتفعات الموزعة عشوائياً داخل اطار الموقع :

معظمها مجموعة من السلاسل التلالية قليلة الارتفاع، تمتد مع امتداد محور العام للجبال والتلال المار ذكرها، بعضها يقع الى الشرق من المناطق الوسطى لهضبة الموصل مثل اوانه داغ (٥٠٠ متر) - عقرة جوق داغ (٨٠٠ متر) الواقعة بين نهرى الزاب الصغير والزاب الكبير. ويقع دمر داغ (٥٠٠ متر) بين مجرى الزاب الكبير - الذي يمثل الحدود الشرقية لهضبة الموصل - ومدينة اربيل. اما المرتفعات التي تتوسط هضبة الموصل في الجزء الواقع شرق نهر دجلة فهي جبل مقلوب (١٠٥٧ متراً) وبعشيق (٦٨٠ متراً) والعين الصفرة. في حين تحتل تلال عين زالة وتل موسى وتل عوينات اجزاء متوسطة من هضبة الموصل في جزئها الغربي.

ان لهذه المرتفعات فائدة في تامين مستودعات المياه الباطنية بالماء، لانها تستلم كميات من المطر اكثر مما تستلمه المناطق السهلية المجاورة، كما ان صخورها كلسية مسامية ينفذ فيها ماء المطر ويخرج من اسفل السفوح الى المناطق المنبسطة المجاورة على شكل عيون ويتابع. وتنطبق هذه الحالة بصورة خاصة على جبل مقلوب وبعشيق المتجاورين.

حيث تمة عيون في مدينة بعشيقة والفاضلية تسقي المزارع وبساتين الزيتون الكثيفة .

٣- السهول :

تظهر السهول في اقليم الموصل ضمن اربعة انواع رئيسة هي :

أ- السهول المحصورة بين المرتفعات

ب- السهول المنبسطة على الهضبة

ج- السهول الفيضية

د- السهول المروحية

أ- السهول المحصورة بين المرتفعات :

(١) سهل ديبكة :

يقع بين مرتفعات اوانه داغ وقره جوق ، وهو التواء مقعر مليء بالترسبات النازلة من المرتفعات المحيطة به بواسطة المياه الجارية . ويقدر اتساعه ب (١٦) كيلومتراً وطوله ب (٨٠) كيلومتراً . ويرتفع سطحه الى مستوى (٣٧٥) متراً . وتنصرف مياه القسم الشمالي الغربي منه (والمسمى بسهل شمامك) الى نهر الزاب الكبير ، ومياه القسم الجنوبي الشرقي (والمسمى بسهل كندناوه) الى نهر الزاب الصغير .

وسهل الديبكة كالسهول المجاورة له من حيث وفرة مياهه الجوفية وملاءمته لحرفة الرعي . وتعد المياه الجوفية ذات اهمية كبيرة لحرفة الزراعة ايضاً في هذا السهل . وبما ساعد على توفرها أن باطن السهل على شكل حوض متصل حافته بالمرتفعات المجاورة ، وتغطيه ترسبات خشنة من الرمل والحصى والحجارة ، تترك فجوات تساعد على زيادة قدرة الارض في خزن المياه المتسربة الى ارضية هذا الحوض من الجبال والتلال المجاورة .

(٢) سهل اربيل :

وهو التواء مقعر واسع على شكل حوض تجمعت فيه لعمق كبير ترسبات غرينية وطين ورمل وحصى . ان سطح هذا السهل متموج تتخلله بعض الوديان الضحلة التي تصرف مياهه الى نهر

الزاب الصغير والزاب الكبير . وأعلى أقسامه في الاقسام الشرقية حيث يبلغ ارتفاعه بين (٤٨٠-٥٥٠ متراً) ، في حين يبلغ ارتفاعه في الجهة الغربية حوالي (٣٠٠ متر) . ويحتمل وجود مياه جوفية غزيرة عند حفر آبار ارتوازية في سهل اربيل لان الصخور الكلسية المسامية التي تظهر في الجبال المجاورة مثل بيرمام وسفين تنزل تحت السهل الى عمق كبير وتظهر ثانية الى الجنوب الغربي في جبال قره جوق ، وعليه فان مياه الامطار تغور في هذه الصخور المسامية وتنزل الى قاع السهل وتخزن فيه .

(٣) سهل الخازر-كومل :

ينحصر بين مدينة عين سفني غربا والزاب الكبير شرقا ، ويتكون من سهل عريض وحافات متصاعدة تشكل سفوح عقرة داغ في الشمال وجبل مقلوب وجبل زركباروراش في الجنوب نهاياته . وهو في الاصل التواء مقعر امتلاات منخفضاته وتساوت بما تراكم فيها من ارسابات المياه الجارية ، ويبلغ معدل اتحدار الارض ١-٢٪ في القسم الاعظم من الاراضي ، يزداد ليصل الى ٥-٨٪ في الاقسام الشمالية منه^(٧) .

ب- السهول المنبسطة على الهضبة :

هناك على سطح هضبة الموصل بعض المناطق السهلية ذات الترب الناعمة الخالية نسبياً من التباينات في معالم السطح ، وهي على العموم محدودة المساحة والعدد ، الا انها مميزة بخاصية الاستواء النسبي ومن اشهرها في هضبة الموصل -خاصة في جانبها الشرقي- سهلي تلكيف المجاور لمركز تلكيف ، وسهل السنك الذي يقع عند الحدود الشمالية لهضبة الموصل . ان كلا السهلين هما في الاصل التواء مقعر امتلاء بالرواسب الناعمة من خلال ماتقله المياه السطحية او الرياح ، ويمتازان بارتفاع قدراتها الزراعية ، ويستثمران في الزراعة الشتوية الدائمة .

الجلبية . وضمن إقليم الموصل تتوفر بعض السهول المروحية التي استغلت بالزراعة اوبالاستيطان ، ومنها تلك التي تحتلها مراكز القوش وبعشقة وسنجار . وتمتاز هذه السهول بأنها تتكون من مفتتات صخرية مختلفة الاحجام ، يقل حجمها بالابتعاد عن المنطقة الجبلية ، ولخاصيتها في كبر حجم جزئياتها ، فان قدرتها على حفظ وخزن المياه الجوفية عالية ، الامر الذي جعلها مناطق مهمة للزراعة الدائمة والاروائية في المنطقة .

مما تقدم . تعرضنا الى اطار مساحي قد يتجاوز الحدود الاقليمية لمدينة الموصل منطلقين من حقيقة هي ان مدينة الموصل مرت خلال ادوارها التاريخية بحقب زمنية سادت فيها سيطرتها على كل المنطقة الشمالية او تعدتها الى مناطق مجاورة في حين في فترات اخرى ضمرت المدينة وقل تأثيرها وتراجعت سيطرتها الى المناطق الماسة بها ، لا بل الى ابواب اسوارها فقط . لذلك جعلنا اطارها الموقعي الطبيعي يمتد بشكل معتدل الى المناطق التي دانت لتأثيراتها الاقتصادية والسياسية أطول فترة من الزمن . وهي الان تخضع بدرجات متفاوتة لتأثير المدينة من خلال سيطرتها على أكبر حجم حضري في المنطقة الشمالية ، والتي أصبحت بموجبها عاصمة اقليمية مميزة لهذا الجزء المهم من العراق .

ثالثا : المناخ : الحرارة :

تعد مدينة الموصل والمناطق المجاورة لها من المناطق الحارة حيث ترتفع معدلات الحرارة السنوية فيها الى اكثر من (١٨ م) او مايعادل (٦٤,٤ ف) وهو الحد الادنى لمعدل الحرارة الذي رمز له كرين بالحرف (h) وهي بهذا المعدل لا تختلف كثيرا عن معدلات الحرارة السائدة في وسط وجنوب العراق ، الا ان هناك اختلافات جزئية بينها وبين الاقسام الوسطى والجنوبية في العراق حيث تنخفض معدلات الحرارة العظمى والقصوى في مدينة الموصل وسنجار عما يناظرهما من محطات في وسط

كما يدخل سهل سنجار الشمالي ضمن هذا النمط من السهول ، وهو عبارة عن حوض مفرس السطح ، ويشغل الطرف الشمالي الغربي من الجزيرة الشمالية ، ويمتد شمالي جبل سنجار-تلعفر ، وتبلغ مساحته حوالي ١٨٠٠ كم^٢ ، وتشتمل بنيته على تكوينات مختلفة من الرواسب الفيضية الحديثة وبين الصخور الايوسينية ، وتظهر بعض التكوينات الكبريتاسية والبركانية في بعض جهاته ، ولاسيما في تلاله المتناثرة . ويقطع هذا السهل عدد من الوديان التي تجري من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي واهمها وادي القصب ووادي الروادي سويدية ووادي التوسية وجميعها تصب في نهر دجلة ، بالإضافة الى وادي الثرثار الذي ينتهي في بحيرة ام الرحال الى الغرب من سامراء^(٨) .

ج - السهول الفيضية :

تتكون السهول الفيضية (عادة) من المناطق التي يصل فيها مجرى النهر الى حافة الكهولة والشيخوخة ، اي عندما يضعف جريان الماء في مجراه ، ويتسع ويكون مستوى المياه في المجرى - خاصة في اوقات الذروة - اقرب الى مستوى الأراضي السهلية المحيطة به . ونظرا لكون المجاري المائية في منطقة إقليم الموصل معظمها في مرحلة الشباب فان شكل المجرى يكون مشابها لحرف (u) اللاتيني ، ولا تتوفر فرصة الفيضان على المناطق المحيطة الا قليلا . ويعد السهل الفيضي الذي يحتله الجانب الايسر من مدينة الموصل وامتداده باتجاه الجنوب من أهم السهول الفيضية في المنطقة ، يضاف لها مجموع الجزر التي تقطع مجرى النهر الى الجنوب من مدينة الموصل ، التي يتابع عليها طغيان مياه نهر دجلة سنويا .

د - السهول المروحية :

لا يشترط بالسهول المروحية الاستواء التام والارتفاع الواطئ كبقية السهول المعروفة ، لانها ترتبط بالظهور عند اقدام المناطق الجبلية التي تنصرف اليها مياه الوديان المنحدرة اليها من السفوح

الجدول رقم (١) (١٩)

متوسطات الحرارة العظمى والصغرى بالدرجات الثورية لخطات مختارة من إقليم الموصل ووسط وجنوب العراق

الشهر	الموصل (٣٢٣) م		سنجار (٤٧٦) م		بغداد		البصرة	
	الصغرى	العظمى	الصغرى	العظمى	الصغرى	العظمى	الصغرى	العظمى
ك ٢	١٢,٨	٢,٥	١٠, -	٣,٣	٤,٣	١٨,٦	٧, -	
شباط	١٥,٣	٣,٥	١٣,٥	٤,١	٥,٩	٢١, -	٨,٧	
آذار	١٩, -	٦,٣	١٦,٥	٧,٣	٩,٦	٢٥,٣	١٢,٦	
نيسان	٢٥,٤	١٠,٣	٢١,٢	١١, -	١٤,٦	٣٠,٨	١٨, -	
مايس	٣٢,٩	١٥, -	٢٨,٧	١٨, -	٢٥,٨	٣٦,١	٢٣,٧	
حزيران	٣٩,٦	١٩,٥	٣٥,٤	٢٣,٩	٤١, -	٣٨,٨	٢٦,٩	
تموز	٤٣,٤	٢٢,٩	٣٩,١	٢٦,٧	٤٣,٤	٤٠,٥	٢٧,٧	
آب	٤٣, -	٢١,٨	٣٩, -	٢٦,٥	٤٣,٣	٤١,٣	٢٦,٣	
أيلول	٣٨, -	١٦,٦	٣٤,١	٢٢,٣	٣٩,٨	٣٩,٧	٢٢,٩	
ت ١	٣١,٢	١١,٤	٢٧,١	١٦,٩	٣٣,٤	١٦,٢	١٨,٣	
ت ٢	٢٢,٣	٧, -	٢١,٥	١٠,٩	٢٤, -	١٠,٣	١٣,٢	
ك ١	١٥,١	٣,٣	١٢,٨	٤,٨	١٧,٧	٢٠, -	٨, -	

المطر:

تستلم مدينة الموصل والمناطق المحيطة بها— كمية من المطر تتراوح ما بين ٣٥٧,٧ ملم في مدينة سنجار و ٧٨٦,١ ملم في مدينة القيارة، وإذا ما أخذنا القيمة الفعلية لهذه الأمطار نتيجة للفقد العالي، ومنها بتأثير حرارة الصيف وجفاف الجو، فإن المنطقة تقع ضمن نطاقين اقليميين هما اقرب الى المناخات الجافة منها الى المناخات الرطبة وهما اقليم مناخ الصحاري الحارة، و اقليم مناخ الحشائش القصيرة. (الاستبست).

وتبين كمية الامطار الساقطة تبعا لدرجة علاقتها بمقدار مرور الانخفاضات الجوية، والوضع التضاريسي، ومقدار الرطوبة النسبية للهواء، واتجاهات الرياح وغيرها. وعموما تزداد الامطار الساقطة بالاتجاه نحو الشمال والشمال الشرقي. (انظر الجدول رقم ٣).

وجنوب العراق (كبغداد والبصرة) بحوالي خمس درجات خلال فصول الشتاء والربيع والخريف. في حين تتعادل معها—إن لم تتفوق عليها—في فصل الصيف. (انظر الجدول) الامر الذي يجعل المدى السنوي في مدينة الموصل اعل ان لم يكن متساويا مع ما هو عليه في محطات العراق الوسطى والجنوبية، الا ان درجة الحرارة المحسوسة في منطقة الموصل تجعل حرارة الموصل اكثر تقبلا مما هو عليه في محطات العراق الوسطى والجنوبية وذلك لقلة الرطوبة النسبية في الهواء، خاصة في فصل الصيف وبشكل عام في الفصول الاخرى، نظرا لتعرض المحطات الجنوبية الى رياح مشبعة بالرطوبة قادمة من منطقة الخليج العربي ومنطقة الاهوار الجنوبية، وهي الرياح الجنوبية الشرقية التي تتقدم الانخفاضات الجوية، بالرغم من أن كمية الامطار الساقطة في محطة الموصل والمحطات المجاورة اكثر (انظر الجدول رقم ٢).

كمية الامطار السنوية بالملمتر في محطة
الموصل والمحطات المجاورة والجنوبية

المحطة	كمية المطر/ملم
الموصل	٤٠٣,٥
زاخو	٩٥١,٥
دهوك	٩٢٦,٨
تلعفر	٥٣١,٧
عقرة	٦٢٦,٤
بغداد	١٤٧,—
الصرة	١٤٠,—
الناصرية	١١٢,—

المطر التضاريسي الذي يمتاز بنمطه الوابل في حين يكون الامطار الاعصاري في الموصل من نمط مطر الرذاذ الذي يصاحب الجبهات الدافئة. (انظر الجدول رقم ٤).

تحليل مناخ المدينة واقليمها :

تخضع المدينة - ومعظم اقليمها - من خلال موقعها الفلكي والجغرافي الى تأثيرات الكتل الهوائية الباردة القارية القطبية (CP) القادمة اليها من سيبيريا والمتوغة عبر الاراضي التركية او عبر البحر المتوسط ، والكتل الهوائية المدارية الجافة (CT) القادمة من هضبة نجد ، والارطبة (MT) القادمة اليها من حوض الخليج العربي ومتوغة عبر سوريا من حوض البحر المتوسط .

ان هذا الموقع يجعل المدينة وقسمها من اقليمها ينحصر الى خصائص مناخ الاستبس الانتقالي المداري الحار والمطر شتاء (Bshs)، في حين يسيطر نمط المناخ الصحراوي الحار والمطر شتاء (Bwhs) على معظم ارض الجزيرة الى الغرب والجنوب الغربي من مدينة الموصل . حيث يظهر مناخ البحر المتوسط الجاف والحار صيفا والمطر شتاء (CSa) على المناطق السهلية والسفوح الوسطى والعليا للمنطقة

ومن الجدير بالملاحظة ان كمية الامطار الساقطة هي انعكاس لعدد الايام المطيرة في السنة ، وهذا واضح في مدينة الموصل واقليمها ، فالمناطق ذات الامطار الاكثر هي التي تسيطر فيها الايام المطيرة على اكثر ايام السنة ، ويشذ عن ذلك في المناطق المجاورة لمدينة الموصل مدينة دهوك ، فهي بالرغم من ارتفاع كمية الامطار الساقطة فيها عما هو عليه في مدينة الموصل الا ان عدد الايام المطيرة اقل . ويعود ذلك الى سيادة

الجدول رقم (٣)

معدلات الامطار السنوية بالملمتر محطات واقعة ضمن إقليم الموصل او مجاورة له (١)

المحطة	الارتفاع/م	ك ٢	شباط	آذار	نيسان	مايس	حزيران	تموز	آب	ايلول	ت ١	ت ٢	ك ١	المعدل السنوي
الموصل	٢٢٣	٦٧,٢	٦٣,٤	٦٩,٢	٥٠,٨	٣٤,٧	٠,٣	—	—	٠,٥	٧,٧	٣٣,٧	٧٣,٩	٣٠٢,٥
زاخو	٤٤٢	١٥٠,٧	١٠٧,٧	١١٤,٤	٩٣,٢	٣٦,—	٠,١	—	—	١,—	٢٠,٦	٧٨,٣	١٤١,١	٩٥١,٥
القادسية	١٢١,١	١٢١,٦	١٢٩,٢	١٤٩,٣	١٤٣,٥	٤٢,٥	—	—	—	—	٢٢,٣	٨٦,—	١١٨,٤	٦٩٧,٣
سرسك	١٠٤,٦	١٤٠,٦	١٦٩,١	١٧٥,٧	١٢٣,٧	٧١,—	٠,٦	—	٠,٥	٠,٩	٢٥,—	٩٨,٩	١٣٢,٣	٨٨١,٨
دهوك	٨٦٠	١٠٣,—	٨٤,١	١٠٥,٩	٧١,٤	٦٢,٧	٢,٨	—	—	١,١	١٥,٨	١٠١,٧	١٤٠,٨	٩٢٦,٨
عقرة	٧١٦	٢٠٤,٩	٢٠٣,٤	٢١٣,٤	١٣٤,٢	٣٢,٣	٠,٩	—	—	١,٩	١٥,—	٦٣,١	١٠٤,٦	١٠٧٢,٧
تلعفر	٢٧٣	٦١,٣	٤٧,٣	٦٣,—	٤٣,—	٦١,٦	—	—	—	٠,٥	٣٠,—	٩٧,٨	١٢٧,٢	٥٣١,٧
سنجار	٤٧٦	٨٢,٢	٦٦,٦	٦٦,٨	٥٢,٥	٢٤,—	—	—	—	٠,٣	٥,٣	٣٠,٨	٨٩,٩	٣٥٧,٧
القيارة	١٨٠	٨٨,٩	٥٠,٦	٤٨,٢	٤٤,٧	٥٣,٤	١,٥	—	٠,٦	—	١٧,٦	٨٢,٩	١٣٢,٧	٧٨٦,١
اربيل	٤١٤	٩٤,١	٨١,٧	٨٧,٨	٥٥,٣	٢٩,٣	٠,٧	٠,١	—	٠,٧	٩,٩	٣٦,١	٦٥,٣	٣٩١,٩

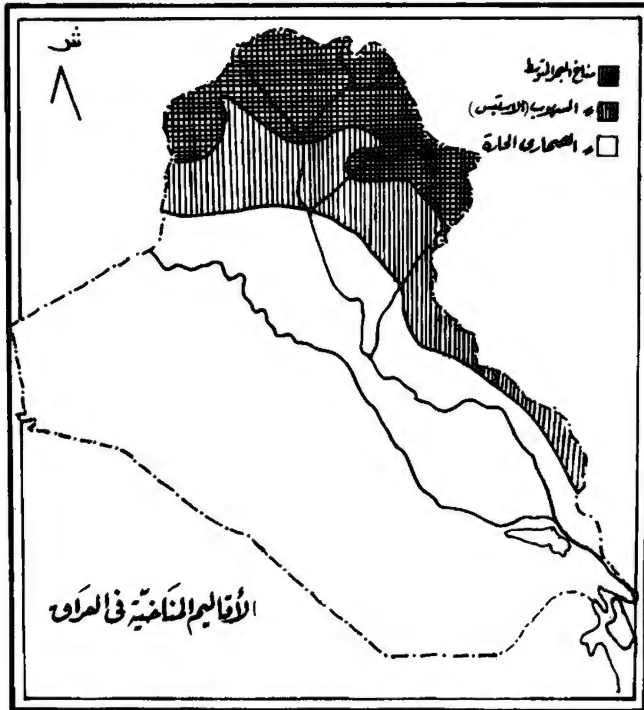
الجدول رقم (٤)

المعدلات الشهرية للأيام المغطاة بغطاء واقية ضمن القيم الموصل أو مجاورة له^(١)

المحطة	ك ١	شباط	آذار	نيسان	مايس	ت. ١	ت ٢	ك ١	المجموع
الموصل	١١,٦	٩,٩	١٠,٩	٩,٣	٤,٩	٢,٥	٧, -	٨,٤	٦٥,٣
زناخر	١١,٦	١٠,٢	١١,١	٩,٧	٦,٨	٤,٨	٧,٣	٩,٢	٧٠,٧
دهوك	٨,٩	٨,٢	٩,٩	٨,٦	٥,٩	٢,٣	٥,٦	٥,٩	٥٥,٨
سرسنك	١١,٢	١٠,٦	١٤,٧	١١,٩	٨,٤	٤,٣	٦,٦	٩,٧	٧٧,٤

فيقل مقدار المطر الساقط وتسود خصائص هذا المناخ مما يؤثر سلبا على كثافة النبات الطبيعي وعلى انتاجية الارض المزروعة دوما وعلى مستوى الماء الباطني ومقدار تصريف العين، في حين تسود على المناخ الانتقالي (Bslis) في سنوات اخرى

الجبلية، والمناخ الجاف والدافئ صيفا (Csb) في الجهات الشمالية والشمالية الشرقية المرتفعة. ان سيطرة مناخ الاستبس على منطقة الموصل. ولكونه مناخا انتقاليا فانه يخضع في بعض السنوات الى زحف المناخ الصحراوي الحار والممطر شتاء،



عواصف ترابية (غبارية) الا فيها ندر خاصة في فصل الصيف ، ولكنها عموماً اقل بكثير مما هي عليه في مدن العراق الوسطى والجنوبية ، وقد تصل بعض العواصف الغبارية المرتفعة مع الرياح الجنوبية الشرقية التي تتقدم الانخفاضات الجوية قادمة من جنوب وغرب العراق وبشكل خاص في فصل الربيع ، ويتساقط هذا الغبار تدريجياً عند حالات السكون او ينزل مع الامطار التي تتخذ صفة الامطار الطينية .

رابعاً : الموارد المائية :

تمثل الموارد المائية فيما يأتي :

١ - التساقط :

يمثل التساقط بانواعه ، المطر والتلوج والبرد مصدراً وحيداً لكافة انواع الموارد المائية سواء بصورة مباشرة او غير مباشرة . وقد سبق ان تناولنا هذا المورد في المناخ .

٢ - الموارد المائية السطحية :

تشمل الموارد المائية السطحية على كل من انهار دجلة والخابز والخوص ومجموعة الوديان .

(أ) نهر دجلة :

يدخل نهر دجلة محافظة نينوى بعد اجتيازه اراضي محافظة دهوك ، ويمتاز في هذه المحافظة اراضي متموجة في الاقسام الشمالية ، ومنطقة منبسطة في هضبة الموصل في المنطقة الجنوبية . ويبلغ معدل تصريف النهر في محطة الموصل للفترة ١٩٣١ - ١٩٨٢ حوالي ٦٦٨ م^٣/ثا . اي بايراد مائي قدره (٢١,٠٧) مليار م^٣ . (١١) .

ولياه نهر دجلة اهمية كبيرة في استثمار الاراضي الزراعية الواقعة على جانبي النهر . ويتباين اسلوب الارواء ضمن المنطقة ، وذلك اما باتباع اسلوب الري السبحي عندما تفتح جداول او كسرات في

خصائص مناخ البحر المتوسط مما يسبب زيادة ملحوظة في مقدار الامطار الساقطة وفي كثافة النبات الطبيعي . ان هذه الخاصية المتذبذبة للمناخ الاستثنائي تترك اثاراً سلبية عديدة على سكان المنطقة بما يسببه من مجاعات ضمن فترات مختلفة ومتعددة من تاريخ حياة مدينة الموصل واقليمها .

ان وقوع المدينة ضمن هذا الحيز الجغرافي جعلها عرضة لمرور انخفاضات العروض الوسطى القادمة من البحر المتوسط في فصول الخريف والشتاء والربيع ، الامر الذي يسبب تغيرات مناخية عديدة مثل التذبذب في درجة الحرارة بين الارتفاع والانخفاض تصاحبها رياح متباينة الاتجاه والتأثير بين رياح جنوبية وجنوبية شرقية وشمالية غربية مصحوبة بسحب طبقية (St) واخرى تراكيمية (Cu) وتراكيمية مزنية (CN) مسببة تساقطاً يتراوح ما بين الرذاذ المستمر والوابل المصحوب ببرق ورعد . اما في فصل الصيف وبعض اشهر فصلي الربيع والخريف فان المنطقة تقع عموماً تحت نطاق الضغط العالي شبه المداري الشمالي او عند اطرافه مما يؤثر لها ارتفاعاً في درجة الحرارة وسماء صافية .

وتخضع المدينة واقليمها الى نمط من الامطار الانقلاية — خاصة في فصل الربيع — من سحب تراكيمية تسببها الكتل الهوائية الباردة نسبياً والمنحدرة اليها من هضبة الاناضول . فترتفع درجة حرارة قواعدها ويقل استقرارها فتتفجر على شكل سحب تراكيمية وتراكيمية مزنية تسبب سقوط امطار غزيرة خلال فترات قصيرة ، كما يظهر نمط المطر التضاريسي في مناطق متفرقة من الاقليم خاصة في المناطق الجبلية عندما تكون اتجاهات الرياح الرطبة متعامدة مع امتداد السلاسل الجبلية ، وعادة يصاحب هذا النمط من الامطار الانماط الاخرى كالامطار الاعاصرية والانقلاية .

وتسود على المدينة واقليمها في معظم ايام السنة رياح شمالية غربية معتدلة السرعة ، ولا تحدث فيها

السد الطبيعي للنهر، او باستخدام مضخات لرفع المياه الى الاراضي الزراعية المحيطة بمجرى النهر.

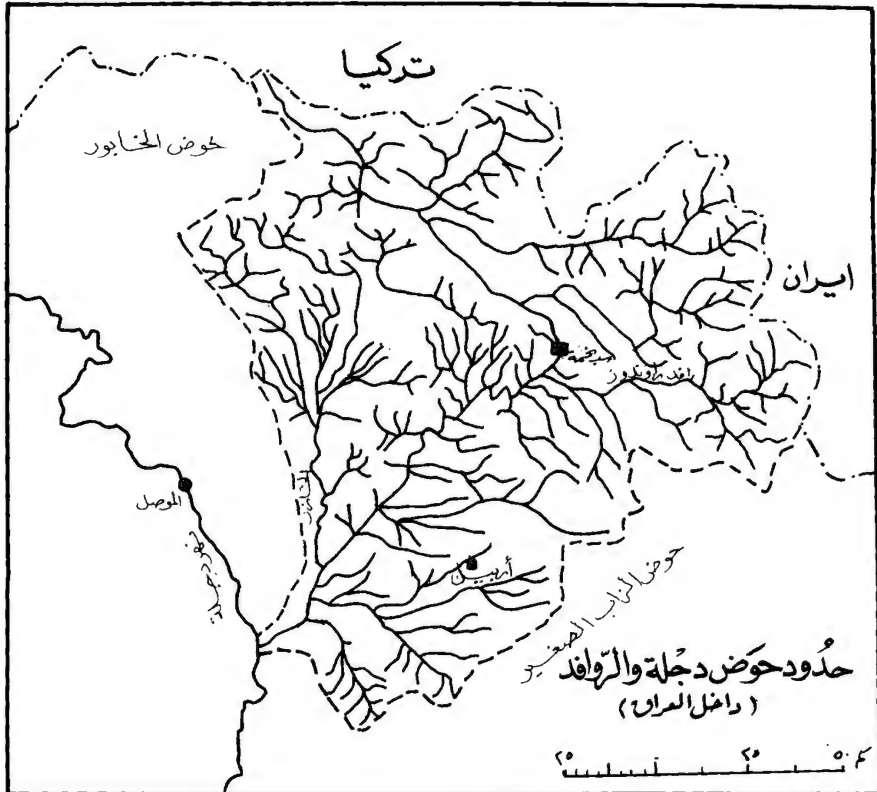
التصارييف السنوية لنهر دجلة للفترة ١٩٥٨-١٩٨١ في محطة الموصل

السنة	متوسط التصريف السنوي م ^٣ /ثا	السنة	متوسط التصريف السنوي م ^٣ /ثا
١٩٥٨	٥٧٩	١٩٥٩	٥١٣
١٩٦٠	٥٤٥	١٩٦١	٣٧٠
١٩٦٢	٥٧٨	١٩٦٣	١١٨٠
١٩٦٤	٧٥٩	١٩٦٥	٥٩٤
١٩٦٦	٧٦٩	١٩٦٧	٩٦٥
١٩٦٨	١١٣٠	١٩٦٩	١٣٧٠
١٩٧٠	١٣٨٠	١٩٧١	٥٢٣
١٩٧٢	٧٦١	١٩٧٣	٣٧٩
١٩٧٤	٥٤٠	١٩٧٥	٤١٨
١٩٧٦	٩٥٩	١٩٧٧	٥٨١
١٩٧٨	٧٦٧	١٩٧٩	٤٩٢
١٩٨٠	٧٧٧	١٩٨١	٦٧٨

(ب) نهر الخوصر:

وهو نهر موسمي ، يستمد مياهه من منطقة تغذيته حول الموصل وضمن مسافة لاتتعدى (٦٠) كيلومترا عنها. ويعتمد النهر في تمولينه بالمياه على الامطار الساقطة ، لذا يتصف بالضمور والجفاف في فصل الصيف ، وغزارة مياهه في فصل الشتاء. ويعد نهر الخوصر من نمط الانهار المجنونة. فقد بلغ اقصى تصريف له سنة ١٩٧٤ وفي موقع جسر السويس (١٠٠٠) م^٣/ثا (١٢)

ويستفاد من مياه النهر في ارواء الاراضي



الزراعية الواقعة على جانبيه. وهناك دلائل آثارية تشير الى ان الملك سنحارب قد اقام مشاريع اروائية فخمة على نهر الخوصر لتوفير المياه للمدينة نينوى، ومن جملة تلك المشاريع قناة سنحارب (قناة جروانة).^(١٣)

(ج) نهر الخازر-كومل:

يتكون النهر من راغدين هما الخازر والكومل. وينبع نهر الخازر من المنطقة الجبلية التي تتغذى بامطار وثلوج كثيرة تسقط خلال فصلي الشتاء والربيع. ويصل ارتفاع بعض جبال هذه المنطقة الى اكثر من (٢١٠٠) متر. مثل جبل برورارى بالا (٢١٩٧) متراً فوق مستوى سطح البحر.^(١٤) وتبلغ مساحة حوض التغذية عند موقع سد باكرمان (٧٢٤) كيلومتراً مربعاً. ومساحة السهل مؤخر سد باكرمان (١٥٦٠) كيلومتراً مربعاً.^(١٥)

اما راغد الكومل فيتألف من راغدين هما كرم صووروبار اتروش. وينبع الاول من جبل حمة بكر خاصة في القسم الجنوبي، ويصب راغد الكومل في نهر الخازر في نقطة تقع الى الشمال من جسر مندان.^(١٦)

وينبع راغد روبار اتروش من الاجزاء الشمالية من جبل حمة بكر، وتبلغ مساحة حوض تغذية نهر الكومل (٥١٣) كيلومتراً مربعاً.

ويجري نهر الخازر-كومل في الاقسام الشمالية منه في منطقة جبلية ذات وديان عميقة حيث لايزال النهر في مرحلة الشباب. ويبلغ معدل انحداره ما بين ٥-٨٪ في الاقسام الشمالية منه^(١٧). وبعد اجتياز النهر لمضيق باكرمان يمر في اراض سهلية وتقطع الجرى مجموعة كبيرة من الجزر الرملية التي تغمرها مياه النهر اثناء موسم الفيضان.

ويبلغ معدل تصريف نهر الخازر-كومل (٢٩) م^٣/ثا للفترة ١٩٥٠-١٩٨٢. وسجل اعلى تصريف للنهر في سنة ١٩٦٩ خلال شهر نيسان عندما بلغ (٢١٥) م^٣/ثا في حين كان اوطا

تصريف للنهر في سنة ١٩٦٢ عندما بلغ (٥) م^٣/ثا في شهر ايلول.

السدود والخزانات:

١- سد صدام:

ان السيطرة على مياه نهر دجلة لايمتن ان تكون كاملة قبل السيطرة على اصوله، وعلى هذا لابد من اتمام السيطرة على نهر دجلة، ومن دراسة وادي دجلة شمال مدينة الموصل، وجد ان الموقع الكائن قرب قرية ضوء القمر- على بعد ٥٦ كم من الموصل- من اكثر المواقع ملائمة لانشاء السد.

والسد من الاملاء الركامي وبطاقة تخزين مقدارها (١١,٤) مليار متر مكعب^(١٨). وقد اكتمل انشاء السد عام ١٩٨٦ ومن اهدافه:

أ- درء خطر الفيضان عن المناطق الوسطى والجنوبية من العراق، من خلال تخزينه (١١,٤) مليار م^٣ من المياه خلال موسم الفيضان.

ب- تأمين المياه اللازمة لارواء الاراضي الزراعية ضمن منطقة الجزيرة في محافظة نينوى ومن خلال المشاريع الاروائية الثلاثة:

١/ مشروع ري الجزيرة الشمالي الذي يشمل مساحة ٢٠٠٠٠٠٠ هكتار (٨٠٠ الف دونم).

٢/ مشروع ري الجزيرة الجنوبي الذي يشمل مساحة ٢٥٠٠٠ هكتار (١٠٠ الف دونم).

٣/ مشروع ري الجزيرة الشرقي.

ج- توليد الطاقة الكهربائية.

٢- السدود المقترحة على نهر الخازر- الكومل:

سد باكرمان:

يقع سد باكرمان على نهر الخازر عند قرية باكرمان. ويبعد حوالي (٤٠) كم شمال شرق

مدينة الموصل ، والسد من النوع الصخري الاملائي
وطاقة خزن (٤٦٥) مليون م^٣ (١٩).

ان الاهداف الرئيسة من هذا السد هي :

١- دره خطر الفيضان عن المناطق الوسطى
والجنوبية من العراق من خلال استيعابه لـ
(٤٦٥) مليون م^٣.

٢- تأمين المياه اللازمة لارواء الأراضي الزراعية
الواقعة على جانبي نهر الخازر. حيث تبلغ
الأراضي المستفيدة من مياه السد (٢٧٢٠٠)
دوم^(٢٠) منها (١٥٠٠٠) دوم على
الجانب الشرقي من نهر الخازر و (١٢٠٠٠)
دوم واقعة في الجانب الغربي من نهر الخازر.

٣- إمكان توليد الطاقة الكهربائية : ويتم تأمين
المياه اللازمة للأرض الاروائية من نهر
الخازر-كومل ، عن طريق جدولين احدهما
يقع شرق نهر الخازر بطول (٦٦) كم ،
والآخر في غرب نهر الخازر بطول (٤٠) كم .

٣- المياه الجوفية :

تعد المياه الجوفية في اي منطقة انعكاساً لمقدار
التساقط ودرجة كثافة المياه السطحية ودرجة
مسامية التربة . ومنطقة الموصل تستلم من الامطار
نسبة اكبر مما تستلمه المناطق الوسطى والجنوبية .
كما ان منطقة الجبال المجاورة والمتداخلة مع منطقة
تأثير الموصل تسيطر على نسبة مطرية ، فضلاً عن
تراكم الجليد لمعظم فصل الشتاء . ان هذه الظاهرة
مع مايتبعها من نسيج جيد لتربة المنطقة جعل
مقدار المياه الجوفية ونوعيتها افضل مما هي عليه في
باقي اجزاء العراق . وتستثمر المياه الجوفية في المنطقة
مباشرة عن طريق شبكة العيون التي تنفجر عند
الحافات السفلى للمنطقة الجبلية والتي رسمت
بتوزيعها انماط الاستيطان البشري في المنطقة .

وتستغل المياه الجوفية عن طريق المضخات
والآبار في اقليمي الاستبس والصحراوي في
المنطقة ، والامثلة على ذلك هي :

١- المياه الجوفية في سهل الخازر-كومل :

تتوفر هذه المياه مخزونة في طبقات عصر
البختياري والحديث ، حيث يتكوّن سهل
الخازر-كومل من الترسبات النهرية الحديثة ،
توجد على السطح طبقات حصوية ورملية متاسكة
وزيادة الاعاق توجد الطبقات البختيارية المتمثلة
بالحجر الحصى والحجر الرملي . ويبلغ سمك
الطبقات الحاملة للمياه الجوفية من ١٥-٣٠ متراً .
ويقدر معامل النفاذية في حدود ٢٠-٢٥ م/يوم كما
يلعب عمق المياه الجوفية (١٠) أمتار ، وتمتاز المياه
الجوفية للسهل بملمحة طفيفة ، وتتغير نسبة المعادن
منها من ٢٥٠ ملغم/التر الى ٦٥٠ ملغم/التر .

ب- المياه الجوفية في منطقة ربيعة :

تشمل المنطقة مساحة مقدراها
(٤٥٠٠) كم^٢ ، ويتم استخراج المياه الجوفية منها
بالضخ من الابار او بالطرق اليدوية . ان نوعية المياه
الجوفية تتباين مكانيا من موقع لآخر من حيث كمية
الاملاح T.S.S. ما بين ١٠٠٠-٤٠٠٠ جزء/
المليون .

ويمكن تقسيم حوض ربيعة من حيث المياه الجوفية
الى الاقسام التالية : (٢١)

(١) حوض سنوي الثانوي .

(٢) حوض ربيعة الثانوي .

اثر ظروف البيئة المحلية والاقليمية في رسم مواضع
المستوطنات داخل اطار موقع المدينة :

من ملاحظة خارطة توزيع المراكز الحضرية في
اقليم مدينة الموصل يظهر أن الاقليم يحوي كثافة
حضرية معتدلة ، وبشكل يكاد يكون متناسقاً أكثر
من غيره من مناطق العراق الاخرى . وقد أثرت
عوامل البيئة المحلية ، كالعوامل الطبيعية والبشرية في
رسم هذه الصيغة من التوزيع :
وتتمثل العوامل الطبيعية بما يأتي :

الجبال - كالفتحات والممرات الجبلية - حتى يتوسع الاطار الاقليمي ليشمل مناطق داخل الجبال ومناطق سهلية امام السلسلة الجبلية . وتحتل هذه المواقع مراكز حضرية ذات احجام اكبر مما هو عليه بمواقع داخلية الجبال .

ج - مواقع مقدمات الجبال : تمثل مواقع على مسافة من المنطقة الجبلية ، وتحتل منطقة التقاء وتمازج بيزر اقليمي الجبل والسهل ، وعادة تشغل مواقع اقدام الجبال مراكز حضرية كبيرة الحجم مقارنة باحجام المراكز الحضرية الاخرى في المنطقة الجبلية ، لانها تمثل عقدة ثقل تلتي عندها جميع الطرق الخارجة من المنطقة الجبلية او القادمة بانجهاها ، وبذلك تكون سوقا مميزة لمنتجات اقليم فيزيوغرافية متباعدة .

٣ - الاطار المساحي الذي ينظر من خلاله الى المدينة ، وعادة يشغل هذا الاطار اقليم المدينة ، فمدينة الموصل على الرغم من موقعها النهري ، الا ان هذا الموقع لا يستدعي قيام مدينة بهذا الحجم لو لم تنظر الى موقعها من خلال الاطار المساحي الذي تقوم بالتاثير والتاثر فيه : فالمدينة كعاصمة اقليمية لشمال العراق تمخضت بتاثير هذه الاهمية عن حجمها الحالي . وكذلك مدينة دهوك فهي على الرغم من موقعها عند اقدام الجبال ، الا ان الاطار المساحي الذي يقع تحت سيطرتها والمتمثل بالحدود الادارية لمحافظة دهوك حتم هذا الحجم الذي تشغله المدينة ، اذ ان العبارة ليست فقط بالموقع وانما بالاطار المساحي الذي ننظر من خلاله الى الموقع .

الهوامش :

(١) مالت الدراسات الجغرافية المتخصصة في الاقاليم الفيزيوغرافية للعراق الى اعتبار المنطقة المحصورة بين الجبال العراقية من جهة ،

بأني النهر اهم عامل في رسم مواقع المستوطنات في اقليم مدينة الموصل باعتبار ان معظمه يدخل ضمن الاقليم المناخي الجاف BW وشبه الجاف BS فيكون للنهر دوراً مؤثراً وجاذباً لمواقع المستوطنات الريفية والحضرية وعادة يرسم النهر توزيعاً خطياً لمواقع المستوطنات . ولما كان قسم مهم من اقليم المدينة يقع في مناطق جبلية او تلالية فان مصادر المياه في هذا الاقليم تكون حافزاً على الاستيطان والاستقرار ، وبشكل خاص عند اقدام الجبال حيث تنفجر العيون والينابيع من طبقة الصخور الكلسية السائدة والحواوية على المياه الجوفية ويتخذ توزيع المستوطنات في اتجاهه امتداد تلك السفوح .

اما بالنسبة الى المواقع الساحلية والبحيرات والمستنقعات فانها مفقودة في اقليم مدينة الموصل لابتعاد الاقليم عن البحر وفقدان تلك المتغيرات على امتداد اطرافها الاقليمي .

٢ - مظاهر السطح :

تعد المناطق السهلية من افضل المواقع التي ترغبها المستوطنات السكانية لاستثمارها ، وهنا يكون جانب الاختيار واردا في تحديد موضع المستوطنة . الا ان الصورة تتباين في المناطق الجبلية ، حيث ترسم البيئة الطبيعية مواقع المستوطنات بصورة قسرية ، وتبرز ثلاثة انماط من المواقع الجبلية واضحة في اقليم مدينة الموصل ، هي :

أ - مواقع داخل الجبال : عندما يتحدد مواقع المدن داخل السلاسل الجبلية ، وعادة لاتساعد هذه المواقع على قيام مراكز حضرية كبيرة .

ب - مواقع اقدام الجبال : تتمثل في منطقة اتصال الجبل بالسهل او بالوادي المجاور ، وتمتاز المراكز الحضرية التي تمثل هذا النمط من المواقع ، بانها تختار الاماكن التي تتوفر فيها امكانية مرنة بالاتصال بمناطق داخل

- (٨) شاكر خصبك، مصدر سابق، ص ٤٣.
- (٩) شاكر خصبك، العراق الشمالي، دراسة لنواحيه الطبيعية والبشرية، مصدر سابق، ص ٥١-٥٣.
- (١٠) عن دائرة الانواء الجوية/بغداد.
- (١١) العراق الشمالي، ص ٧٢، نقل عن سجلات دائرة الانواء الجوية وهي مستجلة للفترة ما بين ١٩٣٥-١٩٦٠.
- (١٢) خالد الشيخ، الخوصر في فيضاناته الاخيرة، مجلة الجامعة، العدد الثالث، ١٩٧٤.
- (١٣) نجيب خروقة وآخرون، الري والزبل في العراق والوطن العربي، بغداد ١٩٨٤، ص ١٢٤.
- (١٤) كاظم موسى محمد، هايدروولوجية حوض الزاب الكبير في العراق، مصدر سابق، ص ١٠٧.
- (١٥) وزارة الري، مديرية الدراسات والتصاميم العامة، مشروع الخازن-كوبل، ١٩٧٨، ص ١.
- (١٦) محمد حامد الطائي، تحديد اقسام سطح العراق، مصدر سابق، ص ٣١.
- (١٧) مشروع الخازن-كوبل، مصدر سابق، ص ٦.
- (١٨) نجيب خروقة وآخرون، الري والزبل في العراق والوطن العربي، مصدر سابق، ص ٢٢٠.
- (١٩) الجمهورية العراقية، المجلس الزراعي الاعلى، السدود الكبيرة والمتوسطة، ١٩٧٥-١٩٧٦، بغداد، ص ٣٣.
- (٢٠) مشروع الخازن-كوبل، مصدر سابق، ص ١١.
- (٢١) صادق باقر جواد، عبدالله جليل، هايدروولوجية منطقة ريعية من بحوث الندوة العربية الثانية للموارد المائية، ١٩٨١.

وهضبة الجزيرة والسهل الرسوبي من جهة اخرى، منطقة شبه جبلية، وهو مصطلح غير دقيق نسبياً، انظر كوردن هسند، الاسس الطبيعية لجغرافية العراق، ترجمة: جاسم محمد الخلف، بغداد، ١٩٤٨.

جاسم محمد الخلف، جغرافية العراق الطبيعية والاقتصادية والبشرية، القاهرة ١٩٦٥.

في حين مالت دراسات اخرى الى اعتبارها اقلياً للسهول الموجة لمنطقة من حقيقة جغرافية تنص على تعريف السهول بانها كافة المناطق المنبسطة التي لاتزيد تضاريسها المحلية عن ٥٠ قدماً في مساحة ١٠ أميال اقلية. وبعد هذا المصطلح اقرب الى الحقيقة من المصطلح الاول. انظر: محمد حامد الطائي، تحديد اقسام سطح العراق، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية، المجلد الخامس، ١٩٧٩.

- (٢) جاسم محمد الخلف، المصدر السابق، ص ٢٥.
- (٣) Ralph M. Parson Co. Report on ground water Prospects of the Arbil liwa, 1955, pp. 19 ff
- (٤) نوري خليل البرازي، البداوة والاستقرار في العراق، القاهرة، ١٩٦٩، ص ١٢.
- (٥) جاسم محمد الخلف، جغرافية العراق الطبيعية والاقتصادية والبشرية، مصدر سابق، ص ٥٤.
- (٦) جاسم محمد الخلف، نفس المصدر، ص ٥٥.
- (٧) كاظم موسى محمد، حوض الزاب في العراق، دراسة هايدروولوجية، رسالة ماجستير، غير منشورة، ١٩٨١، ص ٣٣.

تحليل موضع مدينة الموصل

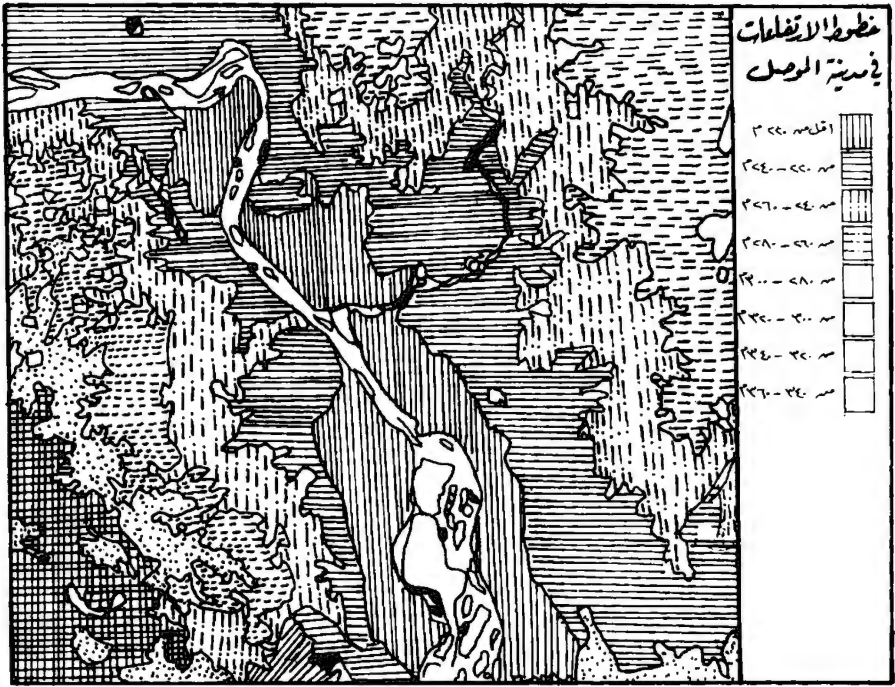
د صلاح حميد الجنائي

موضع مدينة الموصل

يمكن تعريف الموضع بأنه فكرة محلية موضعية بحته تمثل افضل الاماكن داخل اطار الموقع^(١). او بعبارة اخرى الخصائص المكانية لرقعة الارض التي تقوم عليها المدينة مباشرة، وهو بذلك يختلف عن الموقع الذي يقصد فيه الاطار المساحي الذي يحمل دلالات بشرية او مدنية واضحة في اطرارات مساحية متفاوتة، اي لها قيمة بشرية حيوية^(٢). بهذا يعني ان الموضع نقطة متغيرة ضمن اطار الموقع او حرجة على صفحة الاقليم.

٢. تقع مدينة الموصل، عند تقاطع خط عرض

٣٦ ٢٢ شمالاً وخط طول ٤٣ ٠٨ شرقاً، وتحتل موضعها على نهر دجلة في منطقة التقاء بنهر الخوصر الذي يتحد الى من الجهات الشمالية الشرقية. ويحتل موضع مدينة الموصل جزء من هضبة الموصل التي تشكل جزءاً مهماً من التشكيلات التضاريسية للمنطقة الموجة في العراق. وتختلف جانبا المدينة في مظهرها التضاريسي، حيث يمتاز الجانب الايمن (الغربي) بارتفاعه العام مقارنة بالجانب الايسر (الشرقي)، كما يمتاز بانحدار عام نحو الشرق والجنوب الشرقي متخذاً اشكالاً



١- المنطقة المعتدلة الاستواء:

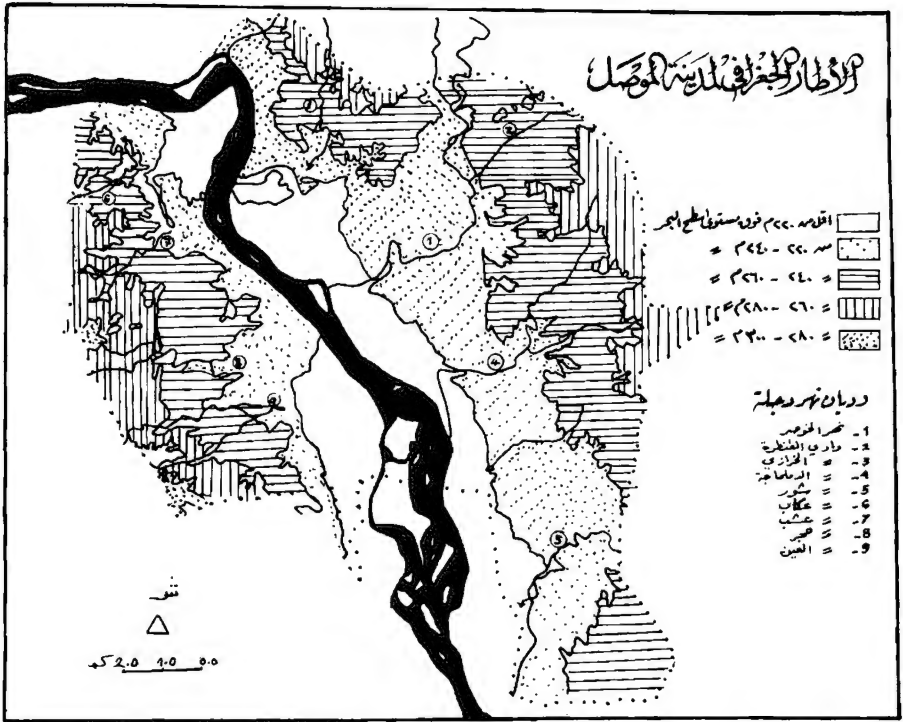
تمثل عموماً في الحيز الذي تحتله المدينة القديمة في الجانب الايمن الذي يمتاز بمعدل ارتفاع يتراوح بين (٢٤٠) متراً في الشمال الى (٢٢٠) متراً في الجنوب، اذ ان هذا التباين في الارتفاع والانحدار التدريجي باتجاه الجنوب والشرق سهل من عملية تصريف مياه الامطار والمياه الثقيلة باتجاه مجرى نهر دجلة.

٢- المنطقة الواطنة:

تقع في جنوب الجانب الايمن ويقل معدل ارتفاعها عن (٢٢٠) متراً عن مستوى سطح البحر. ولانخفاض هذه المنطقة وانحدارها التدريجي باتجاه الجنوب كانت منطقة ملائمة لتصريف مياه الامطار والمياه الثقيلة باتجاه نهر دجلة.

مصطبة تظهر بوضوح من خلال خط الكونتور، وقد ترك هذا الانحدار بصماته على المنظور الافقي للمدينة. اما الجانب الايسر فانه يميل الى الاستواء العام، وهذا لا يعني عدم وجود مناطق مرتفعة ولكنها عموماً اقل نسبياً مما تشغله من الحيز المساحي للجانب الايمن والدخل لمدينة الموصل - خاصة من الجانب الايمن - يشعر وكأنها حوض تنحدر اليه مجموعة من الوديان منتية في نهر دجلة اهمها وديان عكّاب وعشب وهلالة وحجر والعين والدير وآشور وقوجات والدملماجة والقنطرة والخراسي وجوبا.

ويمكن ملاحظة الانماط التضاريسية التالية ممثلة في سطح موضع الموصل: (٣)



عن داذو سليم داذو أنقيم واقع المناطق المفتوحة لغده في مدينة الموصل

٣- المنطقة المرتفعة نسبياً:

الاشورية وما بعدها متمثلة بتل قوينجق وتل التوبة الذي يقع عليه مرقد النبي يونس ، ويزداد ارتفاع المنطقة باتجاه الاطراف خاصة الشمالية الشرقية حتى يصل الى مستوى (٣٠٠) متر فوق مستوى سطح البحر.

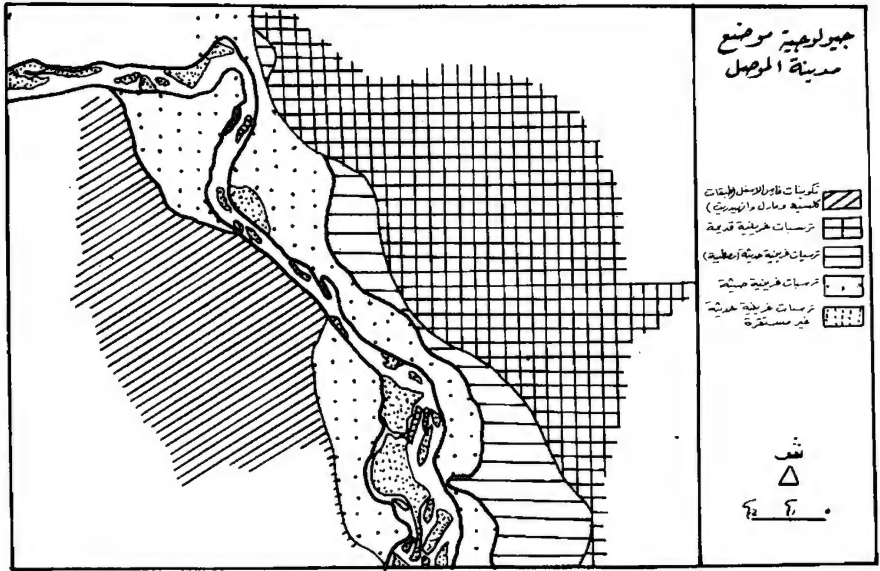
تحيط هذه المنطقة المنطقتين السابقتي الذكر من جهاتها الشمالية والغربية وغالباً ما يكون السطح في هذه الجهات متخذاً اشكالاً مصططية تقطعها ودياناً جافة وتلال يصل ارتفاع بعضها الى ما يقارب (٢٨٩) متراً خاصة في الجهات الشمالية بالقرب من منطقة حاوي الكنيسة الشرقية ، والى (٣٢٠) متراً غرب وادي سرحان.

البنية الجيولوجية لموضع المدينة:

٤- المنطقة المنبسطة:

تمتد مدينة الموصل على جانبي نهر دجلة عند ارتفاع يتراوح ما بين ٢١٠ - ٣٤٠ م فوق سطح البحر. وارضها منتظم بشكل مصاطب متعاقبة ، ويمتاز الجانب الايمن بانه اكثر ارتفاعاً من جانب المدينة الايسر ضمن حدود الموضع ، فن ملاحظة خطوط الكونتور يظهر ان الجانب الايسر للمدينة يتكون من اربعة مصاطب تحدت المصطبة الاولى بارتفاع يقل عن ٢٢٠ متراً ، والثانية بين ٢٢٠ -

تحتل جانب المدينة الايسر، وهي عبارة عن سهل فيضي في المناطق المجاورة للنهر يبلغ ارتفاعه اقل من (٢٢٠) متراً كونه نهر دجلة والوديان المنحدرة من الجهات الشرقية. وتقطعه مجموعة من التلال الاثرية التي تكونت على بقايا بعض المواقع



عن بحث داؤد سليم داؤد/ تقم واقع المناطق المفتوحة العامة في مدينة الموصل

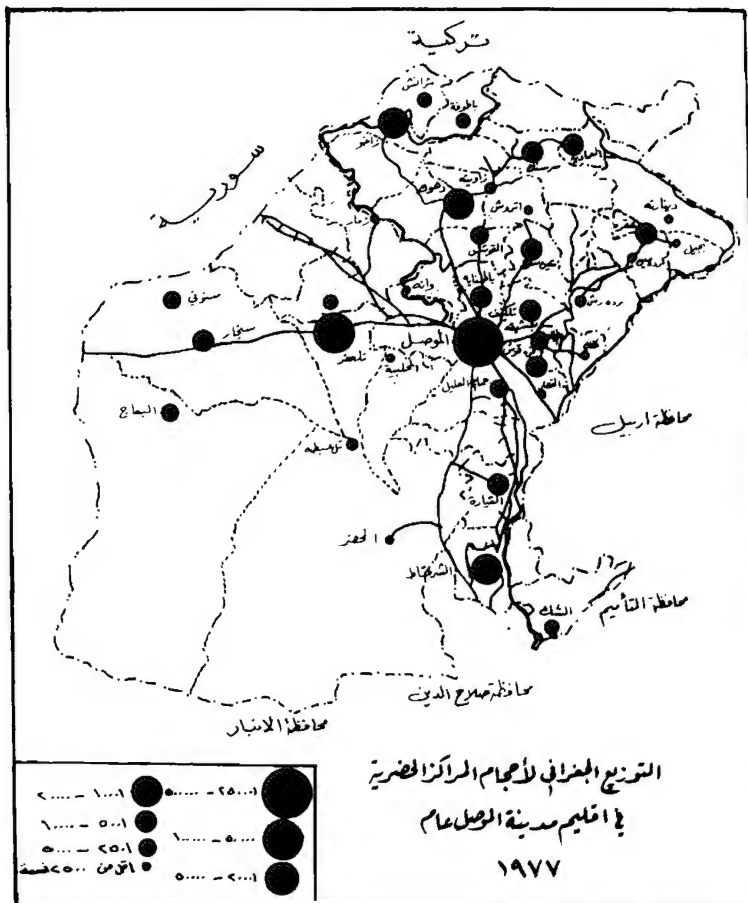
بمستوياتها الأخرى ٢٤٠ - ٢٦٠ م والرابعة ٢٦٠ - ٢٨٠ م والخامسة ٢٨٠ - ٣٠٠ م والسادسة ٣٠٠ - ٣٢٠ م والسابعة ٣٢٠ - ٣٤٠ م والثامنة ٣٤٠ - ٣٦٠ م والتاسعة ٣٦٠ - ٣٨٠ م الذي تحتله الاطراف الغربية للجانب الايمن.

ان ما يلاحظ على خارطة الارتفاعات لمدينة الموصل ان المدينة عبارة عن حوض يشكل مجرى نهر دجلة حضيفه، الامر الذي ساعد على تصريف مياه الاطراف الى مجرى النهر من خلال شبكة من الوديان يأتي في طليعتها نهر الخوصر، الرافد الرئيس المميز في معالمه والذي يقطع هيكل المدينة في جانبها الايسر.

ويمتاز المستوى الاول القريب من مجرى النهر والذي يقل ارتفاعه عن ٢٢٠ متراً، بأنه سهل رسولي تكون بتأثير تتابع الفيضان عليه من مجرى النهر في اثناء مواسم ارتفاع مجرى النهر، ويتألف

٢٤٠ م، وتمثل الاولى سرير النهر في حين تمثل الثانية منطقة السهل الفيضي الذي يحيط بمجرى النهر ويتطاول باتجاه الشمال الشرقي مسيراً لمجرى نهر الخوصر وباتجاه الجنوب الشرقي. وتمثل المصطبة الثالثة مستوى يرتفع ما بين ٢٤٠ - ٢٦٠ متراً، وهو يحيط بالمصطبة الثانية. ويغلف هذه المستويات مستوى رابعاً يتراوح الارتفاع فيه بين ٢٦٠ - ٢٨٠ متراً فوق مستوى سطح البحر.

اما الجانب الايمن فانه اكثر تعقيداً وتمايزاً مستوياته بالتداخل وتمثل فيه ثماني مصاطب تاتي الاولى محاذية لمجرى النهر في اقصى شمال وجنوب المدينة والتي تقل ارتفاعها عن ٢٢٠ متراً تغلفها المصطبة الثانية بارتفاع ٢٢٠ - ٢٤٠ متراً وتتصل هذه المصطبة بمجرى النهر خاصة في المنطقة الممتدة من حي النجار شمالاً حتى منطقة الميدان عند منطقة جسر الموصل الحديدي. وتتابع المصاطب



اقليمية متميزة في شمال العراق ، فهي بموضعها الحالي تسيطر على منطقة واسعة من المنطقة الجبلية والاراضي الموجة ومنطقة الجزيرة . اذ ان هذا الاطار المساحي الكبير كان وراء نمو وتطور المدينة عبر مسيرتها التاريخية .

ويعد موقع المدينة ملائماً لنشأة المراكز الحضرية ، فمن ملاحظة السفر التاريخي للمدينة نجد ان الاطار المكاني لموقع المدينة استثمر بمراكز حضرية مهمة ابتداء من الفترة الآشورية^(١) حتى الوقت الحاضر . فقد شيد الآشوريون شبكة من المدن خلال فترة حكمهم في مواضع تطل معظمها على نهر دجلة أهمها آشور وكلخو .

عموماً من ترسبات طينية ورملية ولوحية . اما المستوى الثاني الذي يعد سهلاً فيضياً قديماً تكون في مراحل متقدمة من عمر النهر ، حيث تتابع مجرى النهر عليه ويخلف رواسب تصلب عليها الرمل والطين مختلطة مع ترسبات حصوية وجلايد . اما المستويات الاعلى فتتكون من الصخور المجمعة Conglomerate والصخور الجبسية والسلتية التي تعود الى عصر فارس . وقد استغل قسم منها ، واستعمل في عمليات البناء في المدينة .

تقيم موقع مدينة الموصل في ضوء نظريات الموقع : تخضع مدينة الموصل لمعظم المنطقة الشبالية من القطر العراقي لتأثيراتها الحضرية ، وتمثل عاصمة

متغيرات موقع المدينة :

في ضوء ماورد في الفصل الاول وما أشرنا به في هذا الفصل نستطيع ان نميز نمط الموقع الذي تحتله مدينة الموصل. فمن الجانب الطبيعي يعد موقع المدينة من المواقع العقديّة ، وموقع المدينة العقدي ليس فيزيوغرافياً فحسب ، وانما هو بشري حيث تحتل المدينة بؤرة استقطاب لخطوط الحركة المتنوعة القادمة من مناطق متباعدة في خصائصها الطبيعية والاقتصادية والسكانية او بعبارة اخرى في جبهة التحام الصحراء بالزروع. ويكتسب موقع المدينة أهميته من مبدأ الانقطاع الميكانيكي والتجاري اللذين كانا وراء خلق التركز الحضري^(٥).

ويقوم النهر - كمظهر طبيعي - بدور مهم في رسم نوعية موقع المدينة ، فهو من المواقع النهرية على رأس الملاحاة لنهر دجلة ، كما يعد من نمط مواقع المعابر والمخاضات خاصة في فصل الصيف عندما ينحسر الماء في نهر دجلة عند المدينة او جنوبها ويصبح من الضحالة بحيث يمكن اجتيازه بسهولة. كما تقوم الجبال بدورها في ابراز موقعها كمقدمات لها. وفضلا عن ذلك يمكن اعتبار موقعها من نمط المواقع المدخلة حيث تتمثل فيه جبهة التحام الاقاليم الاقتصادية المختلفة.

وخلاصة القول ان موقع مدينة الموصل يمثل موقعاً فريداً ، حيث تشير الطبيعة بكل اصابعها اليه موقعاً لا يمكن ان يتجاهله الانسان او يستعيز عنه بوسائل التكنولوجيا. فهي تقع عند جبهات التحام اقتصادية وطبيعية متنوعة ، الامر الذي يجعلها سوقاً تلتي فيه منتجات اقاليم متباعدة في السطح والمناخ. ونقطة احتكاك وتفاعل دائم بين السهل والجبل. ان هذا التباين في ظروف البيئة الطبيعية والاقتصادية جعلها بؤرة تجارية متميزة ، مما ترك اثره الواضح على تشكيلة المدينة السياسية والاقتصادية والحضارية ، مما منحها بتوالي العصور شخصية محلية واضحة المعالم ظاهرة السيات^(٦).

ان هذا الموقع الجيد جعلها ترتبط بعلاقات اقليمية متطورة مع الزمن ، فعلى الرغم من انحسارها تاريخياً ضمن اطار مساحي محدد ، لكن قيمتها الوظيفية جعلتها ترتبط بظهير متباين الاتساع تحكت به ظروف البيئة المحلية الزراعية والظروف الياسية والعسكرية التي تسود منطقة الظهير. وكانت سيطرة الاقليم متباعدة التأثير والاثار على التركيب الوطني والاجتماعي والامن للمدينة.

وتحت تأثير الاهمية لفعالية لموقع المدينة ظهرت ضمن الحيز الحضري المستثمر أنماطاً من المؤسسات الوظيفية السكنية والتجارية والصناعية والخدمية ، كما تبرعت فعاليات واطر خدمية عديدة غايتها توفير متطلبات الاهمية المركزية للمدينة ولؤسساتها الوظيفية.

هذا بالنسبة لموقع مدينة الموصل ، اما الانماط الاخرى من المواقع البارزة في اقليم المدينة ، فظهر لنا بأشكال عديدة يغلب عليه طابع المواقع الطبيعية ، مثل مواقع الانهار المتمثلة بمواقع مدن حام العليل والقيارة ، والشرقاط ، وهي اضافة الى اهميتها الذاتية - خاصة حام العليل بوجود عيون كبريتية استشفائية - يمكن اعتبارها من مواقع مدن المراحل على نهر دجلة بين مدينتي الموصل وبغداد. كما ان بعضها ، كالشرقاط ، وليدة لمدن قديمة ، قامت على اعتبارها.

وتظهر المواقع الجبلية واضحة في اقليم مدينة الموصل متمثلة بمواقع داخل الجبال التي تشمل مدن زاخو ورائية ورسنك والهادية وديرة لوك ، ومواقع اقدم الجبال تتمثل بمواقع مدن دهوك والقوش وعين سفني وبعشقة وعقرة وسنجان. ومواقع مقدمات الجبال متمثلة بموقع مدينة اربيل التي تظهر بموقع عقدي طبيعي واقتصادي ، حيث تلتي عندها خطوط النقل الواردة الى المنطقة الجبلية او الخارجة منها ، كما انها بموقعها الفريد تسيطر على سهل اربيل الواسع.

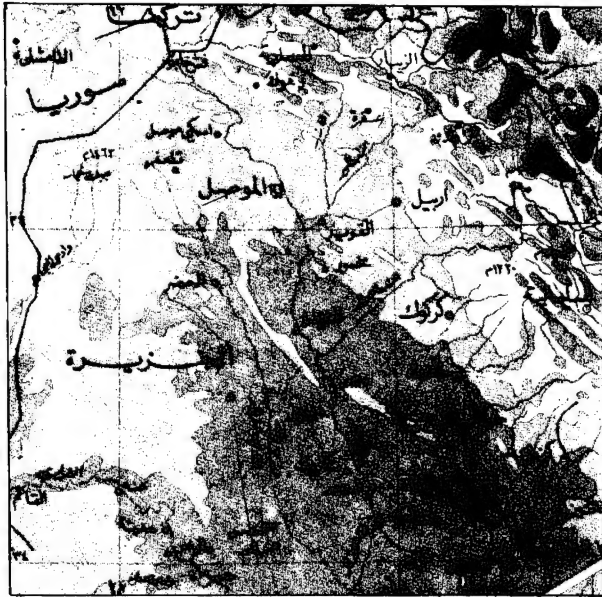
وتحتل مدينة تلعفر موقعاً عقدياً طبيعياً وبشرياً ، فتظهر في موضعها عيون المياه التي جعلتها محطة

- سابا شبر، العلم وتنظيم المدينة العربية، الكويت، مطبعة الحكومة، ١٩٦٦.
- (٣) هاشم خضير الجنابي، التركيب الداخلي لمدينة الموصل القديمة، دراسة في جغرافية المدن، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٨٢ ص ١٠٠.
- (٤) ظهر من تنقيبات مالوان تحت معبد عشتار في تل قوينجق بينوتى وعلى عمق (٢٧) متراً من قبة التل طرزا عازرية غير معروفة، اطلق عليها عصر نينوى (أ) أنظر:
- سيتون لويد، آثار بلاد الرافدين، ترجمة: سامي سعيد الاحمد، بغداد، ١٩٨٠، ص ٧٨.
- (٥) يقصد بالانقطاع الميكانيكي اذا كان لاسباب تكنولوجية فقط دون تغير في ملكية السلعة المقلولة. اما الانقطاع التجاري فهو لاسباب اقتصادية عندما تتحول ملكية السلعة من يد الى اخرى، او حدثت تجزئة للتسويق.
- أنظر:
- جمال حمدان، جغرافية المدن، مصدر سابق، ص ٢٨٣.
- (٦) صلاح حميد الجنابي، التغير في استعمال الارض حول المدينة العراقية، رسالة دكتوراه غير منشورة، بغداد ١٩٧٧، ص ١٧٢ - ١٧٣.

لالتقاء خطوط الحركة التي تربط مدن هضبة الموصل ونهر دجلة بمدن الفرات عبر اراض الجزيرة. يضاف الى ذلك ان تظهر هناك بعض المواقع الهامشية الواقعة على أطراف اقليم مدينة الموصل مثل مدن ربيعة والحضر والباج وسنوني.

الهوامش:

- (١) جمال حمدان، جغرافية المدن، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٧٧، ص ٢٨٠.
- (٢) اشار ابن خلدون في معرض تقييمه للموضع ان يراعى في اختياره الحماية من الآفات السبابة وطيب الهواء للسلامة من الامراض، فان الهواء اذا كان راكدا خبيثا او مجاورا للمياه الفاسدة او مناطق متعفة او حروبا خبيثة اسرع اليها المكن من مجاورتها، فأُسرع المرض للحيوان الكائن فيه لاحالة، وهذا مشاهد، فالمدن التي لم يراع فيها طيب الهواء كثيرة الامراض في الغالب. انظر:



خارطة عامة لمنطقة الموصل وما جاورها.

تأريخ منطقتي الموصل والتليج

من الكهف إلى القرية

د بهنام ابو الصوف

صغير يكاد يكون معدوما. ومع ان طوله لم يكن يتجاوز الخمس اقدام الا قليلا، فان مظهره الغليظ وصدره الواسع واكتافه العريضة كانت تكسبه ملامح خشنة وقاسية. وقد عاش انسان النياندرتال في جماعات صغيرة معتمدا في حياته على جمع والتقاط مايجود به الطبيعة انذاك. كما كان يسمى وحيدا او في جماعات لمهاجمة واصطياد الحيوانات الضخمة التي كانت تزخر بها بيئته القاسية. وكان سلاحه فؤوساً مديبة من لب الحجارة يبيتها لهذا الغرض، فضلا عن هراوات وعصى من اخشاب الاشجار.

لقد اثبتت الدراسات المقارنة لعلم الانسان الجسدي Physical Anthropology في السنوات الاخيرة ان نوع انسان النياندرتال الذي يسكن كهوف العراق وفلسطين في المراحل الاخيرة من

١- شهد العراق مجياله وهضابه وسهوله وضاف نهريه العظيمين دجلة والفرات تطورات اولى في تاريخ البشرية منذ مايقرب من ريع مليون سنة. فقد عاش على هذه الارض وتجول انسان العراق الاول في عصوره الحجرية القديمة. وكان ذلك الانسان لايزال يدوج، كما كان حال معاصريه في بقاع الدنيا الاخرى، في مضمار التطور، فقد كان ينتمي الى انسان النياندرتال^(١) المتقرض الذي لدينا نماذج عديدة من بقاياه العظمية في كهف شانيدار^(٢) في محافظة اربيل والتي تعاصر مثيلاتها في فلسطين في مغارة الصخول في جبل الكرمل^(٣). كان انسان الكهوف العراقي^(٤) هذا بدائيا في شكله وفي طريقة معيشته. والفرد منه يتميز براس ضخم ووجه عريض وحاجبين بارزين وجبهة منحدره الى الخلف وذقن

عصر البلايستوسين قد مر بمراحل تطورية احيائية سريعة خلال الـ ٣٥ - ٤٠ الف سنة الماضية نتج عنها نوع عاقل من الجنس البشري له من الصفات والمظاهر والطباع ما يجعله مؤهلاً ليكون السلف المباشر لجنسنا البشري الحالي في هذه المنطقة من العالم القديم^(٥)، ومنها العراق بالذات. وإذا ما تذكرنا بأن عراقي كهف شانيدار قد اعتنوا عناية خاصة بدفن موتاهم اسفل ارضهم الكهف، وانهم زدوا بعض اولئك الموتى بزهو برأية كانت تنمو على سفوح الجبال وجدت بقاياها مدفونة عند راس عدد من هياكلهم، كما قاموا بالاهتمام بالمعوقين والكسحين من ابناء جنسهم^(٦) في اثناء حياتهم، نأكد لدينا التوجه الانساني المبكر لاولئك البشر سكة العراق الاوائل وانهم ربما كانوا في طريقهم الى تحقيق الطفرة التطورية الهائلة لبني نوعهم من البشر.

٢- اكدت الدراسات والبحوث الاثرية لمرحلة العصور الحجرية في القطر، ومنذ اواخر العشرينات من القرن الحالي، على وجود مخلفات انسان العراق في اكثر من بقعة من شمالي وادي الرافدين ووسطه، وغربه خلال العصور الحجرية القديمة والوسطى والحديثة^(٧) فقد عثر على مخلفات انسان العصر الحجري القديم من قسمه الاسفل والاسط بهمة الات وادوات حجرية معمولة ابرزها حجارة القطع الغرم وبعض الفؤوس الحجرية الكثرية الشكل والشظايا والمقاييط والسكاكين من الصناعتين الاشولية والموسيرية والتي حدد زمانها بين ثلاثمائة الف سنة وثمانين الف سنة قبل الآن في صحراء الرطبة^(٨) ومنطقة السرازة غربي كربلاء^(٩) وعلى طريقي نهر الفرات في منطقة الفحيمي وجزيرة بيجان في حوض سد القادسية^(١٠) وعلى طريقي نهر دجلة في حوض سد ضدام بمنطقة استكي موصل^(١١) وإلى الجنوب من مركز ناحية قايدة على الضفة الشرقية لدجلة واكتشاف الوديان المؤدية اليه في اطراف قريتي كرخوش وباريرة المعمرتين بمياه الحوض الآن^(١٢).

ومنطقة برده بالكة^(١٣) قرب مركز قضاء جمجمال في محافظة التأميم. وفي الطبقة السفلى من كهف شانيدار في محافظة أربيل^(١٤). كما عثر على بقايا العصر الحجري القديم الاعلى (٣٠.٠٠٠ - ١٢.٠٠٠ سنة قبل الميلاد) لأول مرة في شمالي العراق في كهفي زرزي وهزار مرد في منطقة السليمانية في عام ١٩٢٨^(١٥). وفي الطبقات العليا من كهف شانيدار^(١٦) في محافظة أربيل قرب راوندوز. وفي كهف بالي كوه في محافظة السليمانية وكهف بيخال في محافظة أربيل وباراك في محافظة نينوى^(١٧). وقد اطلق على هذه المرحلة الاخيرة من مراحل العصر الحجري القديم في العراق البرادوستي^(١٨).

نسبة الى جبال برادوست التي يقع فيها كهف شانيدار ببقاياه المميزة لهذا العصر. وعند نهايات هذا العصر في حدود ١٥ الف - ١٢ الف سنة مضت حين بدأ مناخ العالم بالتغير وقارب اخر عصر جليدي^(١٩) على الانتهاء وبدأت مرحلة الدفء والجفاف النسبي تسود العراق، ومنطقة الشرق الاوسط، اخذ العراقيون سكة الكهوف في الاقسام الشمالية من قفطرا يهجرون كهوفهم لفترات طويلة وخلال اشهر الصيف يختارون فيها مقار ومستوطنات وقتية في الغراء، غير بعيدة عن اماكن كهوفهم تلك، قرب الينابيع والحدائق وتجاري الانهار يتزولونها مع عوائلهم واطفالهم.

ومن ابرز هذه المقار والمستوطنات الاولى التي حل فيها العراقيون اثر خروجهم من الكهوف، زاوى جمي على ضفة الزاب الاعلى الشرقية ليس بعيداً عن كهف شانيدار، وكريم شاهر بالقرب من مركز قضاء جمجمال في محافظة التأميم، وملففات على الكهف العربي النهر الحازر قرب طريق موصل - أربيل في محافظة نينوى، ومزرك على ضفة دجلة الشرقية الى القرب من مركز قضاء قايدة في محافظة دهوك والمزلية وقومر ذرة غربي بلدة تلعفر في محافظة نينوى، وعشرات غيرها لم نكتشف عنها البعث الاثري حتى الآن. وفي هذه المقار والمستوطنات الاولى احتاج سكان سكة العراق الاوائل الى ملجأ يحميهم

وأطفالهم من حر النهار وبرد الليل ويمكن يجمعون فيه حاجاتهم وأدواتهم البسيطة فبدأوا يخطون منازلهم الاولى، وكانت ثمة حفر دائرية في الارض يرفعون جدرانها بالحجارة والطين ويسقفونها بالقصب واغصان الاشجار فكانت تلك اكواخ العراق الاولى بشكلها الدائري ارضياتها مفروشة بالحصى او الحجارة، وتتألف في الغالب من حجرة واحدة فتم بهذا للعراقيين تعلم البناء ومبادئ العمارة البسيطة قبل اكثر من اثنتي عشر الف سنة. وبقت لهم خطوة اخرى إذا ما حققوها فيسبغون قدمهم على أول مرحلة نحو الاستقرار الذي يقود للحضارة. وهذه الخطوة هي الزراعة وتدجين الحيوان.

لم تمض على خروج البعثة الكهوف من افراقيين واستيطانهم الغراء غير التي حسنة حتى بدأنا نواجه بين بقايا مقارهم تلك امارات ولؤلؤة على سيطرتهم على انتاج القوت وكذا الزراعة وتدجين الحيوان بل بعد ان كانوا ولائق عذلية من السفين جافعين للثقوت، وضياء في ومن هذه الامارات حيث بلغت حمة القمح الشعير المزروعة في حقل والتي تختلف عمل عيلاها التي تنمو بوفرة وكذلك عظام وقرود الخراف والماعز المدجنة وغيرها من الحيوانات المستترة فضلا عن الاك والادوات من الحجارة للطنخ والحرس والذق والخصا كما للناجل المستوع من شفرات من الخجل الصوان والمصقة مع بعضها بالآثار والنبته بمقبح من العظم أو الخشب لتصبح للناجل صناعة للحضارة بالذات ماهرة ومذرة. فنجانب هذا بقي انسان العراق في ليلة تلك بضطارة اختيارا لجميع القواقع والبلوط لعدالة ايضا الا انه بدو يميز تحليلا نحو الاستقرار النهائي في قرى ثابتة تمت واستعت وتعاقبت فيها السلبي خلال الالفين السنين والسادس قبل الميلاد حيث بدأت تهايلات قلاحي العراق الاوائل ارتداد وشع في قايضوا من العمارة وتشييد الدور من الطوب اللبن وباشكال مرتبة او مستطيلة وبعدد من الغرف التي حاجت العائلة الواحدة كما تعلموا صناعة الفخار وتلوينه وحرقه وغزل اصواف الخراف

وشعر الماعز وحيوط الكتان بمغازل اقراصها من الحجارة او الطين وحاكوا منها اقشعة بجوم بدائية ثقلاتها من الحجارة او الطين ايضا. واستوردوا بعض الخامات ومواد الزينة من اقطار بعيدة كبلاد الاناضول والخليج العربي وشرقي ايران وشمالي افغانستان.

ان توصل الانسان الى معرفة الزراعة وتدجين الحيوان والاستقرار في قراه الزراعية الاولى يعد انقلابا خطيرا في مسيرته الطويلة على سطح الارض. ويؤثر هذا الانقلاب بداية للعصر الحجري الحديث في منطقتنا والعراق بالذات. وقد اطلق عليه مؤرخو الحضارات القديمة ثورة العصر الحجري الحديث او ثورة انتاج القوت وحيانا الثورة الزراعية. اذ انها قد نقلت البشرية من عهد طويل من التنقل والسعي وراء القوت والصيد الى مرحلة جديدة من الاستقرار والامن وتشيد القرى التي تمت فيها المعارف والمهارات والتقنيات وتنوعت تبعها الحاجات الانسان الاقتصادية والاجتماعية والفنية والعقائدية. وتطور العديد من هدم القرى الاولى خلال الالف الرابع قبل الميلاد في شمال ووسط وجنوبي العراق الى نواة لعدد كبير من المدن التي اشتهرت في بداية الالف الثالث ق. م جواصر مزدهرة للعراق القديم في عصوره التاريخية اللاحقة. كمدن نينوى، وسامراء، ونمرود، واسور، وبابل، وكيش، والعقير، وشر، والوركاء، واور، والعبيد، وتلر، واربيل، والعديد غيرها. وقلاع الموصل، وتلعفر، واربيل، وكركوك.

كان للموصل واقليةما الواسع على طرقي دجلة وهور بارز ومهم في حياة انسان العراق الاول في عصوره الحجرية القديمة. كما شهدت نموها الخصبة الفسيحة وباديها الغرية البدايات الاولى للاستيطان الزراعي الدائم لفلاحي القطر الاوائل في مرحلتها ما قبل الفخار وبعدها في مفتتح العصر الحجري الحديث خلال الالفين الثامن والسابع قبل الميلاد وما بعدهما بقليل.

بقي ان نذكر ان انواعاً من الادوات الحجرية من الصناعة المستيرية اللاحقة (٨٠ - ٤٠ الف سنة قبل الميلاد) والتي تتشابه مع مثيلاتها في مقار جبال العراق الشمالية والشمالية الشرقية وكهوفها قد وجدت أيضاً في بعض مستوطنات ضفتي دجلة في حوض سد صدام شمالي مدينة الموصل وانها من الصناعات المحلية في تلك المقار والتي تطورت فيها على مر الزمن على يد سكة تلك المناطق الذين كانوا ينحدرون احياناً حاملين معهم آلاتهم وادواتهم الحجرية الى ضفاف نهر دجلة طلباً للماء والقتنص.

ان من ابرز منازل الاستيطان الاولى لطلائع فلاحي منطقة الموصل، بعد مضي مايقرب من اربعة الاف سنة على خروجهم من الكهوف والقرى في مبادئ الزراعة وتدجين الحيوان، التي كشفت عنها البحث الآثاري لحد الآن ملفعات على ضفة نهر الخازر الغربية الى الشمال قليلا من طريق - موصل - اربيل. وقرمز درة والمغزلة الى الغرب من بلدة تلغفر. اعقب ذلك بحوالي الف سنة بداية ظهور قرى اقليم الموصل الزراعية الدائمة التي نشاهد بقاياها البنائية والفخارية وادوات المنزل الخاصة باعداد الطعام والتنانير والمواقد ومخازن الغلال واقراص المغازل وتقالات جوم الحياكة وخز وقلائد الزينة من العظم والحجارة والصدف والاحجار الثمينة وتماثيل صغيرة للألهة من الطين والحجر. ومواد اخرى عديدة تطلبها الحياة الجديدة المستقرة في قرى الالف السادس ق. م في اماكن عديدة منها اسفل طبقات تل قوينجق في مدينة نينوى التاريخية واسفل تراكبات قلعة الموصل المطلّة على نهر دجلة في المنطقة المسماة بقلبيعات^(٢٣)، والاربيجة شرقي مدينة الزهور بالموصل، وتبه كورا وتل جنجي وتل بلا قرب مدينة خرسباد التاريخية والطواجة جنوبي مدينة الموصل بمسافة ١٨ كم على يمين الطريق الجديد موصل - كوير - كركوك، وحسونة^(٢٤) في منطقة

لقد اثبتت الدراسات والمسوحات التي اجرتها فرق العمل الآثارية في حوض سد صدام بمنطقة اسكي موصل في اواسط الثمانينات وجود مخلفات اكيدة لانسان العراق خلال المراحل الاولى من العصر الحجري القديم يرجع زمنها الى اكثر من ربع مليون قبل الان. وهذه المخلفات ممثلة بالآلات وادوات ذلك الانسان في عدد كبير من المقار وعلى مصاطب نهر دجلة الاربعة التي كونتها العصور الجليدية خلال دهر البلايستوسين في المليون سنة الاخيرة من عمر الارض. فقد عثر على مايقرب من اربعين مستوطنا لانسان العصر الحجري القديم الاسفل على مصاطب نهر دجلة الكائنة فوق قرية رفان عليا الى الجنوب من مركز ناحية زمار في الطرف الغربي من الحوض. كما عثر على مايقرب من نصف هذا العدد من مقار ذلك الانسان على مصاطب دجلة الشرقية واكتاف الوديان المؤدية اليه جنوبي مركز ناحية فايدة. وبرزت تلك الآلات المصنوعة من الحجارة مقارم وفؤوس ومقاشط وكلها من الصناعة المعروفة بالاشولية والمثلة لتلك الفترة السحيقة من العصر الحجري القديم. ان الظاهرة البارزة على هذه الآلات والادوات الحجرية انها ومثيلاتها المكتشفة على طرفي نهر الفرات في حوض سد القادسية في اوائل الثمانينات والاخرى التي عثر عليها في غربي كربلاء بين منخفض الرزازة ومنطقة الاخضر في اوائل السبعينات كثيرة الشبه بما اكتشف سابقا من هذا النوع من اللقى الحجرية ومن نفس الفترة الزمنية في هضبة الجزيرة العربية الشمالية.^(٢١) ان الدراسة المقارنة لهذه اللقى الحجرية تؤكد المسار الذي اتخذته انسان المنطقة العربية، وكان دائما يتخذ في الازمان اللاحقة الاكثر حداثة، باتجاهه نحو وديان الانهار العظيمة في المنطقة. وهو يؤكد في الوقت نفسه ان جزيرة العرب هي موطن معظم الموجات البشرية التي استقرت في وادي الرافدين وبلاد الشام وفلسطين ووادي النيل ومنذ العصور الحجرية القديمة.^(٢٢)

(٢) ربما في كهوف اخرى من شمال العراق لم يكشف عنها البحث
الآثاري لحد الآن . انظر :

Solecki, R. "Shanidar Cave, A palaeolithic site",
Sumer, 8/2 (1952), pp.127-192, Sumer, 9/1 (1953),
pp.6-93.

(٣) انظر :

Garrod, D.A. 1962: The Middle Palaeolithic of the Near
East and the problem of Mount Carmel Man. In Journal
of the Royal. Anthropological Institute of Great Britain
vol. 92.

(٤) عاش انسان النياندرتال العراقي في كهوف العراق وعلى هضابه
الشالية قبل أكثر من مائة الف سنة . واختفت آخر بقاياه منذ
مايزيد على ثلاثين الف سنة .

(٥) انظر :

Erick Trinkaus, 1983, Academic press. "The
Shanidar Neanderthal", pp. 424-472.

(٦) وجد هيكل عظمي لرجل كسيح قرب موقد للنار في إحدى
مستويات كهف شاندار الأثرية بما يدل على أنهم قد تركوه
يعني بأعداد النار وأدامتها حين خروجهم للصيد .

(٧) انظر :

١. فرج بقتة جي : والعصور الحجرية في العراق على
ضوء الاكتشافات الجديدة ، سور : المجلد ١١ لسنة
١٩٥٥ ، ص ١١١-١٢٦ .

٢. كذلك :

Garrod, D.A. 1930, : The Palaeolithic Southern
Kurdistan: Excavation in the cave of Zarzi and
Hazar Merd in: American School of Prehistoric
Research Bulletin, No. 6, pp. 8-43.

٣. كذلك :

Braidwood R and Howe, B., Chicago, 1960 Prehis-
toric Investigations in Iraqi Kurdistan.

٤. كذلك :

Braidwood R. and Howe, B., Chicago 1983, vol. 10:
"Prehistoric Archaeology Along the Zagros
Flanks:"

كذلك :

Field, H.' 1951: "Reconnaissance in South West-
tern Asia", In Journal of Anthropology vol. 7/1

(٨) انظر : الحامش رقم ٧ ، ثم المرجع اعلاه .

(٩) انظر :

OHnuma, K. "Lithic Artifacts from Tar Jamal and
Hafna" in AL- Tar, Excavations in Iraq, 1971-
1974, pp. 303-316.

(١٠) مسوحات البعثة البولونية التابعة لجامعة وارثو العاملة في
التنقيبات الانقاذية في حوض سد القادسية في اوائل الثمانينات .

(١١) مسوحات البعثة البولونية التابعة لجامعة وارثو العاملة في
التنقيبات الانقاذية في حوض سدّام بمنطقة اسكبي .

٣٩

حام العليل وابراهيم عزو في منطقة السحاجي
جنوب غربي مدينة الموصل ويارم تبه والثلاثاء في
منطقة تلغفر وكري رهش في منطقة سنجار وام
الدباغية^(٢٥) الى الغرب من مدينة الحضر
التاريخية . وضويح وسلاسل ومصيفنة وشيخ
حمصي في منطقة زمار من حوض سد صدام
وجيكان ودير هال وكوثان وكرخوش في الطرف
الشرقي من الحوض ، والعديد غيرها سيكشف عنها
البحث الآثاري في السنوات القادمة .

لقد مارس سكتة قرى الموصل هذه حرفاً
متعددة منها الزراعة والرعي وصناعة الفخار وتلويته
وحرقة وغزل الصوف وشعر الماعز وخيوط الكتان
وحياكة الاقشمة . كما مارسوا التجارة بنوعها
الداخلية والخارجية فجلبوا حجر الزجاج البركاني
من اماكن تواجدة في وسط بلاد الاناضول ، وقد
سلكوا طريق شامي سوريا مروراً بمنطقة سنجار
وتلغفر فقرى البادية الشمالية ومنطقة الحضر والقرى
الكائنة على طرفي نهر دجلة في منطقة الموصل . واتوا
بصدف بحري خاص والعقيق لعمل قلائد لزيئة
النساء والاطفال من منطقة الخليج العربي ، كما
استوردوا الشذر من شرقي ايران واللازورد من
مناطق مناجمه في شمالي افغانستان .

ان اكتشاف التماثيل الصغيرة من الطين للنساء
في كل هذه القرى دليل واضح على انتشار عقيدة
تقدّيس الام الالهة عند سكتة منطقة الموصل خلال
هذه الفترة ، كما هو الحال في بقية مناطق القطر
والعالم القديم ، لقد رمزوا الى الخصب والعطاء
والاكثار التي منحها لهم الارض بدمى صغيرة
لنساء بحالة الحمل . فصارت المرأة لديهم رمزاً
للخصب . والارض المعطاء شبيهة بالمرأة الحامل
واصبحت كلتاها الارض والمرأة رمزاً مقدساً للعطاء
والحياة .

هوامش البحث :

(١) سمي هكذا نسبة الى اكتشاف بقايا العظمية لاول مرة في
وادي الباندرتال قرب دوسلدورف في ألمانيا الاتحادية عام
١٨٥٦ . وقد عرفت بقايا بعد ذلك في اماكن عديدة من
جنوبي اوربا والشرق الاوسط والهند .

(٢٠) أبرزها: جرمو، كرد جاي، علي اغا، شمشارة، ومطارة في عافطني السليمانية والتأميم. وحسونة ونيوى والأريحية ونبه كورا والطواجة وابراهيم عزويانم تبه وأم الدباغة في محافظة نينوى. وتل الصوان والبلدد في محافظة صلاح الدين. ورأس العمية في محافظة بابل. وتل الرمحان وتل حسن ونكرورجوخة مامي وقرخان في محافظة ديالى. واور والعبيد وأريبدو في محافظة ذي قار.

(٢١) انظر: North Arabian 1960. Field, H., Chicago, Desert-Archaeological survey, 1925-1950.

(٢٢) إن الآلات والأدوات الحجرية التي عثر عليها في اوائل الخمسينيات في صحراء الرطبة وبادية الشام هي من هذا النوع الذي ذكر في اعلاه، والذي مصدره ايضا شمالي الجزيرة العربية.

انظر: هنري فلد في الهامش رقم ٧، المرجع رقم ٥ اعلاه. (٢٣) شاهد الكاتب بعض دلائل هذه السكن الاثلي في اماكن متفرقة وحفر بعض الاسس في المنطقة المحصورة بين احياء الميدان والشهوان ورأس الكور.

(٢٤) القرية الزراعية التي اعطت اسمها الاول مراحل العصر الحجري الحديث في الشرق الاوسط، بعد مرحلة صناعة الفخار، كشفت عن بقاياها. دائرة الآثار العراقية في اوائل الاربعينات.

(٢٥) كشفت المسوحات الآثارية التي اجريت في السبعينات في هذه المنطقة من البادية الشمالية عن حوالي اربعين قرية زراعية اخرى من هذه المرحلة. فقد مارس سكة ام الدباغة خلال الالف السادس ق. م مهنة صيد حمر الوحش (الخنزير) والتجارة بجلوده، حيث كان هذا الحيوان في هذه المنطقة من البادية الشمالية. وقد شهدت انواع منه حتى اواخر القرن الماضي.

انظر: Kirk Bide, D. "Umm Dabaghiya" Iraq, 34 (1972) Iraq, 1975.

اواسط الثمانينات انظر: «بحوث آثار حوض سد صدام وبحوث اخرى» موصل ١٩٨٧.

(١٢) مسوحات البعثة الفرنسية التابعة لجامعة السوربون العاملة في التنقيبات الانقاذية في حوض سد صدام في اواسط الثمانينات. انظر: المصدر في الهامش ١١.

(١٣) روبرت بريديود وبيروس هاور: الهامش رقم ٧، المرجع رقم ٣ أعلاه.

(١٤) رالف سوليكي: الهامش رقم ٢ أعلاه.

(١٥) دورفلي كاروود: الهامش رقم ٧، المرجع رقم ٢ أعلاه.

(١٦) رالف سوليكي: الهامش رقم ٢ أعلاه.

(١٧) روبرت بريد وود وبيروس هاور: الهامش رقم ٦، المرجع رقم ٣ أعلاه.

(١٨) انظر: Braidwood, R. Chicago, 1967 "Prehistoric Men", 7th edition.

(١٩) في عصر البلايستوسين، وهو عصر ظهور الانسان وبداية العصور الحجرية القديمة، سادت الاقسام الشمالية من الكرة الارضية اربعة عصور جليدية غطى فيها الجليد الاقسام الشمالية من قارات اوربا وآسيا وأمريكا الشمالية. وكان يقابل هذا في منطقة الشرق الاوسط وسناتن الصحاري الكبرى في العالم عصور مطيرة شديدة البرودة. وفي فترات ذوبان الجليد الكائنة بين العصور الجليدية الاربع كانت منطقتنا تشع بفترات من الدفء والجفاف النسبي. كالفرة التي اعقبت آخر عصر جليدي والتي لازالت تسود هذه المنطقة من العالم ومنذ اكثر من خمسة عشر الف سنة مفتت والتي يطلق عليها احيانا اسم العصر الحجري المتوسط او الوسيط.

من القرية الى المدينة

أ.د. تقي الدباغ

مقدمة

اجتماعياً له من الاهمية في موضوع النمو الحضاري ما لأي موضوع آخر اللهم الا اذا استثنينا تدجين النبات والحيوان وما يتعلق بها من زراعة ورعي. ولعله من الافضل ونحن نشير الى هذه الاهمية ان نحدد ماذا تعني كلمة مدينة. انها جماعة من الناس تعيش على مبادلة المتوجات المصنوعة والخدمات

هناك اختلافات كثيرة بين حضارة الريف وحضارة المدينة، ومع ذلك فليس ثمة الا اتفاق ضئيل على تحديد الخط الفاصل بين الاثنين، ولذلك زاد ادراك مدى اهمية دراسة هذا النوع من التطور للمجتمعات البشرية في ايماننا هذه بين اوساط الباحثين. ونشوء المدن ليس الا تطوراً

اللازمة للحصول على المواد الخام والطعام. ويعتمد وجودها على هذه المبادلة. ولذلك تختلف المدينة عن القرية. فساكن القرية يحصلون على طعامهم وعلى المواد اللازمة لهم من المناطق القريبة جداً منهم. ومنطقة استغلالهم للأرض تحددها المسافة التي يستطيع ان يمشيها المرء ليعمل في الحقول ثم يعود الى منزله في اليوم نفسه. وعدد السكان الذين يمكن ان يعيشوا في مستوى حياة القرية يختلف بطبيعة الحال باختلاف البيئة. ولكن من النادر ان يزيد على بضعة مئات من الانفس في القرى المبكرة. اما المدينة فليس لها حد اعلى معروف لعدد ساكنها.

ان هذا التعريف شأنه شأن جميع التعريفات يحتوي على كثير من الصعوبات. وقد يصادف المرء بعض الحالات التي لا ينطبق عليها. وكثيراً ما تتطور القرية الى مدينة في خطوات لا يكاد يشعر بها احد. وفي نواح كثيرة من العالم ثمة قرى تقوم بزراعة كل مايلزمها من طعام ولكنها في الوقت نفسه تقوم بصناعة واحدة تخصص فيها وتعتمد هذه الصناعة عادة على مواد محلية ثم تبادل غيرها من القرى فتصدر لها ماصنعت وتستورد بدلاً منها ما تخصصت فيه القرى الاخرى. وقد تقوم قرى صغيرة باستغلال مورد طبيعي معين مثل المعادن في ظروف يضطر فيها اهله الى جلب معظم طعامهم عن طريق التجارة. ومع ذلك فان تعريف المدينة بأنها مجموعة من الناس تعتمد في حياتها قبل اي شيء اخر على التجارة والخدمات اللازمة للحصول على المواد الخام والطعام لا يزال صحيحاً على وجه العموم. كان نشوء المدينة حدثاً اجتماعياً له نتائج بعيدة المدى وبعد ظهورها خاتمة عصر القرى ويصعب علينا احياناً ان نعين النقطة المحدودة التي تركزت فيها الحضارة في المدينة واتضح لها سمات خاصة. ولكننا لانخطئ القول اذا نظرنا الى المدينة على انها مؤسسة جديدة ظهرت اولاً في منطقة جنوب غرب اسيا وبخاصة في العراق في الالف الرابع قبل الميلاد. وظهرت ايضاً في مصر حوالي

هذا التاريخ ولكنها اتخذت شكلاً مختلفاً بعض الاختلاف. اما مدن السند فكانت من النوع المألوف وتشبه مدن بلاد الرافدين. ومن المحتمل ان ترجع نشأة المدن هناك الى بداية الالف الثالث قبل الميلاد. اما المدن في الصين فلم تظهر الا بعد عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد. واذا رجعنا الى اوروبا، وفيها بلاد اليونان، لانج. فيها الا عدداً قليلاً مما يمكن ان نطلق عليه اسم المدن قبل القرن الثامن قبل الميلاد. بينما لم تتأسس المدن في شبه جزيرة اسكتلندا الا في حدود عام ١٠٠٠ ميلادية.

لقد كان الانتقال من القرية الى المدينة تدريجياً وقد استغرق زمناً طويلاً واذا تذكرنا ان بداية الحياة القروية قد ظهرت في جرمو في شمال العراق في نهاية الالف الثامن قبل الميلاد (حدود ٧٠٤٠ قبل الميلاد) وان بداية المدن ظهرت في هذا القطر في عصر فجر التاريخ في منتصف الالف الرابع قبل الميلاد (حدود ٣٥٠٠ قبل الميلاد) تكون المدة التي استغرقها هذا الانتقال قد تجاوزت الثلاثة آلاف سنة وقد غطت العصر الحجري الحديث والعصر الحجري المعدني وبعض العصر الشبيه بالكثاني. وبوسعنا ان نحدد هذا الانتقال بشكل تقريبي على الوجه الاتي.

١. قرى العصر الحجري ٧٠٠٠-٥٠٠٠ قبل الميلاد الحديث
٢. قرى العصر الحجري ٥٠٠٠-٣٥٠٠ قبل الميلاد المعدني
- أ. قرى عصر حلف ٥٠٠٠-٤٢٠٠ قبل الميلاد
- ب. قرى عصر العبيد ٤٢٠٠-٣٨٠٠ قبل الميلاد
- ج. قرى عصر الوركاء ٣٨٠٠-٣٥٠٠ قبل الميلاد
٣. مدن عصر فجر ٣٥٠٠-٢٨٠٠ قبل الميلاد التاريخ (العصر الشبيه بالكثاني).

وحوانات غير اليفة ونباتات طبيعية وانسان نشيط
استفاد مما يحيط به .

ان الانقلاب الزراعي الذي شهده شمال
العراق لم يكن حدثاً مفاجئاً بل حصل بمخطوات
ومراحل تطويرية تدريجية متعددة كانت القرية في
بدايتها صغيرة وبداية ثم تأسست قرى اكثر سعة
وتنظيماً وتقدماً في المراحل التالية الى ان ظهرت
بوادر المدن الصغيرة .

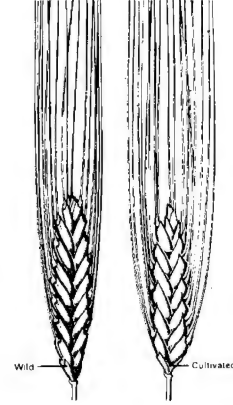
ففي القرى المبكرة الاولى في القسم الشمالي من
العراق ظلت حياة الانسان ضيقة تقل فيها الادوات
اللازمة لحياته المادية ووجد المتقنون بين تلك
الادوات القليلة المطاحن المؤلفة من حجرين يدور
احدهما فوق الاخر او يضرب احدهما بالآخر . ووجد
المتقنون كذلك الاطباق الفخارية ذات التنوعات
لفصل الحبوب عن قشورها . ووجدوا ايضاً المعازق
والمحارث البدائية والمناجل واقراص المغازل التي
استعملت لغزل خيوط الصوف والكتان تمهيداً
لنسجها . ووجدوا ثقالات انواع النسيج التي
استعملت للحياكة . وفي هذا الوقت تعلم نساء
المزارعين صنع الفخار وكانت الاواني الفخارية من
النوع الخالي من الزخرفة والالوان او ملونة بلون
واحد . وكانت تلك الاواني مصنوعة باليد اذ لم
يخترع دولاب الفخار بعد . وكانت الزراعة آنذاك
زراعة محدودة بمساحة صغيرة من الارض تكفي
لأعالة اسرة واحدة كما كانت حقليّة وخالية من
البستنة وغرس الاشجار المثمرة التي لم تعرف الا في
العصور التالية . وكانت الزراعة متقلّة ايضاً لان
الارض بعد ان تفقد خصوبتها يتركها الفلاح
ويبحث عن ارض خصبة اخرى . ونجم عن هذا
الانقلاب الزراعي نشوء الملكية الفردية اي ملكية
المرعة وادوات الانتاج البدائية والحيوانات الداجنة
في المرعى . وكان انتاج القوت يعتمد بالدرجة
الاولى على الزراعة وتربية الحيوان . وهذه الزراعة
كانت ديمية تربوياً مياه الامطار في الاقسام الشمالية
في العراق وهي كافية في العادة للنبات . وعندما
استغلت الاراضي الخصبة في السهل الرسوبي
استعين زراعتها الري بالجدول والترع . وما لاشك

وما ان موضوعنا هو « من القرية الى المدينة » في
منطقة الموصل فسنحاول في هذا البحث استعراض
تطور الحياة القروية في العراق عامة وفي منطقة
الموصل خاصة في العصر الحجري الحديث والعصر
الحجري المعدني لمابعة الخطوات التدريجية التي
مهّدت السبيل الى ظهور المدن قبيل قيام دويلات
المدن في عصر فجر السلاسل .

أولاً . في العصر الحجري الحديث

ان الثورة الزراعية في العصر الحجري الحديث
كانت وليدة ازمة المناخ التي انتهت عصر الجليد
ومهّدت السبيل للاستزراع وتدجين الحيوان .
وارتبط تأسيس القرى منذ البداية ارتباطاً وثيقاً بهذا
التمط الاقتصادي الجديد . والمنطقة التي شهدت
نشوء اقدم القرى هي تلك التي تقع في جنوب
غرب اسيا بين البحر المتوسط في الغرب وهضاب
وسط اسيا في الشرق والبحر الاسود وبحر قزوين
وسهوب اوراسيا في الشمال والحزام الصحراوي
الممتد من سيناء حتى الهند في الجنوب . وتعد ارض
العراق من المناطق الاولى التي جرت فيها المحاولات
المبكرة للزراعة والرعي . ومع ان الدلائل والخلفات
الاثريّة تشير الى ان زراعة القمح والشعير قد تمت
في مناطق فلسطين وسورية وجنوب الاناضول
وتركستان السوفيتية وغرب ايران فان تلك الدلائل
تعد العراق اواباً لتحديد المنطقة الشمالية الشرقية منه
الموطن الاول لزراعة القمح والشعير ولتدجين
الحيوان في الالف الثامن قبل الميلاد . ان سفوح
جبال العراق الغربية توفرت فيها الاصول البرية
للحيوانات والنباتات التي دجنها الانسان . وقد تم
العثور في هذه المنطقة على مستوطنات قديمة ظهرت
فيها البوادر الاولى للثورة الزراعية مثل بالي كورا
وزاوي جمبي وكريم شهر وملفعات . وتدل الآثار
المكتشفة في هذه المواقع على مرحلة انتقالية تدريجية
الى ممارسة الزراعة الحقيقية في قرى ثابتة مثل جرمو
وحسونة والصوان وأم الدباغية وشمشارة وغيرها^(١) مما
سيأتي ذكرها لاحقاً . ففي هذه المنطقة توفرت
الاحوال الطبيعية من مناخ ملائم ومطر غزير

فيه ان سكان قرى هذه المرحلة الزراعية المبكرة كانت عندهم عقيدة دينية. ولعل اول معبود تصوروه وعبدوه كان ذا صلة بقوى الارض المنتجة واعتبروه الهة تمثل الارض وخصبها. وهذه الالهة هي التي يطلق عليها اسم الالهة الام التي صيغت بدمى من الطين مصنوعة بهيئة نسوة بدينات. ولقد وجد الكثير من تماذجها بين انقاض قرى هذه المرحلة.



ولانتهاء الانقلاب الزراعي كرس المزارعون بعض الوقت لاكتشاف نباتات مناسبة واساليب مناسبة لزراعتها ولصنع آلات خاصة بحرق الارض وحصد المحصول وتخزينه وتخويله الى طعام. ولاجل نبش

الارض استعملوا في اول الامر العصا الحافرة ثم اخترع المحراث في العصور التالية. وقد حصدت الحبوب في البداية بمناجل من الصوان والزجاج البركاني المسنن التي تركب في قطعة خشبية مستقيمة او مقوسة بمساعدة القير.

وكان من عناصر الاقتصاد الزراعي المبكر الاساسية جمع حبوب غذائية كافية في كل موسم وتخزينها حتى تضوج محاصيل السنة التالية اي لمدة سنة، ولذلك كانت غابر الحبوب او المخازن من المظاهر البارزة في كل قرية. وقد تبين وجودها في كثير من انحاء الشرق الادنى القديم وفي اقطار العالم القديم الاخرى. وتحتاج بذور القمح والشعير الى عملية فصلها عن السنبلة وقشورها بالدرس والتذرية ثم الى عملية الطحن للحصول على الدقيق. ويمكن اجراء الطحن بالدق في هاون. غير أن الطريقة التي اتبعت عموماً كانت تتمثل في وضع الحبوب على حجر مستدير لطحنها بحجر اخر يدور عليها او يحثك او يضرب بها. ومثل هذه المطاحن كانت في العادة من حجر صلب والا فان الطعام قد يختلط فيه الحجر والطحين. وكان الطحين يتحول الى خبز باستعمال الخميرة والتشور. وكان سكان هذا العصر يعيشون في جماعات صغيرة في قرى او دساكر، وتبين عند اكتشاف هذه



حييات قح منتفخة من النوع المدجن (مكبرة بأربع مرات) ...

القرى اكتشافاً تاماً أنها كانت تشمل ساحة تتراوح بين فدان ونصف وحوالي سبعة فدانات فيها منازل يتراوح عددها بين خمسة وعشرين وثلاثين منزلاً ان مثل هذه المجموعات كانت تشكل وحدات اجتماعية يتعاون جميع افرادها في المشروعات المشتركة. وكانت المنازل يتصل بعضها ببعض بشوارع متوازية. وقليل من القرى كان محاطاً بخنادق وأسوار^(٢) لتحميها من الحيوانات الضارية او الاعتداءات البشرية. ولابد ان هذه الاحتياطات قد شيدت بمجهود مشترك.

وكان بإمكان كل قرية ان تكفي نفسها اذ كانت تزرع مواردها الغذائية وتصنع جميع الآلات والادوات الاساسية من المواد التي يمكن الحصول عليها في القرية من حجر وعظم وخشب وطين وغيرها. وهذه الكفاية الكامة للجماعة المحلية يمكن ان تتخذ علامة فارقة تميز العصر الحجري الحديث عن المدينة في عصور المعدن. ومن نتائج ذلك ان اقتصاد العصر الحجري الحديث لم يكن فيه حافز مادي للفلاح كي ينتج اكثر مما يحتاج اليه لاعاشة نفسه وعائلته وإيجاد المواد الضرورية للموسم القادم.



حييات قح متفخة من النوع البري (مكبرة بأربع مرات)

وفما عدا تقسيم العمل يفترض الانثروبولوجيون وجود اختصاص صناعي ضيق ومحدود ضمن القرية. وبالقياص الى الجماعات التي كانت الى وقت قريب تعيش في مستوى بدائي فان كل عائلة في العصر الحجري الحديث كان من شأنها ان تزرع وتعد طعامها وتصنع آتيها الفخارية وثيابها وادواتها وسائر ما يلزمها. ومن شأن النساء ان يطحن ويخزن الحبوب ويغزلن ويصنعن الثياب والالواني الفخارية. ومن المحتمل جداً من جهة اخرى ان الرجال كانوا ينظفون الحقول ويعودنها ويفلحونها ويبنون الاكواخ ويهتمون بالحيوانات ويصطادون ويصنعون الآلات والأسلحة اللازمة.

واذا سارت كل عائلة على هذا النظام فان المجتمع يمكنه ان يعيش بدون وجود فائض. ولكن لم تكن اية جماعة من جماعات العصر الحجري الحديث في الغالب تتبع هذه الاصول اتباعاً تاماً. وحتى في اقدم قرى وقبور هذا العصر وجد علماء الآثار مواد استوردت من مسافات بعيدة ، فأصداف البحر المتوسط والخليج العربي صنعت منها العقود والاساور. ولم تقتصر المواد المستوردة على مثل ادوات الترف هذه فلاحجار البركانية الصلبة والزجاج البركاني وانواع الصوان والحجارة الخضراء كانت تنقل الى مسافات بعيدة جداً. وحتى الالواني الفخارية نفسها التي يظن انها كانت تحتوي اشياء

في داخلها كانت تحمل الى مسافات بعيدة
لاغراض التجارة .

وكان هناك تنوع في حضارات العصر
الحجري الحديث فكل قرية كانت تتميز بانواع
النباتات التي تزرع والحيوانات التي تربي كما كانت
تختلف باختلاف التوازن بين الزراعة وتربية المواشي
وفي تخطيط البيوت وبنائها ثم في شكل سائر الاالات
والمادة التي تصنع منها وفي شكل الاواني الفخارية
وزخارفها . وهناك اختلافات اشد في طرقوس الدفن
واشكال التمام واساليب الدفن . وهكذا فان كل
حضارة تمثل تكييفاً تقريبياً لبيئة معينة مع مجموعة
افكار تتناسب معها كثيراً اوقليلاً . والتنوع ينتج عن
تعدد الاكتشافات او الاختراعات البسيطة التي
تكون في اول الامر محلية بحتة قوامها بعض
الخصائص الاقليمية . فلم يكن هناك مثلاً اسلوب
عام للخزافين بل كانت ثمة طرق لصنع
الفخار . وحتى لو ظهرت هذه التقاليد على هيئة
تنوعات لاسلوب اساسي واحد فان النساء اللواتي
قن بنقلها لم يميزن في الغالب بين الاسلوب
الاساسي وبين التحسينات الطارئة عليه .

وقد دفنت معظم جماعات العصر الحجري
الحديث موتاهم تحت المنازل او في جانبيها باحتفالات
تفوق احتفالات صيادي العصر الحجري القديم
وكانت تصنع اشكالاً بشرية اثوية من الطين او
الحجارة او العظم من قبل افراد المجتمعات
الزراعية . وتمثل هذه الاشكال عادة فكرة الالهة
الام ويستنتج منها ان الارض التي ينبت فيها القمح
قد تصورها الناس امرأة يمكن ان يسيطر عليها
بطقوس وتعاويز واستعطاف . اما شريكها الذكر
فكان يمثل فقط بوساطة العضو الجنسي الذي
يصنع من الطين او الحجارة ، ويمكن الافتراض بان
النظام القبلي والمجتمع المبني على القرابة قد دام الى
مابعد الانقلاب الزراعي في العصر الحجري
الحديث بدون اي تغيير وربما كانت القبيلة تشترك
بصورة طبيعية بملكية الارض واذا لم تغلق بصورة
شتركة فان بعض الحقول تخصص لمائلات
بمفردها . اما المراعي فكانت بطبيعة الحال ملكاً

مشتركاً .

ثانياً في العصر الحجري - المعدني :

ذكرنا فيما سبق وصفاً موجزاً لاحداث
الانقلاب الزراعي استناداً الى دلائل الآثار وظروف
البيئة . اما هذا الانقلاب الثاني الذي نطلق عليه
مصطلح الانقلاب الحضري فقد حدث في العصر
الحجري المعدني في اواخر عصور قبل التاريخ وبلغ
ذروته في عصر فجر التاريخ . اذ تطورت فيه الفرى
من حيث سعة الرقعة وزيادة السكان وازدهار
العمران والفنون والصناعة والتجارة والنقل . وبدأ
استعمال معدن النحاس للتو ولكنه لم يحل محل
الحجر كمادة اساسية لصناعة الاالات . ولذلك
كانت حضارات العصر الحجري المعدني حضارات
انتقالية من العصر الحجري الى العصر البرونزي ثم
الى عصر الحديد . ولم يمر الناس في كثير من
جهات العالم بهذه المرحلة الوسطى بل حصلوا على
معلوماتهم الاولى عن النحاس مباشرة من اولئك
الذين كانوا قد طوروا فعلاً فن صناعة النحاس
تطوراً كاملاً . ويختلف زمن حضارات العصر
الحجري النحاسي في كل مكان باختلاف الوقت
الذي مضى حتى انتشر العلم بصناعة المعدن . وكان
الانتقال من عصر الى عصر يحدث في ازمان مختلفة
وتصبح هجرات مهمة للشعوب . وقد وجدت
اقدام الحضارات التي عثر فيها على النحاس في
الشرق الادنى وبدأ استخدام النحاس في العراق في
مطلع الالف الخامس قبل الميلاد واصبح
استخدام المعدن امراً شائعاً في بلاد الشرق الادنى
في الالف الرابع قبل الميلاد في حين بدأ هذا العصر
في كريت وبلاد اليونان في اوائل الالف الثالث قبل
الميلاد (٣)

تعد المنطقة التي حدث فيها هذا التحول من
القرية الى المدينة البحر المتوسط من الغرب وجبال
الهملايا من الشرق وجبال اوراسيا من الشمال
والصحراء الكبرى من الجنوب . وقد اتضح ان
الاحوال الطبيعية والاقليمية كانت مناسبة لحدوث
هذا التطور في هذه المنطقة ، اذ وجدت فيها المواد

واخذ الناس يستخدمون الاختتام لوضع علامة على ممتلكاتهم .

ان المجموعة الاولى من اماكن السكن التي تمثل المرحلة الاولى لهذا العصر بناها اهل قرية حلف (نسبة الى تل حلف على نهر الخابور) . وقد عاش هؤلاء على الزراعة والرعي واعتمدوا في آلتهم على الحجارة والعظام ولكنهم حتى في وادي الخابور الاعلى كانوا يستعملون الاصداف المستوردة من الخليج العربي والزجاج البركاني من جبال ارمينية . وزيادة على ذلك فان اهل قرية حلف كانوا يعرفون المعدن بالتأكيد ، هذا ان لم يكونوا قد عرفوا صناعة المعادن ايضا . وهناك آنية في تل حلف يبدو عليها اقدم رسم لمعربة ذات عجلات ومع ذلك فقد كانت الاواني الفخارية لاتزال تصنع باليد غير انها كانت مزخرفة بشكل جميل وبرسوم ملونة ومعدة في كورة خاصة كما لو ان صانعيها كانوا من المحترفين .

وفي المرحلة الثانية اي مرحلة حضارة العبيد (نسبة الى تل العبيد قرب اور) اعيد بناء المزارات القديمة على مقياس اوسع في اماكنها المقدسة كما في تبة كورا . وبقيت الالهة المحلية القديمة وبنيت المزارات بالاجر المجفف بالشمس واصبح المعدن يصنع الآن بمهارة . وتابع الخزافون صنع اوانهم باليد . وفي هذا العصر بدأ استغلال الاراضي الرسوبية في الجنوب بطرق الري الاصطناعي .

وفي المرحلة الثالثة اي في عصر الوركاء تطورت بعض القرى في منطقة الموصل وخاصة تلك التي اصبحت فيما بعد تعرف باسم نينوى وتبة كورا ، الى قرى كبيرة او مدن صغيرة منتظمة . ففي تبة كورا تطورت المزارات التي يدل بناؤها المتتابع في نفس المكان على دوام التقاليد على الرغم من التغييرات في الحضارات الحاوية على معابد صغيرة من الطابوق ومقسمة الى عدة غرف ووجدت نماذج طينية للعرابات مما يدل على ان وسائل النقل ذات العجلات كانت مألوفة . وكذلك صنعت الاواني الفخارية على الدولاب ايضا . والاشياء المصنوعة من النحاس او حتى البرونز لم تكن نادرة . والحجارة

الاولية اللازمة للاكتشافات والاختراعات واحتوت عوامل مشجعة للتنظيم الاجتماعي وللتعاون وقدمت تسهيلات المواصلات التي يمكن بواسطتها جمع المواد الأولية وتركيزها . وهذه المنطقة جافة نسبياً على الرغم من انها كانت مروية في عصور ما قبل التاريخ اكثر مما هي عليه اليوم ، والاقامة الدائمة ممكنة فيها بجانب احد الانهار او الينابيع . والزراعة تعتمد الى حد كبير على الري . وفي الوقت نفسه كانت تنمو بصورة طبيعية انواع مختلفة من الاشجار المثمرة وامل الحصول على محصول منتظم من التمر والزيتون والتين واللبن في كل سنة مشجع قوي للسكنى في الاماكن التي تنمو فيها هذه النباتات . وتعرض هذه المنطقة جبال وصحاري لاتصلح للسكنى ولكن هناك سهولا قابلة للسكنى حول هذه الجبال والصحاري وفيها بينها . ويمكن ان تقام فيها قرى غير متباعدة كثيرا كما يمكن لاصحاب المواشي ان يجمعوا بقطعانهم . ولقد اطلق برستد على القسم الغربي من هذه المنطقة اسم الهلال الخصيب . وفي بلاد اشور القديمة (منطقة الموصل) تكتفي امطار الشتاء لتزويد الاغنام بالمراعي ولارواء محاصيل الحبوب . على ان السكنى الدائمة تقتصر في الواقع على العيون وضاف الانهار المنحدرة من جبال ارمينية كالفرات والبالخ والخابور ودجلة . وعلى الرغم من خطر الجفاف فان صعوبات اعداد التربة هنا كانت اقل خطورة منها في سهول الانهار الكبرى التي تحصل فيها الفيضانات .

وشيدت قرى هذا العصر على انقاض القرى للعصر السابق . ولم تعد البيوت تبنى من الطين المرصوص (الطوف) فقط بل من الاجر المجفف بالشمس (اللبن) وباشكال معينة . وكانت الآلات والادوات لاتزال تصنع في المنزل غالبا ومن مواد محلية . واصبح النحاس يصنع بمهارة بالطرق اول الامر ثم بالصلب لعمل الفؤوس وادوات الترف . واستورد الذهب والفضة واحجار اللازورد من شمال افغانستان . وظهر الخزافون الذين يصنعون الاواني على دولاب سريع الحركة بدلا من صنعها باليد .

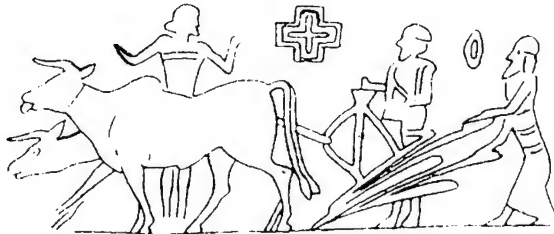


عراث خشبي سوري مذهب النهاية بيمه نور

الكريمة اللازوردية استوردت من افغانستان. وبعد ان تم تدجين الماشية للاستفادة من لحمها وحليبها وجلدها استخدمت الثيران في حمل قسم من عبء العمل الزراعي. وربما كانت الخطوة الاولى في هذا المجال هو جعل زوج من الثيران يجران في الحقل نوعاً مختلفاً من آلة الحراثة. وهذا النوع الجديد هو المحراث بدل العصا الخافرة. وكان على الانسان ان يخترع النير والعدة اللازمة له ليكون هناك اتصال بين المحراث وقدرة الثور على الجر. وبما ان المحارث الاولى صنعت من الخشب فليس لدينا برهان مباشر على تاريخ اختراعها وتشهد الوثائق المكتوبة على ان المحارث استعملت

اشارات الى استعماله منذ عصر حلف. ونماذج تبة كورا ترينا عربات ذات عجلتين وذات اربع عجلات^(٥) من الخشب مشدودة بعجلات من جلد تربطها مسامير نحاسية وتدور العربة قطعة واحدة مع المحور الذي يتصل بياقي العربة باحزمة من الجلد. واحدة مع المحور الذي يتصل بياقي العربة باحزمة من الجلد.

واقدم صورة للنقل هو الحمال البشري رجلاً كان او امرأة. ولكن عندما بدأ استعمال قوة الحيوان انتقلت الاحمال اليه. والثور لايصلح كثيراً لهذا الغرض وربما كان الحمار اقدم الحيوانات الحاملة للاتقال. وعرف الحمار المدجن قبل عام ٣٠٠٠ قبل



عراث خشبي سوري ذوقع وأنيوب

في العراق ومصر حوالي عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد^(٦). واحتاجت الثيران التي استخدمت في الحراثة الى علف اناس لتحمّل عمل الحراثة المجهنم، ولذلك جعلت لها اصطبلات واصبح روث الاصطبلات سماداً للحقول. وحصل تطوري اعمال النقل بتطبيق الحركة الدائرية عند اختراع الدولاب وهناك

الميلاد في مصر واستخدم للنقل واستخدم أيضاً في العراق لنفس الغرض في اوائل الالف الثالث قبل الميلاد. واصبح السفري البراكثر سرعة في نحو عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد باستخدام الحمير وبعد ذلك باستخدام الخيول لجر العربات ذات العجلتين وذات العجلات الاربع.

الحديث ، بصورة عامة وفي منطقة الموصل بصورة خاصة ، من حيث تدجين النبات والحيوان وبناء البيوت واختراع الآلات والادوات الخاصة بمحراث الارض وبذر الحبوب وحصاد الغلة وتخزينها وطحنها. واستعرضنا التطورات التي حصلت في قرى العصر الحجري المعدني من حيث ازدياد عدد القرى واتساع رقعتها وتكاثر سكانها واستيطان السهول الرسوبية وقيام زراعة الري وصناعة المعادن وخصوصاً النحاس ثم البرونز واختراع الدولاب والعربة واستخدام الحيوانات في النقل البري والزوارق الشراعية في النقل النهري وابتكار المحراث والسرّج ونعل الحصان وظهور الصناعات المتخصصة والمتاجر بفائض الانتاج الزراعي: كل هذه التطورات مهدت الطريق لقلب قرى عصر النحاس الى مدن العصر الشبيه بالتكائي .

ولاسباب غير معروفة يتبين ان التمدن (باستثناء نينوى وتبة كورا) حصل في جنوب العراق لافي شماله . وهذه الظاهرة تثير الدهشة والاستغراب. فالمتبع للتطورات الحضارية في هذا القطر يلاحظ ان اقدم استيطان بشري حصل في شمال العراق. وفي شمال العراق ايضاً صنعت اقدم آلة وبدأت اولى عمليات الاستزراع وتم اول تدجين لحيوان وتأسست اولى القرى. ويتوقع الباحث ان يحدث الانقلاب الثاني في تاريخ البشرية وهو الانقلاب الحضري في شمال العراق ايضاً. ولكن هذا لم يحصل ولا نعرف اسبابه الحقيقية لغاية الوقت الحاضر.

لقد وجد المنقبون ان خرائب القرى المتتالية في الوركاء قد كونت قبل انتهاء عصر فجر التاريخ تلا من الانقراض بلغ ارتفاعه نحو ستين قدماً. وجمع هذا التل من مبانٍ متتالية لقرى كانت تتطور من عصر لآخر. وظهرت في الطبقات المختلفة لهذه الانقراض حضارات جديدة تميزت بالتغيرات في الصناعات الفخارية وطقوس الدفن واستخدام عجلة الخزاف واستبدال الاختتام المنبسطة باختام اسطوانية وغير ذلك. وتدل هذه التغيرات على دخول سكان جدد لهم تقاليد جديدة اختلطوا

وفي حدود عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد كانت الرياح تستخدم في النقل المائي واخترعت في هذا العصر الزوارق. واقدم نموذج لها في اريدو^(٦). ويبدو ان الشراع اخترع في الالف الرابع قبل الميلاد وكانت سفن هذا الوقت سواءً اكانت تستعمل الشراع ام المجذاف اوكانت تجر على ضفاف الانهار والترع تنقل احياناً ثقيلة بنفقة اقل من نفقات النقل البري.

وفي هذا العصر غزا الدولاب صناعة الفخار وكان هذا الدولاب يدور بسرعة حول محور عمودي والانية التي تصنع بواسطتها تكون في غاية التناسق ويتطلب صنعها مهارة فائقة لا يمكن الحصول عليها الا بعد تمرن طويل وجهد كبير ويستغرق صنع الانية بالدولاب بضعة دقائق في حين يستغرق صنعها باليد عدة ايام.

ان معظم الاختراعات الاساسية التي قامت عليها المدينة القديمة قد اخترعت على الأرجح قبل عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد، والتعدين واحد من تلك الاختراعات، وقد عرف سكان الشرق الادنى ما لديهم من معادن منذ زمن مبكر. وكانت كميات تلك المعادن المحلية صغيرة كما ان اكتشاف هذه المواد الجديدة لم يكن ذا أثر ملحوظ على الحضارة في البداية. وقد عولجت المعادن في اول الامر باعتبارها مواد صلبة غير عادية وانها حجر قابل للطرق وكانوا يزاوون العمل فيها وهي باردة بالطرق والحك. اما صناعة التعدين الحقيقية فلم تبدأ الا بعد ان اصبح بالامكان استخراج المعادن من خاماتها وحتى في ذلك الحين ظلت كل انواع المعادن فترة طويلة تزيد على التي عام نادرة ونفيسة لدرجة ان استخدامها اقتصر على بعض الاسلحة وادوات الزينة.

ثالثاً. في عصر فجر التاريخ (العصر الشبيه بالتكائي)

استعرضنا فيما سبق نشأة القرى الزراعية ومقومات الحياة القروية في العصر الحجري

بالسكان الاولين. ونستطيع ان نرصد في هذه الفترة الانتقالية ثلاث حضارات هي حضارة العبيد وحضارة الوركاء وحضارة عصر فجر التاريخ (العصر الشبيه بالكتاني).

وفي العصر الاخير كانت اطلال القرى المتتالية في الوركاء قد كونت تلاً يبلغ ارتفاعه في الطبقة الخامسة نحوستين قدماً وفي قمة التل لم يعد المشهد مشهد قرية بسيطة بل مشهد مدينة^(٧).

ويحتمل ان يكون ظهور المدن في العراق القديم قد ارتبط في البداية بوجود معابد دينية او اماكن تجارية او مقرات ملكية او مواقع توفرت فيها مصادر الماء وخصوبة الأرض وطرق المواصلات وضرورات الدفاع. ولاريب ان مدن عصر البرونز المبكرة بدأت تتطور في عصر فجر السلالات وزاد تطورها في العصور اللاحقة واصبحت ذات مزايا عمرارية وفنية واقتصادية واجتماعية واضحة. ان مانذكره هنا من هذه المزايا قد لايتوفر كلها في جميع المدن وقد يتوفر منها ما يرفعها عن مستوى القرية الى مصاف المدينة:

١. ضرورة توفر الماء. والمدن التي تطورت من اصل قروي توفر فيها هذا الشرط. اما المدن الجديدة فقد نشأت على ساحل نهر او عين ماء او بئر.

٢. تميزت المدن بسعة رقعتها وكثافة سكانها اذا قورنت بمستوطنات العصر الحجري الحديث وتفاوتت هذه السعة والزيادة في السكان من مدينة الى اخرى تبعاً لعوامل نشوئها وتطورها. ولايمكن تقدير هذه الزيادة في المساحة والسكان تقديراً دقيقاً وذلك لاهتمام المنقبين بالدرجة الاولى بالتوزيع العمودي للحضارات لم تابعة تطورها. اما التنقيبات الافقية فكانت عندهم مسألة ثانوية اذا توفر الهدف الاول خصوصاً وان التنقيبات الافقية تكلف بعثة التنقيب مبالغ طائلة جداً. وقد يكنى المنقب بالنتائج التي يحصل عليها من حفرة اختبار في مساحة صغيرة ينزل فيها الى الارض البكر اذا

حصل على نتائج الازمان والحضارات بشكل متعاقب سليم.

٣. بما ان اهم عوامل نشوء المدن هو تبادل السلع والخدمات بالمواد الخام ومواد الطعام فان وجود المكان لهذا التبادل اي السبق امر لازم. وقد ظهرت هذه السوق في مدن عصر فجر السلالات ان لم تكن قبل ذلك في عصور لم ترد اليها وثائق مدونة. وقد قبل ان الصراع بين، ججامش وانكيدو حدث في سوق الوركاء. ويذكر آشور بانيبال، وهو من عصر لاحق، ان عملية البيع والشراء جرت عند بداية السوق.^(٨) ولا يبدو صحيحاً ان السوق في العراق القديم تمثل تطوراً متاخراً وعلى عكس ذلك يبدو ان وجودها كان ضرورياً منذ بدء نشوء المدن لانتقال الفلاحين من خارج المدينة بالتجار والحرفين في داخلها لمبادلة المواد الغذائية والبضائع. ففي السوق تركزت العلاقة بين سكان المدينة والارض الصالحة للزراعة التي تقع حول المدينة.

٤. ان لوجود السور دلالة على الصفة المميزة لمدن الشرق الادنى القديم ولاختلف مدن العراق عن سواها في هذا المجال. ولقد ظهر اقدم سور في العراق في الالف السادس قبل الميلاد حول قرية الصوان واستمر تسوير المدن في العصور التاريخية كما في الوركاء واور والعبيد وتل اسمر وخفاجة وبنينى وغيرها، وفي بعض الاحيان شيد اكثر من سور واحد زيادة في الحيطه والحذر. ولهذا الغرض حفر الخنادق حول الاسوار، وارتبطت بالاسوار التحصينات لاغراض الدفاع. وكثيراً ماقرأ في اخبار ملوك المدن اهتمامهم بالاسوار وتزويدها وتقويتها وبناء تحصيناتها. وتكاد لا تخلو مدينة في العراق القديم من السور الذي يمثل خطاً دفاعياً ضد الغزاة.

٥. وبناء الابواب في السور كان ظاهرة عامة في المدن المسورة. وهذه الابواب كانت منيعة تستخدم للمراقبة ولنزع دخول الاعداء ولاتارة اهتمام الزائرين بفخامتها ولعقد الاجتماعات وتمشية الاعمال الادارية في ساحاتها.
٦. والوحدة الروحية والاقتصادية للمدن كان يعبر عنها في معابد الالهة المشيدة على مصطبة اصطناعية مرتفعة وتشرف عليها زقورة. وكانت المعابد تضم مخازن الحبوب ومستودعات البضائع والالات والادوات الخاصة بالانتاج. وفي معظم الحالات كان المعبد يشيد في وسط المدينة كما في اور. وقد حرص المتعبدون على الاحتفاظ بمكان المعبد القديم عند بناء معبد جديد فكانوا يقيمون الجديد على انقاض القديم ولذلك بقي موقع المعبد في نفس المكان عبرالعصور ولذلك ايضا تراكت المعابد على بعضها كما في تبة كورا واريدو ونيبور واشور وبابل.
٧. وجرت العادة ان يشيد قصر الحاكم او الامير او الملك في وسط المدينة بجوار المعبد او بالقرب منه
٨. ويحيط بالمعبد والقصر جدران عالية وبيوت الناس والشوارع ذات الانعطافات المعقدة
٩. وفي بعض الحالات تفضل مناطق معينة من قم الهضاب ربما لاسباب دينية ترتبط بالعبادة للسكنى حتى في حالة وجود ارض سهلة بالقرب منها. فمدينة اشور مثلا تقع على منحدر صخري تطل منه على نهر دجلة. وقد تتوسع مدينة الهضبة بعد دمج مستوطنات واطنة معها.
١٠. ويتباين تخطيط المدن من حالة لآخرى ومن عصر لآخر بحيث لا نجد تخطيطاً واحداً تأسست عليه جميع المدن. فمدينة سباربيت على تخطيط بيضوي ونيوى كانت بشكل شبه المنحرف وكوزان (حلف) بشكل مستطيل غير منتظم وخرصباد ونمرود بشكل

- مربع في حين تبدو نيبور على تخطيط لا نظام له. ووجدت مدن مدورة شيدت في الغالب بعد الامبراطورية البابلية مثل الحضر.
١١. واختلفت الشوارع والازقة في شكلها وسعتها باختلاف تنظيم المدن وكانت في اغلب المدن التي تطورت من اصل قروي ضيقة وملتوية. وفي المدن الجديدة التي تأسست على تخطيط واضح كانت مستقيمة وعريضة وخصوصا عند مداخل المعابد والقصور والبوابات. وشيدت في المدن شوارع ذات طابع ديني ترتبط باحتفالات رأس السنة الجديدة مثل شارع الموكب في بابل وشارع الاحتفالات في اشور وفي الوركاء. وتشير نصوص سنحاريب الى شوارع نينوى المستقيمة وإلى الساحة الفسيحة المجاورة الى بوابة النصر وتذكر ان الملك قام بتوسيع احد الشوارع وحوله الى طريق ملكي وامر بقتل كل من يجرب الشارع المشجر في اثناء تشييد الدور.
١٢. وتميزت المدن بظهور طبقة الصانع المتخصصة مثل صناع الفخار والحدادين والنجارين والنساجين وغيرهم وطبقة الحرفيين والتجار ممن لا يساهمون في الانتاج الزراعي ولكنهم يحتاجون اليه لطعامهم كما يحتاجون الى المواد الخام الضرورية لصناعتهم وتجارتهم وهذه المواد الخام لا تتوفر الا في القرى وفيها جاورها. وقد وجدت هذه الطبقة الصانعة والتجارية والحرفية في قرى عصر النحاس وزاد عدد افرادها وتشعبت اعمالهم بمرور الزمن مع تطور الخدمات والحاجات الاقتصادية.

رابعاً. في منطقة الموصل

وبعد هذا الوصف العام لمسيرة التطور من القرية الى المدينة تنتقل الان الى منطقة الموصل ونذكر تطور قراها عبر العصور مبتدئين باقدمها ثم التي تليها في زمن النشوء مستندين بذلك على التاريخ بطريقة كربون ١٤ الاشعاعي وعند تعذر ذلك فبطريقة المقارنة بالنوع.

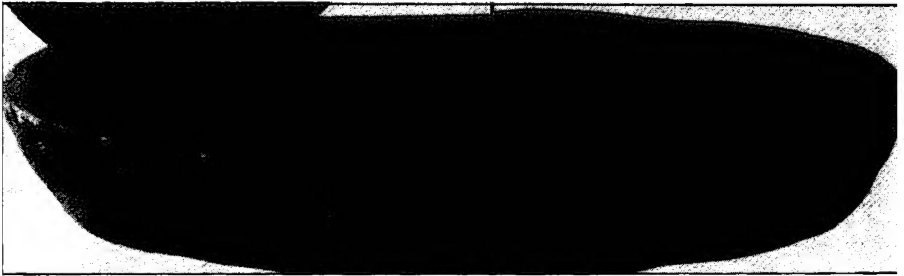
١. قرية حسونة

تم اكتشاف هذا التل سنة ١٩٤٢ من قبل دائرة الآثار والتراث (مديرية الآثار القديمة سابقاً). ولوحظ ان التل السطحية المكتشفة تحوي كسوراً فخارية وحيدة اللون تشبه النوع الذي كان يسمى فخار سامراء وكسوراً فخارية محززة كانت تعرف بكسور فخار الطبقة الاولى من نينوى، غير انها عثرت بعد التنقيبات في هذا التل من نوع فخار حسونة التمودجي واحتوت التل السطحية ايضاً كسوراً فخارية محززة وملونة معاً أصبحت تعرف الان بفخار حسونة التمودجي.

كان سيثون لويدي قبل بدء التنقيبات يعتقد ان من المحتمل ان يجد الانسان في هذا التل تطوراً لفخار سامراء من فخار الطبقة الاولى من نينوى في مرحلة وسطى. وقد ظهر بعد التنقيب ان هذه الفكرة صائبة لانها اوضحت تطور هذه الصناعة الفخارية من صناعات حسونة الكلاسيكية على الرغم من ان لويدي غير رايه فيما بعد. وجرى التحريات في التل في سنة ١٩٤٢، ١٩٤٣ وقد كشف التنقيبات عن استمرار حوالي عشرة اجيال من التجمعات السكانية. وشق المنقبون في التل حفرتين الاولى في القسم الجنوبي من التل بلغت التربة البكر على عمق سبعة امتار ظهرت فيها سبع طبقات والحفرة الثانية في القسم الشمالي الشرقي من التل وبلغت التربة العذراء ايضاً على عمق عشرة امتار ظهرت فيها ثماني طبقات ثم وصل بين الحفرتين

ليست حسونة اقدم قرية عراقية بل هي اقدم قرية في منطقة الموصل ذلك لان قرية جرمو القريبة من بلدة جمجمال بمحافظة التأميم تسبقها بنحو خمسمائة سنة، ولذلك تمثل قرية حسونة المرحلة الثانية من العصر الحجري الحديث بعد ان شهدت جرمو مرحلة خلعت من صناعة الفخار في حين ظهرت الفخاريات في حسونة منذ البداية كما ان قرية حسونة شهدت تطورات الثورة الزراعية بشكل اوضح مما في قرية جرمو. هذا فضلاً عن انها تشير الى انتشار القرى في السهول الشمالية بعد بدء الاستيطان الزراعي في سفوح الجبال.

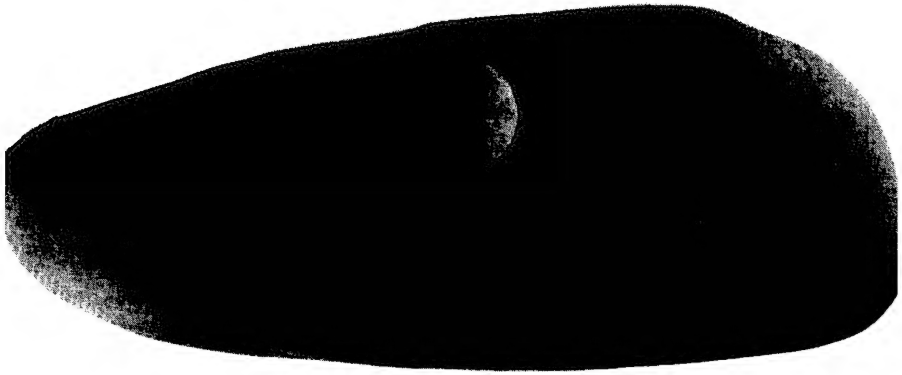
يقع تل حسونة على خط طول ٤٣/١٥ شرقاً وخط عرض ٣٦/٥ شمالاً على بعد ٩٠٠ متر شمال قرية حسونة التي تبعد حوالي ثمانية كيلو مترات شرقي ناحية الشورة وعلى بعد خمسة وثلاثين كيلو متراً جنوب مدينة الموصل. والتل الانف الذكر يقع عند ملتقى واديين صغيرين يكونان بالتقائها وادي القصب. ويرتفع التل مقدار سبعة امتار فوق ارض كلسية التكوين صالحة للزراعة ويمتد الى مسافة قدرها ٢٠٠ متراً في الطول و ١٥٠ متراً في العرض وسط وادي تكثر فيه التوجات التي تقطعها وديان عميقة تجري فيها المياه في فصل الشتاء والربيع مما يسهل امكانية قيام الزراعة ويرتفع التل عن مستوى سطح البحر بنحو خمسمائة متر.



اناء من الفخار لقرنك وقشر الحبوب

تعد التنقيبات التي جرت في قرية حسونة مهمة لانها كشفت عن ثاني اقدم قرية في العراق وربما في العالم واثبتت ان هذه القرية موقع نموذجي لحضارة هذا العصر في الشرق الادنى وانها دلت على وجود مرحلة انتقالية الى عصر حلف في الطبقة السادسة وانها حلت مشكلة فخار سامراء وفخار الطبقة الاولى في نينوى وانها ضمت اثار استيطان حوالي عشرة اجيال من السكان. ان اختيار كربون ١٤ الاشعاعي حدد تاريخ العصر الحجري

بمقدق وكانت النتيجة الكشف عن خمس عشرة طبقة سكنية مرتبة حسب تسلسلها الزمني من الاسفل الى الاعلى. ووجدت المواد التي تعود لعصر حسونة في الطبقات الست الاولى (حسونة القديم في الطبقات ١ / ٣-١ وحسونة المتطور في الطبقات ٣-٦). ووجدت اثار هذا العصر مختلطة مع اثار عصر الحديث في هذه القرية في حوالي سنة ٥٦٠٠ زائد او ناقص ٢٥٠ سنة قبل الميلاد^(١) وهذا التاريخ



هاون من الحجر لطلح الحبر

١٦-٢٤ انجا في السنة ومناطق كان يصيبها ما بين ٨-١٦ انجا في السنة. وتقع قرية حسونة في المنطقة الاخيرة. ويفهم من خارطة توزيع مواقع العصر الحجري الحديث في العراق ان اكثر المواقع تقع ضمن خطي المطر ٢٤ و ٤٠ انجا والقليل منها بين خطي المطر ٨-١٦ انجا ويترتب على ذلك ان النباتات الطبيعية كاشجار البلوط واللوز والجوز والصفصاف والشجيرات الصغيرة والحشائش كانت اكثر مما هي عليه الآن وان الرطوبة كانت اكثر مما هي في الوقت الحاضر لاسيا في المنطقة الجبلية ومنطقة الهضاب المتقطعة. غير ان انتشار قرى العصر الحجري الحديث والعصر الحجري المعدني ومدن العصور التاريخية سبب قلة في كثافة النباتات الطبيعية وزيادة في شدة التعرية. وهناك

يقع ضمن العصر الجيولوجي الحديث في هذه الفترة باستثناء اعمال التعرية النشطة وخصوصا في منطقة التلال والهضاب حيث تتوفر المياه في نهر الزاب الكبير والزاب الصغير وروافدهما وحيث تكثر الامطار لذلك تكونت اخاديد كثيرة على سفوح التلال وعلى الانحصر في صخور الطفل والرمل اللينة والالتواءات المغطاة بطبقات رسوبية. وتشير خريطة دورنية^(١) لامطار العراق في هذا العصر الى مناطق كان يصيبها ما بين ٢٤-٤٠ انجا من المطر في السنة وتقع قرية جرمو فيها ومناطق كان يصيبها ما بين حلف في الطبقات ٦-١١. ووجدت اثار عصر العبيد في الطبقات ١١-١٢ ووجدت اثار مختلطة من عصر حلف وعصر العبيد والعصر الاشوري في الطبقات ١٣-١٥^(٢).

شكل قوي في ان جغرافية الشرق الادنى في جملتها من حيث الامطار والنبات الطبيعي ودرجات الحرارة كانت قبل ٧٥٠٠ سنة مثلاً هي عليه الان. واقل ما يمكن ان يقال في هذا الصدد ان الامطار كانت اكثر في كميتها وان النباتات الطبيعية كانت اشد في كثافتها.

والمنطقة التي تقع فيها قرية حسونة هي هضبة اشور. وهذه الهضبة متموجة تقطعها وديان ضحلة وتتخللها السلاسل الواطئة من التلال التي ترتفع فوق الوديان المجاورة وتغطيها في الغالب ترسبات غرينية وتنتشر على سطحها احجار الكلس وصخور الطفل والجبس والرمل والرخام. ولارتفاعها الى ما بين ١٠٠٠-١٣٠٠ قدم فوق مستوى سطح البحر فهي تجتذب كميات كبيرة من المطر.

ولعدم وجود مخلفات بنائية في الطبقة ١/أ المستقرة على الارض البكر افترض المنقبون وهم على حق ان المستوطنين كانوا يسكنون الخيام التي تركوا فيها كميات من الفخار السمج والمملوك ومجموعة من المواقد والآلات الحجرية المصقولة او المصنوعة من الشظايا وكانت طرزها تدل على ان اصحابها كانوا من الرعاة والصيادين. وعلى الرغم من ان هذه الطبقة صنفت من طبقات العصر الحجري الحديث الا ان الطبقات ١/ب-٦ عدت هي الطبقات الحقيقية التي تعود للعصر الحجري الحديث.

صنع اهل قرية حسونة الآلات والادوات من الحجارة والعظم والطين والفخار وربما الخشب. واقدم تلك الآلات معازق وجد عليها قليل من القار كما صنعوا رؤوس السهام ورؤوس الرماح والقاشطات والتصال والازاميل من الصوان او الزجاج البركاني وصنعوا المجارح والمدايق ورحى الطحن الهواوين من الصخور البركانية الصلبة وصنعوا المناجل من قطع الزجاج البركاني الحادة المثبتة في مقابض خشبية مقوسة او مستقيمة بواسطة القبر. وصنعوا من الطين والفخار اقراص

المغازل التي تدل على علم بغزل الخيوط والالياف لحياكتها. وصنعوا من الطين كرات المقلع التي استعملوها في القتال وصيد الحيوانات. ومن العظام والاحجار والاصداف صنعوا الخزف والقلائد. ومن الطين والفخار صنعوا الهة بشرية انثوية مثلوا بها الالهة الام ذات العلاقة بحصب الارض ولونوا قسماً منها بلون احمر وبرزوا خصائصها الانثوية بشكل غير طبيعي. وكانوا على علم بصناعة السلال والحصر التي استعملت للاثاث المنزلية والتسقيف.

وقد وجدت طبعة حصيرة في ارض الطبقة الثالثة. وبنوا مخازن الحبوب في ارضيات المباني من الطين المطلي بالحص من الداخل وبالقار من الخارج وصنعوا جراراً كبيرة من الفخار لهذا الغرض ايضاً. ودفنوا موتاهم بوضعية مشنية في قبور شقت في ارضيات المباني مع قليل من الآلات والادوات. اما الاطفال فقد دفنوا في جرار كبيرة ووضع مع كل واحد منهم قدح واحد. ولم يعثر في القرية على آلات وادوات معدنية بل عثر على كتلة طبيعية من النحاس المتأكسد. وظهرت في هذه القرية عدة انواع من الاواني الفخارية تؤلف بمجموعها طرازاً خاصاً عرف بطراز حسونة. والانواع هي :

١. فخار حسونة القديم ويشمل :
 - أ. فخار حسونة القديم الخشن وهو رديء وبسيط الشكل بكثير فيه التبن وشاعت منه الجرار الكبيرة ويخلو من النقوش الملونة.
 - ب. فخار حسونة القديم المملوك ويشمل مجموعة متنوعة من الاواني والجرار ذات السطح المملوك والمزخرف بتشكيلات هندسية ملونة بلون اسود قوامها خطوط متموجة او متعامدة او متقاطعة.
 - ج. فخار حسونة القديم الملون وهو ذو لون اسود ومزخرف بخطوط متقاطعة تشبه حياكة الحصر

٢. فخار حسونة النموذجي ويشمل مجموعة من الاواني والجرار:

أ. الملونة بزخارف هندسية ونباتية سوداء

ب. المزخرفة بنقوش هندسية محزوزة

ج. المزخرفة بنقوش هندسية ملونة بلون اسود ومحزوزة بنفس الوقت

٣. وهناك النوع المتطور الذي يسميه البعض فخار سامراء ويخصص له دوراً حضارياً مميزاً.

ومها يكن فان النوع المتطور هو وحيد اللون وفيه نماذج ملونة ومحزوزة في الوقت نفسه وزخارفه هندسية وبعضها طبيعية توجد فيها الطيور والاسماك والمقارب والاياتل والبقرة. وجميع هذه الانواع مصنوعة باليد.

تتميز فخاريات قرية حسونة بتشكيلات تجميلية متنوعة فضلاً عن معرفة الصانع بعملية تلميع السطوح الخارجية بأسلوب الدلك فان فخاريات حسونة الاخرى فيها تزيينات متنوعة فهناك الفخاريات المزينة برسوم قوامها وحدات زخرفية ملونة او محزوزة تحتوي على اشكال اغصان اشجار وصنابل يمكن اعتبارها نوعاً من التحوير للاشكال المرئية بوضوح. والتحوير هنا مستلهم من الاشكال الزراعية. ان الخزافين في هذا الوقت حوروا الاشكال وادوها بالرمز والتجريد. وكان هذا التحوير يأخذ طابع الشدة بحيث لا يستطيع الباحث المتتبع معرفة الاصل الطبيعي. واستمر الخزافون على ممارسة الاشكال الطبيعية الى جانب الاشكال الهندسية التي تكون في الغالب محورة من النماذج الطبيعية. فبالنسبة للاشكال الادمية نجد ان هذا التحوير متدرج ومفهوم ولكن في بعض الاحيان تصعب معرفة الاصل الطبيعي للشكل حيث يكون التحوير قوياً وخاصة في الاشكال التي تبدو في النهاية ذات تشكيل هندسي واضح. ان خزاف قرية حسونة يمكن ان يعزى اليه استخدام التحوير وصولاً الى الرمز لاول مرة في العصر الحجري الحديث بمنطقة جنوب غرب اسيا.

ويستدل من مواد اكتشفت في القرية ولكن لاوجود لها في المنطقة على صلات خارجية، فقطع الزجاج البركاني استوردت من تركيا وارمينيا لعمل الالات وخصوصا المناجل ورؤوس السهام.

واستوردت الاصداف البحرية من منطقة الخليج العربي لصنع الحللي كما جلب القار من منطقة حام العليل لطلاء اطباق جرش الحبوب وعنابر خزنها. وبما يشير الى صلات هذه القرية انتشار اوانها الفخارية في كثير من المواقع القروية في اقطار الشرق الادنى المجاورة.

واتضح في قرية حسونة ثلاث مراحل لتطور العارة إضافة الى مخيمات المرحلة المبكرة. ففي المرحلة الاولى كان البيت الواحد يتألف من غرفة صغيرة ذات جدران غير منتظمة مشيدة من الطوف وكانت هذه الغرفة تطل على فناء مفتوح. وفي المرحلة الثانية اصبحت الغرف اكثر عدداً واقترب الى الشكل المستطيل. ومهدت هذه المباني لمرحلة ثالثة تميزت فيها دور السكن ذات التخطيط المستطيل. واحتوت المباني على مراقق عديدة وممرات ومخازن. وكانت المخازن والزرائب مفصولة بواسطة حوافات من الحصى او الطوف. ولوحظ ان الطلعات والدكاك استخدمت على شكل دعائم داخل البيوت. وكان البيت الواحد يتألف من عدة غرف صغيرة ذات وظائف مختلفة فقسم منها اعد للنوم بدليل خلوها من بقايا نباتات وعظام، والقسم الاخر مخصص للخبز او الطبخ حيث عثر فيها على الحبوب الغذائية او عظام الحيوانات. وعملت ارضيات من التربة المرصوفة وملطت بطبقة خفيفة من الطين. وزودت البيوت والغرف بمدخل وشيدات السقوف من اغصان الاشجار المكسوة بطبقة من الطين.

وظهر من دراسة عظام الحيوانات المنتشرة بكثرة بين الانقاض ان اهل حسونة دجنوا الاغنام والماعز وربما الماشية من اجل لحومها وجلودها وصوفها وشعرها. وتبين من مخلفات النباتات ان سكان

ولكن مما لاشك فيه وبضوء القليل من المعلومات المستخلصة من طبقات العصر النحاسي والعصر البرونزي يظهر ان مستوطن حسونة استمر قرية حتى العصر الاشوري ولم يتطور باتجاه مدينة .

نينوى :

نينوى مدينة زاخرة بعظمة آثارها وفخامة مبانيها ومعروفة بقدوم اطلالها وخلود شهرتها ورفعة مقامها وسمو مكانتها بين مدن العالم القديم باعتبارها عاصمة لاقوى واوسع امبراطورية في تاريخ الشرق الادنى القديم. تقع اطلال هذه العاصمة الاشورية بالقرب من الضفة اليسرى لنهر دجلة قبالة مدينة الموصل. تطورت هذه المدينة من قرية صغيرة تأسست في العصر الحجري الحديث ويعود تاريخ تأسيسها الى عصر حسونة على اساس المقارنة بالتنوع مع آثار قرية حسونة اي بحدود حوالي ٥٦٠٠ سنة زائد ونقص ٢٥٠ سنة قبل الميلاد. وهذا هو التاريخ الذي حدده اختبار كربون ١٤ الاشعاعي لقرية حسونة. لقد وجدت انقاض هذه القرية تحت انقاض المباني الاشورية في مكان يسمى تل قوينجق.

قامت بعثة المعهد البريطاني في عام ١٩٣١-١٩٣٢ بالتنقيب في المدينة وكانت رغبة هذه البعثة الحصول على فكرة عن تسلسل عصور قبل التاريخ في تل قوينجق فاقصرت اعمالها على حفرة اختبار عميقة بلغت ٢٧,٥ متراً عند الارض البكر في مساحة بلغت عند سطح الارض عشرين متراً في الطول وخمسة عشر متراً في العرض في الجانب الشمالي الغربي من معبد عشتار. وشغلت الحفرة بقايا مبان لم يبق منها سوى مجموعة من الانقاض التي تعود لنوع من الاكواخ في خمس طبقات رئيسية ولاسيما في الطبقات الاولى.

وكانت الطبقة الاولى والثانية / أ و ب تعود لعصر حسونة غير ان آثار هذا العصر من هذا الموقع كانت معروفة قبل اجراء التنقيبات في تل حسونة فقد وجدت في هاتين الطبقتين فخاريات عصر حسونة من النوع النموذجي المحزوز والملون. ووجدت

القرية زرعوا القمح والشعير الذي كان ينمو في المنطقة بصورة طبيعية .

ويستنتج من تقرير مختبر الكيمياء التابع للحكومة العراقية عن التحليلات التي جرت على نماذج لما علاقة بالمعادن وجدت في قرية حسونة ان بعض المركبات احتوت ثاني اوكسيد الحديد ، ومن المحتمل ان تكون هذه قد استعملت لتلوين الاواني الفخارية بالزخارف الهندسية والرسوم الطبيعية . اما المركبات التي احتوت كبريتوز الرصاص الاسود فقد استعملت في تلوين الجفون مثل الكحل . اما المركبات التي احتوت كربونات النحاس المائية وخصوصا المالاكايت فقد استعملت في صناعة الحلي . ويبدو ان مركبات الحديد قد استوردت من منطقة الفتحة او شمال الرطبة وان مركبات النحاس استوردت من طوزخور ماتو او مما يجاور الحدود العراقية التركية .

ويظهر من الدراسات التي جرت على ثلاث جاجم اكتشفت في قرية حسونة انها تعود لسلالة البحر المتوسط ولكنها ثقيلة العظم وبارزة الفكوك وكبيرة الانسان وهي صفات يختلف فيها اهل قرية حسونة عن سلالة البحر المتوسط التي تعيش في الوقت الحاضر . ويستبعد ان تكون هذه الصفات وليدة الاختلاط والتزاوج مع سلالة اخرى لعدم وجود دلائل هذا الاختلاط . ويحتمل ان يكون لنوع الطعام الصلب اثر في حجم الانسان .

واستمر موقع حسونة قرية لاستيطان المزارعين في العصر التالي وهو العصر الحجري المعدني اذ وجدت فخاريات من عصر حلف في القسم العلوي في الطبقة السادسة واستمر ظهورها حتى الطبقة الحادية عشرة . ووجد هنا قليل من التحفلات الهامرية . ووجدت فخاريات عصر العبيد في النصف العلوي من الطبقة الحادية عشرة واستمر ظهورها في الطبقة الثانية عشرة والرابعة عشرة والخامسة عشرة .

ان تقرير المتقنين يخلو تقريباً من ذكر تفاصيل الموجودات في عصر حلف والعبيد والعصر الاشوري

من الموقع فخاريات حسونة المتطورة او فخاريات سامراء كما يسميها البعض . وكانت مخلفات البناء جيدة ولوحظ ان المباني شيدت على تخطيط مستطيل وبنيت الجدران من الطوف والارضيات من الطين المرصوص وملطت الجدران والارضيات بالجبس كما لونت الجدران باللون الاحمر . واحتوت بعض الغرف على تنانير ومواقد والحقت بالبيوت غرف صغيرة استخدمت للخبز . وبعض هذه المخازن لم تكن لها ابواب ، ومن المحتمل ان الدخول اليها كان يتم من السطح . ومن المباني المهمة في القرية بناء يتألف من ١٤ غرفة صغيرة بنيت على صفيين ويعتقد انها استخدمت كمخازن عامة لسكان القرية.^(١٢)

يعود تاريخ هذه القرية الاولى الى الالف السادس قبل الميلاد اي الى حدود سنة ٥٦٠٠ قبل الميلاد استنادا الى المقارنة بين اثارها واثار قرية حسونة^(١٣) .

اما التل الثاني فقد بدأت فيه التنقيبات في سنة ١٩٦٩ في داخل خندق مدرج بلغ عرضه عشرة امتار في اعلى نقطة من التل ونزل الحفر فيه الى عمق ثمانية امتار رصدت فيها اثار تسع طبقات بنائية تعود جميعها الى عصر حلف^(١٤) . وظهرت في هذه الطبقات مباني مدورة ملحقة بمدخل مستطيلة الشكل من طراز مباني عصر حلف التي وجد مثلها في الاربجية وتبين كورا كما ان المباني المستطيلة والمربعة الشكل كانت شائعة في هذه القرية الثانية . اما الاواني الفخارية التي استخرجت فهي اما غير ملونة او ملونة وتشكل الملونة منها نسبة عالية وهي ذات لون واحد او لونين او عدة ألوان . وجميع الفخاريات المكتشفة تمثل صناعة جيدة معمولة باليد ومدلوكة ومطلية . وقد تم العثور على عدد من القبور كانت الجثث فيها اما مدفونة او محروقة . وظهرت مجموعة من الصناعات الحجرية والاختام المنسقة ذات المشاهد الهندسية وظهرت الات عظيمة ودلاية من النحاس محززة بعدد من الخطوط الاقبية . يعود تاريخ هذه القرية الحلفية حسب

في الطبقة الثانية ب فخاريات حسونة المتطورة (سامراء) . وكانت الطبقة الثانية/ج طبقة انتقالية اختلطت فيها فخاريات عصر حلف الملونة بلونين وبعدة ألوان مما يوحي بان هذه القرية كانت موجودة في الفترة ما بين سنة ٤٨٠٠ ، ٤٢٠٠ قبل الميلاد ثم هجرت فترة من الزمن حتى استوطنها العبيديون في الطبقة الثالثة في الفترة ما بين سنة ٤٢٠٠ ، ٣٨٠٠ قبل الميلاد . اما القسم العلوي من الطبقة الثالثة ومعظم الطبقة الرابعة فقد استوطنها اناس في عصر فجر التاريخ (الوركاء الخامسة والرابعة وجمدة نصر) . وكان المستوطن قد تطور في هذا الوقت الى مدينة صغيرة في الفترة ما بين سنة ٣٥٠٠ - ٢٨٠٠ قبل الميلاد في حين سكن الطبقة الخامسة السومريون في عصر فجر السلالات في الفترة ما بين سنة ٢٨٠٠ - ٢٣٧١ قبل الميلاد .

يارم تبة :

يارم تبة اسم تركي معناه نصف التل . والظاهر ان جدول ماء قطعة الى نصفين وازال نصفاً منه . يقع هذا التل في سهل سنجار بمحافظة نينوى على مسافة سبعة كيلومترات جنوب غرب مدينة تلغفر الى الغرب من مدينة الموصل وهو واحد من ستة تلون تمتد لمسافة كيلومتر واحد على جانبي نهر صغير يسمى آربي . ثلاثة من هذه التلون كبيرة الحجم تم فيها الحفر من قبل البعثة الآثارية السوفيتية من المعهد الاتري بموسكو التابع لأكاديمية العلوم . وقد ركز العمل في البداية على التل الاول ثم التل الثاني ثم الثالث .

وقد وصلت الحفريات في التل الاول الى التربة البكر على عمق ستة امتار بعد ان اخترقت اثنتي عشرة طبقة رقت بالتسلسل من الاعلى الى الاسفل . وظهرت الفخاريات عند الطبقة الاولى وكانت بوجه عام تشبه فخاريات قرية حسونة اذ وجد النوع القديم والنوع النموذجي بمختلف الاشكال كالاراني والجرار والصحن الكبيرة والصغيرة واواني فرك قشور الحبوب الغذائية . ووجدت في الطبقات العليا

اختبار كربون ١٤ الاشعاعي الى سنة ٤٥٥٠ قبل الميلاد^(١٥)

اما التل الثالث فهو اكبر التلول بلغ قطره ٢٠٠ متر وارتفاعه عشرة امتار عن السهل المجاور. وقد جرت فيه التحريات في سنة ١٩٧٨ ووجدت اثار من عصر العبيد^(١٦) الشالي مع عدد قليل من فخاريات عصر حلف. ويمكن مقارنة طبقات عصر العبيد في هذه القرية الثالثة مع مثيلاتها في تبة كورا. وكلاهما يقع فوق انقاض عصر حلف وكان حجم المستوطن العبيدي في هذا التل صغيرا جدا ويقع في قمة التل.

يعود تاريخ هذه القرية استنادا الى المقارنة بالنوع مع اثار عصر العبيد الى حوالي سنة ٤٢٠٠ قبل الميلاد.

تلول الثلاثات :

تقع تلول الثلاثات في سهل واسع غرب دجلة وعلى بعد ستين كيلو مترا الى الغرب من مدينة الموصل. انها اربعة تلول متجاورة وقد تركز تنقيب البعثة اليابانية على التل رقم ٢ من مجموعة التلال. وعثر في هذا التل على ست عشرة طبقة سكنية تعود اثنتان منها وهما السادسة عشرة والخامسة عشرة الى عصر حسونة بدليل وجود كثير من الفخار السمج من نوع فخار حسونة القديم فيها. اما الطبقات الاخرى فتعود الى عصر العبيد^(١٧).

ام الدباغية :

في بداية السبعينات من هذا القرن قامت بعثة اثرية انكليزية باشراف الدكتورة ديانا كرك-برايد بمسح اثري في منطقة هضبة الجزيرة الى الغرب من مدينة الحضر. وعثر في هذه المنطقة الجافة على سبعة وثمانين موقعا اثريا تبين ان اثنين واربعين منها تعود الى العصر الحجري الحديث استنادا الى الملتقطات السطحية واذ تم اختيار ام الدباغية للتنقيب^(١٨)

تقع اطلال هذه القرية على الحافة الشمالية من وادي التراتر في الجانب الغربي منه على بعد ما

يقرب من عشرين كيلومترا الى الغرب من مدينة الحضر المشهورة. وكانت خرائب القرية تشغل مساحة من الارض يقدر طولها بمئة متر وعرضها بخمسمائة وثمانين مترا. وقد بلغ عمقها عند التربة البكر بعد الانتهاء من التنقيبات اربعة امتار. كانت بيوت القرية مستطيلة الشكل مبنية من الطوف وبدون اسس حجرية. ووجد كثير من المائي ذات الجدران المنحنية وهي تتكون من غرف صغيرة يعتقد انها خصصت للخنز. وكان بداخل البيت الواحد غرف عديدة عثر في داخل بعضها على تنانير لعمل الخبز او لتجفيف الاواني الفخارية. وملطت الجدران والارضيات بطبقة خفيفة من الجص. ووجدت قطع اللبن التي قبل انها تمثل اقدم نماذج اللبن في القرى الزراعية العراقية. اذ كانت اللبانات كبيرة الحجم بلغ طول الواحدة منها ما بين ٣٠ سم واكثر من متر واحد وسعها عشرة سنتيمترات وعرضها حوالي ٢٠ سم. وبنيت في هذه القرية سلام من الطين مطلية بالجص في داخل المائي.

وجدت عظام الحيوانات في جميع الطبقات وكانت نسبة عظام الانواع المدجنة قد بلغت الثلث مما يدل على ان سكان القرية قد اعتمدوا بصورة كبيرة على الحيوانات البرية في طعامهم. ولقد بلغت نسبة عظام الحمر الوحشية ٦٨٪ ووجدت على جدران بيوت السكن في الطبقات السفلى صور جدارية بدائية تمثل الحمر الوحشية بصورة واضحة. والظاهر ان لحم حمر الوحش كان يستهلك بكثرة اذ فاقت نسبة عظامه نسب جميع عظام الحيوانات الاخرى^(١٩) ويشير وجود عظامه بهذه الغزارة على ظاهرة غريبة اذ لم يعثر عليه بهذه الكميات في جميع مواقع الشرق الادنى التي تعود لهذه الفترة. اما الحيوانات البرية الاخرى كما يستنتج من عظامها فكانت الخنزير البري والذئب والغزال والعلب والطيور في حين كانت الحيوانات المدجنة الاغنام والخنائير والماشية. اما بقايا النباتات التي وجدت في القرية فتدل على زراعة

القمح زراعة ديمية. اما الشعير فكان لايزال في حالته البرية (٢٠)

اما الصناعات الفخارية فكانت تشبه الصناعات الفخارية في قرية حسونة ومطارة مما يدل على تزامن هذه القرى الثلاث وعلى نوع من الصلات بينها: ان بعض انواع فخاريات ام الدباغة كانت ذات سطوح مدلوكة ولماعة ومزخرفة بجوزز او ملونة بمخطوط متقاطعة على غرار حياكة السلال والحصر. وقد اضيفت الى ابدان بعض الاواني قطع من الصدف للتجميل. ومن اهم الاواني المميزة في الموقع الاطباق ذات التواء لفرك قشور الحبوب الغذائية. وجميع الاواني الفخارية المكتشفة في القرية مصنوعة باليد: اما الصناعات الحجرية فقد شملت رؤوس السهام والمثاقب والمقاشط وشظايا المناجل واحجار الطحن والحوارين والمدقات وادوات اخرى متنوعة صنعت جميعها من الصوان او الزجاج البركاني ولكن نسبة الصوان كانت هي العالية.

ان موجودات قرية ام الدباغة تشبه الى حد كبير مخلفات قرية حسونة وقرية يارم تبه الاولى وتلوث الثلاثا ويعد تاريخ هذه القرية حسب اختبار كربون ١٤ الاشعاعي الى منتصف الالف السادس قبل الميلاد. او محدود ٥٥٧٠ زائد او ناقص ١٢٠ سنة قبل الميلاد. (٢١)

الاريجية:

الاريجية اسم تركمي معناه رجال الشعير وتسمى في الاوساط المحلية قبة رشوا ايضاً. تقع في محافظة نينوى على بعد ستة كيلومترات شمال شرق نينوى العاصمة الاشورية القديمة ويقع التل حالياً في وسط الاحياء السكنية في مدينة الموصل. انها تمثل قرية اكثر تطوراً من قرى المرحلة المبكرة مثل قرية حسونة ويارم قبة الاولى وام الدباغة لانها شهدت بدايات العصر الحجري المعدني في عصر حلف وعصر العبيد غير انها لم تتطور اكثر من ذلك ولم ترتقي الى مستوى مدينة.

الموقع عبارة عن تل صغير يرتفع عن مستوى الارض المجاورة بمقدار خمسة امتار ونصف المتر. اكتشف هذا التل في سنة ١٩٢٨. وفي عام ١٩٣٣ تحرت فيه بعثة انكليزية بادارة ملوان موفداً من المتحف البريطاني. وفي عام ١٩٧٦ نقت فيه بعثة عراقية بادارة الدكتور اسماعيل حجارة وقد كشفت تنقيبات ملوان في التل نفسه عن عشر طبقات مرقفة من الاسفل الى الاعلى على هيئة بيوت متراكمة بعضها على بعض في خندق اختبار. ووجدت اثار عصر حلف في الطبقات (١٠-٥) واثار عصر العبيد في الطبقات (٥-١) وكانت الطبقة الخامسة مختلطة اثارها. وفي سفوح التل وجدت اثار عصر حلف بين ٥-١ متر في العمق ووجدت اثار عصر العبيد في المتر العلوي.

اشتهرت هذه القرية باوانها الفخارية الجميلة ذات الالوان المتعددة والصناعة اليدوية الدقيقة والاشكال المتنوعة والزخارف الهندسية والطبيعة البديعة. وكانت مثل هذه الاواني قد اكتشفت قبل الحرب العالمية الاولى في تل حلف الذي يقع على نهر الخابور بالقرب من رأس العين على الحدود السورية التركية. ولما كانت الفخاريات عموماً لاثير اهتمام المنقبين انذاك فقد اهلوها اهمالاً. وبقيت اهمية الدور الحضاري الذي تمثله تلك الفخاريات مجهولة الى ان نشرت المعلومات عنها في سنة ١٩٣١. ومنذ ذلك الوقت بدأ الاهتمام بها وخصوصاً بعد ان اجريت التنقيبات في قرى قديمة اخرى. وفي الحقيقة اتضح اهمية تلك الفخاريات ومارافقها بشكل ادق من التنقيبات التي قامت بها البعثة الانكليزية هنا في قرية الاريجية حيث امكن تمييز دورين رئيسيين لعصر حلف الدور الاول في الطبقات العاشرة والتاسعة والثامنة والدور الثاني في الطبقات السابعة والسادسة والخامسة. وامكن ايضاً تمييز آثار الدورين في سفوح التل على عمق خمسة امتار من سطح الارض.

وبما يزيد في الاعجاب بتلك الاواني الفخارية انها صنعت باليد باشكال عديدة مثل القدور

والصحون والاطباق والاقداح والجرار والابريق. اما الزخارف فهي ذات اشكال متناسقة كالنقوش الهندسية والنباتية والحيوانية مثل الازهار واوراق النباتات والشجيرات والطيور والاقاعي والغزلان ورؤوس الثيران الطبيعية والمرسومة بهيئة رمزية. وشاع تلوين الاواني في الدور الاول باللون الاسود وفي الدور الثاني بلونين او بعدة ألوان كالأحمر والبرتقالي والاصفر والتبني والاسود. وفضلاً عن الفخاريات الملونة وجدت فخاريات غير ملونة ايضاً. واختلف الباحثون في اصل هذا الفخار وتحديد الوطن الذي نشأ فيه. ويرى بعضهم انه من اصل سوري ويرى اخرون انه من اصل اغريقي ويستدلون على ذلك بالمباني المدورة الشكل التي عثر عليها في بعض مواقع هذا العصر بشمال العراق والتي وجد مثلها في قبرص وكريت ومايسينا من تاريخ احدث من تاريخ عصر حلف في العراق. ويضاف الى ذلك استعمال بعض الدمى والرموز الدينية مثل الدمى التي تمثل الالهة الام والفاؤس ذات الحدين ورأس الثور. وقد وجدت مثل هذه الرموز في كريت. ولما كان فخار حلف اقدم من هذه الآثار بعدة قرون فمن المعقول القول ان هذه المظاهر الحضارية الاغريقية هي ذات تأثير عراقي. وبما يرجح رأينا في ان هذا الفخار من اصل محلي بشمال العراق هو اكتشافه في قرى زراعية قديمة كثيرة قريبة من بعضها في وضع طباق سليم يتدرج فيه تطور تقنية صناعته واشكاله ونقوشه من انواع بسيطة الى انواع معقدة وراقية. ووجوده مع فخاريات عصر حسونة السابقة في طبقات انتقالية في عدة قرى اثرية. وهذا هو الذي يجعلنا نرشح منطقة الموصل بشمال العراق موطناً له. ويظهر ان هذا الفخار انتشر في الجهات الغربية بطرق التجارة عبر الفرات والجزيرة الى منطقة البحر المتوسط والاناضول فقد وجد في منطقة الخابور في قرية براك وقرية شاغر بازار وقرية حلف وانتشر كذلك عن طريق نهر الباطح الى قرية اسود وقرية زيدان وعن طريق كركميش (جربلس) الى اوغاريت (راس

شعرا) القديمة على سواحل البحر المتوسط والى تلكم تبة على بحيرة وان في اسيا الصغرى. ويستنتج من هذا ان نوعاً من العلاقات كان يربط منطقة الموصل بهذه المناطق.

وتشير سعة القرية التي اكتشفت خرائبها في تل الاربيجة الى تقدم قرى الفلاحين من حيث التنظيم واساليب البناء وتقدم البيوت وتوزيعها على شوارع مبلطة بالاحجار. ومع ان الطين بقي المادة الشائعة في بناء البيوت فانه زهر كذلك استعمال اللبن. وبنيت بعض المباني على تخطيط مربع او مستطيل ولكن في اواخر عصر حلف تأسس في هذه القرية نوع غريب من الابنية المدورة التي اكتشفت منها نماذج في قبرص وكريت ومايسينا وغيرها في البلاد اليونانية. وفي الاربيجة وجدت عشر بنايات من هذا النوع بلغ قطرها ما بين خمسة امتار ونصف المتر وعشرة امتار وهي مشيدة من الطين على اساس من الحجارة على هيئة خلايا النحل. ويظن انها كانت ذات سقوف معقودة. ووجد لبعضها مدخل امام البناء بشكل حجرة مستطيلة. ولكن لم يعثر في اي منها على بقايا هياكل عظمية بشرية بخلاف ما يماثلها من المباني القبرصية والماسينية التي كانت قبوراً. ولم يجد الباحثون حتى الان تفسيراً مقبولاً للغرض من هذه المباني في شمال العراق. ويرجح بعضهم ان يكون الكبير منها كالمبنى الموجود في قرية الاربيجة نوعاً من المعابد والمزارات الدينية او مضيافاً للقرية ووجد آخرون فيها طرازاً خاصاً من دور السكن: وبما يؤيد هذا الرأي الانواع الجديدة المكتشفة في قرية ترلو باسيا الصغرى وسوريا وايران^(٢٢). وعثر على عدد من هذه المباني الدائرية في تبة كورا وبارم تبة بمنطقة الموصل ايضاً. إن ارضيات المباني عملت من الطين المرصوص وملئت الارضيات والجدران بطبقة رقيقة من الطين وقسم منها ملطت بالحص. وعثر في الموقع على العديد من الآنية الحجرية والحلي وادوات من الصوان والزجاج البركاني وكمية من المغرة الحمراء مع عدد من ادوات التلوين^(٢٣).

١٩٣٢ - ١٩٣٨ فتم بذلك استظهار عشرين طبقة. وتناولت التنقيبات أيضاً المنطقة المحاذية للموقع في الجهتين الجنوبية الشرقية والشالية الشرقية. ففي الجهة الاولى فتح خندق اختبار بطول ١٤,٥ متراً وعرض ثمانية امتار وسمي هذا الخندق بالمنطقة A. ولم يعثر فيه على مخلفات مباني ولكن المنقب اعتقد ان هناك دلائل على وجود ست طبقات اثرية سميت بالطبقات A - F. وفي قعر هذا الخندق حفرت حفرة بعمق خمسة امتار وقطر ثلاثة امتار تقريباً وتم الوصول الى التربة البكر فيها على عمق ٢٧,٢٢ متراً وفي الجهة الشالية الشرقية تم حفر خندق اخر استظهرت فيه طبقة رقيقة من الانقاص فيها قليل من المعالم الاثرية^(٢٨)

ظهرت فخاريات عصر حلف في الطبقة ٢٠ وفي المنطقة A وفي خندق الاختبار الشمالي الشرقي. وفي الطبقات ١٩ - ١٢ وجدت فخاريات عصر العبيد. وفي الطبقات ١١ - ٨ وجدت آثار عصر فجر التاريخ. وفي الطبقات ٨ - ٧ وجدت آثار عصر فجر السلالات. وفي الطبقة السادسة وجدت آثار اكدية. وفي الطبقة الخامسة وجدت آثار من عصر سلالة اور الثالثة مختلطة بآثار العصر الاشوري القديم. وفي الطبقة الرابعة وجدت اثار اشورية قديمة مع اثار العصر البابلي القديم. وفي الطبقة الثالثة وجدت اثار ميثانية^(٢٩)

كانت فخاريات عصر حلف التي ظهرت في هذا الموقع غير ملونة وملونة. والفخاريات الملونة كانت ذات لون واحد او لونين او عدة الوان ومعظم النماذج مصنوعة من طينة مصفاة تصفية جيدة واغلبها قوي وصلب بفضل حرارة الكورة العالية. وبعضها طلاء له لون اصفر. والوان الزخارف لماعة واكثرها شيوعاً هو اللون الاحمر والبني والاسود والايض. اما الفخاريات غير الملونة فاغلبها من طينة طبيعية ولها جوانب سميكه وسطح خشن واحجامها كبيرة. واكثر الاشكال شيوعاً هي الصحون والطاسات والجرار والاقداح والكؤوس والقدر وهناك شبه قوي بين فخاريات هذا الموقع

ووجدت في القرية الات وادوات زراعية وجيوب القمح والشعير وبذور الكتان^(٢٤). وتبين من مخلفات عظام الحيوانات ان اهل القرية دجنوا الاغنام والماعز والماشية والخنازير^(٢٥)؟ ووجدت في القرية انواع جيدة من القلائد والاقراص الحجرية الصغيرة ذات النقوش الهندسية التي ربما كانت تستعمل لخم السدادات الطينية على الجرار. كما وجدت رؤوس العصي الحجرية والتماثيل الحجرية والدمى الحيوانية والتماثيل البشرية للالهة الام التي صنعت بهيئة امرأة بدينة تضع يديها على ثدييها وجسمها مزين بمخطوط وتقطظن انها من نوع الوشم. ووجدت في القرية مجموعة من اقراص المغازل والمخاريط وكرات المقلع الطينية. واغلب الآلات والادوات اعدت من حجر الصوان او الزجاج البركاني. وقد دفن اهل القرية موتاهم البالغين في القبور ودفنوا الاطفال في جرار فخارية. تعود هذه القرية حسب اختبار كربون ١٤ الاشعاعي لنحو ٥٠٧٧ زائد اوناقص ٨٣ سنة قبل الميلاد^(٢٦) اي انها عاشت في نهاية الالف السادس قبل الميلاد ولكنها استمرت حتى اواخر عصر العبيد والدليل على ذلك يعتمد فقط على وجود فخاريات من عصر العبيد في الطبقات ٤ - ١ وعلى وجود مسمار فخاري^(٢٧) يكثر وجوده عادة بين اثار عصر العبيد في المواقع الجنوبية.

تبه كورا :

تبه كورا كلمة تركية تعني التل الكبير ويقع هذا التل على مسافة ثلاثين كيلومتراً الى الشمال الشرقي من مدينة الموصل. وهو تل بيضوي الشكل ذي جوانب متدرجة الانحدار يبلغ ارتفاعه نحو سبعين قدماً عن الارض المجاورة وقد قامت بالتحري فيه المدرسة الامريكية للدراسات الشرقية بالاشتراك مع متحف جامعة بنسلفانيا. وتركزت الحفريات في وسط التل ونزلت في ثلثي طبقات اثناء تنقيبات الدكتور شبايزر في السنوات ١٩٢٧ - ١٩٣٢ ثم في اثنتي عشرة طبقة اخرى دون الوصول الى التربة البكر في اثناء تنقيبات الدكتور تولر في السنوات

وقرية الاريجية من حيث تقنية الصناعة والشكل والزخرفة .

شيدت مباني القرية في عصر حلف بالبلن على اسس حجرية . وشيدت البيوت على تخطيط مضلع ، وكانت في الغالب تتألف من قاعة وسطى مستطيلة الشكل تقع على جانبيها مجموعة من الغرف الصغيرة المربعة الشكل . وزودت البيوت بمدخل وشيدت الارضيات من الطين المرصوص وقسم منها بالحجر . وعثر في ارضيات بعض المنازل على قبور الاطفال والمواقد والتنانير . ومن المباني اللافتة للنظر بناية دائرية الشكل واسعة جدرانها مبنية بالطوف وتسندها من الداخل ثلاث طلععات غير منتظمة المسافات بعضها عن بعض . وبالقرب من مدخل هذه البناية وجدت بقايا جدران لعلها تمثل غرفة مستطيلة ملحقة بها .

وجد في اطلال هذه القرية عدد من الدمي الفخارية البشرية للنساء تظهر ملامحها العامة تشابهاً مع دمي عصر حلف في تل حلف والاريجية . وظهرت كذلك نماذج من الصناعات الحجرية كالاختام المنسطة والازاميل والمطارق والمدقات والمجارش واقراص المغازل واحجار الشحذ والهاوين وقطع اللعب والاواني الصغيرة لحفظ الاصباغ .

وتشير البقايا المعارية في الطبقة التاسعة بوضوح الى ان اهم بناية في المستوطن كانت بناية المعبد التي توسطت مخلفات هذه الطبقة التي يعود تاريخها لواخر عصور قبل التاريخ . وكان للمعبد تخطيط جيد وبلغ طوله ١٣ متراً وعرضه ١١,٤٠ متراً وكانت زواياه متجهة نحو الجهات الطبيعية . ووجدت فيه كوات ذات دخلات وطلعات ودكة في الغرفة الوسطى وهذه الغرفة مدخل في مؤخرتها ينتهي الى الغرفة المقدسة . وعلى جانبي الغرفة المقدسة وجدت بقايا غرفتين طويلتين ضيقتين .

هذا المعبد بسعته ووصافه ومزياه يدل على انه كان مركزاً لمستوطن تجاوز سمات القرية واصبح مدينة . وكل هذه المزايا وجدت ايضاً في معبد

الطبقة الثامنة التي تود لواخر عصور قبل التاريخ ولعصر فجر السلالات .

اما الطبقة السابقة التي تعود لعصر فجر السلالات فلم يعثر فيها الا على بقايا جدران وقليل من الغرف في القسم الشمالي . ولكن وجدت فخاريات جديدة . ولوحظ ان الجدران شيدت كلياً بالبلن وليس لها اسس حجرية . وكانت الآثار المكتشفة قليلة اهمها بعض الاختام الاسطوانية والادوات النحاسية والالات المصنوعة من الزجاج البركاني وحجر الصوان .

اما مباني الطبقة السادسة التي تعود للعصر الاكدي فكانت منتشرة في مساحة بلغت ٦٠ × ٧٠ متراً . وكان المستوطن جميعه مسوراً وقد تعرض لعمليات اعادة بناء مرات عديدة عبر مدة طويلة من الزمن . ووجدت في القسم الاوسط ساحة مكشوفة طولها ثمانية وعشرون متراً وعرضها سبعة عشر متراً تجتمعت حولها الغرف . ووجد في سور المدينة مدخلان واحد في الجنوب والآخر في الشرق والى الشمال من المدخل الشرقي وجدت اثار غرفة مشيدة بالحجارة كان الغرض منها للمراقبة . وكانت الشوارع تتفرع من الساحة المكشوفة وهي طويلة وضيقة ولكنها مبلطة بالحجارة وتحترقها ساقية لصرف المياه الوسخة . وتدل اثار الرماذ المنتشرة في المستوطن على انه انتهى بالنيران التي اشعلها الغزاة .

اما الطبقة الخامسة التي تعود لعهد سلالة اور الثالثة وعهد الدولة الاشورية القديمة فكانت مبانيها مشيدة بالبلن على اسس حجرية وبعضها الآخر بالحجارة . والظاهر ان اهم المباني كانت بناية المعبد . ووجدت في هذه الطبقة بقايا كثيرة من الرماذ تدل على نهاية محزنة للمدينة على يد الغزاة .

اما الطبقة الرابعة التي تعود لعهد الدولة الاشورية القديمة وعهد سلالة بابل القديمة فكانت مبانيها جيدة وغرفها واسعة والبناية الرئيسية فيها هي لمعبد بدليل تخطيطه والادوات التي وجدت فيه . والرماذ المنتشرة في كل مكان يوحي باشغال النيران في المدينة من قبل المهاجمين .

اما الطبقة الثالثة والثانية والاولى فكانت مخلفاتها قليلة جداً ومبعثرة ومتهدمة بحيث لا تسمح بتصوير شكلها الاصلي.

الطواجنة:

تقع خرائب هذا التل الاثري على بعد كيلو مترين من قرية الطواجنة التي تقع الى الجنوب من مدينة الموصل بنحو عشرين كيلومتراً. قامت دائرة الآثار والتراث بتحرياتها في هذا التل سنة ١٩٨٠^(٣٠) يبلغ ارتفاع التل تسعة أمتار عن مستوى السهل المجاور. وهو تل واسع وله قمة منبسطة. وأسفرت الحفريات فيه عن كشف اربع طبقات تعود الطبقة العليا منها لعصر الوركاء والطبقات الثلاث الاخرى لعصر العبيد. ووجدت كسر فخارية كثيرة تعود لعصر حلف مما يدل على وجود آثار هذا العصر في الطبقات السفلى لو استمر الحفر فيها^(٣١).

يظهر ان آثار هذا المستوطن تدل على قرية تطورت في عصر حلف واستمرت في تطورها كقرية حتى نهاية عصور قبل التاريخ.

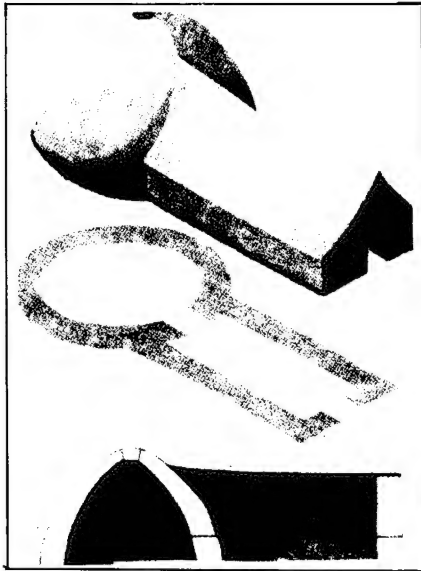
ابراهيم عزو:

يقع هذا التل على بعد كيلو مترين من قرية الخربيات الواقعة على مسافة سبعة عشر كيلومتراً شمال غرب مدينة الموصل. ويبلغ ارتفاع التل حوالي سبعة أمتار عن السهل المجاور له وسمي نسبة الى شخص يحمل هذا الاسم زرع التل.

بدأت فيه تحريات دائرة الآثار والتراث في سنة ١٩٨٢ وتم الكشف عن اربع طبقات تعود العليا منها لعصر الوركاء والثانية لعصر العبيد والثالثة والرابعة لعصر حلف. وظهر فخار عصر حلف في الطبقة الثانية والاولى مختلطاً مع فخار عصر العبيد والوركاء. وتشمل المخلفات العارية مجموعة من المباني المدورة التي وجد مثلها في الأرجبية وتبة كورا^(٣٢).

مستوطنات اخرى:

وهناك عدد كبير من المستوطنات^(٣٣) لم تجر فيها تنقيبات أثرية وتدل اعمال المسح والتنقيش الاثري على انها كانت قرية في عصر من عصور قبل التاريخ او مدينة صغيرة عاشت في العصور التاريخية نذكر منها ما يأتي: تل سفرة وتل الخان يعودان لعصر حسونة وتل برهاوي يعود لعصور حلف وتل كري رش يعود لعصر العبيد وتل ابو ماريا لعصر الوركاء وعهد الامبراطورية الاشورية ودبشية لعصر الوركاء وعصر فجر السلالات والعصر الاكدي وتل بلا لعصر فجر التاريخ وتل الرماح لعصر فجر السلالات والعصر الاكدي وحوشي للعصر الاكدي والبابلي القديم. اما شريف خان واسكي موصل وتلعفر وحداة وعبطة وسنجان واويس وجروانة وخرصباد وغرود فتعود للعصر الاشوري. فسأني الى ذكر اهمها في فصول مقبلة.



نموذج تخطيطي لدار سكن من الارجية في الموصل.

الهوامش

- tions, Sumer, Vol. XXII, 1966.
- Kirkbride, D., Umm Dabaghiyah, A Preliminary Report, 1971, Iraq 34, No. 1, 1972, P. 5.
- لويد، سينون. آثار بلاد الرافدين ترجمة الدكتور سامي سعيد الاحمد ص ٨٠ بغداد ١٩٨٠.
- Helback, H., Traces of Plants in the Early Ceramic Site of Umm Dabaghiyah, Iraq, Vol. 34, No. 1, 1972, P. 17-20.
- Kirkbride, D., Umm Dabaghiyah 1973, A Second Preliminary Report, Iraq, Vol. 35, No. 1, 1973, P. 7.
- يابان، جال، اصول اسماء المدن والمواقع العراقية ج / ١ ص ١١ بغداد ١٩٧٦.
- Burney, C., Yanik Tepe, Iraq, Vol. 23, Part 2, 1961, and Vol. 26, Part 1, 1964.
- Mallowan, M. and Rose, J., Excavations at tell Arpachiyah, 1933 Iraq, Vol. 2, No. 1, 1935, P. 14-17, 25, 29.
- Helback, H., The Paleobotany of the Near East and Europe, in Braidwood, R. and Howe, B., Prehistoric -Investigations in Iraqi Kurdistan, Chicago, 1960, P. 99-118.
- Hijara, I., et al., Arpachiyah, 1976, Iraq, Vol. 42, 1980, P. 152-153.
- Oates, J., A Radiocarbon Date from Choga Marni, Iraq, Vol. 34, 1972, P. 51.
- Mallowan, M. and Rose, J., Excavations at Tell Arpachiyah, Iraq, Vol. 2, No. 1, 1935, P. 22, Fig. 49, No. 8.
- Tobler, A., Excavations at Tepe Gawra, Vol. II, Philadelphia, 1950, P. 48-50.
- Perkins A., The Relative Chronology of Mesopotamia, in Relative Chronologies in Old World Archaeology, ed. by Robert Ehrich Chicago, 1954, P. 52, Figure 1.
- Postgate, J. Excavations in Iraq, Iraq, Vol. 43, 1981, P. 190.
- كسار، اكرم محمد عبد. عصر حلف في العراق. رسالة ماجستير غير منشورة من كلية الاداب بجامعة بغداد، ص ٣٣ - ٣٤. بغداد ١٩٨٢.
- نفس المصدر ص ٣٤ - ٣٥.
- انظر خارطة دائرة الآثار والتراث للمواقع الاثرية العراقية.
- الديباغ، تقي، حضارة العراق، ج / ١ ص ١٢١ - ١٤٥. وزارة الثقافة والاعلام. بغداد ١٩٨٥.
- Wailly, F. and Abu Al-Soof, B. The Excavations at Tell Ee-Sawwan, First Preliminary Report, 1964, Sumer, Vol. 21, 1965, p. 18.
- الديباغ، تقي والجادر، وليد، عصور قبل التاريخ ص ٢٢٨، ٢٤٨، بغداد، ١٩٨٣.
- جايلد، كورون، ماذا حدث في التاريخ ترجمة جورج حداد ص ٧٩.
- Speiser, E., Excavations at Tepe Gawra, Vol. I, Philadelphia, 1935 Pl. XXXv, a.
- Safar, F., Mustafa, M. and Lloyd, S., Eridu, Baghdad, 1982, P. 231, Fig. III.
- جايلد، كورون، ماذا حدث في التاريخ. ترجمة جورج حداد، ص ٩٠.
- اوبنهايم، ليو، بلاد ما بين النهرين، ترجمة سعدي فيضي عبد الرزاق ص ١٥٧، بغداد ١٩٨١.
- جايلد - كورون،
- Braidwood, R., Tell Hassuna, JNES, Vol. IV, 1945, P. 257, Chart I.
- Braidwood, R., Prehistoric Men, 7th. ed. Chicago, 1967, P. 121.
- Braidwood, R. The Near East and the Foundations for Civilizations, Oregon, 1952, P. 12, Fig. 4.
- Merpert, N. and Munchajev, R., Early Agricultural Settlement in the Sinjar Plain, Northern Iraq, Iraq, Vol. 35, Part 2, 1973, P. 106.
- Merpert, N. and Munchajev, R., Excavations at Yarim Tepe, Second Preliminary Report, Sumer, Vol. 27, 1971, P. 17.
- Merpert, N. and et al., Soviet Investigations in the Sinjar Plain, 1975, Sumer, Vol. 34, 1978, P. 43.
- Merpert, N. and Munchajev, R., The Investigations of Soviet Expedition in Iraq, Sumer, Vol. 33, 1977, P. 75.
- Bader, N., Merpert, N. and Munchajev, R., Soviet Expedition's Survey in the Sinjar Valley, Sumer, Vol. 37, Nos. 1-2, 1981, P. 55-60.
- Engami, N., Sono, T. and Horiuchi, K., Brief Report of the third Season's Excavations at Tell II of the Telul Eth-Thalathat and Some Observa-

بداية العصور التاريخية بوثائقها المدونة ، ونهاية عصور قبل التاريخ ، وبذلك يكون العراق اول أقطار العالم قاطبة في اختراع الكتابة واستخدامها للتدوين وانتقاله الى العصور التاريخية . الا أن هذا التغيير الكبير والتحول المهم والانجاز الرائع حدث في القسم الجنوبي من العراق في حين ظل القسم الشمالي من العراق يعيش حياته القديمة في عصور قبل التاريخ لعدة قرون تالية الى ان انتشر استخدام الكتابة المسارية فيه في اواسط الألف الثالث قبل الميلاد . لذلك فان المعلومات الموثقة الكثيرة المتوفرة حالياً عن النصف الاول من الالف الثالث قبل الميلاد تخص القسم الجنوبي من العراق بالدرجة الرئيسة ، في حين تبقى معلوماتنا عن القسم الشمالي قليلة وأحياناً نادرة . وإذا اردنا ان نرسم صورة تقريبية للوضع العام في منطقة الموصل في هذه الفترة المبكرة من العصور التاريخية علينا ان نستعين بما هو متوفر لدينا من معلومات عن القسم الجنوبي من العراق لفهم اتجاهات التطور العامة في القسم الشمالي منه . وعلينا في الوقت ذاته ان نكون حذرين في استخدام تلك المعلومات ولانفترض تطابق الشمال والجنوب في اتجاهات التطور والتقدم ، فلكل منطقة ظروفها وبيئتها وعوامل الخاصة التي تؤثر على سير الاحداث فيها ، غير انها مع ذلك ، تقعان ضمن حدود وادي الرافدين الواسعة وتعمان بمياهه الوفيرة وارضه الخصبة وظروفه الجغرافية والطبيعية العامة مما يؤثر في طبع المنطقتين بطابع عام مميز . لذا ، كان لابد من تقديم نبذة موجزة عما كان يحدث في الجنوب لفهم ماحدث في الشمال .

في منتصف الألف الرابع ، انطوت صفحة من تاريخ العراق القديم ، تضمنت القسم الاعظم من حياة الانسان في هذا الجزء من العالم القديم ، اصطلاح على تسميتها بعصور « قبل التاريخ » Pre-history . وقد امكن التعرف على بعض جوانب حياة الانسان العراقي القديم خلال هذه الفترة الطويلة من خلال ماتركه من آثار مادية بسيطة في الكهوف والمغاور ، التي عاش فيها في العصور الحجرية القديمة ، او في القرى التي اقامها ، بعد ان اهتدى الى الزراعة والتدجين وبدأ حياة الاستقرار وذلك منذ بداية الالف الثامن قبل الميلاد . وكان نصيب القسم الشمالي من العراق ، الذي تؤلف منطقة الموصل جزءه الأعظم ، كبيراً في عصور قبل التاريخ سواء من حيث اسبقية استيطان الانسان فيه وتطور حياته واهتدائه الى الزراعة والاستقرار ، كما سبقت الاشارة الى ذلك في الفصلين السابقين ، ام من حيث عدد المواقع الاثرية التي تم الكشف عنها حتى الآن والتي ترقى بتاريخها الى تلك العصور ، وذلك مقارنة ببقية اجزاء العراق : ومع ذلك ، فان ماامكن التعرف عليه عن هذه الفترة من حياة الانسان لايزال قليلاً جداً ولايتناسب مع طول الفترة الزمنية واهميتها بالنسبة لتطور حياة الانسان . لذا تبقى جوانب كثيرة من حياة الانسان القديم يكتنفها الغموض ولايمكن التعرف عليها الا من خلال الحدس والتخمين ، وقد يصيب التخمين احياناً ويخطئ في احيان كثيرة اخرى .

فجر التاريخ :

ومنذ منتصف الألف الرابع تبدأ صفحة جديدة من تاريخ الانسان في العراق القديم تؤشر

Dynatic Period ، او عصر دول المدن السومرية Sumerian City States. وقد تميزت هذه الفترة بازدهار الحضارة ونضوج ووضوح ابرز معالمها ومقوماتها التي ظلت من سمات الحضارة العراقية القديمة البارزة عبر العصور، كما تميزت بسيادة الثقافة واللغة السومرية وسيادة الأقوام السومرية سياسياً وحضارياً. تشير تسمية العصر الى ظهور اولى السلالات الحاكمة واولى التنظيمات السياسية التي قامت في أهم المدن المعروفة آنذاك، مثل اور ونفر والوركاء وكيش ولجش واوما وغيرها. وكانت كل مدينة تمثل مركز او عاصمة دولة صغيرة مستقلة تحكمها سلالة حاكمة خاصة بها، وكان لكل دولة حدودها وقوانينها ونظمها وتقاليدها، وان كان الطابع العام الذي يطنى عليها جميعاً هو طابع الحضارة العراقية القديمة في العصر السومري. وكان بعضها بعاصر بعضها الآخر كلياً او جزءاً. وقد قسم الباحثون هذه الفترة التي استغرقت اكثر من اربعة قرون، الى ثلاثة ادوار او أطوار متعاقبة، هي الأول والثاني والثالث، استناداً الى بعض الخصائص والتطورات الحضارية دون الاعتماد على التغيرات السلالية في التقسيم^(٣). وظهرت التنقيبات التي اجريت في مدن العراق القديمة آثاراً كثيرة ومهمة تعود الى هذه الفترة اعطت صورة واضحة عن تاريخ التطور الحضاري، واحياناً السياسي، للمنطقة الجنوبية، وكان من بين اهم المكتشفات الاثرية النصوص المسارية الكثيرة المدونة باللغة السومرية.

ان المعلومات المتوفرة عن منطقة الموصل في الفترة الواقعة بين اختراع اولى العلامات الكتابية الصورية، وقيام السلالة الأكديّة في القرن الرابع والعشرين قليلة جداً، كما انها تخلو تماماً من النصوص المسارية وتقتصر على الآثار المادية الاخرى من أبنية ومخلفات أثرية فخارية ومن الحجر او المعدن وغيرها. وبسبب قلّة الآثار المكتشفة عن

من المتفق عليه بين الباحثين ان اقدم العلامات الصورية المدونة هي تلك المنقوشة على الواح من الطين صغيرة اكتشفت في الطبقة الرابعة (أ) من مدينة الوركاء^(١)، والتي ترقى بتاريخها الى اواسط الألف الرابع. وتؤشر هذه العلامات بداية استخدام الكتابة. الا أن الكتابة في بداياتها كانت محدودة وصورية بشكل عام وظلت كذلك لفترة طويلة من الزمن شغلت مايعرف لدى الباحثين المحدثين عادة بالعصر الشبيه بالكتابي Proto - Literate Period او فجر التاريخ Proto - history. ويضم هذا العصر دورى الوركاء الاخير وجمدة نصر الحضاريين، اي الفترة الزمنية الواقعة بين تاريخ اقدم العلامات الصورية (حدود ٣٥٠٠) وحدود ٢٨٠٠ ق.م. حيث تبدأ العصور التاريخية الفعلية. لقد شهدت هذه الفترة من تاريخ العراق القديم تطورات واختراعات مهمة غيرت من اتجاهات الحياة العامة. فالى جانب اختراع اولى العلامات الصورية ظهرت اولى المعابد المرتفعة، اي الزقورات، التي اختصت بها حضارة وادي الرافدين، وكان اول استخدام الاختتام الأسطواني وأول استخدام العجلة بعد اختراعها واستخدامها في صناعة الأواني الفخارية في العصر السابق، وتقدم فن التعدين وانتشر استخدام المعادن ونمت القرى والمدن مع تطور واتساع مشاريع الري وغدت نواة التمدن والتحضّر ومراكز لدول المدن التي ظهرت في الفترة التالية. وقد رافق كل ذلك تطور ملموس في الزراعة واساليبها وفي الري والتنظيمات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وكان ذلك التطور الاساس الذي قامت عليه الحضارة الناضجة في عصور فجر السلالات.

ويعبّر عن الفترة التالية، وهي الواقعة بين حدود ٢٨٠٠ ق.م وتاريخ قيام الدولة الاكديّة عام ٢٣٧١ ق.م^(٢) بعصور فجر السلالات Early

هذه الفترة فإن ماتم الكشف عنه حتى الآن يعد في غاية الاهمية لدراسة تاريخ المنطقة المبكر. تشير التحريات الاثرية الى أن اهم المدن والمواقع التي برزت في هذه الفترة المبكرة من العصور التاريخية في القسم الشمالي من العراق كانتا مدينتي نينوى وآشور، فضلاً عن مدينة اربيل وبعض المواقع الأخرى الأقل أهمية، كموقع تبة كورا شمال شرقي الموصل مثلاً. اما مدينة نينوى، الواقعة حالياً في وسط مدينة الموصل التي امتدت بانياتها الحديثة على جانبي نهر دجلة، فقد اظهرت التنقيبات التي اجريت فيها خلال عامي ١٩٣١ و ١٩٣٢، والتي تركزت في مجس عميق حفر أساساً لمعرفة تسلسل الطبقات الأثرية والأدوار الحضارية التي مرت بها المدينة منذ نشأتها الاولى في عصور قبل التاريخ وحتى آخر الطبقات الاستيطانية فيها، بأن القسم الأعلى من الطبقة الثالثة ومعظم الطبقة الرابعة تمثل بقايا استيطان الانسان في فجر التاريخ (العصر الشبيه بالكتاني) في حين يرقى تاريخ الطبقة الخامسة الى فترة عصر فجر السلاسل. وتشير هذه الطبقات الى أن الموقع كان قد تطور آنذاك من قرية صغيرة وغدا مدينة واسعة تميز فخارها، أي فخار الموقع في الطبقة الخامسة، الذي يعاصر العصرين الحضاريين الأول والثاني من عصور فجر السلاسل الثلاثة في القسم الجنوبي من العراق، بجمال شكله ودقة صناعته، وقد عرف لدى المتقنين والآثاريين بفخار نينوى - الطبقة الخامسة (نينوى 5 Nineveh) (١) اضافة الى ذلك، وجدت تأثيرات سومرية واضحة على آثار الطبقة بالنسبة للاختام الاسطوانية والابنية وغيرها من الآثار المكتشفة.

اما مدينة آشور فقد كشفت التنقيبات التي اجريت فيها على أنها كانت قد أسست في عصر فجر السلاسل على مرتفع طبيعي يطل على نهر دجلة، محاط بسهولة خصبة، وكان من بين الآثار المكتشفة التي ترقى بتاريخها الى عصر فجر السلاسل معبد واسع شيد للآلهة عشتار، وقد

ميز المتقنون فيه دورين رئيسين أقدمهما دور التأسيس الذي شيد على الأرض الحجرية الطبيعية، اي الأرض البكر، ثم شيد فوقه المعبد الثاني وفق المخطط نفسه (٥)، جرياً على التقاليد المألوفة في المحافظة على مكان ومخطط ابنية المعابد. ويشير الفخار المكتشف في المعبد الى انه استمر في الاستخدام في العصر الثاني واول العصور الثالث من عصور فجر السلاسل. كما كشف في المعبد عن منحوتات ذات طراز سومري. وفضلاً عن ذلك تم العثور على عدد من التماذج الفخارية "تراً كوتا terra cota" لبيوت صغيرة. ومع الافتراض المنطقي بأنه لا بد وان كان لهذه التماذج بعض الوظائف الدينية، خاصة وقد تم العثور عليها في بناء المعبد، إلا أنها لا بد وان تمثل نماذج حقيقية لبيوت السكن الشائعة آنذاك. وتظهر هذه التماذج البيت وهو مسطح السقف، وغالباً بطابق او دور واحد من الخلف وطابقين من الامام، ويظهر أحد التماذج بيتاً من ثلاثة أدوار. وكان الدور الثاني والثالث في النموذج الاخير مؤلفاً من غرفة واحدة. كما كشف عن منحوتة جسمية ملونة تمثل آلهة مزينة بالحلي في اذنيها وعلى رقبتها وهي عارية الصدر والبطن وقد ظهرت السرة مضخمة، وهي ممددة على السرير لعلها تمثل طقساً دينياً معيناً. وتشير الآثار المكتشفة في آشور الى أنها كانت منذ ذلك الحين مركزاً دينياً مهماً حافظت عليه خلال العصور التاريخية التالية. (٦)

ومن المواقع الاخرى التي اظهرت التنقيبات التي اجريت فيها آثاراً من العصر الشبيه بالكتاني وعصر فجر السلاسل موقع تبة كورا القريب من مدينة الموصل حيث تبين بأن بقايا الطبقة التاسعة من الموقع تعود الى أواخر عصور قبل التاريخ. وكان أهم ماكشف عنه في هذه الطبقة بقايا المعبد الذي توسط المنطقة المنقب فيها. وبلغ طول المعبد ١٣ متراً وعرضه ١١,٤٠ متراً وكانت زواياه متجهة الى الجهات الاربعه الطبيعية.

ووجدت فيه كوات ذات دخلات وطلعات على غرار ما كان معروفاً في المدن السومرية، ودكة في الغرفة الوسطى التي ينفذ من مؤخرتها الى الغرفة المقدسة، ووجدت على جانبي الغرفة المقدسة بقايا غرفتين طويلتين ضيقتين. ويبدو من سعة بناء المعبد النسبية ان الموقع كان قد قطع مرحلة القرية وأصبح مدينة صغيرة مكتظة بالسكان. وفي الطبقة الثامنة كشف عن بقايا معبد آخر يرقى الى أواخر عصر قبل التاريخ وبداية العصر الشيبه بالكتاني في حين ضمت الطبقة السابعة آثار عصور فجر السلالات، إلا ان ما يوصف عليه ان المتقين لم يعثروا في هذه الطبقة الأعلى بقايا جدران وقليل من الغرف وبعض الفخاريات والاختام الاسطوانية والأدوات النحاسية والآلات المصنوعة من الزجاج البركاني وحجر الصوان.^(٧)

وهكذا اقتصر آثار هذه الفترة على بعض الأبنية الدينية والدنيوية والخلفات الأثرية التي تظهر تأثيراً سومرياً واضحاً، غير ان عدم العثور على اي نص مسماري يترك الباحث دون أية معلومات عن الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي كانت سائدة في المنطقة. ومع ذلك، فان متابعة التطورات الحضارية والسياسية في مدن الجنوب وما يمكن أن يستنتج منها من اشارات الى مدن الشمال، فضلاً عما تم الكشف عنه من آثار قليلة تساعد على تلمس الاتجاهات العامة التي اتخذتها التطورات الحضارية والسياسية في مدن منطقة الموصل، ولاسيما مدينتي نينوى وآشور. فقد كانت القرى والمستوطنات الزراعية تنمو تدريجياً، كما سبق أن أشير الى ذلك، وغدت منذ أواخر العصر الحجري المعدني مدناً كبيرة، وربما كان بعضها محمياً بأسوار محصنة مما يدل على أنها كانت معرضة للهجوم من الخارج، فضلاً عما تدل عليه التحصينات من دلالات أخرى عن التركيب الاجتماعي في المدينة^(٨) فاعمال التحصينات الفرعية تخطيطاً استراتيجياً وعسكرياً،

وان ذلك يفترض وجود نوع من التنظيم الاداري وربما السياسي في المجتمع، على درجة من التطور كبيرة. كما يلاحظ في هذه الفترة بداية ظهور الأبنية الدنيوية الكبيرة. اما المعابد فكان تطورها من حيث الحجم والثروة أقل نسبياً اذا ما قوت بما كان يحدث في مدن الجنوب، حيث أصبحت المعابد فيها، اي في المدن السومرية، بؤرة المدينة ومركزها الاقتصادي والثقافي اضافة الى مركزها الديني. وقد يعكس هذا الاختلاف تبايناً في التنظيمات الادارية والسياسية، وقد يفسر انه يعكس نظاماً كان القادة الدنيويون فيه اقوى مركزاً من الكهنة او انهم جمعوا بين السلطتين الدينية والدنيوية واتخذوا من حصونهم وقلاعهم مقراً لادارة شؤون مدينتهم. ومع هذا التباين بين مدن الشمال والجنوب، فان التقنيات التي اجريت في كل من تل براك على نهر الخابور وتبة كورا شمال شرقي الموصل، كشفت عن سلسلة من المعابد المشابهة الى حد كبير للمعابد السومرية،^(٩) ومن الواضح انها متأثرة بها بصورة مباشرة، إلا أن ذلك لا يمثل القاعدة العامة بل هو الاستثناء. وتظهر التأثيرات السومرية بصورة عامة في الآثار المكتشفة في كل من نينوى وآشور وتل المعنوق قرب بلدة القيارة. ومع ذلك، فان هذا لا يعني بأي حال من الأحوال تواجد الأقوام السومرية في هذه المدن بل انه اشارة الى الاتصال والترابط الحضاري بين مدن الشمال والجنوب وتأكيد على وحدة ارض الرافدين منذ فترة مبكرة من العصور القديمة.

هوية السكان ولغتهم :

مع اهمية الآثار المكتشفة في كل من نينوى وآشور وتبة كورا وغيرها من المواقع في منطقة الموصل من الناحية الحضارية، فإنها لا تنجب على كثير من التساؤلات التي كان بؤنا معرفة اجاباتها. ولعل في مقدمة تلك التساؤلات معرفة هوية الاقوام التي عاشت في منطقة الموصل لآلاف من السنين في عصور قبل التاريخ وفجر التاريخ، ووضعت

بها تلك الاقوام ولا التسميات التي اطلقها على نفسها وعلى الأماكن التي جاءت منها وولت بها طالما لم تكن هناك وسيلة للتدوين معروفة بعد. ومنذ أواسط الألف الثالث قبل الميلاد يبدأ استخدام الكتابة في منطقة الموصل على الرغم من ان الكتابة كانت قد ابتدعت قبل ذلك بقرون عدة في القسم الجنوبي من العراق، إلا انها لم تنتشر إلا في أواسط الألف الثالث، وتزداد معلوماتنا تدريجياً عن الأقسام التي عاشت في المنطقة كلما تقدمنا بالزمن حتى تصبح غاية في التفصيل والدقة في الألفين الثاني والأول قبل الميلاد.

لقد ورد في النصوص السومرية من اواخر عصور فجر السلاسل ومن العصر الأكدي ذكر السوباريين Subarinas على أنهم اقوام كانت تسكن في الجهات الشمالية من وادي الرافدين في ومنطقة الجزيرة العليا وشرقي دجلة، وسميت بلادهم باسم سوبارتو Subartu غير انه يصعب تحديد المنطقة المقصودة بذلك من خلال ماورد عنها في النصوص السومرية من اشارات، اما هوية السوباريين واصولهم ولغتهم فغير معروفة لدينا؛ وربما كان السوباريون من الاقوام الجبلية التي نزحت نحو المناطق السهلية واستقرت في اطراف منطقة الموصل غير انها عادت وانسحبت عندما وجدت ضغطاً متزايداً عليها من الاقوام القادمة من ناحية الغرب. وظل اسم السوباريين واسم بلاد سوبارتو يطلق على المنطقة وعلى سكانها من الاشوريين في العصور المتأخرة من قبل ملوك سومر واكد وغيرهم في حين تحاشى الآشوريون أنفسهم استخدام الاسم سوبارتو للدلالة على بلادهم واستهجنوه ربما لانه كان يطلق على العبيد ايضاً، نظراً لأن العبيد كان يؤتى بهم اصلاً من المنطقة الشمالية، منطقة سوبارتو. (١١)

الآن الاقوام الرئيسية التي استقرت في منطقة الموصل منذ فجر التاريخ هي تلك التي قدمت من ناحية الغرب عن طريق بلاد الشام ومنطقة الجزيرة. ويظن ان أول هجرة كبيرة معروفة حدثت

الليثاء الأولى في طريق الاستقرار والتحضّر، وكذلك معرفة اللغة او اللغات التي استخدمتها تلك الاقوام للتفاهم، والمعتقدات والأفكار التي حملتها وعاشت في ظلها والعادات والتقاليد والأحكام التي نظمت حياتها وضبطت علاقات بعضها ببعض مما لايفصح عنه الآثار المادية المكتشفة. ومن هذه التساؤلات مايمكن الاجابة عليه بصورة عامة وتقريبية من خلال استقراء ماوراء الآثار المكتشفة ومن خلال عقد المقارنات بينها وبين ماتم الكشف عنه في مناطق أخرى من العراق، ولاسيما في القسم الجنوبي والغربي، ومنها ما يظل غامضاً لا نملك للجواب عليه الا الحدس والتخمين والافتراض.

ومن الوسائل الرئيسة التي تساعد الباحث المعاصر على معرفة هوية الاقوام في منطقة معينة في عصور قبل التاريخ موقع المنطقة الجغرافي وطبيعتها لما لذلك من أثر كبير في تركيب السكان واصولهم. فنطقة الموصل تمتاز، كما سبقت الإشارة الى ذلك، بمخسوبة تربتها واتساع سهولها ووفرة مياهها، وملاءمة مناخها لزراعة مختلفة انواع المحاصيل، كما انها تقع بين منطقتين تفتقران الى الكثير من الموارد والخيرات الطبيعية، هما منطقة البوادي والسهول المجاورة لحافاتها الغربية والمنطقة الجبلية المتأخمة لها من الجهات الشمالية والشمالية الشرقية. لذا كانت ابرز ظاهرة في تاريخ المنطقة من حيث التحركات البشرية هي ظاهرة استمرار هجرة الاقوام من تينك المنطقتين الى وادي الرافدين، شماله وجنوبه، في مختلف العصور، وحيث ان الدراسات الآثارية تشير الى انه لم يحدث اي تغيير جوهري في طبيعة المنطقة الجغرافية او طبيعة مناخها منذ بداية العصر الحجري المعدني في الألف الخامس وحتى الآن، لذلك فان الاسلوب العام في هجرة الاقوام وتحركاتها ظل متشابهاً خلال هذه الفترة الطويلة من الزمن. (١٢)

ومع انه يمكن افتراض الطريق الذي سلكته الاقوام عند مجيئها الى المنطقة في عصور قبل التاريخ، بشيء من الثقة، إلا أنه لا يمكن بالاسلوب نفسه معرفة اللغة او اللغات التي تكلمت

واحد وارتباطها الوثيق من بعد استقرار كل من الآشوريين والأكديين في منطقتين مختلفتين.

وينتمي الآشوريون الى ذات الشجرة التي تفرعت عنها الأقوام الأكديّة والبابليّة (الأمورية) والآرامية والكلدية في العراق والأقوام الكنعانية والفنيقية والأمورية والآرامية في بلاد الشام والأقوام العربية الشمالية والجنوبية التي انتشرت في جميع الاقطار العربية فيما بعد. وكان منبت تلك الشجرة، كما هو متفق عليه تقريباً بين جمهور الباحثين، في شبه الجزيرة العربية كانت في العصور الحجرية القديمة عامرة بالحياة من حيوان ونبات وانسان ثم حلّ فيها الجفاف في اعقاب العصر الجليدي الأخير مما دفع بالأقوام التي كانت تعيش فيها الى الهجرة الى حافاتها ثم الى البوادي القريبة منها في كل من بلاد الشام والعراق فكانت تلك البوادي موطنها الثاني بعد شبه الجزيرة، ومالبت ان اتجهت جاعات منها الى التوغل في الأقاليم المجاورة، لاسيما بلاد الشام والعراق بشكل سلمي وذلك منذ الألف الرابع قبل الميلاد على أقل تقدير. ولم يشر الى تلك التحركات الا عندما كانت تتضمن هجرة مجموعات كبيرة تحدث اضطرابات وتبدلات اساسية في المنطقة، وربما كانت هجرة الاقوام الأكديّة والاشورية من اولى الهجرات الكبرى ثم تبعها هجرة الأقوام الأمورية ثم الآرامية واخيراً هجرة العرب الكبرى. ولم تنقطع هجرة الأقوام هذه الى وادي الرافدين حتى يومنا هذا حيث مازالت هناك بعض القبائل العربية تنتقل في أطراف العراق وسوريا متوغلة أحياناً الى مراكز المدن.^(١٥)

وكان الشائع لدى الباحثين اطلاق اسم الاقوام السامية Semites على جميع الأقوام التي تنتمي الى هذه المجموعة التي هاجرت أصلاً من شبه الجزيرة العربية وتسمية لغاتها باللغات السامية Semitic Languages، غير ان الدراسات الحديثة، وبصورة خاصة الدراسات التي قام بها الباحثون العراقيون، بيّنت عدم دقة التسمية

في اواخر الألف الرابع وبداية الألف الثالث قبل الميلاد واتجهت نحو القسم الوسطي والجنوبي من العراق وعرفت فيما بعد بالهجرة الأكديّة في حين اتجهت مجموعة منها الى المنطقة الشمالية من العراق مكونة بذلك طلائع الأقوام الآشورية. ثم تابعت هجرة الأقوام القادمة من الغرب، وأطلق عليها السومريون اسم مارتو، الذي يقابله في اللغة الأكديّة اسم Amurru، ويعني "الغرب" اي الأقوام القادمة من الغرب، وكانت هجرة الأموريين في اواخر الألف الثالث وقد ضمت موجتين رئيسيتين: تفصل بينها فترة زمنية تقدر بقرن او اكثر، وتمكن الأموريون من اقامة عدد من السلالات الحاكمة في مختلفة أنحاء العراق كانت منها سلالة ايسن ولارسا واشنونا وبابل ودير وماري وآشور.^(١٦)

ومنذ الألف الثالث قبل الميلاد أصبح الآشوريون العنصر الرئيس في المنطقة التي عرفت باسمهم، بلاد آشور (بالأكديّة مات. آشور: كي mat Assur ki^(١٧))، (الكلمتان الاولى والثالثة، مات mat وكي ki، هما علامتان دالتان تشيران الى ان اسم اشور هو اسم بلاد). وكثيراً ما تضاف ياء النسبة المضاهية لياء النسبة العربية للتعبير عن الشخص الآشوري وعن الآشوريين فيقال آشوريو، اي آشوري. كما أطلق الاسم على أول عاصمة للآشوريين، وهي مدينة آشور، وعلى الهمم القومي آشور، ولا يعرف بالضبط ايها نسب للآخر.^(١٨) وما يؤكد ان طلائع الآشوريين يؤلفون هم والأقوام الأكديّة في الأصل موجة بشرية واحدة جاءت عن طريق الغرب، ان اللهجة الآشورية القديمة واللهجة الأكديّة القديمة، وكلتاها من لهجات اللغة الأكديّة بمعناها الواسع، تشابهان الى درجة ظن بعض الباحثين بأنه لا بد أن كان الآشوريون قد استقروا في الجنوب الى جانب الأكديين قبل نزوحهم الى الشمال. غير ان هذا الافتراض لا تؤيده الأدلة الآثارية في حين يمكن تفسير التشابه بين اللهجتين بالتخادهما من أصل

الناحية التاريخية فاستيعض عنها بمصطلح "الأقوام العربية القديمة" أو "الأقوام الجزرية" أو "أقوام شبه الجزيرة العربية"، وينسحب ذلك على تسمية اللغات الخاصة بها أيضاً.^(١٦)

تكلم الآشوريون لهجة من لهجات اللغة الأكديّة سميت باللهجة الآشورية ويميز الباحثون اللغويون ثلاث لهجات آشورية رئيسة استخدمت في العصور الآشورية الثلاث الرئيسة هي اللهجة الآشورية القديمة Old Assyrian واللهجة الآشورية الوسيطة Middle Assyrian واللهجة الآشورية الحديثة New Assyrian^(١٧) كما سيفصل ذلك في مكان آخر. أما وسيلة التدوين التي استخدمت لتدوين اللهجات الآشورية فهي الكتابة المسماة التي كان قد ابتدعها السومريون وطورها الأكديون والبابليون وأقتبسها الآشوريون وأضافوا إليها ما وجدوه ضرورياً لتدوين لهجتهم بواسطتها.^(١٨)

بلاد آشور في العصرين الأكدي والسومري الأخير:

شهد القسم الجنوبي من العراق الذي كان يعرف ببلاد سومر وأكد، ثم بلاد بابل، نشوء وتطور أولى الأنظمة السياسية وأولى دول المدن وذلك في الفترة التي اصطالحنا على تسميتها بعصر فجر السلالات والتي تقع بين حدود ٢٨٠٠ وحتى قيام الدولة الأكديّة عام ٢٣٧١ ق.م.

تميزت هذه الفترة، كما سبق وألحنا إلى ذلك، بقيام عدد من الدول السومرية التي كان مركز كل منها إحدى المدن الرئيسة. لذا عرفت الفترة كذلك بعصر دول المدن، وقد عاصر بعضها بعضاً أحياناً كلاً أو جزءاً واقتسمت الدول المتعاصرة حكم المنطقة وتنافست للسيطرة عليها. وكان السومريون يؤلفون العنصر الرئيس المهيمن على تلك الدول سياسياً وحضارياً. وامتدت تأثيراتهم الحضارية إلى خارج حدود بلاد سومر ووصلت إلى الأقسام الوسطى والشمالية من العراق حيث وجدت دلائل

تلك التأثيرات في الآثار المكتشفة في كل من نينوى وآشور وبته كورا وغيرها، كما أشير إلى ذلك. إلا أن واقع التجزئة والانقسام هذا لم يكن يتفق ومصالح المنطقة العامة والمشاركة السياسية والاقتصادية مما ولّد شعوراً عاماً لدى القادة والملوك الأوائل بضرورة وحدة أرض الرافدين. وقد ترجم هذا الشعور منذ عهد لوجال زاجيزي. حاكم مد ينة أوما من أواخر عصر فجر السلالات بمحاولات جادة نحو توحيد دول المدن المتنافسة وتأسيس دولة واحدة تهيمن على المنطقة. وقد نجح لوجال زاجيزي بضم عدد من الدول السومرية وتوحيدها في مطلع القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد بل إن كتابات لوجال زاجيزي نفسه تشير إلى أنه امتد بنفوذه إلى خارج حدود بلاد سومر وربما وصلت مملكته بمحدودها، كما ادعى، «من البحر الأسفل إلى البحر الأعلى» أي من الخليج العربي إلى البحر المتوسط.^(١٩)

ولم تقص سوى خمس وعشرين سنة على حكم لوجال زاجيزي حتى ظهر زعيم آخر أقوى عزيمته وأصلب عوداً، كانت الأقدار قد هيأته لإكمال وحدة أرض العراق وتأسيس أول امبراطورية عرفها التاريخ القديم، ذلك هو سرجون الأكدي الذي ظل اسمه بارزاً واسطعاً على مر العصور ومقرنا بالقوة والمقدرة السياسية والعسكرية إلى درجة تسمى بها أكثر من ملك من الملوك الآشوريين بعد قرون عدّة. وكان سرجون ينتمي إلى الأقوام الأكديّة التي جاءت أصلاً، وربما في الفترة نفسها التي جاءت خلالها الأقوام الآشورية، من شبه الجزيرة العربية عن طريق بلاد الشام، ويعد أن تمكن سرجون من ضم الدول السومرية بما فيها مملكة لوجال زاجيزي، إلى حدود مملكته المتنامية «غسل أسلحته في البحر الأسفل» على حد تعبيره توجه نحو الغرب والشمال حيث ذكر أنه وصل إلى كل من مدينة إتو (Itu) (هيت) وماري (Mari) (تل الحريري) وجبال الأرز (جبال أمانوس) وجبال الفضة (جبال طوروس) ويارموقي (Yar-muti) (ميناء إلى الجنوب من جبيل) ومدينة أيبلا

(تل مردوخ في شمال سوريا). أي انه امتد بنفذه على طول نهر الفرات وحتى شمال سوريا وربما وصل بنفذه الى بعض جزر البحر المتوسط ايضاً. (٢٠) اما بالنسبة الى بلاد آشور؛ فيبدو ان سرجون كان قد ضمه الى حدود مملكته في وقت مبكر من حياته السياسية، حيث اظهرت التقييات التي أجريت في كل من مدينة نينوى وآشور انها كانتا من المراكز الادارية التابعة للدولة الاكدية، ولا سيما مدينة آشور. كما ان السياسة العامة التي اتبعها الملوك الاكديون، وفي مقدمتهم الملك سرجون، كانت تتضمن ضم جميع المدن والأقاليم الواقعة في المنطقة وتوحيدها في دول مركزية واحدة تدار من العاصمة اكد. وهناك اشارات في احد نصوص الفال الى وصول سرجون الى بلاد



قناع من البرونز لرأس ملك عثر عليه في مدينة نينوى

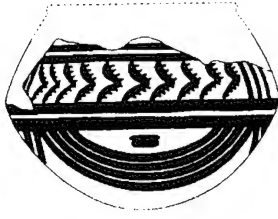
نصوصاً وآثاراً تدل على ذلك. فقد تم الكشف في نينوى وآشور عن أبنية وآثار مكرسة للملوك الأكديين في حين قام بعض الملوك الأكديين أنفسهم بتشيد بعض الأبنية. وربما قام رموش خليفة سرجون بتشيد مدينة تحمل اسمه على بعد بضعة كيلومترات الى الشمال من مدينة نينوى (٢١). وفي مدينة نينوى كشف عن بقايا معبد كان قد شيده مانشتوسو حفيد سرجون من أجل الآلهة عشتار؛ كما يستدل على ذلك من نص متأخر يعود الى الملك الآشوري شمشي-إدد الأول (١٨١٣-١٧٨١ ق.م) الذي ذكر عند ترميمه المعبد، بأن المعبد كان قد شيّد في عهد مانشتوسو، وعثر في معبد الآلهة عشتار في آشور على كتابة ملكية نقرا فيها: «انتبي، الايشاكّو بن انين-لايبا، كرّس هذه الى الآلهة عشتار من غنائم جاسور». ويشير هذا النص الى ان آشور كانت قد اتخذت قاعدة انطلاق عسكرية في العصر الأكدي الى المناطق المجاورة. اما جاسور فتتمثل المدينة التي عرفت فيها بعد باسم نوزي والواقعة قريباً من كركوك. كما تشير الرقم المكتشفة في جاسور الى أنه كان في مدينة آشور عدد لا بأس به من الأشخاص الذين يحملون أسماء أكديّة (٢٢) مما يؤكد وقوع بلاد آشور ضمن حدود الدولة الأكديّة ونفوذها. كما عثر في آشور على رأس رمح من البرونز مكرّس للملك مانشتوسو عليه نص مسماري يقول: «مانشتوسو، كيش، ازوزو، خادمه، قدّم هذا تكريساً للاله» (٢٣) وكان ازوزو أحد التابعين الذين يحكمون في آشور باسم الملك مانشتوسو وقد ورد ذكره في جداول الملوك الآشوريين المكتشفة في خورصباد (دور شروكين) على انه الملك الثالث عشر من اولئك الملوك السبعة عشر الاوائل الذين كانوا مايزالون يعيشون في الخيام. (٢٤)

ومن الآثار المهمة التي ترقى بتاريخها الى العصر الأكدي بقايا قصر كشف عنه في مدينة آشور يشبه من حيث التخطيط والطراز القصر الأكدي

سويارتو (٢٥)، وقد استخدم الاسم هنا للدلالة على أعلى وادي الرافدين وربما تضمن بلاد آشور ايضاً. ويتأكد وقوع بلاد آشور ضمن حدود الدولة الأكديّة في عهد خلفاء سرجون الذين تركوا لنا



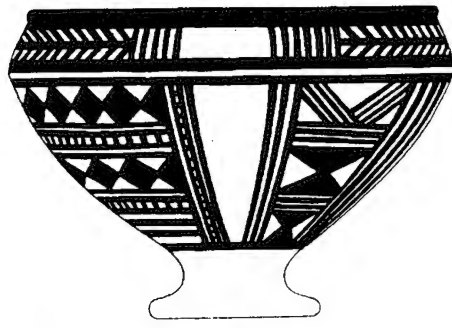
1



2



4



3



5



6

نماذج من الفخار المعروف بنينوى • (بداية الألف الثالث قبل الميلاد)

غدث فيه نينوى وآشور، وربما اربيل وبقية المدن في بلاد آشور، جزء من هيكل سياسي واحد ذي سلطة مركزية واحدة، وإن كان مقر تلك السلطة خارج بلاد آشور نفسها، يمثل أول خطوة نحو وحدة بلاد آشور وقيام مملكتها في الفترات التالية التي تركزت حول المدينتين الرئيسيتين نينوى في الشمال وآشور في الجنوب.

وقد أصاب بلاد آشور إبان الغزو الكوتي لوادى الرافدين ما أصاب بلاد سومر وأكد. وكشفت التنقيبات التي أجريت في مدينة آشور ونيوى عن آثار التخريب والتدمير الذي قام به الكوتيون في المدن العراقية كافة. ومع ذلك ليس هناك ما يشير إلى أن بلاد آشور كانت ضمن المنطقة التي وقعت تحت تسلط الغزاة الكوتيين المباشرين، بل يبدو أن الكوتيين كانوا قد انسحبوا إلى الجنوب بعد أن نهوا وسلبوا ودمروا المدن الآشورية وتمركزوا في بلاد أكد تاركين بلاد سومر في أقصى الجنوب

الذي كان قد بناه نرام-سين في تل براك على نهر الخابور مما يشير إلى أن القصر يعود للفترة نفسها^(٢٦). ولابد من الإشارة هنا إلى القناع البرونزي الذي عثر عليه في مدينة نينوى، وبظن أنه يعود إلى الملك سرجون أو إلى حفيده نرام-سين، استناداً إلى أسلوب صناعته وملامح الوجه الظاهرة عليه،^(٢٧) وإن كان هناك من ينسبه إلى العصر البابلي القديم. كما تم العثور في السنوات الأخيرة في أثناء فتح أحد الطرق العامة في محافظة دهوك قرب قرية باسطكي على شمال شاب جالس القرفصاء مصنوع من البرونز وقد فقد الرأس والجزء العلوي من الجسم، وهو أصغر حجماً من الحجم الطبيعي وعليه كتابة تذكر اسم الملك نرام-سين.^(٢٨)

وهكذا تؤكد الآثار المكتشفة في كل من نينوى وآشور والمناطق المجاورة إلى أن بلاد آشور أصبحت جزءاً من الدولة الأكديّة، ولعل هذا الوضع الذي

ويلاذ آشور في الشمال خارج حدود سلطتهم المباشرة.^(٢٩) ومرت على العراق فترة مظلمة دامت أكثر من مائة عام، كان العراقيون خلالها، من سومريين وأكديين وآشوريين، ينتظرون الفرصة للتخلص من التسلط الكوفي الذي دمر كل شيء. وكان أن ظهر زعيم سومري في مدينة الوركاء، وهو اوتوحيكال، استطاع أن يجمع شمل مواطني سومر وأكد ويعد العدة لطرد الأقوام الكوتية، فكانت محاولته الناجحة هذه وبحق أول حرب للتحرير شهدها العالم القديم، وكانت هزيمة الملك الكوفي تريقان وفراره من أرض المعركة نهاية لفترة التسلط الكوفي في بلاد أكد.

وقد خلّد اوتوحيكال انتصاره هذا على وثيقة مهمة دعاها الباحثون المعاصرون بوثيقة النصر^(٣٠). وبعد أن تم طرد الكوتيين ظهر زعيم سومري آخر في مدينة اور، وهو أور نّمُو Ur-Nammu، قام بتأسيس سلالة جديدة في اور، عرفت لدى الباحثين المحدثين بسلالة اور الثالثة، مدت سلطتها على جميع بلاد سومر وأكد. وقد اتبع اور-نّمُو السياسة نفسها التي اتبعها سرجون الأكدي من قبل، فعمل على إعادة وحدة البلاد وضم جميع المدن والأقاليم التي كانت الدولة الاكديّة قد وحدتها وضمّتها الى حدودها. وهكذا غدت مدينة اور عاصمةً لإمبراطورية واسعة تمتد، على غرار الامبراطورية الأكديّة، «من البحر الأسفل الى البحر الأعلى» ومن بلاد عيلام الى بلاد الشام، وتميزت الدولة الجديدة بدقة تنظيمها وإدارتها المركزية المطلقة. وكان حكام المدن والمقاطعات يعينهم الملك نفسه ويقولون بين الحين والآخر الى أماكن أخرى كي لا يعقدوا لهم علاقات قوية مع السكان المحليين وبالتالي يعملوا على الترد والعصيان ضد السلطة المركزية متى شعروا بقوتهم. استمرت اور في إدارة إمبراطوريتها الواسعة لفترة تزيد عن مائة سنة (٢١١٣-٢٠٠٦ ق.م). وكانت آخر السلالات السومرية الحاكمة.^(٣١)

ومن الطبيعي أن تقع بلاد آشور، كغيرها من الأقاليم، ضمن حدود إمبراطورية اور، غير أن معلوماتنا عن تطورات الأحداث، ولاسيما في عهد مؤسس السلالة، في بلاد آشور قليلة جداً، وهناك اشارات من عهد شولجي، خليفة اور-نّدل على أنه واجه بعض الصعوبات في حفظ الأمن والنظام في القسم الشمالي من العراق، أي بلاد سوبارتو الذي ربما ضم بلاد آشور أيضاً. ففي بعض الرسائل التي تأدّها شولجي مع بعض موظفيه، يظهر أن أحدهم، وهو المدعو ارمو، كان قد أرسل رسالة الى سيده يخبره فيها بأن هناك زعيماً سوبرياً، أي من بلاد سوبارتو، اسمه اويلا، كان قد نصب نفسه ملكاً على المنطقة وأحاطها بجيش قوي وجلس على العرش. وفي الرد على الرسالة كتب شولجي يحث موظفه ارمو على وجوب فرض الطاعة والولاء له في المنطقة ويضع اللوم على أعضاء المجلس المحلي الذين لم يضعوا حداً لثل هذه التصرفات^(٣٢). كما أن هناك نصاً آخر من أحد الحكام من حدود عام ٢٠٤٠ ق.م يشير الى أن آشور كانت تحت سلطة اور وكذلك مدينة اربيل إذ تؤكد بعض الوثائق الاقتصادية المؤرخة في السنة التي فتحت فيها اربيل ذلك. في حين ذكر نص سومري آخر من الفترة نفسها اسم الحاكم العسكري الذي عين من قبل ملك اور على مدينة اربيل^(٣٣). وفي أثناء التنقيبات التي أجريت في مدينة نينوى، كشف عن معبد كان قد شيده الحاكم زريقوم، الذي ربما كان حاكماً في مدينة سوسا، في بلاد عيلام قبل ذلك ثم نقل الى بلاد آشور، للالهة عشتار «سيدة القصر» من أجل سيدة امار-سين ملك اور.^(٣٤)

ثم بدأت قوة اور تنهار وتضعف تدريجياً خاصة بعد تدفق الأقوام الامورية من الغرب والشمال الغربي. وفي حدود عام ٢٠٠٦ قبل الميلاد انهارت اور أمام غزو الأقوام الميلاية المسلحة القادمة من الشرق، وتمكنت آشور من الاستقلال عن سلطة اور حيث أن هناك نصاً يشير الى أن الملك أو

- طه باقر، المصدر السابق، ص ٧٦.
- (١٢) حول هجرة الاقوام الامورية الى وادي الرافدين وتأسيسها عدد من السلالات الحاكمة، انظر: Edzard, D.O., Die Zweite Zweischzeit Babylonians, 1957.
- (١٣) ورد اسم المدينة بصيغة A-sur و A - šu - ur وكب الاسم بشين واحدة ثم بشين مضعفة (منذ عهد آشوروالاطالاري في القرن الرابع عشر قبل الميلاد) كما كتب بصيغة AN.SAR (انظر: Borger, R., Assyrische - Babylonischen Zeichens Liste, p. 55.
- اما في النصوص الاكديّة، فقد ورد الاسم بشين مضعفة (انظر: Grayson, A.K., The Empire of Sargon of Akkad, 25, Toronto, 1974, p. -9.
- (١٤) يلدون المرجع ان الاسم اطلق على المدينة، او البلاد، اولاً ثم شاع استخدامه وسمي به الاله القومي للاشوريين اذا ما أخذنا بنظر الاعتبار ان معظم الاقوام التي سكنت وادي الرافدين سميت باسماء منسوبة الى مدنها الرئيسية (مثل الاكديين والبابليين نسبة الى مدنتي أكد وبابل) او الى اسم البلاد (مثل السومريين نسبة الى بلاد سومر) وكذلك العيلاميين نسبة الى بلاد عيلام. كما تجدر الاشارة هنا الى الشبه الواضح بين اسم A-sur واسم مدينة نوزي القديم Gasur ولعل كلاهما يعودان الى لغة قديمة واحدة استخدمت هذه الصيغة المشابهة للدلالة على مواقع او اماكن جغرافية.
- (١٥) حول الهجرات الميرية القديمة (الجزرية) انظر: طه باقر، المصدر السابق، ص ٦٦ وما بعدها، سامي سعيد الاحمد، اللغات الجزرية، بغداد، ١٩٨١، ص ٤ وما بعدها.
- (١٦) حول التسمية القديمة والمقترحات الحديثة لا بداهلها، انظر: طه باقر، المصدر السابق، ص ٦٥ - ٦٧، عامر سليمان، محاضرات في التاريخ القديم، القسم الاول، موصل، ١٩٧٨، ص ٩٨ - ١٠٠، سامي سعيد الاحمد، المصدر السابق، ص ٣ - ٥.
- (١٧) انظر: Von Soden, Grundriss der Akkadischen Grammatik, Roma, 1954, p. 2 - 4.
- (١٨) انظر: عامر سليمان. التراث اللغوي في حضارة العراق، ج ١، بغداد، ١٩٨٥، ص ٣٠٠ - ٣٠٣.
- بهيبة خليل اسماعيل، الكتابة المشابرة في حضارة العراق، ج ١، بغداد، ١٩٨٥، ص ٢٢١ - ٢٢٧.
- (١٩) انظر: صموئيل كيرمر، السومريون، شيكاغو، ١٩٦٤، ترجمة: فيصل الوائلي، ص ٧٧ - ٧٨.
- (٢٠) Gadd, G.J., Cambridge Ancient History, Cambridge, 1971, Vol, part, 2, p.427.
- (٢١) انظر: نجة من الباحثين الاوربيين، الشرق الاذن، المحاضرات المبكرة، ترجمة: عامر سليمان، ص ١١٢.
- (٢٢) المصدر السابق، ص ٣٢٢.

الحاكم كيكيا كان قد شيد اسوار مدينة آشور ويمكن تأريخ حكم كيكيا، بعد الأخذ بنظر الاعتبار ماورد في جداول الملوك الاشوريين، قبل عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد بفترة وجيزة. ومع ذلك، فان التنقيبات التي اجريت في آشور تشير الى ان اسوار المدينة كانت قد شيدت قبل ذلك بقرون عدة وربما كانت الاشارة في النص الى اعادة بناء الاسوار وترميمها بعد ان تمكنت آشور من الاستقلال عن نفوذ اور في اواخر الالف الثالث قبل الميلاد.

الهوامش

- (١) حول هذه الرقعة انظر: Driver, G.R., Semitic Writing from Pictograph to Alphabet, Oxford, 1948, third edition, pp. 3 - 7.
- (٢) لقد اعتمدنا في تثبيت تاريخ العصور العراقية القديمة على المدرسة التي اعتسدها ساكر في كتابه عظمة بابل، لندن، ١٩٦٢، ترجمة: عامر سليمان.
- (٣) انظر: المصدر السابق، ص ٥٠ وما بعدها، طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، بغداد، ١٩٧٣، ص ٢٥٢ - ٣٤٩، جورج رو، العراق القديم، ترجمة: حسين علوان حسين، بغداد، ١٩٨٤، ص ١٧٨ - ١٩٨.
- (٤) انظر: حول فخار نينوى 5 Mallowan, M.E., "Vorderasiatische Archäologie", Berlin, pp. 142 - 153.
- صباح عيود، فخار نينوى ٧، سومر ٣٣، (١٩٧٧)، ص ١٨ - ٢٤.
- (٥) انظر: فالتر اندرية، معابد حشائر القديمة، ترجمة: عبدالرزاق كامل، موصل، ١٩٨٧، ص ٣٦ - ٤٣.
- (٦) المصدر السابق، ص ٤٤ وما بعدها.
- (٧) حول التنقيبات التي اجريت في موقع تبة غورا. انظر: Tobler, A., Excavations at Tepe Gawra, Philadelphia, 1950.
- Saggs, H.W.F., The Might that was Assyria, London, 1984, p.17.
- Tobler, op.cit.,
- (١٠) حول التنقيبات التي اجريت في المواقع الكثيرة التي ستفهرها مياه سد صدام والتي كشفت عن بقايا استيطان الانسان العراقي القديم في هذه المواقع في عصور قبل التاريخ، انظر: بحوث آثار حوض سد صدام وبحوث أخرى، المؤسسة العامة للآثار والتراث، وزارة الثقافة والاعلام، موصل، ١٩٨٧.
- (١١) حول سوارثو والسوريانيين، انظر: Gelb, J., Hurrians and Subarians, Chicago, 1944, p. 108 ff., Finkelstein, JCS, 1955, pp. 1 ff.,

- (٣٠) فاضل عبدالواحد، أقدم حرب تحرير عرفها التاريخ، سوبر، ١٩٧٤، ص ٥٧-٥٤.
(٣١) انظر: هاري ساكر، عظمة بابل، ص ٧٤-٧٧. طه باقر، المصدر السابق، ص ٣٧٨-٤٠٠، وكذلك صمويل كزيمر، المصدر السابق، ص ٩٠-٩٣.
(٣٢) سامي سعيد الأحمد، المصدر السابق. ص ١١٥.
(٣٣) Saggs, Op. Cit, P. 27.
(٣٤) سامي سعيد الأحمد، المصدر السابق، ص ١١٠.

- (٢٣) سامي سعيد الأحمد، العراق القديم، ج٢، بغداد، ١٩٨٣، ص ٤٠.
(٢٤) Gadd, Op. Cit.p. 434.
(٢٥) Saggs, Op. Cit. p. 19.
(٢٦) الشرق الأدنى، المصدر السابق، ص ١٣٢.
(٢٧) سامي سعيد الأحمد، المصدر السابق، ص ٣٨.
انظر: Mallawon, Iraq, III (1936), p. 104, ff.
(٢٨) طارق مظلوم وفوزي رشيد، سوبر، ٣٢، ص ٤١-٥٨.
(٢٩) Smith, S., Journal at Royal Asiatic Society, 1932,

منطقة الموصل في الألف الثاني قبل الميلاد

أ.د عامر سنيان

اتسمت بالتجزئة وتعدد مراكز القوى بعد أن كانت موحدة وتحت سلطة دولة مركزية قوية، كما اتسمت الفترة بتدقق الاقوام الامورية^(١) (العربية القديمة) القادمة من الغرب عن طريق نهر الفرات وتأسيسها عدداً من السلالات الملكية المحلية في مختلف ارجاء العراق كانت منها مملكة في آشور الواقعة في منطقة الموصل الحالية. وكان الصراع بين تلك الممالك مستمراً للسيطرة على المنطقة، وكانت الأحلاف تعقد أحياناً بين عدد منها لمواجهة اية مملكة تظهر من القوة ما يهدد الممالك الاخرى حتى تهبأت الفرصة امام ملك بابل الشهير حمورابي (١٧٩٢-١٧٥٠ ق. م) لاعادة توحيد البلاد واقامة دولة مركزية قوية تضاهي، بأسلوب ادارتها وامتداد نفوذها وسيطرتها، امبراطورية مرجون الاكدي وامبراطورية اور الثالثة. وقد ضمت مملكة حمورابي جميع الممالك التي كانت قائمة آنذاك، وكان من بينها مملكة آشور التي كان شمشي - ادد الاول (١٨١٣-١٧٨١ ق. م) الذي توفي في السنة العاشرة من حكم حمورابي، ابرز ملوكها. وظلت بلاد آشور جزءاً من الدولة التي اقامها حمورابي الى ما بعد وفاته، ثم استقلت في عهد

استعرضنا في الصفحات السابقة احوال منطقة الموصل في فجر التاريخ وحتى نهاية سلالة اور الثالثة في اواخر الألف الثالث قبل الميلاد ومطلع الألف الثاني ويتطرق هذا الفصل الى الاوضاع التي عمت المنطقة خلال الألف الثاني قبل الميلاد وحتى اواخر القرن العاشر قبل الميلاد، وهي الفترة التي برز فيها الآشوريون كقوة سياسية. وقامت فيها مملكتهم ونمت، وعرفت باسمهم المنطقة. ويميز الباحثون في هذه الفترة عصرين رئيسيين هما: العصر الاشوري القديم الذي امتد حتى اواسط الألف الثاني قبل الميلاد، ويليه العصر الآشوري الوسيط الذي يشغل مائتي من الألف الثاني وحتى بداية العصر الاشوري الحديث في حدود ٩١١ ق. م. كما هو متفق عليه بين معظم الباحثين.

أولاً: العصر الآشوري القديم Old Assyrian Period

كانت نهاية سلالة اور الثالثة على ايدي الاقوام العيلامية الغازية القادمة من الشرق حدثاً بالغ الاهمية بالنسبة الى تاريخ العراق القديم عامة، حيث دخل العراق بعد ذلك مباشرة في فترة

اخبار الملوك والحكام الاوائل في بلاد آشور، الا انه لايمكن الأخذ بما جاء فيها على علته دون تدقيق وتحصيص ومطابقة ماورد فيها مع مالدينا من معلومات مستقاة من مصادر اخرى .

وبالنسبة للقسم الاول من هذه الجداول ، والذي تضمن اسماء الملوك والحكام الذين تعاقبوا على عرش مملكة آشور حتى بداية حكم شمشي - ادد الاول ، الذي تعرف تاريخه بصورة شبه اكيدة ، فقد ذكرت الاسماء بأربع مجاميع ذكرت الاولى سلسلة من سبعة عشر ملكاً وصفوا بأنهم كانوا لايزالون «يعيشون في الخيام» ، ولعل في ذلك اشارة الى اصولهم البدوية عندما كانوا قبائل متنقلة دخلت وادي الرافدين من الغرب عن طريق نهر الفرات. ويؤكد ذلك تطابق اسماء الملوك الاثني عشر الاولى مع سلسلة الاسماء التي ذكرت النصوص البابلية بانها تمثل اسماء اجداد الملك حمورابي^(٣) الذي عاصر شمشي - ادد في سنوات حكم شمشي - ادد العشر الاخيرة. وهذا يشير الى ان اصول كل من السلالة البابلية والسلالة الآشورية ترجع الى القبائل الامورية ، فضلاً عن ذلك فان بعض هذه الاسماء ذات صياغة كنعانية .

اما المجموعة الثانية من الملوك فقد ضمت عشرة ملوك ذكر بأنهم كانوا «الملوك الاسلاف» او «الاجداد» ، وتتبع ذلك مجموعتان تضم كل منها اسماء ستة ملوك ثم يعقب ذلك اسم الملك شمشي - ادد .

ومما يلاحظ من تدقيق عدد الملوك المذكورين ان المجموعات الاربع ضمت تسعة وثلاثين ملكاً في حين ان الاسماء المذكورة هي ثمان وثلاثون ملكاً حكوا قبل شمشي - ادد وان الاختلاف ناتج عن ذكر احد الملوك مرتين في نهاية مجموعتين مختلفتين وان هذه الحقيقة بحد ذاتها تقلل من قيمة ودقة الجداول التاريخية .^(٤)

وقد سلسلت اسماء الملوك السبعة عشر في المجموعة الاولى حسب تعاقب حكم الملوك وذكر

احد خلفائه واقامت لها سلالة محلية لم يكن لها شأن كبير في الشؤون الدولية . وقد تعارف الباحثون على تسمية الفترة الواقعة بين نهاية سلالة اور الثالثة في حدود ٢٠٠٦ ق. م. وأواسط الالف الثاني قبل الميلاد بالعصر الآشوري القديم ، في حين سميت الفترة البابلية المقابلة لها تقريباً بالعصر البابلي القديم . ونظراً لطول الفترة الزمنية التي استغرقتها العصر الآشوري القديم . والتي تجاوزت خمسة قرون ، ولتباين الظروف السياسية والعامة من وقت لآخر ، لذا فإن الحديث سيمتد بين ثلاث مراحل من تاريخ الآشوريين في هذا العصر، تضم المرحلة الاولى الفترة السابقة لحكم شمشي - ادد الاول ، اما المرحلة الثانية فتشمل فترة حكم شمشي - ادد في حين تشمل المرحلة الثالثة الفترة التالية لذلك وحتى نهاية العصر الآشوري القديم .

ومن المؤسف حقاً ان معلوماتنا عن بلاد اشور في المرحلة الاولى من هذا العصر قليلة جداً . ولا يمكن ان تقارن بما لدينا من معلومات غزيرة عن بلاد بابل في الفترة ذاتها ، كما انها تعتمد اساساً على ماورد في بعض النصوص المسارية ، ومنها جداول الملوك الاشوريين Assyrian King Lists وبعض النصوص التذكارية التي دونت في فترة متأخرة نسبياً ، وكذلك على مايمكن استنتاجه من النصوص المسارية المكتشفة في اقليم كبدوكيا في آسيا الصغرى والخاصة بالمراكز التجارية الاشورية في ذلك الاقليم . فضلاً عن ذلك ، يمكن الاستعانة ببعض المخطافات المادية من ابنية وملقطات أثرية مكتشفة في المدن الآشورية الرئيسية والتي ترقى بتاريخها الى هذه المرحلة .

أما جداول الملوك الآشوريين^(٥) التي وصلت اليها عدة نسخ منها فهي قائمة تضم اسماء الملوك والحكام الذين تعاقبوا على حكم بلاد آشور منذ الالف الثالث وحتى اواخر القرن الثامن قبل الميلاد ، وهو وقت كتابة الجداول . ومع اهمية هذه الجداول التاريخية باعتبارها مصدرنا الرئيس عن

ماوراء حدود بلاد آشور الاصلية . وقد استخدمت عبارة « ثبت الحرية » مرة أخرى في عهد ابنه ايريشوم الاول حيث ذكر انه « ثبت حرية القضة والذهب والتحاس والقصدير والشعير والصوف والنخالة والتبن »^(٨) . ومن الواضح ان العبارة هنا ذات مضمون اقتصادي ربما يشير الى نوع من الاجراءات الخاصة باعفاء عقود البيع والشراء الخاصة بهذه المواد من الضرائب المفروضة عليها ، فضلاً عن ذلك لدينا نص يعود الى هذا الملك يشير الى قيامه بتوسيع بناية مجمع المعبد وتوسيع سور المدينة الذي كان والده قد شيده . والمرجح ان نشاط وازدهار تجارة بلاد آشور مع آسيا الصغرى كان في عهد هذين الملكين بالدرجة الرئيسية .

تولى على حكم بلاد آشور بعد ذلك عدد من الملوك قليلي الشأن كان ابرزهم سرجون الاول (الآشوري) الذي اتسعت في عهده حدود المملكة ، ثم اعقبته فترة غامضة ومرتبكة الى درجة تمكنت فيها مملكة اششونا في منطقة ديبالى من شن هجوم على بلاد آشور في عهد ملكها نزام - سين الذي ضمها الى حدود مملكته ، وقد ذكرت جداول الملوك الآشوريين اسم نزام - سين على انه أحد ملوكها^(٩) . وظل الوضع كذلك حتى اعتلى العرش الآشوري شمشي - ادد الاول .

المراكز التجارية الاشورية في بلاد الاناضول :

من المكتشفات المهمة الخاصة بالمرحلة الاولى من العصر الآشوري القديم والتي تعد مصدراً رئيساً من مصادر معلوماتنا عن الاشوريين في هذه الفترة النصوص المسارية الكثيرة المكتشفة في اقليم كبدوكيا في بلاد الاناضول . فلقد تم الكشف على هذه النصوص في موقع كول تبة (قانش قديما) من خلال تنقيبات مشروعة وغير مشروعة وتبين انها مدونة باللغة الاكدية بخطها المساري وانها تمثل ارسيفات خاصة بتجار آشوريين كانوا يقيمون خلال القرنين العشرين والتاسع عشر قبل الميلاد في

كل من اوشيا Ushpiya و ايشال Apishal على انها الاخيران في هذه المجموعة . اما المجموعة الثانية ، والتي تضم اسماء الملوك الاسلاف او الاجداد ، فقد نظمت بأسلوب مختلف تماماً حيث ذكر اسم آخر ملوك هذه المجموعة في المقدمة واعقبه اسم ابنه ثم جده وهكذا حتى الجيل الاخير . وفي النهاية يرد اسم ايشال بن اوشيا ، وبذلك يصبح ايشال حلقة الوصل بين المجموعة الاولى والمجموعة الثانية ويعقب ذلك اسماء الملوك في المجموعتين الاخيرين حسب التسلسل^(٥) .

والى جانب جداول الملوك الاشوريين هناك بعض النصوص التذكارية من فترات متأخرة اشار فيها الملوك المتأخرون في اثناء قيامهم بتعمير وترميم المعابد والاسوار الى عدد من الملوك الاوائل الذين سبقهم في تشييد تلك المعابد والاسوار امثال بوزور - آشور الاول ، الذي يظن انه كان على رأس سلالة جديدة ، والذي قام بتشيد اسوار اشور . كما ذكر خلفه شالم - اخوم وبعده على مايرجح الملك ايلو - شوما الذي حكم في حدود ١٩٦٢ - ١٩٤٢ ق . م . اعقبه في الحكم ابنه ايريشوم الاول (١٩٤١ - ١٩٠٢ ق . م) . وجاءنا من عهد الملكين الاخيرين نصوص عديدة معاصرة لحكمهما تشير الى نشاطها في مجال البناء في مدينة آشور ، كتشييد معابد لآشور وادد وعشتار^(٦) . كما يستدل من أحد النصوص ان ايلو شوما كان من القوة والمركز مامكنه من التدخل في شؤون بلاد بابل الداخلية بطريقة غير واضحة لدينا تماماً . فقد ذكر النص ان ايلوشوما « ثبت حرية شعب أكد » مشيراً الى بلاد بابل ، وانه وصل جنوباً الى مدينة اور سالكا الطريق المحاذي لدجلة من جهة الشرق^(٧) . ومهما كان المعنى الدقيق والحقيقي لهذا النص ، اهو تخليد لذكرى انتصار عسكري حققه الملك الاشوري على بلاد بابل ام انه ذو علاقة بالرحلات التجارية بين بلاد بابل وآشور ، فانه يشير دون شك الى قوة الملك الآشوري وامتداد نفوذه وعلاقاته الى

كول تبة اربع طبقات سكنية ، او ادوار ، تمثل اربعة اجيال مرت على الموقع قبل ان يضمحل ويتوقف فيه النشاط التجاري نهائياً . اما الدوران الاول والثاني من الاسفل فلم يعثر بين بقاياها على اي نص مساري وربما يقابلان من حيث الفترة الزمنية عهدي ايلوشوما (١٩٦٢-١٩٤٢ ق. م) وخليفته ايريشوم (١٩٤١-١٩٠٢ ق. م). وقد ذكر ايريشوم في بعض النصوص المسارية المكتشفة كما ان ما اكتشف في بلاد آشور نفسها يشير الى اهتمام هذا الملك بالتجارة وربما تدخل في بلاد بابل من اجل ذلك، وهذا مادفع بعض الباحثين الى عده المخطط والمؤسس للمراكز التجارية في اسيا الصغرى . اما الدور الثالث فقد زود المنقبين باعداد كبيرة من الرقم الطينية ، بل ان معظم الرقم المكتشفة ترجع الى هذا الدور ثم تعقب ذلك طبقة تشير الى التدمير والتخريب الذي اصاب الموقع ، ربما نتيجة هجوم اقوام جديدة جاءت من الخارج ، فظهر الموقع نتيجة ذلك لمدة تقرب من خمسين سنة ثم استأنف نشاطه ثانية في عهد الملك شمشي - ادد الاول (١٨٣٣-١٧٨١ ق. م)^(١٢) . واخيراً توقف النشاط التجاري في المنطقة نهائياً وربما يؤثر هذا التوقف بداية التغييرات السياسية والعرقية التي تعرضت لها اسيا الصغرى اثر مجي الاقوام الحثية الهندية - الاوربية وقضائها على الدويلات والممالك الصغيرة المحلية التي عاشت المراكز التجارية الآشورية في حايثها .

يستنتج من النصوص المكتشفة انه كان هناك تسعة مراكز تجارية آشورية اخرى في اسيا الصغرى على اقل تقدير اضافة الى مركز قانش غير انه لم يكشف عنها بعد ، كما تشير الى وجود مراكز او محطات صغيرة مساعدة ، وكانت جميع المراكز والمحطات ، ان صحت هذه التسمية ، تقع في وسط وشرقي اسيا الصغرى . ويبدو ان علاقات التجار الاشوريين في هذه المراكز مع الامراء المحليين كانت طيبة وطويلة طالما كانت تجارتهم تدر الارباح الطائلة عليهم وعلى بلاد آشور نفسها وكانت سببا

مدينة قانش وعدد من المدن والمواقع القريبة منها والواقعة شرقي ووسط آسيا الصغرى^(١١) . ومع اهمية هذه النصوص من الناحية الاقتصادية فانها لا تمدنا بمعلومات وافية عن تاريخ الاشوريين واورضاعهم السياسية في آسيا الصغرى او بلاد آشور . ومع ذلك فإن وجود التجار الاشوريين في آسيا الصغرى في هذه الفترة المبكرة من تاريخهم يذكرنا بالحملة التي ذكر ان سرجون الاكدي قام بها الى المنطقة ذاتها قبل اكثر من اربعة قرون من تاريخ هذه النصوص (اي في القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد) لنجدة مجموعة من التجار الاكديين الذين كانوا يعملون ، كما يبدو ، في آسيا الصغرى ثم تعرضوا لظلم الحاكم المحلي فاستغااثوا بسرجون ، ملكهم القوي ، وطلبوا النجدة السريعة منه ، كما تذكر النصوص المسارية^(١١) .

وتؤكد هذه الرواية ، ان صحت ، عمق العلاقات التجارية بين وادي الرافدين وآسيا الصغرى وامتداد جذورها الى اواسط الالف الثالث وربما قبل ذلك . كما يشير نشاط التجارة بين وادي الرافدين وآسيا الصغرى الى تفهم القادة والملوك العراقيين القدماء اهمية تلك التجارة لتغطية النقص الموجود في وادي الرافدين من المواد الخام ، ولاسيما المعادن والاحجار النادرة والاحشاب . لذا كانت التجارة مع الاقطار الاخرى نشطة منذ فترات قديمة جداً ولاسيما مع آسيا الصغرى والساحل السوري وسواحل وجزر الخليج العربي ، وربما وصل نشاط التجار العراقيين القدماء الى ابعد من ذلك .

ولقد بلغ عدد النصوص المسارية المكتشفة في اقليم كبدوكيا اكثر من اربعة عشر الف رقم ، نشرت نسبة لا بأس بها تقدر بحوالي ٢٥٪ منها ، ولا يعرف من خلال هذه النصوص متى بدأ نشاط التجار الآشوريين في المنطقة ، وربما تكشف لنا التفتيات المقبلة عن نصوص اقدم عهداً من النصوص المكتشفة وعن مواقع اخرى اضافة الى موقع كول تبة . وتبين التفتيات التي اجرى في

ومسائل الآشوريين المتطورة في المواصلات والتبادل التجاري وتحديد الاسعار وحساب الارباح والخسائر وتنظيم الشركات والاعمال المصرفية الاخرى المختلفة. كما يبدو ان التجار الآشوريين كانوا يجمعون المواد والبضائع التي يرغبون بارسالها الى آسيا الصغرى في احدى المدن الآشورية الرئيسية وقد يستوردون بعضها من مناطق اخرى، كالقصدير مثلاً، ثم يقومون بتصديرها، وكانت القوافل التجارية تسلك طرقاً نظامية معروفة لدى الادلة وقادة القوافل ومتعهدي النقل، وكانت كل قافلة تتألف من عدد من الحمير المحملة بالقصدير المختوم وفوقه لفائف المنسوجات الجيدة من صناعة بلاد بابل وآشور، مختومة هي الاخرى منعاً لاي تلاعب. وكانت هاتان المادتان من اهم المواد المصدرة الى آسيا الصغرى وكان متعهد النقل يزود عادة بوثيقة مثبت عليها ما يحمله من بضائع ومواصفات تلك البضائع حيث كانت الوثيقة تدقق وتطابق عند الوصول^(١٦).

وكانت المدن والقرى الواقعة على الطريق التجاري تزود القافلة بالمؤن والمواد الغذائية اللازمة للرحلة، وهناك محطة في منتصف الطريق تزود القوافل احياناً بالاجراء والحيوانات.

وتوضح النصوص المكتشفة الى ان الآشوريين الذين اقاموا في هذه المراكز والمحطات لفترة ليست بالقصيرة كانوا يختلطون بالسكان المحليين ويتزوجون منهم، الا انهم ظلوا يتبعون العادات والتقاليد الآشورية ويدينون بالمعتقدات والافكار والمثل الآشورية حيث اقاموا لهم معابد خاصة بهم وقدموا لها القرابين وكانوا ينظرون الى بلاد آشور على انها الوطن الام الذي ينتمون اليه، لذا كانت هذه المراكز اشبه بمراكز اشعاع حضاري انتقل من خلالها العديد من العناصر والمقومات الحضارية الآشورية، وخاصة ما يتعلق منها بالنظم والقوانين التجارية والمالية، الى بلاد الاناضول سيما وان سكان الاناضول المحليين كانوا اقل من الآشوريين حضارة فلم يؤثروا حضارياً بالتجار الآشوريين

من اسباب الرفاه الاقتصادي. كما يبدو ان التجار الآشوريين في هذه المراكز كانوا ممثلين لاسر تجارية آشورية عريقة في تجارتها تقيم في بلاد آشور، وكان الاتصال بينها وبين ممثليها في اسيا الصغرى مستمراً من خلال الرسائل المتبادلة والتي تم الكشف عن مجموعة كبيرة منها. وكانت الهيئة المشرفة على كل مركز تجاري تسمى بالاكديّة كارم Karum، وكان المصطلح يعني اصلاً «جسراً» او رصيف الميناء ثم اتسع مدلول المصطلح ليعني «مكان السوق» الى جانب رصيف الميناء واخيراً اصبح يعني «رابطة تجار [المدينة]»^(١٧). وكان للكارم مكان خاص يقع بالقرب من قصر الحاكم، وكانت وظائف الكارم وواجباته متعددة ومتنوعة، فكان له محاكمه الخاصة حيث كانت تجري فيها المحاكمات استناداً الى القوانين والتقاليد الآشورية، كما كانت هناك محكمة مركزية في قاناش تنظر في القضايا التي قد تنشأ بين التجار انفسهم وحياناً الخصامات التي تقع بينهم من جهة وبين السكان المحليين من جهة اخرى. وبعبارة اخرى، كان الكارم يقوم مقام الغرف التجارية او نقابة التجار في الوقت الحاضر، وكان يرأس الكارم احد التجار البارزين الذين كانوا ينتخبون سنوياً من بين التجار. وقد عثر في قاناش على بعض الرقم الطينية التالفة التي تتضمن بعض المواد القانونية الخاصة بنشاط التجار عرفت لدى الباحثين بالقوانين الآشورية القديمة^(١٨).

وكان من وظائف الكارم الاخرى تسلم البضائع عند وصول القوافل التجارية القادمة من بلاد آشور وتدقيقها ومطابقتها مع القوائم المرفقة معها وكذلك جمع الضرائب والمكوس المفروضة. وكان يتبع الكارم عدد من الموظفين والمراقبين والمفتشين لمراقبة القوافل وجباية الضرائب ومنع التجار من التهرب من دفعها، وفضلاً عن ذلك، كان الكارم يقوم بوظيفة المصرف التجاري للمداينات والقروض والشؤون المصرفية الاخرى^(١٩).

ويظهر من دراسة الرقم المسماة المكتشفة التنظيم الدقيق الذي كانت عليه هذه المراكز

واسرهم في حين كان تأثيرهم بما لدى الآشوريين من مقومات حضارية كبيراً وما استخدام الخط المسماري واللغة الاكدية في جميع المعاملات التجارية في قانش الا مثل من امثلة هذا التأثير.

مملكة شمشي - ادد الاول (١٧) :

يؤشر اعتلاء شمشي - ادد الاول عام ١٨١٣ ق. م. العرش الاشوري بداية مرحلة جديدة في تاريخ الآشوريين السياسي. فقد أصبحت اشور في عهد هذا الملك ولأول مرة مملكة قوية موحدة تضم جميع بلاد اشور الاصلية وتتجاوزها الى المناطق والاقاليم المجاورة الى درجة ان بعض الباحثين سماها بامبراطورية شمشي - ادد الاول (١٨) ، فكانت من القوى المؤثرة في سير الاحداث ليس بالنسبة للدول والممالك القائمة في العراق فحسب بل وكذلك بالنسبة الى الدول والممالك المعاصرة في بلاد الشام وآسيا الصغرى. وقد تحدثت جداول الملوك الآشوريين التي دونت اصلاً في القرن الثامن قبل الميلاد، اي بعد حكم شمشي - ادد بأكثر من الف سنة عن ذلك بالقول :

«شمشي - ادد بن ايلو - كبكي، في عهد نرام - سين ذهب الى كاردونياش... (وعاد من كاردونياش، واخذ مدينة ايكلاتو، وبقي في ايكلاتو لمدة ثلاث سنوات... وذهب من ايكلاتو، وازاح اريشوم بن نرام - سين من على العرش، واخذ العرش» (١٩).

واذا ما اخذنا هذه المعلومات واضفناها الى ما لدينا من معلومات اخرى مستمدة من جداول الملوك الآشوريين نفسها ومن نصوص اخرى يتضح لنا ان شمشي - ادد كان ابن احد الزعماء الاموريين. والاموريين، كما سبق وشرنا، من القبائل العربية القديمة (الجزرية) التي بدأت تتوغل في وادي الرافدين منذ اواخر الالف الثالث قبل الميلاد ووصلت منها مجموعة جديدة بعد اكثر من قرن من وصول المجموعة الاولى الى بلاد بابل وتأسيسها عدداً من الممالك في كل من اشنونا وايسن ولارسا وبابل

وغيرها. وكان شمشي - ادد ملكاً على منطقة تجاور مملكة ماري على نهر الفرات ، وقد ذكرت جداول الملوك الاشوريين ايلوكبكي على انه ابوامينو، آخر ملوك المجموعة الثانية من المجموعات الاربع التي سبقت حكم شمشي - ادد. ويبدو وان امينو كان اخا شمشي - ادد وانه اعتلى العرش بعد والده في حين كان شمشي - ادد انذاك في بلاد بابل ، ربما مبعوثاً عن والده او اخيه لمعالجة بعض الامور الخاصة بالمملكة. ولدى عودة شمشي - ادد الى بلاد آشور، سيطر وهو في طريق عودته، ولايد ان كان يرافقه جيش قوى، على اقليم ايكلاتو Ekallatu الواقع على الجانب الشرقي من نهر دجلة قريباً من مصب نهر الزاب الاسفل من دجلة، وبذلك اصبح من السهل عليه التوجه الى مدينة آشور نفسها. وكانت الفرصة مواتية حيث كانت آشور قد استقلت عن مملكة اشنونا فتمكن شمشي - ادد من ازالة ملكها اريشوم ونصب نفسه ملكاً على اشوركما تذكر ذلك جداول الملوك صراحة (٢٠).

بدأ شمشي - ادد بعد اعتلائه العرش، تنفيذ سياسة محكمة ومدروسة كانت تهدف الى تأسيس مملكة قوية تضم جميع المنطقة الواقعة شمالي بلاد بابل. وتمتدنا النصوص المسارية المكتشفة في مدينة ماري (تل الحريري) على اواسط نهر الفرات بمعلومات غزيرة جداً عن فترة حكم شمشي - ادد وعن سياسته وخططه التي جعلت منه في فترة وجيزة شخصية من الشخصيات البارزة والمؤثرة في المنطقة. وكان يتقاسم السلطة في العراق وبلاد الشام في هذه الفترة عدد من السلالات الامورية التي اقامت لها دولاً وممالك صغيرة في المدن الرئيسة اهمها سلالة بابل الاولى ومملكة اشنونا في منطقة ديبالي ومملكة ماري على نهر الفرات وسلالات ايسن ولارسا اضافة الى مملكة يمحذ في حلب وكركميش وقطنا في شمال سوريا ايضاً وغيرها. وكان يعاصر شمشي - ادد في ماري الملك يمحذ - ليم في حين عاصره في سنواته العشر الاخيرة الملك الشهير حمورابي ملك بابل وكان على شمشي - ادد ان يبني مملكة قوية

التورية والكوتية وغيرها وضد مملكة اشنونا، وكان اعتاده هذا في محله حيث تمكن اشمي - داجان من ادارة شؤون المقاطعة التي عهد بها اليه ادارة كفووه وضمن لايه حماية الحدود الشرقية اما يسمح - ادد فيظهر انه كان اقل كفاءة بمقدرة وقليل التجارب مما اضطر اياه ان يكتب اليه مرات عديدة مؤثماً وموثقاً ومشيراً الى اخيه الاكبر ليكون له مثلاً اعلى للكفاءة والمقدرة حتى انه كتب اليه مرة رسالة مليئة بعبارات التهكم والازدراء قائلاً:

«هل انت طفل وليس برجل؟ أليس لك لحية على ذقنك؟ في حين اخوك هنا منتصر دائماً فانك نائم بين النساء»^(٢٣)، لذا، لم يتمكن يسمح - ادد من اداء المهمة التي عهد بها اليه، وهي مراقبة تحركات الاقوام البدوية القادمة من الغرب والحد من غاراتها المفاجئة على حدود الدولة الاشورية الغربية مما اضطر الملك الاب الى التدخل دوماً لمعالجة مثل هذه الامور وتشير رسائل ماري الملكية الى ان الملك كان يتدخل في جميع الامور، كبيرها وصغيرها، ويبحث بتوجيهاته وتعليماته لمعالجة القضايا المختلفة كما كان يبحث بموظفيه ورسله مفتشاً ومراقباً وموجهاً ومنتظراً اتخاذ الاجراءات التنفيذية السريعة. وكان ذلك يتطلب وجود نظام كفوء للبريد والمواصلات وكان الملك يؤرخ رسائله باليوم والشهر ويثبت احياناً وقت كتابة الرسالة من اليوم^(٢٤). وطبيعي انه كان يعاون الملك في ادارة المملكة كادر ضخم من الاداريين المنتخبين انتخاباً دقيقاً استناداً الى ولائهم وكفاءتهم ومقدرتهم على تنفيذ السياسة المركزية التي كان يرسمها لهم الملك شخصياً.

اما العامل الثاني الرئيس الذي ساعد على بناء المملكة القوية وجعلها من القوى الرئيسة في المنطقة فهو الاحتياطات العسكرية التي اتخذت لمواجهة الاخطار والتحديات ولتساعيد القيام بالتردرات والمؤامرات في الاقاليم النائية حيث وضعت حاميات عسكرية دائمة في المدن الرئيسة وعهد بقيادتها الى من يدينون بالولاء والطاعة للملكهم، وربما كانت

تتمكن من مواجهة هذه الممالك والدول مجتمعة او منفردة، حيث غالباً ما كانت تعقد الاحلاف بين بعضها لمواجهة اي خطر يهددها نتيجة تعاضل قوة احدي الممالك او ظهور قوة جديدة اجنبية. ويبدو ان شمشي - ادد قد استغل فرصة حدوث مؤامرة داخلية في بلاط مملكة ماري انتهت باغتيال الملك يحنن - لم وهرب ولي عهدها زمري - لم الى مملكة ميخد، فامتد بنفوذه الى منطقة ماري والحققها بحدود مملكته^(٢٥). وربما كان له يد في المؤامرة التي اطاحت بملكها طالما كان المستفيد الأول من التغير الذي حدث فيها، ونصب ابنه الاصغر يسمح - ادد نائباً له فيها^(٢٦). وكان لهذه الاحداث اهمية سياسية كبيرة حيث اتسعت حدود الدولة الاشورية باتجاه الغرب اتساعاً كبيراً ووصلت الى اعالي نهر الباليخ.

تمكن شمشي - ادد كما سبق ان الحنا من تاسيس مملكة قوية خلال فترة وجيزة ونجح في مواجهة الاخطار والتحديات المحدقة به من كل جانب نجاحاً كبيراً وقد اجتمعت عدة عوامل ساعدت على نجاحه هذا تاتي في مقدمتها مقدرة شمشي - ادد الادارية وحكته السياسية. فقد كان يضع الخطط المدروسة لمواجهة الاخطار ويعقد الاحلاف ويبنى العلاقات الدبلوماسية مع زعماء وملوك الدول والممالك الاخرى في سبيل كسب جانبها او تحييدها على اقل تقدير في حالة مواجهة دول وممالك اخرى، كما فعل ذلك بالنسبة للممالك القائمة في سوريا، وقد يقوي علاقاته مع بعض الاسر الحاكمة من خلال المصاهرات السياسية والعلاقات الشخصية.

اما ادارة المملكة المتنامية، فكانت بحق ادارة كفوءة تفصح عنها الرسائل الملكية الكثيرة المكتشفة في مدينة ماري والتي تبادلها الملك شمشي - ادد مع ابنه ونائبه في ماري يسمح - ادد. ويظهر ان شمشي - ادد كان يعتمد على ابنه الاكبر اشمي - داجان الذي عينه نائباً له في اقليم ايكلاتو ليكون حامياً لحدوده مع المنطقة الجبلية ضد القبائل

تلك الحاميات بدايات الجيش النظامي الدائم في بلاد آشور.

اما الحملات العسكرية التي كان يقودها الملك الى الجبهات المختلفة فكانت قواتها تجند من سكان المدن والقرى ومن القبائل المتنقلة حيث كان يفرض على كل مدينة او قبيلة عدداً معيناً من الافراد تجب مشاركتهم في الحملة العسكرية ، وكان العدد يتناسب بالطبع وعدد سكان المدينة او المنطقة وكانت تجرى احياناً احصاءات عامة لتثبيت اعداد الرجال القادرين على حمل السلاح . وربما كانت القطعات المجندة تنظم حسب القوميات او الاقاليم التي جندت منها ، وقد تختص كل مجموعة بصنف من صنوف الجيش . وكانت اسماء المجندين تثبت في قوائم خاصة كمي توزع عليهم الارزاق والجرابات التي كانت تعطى لهم بدلاً من الرواتب . وقد يصل عدد افراد القوات المسلحة المشاركة في الحملات العسكرية الكبيرة الى عشرات الالوف حيث ورد ذكر ستين الف مقاتل في الحملة التي وجهت الى نوردكم^(٢٤) . ويرى الآشوريون في وسائل وآلات الحصار واستخدموا طرقاً شتى لاجبار الاعداء على فتح ابواب المدن والتسليم . وكانت تسبق الحملات العسكرية حملات دعائية واسعة واتصالات دبلوماسية مع الملوك والامراء المحليين لضمان تاييدهم للسياسة الاشورية او تخييدهم ومنعهم من الوقوف الى جانب الاعداء . وكان الملك محور الحملة العسكرية حيث يظهر في حركة دائمة قائداً ومخططاً ومفتشاً .

وكانت اهم الحملات العسكرية التي وجهها شمشي - ادد الى الجبهة الشرقية والشالية الشرقية حيث وصل الى جبال زاغروس وفرض سيطرته على المنطقة كما ضم منطقة كركوك (ارابجا قديماً) ومدينة قبارا ونوردكم وتندروكم . وفي الجبهة الغربية ، منطقة زالماتوم ، وهو اقليم حران ، وربما وصل الى سواحل البحر المتوسط حيث ادعى انه ترك نصباً تذكاريّاً هناك واقام علاقات وطيدة مع امراء وممالك الدويلات القائمة في شمال سوريا مثل كركميش وقلطنا^(٢٥) .

وهكذا اصبحت مملكة شمشي - ادد واسعة الحدود والنفوذ تخترقها العديد من الطرق التجارية المهمة التي كانت تدر عليها ارباحاً طائلة ، كما نشطت في هذه الفترة المراكز التجارية الاشورية في اقليم كبدوكيا ، ولو لفترة قصيرة ، بعد توقف دام اكثر من خمسين سنة ، وقد يكون ذلك بسبب شعور التجار الآشوريين بالطمأنينة والامان طالما كان وراءهم ملك قوي في آشور ، الوطن الام ، يتمكن من تقديم المساعدة والحماية اللازمة وقت الضرورة وان كنا لانعرف الى اي مدى كان قد وصل نفوذ شمشي - ادد باتجاه آسيا الصغرى .

وكان شمشي - ادد دائم الحركة والتنقل ولم يستقر في مدينة واحدة ويتخذها عاصمة للملكة ، فكان يقم احياناً في مدينة آشور واحياناً اخرى في مدينة نينوى في حين كان يقضي معظم اوقاته في مدينة شوبات - انليل^(٢٦) الواقعة على اعالي نهر الخابور بالقرب من موقع شهر بازار ، حيث كشف عن ارضيف من النصوص المسارية . ولم يقتصر نشاطه في البناء والتعمير على مكان واحد فشيد معبداً في اشور لآله انليل ورمم معبد الآلهة عشتار في نينوى الذي كان قد بناه الملك الاكدي ماتشوسو اصلاً .

ومع غزارة المعلومات المتوفرة عن شمشي - ادد والتي امدتنا بها النصوص المسارية المكتشفة في مدينة ماري ، وبصورة خاصة المراسلات الملكية ، الا انه من الصعب معرفة تسلسل الاحداث التي وقعت في عهده بصورة اكيدة ، ومن الامور المؤكدة انه حكم ثلاثاً وثلاثين سنة ، وانه اتبع اسلوب تاريخ السنين بواسطة الليمو ، وهو اسلوب تاريخ السنين وتسميتها باسماء الموظفين الذين يتعاقبون على اشغال وظيفة الليمو سنة بعد اخرى في البلاط الآشوري ، بدلاً من تاريخ السنين بواسطة اهم الاحداث ، وهو الاسلوب الذي كان مستخدماً في الفترات السابقة^(٢٨) .

توفي شمشي - ادد وهو في عنفوان قوته ، وكانت وفاته من الاحداث المهمة في المنطقة والتي تركت صدها في الدول والممالك المعاصرة ، مثل مملكة

اشنونا، التي سمت السنة الخامسة من حكم ملكها اباليل الثاني بمحادثة وفاة شمشي - ادد، وربما يشير ذلك الى خضوع اشنونا لاشور او تبعيةها لها بشكل من الاشكال. غير ان اشنونا انقلبت ضد اشور بعد وفاة شمشي - ادد مباشرة وبدأت تهاجم حدود الدولة الآشورية الغربية حيث تشير بعض الرسائل المكتشفة في مدينة ماري الى تقدم جيش اشنونا باتجاه الغرب ووصوله الى رابيقم على نهر الفرات متجهاً الى اعالي نهر الفرات، وقد اרכת السنة الثامنة والتاسعة من حكم اباليل الثاني بتدمير رابيقم وهزيمة جيش سوبارتوخانا، اي بلاد اشور، ولم يتمكن اشمي - داجان، ابن وخليفة شمشي - ادد، من تقديم المساعدة الى اخيه في ماري لانشغاله بمواجهة الاعداء المتريصين في الجبهات الاخرى التي ثارت عليه بعد وفاة والده. ويبدوان يسمح - ادد كان قد اختفى في خضم هذه المشكلات، وربما اخرج من ماري بعد هزيمة حلت بقواته العسكرية وبقات اخيه اشمي - داجان. ومع ذلك، لم يدخل جيش اشنونا مدينة ماري الا ان زمري - ليم، ولي عهد مملكة ماري السابق، والذي كان قد لجأ الى بلاط مملكة ميخدا في حلب، عاد الى ماري واستعاد عرشه، ربما بمساعدة ملك ميخدا يارم - ليم. ونجح اشمي - داجان في المحافظة على بلاد آشور الاصلية فقط، وفقد الاقاليم الاخرى على اواسط الفرات واعالي ما بين النهرين ومنها مدينة شوبات - انليل على الخابور. ودخلت بعد ذلك بلاد آشور في فترة مظلمة وغامضة خاصة بعد ان وقعت كل من ماري وشنونا ضمن حدود مملكة حمورابي ملك بابل، وتشير جداول الملوك الآشوريين الى ان اشمي - داجان حكم اربعين سنة، ربما كتابع لحمورابي حيث هناك اشارات الى ان آشور وقعت هي الاخرى ضمن حدود مملكة حمورابي في السنة الثامنة والثلاثين من حكم الاخير. وظلت آشور تابعة لسلالة بابل الاولى في عهد سمسو - ايلونا الا ان خلفاء حمورابي لم

يمكنوا من المحافظة على حدود المملكة فانسلخت عنها كثير من الاقاليم الحدودية، وربما قامت في بلاد آشور سلالة محلية مستقلة في اواخر القرن الثامن عشر قبل الميلاد، طالما ورد في جداول الملوك الاشوريين اسم الملك اداسي الذي وص، بانه خلص بلاد اشور من العبودية. وتعاقد على حكم اشور، كما تذكر الجداول، عدد من الملوك قليلي الشأن الى درجة لانعرف عنهم شيئاً يذكر بل ولا حتى تسلسل حكمهم وكان من هؤلاء الملوك بوزور - سين وكاشور - داجان واداسي وايرشوم الثالث وشمشي - ادد الثاني واشمي - داجان الثاني وشمشي - ادد الثالث وآشور - نيراري الاول واخيراً بوزور - آشور الثالث الذي ورد اسمه في التاريخ التعاصري^(٢٩)، وقد يؤشر ذلك نهاية مرحلة وبداية مرحلة جديدة تغيرت فيها ظروف بلاد اشور وقد اصطلح على تسمية المرحلة الجديدة بالعصر الآشوري الوسيط.

ثانياً: العصر الآشوري الوسيط Middle Assyrian Period

استمر العصر الآشوري الوسيط ما يقرب من ستة قرون (من اواسط الالف الثاني وحتى بداية العصر الآشوري الحديث عام ٩١١ ق. م)، وهي فترة طويلة شهدت خلالها منطقة الشرق الادنى القديم، وكانت بلاد آشور تؤلف جزءاً مهماً منها، العديد من التقلبات السياسية والعرقية والتغيرات الاجتماعية والاقتصادية. وقد واجهت بلاد آشور خلال هذا العصر تحديات صعبة ومخاطر جسيمة كادت تقضي عليها لولا صمود الاشوريين واصرارهم ومقاومتهم التحديات والاختطارات وظهور عدد من القادة البارزين الذين تمكنوا من انقاذ بلاد آشور من المحن التي تعرضت لها. ومع ذلك فقد انتابت بلاد آشور فترات من الضعف والتدهور ووقعت احياناً تحت الاحتلال الاجنبي المباشر. وحيث كان للظروف الدولية التي مرت بها المنطقة تأثير مباشر على سير الاحداث في

بلاد آشور وتطورها ، لذا كان لابد من المامه سريعة بما كان يجري على الساحة الدولية انذاك لفهم تطور الاحداث الداخلية في بلاد آشور نفسها .

ففي آسيا الصغرى وشمال سوريا ، وهي المنطقة التي تمثل الجبهة الشمالية والشمالية الغربية بالنسبة لبلاد آشور ، كانت الأقوام الحثية ، وهي مجموعة عرقية هندية - أوربية ، قد وصلت المنطقة واصطدمت بالديولات والممالك المحلية الحاكمة وتغلبت عليها تدريجيا ، وقد تمكنت في حدود ١٧٠٠ قبل الميلاد من تأسيس مملكة حثية اتخذت من مدينة خاتوساس عاصمة لها . ونمت تلك المملكة تدريجيا واتسعت حدودها وأمتدت نفوذها حتى شملت منطقة واسعة من شمال سوريا ، إضافة الى آسيا الصغرى ، وأصبحت تهدد الدول والممالك المجاورة وتحدها من نشاطها وكان من تلك الدول والممالك مملكة آشور الفتية ومملكة بابل (٣٠)

وفي حدود عام ١٥٩٥ ق . م ، قام الملك الحثي مرسيليس الاول بهجوم مفاجئ على بلاد بابل سالكا الطريق المخاذي لنهر الفرات ووصل الى مدينة بابل ودخلها ونهب قصورها ومعابدها وربما قتل ملكها مفسحاً بذلك عن نواياه التوسعية والعداوية بالنسبة الى بلاد بابل ، الا أنه عاد وانسحب بسرعة من بلاد بابل اثر سماعه بمحدث مؤامرة داخلية في بلاطة الملكي في خاتوساس انتهت باغتياله قبل وصوله الى العاصمة . ومع ان الحثيين لم يسيطروا على بلاد بابل بل انسحبوا منها فإنهم هياؤا الفرصة للأقوام الكشية القادمة من الشرق لغزو بلاد بابل . وفضلا عن ذلك ، كان للحثيين اثر كبير على الأقوام المجاورة ودفعها للتوغل الى داخل بلاد آشور واقتطاع بعض اجزائها بل ومدّ تلك الأقوام احيانا بالعون المادي والعسكري ، كما كان شأنهم مع الأقوام الحورية في اعالي ما بين النهرين .

الآن ان الخطر الحقيقي والمباشر الذي داهم الدولة الآشورية ، الضعيفة آنذاك ، هو تعاظم قوة الأقوام الحورية Hurrians (٣١) في المنطقة

وتأسيسهم دولة قوية مترامية الاطراف عرفت بدولة ميتاني Mitani ، امتدت بنفوذها من بحيرة وان الى نهر الفرات ومن جبال زاغروس الى الساحل السوري . إن المعلومات المتوفرة عن دولة ميتاني وسيطرتها على المنطقة مستمدة بالدرجة الاولى من النصوص المسارية المكتشفة في مصر في موقع العازنة والتي تمثل المراسلات الملكية التي تبادلها الفرعون المصري اخناتون مع معاصريه من ملوك وحكام الشرق الأدنى القديم ، ولاسيما في بلاد الشام ووادي الرافدين ، المدونة باللغة الأكديّة بخطها المساري العراقي (٣٢) . ويبدو ان الحوريين الذين أقاموا دولة ميتاني كانوا قد جاءوا أصلا من منطقة القوقاز وانتشروا في شمال سوريا وأعالي ما بين النهرين وبدأت قوتهم تنمو حتى تمكنوا من تأسيس دولة قوية تمكنت أخيرا من السيطرة حتى على بلاد آشور ، وأصبحت من القوى الكبرى في المنطقة حيث تفاوض ملوكها مع الملوك الحثيين والمصريين على قدم المساواة . وكانت سيطرة الميتانيين على بلاد آشور في بداية الأمر مقصورة على بعض أجزائها الى أن قام الملك الميتاني سوساتار Susatar (١٤٩٠ - ١٤٣٦ ق . م) بفرض سيطرته الكاملة على بلاد آشور ونهب معابد مدينة آشور (٣٣) . فدخلت بلاد آشور في فترة مظلمة من تاريخها لم يكن فيها اي مركز سياسي بل كانت مجزأة الى عدة ادارات مركزية خاضعة للسيطرة الميتانية ولم نعد نسمع عن أي نشاط عماري لمدة ستة اجيال متعاقبة حيث لم يعثر خلال هذه الفترة على اي نص تذكاري (٣٤) . وكان الآشوريون يقاسون من مرارة الاحتلال الأجنبي ويعملون جاهدين للتخلص منه ، وقد ذكرت جداول الملوك اسماؤه عدد من الملوك الذين تعاقبوا على حكم بلاد آشور ، وأشارت بعض النصوص الى أنهم كانوا اثني عشر ملكا تابعا وخاضعا للنفوذ الأجنبي ثم اعتلى العرش ملك قوى خلّص البلاد من الاحتلال ، ذلك هو آشور - اوبالط الاول .

أما في الجبهة الجنوبية ، فكانت بلاد بابل ، بعد أن غزتها الجيوش الحثية وانسحبت منها ، لقمة

وفي الجهة الشرقية والشالية الشرقية كانت الاقوام الجبلية على اختلافها لانتفك تهدد حدود الدولة الآشورية وتقوم بغاراتها المفاجئة على المراكز الادارية والمدن الحدودية فتقلق راحة السكان وتهدد أمنهم مستغلة بذلك ضعف الحكومة المركزية او انشغالها في جهة اخرى ومستفيدة من سهولة التوغل الى داخل الحدود الآشورية .

في هذه الظروف الدولية الصعبة عاشت بلاد آشور، وفي بداية هذا العصر كانت خاضعة للسيطرة الميتانية ولكنها كانت تعمل للتخلص منها . ويشير احد بنود معاهدة عقدت بين الملك الحثي والملك الميتاني ، ربما في فترة حكم أربيا— أد (١٣٩٢-١٣٦٦ ق.م) ، والد الملك الآشوري الشهير آشور— او بالظ الاول ، الا ان آشور كانت قد اقتطعت جزءاً من الاراضي الميتانية ، أي بعبارة أخرى ان آشور كانت قد استقلت حينئذ عن السيطرة الميتانية (٣٧) . حيث أن الافاق الحقيقية والنهوض الذي شهدته بلاد آشور حدث بعد ان تولى آشور— او بالظ الاول (١٣٦٥ — ١٣٣٠ ق.م) العرش الآشوري ، حيث لم تقتصر جهود هذا العاهل القوي على تخليص البلاد من السيطرة الاجنبية بل أسهم في اسقاط الدولة الميتانية مستغلا الظروف الدولية التي كانت تمر بها المنطقة والاضطرابات الداخلية التي وقعت داخل البلاط الميتاني ومستفيدا من علاقاته الطيبة التي بناها مع كل من المملكة الحثية والمملكة المصرية ، وانقسمت بعد ذلك الدولة الميتانية على نفسها وتأسست دولتان احدهما في اعالي ما بين النهرين عرفت في النصوص الآشورية باسم خانينكليات Hanigalbat والأخرى جنوبي بحيرة وان . وكان العداء مستفحلا بينها . وبعد حكم آشور— او بالظ بداية فترة ازدهار وانتعاش حضاري واقتصادي في بلاد آشور، بل إن بعض الباحثين يعدّ عهده بداية الحكم الامبراطوري حيث اصبحت آشور من القوى الرئيسة في منطقة الشرق الأدنى القديم ، تتعامل مع الممالك الكبرى القائمة آنذاك معاملة الندّ للندّ كما تشير الى ذلك الرسائل

سائفة للأقوام الكشية الجبلية التي كانت تتحين الفرص للانقضاض عليها ، فقامت بغزوها والسيطرة عليها وتأسيس سلالة حاكمة لها في بلاد بابل استمرت في حكمها لفترة طويلة تقرب من اربعة قرون ، الا ان سيطرة الأقوام الكشية الغازية على بلاد بابل اقتصرت على الناحية السياسية والعسكرية ، أما من الناحية الحضارية ، فيظهر ان الكشيين كانوا يعرفون جيدا أنهم دون الاقوام البابلية حضارة وأنهم امام حضارة عريقة راسخة ، لذا فإنهم حاولوا الأخذ من حضارة بلاد بابل والابقاء على جميع النظم والقوانين والتقاليد السائدة واستخدموا اللغة الأكديّة وكتبوا بالخط السامري ولم يضيفوا الى الحضارة العراقية القديمة الا أشياء طفيفة جداً . كما حاولوا ان يمدّوا نفوذهم الى بلاد آشور خاصة بعد أن استقلت عن السلطة الميتانية وحاولت بناء قوتها وتوطيد علاقاتها مع الدول والممالك القائمة آنذاك ومنها المملكة المصرية في عهد ملكها اخناتون . فقد حاول الملك الكشي ان يمنع اقامة علاقات طيبة بين آشور ومصر وكتب الى الفرعون المصري معاتباً اياه لأنه استقبل وفداً آشوريا وعدّ الآشوريين من أتباعه ورعاياه وطلب منه عدم اقامة أي حلف معهم قاتلاً :

«... اما بخصوص بعض الآشوريين من أنباعي ، ألم أخبرك برسالتني بشأنهم ؟ ، فلم دخلوا بلادك ؟ وما انك تحبني فيقيني انك لن تدخل معهم في شيء (من التحالف) وانك ستعمل على احباط سعائهم وجهودهم...» (٣٥) .

وقد اتسمت العلاقات الآشورية— الكشية ببعض المناوشات الحدودية من محاولات التعاض السلمي التي أبداه الملوك الآشوريون والكشيون في مناسبات عدة ، كما تشير الى ذلك معاهدات الحدود التي عقدت بين الطرفين ، وكان اقدمها المعاهدة التي عقدها الملك الكشي بورنا بورياش مع بوزور— آشور الثالث في اواسط الألف الثاني والمعاهدة التي عقدت بعد قرن واحد من تاريخ المعاهدة الاولى . ومع ذلك ، كان الكشيون يؤلفون ضغطاً قوياً على حدود بلاد آشور الجنوبية . (٣٦)

على أمن دولتهم واستقرارها وسيادتها . وكان من بين هؤلاء الملوك ادد — نيراري الاول (١٣٠٧ — ١٢٧٥ ق.م) والذي وصف نفسه بأنه «قاهر الاعداء المتوحشين، جموع الكشيين والقوتيين واللوبيين والسواريين»^(٢٨) .

اما بالنسبة الى مملكة خانيكبات الميثانية المحصورة في اعالي ما بين النهرين فكانت خاضعة للنفوذ الآشوري وعندما اظهر ملكها عداءه السافر للدولة الآشورية ، اوعز ادد — نيراري بتوقيفه وجلبه الى آشور ، حيث ادى قسم الولاء للملك الآشوري وفرض عليه ضريبة سنوية ثم سمح له بالعودة بعد ذلك الى مملكته^(٢٩) . ومرة ثانية تمردت خانيكبات على الدولة الآشورية ، فجهزت حملة عسكرية عليها والحقت اراضيها بمحدود الدولة الآشورية واصبحت مقاطعة من المقاطعات الآشورية^(٣٠) . وفي عهد شيلمنصر الاول (١٢٧٤ — ١٢٤٥ ق.م) ، تظهر قوى جديدة في المنطقة ، أهمها قوة اورارتو Urartu ، وقد ظل الاوراتبون من القوى المؤثرة على الدولة الآشورية طوال العصر الآشوري الوسيط والحديث وكان أول ظهورهم على شكل اتحاد بسيط بين عدد من الامراء والشيخ الاورارتيين في منطقة ارمينيا حيث يذكر شيلمنصر بأنه دمر احدى وخمسين من مدنها وأنه هاجمهم لانهم تمردوا عليه ، اي انه كان يعدمهم من التابعين له ، ثم يعود ويذكر أنه ادخل العديد من شبابهم في خدمته^(٣١) . وكان من أعمال شيلمنصر العمرانية تأسيسه مدينة كلخو (التمرد) عاصمة له والتي أعيد بناؤها ثانية في القرن التاسع قبل الميلاد .

وفي عهد توكليتي — نورتا (١٢٤٤ — ١٢٠٨ ق.م) أصبحت السياسة الآشورية أكثر وضوحاً وثباتاً ، واستمرت النشاطات العسكرية التي كان قد بدأها ابوه وجده على الجبهات المختلفة . ويبدو ان الآشوريين كانوا قد افادوا كثيراً من حملاتهم السابقة في المنطقة الجبلية واكتسبوا خبرة حرية جيدة مكنتهم من اعدائهم في الحملات التالية ،

الملكية المكتشفة في العازنة في مصر . كما حاول آشور — اوبالط ان يحسن العلاقات مع السلالة الكشية الحاكمة في بلاد بابل ويتبع سياسة التعايش السلمي معها فأقام علاقة ودية معها ختمها بمصاهرة سياسية زوّج ابنته من ولي العهد الكشّي ، ولم تلق سياسة التقارب هذه التأييد الكامل في البلاط الكشّي في بابل حيث ما ان توفي الملك الكشّي حتى قامت مؤامرة داخلية اغتيل فيها ولي العهد ونصب بدلا عنه ملك آخر مما اضطر الملك الآشوري للتدخل المباشر وتنصيب حفيده من ابنته ملكا على بلاد بابل . ومع ذلك ، فبعد وفاة آشور — اوبالط ، اندلعت الحرب ثانية بين بابل وآشور وادعى الملك الكشّي بالعرش الآشوري ولم تكن الحرب حاسمة غير انها اضعفت كلا الطرفين ولاسيما بلاد بابل .

ويبدو ان نمو قوة الدولة الآشورية واستقلالها وظهورها قوة مؤثرة في المنطقة أثار الأقوام الجبلية في الشرق والشمال الشرقي وبدأت الاضطرابات والتمردات في المنطقة وأحيانا وصلت الأقوام الجبلية الى مراكز بعض المدن المهمة ، كمدينة نينوى ، مما دفع الملوك الآشوريين بدءاً من آشور — اوبالط ، الى اتباع سياسة حازمة لمواجهة هذه الاخطار وذلك من خلال تجهيز الحملات العسكرية المتتالية الى المنطقة والقضاء بشدة على التمرد والعصيان والحد من غارات القبائل الجبلية على المدن الحدودية وتأمين طرق المواصلات التي هددها تلك القبائل . ومع أن آشور — اوبالط نفسه لم يذكر لنا بأنه قام بحملة عسكرية على المنطقة الجبلية إلا أن نصوص خلفائه أشارت اليها وإلى نجاحها في تثبيت قوة الدولة الآشورية وهيمنتها على المنطقة الجبلية .

توالى على حكم بلاد آشور بعد آشور — اوبالط عدد من الملوك الأقوياء استمر في عهدهم نمو وتزايد قوة الدولة الآشورية ووضوح سياستها ، وكانت بلاد آشور في عهدهم معرضة للاخطار من الجبهات المختلفة ، وكان على الملوك ان يعملوا جاهدين لمواجهة تلك الاخطار والتحديات والحفاظ

وتهدد كيائها ، لذا اتسمت بالقسوة والشدة في قمع القردات والحد من الغارات الحدودية وإيقاف تحركات الاقوام المجاورة ومحاولتها التوسع على حساب الاراضي الاشورية .

ففي الجبهة الشالية ، كانت قد ظهرت اقوام جبلية جديدة هي اقوام المشكي Mushki في منطقة ما وراء طور عابدين كانت تهدد حدود الدولة الاشورية الشمالية ، ومع ذلك ، لم يقم تجلاتيليزر بآية حملة عسكرية ضدها طالما ظلت في مناطقها غير انه سارع الى تجهيز حملة قوية عليها عندما علم بانها بدأت تتوغل داخل حدود الدولة الاشورية بل وغزت اقليم كوموخ الاشوري . ويذكر لنا الملك بانه بعد ان سيطر على المنطقة اخذ ستة الاف من الجند المهزومين اسرى واسكنهم في مناطق اخرى وعدهم من الرعايا الاشوريين كما حصل على عربات حربية وخيول^(١٣) . واستمر الجيش الاشوري باخضاع القبائل والاقاليم التي ساعدت اقوام المشكي في تمردها واغارتها على الاقاليم الاشورية فتوغل الى مناطق بعيدة الى اسيا الصغرى وهناك اشارات الى انه وصل الى مدينة ملاطيا ، كما ترك نصا تذكاريًا على صخرة شمال غرب بحيرة وان وصف الملك فيه بأنه : ” الملك القوى ، ملك العالم ، ملك بلاد اشور ، ملك الجهات الاربع ، فاتح بلاد نائيري من بلاد تومي الى بلاد رانبيو ، فاتح بلاد خانجا الى البحر العظيم “^(١٤) . غير ان المؤسف حقا اننا لا نعرف مكان المواقع الجغرافية الواردة في النص بصورة دقيقة . ويبدو ان تجلا تيليزر كان يهدف من وراء حملاته العسكرية الى تحقيق هدفين . الاول تأمين امن وسلامة حدود الدولة الشمالية والدفاع عنها ضد القبائل والاقوام الجبلية والثاني تأمين مصادر للمواد الخام وبعض المواد المصنعة التي كانت بلاد اشور تفتقر اليها ، وكذلك ضمان توريد بعض قطعان الماشية والخيول .

وفي الجبهة الغربية ، كانت ضغوط الاقوام الارامية تتزايد باستمرار ، والاراميون ، كما هو معروف من الاقوام العربية القديمة (الجزرية) التي كانت قد

وهكذا تمكن تولكتي - نورتا من فرض سيطرته على المنطقة الجبلية حيث يذكر احد النصوص انه اصبح سيد اراضي القوتيين الواسعة “^(١٥) . ونهج تولكتي - نورتا سياسة ترحيل السكان من البلدان والاقاليم المتمردة الى اماكن اخرى ، وهي السياسة التي سار عليها الملوك الاشوريون من بعده واثبت نجاحها ، وربما كان الهدف منها ابعاد المتمردين عن مناطقهم الاصلية ومنع تقديم العون لهم من قبل السكان الاخرين . اما بالنسبة الى بلاد بابل فقد ساءت العلاقات مع السلالة الكشية المتسلطة على الحكم في بلاد بابل بتجهيز حملة عسكرية على بابل وقعت بابل بعدها تحت النفوذ الاشوري المباشر لمدة سبع سنوات . وفي اواخر عهد هذا الملك تغيرت الاوضاع وربما قامت مؤامرة في البلاط الاشوري اغتيل خلالها الملك ودخلت بلاد اشور في فترة من الضعف والارتباك والفوضى وتقلصت حدودها الى ادناها حتى ان الملوك الذين تعاقبوا على العرش ، وكان عددهم تسعة حكموا مايقرب من مائة عام ، لقبوا انفسهم بلقب اشاكو isakku ، اي حاكم . وشهدت هذه الفترة نهاية السلالة الكشية الحاكمة في بلاد بابل وقيام سلالة محلية مكانها . ولم يعثر على اي نص تذكاري يشير الى منجزات قام بها هؤلاء الملوك - الحكام الى ان اعتلى العرش الاشوري الملك القدير تجلا تيليزر الاول (١١١٥ - ١٠٧٧ ق. م) حيث استطاعت بلاد اشور في عهده ان تستعيد سالف قوتها وازدهارها . لقد امكن التعرف على المنجزات الرائعة التي حققها تجلا تيليزر الاول من النص الذي وجد مدونا على مشور من الطين كبير الحجم تركه لنا هذا الملك ، غير ان ماورد في هذا النص يمثل وجهة النظر الاشورية فحسب .

استمر حكم تجلا تيليزر الاول مايقرب من اربعين سنة ، وكانت السياسة التي اتبعها ووضع خططها العريضة الاساس الذي قامت عليه سياسة الملوك الاشوريين المتأخرين ، وهي سياسة فرضتها الظروف التي كانت تحيط بالدولة الاشورية

حالة . وكانت القبائل الارامية قد تبلورت واسست لها ممالك صغيرة تهدد الدولة الاشورية في عقر دارها وتقطع منها الاراضي دون خوف من سلطة مركزية او جيش قوي كما كانت عليه الحال سابقا . وتتابع على حكم بلاد اشور ملوك عديدون قام بعضهم بحملات عسكرية على بلاد اورياو وعلى الاقوام الارامية ، وتحسنت علاقات الدولة الاشورية مع بلاد بابل ، ربما نتيجة تعرض المنطقتين للاخطار ، وازدادت الاوضاع تأزما واضطرابا . وفي القرن العاشر قبل الميلاد بدأت الاوضاع تتحسن تدريجيا وبدا الانتعاش الفعلي والازدهار الواضح في عهد الملك ادد - نيرارى الثاني الذي اعتلى العرش عام ٩١١ ق . م .

الملاحظات

- (١) بقابل المصطلح الاكدي امورو، ومنه الاقوام الآشورية ، باللغة السومرية مصطلح مارنو Mar.tu . وجاء ذكر مارنو لأول مرة في عدد من عقود بيع المقارات في عصر فجر السلالات الثالث واستخدم للإشارة الى اتجاه جغرافي (tum.mar.tu) بمعنى ربح [اتجاه الريح] المارنو ، وكان يقصد بذلك اتجاه الغرب ، او بدقة أكثر الشمال الغربي ، حيث اتجاه الريح في وادي الرافدين . كما ذكر الامموروني في عهد الملك الاكدي شاركاكالي شري ، واطلق على الاقوام التي تنفذت الى بلاد سومر واكد في اواخر عصر سلاله اور الثالثة . ومن المثلث عليه الآن ان الاموريين يمثلون احدى المهرجات العربية القديمة الكبرى التي جاءت من شبه الجزيرة العربية اصلا وانتشرت في بلاد الشام وتوزع بعضها في بلاد وادي الرافدين عن طريق نهر الفرات (حول المزيد من التفاصيل انظر : نجية من الباحثين ، الشرق الادنى ، الحفريات الميكرو ، ترجمة : عامر سليمان ، موصل ، ١٩٨٦ ، ص ١٧٦ - ١٧٧) .
- (٢) حول جداول الملوك الاشوريين انظر : Landsberger, B., "Assyrische Königsliste Dunkels Zeitalter" JCS, 8, P. 54; Gelb, I.J., "Two Assyrian King Lists, JNES, 13 (1954), pp 209-230, Saggs, The Might that was Assyria, London, 1984, P.23.
- (٣) Saggs, Op.cit., P.27
- (٤) Ibid, P.24.
- (٥) Ibid, P.24.
- (٦) Luckenbill, D.D., Ancient Records of Assyria and Babylonia, Chicago, 1926, I, pp. 28-38
- (٧) Edzard, D. O., Die Zweite Zwischenzeit Babylonien, Wiesbaden, 1957, P.90 ff

انتشرت في بلاد الشام وعلى اطراف حدود بلاد اشور الغربية ، ويشير تجلا تيليزر الى ان الاراميين تمكنوا من عبور نهر الفرات واستقروا في المناطق الاشورية من حدود كركميش شمالا وحتى بلاد بابل جنوبا ، مما اضطر الملك الاشوري للقيام بثمان وعشرين حملة عليهم خلال سني حكمه واعادهم الى اماكنهم القديمة . كما يشير الى انه وصل بجيشه الى سواحل البحر المتوسط عبر مدينة تدمر ، مركز تجمع الاراميين وقلب منطقتهم ، وعندما وصل الى ساحل البحر ابحر بسفينة خاصة يصطاد بعض الحيوانات البحرية واخذ الضرائب من المدن الساحلية مثل ارواد وصور وصيدا :

"(حاربت) اقوام الاخلامو والاراميين ثمانين وعشرين مرة ، و (مرة) عبرت نهر الفرات مرتين في سنة واحدة ودحرته من تدمر التي (تقع) في بلاد سوهو وحتى رابيقو التي (تقع) في كارد ونياش (اي بلاد بابل)" .^(٤٥) كما يذكر:

"ذهبت الى لبنان وقطعت اخشاب الصنوبر لمعيد انو وادد ، الالهة العظام ، سادتي ، وحملتها (الى اشور) وتابعت (زحني) نحو بلاد امورد . ففتحت جميع بلاد امورو ، استلمت الجزية من جبيل وصيدا وارواد وعبرت بالسفن (التي تعود الى) ارواد ، من ارواد التي تقع على الساحل الى مدينة سامورى التي (تقع) في امورو (على مسافة) ثلاثة اميال مضاعفة برا . وقتلت كركدن البحر الذي يسمونه "فرس البحر" في اعالي البحر" .^(٤٦)

ان الانتصارات التي حققها تجلا تيليزر في فترة وجيزة نسبيا والقوة التي وصلت اليها الدولة الاشورية في عهده لم تدم طويلا ، حيث اغتيل الملك وانتهت باغتياه فترة الازدهار والقوة التي لم تشهد مثلها بلاد اشور لما يقرب من مائتي سنة ودخلت بدلا من ذلك في فترة مضطربة سواء من حيث المصادر المتوفرة عنها ام من ناحية تعرض الاشوريين الى اشد الاخطار والخن وهم في اضعف

(٢١) تقع مدينة ماري (تل الخريزي حالياً) في الحدود السورية على بعد بضعة كيلومترات من البوكمال، وقد تم الكشف عن اطلال المدينة عام ١٩٣٣ من قبل البعثة الفرنسية التي كانت تعمل في المنطقة وكشفت عن بقايا المدينة وكان منها قصر ملكي واسع عثر فيه على آلاف من الرقعة الطينية المدونة باللغة الأكديّة والخط المساري من العهد البابلي القديم، وقد القى الضوء على تاريخ وحضارة بلاد بابل واشوري في هذه الفترة إضافة من تاريخ العراق القديم وكان من بين الرقعة الرسائل التي تبادلها الملك شمشي-أدد مع ولديه وثانيه في ماري وأبنائهم. انظر:

Dossin, J. and Kupper, J., *Archives Royales de Mari Texts*, (ARMT), Par ٤, 1950-1960, vol. 1-1x; Oppenheim, A.L., *The Archives of the palace of Mari*, JNES, XI (1952), pp. 124-140.
سامي سعيد الأحمد، العراق القديم، ج ٢، بغداد، ١٩٨١، ص ١٨٢-١٨٤.

(٢٢) ساكر، عظيمة بابل، لندن، ١٩٦٢، ترجمة: عامر سليمان، ص ٨٧.

Saggs, op. cit., P. 37. (٢٣)
Kupper, op. cit., p. 1, Oppenheim, JNES, 11 (1952), P. 131. (٢٤)
Kupper, op. cit. P. s. (٢٥)
Ibid. P. 5 (٢٦)
Ibid. P. 8 (٢٧)
Saggs, op. cit., ٩٥، ص ٢٧٣ (٢٨)
Pritchards J.B (ed.), *Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament*, third edition, New Jersey, 1969, P. 272 ft. Kupper, op. cit., P. 24 ft. (٢٩)
Saggs, op. cit., P. 39 ft.

(٣١) ساكر، عظيمة بابل، ص ٩٣ وما بعدها.
Gelb, I.J. *Hurrians and Subarians*, Chicago, 1944.

(٣٢) تقع العارة في مصر الوسطى، وتحتل بقايا عاصمة الفرعون اخناتون، وقد عثر فيها في اواخر القرن الماضي على مايقرب من ٣٥٠٠ رسالة مدونة بالخط المساري واللغة الأكديّة يرقى تاريخها الى القرن الرابع عشر قبل الميلاد كان قد بعث بها حكام وملوك الممالك السورية والكنعانية والحيّة الى الفرعون المصري. انظر:
Knudtzon, *Die El-Amarna Tafeln*, Leipzig, 1915,
Mercer, *The Tell-Amarna Tablets*, 1939

Saggs, op. cit., P. 31. (٣٣)
Ibid. P. 40 (٣٤)
Knudtzon, op. cit., no. q: 31 ft. (٣٥)
وطه باقر، المصدر السابق، ص ٤٥٩.

Saggs, op. cit., p. 41 ft. (٣٦)
حول الكيشيين بصورة عامة. انظر:
محمود الامين، الكاشيون، مجلة كلية الآداب، ٦ (١٩٦٣)،
سامي سعيد الأحمد، فترة العصر الكاشي، سور، ٣٩.

(٨) Saggs, op.cit., P.25
(٩) طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، بغداد، ١٩٧٣، ج ١، ص ٤٨٠.

(١٠) تقع كول نبة (قانش قديماً) بالقرب من مدينة قيسرية، وقد تفرقت في الموقع بمئات اثارية مشتركة من الاتراك والحيكيين وكشفت عن بقايا مساكن الاشوريين كما وجدت مجموعة كبيرة من الرقعة الطينية التي تمثل رسائل ووثائق تجارية واقتصادية مختلفة.

حول المراكز التجارية الاشورية في المنطقة انظر:
Gaselli, Pi, *Les assyriens en Cappadoce*, Paris, 1963, Hrozny, *Inscriptions Cuneiformes du Kul Tepe*, vol. I, 1952, vol. ١, 1963.

سامي سعيد الأحمد، المستعمرة الاشورية في اسيا الصغرى، سور، ٣٣، ١٩٧٧، ٧٠-٩٦.

Albright, W.F., "The Epic of the King of Battle Sargon of Akkad in Cappadocia" JSOR 7, pp. 1-20. (١١)

Saggs, Op.cit., p. 33-34. (١٢)

(١٣) حول معنى الكلمة انظر:
The Chicago Assyrian Dictionary, vol. 8 (K), p.231-237.

وكذلك، سامي سعيد الأحمد، المصدر السابق، ص ٧٦-٧٧.

(١٤) تألفت الرقعة الطينية التي دونت عليها القوانين من ثلاثة اوراق بحالة رديئة جداً لا يمكن معها قراءة محتواها بصورة اكيده ودقيقة، ولكن يمكن القول بانها تتضمن مواد قانونية اشورية تخص تنظيم المحاكم واصول المرافعات والعلاقات التجارية الخاصة بالاشوريين في قانش. تم العثور على الاواح خلال تنقيبات غير مشروعة في اقليم كبد وكيا. انظر:

Driver, G.R. and Miles, J.C., *The Assyrian Laws*, Oxford, 1935, Cardasica, G., *Les lois assyriennes*, Paris, 1969.

عامر سليمان، القانون في العراق القديم، موصل، ١٩٧٧، ص ٢٧٥-٢٧٨.

Saggs, Op. cit. P.37. (١٦)
حول مملكة شمشي-أدد الاول انظر:

Dossin, G.I. *Samsi-Addu le roi d'Assyrie* (1726-1694 av. J.C.), Bulletin de l'Académie Royale de Belgique, 1948, pp. 39-70, Meissner, Br., "Samsi-Addad I.", A. O. R. I, Leipzig, 1926, pp. 22-27, ARMT, ARM; Saggs' op.cit., pp. 35-37.

Kupper, J. R., *The Cambridge Ancient History*, Cambridge, 1963 H., vol. ١, p.21t. (١٨)

Saggs op.cit., p.37. (١٩)

Ibid. p.35. (٢٠)

- Ibid. P. 59. (٤٣)
 Ibid. P. 60. (٤٤)
 جورج رو، العراق القديم، ترجمة: حسين علوان حسين،
 بغداد، ١٩٨٤، ص ٣٧٥.
 Saggs, op. cit. P. 63. (٤٦)

- Saggs, op. cit., P. 41. (٣٧)
 Ibid. P. 46. (٣٨)
 Ibid. P. 47. (٣٩)
 IBbid. p. 47. (٤٠)
 Ibid. P. 48. (٤١)
 Ibid. P. 51. (٤٢)

منطقة الموصل في النصف الأول من الألف الأول

قبل الميلاد

١. د عامر سليمان

العصر الآشوري الحديث

واحتلت مكانتهم السياسية مما يشير الى قوة حضارتهم واصالتها وعمق تأثيراتها في الاقوام الاخرى.

والمتبع لتاريخ الآشوريين في عصورهم المختلفة يذهل من كثرة الخلفات المادية التي خلفها لنا الآشوريون في عصرهم الحديث، والتي تشكل حاليا أهم وأروع ممتلكات المتاحف العالمية الشهيرة من آثار، كما ان المدن الآشورية المكتشفة، وجميعها تقع في منطقة الموصل، تعد من أهم المدن العراقية المكتشفة من حيث صخامتها وفخامة أبنيتها وكثرة آثارها الباقية كمدينة نينوى وآشور وكلخو ودور-شروكين وتربيص وغيرها.

ومن البديهي انه لم يكن بمقدور الآشوريين ان يصلوا الى ما وصلوا اليه من القوة وسعة النفوذ وبحقوا الانتصارات العسكرية الملاحقة ويرفعوا بمستواهم الاقتصادي والحضاري في غفلة من الزمن وعلى نحو مفاجئ، بل لا بد ان كانت هناك عوامل هيأت لهم الظروف الملائمة وأسباب دفعت بهم الى امام لتحقيق ذلك، ومن هذه الاسباب والعوامل ما يمكن التعرف عليه من خلال الدراسات الموضوعية لخلفات الآشوريين انفسهم ومتابعة تطور

يؤشر اعتلاء ادد- نراري الثاني العرش الآشوري عام ٩١١ ق. م. بداية عصر جديد دام حتى نهاية كيان الآشوريين السياسي عام ٦١٢ ق. م^(١). يطلق عليه عادة مصطلح "العصر الآشوري الحديث"، وقد تميزت هذه الفترة من تاريخ الآشوريين بتعاظم قوة الآشوريين السياسية والعسكرية حتى تبوأ دولتهم في القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد المركز الاول بين دول العالم القديم وغدت اكبر قوة في المنطقة. ورافق تلك القوة ازدهار حضاري واضح في مختلف المجالات تفصح عنه الخلفات الرائعة التي تم الكشف عنها حتى الآن وبصورة خاصة في العواصم الآشورية، ومع ذلك فقد انتابت الدولة الآشورية خلال هذا العصر الطويل الذي دام ثلاثة قرون كاملة بعض فترات من الضعف والتقهقر في القوة وبعض الازمات والحن السياسية والاقتصادية كان آخرها ايدانا بنهاية الآشوريين السياسية واختفاء دولتهم من على المسرح الدولي، غير أن حضارتهم وتأثيراتها على البلدان والاقاليم التي كانت تابعة او خاضعة لنفوذ الآشوريين ظلت واضحة بل انها أثرت حضاريا في الاقوام التي جاءت بعد الآشوريين

الاحداث في المنطقة ومنها مايبقى خافيا حتى
تكشف لنا عنه الدراسات والمكتشفات المقبلة ،
وقد يبق خافيا الى الابد .

ويبدو ان في مقدمة الاسباب والعوامل التي
حفزت الآشوريين ودفعت بهم الى توحيد جهودهم
وبناء جيشهم ، ثم الى تفوقهم العسكري على
غيرهم من الشعوب والاقوام، التحديات الصعبة
والاخطار الجسيمة التي واجهها الآشوريون منذ ان
وجدوا في المنطقة ، ولم تكن موجهة ضدهم لانهم
آشوريون ، بل كانت موجهة ضد المنطقة الغنية
بمياها وتربتها الخصبة ومناخها الملائم ، مقارنة
بالمناطق الفقيرة المجاورة لها في الشرق والغرب ،
فضلا عن موقع بلاد آشور الاستراتيجي وأهميته
بالنسبة لخطوط التجارة القادمة من الخليج العربي
في الجنوب او من مواني البحر المتوسط في الغرب .
لذلك كانت بلاد آشور تتأثر بما كان يحدث فيها
حولها من تغيرات وتقلبات سياسية وعرقية لما لذلك
من اتركبير على زيادة خطورة التحديات وجسامه
الاخطار او انكاشها ، بل ان ما كان يحدث في
بلدان الشرق الادنى القديم امل على الآشوريين في
احوال كثيرة اتباع سياسة معينة في داخل بلاد
آشور وخارجها ، كما سيلحظ ذلك من متابعة تطور
الاحداث السياسية والادارية فيما بعد . لذا ، فانه
من المفيد ان نلقي نظرة خاطفة على الازواض التي
كانت تمر بها بلدان الشرق الادنى القديم في هذه
الفترة لمعرفة مدى تأثيرها على بلاد آشور .

ففي مطلع الالف الاول قبل الميلاد ، كانت
الازواض الدولية قد تغيرت تماما عما كانت عليه في
العصر الآشوري الوسيط ، فكانت قد غابت عن
المسرح السياسي والعسكري قوى عديدة كان لها
تأثيرها في المنطقة بل انها كانت تتحكم في توجيه
الاحداث الدولية ، كما تقلص وانكش نفوذ قوى
اخرى كانت لها المكانة نفسها فيما سبق .
فالامبراطورية الحثية التي كانت تسيطر على آسيا
الصغرى وشمال سوريا وتهدد مصالح المملكة
المصرية وتحد من نشاط الآشوريين كانت قد انتهت

في حدود القرن الثاني عشر . اما الدولة الميتانية التي
كان الحوريون قد أسسوها وغدت من الدول
الكبرى حتى انها سيطرت على بلاد آشور لفترة
تجاوزت القرن في بداية العصر الآشوري الوسيط ،
فكانت قد انقسمت على نفسها وضعفت قوتها ، ولم
يعد للدولة ميتاني الصغيرة في اعالي ما بين النهرين ،
التي سميت في النصوص الآشورية بمملكة
خانيكليات ، الأسالة محدودة على منطقة صغيرة ،
واخيرا انتهت بأن ضمت اراضيها الى حدود الدولة
الآشورية وغدت مقاطعة من المقاطعات الآشورية
مع بداية العصر الآشوري الحديث . وفي بلاد بابل
كان قد انتهى حكم السلالة الكشية التي كانت
تحاول السيطرة على بلاد آشور ودخلت معها في
صراع حدودي استمر لفترة طويلة ، وحلت محلها
سلالة محلية ضعيفة اثر الغزو العيلامي لبلاد بابل
وذلك في القرن الثاني عشر قبل الميلاد . اما المملكة
المصرية ، فكانت نفوذها قد تقلص كثيرا ، وانكش
سلطانها الى داخل حدودها . وهكذا يبدو أن
الظروف الدولية كانت ملائمة نسبيا لظهور
الآشوريين وتنامي قوتهم ، غير ان ذلك لا يعني ان
الدولة الآشورية انفردت في عصرها الحديث بالقوة
والزعامة ولم يكن هناك من ينافسها او يقف امام
تطلعاتها بعد أن غابت الدول الكبرى التي كانت
قائمة فيما سبق ، بل ظهرت قوى واقوام جديدة
كانت اشد واكثر خطرا على الآشوريين من
سبقهم ، ففي الجبهة الغربية والشمالية الغربية
زادت ضغوط القبائل الآرامية وزادت غاراتها على
حدود الدولة الآشورية . وكانت تلك القبائل قد
تبلورت وكونت لها عددا من الدويلات والممالك
الصغيرة في انحاء بلاد الشام المختلفة كان منها دويلة
آرام - نهرام ، فيما بين الخابور والفرات ، وفدان
آرام ، ومركزها في مدينة حران ، وآرام صوبا في
الجنوب وآرام معكة عند سفوح جبل الشيخ وآرام
رحوب في منطقة حوران وبملكة دمشق وبملكة شمائل
(سنجرلي) هذا فضلا عن دويلة اسرائيل التي
انقسمت في عهد يريعام الى دويلتين هما : دويلة

اغلب الظن ، واقامت لها احيانا سلالات محلية منازعة للحكم الآشوري وساعية للسيطرة على بلاد بابل بأكملها ، وكانت مملكة عيلام في جنوب غربي ايران تقدم لهذه القبائل العون المادي والعسكري وتحرضها للنيل من الآشوريين والسيطرة على بلاد بابل ، كما كانت توفر لها الملجأ متى ضيقت الدولة الآشورية الخناق عليها . وطبيعي انه لم يكن استعداد حكام عيلام لتقديم العون والوقوف الى جانب قبيلة كلدو وغيرها من القبائل المستقرة في جنوبي العراق من اجل تلك القبائل او رغبة في مساعدتها لئلا تباين بل كان هدفهم الرئيس من ذلك الحد من قوة الآشوريين المتزايدة واثارة الفتن والاضطرابات في بلاد بابل لزعة الحكم الآشوري فيها ثم محاولة السيطرة على بلاد بابل نفسها . وقد وضحت نوابا حكام عيلام امام الملوك الآشوريين مما دفعهم اخيرا الى مهاجمتهم في عقر دارهم لايقاف تدخلهم المستمر في شؤون بلاد آشور وتم القضاء على مملكة عيلام نهائيا وذلك في اواخر العصر الآشوري الحديث .

وهكذا كان على الآشوريين ، ان هم ارادوا البقاء وبناء دولة قوية ، ان يواجهوا هذه التحديات ويقضوا على الاخطار المحدقة بهم او يحدوا منها بعزيمة قوية وسياسية حكيمة ثابتة ، فكان ان اتبع الملوك المتعاقبون سياسة تجهيز الحملات العسكرية المتتالية على المناطق المختلفة للسيطرة على الاقوام والقبائل التي كانت تهدد كيانهم وارغامها على الاعتراف بسيادة الدولة الآشورية ، اي ان الظروف المحيطة بالآشوريين هي التي أملت عليهم اتباع هذه السياسة ، لذلك "لم تكن اهداف تلك الحروب الا دفاعية محضة في الاساس ، او انها كانت بالاحرى حروبا وقائية تستهدف حماية "أرض الآله آشور" على حد تعبير جورج رو^(١١) . ومع ذلك ، فان تحقيق الانتصارات المتلاحقة ، كالتى حققها الآشوريون في عصرهم الحديث ، لا يتم من خلال تجهيز الحملات العسكرية للقضاء على الاخطار ومواجهة التحديات فحسب بل كان لابد ان يرافق

اسرائيل في الشمال ومركزها مدينة السامرة ودويلة يهوذا ومركزها مدينة اورشليم (الكنعانية الاصل كما يستدل على ذلك من اسمها الكنعاني)^(١٢) . وغالبا ما كانت هذه الدويلات والممالك تعقد ائتلافات سياسية وعسكرية لمواجهة خطر الدولة الآشورية وتعاظم قوتها ، وقد تتلقى العون من القرى الاخرى المعاصرة كالمملكة المصرية ، وكان على الآشوريين ان يعملوا للقضاء على تلك الائتلافات ان هم ارادوا تأمين حدودهم وحماية طرق مواصلاتهم التجارية ، شريان حياتهم الاقتصادية ، الى موانئ البحر المتوسط ومصادر المواد الخام في جبال الارز وجبال الفضة (جبال الامانوس وطوروس) .

اما في الجهات الشمالية والشمالية الشرقية والشرقية فقد كانت تحركات القبائل والاقوام الجبلية على اشدها ، وكاد ضغطها يقضي على الدولة الآشورية وينهي كيانها السياسي لولا عزم وثبات القوات الآشورية وجرأة وشجاعة قادتها ، فكان تجهيز الحملات العسكرية المتتالية على المنطقة محور سياسة الملوك الآشوريين الاقوياء بهدف الحد من غارات هذه الاقوام والقبائل وفرض السيطرة عليها وتأمين طرق المواصلات المارة عبر أراضيها . وكان من بين القوى التي اقلقنت الآشوريين سنين طويلة دولة اورارتو (اورارطو) والاقوام الجبلية في منطقة زامو واقليم تشخاني (جنوب شرقي تركيا) وبلاد نائيري ومنطقة القبائل الميدية الفارسية^(١٣) .

اما في بلاد بابل فقد كان الملوك الآشوريون البارزون ينظرون الى بلاد بابل على انها النصف الثاني المكمل لبلاد آشور وبأنها جزء منها طالما اعتمدت سياستهم على توحيد ارض العراق واقامة دولة مركزية واحدة تهيمن على كامل اجزائه من اقصى الشمال الى اقصى الجنوب . وقد اصطدمت هذه النظرة وهذه السياسة مع مصالح بعض القبائل الكلدانية التي كانت قد استقرت في اقصى جنوبي العراق ، وكان اهمها قبيلتا كلدو وبيت ياقين ، وهما من القبائل التي ترتبط بالاقوام الآرامية على

ذلك سياسة حازمة ثابتة وقيادة عسكرية مقتدرة وجيش على مستوى عال من الضبط والتنظيم والتدريب والتسلح ومعنويات عالية ونظام اداري كفء يؤمن للجيش جبهة داخلية متأسكة وقوية، ويبدو انه توفر للآشوريين معظم هذه الاسباب في عصرهم الحديث فكان ان حققوا تلك الانتصارات الرائعة.

فأما السياسة العامة فكانت وبحق على درجة كبيرة من النضج وبعد النظر، حيث لم تكن الحملات العسكرية تجهز إلا بعد دراسة مستفيضة لجميع الاوضاع الداخلية والخارجية للمنطقة المزمع توجيه الحملة عليها، كما كان يسبق كل حملة اتصالات مكثفة مع امراء وحكام البلدان المجاورة لضمان ولائهم للسياسة الآشورية، او تحييدهم على اقل تقدير، لضمان أمن وسلامة الخطوط الخلفية المارة بمحدود مملكتهم. وقد تعقد المعاهدات مع بعض الامراء وتوثق بالمصاهرات السياسية من اجل تحقيق العلاقات السياسية كما كان رجال الاستخبارات الآشوريون المبعوثون الى تلك المناطق يقومون بدراسة الاوضاع الداخلية وبيعثون بتقاريرهم التفصيلية الى الملك الآشوري، وقد وردت الينا تقارير بعض اولئك المخبرين ولاسيا فيما يتعلق بحملة سرجون الثامنة التي وجهها على بلاد اورارتو. وقد يضطر الملك الى ايقاف الحملة قبل الشروع بها او حتى بعد بدئها، من اجل معالجة موقف مستعجل في مكان آخر، كما فعل سرجون

عندما اوقف الحملة التي كانت ستوجه الى بلاد بابل ريثا تم معالجة الجبهة الغربية^(٤)، وقد يقدم الملك بعض التنازلات المؤقتة في جبهة معينة من اجل تحقيق هدف أبعد في جبهة اخرى، كما فعل اسرحدون بالنسبة لاحد الاقاليم الآشورية الحدودية في الجبهة الشمالية الشرقية^(٥)، كل ذلك وفق سياسة مدروسة من قبل الملك نفسه، وربما بالتشاور مع قادة الجيش وكبار ضباطه وحكام المقاطعات. ومن أجل تقوية معنويات الجند المقاتلين ورفعها كان لابد من الادعاء بأن الحملات

العسكرية ماكانت توجه الى اية جبهة إلا تنفيذاً لرغبات الآلهة القومية ووفق توجيهاتها التي اوجتها الى الملك بأحدى الطرق المعروفة آنذاك، لذا كان الملك، وقبل ان تبدأ الحملة مسيرتها، يستخير الآلهة من خلال الكهنة لاختد موافقتها على بدء الحملة ثم يستخيرها لتحديد الوقت المناسب لبدئها، وقد يؤجل الموعد ان لم تكن تنبؤات الكهنة وقراء الطالع ملائمة. وكان بعض الكهنة يرافقون الحملة العسكرية ويقومون باجراء الطقوس الدينية في كل مناسبة ويعلنون احيانا عن تجلّي بعض الهتهم، ولاسيا آلهة الحرب، في اوقات معينة، وغالبا في الاوقات العصيبة التي كانت تمر بالجيش الآشوري، كل ذلك من اجل رفع المعنويات وشحذ الهمم^(٦).

وفي الحملات المهمة كان الملك نفسه يقود الحملة في حين كان يتولى قيادة الحملات الاقل أهمية احد القادة العسكريين او احد حكام المقاطعات القريبة. وقد ذكرت النصوص المسبارية القاب، ورتب كبار القادة امثال الراباشاق والتورتانو والراب موگي وغيرهم^(٨). وامتازت القوات الآشورية بصلاية افرادها وشجاعتهم وصبرهم على تحمّل الصعاب كما امتازت بجبرتها المكتسبة حيث خاض الجيش الآشوري معارك كثيرة في ظروف وبسات متباينة ومواسم مختلفة مما اكسب القطعات العسكرية قوة قتالية عالية وتدريباً جيداً.

اما الجبهة الداخلية فكان يديرها وينظمها ويقويها جهاز اداري كفء اثبت كفاءته عبر العصور، ويرجع الفضل الاول في وضع أسس هذا الجهاز الكفء الى الملك تجلاتيليزر الثالث (٧٤٥-٧٢٢ ق. م) الذي اعاد تنظيم الدولة الآشورية

ووضع لها نظاما اداريا غاية في الدقة، قسمها الى مقاطعات وقسم المقاطعات الى وحدات اصغر وأصغر، كما سيشار الى ذلك بالتفصيل في مكان آخر، وعلى غرار ما هو متبع حتى الآن في المنطقة ذاتها، وكان يشرف على ادارة المقاطعة حاكم يسمى "سيد المقاطعة" الذي يمثل الملك في

للقضاء عليه وعلى اعوانه من المتمردين ضد السلطة الآشورية وانزال العقوبات القاسية والراعدة بهم والحاق اراضي المملكة بحدود الدولة الآشورية وعدّها من المقاطعات الآشورية التي كان يديرها عادة احد الحكّام الآشوريين^(١٠)، ولعلّ خير نموذج يمثل هذا التطور في العلاقات هي مملكة خانيكليات في اعالي ما بين النهرين والتي اشير اليها سابقا. اما في العصر الآشوري الحديث فهناك العديد من الممالك الآرامية التي مرّت ببعض مراحل هذا التطور.

ولضمان الاتصال الدائم والسريع بين الحكومة المركزية، وعلى رأسها الملك في العاصمة، وبين الحكام والموظفين الاداريين الآخرين في المقاطعات والمدن المختلفة والوقوف على مايجري في ارجاء الامبراطورية وايصال التعليمات والتوجيهات الملكية بالسرعة الممكنة، كان هناك نظام للبريد والمواصلات على درجة كبيرة من الكفاءة والسرعة يسبق نظام البريد الذي نسب ابتكاره الى الفرس الاخمينيين خطأً بعدة قرون^(١١).

وهكذا كانت هذه الاسباب والعوامل مجتمعة من اسباب قوة الدولة الآشورية وتعاطم نفوذها خلال العصر الآشوري الحديث، ورافق تلك القوة ازدهار حضاري ورفاه اقتصادي واضح. وكان لظهور عدد من الملوك والقادة من ذوي الشخصية القوية والمقدرة المتميزة اكبر الاثر في استئثار هذه الاسباب والعوامل وتوجيهها لصالح الدولة الآشورية.

ومن الطبيعي ان كان من نتائج السياسة الآشورية وسعة نفوذها احتكاك الآشوريين عن طريق الحرب والسلم بسكان البلدان والاقاليم الاخرى، فنقلوا اليهم وعنهم الكثير من العناصر الحضارية فكان هناك تمازج حضاري رائع تشير اليه الآثار المكتشفة في مختلف ارجاء الشرق الادنى القديم.

وتيسيرا لمتابعة تطور الاحداث السياسية المزدهمة التي مرّ بها الآشوريون في عصرهم

المقاطعة وينفذ سياسته وتعليماته، يعاونه كادر من الموظفين الاكفاء المختارين استنادا الى كفاءتهم وولائهم. وكان كل حاكم مسؤولاً عن الشؤون المالية والعسكرية والدينية والادارية في المقاطعة، وينطبق هذا التنظيم وهذه المسؤوليات على حكام الوحدات الادارية الاصغر والاصغر. وكان الاتصال بالملك يتم وفق التسلسل الاداري واحياناً يتم الاتصال به على نحو مباشر دون المرور بهذا التسلسل حيث كان بإمكان اي حاكم او مواطن مهما كان مركزه الاتصال المباشر بالملك من خلال رسالة يبعثها لعرض مشكلته امام الملك، الا ان مثل هذه الحالات كانت قليلة جداً^(١٢).

ولادارة البلدان والاقاليم التابعة لنفوذ الدولة الآشورية، فقد اتبعت سياسة ثابتة تجاهها تستند على درجة ارتباطها بالدولة الآشورية المركزية. فهناك الممالك الصغيرة الموالية للسياسة الآشورية، طوعاً او خوفاً، والتي كانت تعترف بسلطان الآشوريين وتدفع الجزية السنوية المقررة عليها مقابل الحماية العسكرية التي توفرها لها الدولة الآشورية ضد أي اعتداء خارجي او تمرد داخلي. وكانت مثل هذه الممالك تحكّمها الاسر الملكية المحلية ولها استقلالها الكامل. اما اذا امتنعت احداها عن دفع الجزية مثلاً او سحبت اعترافها بسلطان الدولة الآشورية او تحالفت مع دولة اخرى معادية للآشوريين كان لا بد من فرض سيطرة أقوى عليها بعد ان توجه عليها حملة عسكرية تقضي على اسرتها الحاكمة وعلى اعوانها ومؤيدي سياستها وتأتي بحاكم جديد موالي للسياسة الآشورية ومستعد لتنفيذ السياسة المرسومة له، وكان مثل هذا الارتباط الجديد يوثق بالمعاهدات ويختّم بالقسم وقد يعين في بلاط الحاكم الجديد موظف آشوري يمثل مصالح الدولة الآشورية ويوجه السياسة الخارجية، وقد يزيد بقوة عسكرية صغيرة لدعمه ودعم اجراءاته عند الضرورة. اما اذا حنث الحاكم بالقسم وخرج عن العهد او طرد الموظف الآشوري لديه او قتله، عندها توجه على مملكته حملة عسكرية مستعجلة

الفترات السابقة ، لذا كانت للوثيقة أهمية خاصة في معرفة تعاصر الملوك والحكام في كلتا المنطقتين فسميت بالتاريخ العاصري^(١٢) .

وبعد ان ضمن الحدود الشرقية والجنوبية اتجه ادد- نراري الى الاقاليم الواقعة الى الغرب من نهر دجلة حيث كانت القبائل الارامية قد سيطرت على اجزاء كبيرة منها ، ومن خلال عدد من الحملات العسكرية تمكن من فرض سيطرته على المنطقة الواقعة على طول نهر الفرات الاوسط وفرض الجزية عليها واتخذ من بعض مدنها ، بعد ان اعاد تحصينها ، حصنا لحماية طرقه التجارية .

كما وجه ادد-نراري عددا من الحملات العسكرية الى المنطقة التي كانت تعرف لدى الاشوريين باسم خانيكيات حيث قامت في المنطقة مملكة اسستها الاقوام الميتانية وقد امكن حصار مدن هذه المملكة وفتحها ، ثم القضاء على الملك الحاكم والامراء التابعين له . واستمرت مسيرة الجيش الاشوري شمالا حيث جعلت جميع المدن والمناطق الواقعة على طول نهر الخابور تابعة للدولة الاشورية من خلال فرض الجزية على الامراء المحليين وبذلك تم الحفاظ على الامن والاستقرار على الحدود الغربية والشمالية الغربية للدولة الاشورية .^(١٣)

ونجح توكليتي نورتا الثاني (٨٩٠-٨٨٤ ق. م) ابن وخليفة ادد-نراري ، السياسة نفسها فبدأ حكمه بحملة عسكرية على بلاد ناثيري في الجنوب الغربي من بحيرة وان ونجح بعد اربع سنوات من اخضاعها وبسط سيطرته وفرض الجزية عليها كما قام بحملة اخرى على المنطقة الواقعة بين الزابين واخرى الى بلاد بابل التي كانت تحكمها انذاك سلالة محلية ضعيفة لم تتمكن من مواجهة الجيش الاشوري ، فاستمر الجيش الاشوري بتقدمه دون مقاومة باتجاه الجنوب ووصل الى مدينة بابل وسبار ، ثم اتجه غربا حتى نهر الخابور ثم شمالا حتى نصيبين ووصل اخيرا الى منطقة تقطنها اقوام تسمى بالمشكي^(١٤) ، وكانت السياسة المتبعة تعتمد ترك

الحديث . فقد قسم عصرهم الى فترتين رئيسيتين تمثل الاولى عهد الامبراطورية الاشورية الاولى بدأ من عهد ادد- نراري الثاني وحتى اواسط القرن الثامن قبل الميلاد في حين تمثل الفترة الثانية عصر الامبراطورية الاشورية الثانية التي شغلت ماتبق من حياة الاشوريين السياسية .

الامبراطورية الاشورية الأولى

انتمت الفترة الاخيرة من العصر الاشوري الوسيط والواقعة بين تاريخ اغتيال الملك نيملا تيليزر الاول عام ١٠٧٧ ق. م وتسلم الملك اشور- دان العرش عام ٩٣٤ ق. م . بتمرق الادارة المركزية وانهيار وتآزم الاوضاع الاقتصادية ، فضلا عن الضعف والتقهقر العام الذي انتاب بلاد اشور على الصعيدين السياسي والعسكري . وقد حاول اشور- دان ان يخلص البلاد من بعض ازماتها ويعيد اليها نظامها الاداري ويسيطر على شؤون الدولة التي تقلصت حدودها الى ادناها ، غير ان النهضة الحقيقية حدثت في عهد ابنه وخليفته ادد- نراري الثاني الذي عدّ عهده بداية عصر جديد في حياة الاشوريين .

بدأ ادد- نراري عهده بتجهيز حملة عسكرية على الاراضي الواقعة جنوبي الزاب الاسفل بغية تثبيت مركز الدولة الاشورية في المنطقة واشعار سكانها باستعادة الاشوريين لسالف قوتهم ، وقد تمكنت الحملة خلال ذلك من ضم مدينة ارابخا (كركوك حاليا) وبعض المدن الاخرى الواقعة الى الجنوب منها الى حدود الدولة الاشورية، وكان من نتائج الحملة ان اصطدم الاشوريون بالبابليين ثانية ، غير ان الصدام هذه المرة انتهى بابرار معاهدة صلح ختمت بزواج سياسي بين الاسرتين الحاكميتين في كل من بابل واشور . وتعد المعاهدة التي عقدت بين الجانبين ذات أهمية تاريخية خاصة حيث انها تذكر ، كأساس لاقرار السلام ، موجزا لتاريخ المنازعات الحدودية بين بابل واشور في

حاميات عسكرية صغيرة في المناطق الحدودية ضامنا لامنها واستقرارها ودفع امراءها الجزية المفروضة عليهم .

ويعد عصر اشور ناصر بال الثاني (٨٨٣-٨٥٩ ق. م) واحدا من العصور التي وصلت فيها الدولة الاشورية الى الذروة ، كما ان هذا العصر ذواهمية قصوى بالنسبة للباحث المعاصر لكثرة مخلفاته المادية ، ولا سيما النصوص المسارية والتماثيل والمنحوتات الجدارية التي خلفها لنا اشور ناصر بال في عاصمته الجديدة كلخو (العمود) وقد امتدنا هذه النصوص والمنحوتات بتفاصيل دقيقة عن منجزات اشور ناصر بال العسكرية والعمرانية . في الجبهة الشرقية والشمالية الشرقية كانت نشاطاته العسكرية واسعة ، حيث جهز حملة عسكرية على المنطقة وفرض سيطرته على الاقوام التي لم تكن خاضعة حتى ذلك الوقت للنفوذ الاشوري كما وجه حملة اخرى الى الشمال الغربي من بلاد اشور وانشأ مقاطعة جديدة مركزها المدينة القديمة تشخان واتخذها قاعدة حصينة ضد بلاد كاشياري ونائيري . اما في الجبهة الغربية ، فكانت قد ظهرت دولة ارامية قوية هي بيت - اديني اتخذت من مدينة بارسب (تل احمر حاليا) جنوبي كركميش عاصمة لها . وكانت هذه الدولة تثير القلاقل والاضطرابات في المناطق الخاضعة للنفوذ الاشوري على طول نهر الخابور واعالي نهر الفرات وكانت قد اتخذت من مدينة سورو في بيت خالوي مركزا لنشاطها مما اضطر اشور ناصر بال الى توجيه ضربة قوية وحاسمة عليها قضى فيها على رؤوس القمرد وقتلهم شرقتة وغنم منهم اموالا كثيرة وقد ضمنت تلك الاجراءات القاسية والسريعة الأمن والسلام في المنطقة لمدة خمس سنوات متتالية .^(١٦)

وبعد ان تمت السيطرة على المنطقة انفتحت الطريق امام اشور ناصر بال للتوجه بجيشه نحو سواحل البحر المتوسط ، وتقدم لنا حوليات الملك تفاصيل الحملة التي قادها الملك في السنة التالية بحيث اصبح بمقدورنا متابعة مسيرتها يوما بيوم من

كركميش وحتى بلوغ الجيش ساحل انطاكية عبر جبل اورنتوس وجبال لبنان والبحر العظيم في ارض امورو ، حيث قام الملك الاشوري بغسل اسلحته في مياه البحر ، ربما كطقس ديني واشارة الى انتصاراته وسيطرته على المنطقة .^(١٧)

وفي بلاد بابل قام ملك بابل المحلي بمعاونة قبيلة سوهو الارامية بالتمرد ضد السلطة الاشورية ، وكان مركز تلك القبيلة على اواسط نهر الفرات فوجهت اليها حملة عسكرية سريعة الحقت بقوات العصاة هزيمة شنيعة في معركة استمرت مدة يومين ، وكان من نتائج تلك المعركة ان انتشر الخوف من قوة الملك الاشوري وقوة جيشه كما يقول اشور ناصر بال نفسه :

” وثبت القوة والعزم على بلاد سوهو ، وامتد الخوف من سلطاني الى بلاد كارد ونياش (شمال بلاد بابل) وسيطر الخوف من اسلحتي التي تبعث على القشعريرة بلاد كلدو (جنوب بلاد بابل) “^(١٨) .

وفي السنة التالية واثمر تمرد بعض المدن الارامية للمرة الثانية قام الجيش الاشوري بحملة عسكرية وصل بها الى الساحل السوري دون مقاومة تذكر وذلك عن طريق كركميش واور ووتوس ووصل جنوبا الى صور وفرض الجزية على جميع المدن الواقعة على الطريق . وفي اواخر عصر اشور ناصر بال . تمتعت الامباطورية الاشورية بسلام نسبي واستقرار عام حيث لم يرد ذكر حملات عسكرية ، سوى حملة واحدة عام ٨٦٦ ق. م وجهت للقضاء على المتمردين في اقليم كاشياري القريب من حدود دولة اورارتو .

واذا تركنا النشاطات العسكرية جانبا فقد كان اشور ناصر بال الثاني معاراً من الطراز الاول . فعلى الرغم من انه اتخذ عدة مدن قواعد لانطلاقه في حملاته العسكرية ومقرات ادارية ، مثل اربيل ونيوى ، فضلا عن العاصمة الرسمية اشور ، ومدنا اخرى مثل مدينة تشخان على اعالي دجلة ، الا انه اولى جل اهتمامه لبناء عاصمته الجديدة كلخو

(الفرود) التي كانت في عهده عبارة عن انقاض ترقى بتاريخها الى عهد شيلمنصر الاول في القرن الثالث عشر قبل الميلاد. فقد كان لهذه المدينة اهميتها الاستراتيجية الخاصة ، وذلك لوقوعها في الزاوية التي يصب فيها الزاب الاعلى في نهر دجلة ، اضافة الى سيطرتها على المنطقة الى الشمال من العاصمة القديمة اشور. وقد تم افتتاح المدينة في احتفال كبير دعى اليه مايقرب من سبعين الف شخص ، حسب ادعاء اشور ناصر بال وذلك عام ٨٧٩ ق. م. ووصفت لنا المسلة المكتشفة في القصر الشامي الغربي تفاصيل ذلك كما سيشار الى ذلك في مكان اخر.^(١٨)

وتحققا لرغبة اشور ناصر بال في تخليد انتصاراته المتلاحقة وانجازاته العسكرية والعمرانية الرائعة والاعلان عنها للاصدقاء والاعداء من اشوريين واجانب فقد استخدمت جميع وسائل الاعلام المتيسرة ائذاك واتبع مختلف السبل لتحقيق هذه الرغبة ، فدونت النصوص الملكية باخبار الحملات العسكرية والمنجزات العمرانية ووضعت في اسس الابنية لتطلع عليها ، حسب ظنهم ، الالهة اولا والاجيال التالية من البشر ثانياً ، او نقشت لوحات من الرخام وغلفت بها جدران قاعات القصور من الداخل ، اودونت على المسلات والتماثيل الآدمية والثيران المنحثة التي كانت تزين مداخل المدن والقصور والساحات. كما نحت مشاهد مختلفة من المارك العسكرية وما رافقها من قتل الاعداء واسرهم وهزائمهم الفادحة تعبيراً عن القوة التي تمتع بها الجيش الاشوري ، وعن الشدة والقسوة التي مارسها في معالجة التمرد والعصيان في اي منطقة كانت^(١٩) . ومن الطبيعي جدا ان اتصفت مثل هذه النصوص والمشاهد بالمبالغة والغلو في تقدير حجم الانتصارات وتتجاوز اي هزيمة او انكسار وقع للجيش الاشوري والمغالاة في وصف الاساليب القاسية والوحشية احيانا ، التي ادعت النصوص واللوحات انها اتبعت لمعاقبة المتمردين والعصاة بهدف ادخال الرعب والخوف في نفوس الاعداء

والمتربصين شأنها في ذلك شأن معظم وسائل الاعلام الحربية قديمها وحديثها. غير ان بعض مؤرخينا المحدثين ، وبصورة خاصة الاوربيين منهم ، اتخذوا من هذه النصوص واللوحات وثائق اثبات لايرقى الشك الى ما ورد فيها من تفاصيل بحجة انها صادرة عن الملوك الاشوريين انفسهم وانما تصف الاساليب التي كانت متبعة فعلا في قمع الثورات والحركات في الاقاليم التابعة ، فكونوا بذلك انطباعا خاطئا عن الاشوريين وعن سياسة ملوكهم ووصفوا الاساليب التي اتبعوها في معالجة التمردات ، بالوحشية والبربرية واللاانسانية ، كما وصفوا سياستهم بالاستعمار وحقهم بالظلم والظفان دون ان ياخذوا بنظر الاعتبار الاهداف الاعلامية الكامنة وراء كتابة تلك النصوص وتحت تلك اللوحات .

كما انهم من جهة اخرى لم يشير الى الظروف التي دفعت بالاشوريين للقيام بالحملات العسكرية المتتالية واتباعهم القسوة والشدة في قمع التمرد والعصيان ضد السلطة المركزية ، مما اشرنا اليه سابقا . ولمواجهة التحديات والقضاء على الاخطار التي كانت تهدد كيان دولتهم المتنامية وأخيراً لحياة الطرق التجارية شريان حياة الاشوريين ومصدر رفاهيتهم الاقتصادية . وكان المصدر الثاني الذي اعتمد عليه المؤرخون المحدثون عن تاريخ الاشوريين السياسي والعسكري هو ما ورد في اسفار العهد القديم من اخبار عن البابليين وعدها من الحقائق الثابتة التي لايرقى اليها الشك طالما انها وردت في العهد القديم كتاب اليهود المقدس . غير ان المعروف لدى جمهور الباحثين والعلماء من اوربيين وغيرهم ان اسفار العهد القديم دونت من قبل الاحبار اليهود في القرنين السادس والخامس قبل الميلاد في اثناء وجود اليهود في بلاد بابل ، بعد ان جاء بهم بنوخ نصر البابلي الى بلاد بابل اسرى ، بل ان الاسفار الخمسة الاولى التي يظن اليهود انها تمثل التوراة التي نزلت على موسى - عليه السلام - (في القرن الثالث عشر قبل الميلاد) قد دونت في اثناء وجود

بنشاطات واسعة في العواصم الاشورية الثلاث ، اشور ونيوى وكلخو، اضافة الى امگر- انليل (بلوات) شمال شرقي كلخو ببضع كيلو مترات. وقد حول شيلمنصر العديد من المدن الاشورية المهمة الى حصون ومعسكرات ، وكشفت التنقيبات التي اجريت في مدينة كلخو (الترود) عن بناية ضخمة اطلق عليها المتقبن اسم حصن شيلمنصر. والواقع انها بناية تضم مقصرا فخا ، فضلا عن كونها حصنا يضم مخازن كبيرة لحفظ تجهيزات الجند وتخزين الغنائم. ويبدو ان الجند كانوا يتجمعون داخل البناية في ثلاث باحات فسيحة ويتجهزون بعدتهم اذ يقوم امروهم بتفتيشهم ، قبل شروعه بالحملة العسكرية المقررة ، كما وجدت في البناية غرف محطة بالباحات استخدمت مشاجب للاسلحة وعنابر وملاجي للجند والضباط .

كانت نشاطات شيلمنصر العسكرية الاولى موجهة الى الجهة الغربية حيث جهز حملة عسكرية الى الساحل السوري اتجه بها بعد ذلك شمالا الى بيت- اديني ، المملكة التي تمردت ضد السلطة الاشورية ، فدخلها الجيش الاشوري والحققها بحدود الدولة الاشورية ليحكمها حاكم اشوري بشكل مباشر. كما سيطر على المناطق المحيطة بها وثبت سلطة ونفوذ الدولة الاشورية فيها فتمكن بذلك من تأمين سلامة الطرق التجارية على طول نهر الفرات. ووسع شيلمنصر حدود الدولة الاشورية باتجاه الشمال الغربي وسيطر على ما وراء جبال الامانوس ، على اقليم كيليكيا ، وكان لذلك اهمية اقتصادية كبيرة حيث كان اقليم كيليكيا يمثل المصدر الرئيس لمعدن الحديد^(٢١) . وقد كان من نتائج هذا التوسع ان سارعت الدويلات السورية الى تشكيل حلف عسكري لمواجهة تعاضم قوة الاشوريين في المنطقة وتزعمت الحلف مملكة دمشق الارامية ، واصطدمت قوات الحلف بالقوات الاشورية قرب قرقر على نهر العاصي، وادعى الاشوريون انهم اوقعوا خسائر فادحة بقوات الحلف وان عدد القتلى بلغ اربعة عشر الفا من مجموع سبعين الفا من

اليهود في بلاد بابل ، اي بعد وفاة موسى بسبعة قرون على اقل تقدير. وواضح ان ماطراً عليها من تغيير وتحريف وتعديل بما يتلاءم واهداف اليهود هو من الامور المسلم بها ، فضلا عن ان اليهود كانوا ، وما زالوا ، يضمرون للاشوريين ، ومن بعدهم البابليين ، حقدا دقينا وكرها عميقا نظرا لان الاشوريين قضوا على دويلة اسرائيل نهائيا في عهد شيلمنصر الثالث في حين قضى نبوخذ نصر البابلي على دويلة يهوذا واسر حكامها وبعض من والاهم وابعدهم الى بلاد بابل . لذلك فان مجاء في اسفار العهد القديم من اخبار لا يمثل الحقائق التاريخية المجردة بل علينا ان نخضع تلك الاخبار الى النقد التاريخي الموضوعي اخذين بنظر الاعتبار علاقة اليهود بغيرهم من الاقوام التي عداها اليهود من الاجانب لاستنتاج الحقائق التاريخية منها بعد مقارنة تلك الاخبار والروايات بما لدينا من معلومات مستقاة من مصادر اخرى ،

واذا اخذنا ذلك بنظر الاعتبار واخضعنا جميع النصوص المساهرة والنصوص الكتابية الاخرى الى النقد التاريخي لوجدنا ان الصورة التي وضعها الكتاب المحدثون للاشوريين كانت صورة مشوهة لا تمثل الاشوريين على حقيقتهم بل فيها مغالاة واضحة عن قصد او غير قصد ، كما سيتبين لنا ان الاشوريين كانوا اشداء قساة في معالجة التمرد والعصيان اقوياء في المعارك الا انهم لم يتصفوا بالبربرية والوحشية والظلم والطغيان ، والفرق بين الشدة والقسوة في معالجة التمرد والعصيان وبين الظلم والطغيان والبربرية والهمجية كبير جدا.^(٢٢)

ولقد اثبت شيلمنصر الثالث (٨٥٨ - ٨٣٤ ق. م) خليفة اشور ناصر بال الثاني انه كان جديرا بحكم الامبراطورية الواسعة التي ورثها عن ابيه بل انه لم يكنف بالمحافظة عليها وانما وسع من حدودها حتى غدت تضم جميع المناطق الممتدة من الخليج العربي الى جبال ارمينيا ومن تحوم الاراضي الميمنية شمال غرب ايران الى سواحل البحر الابيض المتوسط. وفي مجال البناء والتعمير زخر حكمه

المقاتلين^(٢٢) الا ان الاحداث التالية لاتؤيد الادعاء الاشوري حيث تجدد الصدام بين الطرفين بعد فترة مما يشير الى ان الاشوريين لم يقضوا نهائيا، كما ادعى شيلمنصر على قوات الحلف في معركة قرقر.

وتزودنا مسلة شيلمنصر السوداء المعروضة في المتحف البريطاني بمعلومات وافية عن نشاطات شيلمنصر العسكرية وبصورة خاصة في الجبهة الغربية، ففضلا عن الوصف المسهب الذي تقدمه لنا عن المعارك التي خاضها الجيش الاشوري، نقش على المسلة بخمسة حقول في كل جانب مشاهد عديدة تبين انتصارات شيلمنصر وتقدم الجزية له من قبل حكام البلدان المغلوبة وملوكها، ومنها دويلة اسرائيل حيث صور ملكها جيهو وهو يحبو عند قدمي الملك الاشوري^(٢٣).

وفي بلاد بابل، حدث انقسام في البلاط البابلي بسبب تأييد الملك البابلي للسياسة الاشورية، وايدت القبائل الكلدية الحزب المناوئ لهذه السياسة وكانت هذه القبائل قد استقرت في اقصى الجنوب وفي شرقي دجلة، فجهز شيلمنصر عليها حملتين متتاليتين بهدف القضاء على التمرد ووصلت القوات الاشورية الى سواحل الخليج العربي^(٢٤).

وفي عام ٨٤٩ ق. م. توجه شيلمنصر ثانية الى الجبهة الغربية والشمالية الغربية وجعل مملكة كركميش، وهي اخر الدويلات المستقلة في اعالي الفرات، تابعة للحكم الاشوري المباشر. ومع ذلك فقد ظلت الاضطرابات في الجبهة الغربية وظلت مملكة دمشق تغذي تلك الاضطرابات. وبعد اربع سنوات من ذلك التاريخ حدثت تغيرات جوهرية بين زعماء الجبهة الغربية من ملوك وحكام تبعها مؤامرات داخلية ومكائد، فاستغل شيلمنصر الفرصة ووجه حملة قوية الى المنطقة واحرز انتصارات باهرة على دويلة اسرائيل وعلى مدن صور وصيدا ومملكة دمشق ودفعت جميعها الجزية وهي صاغرة في حين اظهرت مصر الود والصداقة

وسارعت الى ارسال الهدايا الى الملك الاشوري. وهكذا تمكن شيلمنصر من تثبيت مركزه في الجبهة الغربية شمالا حتى سيطر على اقليم نابال وقو (كيليكيا) وعلى جميع الطرق التجارية المؤدية الى مصادر مواد الخام من اخشاب ومعادن.

اما نشاطات شيلمنصر العسكرية في الجبهة الشرقية والشمالية الشرقية فكانت تتمثل بارسال عدد من الحملات العسكرية التاديبية الى المنطقة للحد من نشاطات القبائل والاقوام الجبلية واستمرارها في خلق الاضطرابات. وكانت الاقوام القاطنة الى الشرق من جبال طوروس قد تجمعت وكونت لها دولة كان لها اثرها في سياسة الاشوريين في الفترة التالية عرفت بدولة اورارتو وكان مركزها عند بحيرة وان ثم اتجهت بنفوذها غربا الى الاناضول وشمال سوريا ونافست اشور في السيطرة على الطرق التجارية. والى الشرق من ذلك كانت هناك عناصر عرقية اخرى تحاول النيل من الاشوريين في مقدمتها الاقوام الميديّة الفارسية. وكانت هذه العناصر المتحالفة من القبائل الايرانية قد وصلت الى ايران من الجهة الشمالية في مطلع الألف الاول من قبل الميلاد، وكان الفرس انذاك لايزالون في الشمال الغربي من ايران ثم نزحوا الى الجنوب الغربي الى الاقليم الذي عرف باسمهم فيما بعد وهو اقليم فارس والواقع على سواحل الخليج العربي الشرقية، اما الميديون فقد اتخذوا من مدينة اكباتانا (همدان حاليا) عاصمة لهم وكانوا حينئذ عبارة عن قبائل متنقلة غير متحضرة، وكان على الاشوريين ان يواجهوا هذه العناصر ويقضوا على خطرهما.

ويبدو ان السياسة التي اتبعتها شيلمنصر لم تلق التأييد الكامل في داخل بلاد اشور نفسها حيث حدثت مؤامرة داخلية زعمها احد ابناء شيلمنصر، وهو اشور-ادن-ابي بعد ان ضمن تأييد عدد من المدن الرئيسة. ولان الملك شيلمنصر كان شيخا كبيرا فقد تولى ابنه وولي عهده شمشي-ادد مهمة القضاء على المؤامرة التي اجتاحت بلاد اشور واستغرق ذلك اربع سنوات توفي خلالها الملك

(م) وغيرهم^(٢٦). ووصفت سمير اميس في هذه الروايات بأنها كانت شخصية بارزة في البناء والتعمير وفاتنة الجمال والحكمة وذات قابلية عسكرية وادارية متميزة، فضلاً عن حدة شهوتها الجنسية. ونسبت اليها القصص والاساطير أفعالاً كثيرة منها بناء مدينة بابل وغيرها من المدن واقامة جنائها المعلقة وبناء السدود ومشاريع الري وفتح بلاد مصر والهند حتى ان احدى الاساطير الارمنية نسبت اليها بناء مدينة عظيمة تطل على بحيرة وان في شرقي تركيا. وبذلك اصبحت سمير اميس رمزاً وعنواناً لاجداد حضارة وادي الرافدين. ويبدو من هذه الاساطير والروايات بأنها لا بد ان كانت ذات شخصية بارزة في العصر الاشوري لكي تحتل هذه المكانة عند الكتاب التأخرين وان هذا ماتوئده المكتشفات الاثرية في مدينة آشور، حيث كشف في العاصمة القديمة آشور عن صفين من المسلات التذكارية المدونة بالكتابة المسارية تحليداً للذكرى شخصيات اشورية مختلفة، وكانت جميع المسلات في الصف الاول خاصة بكبار الموظفين بينما كانت مسلات الصف الثاني خاصة بالملك باستثناء الثلاثة الاخيرة حيث خصصت الاولى الى ملكة (سيدة القصر) آشور بانبيال والثانية لسيدة سنحارب (وقد فقد القلب) اما الثالثة فقد خصصت الى شومورامات ونقرأ فيها النص الآتي:

٥. مسلة شومورامات:
ملكة [حرباً سيدة القصر] شمشي - ادد
ملك الجميع، ملك آشور،
والدة ادد - نراري،
ملك الجميع، ملك آشور،
زوجة ابن شيلمنصر
ملك الجهات الاربع^(٢٧).

وان حقيقة ذكر سمير اميس في هذه المسلة ووجود المسلة بين مسلات ملكية وانها وضعت لوحدها بأنها والدة الملك مما يشير الى انها كانت تحتل مركزاً خاصاً في عهد ابنها ادد - نراري. كما يلاحظ ان حاكم كلخوركس تمثالين كتب على احدهما،

الاب ونصب شمشي - ادد الخامس ملكاً على بلاد اشور وذلك عام ٨٢٣ ق. م. واستمر حكمه لمدة اثني عشر سنة شغل الجزء الاول منه في اخاد الاضطرابات الداخلية وفي تثبيت مركزه، واعتمد في ذلك على مساعدة الملك البابلي الذي عقد معه معاهدة اعترف بموجبها الملك الاشوري بسيادة ملك بابل مقابل تأييده له. وكان من نتائج الاضطرابات الداخلية ان تزعزت السلطة المركزية وتمردت الاقاليم الحدودية، ولاسيما في الجهات الشمالية والشمالية الشرقية وازداد ضغط اورارتو وغدت تشكل تهديداً مباشراً للدولة الاشورية مما اضطر الملك الاشوري الى تجهيز عدد من الحملات العسكرية الى المنطقة لضمان تأييد زعماء وامراء بلاد نائيري. كما تمكن من فرض احترامه على القبائل المبدية واخذ منها الجزية.

وبالنسبة لبلاد بابل، فيظهر ان خليفة الملك البابلي الذي عقد المعاهدة مع شمشي - ادد كان قد تورط في حلف مع مملكة عيلام ونامري (وهي دولة شمال بلاد عيلام) والاقوام الكلدية وبشكل بذلك حلفاً ضد الدولة الاشورية فجهز شمشي - ادد حملة عسكرية عليه وسلك الطريق المحاذي لنهر دجلة من الشرق وقضى خلالها على قوات الحلف ودخل بابل وقدم القرابين الى الالهة القومية وذلك عام ٨١١ ق. م.^(٢٨)

توفي شمشي - ادد الخامس وكان ابنه وولي عهده ادد - نراري الثالث صغير السن، ويظن بعض الباحثين ان والدته، اي زوجة شمشي - ادد، التي ورد اسمها في النصوص المسارية على هيئة شومو - رامات وفي النصوص الاغريقية على هيئة سمير اميس، اصبحت وصية على ابنها لمدة خمس سنوات، وقد تناقلت الروايات والحكايات قصصاً واساطير كثيرة عن شخصية سمير اميس وعن فترة حكمها كوصية على ابنها، وكان اقدم ماذكر عنها رواية هيرودوتس (القرن الخامس قبل الميلاد) كما ذكرها الجغرافي سترابو (٦٤ ق. م - ١٩ م) ودبودورس الصقلي (متصف القرن الاول ق. م).

من اجل حياة ادد- نراري ، ملك بلاد آشور ، سبده ، وعلى الاخر، من اجل حياة شومورامات ، سيدة القصر ، سبده ، مما يشير الى المركز المرموق الذي احتلته سميراميس في عهد ابنها. غير ان هذه المكتشفات مع انها تشير الى المكانة الرفيعة التي تمتعت بها شومورامات ، على خلاف الملكات الآشوريات الاخريات ، فانها لا تشير الى قيامها باعمال ضخمة كالتي نسبت اليها في الاساطير ، وهذا يضعنا امام لغز تاريخي يشير كثيراً من التساؤلات لعل اولها هو معرفة كيفية تجمع هذه الحكايات والاساطير حول شخصية الملكة الاشورية التي لم تحكم وصية على ابنها سوى خمس سنوات مع العلم انه لم تكن تلك السنوات الخمس ذات اهمية خاصة في التاريخ الآشوري مقارنة مع عهود الملوك الآخرين . وقد ارتأى احد الباحثين تفسيراً لذلك وهو ان شومورامات كانت اميرة بابلية تزوجت من الملك الآشوري وان هيرودوتس وهو اول من كتب عنها اخذ رواياته من الكهنة البابليين ، واعتزاً من الكهنة البابليين باميرتهم فقد بالغوا في الاعمال الجليلة التي قامت بها وازضاف الى ذلك هيرودوتس من خياله الخصب ما اضاف، وهكذا فعل من جاء بعده حتى تجمعت تلك الاساطير حول شخصيتها الى درجة ان احدى الاساطير جعلتها ابنة الالهة نصفها سمكة ونصفها الاخر حمامة ، وكانت هذه الالهة تعبد في مدينة عسقلون ، وربما كان لذلك علاقة بمعنى اسم شومورامات الذي يعني «محبوبة الحمام» وتذكر الاسطورة انه بعد ان وضعت ابنتها شومورامات تحلت عنها فاخذها طير الحمام ورماها ثم عثر عليها كبير رعاة الملك فتولى تربيته ولما كبرت ورأها حاكم مدينة نينوى المسمى اونييس احبها وتزوجها غير ان الملك نينوس هام بها ايضاً فأكره زوجها على ان يتخل عنها مما دفعه الى الانتحار حزناً عليها وتزوجها الملك نينوس ونالت عنده حظوة ومقاماً رفيعاً ومكانة مرموقة فاستغلت ذلك واستعظفت زوجها ان يتوجها على عرش المملكة لفترة قصيرة ، ففعل

ذلك ولكنها سرعان ما سجن زوجها او انها قتله وتفردت بالملك وحكت اكثر من اربعين عاماً فقامت خلال ذلك بمثل هذه الاعمال الخارقة ومن الواضح ان المعلومات الانبارية المتوفرة لدينا لا تؤيد مثل هذه الروايات والاساطير^(٢٨) .

وقد شهد حكم ادد- نراري الثالث (٨٤٠- ٧٨٣ ق. م) وحكم ابنه شيلمنصر الرابع (٧٨٢- ٧٧٢ ق. م) تزايد ضغوط دولة اورارتو على الحدود مما دفع بالدوليات السورية الى اعادة تشكيل الحلف العسكري المضاد للدولة الآشورية ، فقام الملك الآشوري بارسال عدة حملات عسكرية لمواجهة قوات الحلف^(٢٩) ، ومع ذلك فقد انكشفت قوة الدولة الآشورية وتقلص نفوذها في شمال سوريا وقاست كثيراً خلال عهود الملوك الضعفاء الذين تعاقبوا على العرش الآشوري بعد ذلك فتمكنت اورارتو من السيطرة الكاملة على الطرق التجارية القادمة من ايران والطرق المؤدية الى الساحل السوري وآسيا الصغرى، وبذلك تسببت بنشوء ازمات اقتصادية في بلاد آشور نتيجة انقطاع تجارتها، وقد اثر ذلك بالطبع على نشاطها العسكري ايضاً. وتغيرت أوضاع الدولة الآشورية في هذه الفترة ، فلم يعد لها سوى موقف الدفاع عن سيادتها ضد الاقوام التي انتهزت فرصة تردي الاوضاع واستمر الوضع كذلك في عهد آشور- دان الثالث (٧٧١- ٧٥٤ ق. م) وازدادت الاوضاع تردياً خاصة بعد ان حلّ وباء عام في بلاد آشور فتك بالسكان وان اهم ما يذكر عن عهد هذا الملك هو حدوث كسوف شمس ذكره اثبات الليمو وذلك في السنة الثالثة من حكم آشور- دان الثالث، وقد تمكن الفلكيون المعاصرون من تحديد سنة حدوث الكسوف وحددوا اليوم والشهر الذي حدث فيه وكان ذلك في ١٥ / ٦ / ٧٦٣ ق. م ، وبذلك امكن تحديد نقطة ثابتة في التاريخ القديم تتم بها تحديد فترة حكم الملوك السابقين واللاحقين لآشور دان بالنسبة الى وقتنا هذا وبصورة دقيقة .

وزادت الاوضاع تأزماً واندلعت ثورة عامة في المدن الاشورية وذلك عام ٧٤٦ ق. م اغتيل خلالها الملك آشور- نراري الخامس وجميع افراد اسرته ونصب بدلا عنه تيجلاتيليزر الثالث الذي عهده بداية عهد امبراطوري جديد .

الامبراطورية الآشورية الثانية

اعتلى تيجلا تيليزر الثالث العرش الاشوري ، وبلاد اشور اكثر ماتكون تمزقاً واضطراباً ، وكان على الملك الذي نصبته الثورة ان يستوعب الاوضاع العامة التي كانت تمر بها البلاد و ان يبادر الى معالجتها وفق خطة مدروسة ويضع الحلول الناجحة لها . وقد اثبت تيجلا تيليزر انه كان حقاً سياسياً من الطراز الاول وادارياً ناجحاً وقائداً عسكرياً مقتدراً استطاع خلال سني حكمه الذي استمر مايقرب من عشرين عاماً (٧٤٥-٧٢٣ ق. م) ان يقضي على الفوضى السياسية والايتراك الاقتصادي الذي عم بلاد اشور وان يعيد للدولة سابق هيبتها وسلطانها ويوفر لها الاستقرار ويزيد من نفوذها ويوسع حدودها الى مناطق جديدة لم تكن تابعة لها . وكما اشرنا سابقاً لم تكن العمليات العسكرية التي قام بها تيجلا تيليزر ومن جاء بعده من الملوك الآشوريين لتؤتي ثمارها وتحقق اهدافها بالشكل المطلوب لولا الاصلاحات الجذرية في جهاز الدولة الاداري والتنظييات الجديدة التي اعيد بموجبها تنظيم الجيش والسياسة الواضحة التي اتبعت تجاه الدول والممالك التابعة وقد عد كثير من الباحثين عهد تيجلا تيليزر بداية عصر امبراطوري جديد في تاريخ الآشوريين^(٣٠) .

استهدفت الاصلاحات التي ادخلها تيجلا تيليزر^(٣١) الى جهاز الدولة الاداري تقوية السلطة المركزية والتقليل من سلطة حكام المقاطعات وتقليص حدود مقاطعاتهم لمنع تزايد قوتهم واحتمال تمردهم فاعاد تقسيم المقاطعات الاشورية وزاد من

عددها على حساب مساحاتها وقسم كل مقاطعة الى وحدات ادارية اصغر واصغر ، وعين لكل وحدة ادارية موظفاً مسؤولاً اقل درجة من الموظف الذي يليه وكان النظام يقضي بارتباط بعضهم ببعض ، ومع ذلك كان بوسع اي موظف ان يشتكي الى الملك مباشرة ويمثل امامه ان اقتضى الامر دون المرور بالتسلسل الاداري ، كما تضمن الاصلاح الاداري تغيير وضع الممالك والدويلات الموالية والتابعة على الحدود والعمل على جعلها مقاطعات آشورية يديرها حكام آشوريون بصورة مباشرة كلما كان ذلك ممكناً . وقد يكتفى بتعيين موظف آشوري في بلاط المملكة التابعة للاشراف على شؤونها العسكرية وسياستها الخارجية وتوجيهها حسباً تلمية مصلحة الدولة الاشورية مقابل الحماية العسكرية التي تقدمها الدولة الاشورية لمثل هذه الممالك ضد اي اعتداء خارجي او تمرد داخلي . وباتساع رقعة الدولة كان لا بد من تطوير نظام البريد والمواصلات لزيادة دقة الاشراف والمراقبة على المقاطعات وايصال التعليمات والتوجيهات الملكية في الوقت المناسب ووصول التقارير الخاصة بالمقاطعات الى الملك .

وفياً يحرص تنظيم الجيش يبدو ان تيجلا تيليزر وجد ان نظام التجنيد الذي كان متبعاً ، والذي اعتمد اساساً على تجنيد المزارعين والبييد الذين يقدمهم ملاك الاراضي من الآشوريين ، لم يكن مجدياً وملائماً ، فاستبدله بنظام جديد كان اساساً لنظام الجيش الدائم ، ففرض على كل مقاطعة من المقاطعات الاشورية تقديم عدد معين من المقاتلين لتكوين فرقة خاصة^(٣٢) ، ولا بد ان اختصت كل مقاطعة بصنف معين من اصناف الجيش بما يتلاءم وطبيعتها وطبيعة سكانها فتضاعف حجم القوات العسكرية وغدا الجيش الذراع القوي الذي يحمي حدود الدولة ويفرض سلطتها على جميع انحاء الامبراطورية ، واتبع تيجلا تيليزر الى جانب ذلك ، وعلى نطاق واسع ، سياسة ترحيل السكان

التمردين الى مناطق اخرى من المملكة واستبداهم بسكان آخرين منعاً لاي تمرد وقطعاً لاي اتصال بينهم وبين سكان المقاطعات المجاورة، وكان من نتائج ذلك مزج سكان الامبراطورية، وقد صورت لنا النحتوات الاشورية مشاهد من عمليات الترحيل هذه (٣٣).

وعملًا بالسياسة الادارية الجديدة فقد كان من اولى نشاطات تجلا تليز الادارية اعادة تنظيم المنطقة الواقعة الى الشرق من نهر دجلة بهدف ضمان حدود الدولة الاشورية الشرقية، فقسم المنطقة الى مقاطعتين اشوريتين امتدت الاولى، وهي مقاطعة أزابجا (كركوك حالياً) حتى شرقي بغداد في حين امتدت الثانية لتشمل الاراضي الواقعة الى الجنوب منها وكانت تفصل بين بلاد بابل وبلاد عيلام.

وحيث كانت سياسة الملك البابلي حينئذ مواءمة للسياسة الاشورية فقد امكن ضمان امن الحدود الجنوبية وسلامها، كما ان ذلك قطع الطريق على مملكة عيلام للتدخل في شؤون بلاد بابل. وازاء ذلك تمكن تجلاتليز ان يتوجه الى الجبهة الشمالية الشرقية حيث كانت دولة اورارتو تزيد من ضغوطها على حدود الدولة الاشورية وتهدد بقطع مواصلاتها، فوجهت حملة عسكرية الى اراضي تحري، وهو اقليم يقع شمالي زاموا (السليمانية) وامكن فرض السيطرة على الحكام المحليين وفرض الجزية عليهم وقد اندرست هذه الحملة ساردر، ملك اورارتو، بالخطر فسارع الى تشكيل حلف مضاد للاشوريين جمع الامراء الحثيين والاراميين في شمال سوريا مما دفع تجلا تليز الى تجهيز حملة ثانية في السنة التالية لمواجهة قوات الحلف ووقع بها هزائمه شنيعة، استناداً الى ما جاء في حوليات الملك الآشوري، حيث ذكر انه وقع في المعركة مايقرب من ثلاثة وسبعين الفا من الاعداء، اما ساردر نفسه فقد هرب ليلا تاركا وراءه جميع ممتلكاته الشخصية، في حين سارعت الدول التي لم تتورط في الحلف الى دفع الجزية وتقديم الولاء (٣٤). وبعد هذه الانتصارات اتخذت

سوريا قاعدة عسكرية لتوجيه الحملات الى الشمال والشمال الشرقي. وفي عام ٧٣٤ ق. م. حدثت الاضطرابات في جنوبي فلسطين واعيد تشكيل حلف شمال سوريا الذي ضم عدداً من الدويلات السورية ودولة اسرائيل فقام تجلا تليز بمعالجة الموقف ووجه حملة اخرى الى المنطقة اعاد خلالها سيطرته عليها وجعل عدداً من الدويلات التي كانت تدين بالتبعية تحت الحكم الاشوري المباشر.

وبعد وفاة ملك بابل الموالي للآشوريين تمرت القبائل الكلدية على اشور في حين ظل سكان المقاطعات الواقعة شرقي دجلة الى الشمال من بلاد بابل، وكذلك سكان بلاد بابل المحليين انفسهم مؤيدين للسياسة الآشورية. وقد استخدم تجلا تليز الاساليب الدبلوماسية اولا للقضاء على الاضطرابات التي اثارها القبائل الكلدية وذلك من خلال تحييد بعضها، كقبيلة بيت اديني، ثم جهز حملة عسكرية على التمردين الباقين ودخل بابل وقلد نفسه ملكاً عليها (٣٥) وعرف في المصادر البابلية باسم بول (Pul).

وفي عهد شيلمنصر الخامس (٧٢٧-٧٢٢ ق. م) تغير الموقف في الجبهة الغربية حيث امتنع كل من ملك اسرائيل وملك صور عن دفع الجزية مما دفع بالملك الآشوري الى ارسال حملة عسكرية استولت على صور اولا ومن ثم اعادت سلطتها على دولة اسرائيل وفرضت الجزية عليها. غير ان هذه العمليات لم ترق للملك اسرائيل فامتنع عن دفع الجزية ثانية، وربما كان ذلك بتشجيع من فرعون مصر فارسلت حملة اخرى الى دولة اسرائيل وحوصرت مدينة السامرة حتى استسلمت للملك الآشوري (٣٦) وربما كان سرجون، الذي اعتلى العرش الآشوري بعد ذلك قائداً للجيش الآشوري الذي فتح السامرة حيث ادعى سرجون فيها بعد انه هو الذي قضى على ملك اسرائيل. اما بالنسبة لبلاد بابل فقد توج شيلمنصر نفسه ملكاً عليها كما فعل ابوه من قبل وعرف لدى البابليين باسم بولولوب.

اعتلى سرجون (شروكين «الملك الصادق» او «الثابت») العرش الآشوري عام ٧٢١ ق. م. ولا تعرف علاقاته بسلفه وربما كان غاصبا للعرش، كما لا يعرف اسمه الحقيقي ويبدو انه تسمى بسرجون عند او بعد اعتلائه العرش مباشرة، ربما تيمنا بالملك الاكدي الشهير سرجون الذي حكم قبله بمئات من السنين^(٣١)، ويمثل عهد سرجون بداية حكم سلالة ملكية جديدة تتابع على الحكم منها اربعة من اشهر ملوك العراق طرًا واغزرهم من حيث الخلفات المادية وهم سرجون وسنحارب واسرحدون واشور بانينال، كما يمثل عهد حكم هذه الاسرة نهاية حكم الدولة الآشورية السياسي في المنطقة.

تشير المصادر المسماة الى ان الاوضاع العامة في داخل بلاد اشور كانت مرتبكة عندما تولى سرجون الحكم فقد استغلت بعض المقاطعات الحدودية فرصة انتقال الحكم، ربما بشكل غير شرعي، واعلنت التمرد والعصيان ضد السلطة المركزية ويخبرنا سرجون نفسه بانه «جد اهل آشور من التجنيد القسري ومن جباة الضرائب»^(٣٢)، وهي اشارة واضحة الى الاوضاع المرتبكة التي واجهها سرجون في سنة حكمه الاولى.

اما بالنسبة للاوضاع الدولية فيبدو أن انتصارات تجلا تليز الساحة في الجهتين الشرقية والغربية قد أثارت كلا من مملكة عيلام والمملكة المصرية ودفعت بها الى اتخاذ الاجراءات الاحترازية للحد من نشاط الدولة الآشورية والعمل على تقويض سلطانها حيث كان من نتائج سيطرة الآشوريين على بلاد الشام ومواني البحر المتوسط أن تأثرت علاقة مصر بهذه المنطقة وانقطعت تجارتها معها وتوقف تزويدها بما تحتاجه من المواد الخام، ولاسيما الأخشاب، في حين نتج عن سيطرة الدولة الآشورية على الجهة الشرقية قطع طرق مواصلات عيلام التجارية عبر ايران^(٣٣)، لذا بدأت مصر بتقديم العون والمساعدة الى الدويلات السورية في الوقت الذي كانت فيه عيلام تغذي حركة التمرد

والعصيان في الأقاليم المحلية التابعة للدولة الآشورية وتمتني شيوخ القبائل الكلدية القاطنة في جنوبي بلاد بابل بتقديم العون المادي والعسكري وتوفيرها للملجأ متى ضيقت الدولة الآشورية الخناق عليها. ويبدو ان ملوك عيلام وجدوا آذانا صاغية عند مردوخ — ابلا — ادينا (الصيغة التوراتية مردوخ — بلادان)^(٣٤)، وهو زعيم قبيلة بيت ياكيني الذي نصب نفسه ملكا على بابل سنة اعتلاء سرجون العرش الآشوري معتمدا على اسناد مملكة عيلام له. وقد اضطر سرجون الى تجهيز حملة عسكرية سلكت الطريق الواقعة الى الشرق من بلاد بابل وواجه اعداءه من العيلاميين عند مدينة دير بين دجلة وسلسلة جبال زاغروس وادعى انه حقق انتصارات ساحقة على العيلاميين غير ان هناك وثيقة بابلية محايدة تشير الى ان الملك الآشوري خسر المعركة او انه انسحب بقواته قبل حسم المعركة^(٣٥)، ربما بسبب ماحدث في الجهة الغربية من اضطرابات واضطراب الجيش الى التوجه هناك، وتشير الاحداث التالية الى ان سرجون قد ترك الاوضاع في بلاد بابل دون تغيير جذري لمدة عشر سنوات ظل خلالها مردوخ — ابلا — ادينا ملكا على بلاد بابل. وقامت المدن البابلية كثيرا في هذه الفترة وتردت الاوضاع الاقتصادية وتحكمت القبائل الكلدية والعيلامية بالأوضاع الداخلية مما دفع البابليين الى ان يستنجدوا بالملك الآشوري لتخليصهم من تلك الاوضاع. ويبدو أن سرجون قد توجه، بعد ان ثبت مركزه في الغرب، نحو بلاد بابل ثانية وذلك عام ٧١٠ ق. م. واعاد لذلك حملة عسكرية قوية استمرت لمدة سنتين، اعاد بعدها سلطته على مدن بلاد بابل، وقد رحب سكان تلك المدن بمجيئه فأعلن سرجون نفسه نائبا للاله في بلاد بابل غير أنه عاد ونصب مردوخ — ابلا — ادينا زعيما على قبيلته بعد أن قدم له الخضوع والولاء، وسارع بعد ذلك كل من ملك فريجيya المدعو «ميداس» وملك دلون (البحرين) اويريبي الى اظهار الود والصداقة نحو سرجون وأرسلوا اليه الهدايا.

اما في الجبهة الغربية ، فقد تمردت بعض المدن السورية والفلسطينية ضد الحكم الآشوري مستغلة اعتلاء سرجون العرش وتزعمت مدينة حاة حلفا عسكريا لمواجهة الآشوريين مما اضطر سرجون الى ترك المشكلة البابلية حيناً والتوجه بمحكمة مستعجلة نحو الغرب لمواجهة قوات الحلف عند قرقق وتمكن من القضاء على قوات الحلف وأخضعت حاة وجعلت مقاطعة آشورية، واتجه الجيش الآشوري بعد ذلك بمحاذاة سواحل البحر المتوسط الى ان وصل جنوباً الى غزة واقرب من الحدود المصرية وثبت هيمنته على جنوبي فلسطين. غير ان الأوضاع في المنطقة تطلبت القيام بمهمة أخرى وجهت إليها عام ٧١٦ ق.م ، اي بعد خمس سنوات ، ووصلت القوات الآشورية هذه المرة الى وادي العريش حيث اقيم لأول مرة مركزاً حربياً آشورياً على حدود مصر^(١٢). وبعد ان احكم سرجون سيطرته على الجبهة الغربية ، قام بمهمة عسكرية على بلاد ايران وضم عدداً من المقاطعات المهمة في منطقة كرمشاه وهدان الى حدود الدولة الآشورية^(١٣).

غير ان المشكلة الرئيسية التي واجهها سرجون والخطر الذي كان يهدد كيان دولته جاء من تزايد ضغطات الاقوام الشمالية التي كانت جماعة منها قد شكلت لها مملكة قوية عرفت باسم زكروتنو شرقي بحيرة اورميا ، وكان الميديون يؤلفون جزءاً مهماً من هذه الاقوام. وقد اتفق ملك اورارتو مع ثلاثة من زعماء الميديين للوقوف ضد الدولة الآشورية. وبدأ ملك زكروتنو بانارة الاضطرابات في الاقاليم الآشورية الشرقية ، فأرسل سرجون عدة حملات تأديبية الى المنطقة غير ان تدخلات اورارتو استمرت في شؤون الاقاليم الآشورية ، لذلك كان لابد من وضع حد لها. فوضعت الخطط اللازمة للقيام بهجوم واسع على اورارتو وبدأت تقارير الاستخبارات الآشورية وتقارير الجواسيس الاجانب في المنطقة تنال على الملك الآشوري مشجعة اياه للقيام بتدخل عسكري في المنطقة، وتبين له أن الوقت كان ملائماً للقيام بالهجوم المرتقب. وبدأت الحملة الكبيرة التي

قادها الملك سرجون نفسه الى اورارتو عام ٧١٤ ق.م. وكانت من أقوى الحملات العسكرية الآشورية الى المنطقة. وقد أمكن التعرف على تفاصيل الحملة من رسالة مطولة كتبها سرجون وعنوانها الى «الاله آشور ، ابو الآلهة ، والى الآلهة ، والآلهات المتحركة بالقدرة ، الى المدينة وسكانها والى القصر في وسطها» ربما ليضمن الشرعية على الحملة. ويظهر تأييد الاله له الى جانب الناحية الاعلامية التي ارادها سرجون لاطلاع جميع الناس على الانتصارات الباهرة التي حققها ، وقد عرفت الحملة لدى المحدثين بمهمة سرجون «الثامنة». بدأ سرجون زحفه الى مقاطعة زاموا ثم استمر شمالاً وشرقاً الى حدود زكروتنو وفتح المدن المحصنة التابعة لها واتجه بعد ذلك غرباً وقاد هجوماً خاطفاً مع حرسه وقواته الخاصة على احد اجنحة الجيش المعادي وشنت شمله ثم عاد وهجم بجيشه الرئيس على قوات اورارتو ودحرها ونشر الرعب ، كما يقول. بين صفوفها وانهمز قائد جيش اورارتو ومعه قواته شر هزيمة وهرب روساس ، ملك اورارتو ولازم الفرائش كامراًة في الخاض ، ورفض ان يمس فمه طعام او شراب وجلب على نفسه مرضاً لاعلاج له^(١٤) ، وفي طريق عودة الجيش الآشوري قاد سرجون نفسه الفا من جنوده المتتبعين وهاجم مدينة موصاصير ذات الموقع الحصين ، وهي احدى دويلات المدن الاورارتية المنعزلة وذات القدسية الخاصة والتي لم تقدم الخضوع لسرجون ، وقد امكن اخضاعها وبذلك ضمن سرجون امن واستقرار المنطقة لمدة طويلة باستثناء بعض التمردات البسيطة.

وتضمنت نشاطات سرجون العسكرية ، فضلاً عن ذلك ارسال حملة الى دولة كركميش في الشمال وعدد من الحملات الاخرى الى آسيا الصغرى حيث فرضت الهيمنة على كيليكييا وفريجيا. وفي عام ٧١٠ ق.م. كانت سيطرة سرجون كاملة على جميع ارجاء الامبراطورية الآشورية وغدت

الدولة الآشورية بالرغم من جميع التحديات والمخاطر اقوى دولة في المنطقة .

ولم يكن سرجون سياسيا قديرا وقائدا عسكريا فذا فقط بل كان معمارا من الطراز الاول حيث قام بنشاطات عمرانية واسعة في المدن المختلفة وتوج اعماله ببناء عاصمة جديدة له اختارها موقعا قريبا من نينوى وعرفت باسمه "دور- شروكين" أي "حصن سرجون" وكان سرجون قد اتخذ من آشور عاصمة له ثم انتقل الى نينوى واتخذ كلخو (الترود) قاعدة عسكرية، وأخيرا باشر ببناء عاصمته الجديدة وفق مخطط متكامل وذلك عام ٧١٧ ق. م. واستمر العمل فيها حتى السنة الأخيرة من حياته حيث انتقل اليها عام ٧٠٦ وتوفي في العام التالي. ولم يتخذها اي من أبنائه الذين خلفوه في الحكم عاصمة للملكهم بل ان المدينة هجرت قبل ان تسكن فعليا كما سيأتي ذكر ذلك في مكان آخر.^(٤٥)

اعتلى سنحاريب^(٤٦) العرش وقد بلغت الدولة الآشورية الى اقصى حدودها ، باستثناء مصر التي لم تكن قد ضمت اليها بعد ، كما كانت الحضارة الآشورية قد وصلت الى أوج ازدهارها. وكان سنحاريب من الشخصيات البارزة القليلة التي ظهرت في تاريخ وادي الرافدين ، وأثبتت مقدرتها وكفاءتها وخلفت من الآثار الضخمة ما تزدان به متاحف العالم اليوم . وكان قد تدرب على أساليب الحكم والادارة وقيادة الجيش قبل توليه الحكم عندما كان وليا للعهد يعيش ويتدرب ويتقن في قصر ولاية العهد (بيت ريديتي) جريا على التقاليد الآشورية الملكية . كما كان قد شغل فعلا عددا من المناصب الادارية وربما قاد الجيش في عهد والده سرجون كما يستنتج ذلك من بعض رسائله الى والده.^(٤٧) وكانت نشاطات سنحاريب العمرانية واسعة جدا شملت جميع المدن الآشورية وفي مقدمتها العاصمة نينوى التي اولاه اهتماما خاصا ، وأعاد بناء قصورها ومعابدها ووسع من اسوارها وشوارعها ، واقام فيها الحدائق والبساتين وجلب

اليها المياه ، اما النشاطات العسكرية التي قام بها سنحاريب فقد شغلت معظم سني حكمه وكانت مركزة بالدرجة الاولى في جبهتين : الغربية والجنوبية الشرقية . اما في الجبهة الشمالية والشمالية الشرقية ، فيبدو ان العمليات العسكرية الواسعة التي قام بها سرجون ، ولاسيما حملته الثامنة ، قد ضمنت للدولة الآشورية استقرارا نسبيا في المنطقة لمدة من الزمن طالما لم تقم اورارتو والاقوام الجبلية الاخرى بما يعكر صفو المنطقة ويهدد امنها واستقرارها ، لذا يمكن القول ان العمليات العسكرية التي قام بها سنحاريب وخلفه اسرجدون وأشور بانيبال والموجهة الى كل من الجبهتين الغربية ، بما فيها مصر ، والجنوبية الشرقية ، بما فيها عيلام ، كانت عمليات دفاعية احترازية طالما كانت مصر من جهة وعيلام من جهة اخرى وراء معظم التردات والاضطرابات التي كانت تحدث في المناطق المجاورة لها والتابعة لنفوذ الدولة الآشورية .

بعد وفاة سرجون في ظروف غامضة بدأت الاضطرابات وحركات التمرد في المدن والدويلات السورية والفلسطينية ضد الحكم الآشوري ، وكانت مصر تدعم ذلك مما حدا بسنحاريب الى تجهيز حملة عسكرية توجهت نحو الجبهة الغربية وذلك عام ٧٠١ ق. م. ودارت اول معركة بين الجيش الآشوري ولوليا احد الحكام المتمردين الذي هرب الى جزيرة قبرص بعد الهزيمة التي حلت بقواته وفرضت السيطرة الآشورية على المدن الفينيقية صور وصيدا كما يذكر ذلك سنحاريب قائلا : "في حملتي الثالثة ذهبت الى ارض خاني (سوريا) ، لوليا ملك صيدون ، لم يعترف بسلطتي ، هزمته وفرضت سيطرتي عليه وولى مدبرا الى وسط البحر ومات هناك..."^(٤٨) ثم استمر سنحاريب بتقدمه نحو بقية المدن السورية حيث سيطر على مدينة عسقلان واسر حاكمها صدقيا : "صدقيا ، ملك عسقلان الذي لم يخضع لسيطرتي ، حملت آلهة ابيه ونسائه واخوته الى بلاد آشور"^(٤٩) . ثم واصل سنحاريب زحفه الى المدن الاخرى حتى وصل الى

بالمعون المادي والعسكري من اجل التمرد على النفوذ الآشوري، وكان هدفها السيطرة على بلاد بابل نفسها، كما تؤكد ذلك محاولات عيلام المتكررة لغزو بلاد بابل عبر العصور المتتالية، وقد ساءت الاوضاع في جنوبي بلاد بابل بعد وفاة سرجون، واستغل مردوخ - ابل - ادينا الفرصة فعاد يطالب بعرش بابل تسنده القبائل الكلدية ومملكة عيلام. وكان سنحاريب قد نصب آنذاك ملكاً موالياً للسياسة الاشورية على بلاد بابل، فتوجه مردوخ - ابل - ادينا الى بابل وخلع ملكها واعلن نفسه ملكاً عليها معتمداً في ذلك على الدعم العسكري الذي قدمه له الملك العيلامي. فسارع سنحاريب الى تجهيز حملة عسكرية ضده واجهت القوات العيلامية التي كانت متمركزة في مدينة كوثا لوقف تقدم الجيش الآشوري في حين عسكرت بقية القطعات في مدينة كيش كما يذكر ذلك سنحاريب نفسه: «وسمع ذلك الشخص (مردوخ - ابل - ادينا) ... بزحف حملي، فدمع (قوات) الخيل ورماء السهام والعيلاميين والاراميين والكلديين مع نرجال ناصر وقادة ملك عيلام العشرة الذين لايعرفون الموت (و) القوات التي معهم التي لاحصر لها (و) ادخل قواتهم سوية الى كوثا واقام حراسة قوية ضد تقدم حملي ...»^(٥١) غير ان خطط سنحاريب العسكرية افشلت مخططات التمردين وقطعت الاتصال بين قطعاتهم وتمكن الجيش الآشوري من دخول كوثا ثم توجه نحو كيش وهزمت قوات التمردين وهرب قائدهم الى اقصى الجنوب ثم توجه سنحاريب بعد ذلك الى بابل حيث رحب بمقدمة السكان المحليين، ثم تابع سيطرته على بقية المدن الواقعة في بلاد بابل وعلى القبائل الكلدية القاطنة في المنطقة، وقبل عودته الى بلاد آشور عين بيل - ابني حاكماً على بابل. ومع ذلك، عاد مردوخ -

مدينة لاختيش وحاصرها وعند ذلك وصل الجيش المصري بقيادة طهارقا لمساعدة المدن السورية مما اضطر سنحاريب الى رفع الحصار عن لاختيش ومواجهة الجيش المصري الذي مني بالهزيمة وأسر ابناء الفرعون المصري وقواده ثم عاود سنحاريب بعد ذلك حصاره للمدينة لاختيش حتى اضطرها للاستسلام.

اما حزقيا حاكم اورشليم، فكان قد أعدّ العدة لمواجهة الجيش الآشوري وقام بتحصين مدينته تحصيناً قوياً غير انها، مع ذلك لم تقوَ على حصار الجيش الآشوري فاستسلمت أخيراً ودفعت الجزية وهي صاغرة، وهكذا تمكن سنحاريب من اعادة سيطرته الكاملة على الجبهة الغربية وربما كان من مخططاته التوغل الى داخل مصر للقضاء على الفرعون المصري وتقدم الجيش الآشوري الى منطقة العرش اورفع على بعد ٣٠ ميلا شرقي القناة غير انه عدل عن التقدم، ربما بسبب سوء الاحوال الجوية، وتكبدت القوات الآشورية خسائر كبيرة من جراء ذلك، كما تذكر أسفار العهد القديم وروايات الكتاب الاغريق غير ان المصادر الآشورية تغفل، كعادتها، ذكر الخسائر وتتجاوز مثل هذه الاحداث^(٥٢).

اما بالنسبة لبلاد بابل فكانت سياسة سنحاريب، كغيره من الملوك الآشوريين البارزين، تقضي بالمحافظة على وحدة بلاد الرافدين اي وحدة بلاد بابل وآشور، واتخاذ جميع الاجراءات والاحتياطات من اجل تحقيق ذلك للعلاقة الوثيقة بين المنطقتين والتاريخ والمصالح المشتركة التي كان يشعر بها كل من البابليين والاشوريين، كما ان الحضارة الواحدة التي كان يعيش في ظلها سكان كل من بلاد بابل وآشور قوت من هذه الروابط. وهكذا نجد سنحاريب يولي اهتماماً خاصاً لحل المشكلة البابلية ويعمل للقضاء على مملكة عيلام التي كانت لاتنفك تثير الفتن والاضطرابات في بلاد بابل وتستميل بعض القبائل الكلدية وتمدها

الاشوري ، وكانت معركة دامية وحاسمة وقع خلالها الالاف من القتل وهربت القطعات العيلامية وحوصرت مدينة بابل نفسها لمدة تسعة اشهر ودخلها سنحاريب هذه المرة وهو اكثر مايكون غضباً . وهكذا كان الصراع عنيفاً بين آشور وعيلام وكانت بلاد بابل ضحية ومسرح ذلك الصراع . وقد تخلله انتصارات وهزائم من كلا الجانبين تعرفنا على بعض منها ، ويبقى بعضها الآخر مجهولاً لدينا حتى تكشف لنا عنه النصوص المسارية التي قد نكتشف في المستقبل . ولكن من المؤكد انه لم تقم في بلاد بابل او عيلام اي تمردات او اضطرابات بعد عام ٦٩٠ ق . م . مما يشير الى ان المعركة التي خاضها الجيش الآشوري في السنة السابقة لذلك كانت معركة حاسمة فعلاً .

وفي الجهة الشمالية والشمالية الشرقية كانت الاوضاع هادئة نسبياً بفضل العمليات العسكرية التي قام بها سرجون من قبل ، ومع ذلك ، فقد وجه سنحاريب حملة الى بلاد نامري الواقعة بين نهر دبالى وسط دربندخان حيث كانت المنطقة مهمة من الناحية العسكرية لوقوعها بين حدود بلاد آشور وايران . وقد واجه سنحاريب صعوبات جمّة في حملته هذه التي قام بها عام ٧٠٢ ق . م . الا انه حقق اهدافه في فرض السيطرة على المنطقة واخضاعها للسلطة الاشورية اما بالنسبة الى منطقة اورارتو ، فقد قام سنحاريب عام ٦٩٩ ق . م . بحملة عسكرية نحو منطقة بحيرة وان واخضعها لسلطته كما توجه في السنة التالية الى منطقة كيليكيا واخيراً قاد حملة الى اقليم تابال عام ٦٩٥ ق . م . وسيطر عليه .

انتهى حكم سنحاريب نهاية محزنة حيث اغتاله ابنه اللذان اعلنا تمردهما ضده وقد استمر بالتمرد لمدة ثلاثة اشهر الى ان تمكن اسرحدون ، ولي العهد الشرعي وخليفة سنحاريب على العرش من القضاء عليها ، حيث ذكرت الحوليات بأنه : « في اليوم العشرين من شهر طيبو قتل سنحاريب

ابلا - ادينا للتمرد ثانية وجمع قواته وتحالف مع عيلام وضمن مساعدتها وتحالف مع بعض القبائل الكلدية الاخرى فقام سنحاريب بتجهيز حملته الرابعة الى المنطقة وهزم بها قوات المتمردين وهرب مردوخ - ابلا - ادينا الى عيلام في حين نصب ابن سنحاريب حاكماً على بلاد بابل . وحيث ان بلاد عيلام كانت دائماً وراء اي تمرد في بلاد بابل ، ولانها بدأت تتدخل تدخلاً سافراً في بلاد بابل ، قرر سنحاريب ان يهاجمها في عقر دارها ويقضي على اسباب التمرد والاضطرابات . ومن اجل ذلك قام ببناء اسطول من السفن استخدمه للعبور الى بلاد عيلام واستعان بعدد من الصناع الفينيقيين واستخدم بحارتهم : « جلبت الخائيتين اللذين قهرتهم بالسلاح الى نينوى فبنوا سفناً ضخمة على غرار سفن بلادهم واصدرت اوامري الى ملاحين من صور وصيدا وقبرص ، اللذين اسرتهم ، بان يبحروا في السفن في نهر دجلة ويزلوا اليابسة ... »^(٩٢) وقد ابحرت السفن فعلاً في دجلة الى مدينة اويس ومنها نقلت الى قناة اراختو ومنها الى نهراقرات . وهكذا تمكن الجيش الاشوري من مهاجمة العيلاميين براً وبحراً وانسحب العيلاميون امام تقدم الجيش الاشوري . وعلى الرغم من ادعاء كتابات سنحاريب بتحقيق انتصار حاسم على العيلاميين فإن الاخبار الاخرى تشير الى ان العيلاميين قاموا بهجوم جديد على بلاد بابل في اثناء وجود القوات الآشورية في بلاد عيلام وانسحب الجيش الآشوري دون حسم المعركة وقام الآشوريون بهجوم ثان على بلاد عيلام عن طريق مدينة دير واخضع العديد من المدن العيلامية والحققها بمقاطعة دير . وقد حدثت تغيرات كثيرة الر ذلك في بلاد عيلام نفسها قتل خلالها الملك العيلامي وتعاونت عيلام ثانية مع المتمردين الكلدانيين ونصبت احد زعماء الكلدانيين ملكاً على بابل ووصلت القطعات العيلامية الى بابل وتجمعت قوات القبائل الكلدية والقبائل المناوئة للحكم الاشوري لتواجه الجيش

بابل هادئاً ومستقراً وقام الملك الآشوري بترميم العديد من ابنة بابل وتجديدها كما أعيدت أملاك سكان بلاد بابل المبعدين بعد الاضطراب الذي حل في عهد سيطرة القبائل الكلدية ، وقد لاقت سياسة اسرحدون الجديدة في بلاد بابل شعبية واسعة في بلاد بابل وضمنت امن واستقرار المنطقة طوال حكم اسرحدون بل ان محاولات عيلام المستمرة في اثارة الفتن والاضطرابات باءت جميعها بالفشل وغدت بابل قاعدة عسكرية تخرج منها القطعات في حملاتها نحو الشرق .

وفي الشمال والشمال الغربي كانت قد قدمت المنطقة اقوام سميت في المصادر الاشورية باسم اشكوزايا ، وهي الاقوام الاسكيتية ، وقد اقام اسرحدون مع احد امرائها علاقة ودية وزوجه من اميرة آشورية ، كما عادت بالظهور بعض القبائل الكرية وقام الاشوريون ببعض الحملات الناجحة ضدهم غير ان ضغوطهم زادت على حدود الدولة الاشورية مما افقد آشور بعض مقاطعاتها الحدودية . ويبدو ان نفوذ الاشوريين قد ضعف على المانيين جنوبي بحيرة وان نتيجة تغلغل السكيثيين والكرانيين مما دفع بأسرحدون الى تقوية نفوذه في منطقة ميديا واتباع سياسة جديدة تجاه بعض زعماء القبائل الميديّة بهدف استخدامهم للقضاء على اي تمرد في المنطقة . وعقدت عدة معاهدات مع الامراء الميديين وغيرهم من الامراء التابعين كشف عن سلسلة منها مؤخراً وهي تلك الخاصة بالامراء الميديين والمتعلقة بتنظيم ولاية العهد الاشوري .^(٥٥)

وفي الغرب ، كانت بعض المدن الفينيقية وعلى رأسها مدينة صيدا تعمل على خلق الاضطرابات ونيز النفوذ الآشوري ، فقام اسرحدون بعملية عسكرية عليها وعلى حلفائها وأسر ملكها وأقام بالقرب منها حصناً آشورياً جديداً أفتتحه بحضور اثنين وعشرين ملكاً من الملوك المحليين في البلدان المجاورة . وفي عام ٦٧٥ ق.م. بدأ ملك مصر

ملك بلاد آشور من قبل ابنه بتمرده بعد ان حكم آشور اربع وعشرون سنة ، واستمر التمرد في بلاد آشور من اليوم العشرين من شهر طيبو الى اليوم الثاني من شهر اذار . وفي اليوم الثامن والعشرين من شهر اذار غادر اسرحدون بابل متوجهاً الى آشور واعتلى عرشها .^(٥٦)

كان اسرحدون ، وهو الابن الاصغر ، قد عين ولياً للعهد في عهد والده وربما كان ذلك من الاسباب التي اوغرت صدور اخوته ودفعت بعضهم الى التآمر ، ويذكر اسرحدون انه بادر الى قيادة جيشه لمواجهة المتمردين الذين انحاز اليهم الجيش الآشوري الرئيس وابعدهم كثير من الحكام والامراء والمدن الاشورية . واستعد المتمرّدون لمواجهة اسرحدون في منطقة نصيبين غير ان الشقاق دب بين صفوف الجيش وقادته . واعلن بعض القادة انضمامهم الى اسرحدون في حين هرب المشاركون في جريمة اغتيال سنحاريب الى اورارتو ، وتمكن اسرحدون من السيطرة على الموقف دون ان تقع معركة بين الجانبين وعوقب رؤوس التمرد بقسوة وجلس اسرحدون «سعيداً على عرش والده» وذلك في آذار من عام ٦٨١ ق.م .^(٥٧)

اتبع اسرحدون سياسة جديدة في معالجة المشكلة البابلية التي قضى والده معظم سني حكمه في معالجتها وربما افاد من فترة بقائه في بلاد بابل في اثناء حكم والده وتعرف على ابعاد المشكلة ، فضلاً عما كان لجهود سنحاريب في كسر شوكة العيلاميين من آثار ، لذلك كانت سياسته تجاه بلاد بابل تتصف باللين والترضية . ومع ذلك فقد قامت بعض القبائل الكلدية بالتمرد ضد الحكم الآشوري مما حدا بأسرحدون ان يصدر اوامره بالهجوم عليها والقضاء على تمرداتها وهرب زعيم القبيلة (بيت ياكيني) الى عيلام ، غير أنه قتل هناك وقدم اخوه الولاء للملك الآشوري . وباستثناء بعض الاضطرابات البسيطة كان الوضع في بلاد

بانيال ولياً للعهد على عرش بلاد آشور وتثبيت ابنه الاخر شمش - شوم - اوكن ولياً للعهد على عرش بابل وذلك بعد ان اجريت جميع الطقوس والمراسم الخاصة بأخذ موافقة الالهة على هذا التعيين وفق التقاليد الاشورية السائدة. ولتثبيت هذه الترتيبات وضمان تنفيذها بكل دقة، فقد عقدت سلسلة من المعاهدات مع الامراء التابعين ومنهم الامراء الميديون واخذت منهم الموائيق واقسموا بالالهة على انهم سيكونون اماناً على تنفيذ وصية الملك هذه، وقد حددت المعاهدات العقوبات القاسية المفروضة على كل من يخنث يمينه او يتلصق او يتباطأ في تنفيذ الترتيبات الخاصة بولاية العهد، وقد تم الكشف مؤخراً عن سلسلة من المعاهدات التي عقدت مع عدد من الامراء التابعين وكان اكملها المعاهدة التي عقدت مع رمتايا حاكم احدى المدن الميديّة (وذلك عام ١٩٥٥ في مدينة الترو).^(٥٦)

توفي اسرحدون وهو في طريقه الى مصر، ووضعت الترتيبات التي كان قد ثبثها بخصوص اعتلاء العرش من بعده موضع التنفيذ بكل دقة، واعتلى آشور بانيال العرش على بلاد آشور عام ٦٦٩ ق. م. في حين تأخر تنصيب شماش - شوم - اوكن ملكاً على بلاد بابل الى السنة التالية. ويبدو ان اسرحدون قد استهدف من تنصيب ابنه الاكبر شماش - شوم - اوكن ملكاً على بلاد بابل ضمن اطار الدولة الاشورية التي يحكم فيها آشور بانيال ترضية سكان بلاد بابل بمنحهم نوعاً من الاستقلال الذاتي. وقد اثبتت هذه الترتيبات نجاحها لفترة ليست بالقصيرة غير ان ذلك لم يرق للمتربصين بالدولة الاشورية والمستهدفين اقتطاع بعض اجزاها، وخاصة في القسم الجنوبي مما سنشير اليه فيما بعد.

كان آشور بانيال من الشخصيات اللامعة في بلاد وادي الرافدين حيث جمع بين شخصية القائد الشجاع والمقاتل العنيد والسياسي المحنك وبين شخصية الملك المثقف المولع بطلب العلم

الحبشي طهارقا بتحريض صور ضد الحكم الآشوري مما اضطر اسرحدون للقضاء على صور وبقية المدن الساحلية غير أنه قرر هذه المرة ان يقضي على أسباب التمرد في المنطقة بالقضاء على الملك المصري الذي كان يحرض المدن والدويلات السورية دوماً للتمرد ضد النفوذ الآشوري في المنطقة. وقد مهد اسرحدون لمشروعه الجديد هذا بالاتصالات الدبلوماسية تارة والعمليات العسكرية تارة أخرى، وسيطر على بعض المدن الواقعة على الطريق المؤدية الى مصر وحاول كسب ود بعض القبائل العربية القاطنة في بادية الشام وأعاد لها بعض الحصن والمدن التي كان والده قد سيطر عليها. وبذلك تمكن من تحييد معظم القبائل العربية واستئالة البعض منها الى جانبه، وفي عام ٦٧٥ ق. م. عبر اسرحدون الحدود المصرية غير أن تقدمه توقف ربما بسبب العواصف الرملية. وفي عام ٦٧١ ق. م. أعاد الكرة بأسلوب منظم وهزم جيش طهارقا وحوصرت العاصمة منفس وهرب طهارقا نفسه الى طيبة عاصمة الجنوب او الى مكان آخر فسارع أمراء مصر السفلى للاعتراف بسلطان اسرحدون وعيّن الموظفون الآشوريون لرعاية المصالح الآشورية وأعلن اسرحدون نفسه ملكاً على مصر العليا والسفلى وأثيوبيا. فیر ان طهارقا عاد بعد سنتين وأقنع بعض الامراء المصريين للتمرد على النفوذ الآشوري الجديد وبدأ مقاومته للآشوريين في مصر وتمكن من استعادة مدينة منفس، فقام اسرحدون عام ٦٦٩ بتجهيز حملة جديدة لمعالجة الموقف الجديد وجهاز حملة عسكرية أخرى الى مصر، غير انه توفي وهو في طريقه الى مصر.

وكان اسرحدون قد وضع الترتيبات الدقيقة الخاصة بولاية العهد واعتلاء العرش من بعده، ربما كرد فعل طبيعي لما عاناه من مشكلات اثر مقتل والده. ففي عام ٦٧٢ ق. م. اعلن في اجتماع كبير في العاصمة نينوى حضره حكام المقاطعات وقادة الجيش وكبار الموظفين، فضلاً عن الامراء والملوك التابعين والموالين، عن تعيين ابنه آشور

والمعرفة المهمّ بجمع علوم ومعارف الاجيال الماضية . وقد تبلورت شخصية آشور بانيبال هذه قبل ان يعتلي العرش عندما كان ولياً للعهد حيث ترى تربية ملكية خاصة في بيت ولاية العهد (بيت ريدوني) تلقى خلالها دروساً مختلفة في العلوم والفنون والمعارف وتدرّب على الفروسية والصيد ورسمي الرمح وقيادة العربات وغيرها من التدريبات التي بنت شخصيته العسكرية ، وقد تفاخر آشور بانيبال نفسه بذلك حيث يقول عن نفسه : «امتلك من سيدي آداباً وتعلّمت المعرفة الخاصة بالكتابة ، علامات السماء والأرض ... ودرست الفأل والنبوءة مع اساتذة الكهنة واستطعت ان احل مسائل معقدة في القسمة والضرب وافتتحت فن الكتابة السومرية والاكدية البالغة التعقيد ، وكنت استمتع بقرأة الاحجار والانصاب التي تعود الى ازمان ما قبل الطوفان ... »^(٥٧) وكان والده قد عين له مربية ومعلماً خاصاً ذكر على انه نابو - اخي - اربيا في حين عين لاختيه شماش - شوم - اوكن معلماً اخر هو ايكارو^(٥٨) . وتقدم لنا المكتبة التي اكتشفت في مدينة نينوى والخاصة بالملك آشور بانيبال خير دليل على صحة ادعاء الملك .

بدأ آشور بانيبال نشاطاته العسكرية بحملة وجهها الى مدينة كرت الواقعة في اقليم باموتال في المنطقة الجبلية المحاذية لبلاد عيلام والتي تمردت على السلطة الاشورية واعتدت على مدينة دير ، وقد امكن القضاء على التمرد واستولت القوات الاشورية على العديد من المدن المناوئة وفرضت السيطرة الكاملة عليها ، كما تم ترحيل سكان المناطق المحررة وربما نقل بعضهم الى مصر .

وبالنسبة لمصر فقد كان على آشور بانيبال ان يبادر بتنفيذ الخطة التي كان قد رسمها وباشر بتنفيذها والده في التوجه الى مصر على رأس جيش قوي لمواجهة التمرد الذي قاده طهراقا . غير ان انشغاله في تهدئة الاوضاع في الجبهتين الشرقية والغربية اخر ذلك لمدة ثلاث سنوات . وبعد ان تم اخضاع المدن الفينيقية بدأ باعداد الحملة وجمع

لها قوات عسكرية شارك فيها اثنان وعشرون ملكاً من ملوك الغرب التابعين في سوريا وفلسطين وقبرص ، وتقدم الجيش الاشوري نحو ممفيس حيث هزم طهراقا وانسحب الى طيبة عاصمة الجنوب ولاحقه الجيش الاشوري حتى وصل الى طيبة نفسها وبذلك اصبحت جميع مصر واقعة ضمن النفوذ الاشوري ، وقد اتبع آشور بانيبال السياسة التي وضع أسسها والده من قبل في ادارة شؤون مصر حيث اعتمد على تعيين الامراء والحكام المحليين لادارة المقاطعات المصرية وزودهم بحمايات عسكرية اشورية لمواجهة اي تمرد او اضطراب ومع ذلك ، فعندما انسحب الجيش الاشوري الرئيس من مصر عاد طهراقا يخوض الامراء المواليين للسياسة الاشورية ويضع الخطط للقضاء على النفوذ الاشوري في مصر وعندما كشفت خطط طهراقا ونواباه التي القبض على جميع المتعاونين معه من الحكام والامراء وارسلوا مقبدين الى نينوى وكان في مقدمتهم نيوخ . وكانت سياسة آشور بانيبال تكريمهم واعادتهم الى مناصبهم محملين بالهدايا ، ولابد انهم ربطوا كفرهم بقسم الولاء للملك الآشوري . وبعد وفاة طهراقا قام ابن اخيه تانو تاموم بتجميع قواته والتوجه الى ممفيس وقضى على الامراء المؤيدين لآشور ، وكانت ردود فعل الآشوريين فورية حيث دخل الجيش الاشوري ثانية الى مصر عام ٦٦٣ حتى وصل الى طيبة وهزم زعيم التمرد تانوتاموم وسارع بقية الامراء الى تقديم الولاء والطاعة . وفي هذه الاثناء توفي نيوخ الموالي للآشوريين ، وعين ابنه بسماتيك بدلاً منه الذي اغتتم الفرصة وزاد من قوته وسلطته وربما استعان ببعض الجنود المرتقة من سواحل البحر المتوسط ، ولاسيما من ليبيا ، وتمكن بمساعدتهم من اخراج الحمايات الاشورية من مصر وذلك في الفترة بين عامي ٦٥٨ و ٦٥١ ق . م .^(٥٩) ولم تتخذ اي اجراءات عسكرية اشورية ضد بسماتيك على ان النصوص الاشورية لاتشير الى الانسحاب من مصر ، ومع الخسائر التي تكبدتها القوات الاشورية

في مصر والعداء الذي لابد ان نشأ بين الآشوريين والمصريين من جراء دخول الآشوريين الى مصر، الا اننا نجد ان العلاقات بين آشور ومصر ظلت علاقات طيبة حتى بعد وفاة آشور بانيال وتعرض الدولة الآشورية للانهار والسقوط امام زحف الاقوام الميديّة والكلدية كما سيشار الى ذلك فيما بعد.

وفي الجبهة الشرقية والشالية الشرقية كان الامن والاستقرار الذي ثبته الملوك السابقون من عهد نجلز فصاعداً قد انهار الى درجة كبيرة، وكانت حشود الكريين والسكيثين البربرية تهدد طرق التجارة الآشورية في حين كانت القبائل الميديّة قد اتحد بعضها مع بعض وغدت مملكة قوية تهدد الآشوريين عسكرياً كما انها قطعت طرق تجارتهم، وقد وجه الآشوريون عدة حملات تأديبية الى المنطقة اعادوا خلالها سيطرتهم عليها وحدوا من تدخل هذه الاقوام وتهديدها لحدود الدولة الآشورية ولطرق تجارتها. وفي الشمال الغربي كانت مملكة ليديا واقعة تحت ضغط الغزاة الهنود-اوربيين مما دفع بها الى توطيد علاقاتها مع الدولة الآشورية لمواجهة الاقوام الكرية وغيرها من الاقوام التي كانت تهدد كيانها.^(١١)

غير ان المشكلة الرئيسة التي واجهت آشور بانيال بعد مشكلة مصر كانت قادمة من عيلام وبلاد بابل. ففي بلاد بابل نصب شمش - شوم - اوكن ملكاً غير ان سلطته لم تكن مطلقة على الحكام والموظفين في المدن، بل غالباً ما كان الامر يستوجب موافقة الملك الآشوري، مما أثار بعض الخلاف بين الاخوين، وقد استغلت بعض العناصر المناوئة من القبائل الكلدية هذه الظاهرة وحاولت زيادة شقة الخلاف بين الاخوين. اما مملكة عيلام، فكانت وراء معظم الاضطرابات والفتن التي تنشب في بلاد بابل، وكان الصراع بينها وبين آشور مستمراً وقد اندلعت الحرب بينها وبين آشور في عهد آشور بانيال فجهزت حملة عسكرية ضدها عام ٦٥٥ وأخذت عاصمتها

مداكتو وسوسا ونصب أحد الامراء المواليين للآشوريين ملكاً عليها.

ومع ذلك، ظلت عيلام تعمل ضد الدولة الآشورية وتحرض القبائل الكلدية، فزحف الجيش الآشوري عليها وتمكن خلال الفترة ٦٤٢ وحتى ٦٣٩ ق.م من تدمير جميع مدنها وأخذ العاصمة سوسا وهرب ملك عيلام وفي اثناء عودته الى مداكتو بعد انسحاب الجيش الآشوري، قبض عليه ثم قتله الآشوريون وأرسلت جثته الى بلاد آشور.^(١٢)

وبذلك انتهت مملكة عيلام من على المسرح السياسي ولم تقم فيها بعد ذلك مملكة مستقلة بل وقعت تحت سيطرة الاقوام الفارسية الوافدة الى ايران.

ولابد من الاشارة هنا الى نشاطات آشور بانيال العمرانية والثقافية الرائعة التي كشفت عنها التنقيبات الأثرية في المدن الآشورية المختلفة وفي مقدمتها العاصمة نينوى. فقد تم الكشف عن قصر مهيب خاص بأشور بانيال عرف لدى المتقنين باسم القصر الشمالي، كما كشفت التنقيبات عن نشاطات الملك في اعادة بناء وترميم العديد من المعابد في المدن المختلفة في كل من بلاد بابل وآشور. وتظل مكتبة آشور بانيال المعروفة باسمه أثنى وأروع ماتم الكشف عنه في بلاد آشور حتى الآن، حيث أمدتنا بأكثر من خمسة وعشرين الفا من الرقم الطينية المدونة بالخط المساري والتضمنة مواضيع علمية وأدبية ودينية متنوعة عكست لنا جوانب مهمة من حياة العراقيين القدماء في مختلف المجالات كما سيأتي ذكر ذلك في مكان آخر.

نَهَايَةُ الْآشُورِيِّينَ لِسَيَاسِيَّةٍ وَالْعَصْرِ الْكَلْدِيِّ

كان الانتصار الساحق الذي حققه آشور بانيال على مملكة عيلام ضربة ماحقة لم تقم لمملكة عيلام بعدها قائمة. وأعقب ذلك القضاء على جميع المناوئين في بلاد بابل والمتعاونين من القبائل

التقريبية التالية عن تطور الأحداث في داخل الدولة الآشورية.

لقد كان هناك اضطرابات داخلية في السنوات الأخيرة من حكم آشور بانيبال، ويبدو أن الحكم انتقل فعلياً إلى آشور - أطلو - ابلي في حدود عام ٦٣٠ ق.م، ربما بسبب تقدم آشور بانيبال بالسن أو محاولة ابنه تجنبه المشكلات الداخلية أو لأسباب أخرى غير معروفة. وفي عام (٦٢٧) وربما عام ٦٢٦ ق.م توفي الملك آشور بانيبال وتحولت الاضطرابات الداخلية إلى ثورات فعلية وكان هناك صراع على السلطة تركز في بداية الأمر في بلاد بابل حيث أزيح قندلانو، نائب الملك على بابل، وعُين بدلا منه قائد موال هوسين - شوم - ليشير. وفي السنة نفسها حاول سين - شار - اوشكن، وهو ابن آخر لآشور بانيبال، الحصول على دعم بعض القطعات الآشورية في بابل وقام بمحاولة انقلاب ناجحة، ولو لفترة مؤقتة، وأخذ بابل وأدعي الملوكة. عندها قام الزعيم الكلداني نبو بلاصر، الذي كان يتزعم القبائل الكلدانية في منطقة الاهوار الجنوبية والتي كانت تعرف بالقطر البحري، بالتوجه شمالاً، والاستيلاء على بابل وتنصيب نفسه ملكاً عليها. أما بالنسبة لبلاد آشور، فيبدو أن الملك الآشوري كان قد نحي عن الحكم أو توفي ونصب بدلا منه أخوه سين - شار - اشكن وذلك عام ٦٢٣ ق.م أو قبل ذلك بقليل، وقد استغل نبو بلاصر اضطراب الأمور في بلاد آشور فعمل على تثبيت مركزه في بلاد بابل وتوسيع منطقة نفوذه وبناء علاقات مع بلاد عيلام، ربما لمنعها من التدخل في شؤون بلاد بابل. وفي عام ٦١٦ ق.م كان في موقع يمكنه من التمرش ببلاد آشور، وفي السنة التالية حاول السيطرة على مدينة آشور، إلا أنه اضطر إلى الانسحاب إلى تكريت أمام مواجهة الجيش الآشوري له (١٣).

أما الأوضاع الخارجية، فشير هيرودوتس إلى أن إفراهاط (فراودتس) ملك الميديين كان قد أغار

الكلدية وغيرها مع مملكة عيلام. وبدت الأمور وكأنها قد استتب للملك الآشوري، وتم القضاء على جميع المشكلات الداخلية والخارجية التي كانت تهدد الدولة. وكانت الامبراطورية الآشورية قد وصلت آنذاك إلى قمة مجدها وازدهارها وعنفوان قوتها السياسية والعسكرية، ظاهرياً على أقل تقدير. غير أن الأحداث الجسام التي وقعت في الثلاثين سنة التالية والتي انتهت بانتهيار الامبراطورية الآشورية ونهاية كيان الآشوريين السياسي تؤكد أنه كان هناك عوامل عدة تنخر في جسم الدولة من الداخل والخارج وتعمل على تقويضها، ومن هذه العوامل ما يمكن للباحث المعاصر تشخيصها ومنها ما يبقى خافياً عليه حتى تظهر التنقيبات المقبلة معلومات جديدة. وما يؤسف عليه أن معلوماتنا التفصيلية عن الفترة هذه قليلة ومرتبكة أحياناً، فنجد عام ٦٣٩ ق.م. وهو عام تحقيق الانتصار النهائي على مملكة عيلام تتوقف حوليات الملك الآشوري آشور بانيبال لأسباب غير معروفة، وربما كانت هناك اضطرابات داخلية ونكسات عسكرية لم تدون أصلاً. وإن كل ما لدينا من معلومات عن السنوات الأخيرة من حكم آشور بانيبال والفترة التالية وحتى سقوط نينوى مستمدة من بعض الاشارات والتلميحات المبعثرة في عدد محدود من النصوص، منها نص خاص بذكريات امرأة مسنة هي والدة نبونائيد آخر الملوك الكلدانيين، ومنها بعض الوثائق الاقتصادية المؤرخة أو نصوص خاصة بأراضي ملكية مقطعة. كما يمكن الاستفادة من بعض الأجر المختوم وكسر من نصوص بناءة وأخيراً الروايات المتوارثة التي دونها بعض الكتاب الأغريق عن نهاية الآشوريين ولأسباب ماورد في كتاب هيرودوتس. (١٢)

واعتماداً على هذه المصادر، ولأسباب مذكورة في النص التذكاري الذي نقش على نصب أقم عند وفاة والدة نبونائيد المسنة، يمكن أن ترسم الصورة

كان يهدد كيان الدولة الآشورية ، طلب الملك الآشوري العون من حليفه بساتيك ، فرعون مصر. وفي السنة التالية وقعت نينوى تحت حصار الميديين وجموع الامانندا Ummanmanda ، وهم قبائل قدمت من الشمال، وكان السكيثيون يؤلفون جزءا منها ، كما ساهم نبولاصر في الحصار، ولم تطل مدة الحصار حيث سقطت المدينة بعد ثلاثة أشهر فقط من بدء الحصار وذلك عام ٦١٢ ق. م. وكما هو واضح فان فترة مقاومة نينوى ، العاصمة الحصينة ومركز أقوى امبراطورية عرفها التاريخ القديم ، كانت قصيرة جدا مقارنة خيبرها من المدن التي واجهت حصار جيوش قوية ، كمدينة بابل والحضر وغيرها ، وربما كانت هناك أسباب أخرى غير واضحة لدينا عجّلت من سقوط المدينة ، اما الكتاب الكلاسيكيون فضلاً عما ورد من اخبار في العهد القديم فيعللون سقوط نينوى بهذه السرعة بمحدث فيضان كبير ، وربما كان الفيضان في نهر الخوصر الذي يخترق المدينة ساعد على جرف جزء من تحصينات المدينة الدفاعية وفتح ثغرة في اسوارها استفاد منها الميديين، إلا أن الاخبار تشير ايضا الى ان نينوى سقطت في شهر آب^(٦٦) وانه من غير المحتمل ان يحدث فيضان الخوصر او دجلة في هذا الشهر من السنة .

ويظهر ان الملك الآشوري قد مات او قتل في أثناء الحصار. وبعد ان اجتاحت الجيوش الغازية مدينة نينوى ونهبت وسلبت قصورها ومعابدها ، لم يعد للآشوريين كيان سياسي في بلاد آشور نفسها . إلا ان بعض القطعات الآشورية اتجهت نحو الغرب الى مدينة حرّان ، وربما لم تكن تلك القطعات في مدينة نينوى في أثناء الحصار، ونصبت عليها ملكا يتسبب الى الاسرة المالكة الآشورية ، هو آشور-اوبالط ، وعمل آشور-اوبالط على تجميع قواته كما كان بانتظار وصول المساعدات المصرية . وفي هذه الاثناء كان الميديون والامانندا قد انسحبوا من المنطقة في حين أسرع نبولاصر الى تثبيت مركزه في بلاد آشور ووصل بقطعاته الى نصيبين وقضى على

على الآشوريين عام ٦٥٣ ق. م وانه لقي حتفه في المعركة فخلقة في الحكم ابنه كمي اخسار (اوفار حشائرا) ولم يتمكن من مواصلة الحرب ضد الآشوريين نظرا لان الميديين انفسهم وقعوا تحت سيطرة ونفوذ السكيثيين (السيثين Scythians) لمدة ثمانية وعشرين عاما ، وكان السكيثيون قد سيطروا على المنطقة الجبلية وبدأوا يغربون على حدود الدولة الآشورية وعلى سوريا وفلسطين وكادوا يدخلون مصر لولا ان اتفق معهم الفرعون المصري بساتيك على دفع الجزية . واستطاع كمي اخسار أخيرا من ان يقضي على السكيثيين وذلك بأن دبّر مؤامرة لقتل زعمائهم وهم ثملون في اثناء ولجة سكر دعاهم اليها^(٦٧) ، وبعد ذلك تمكن من توحيد القبائل الميديية وتجنيد جيش قوي سيطر بوساطته على المنطقة الواقعة بين بحيرة اوربيا والى طهران وبلاد فارس واتخذ من اكباتانا (قرب همدان) عاصمة له ، وكان نفوذ وسيطرة الدولة الآشورية خارج بلاد آشور الاصلية قد تقلص الى ادناه في جميع الجبهات ولم يعد لها من النفوذ على المدن الفينيقية والفلسطينية ما يضمن لها أمن المنطقة واستقرارها. وفي أواخر عام ٦١٥ ق.م، قام الميديون بهجومهم المرتقب وذلك بالزحف اولا على شرقي دجلة على منطقة اراياجا (كركوك حاليا) وسيطروا عليها . وفي العام التالي بدأ الزحف على قلب بلاد آشور حيث توجه الجيش الميدي الى مدينة آشور، العاصمة المقدسة ، نفسها، ودخلها عنوة ونهب وسلب قصورها ومعابدها . ويبدو أن نبولاصر قد توجه هو الآخر الى آشور، ولكن بعد ان كان الميديون قد احتلوا المدينة . وازاء هذه الاوضاع الجديدة التي وضعت الميديين في المقدمة من حيث القوة ، اضطر نبولاصر كما يبدو، الى عقد معاهدة تحالف مع كمي - اخسار ، زعيم الميديين ، وهو لم يزل في مدينة آشور. وفي السنة نفسها توجه الجيش الميدي الى مدينة تريبص الآشورية (شريف خان الحالية)^(٦٨) . التي تبعد بضعة كيلو مترات عن العاصمة الآشورية نينوى . وازاء هذا الخطر الذي

الهوامش

- (١) انظر احدث ماكتب عن التاريخ الاشوري في :
Saggs, H. W. E., The Might that was Assyria, London, 1984.
Grayson, A.K., Assyria in Cambridge Ancient History, (1982), pp. 238 – 281.
- (٢) انظر: طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، بغداد، ١٩٧٣، ص ٤٩١ وما بعدها.
- (٣) Saggs, op.cit., p.70 ff.
- (٤) جورج رو، العراق القديم، ترجمة: حسين علوان حسين، بغداد، ١٩٨٤، ص ٣٨٣.
- (٥) ساكر، عظيمة بابل، لندن ١٩٦٢، ترجمة: عامر سليمان، ص ١٤٣.
- (٦) المصدر نفسه، ص ١٥٥.
- (٧) Saggs, op. cit., pp. 247 ff.
- (٨) حول الجيش الاشوري في العصر الحديث، انظر: غنية من الباحثين موسوعة الجيش والسلاح، الجزء الاول، بغداد، ١٩٨٧، وكذلك يوسف خلف، الجيش والسلاح في العصر الاشوري الحديث، بغداد، ١٩.
- (٩) حول النظام الاداري في العصر الاشوري الحديث، انظر: Ahmad, A.Y., unpublished Ph.D. thesis, University of London, 1984.
- (١٠) انظر: عامر سليمان العراق في التاريخ، بغداد، ١٩٨٣، ص وكذلك
- Saggs, op. cit., p.47, 52.
- (١١) ساكر، عظيمة بابل، ص ٢٨٩.
- (١٢) انظر ترجمة النص الخاص بالتاريخ الناصري:
Pritchard, J. B. (ed.) Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament, New Jersey, 1969 (third ed.), pp. 271 ff.; Weidner, E. F., Die grosse Königs Liste aus Assur, Afo (1926), pp. 66 – 70.
- (١٣) Luckenbill, D.D., Ancient Records of Assyria and Babylonia, Chicago, 1927, (reprinted, 1968), pp. 113 – 115.
- (١٤) Ibid. P. 128 ff.
- (١٥) ساكر، المصدر السابق، ص ١١١.
- (١٦) جورج رو، المصدر السابق، ص ٣٩٠.
- (١٧) Luckenbill, op.cit., pp. 160 – 161 (no. 470).
- انظر كذلك: ساكر، المصدر السابق، ص ١١٣.
- (١٨) حول مدينة القرمود والتفتيات التي اجريت فيها، انظر: Mallawan, M.E.L., Nimrud and its Remains, London, 1966.
- عبد الله امين اغا و ميسر سعيد العراقي، نمرود، بغداد، ١٩٧٦.

المقاومة الآشورية في بلاد آشور نفسها. وفي عام ٦١٠، عاد الامانندا وهجموا على مدينة حران والتحق بهم جيش نبوبلاصر فانسحب الجيش الآشوري الى كركميش، وكانت المساعدات المصرية قد وصلت آنذاك، وفي هذه الاثناء تغير الملك المصري وقرر الفرعون الجديد، وهو نيكو الثاني، ان يقدم اقصى مايمكن من العون العسكري الى الجيش الآشوري وسارع الى ارسال قطعات مصرية جديدة، غير انها واجهت مقاومة عنيفة في المدن السورية والفلسطينية مما قلل من قوتها، وفي عام ٦٠٥ ق.م. وبعد ان تولى قيادة الجيش الكلداني، نبوخذنصر، ابن نبوبلاصر وولي عهده، التحم الجيش المصري بالجيش الكلداني بعد الهجوم القوي الذي شنه نبوخذنصر على كركميش، وكانت النهاية كارثة بالنسبة الى المصريين وحلفائهم الآشوريين حيث انسحبت القوات المصرية المتبقية ولم تعد تسمع اي شيء عن فلول الجيش الآشوري المنسحرة، وهكذا كانت نهاية الدولة الآشورية نهاية مفاجئة وسريعة ومحرزة.

واصبحت بلاد آشور جزءا من الامبراطورية الكلدانية الفتية التي أسسها نبوبلاصر وثبت اركانها ابنه وخليفته في الحكم نبوخذ نصر والتي استمر ملوكها يحكمون بلاد بابل وآشور لما يقرب من مائة سنة (٦٢٦ – ٥٣٩ ق.م). وتقل معلوماتنا عن بلاد آشور في فترة الحكم الكلداني، ولا يمكن معرفة تفاصيل ماحل ببلاد آشور ومدنها العريقة، الا انه يمكن الاستنتاج بأنها كانت من المقاطعات المهمة التابعة للدولة الجديدة ومركزا اداريا ذا أهمية قصوى لوقوعها على الطريق الذي يصل بين بلاد بابل وسوريا.

وظلت بلاد آشور جزءا من الدولة الكلدانية حتى نهايتها بعد غزو الجيش الاخميني عام ٥٣٩ ق. م، حيث دخل العراق، بلاد بابل وآشور، تحت السيطرة والاحتلال الاجنبي لفترة طويلة من الزمن.

- (٤٢) وليد محمد صالح فرحان، المصدر السابق، ص ٩٦.
- (٤٣) طه باقر، المصدر السابق، ص ١٣٠.
- (٤٤) ساكر، المصدر السابق، ١٤٧ وكذلك:
Luckenbill, op. cit. 1 pp. 73-119 nos. 140-178
- (٤٥) انظر الفصل الخاص بالآثار الباقية في هذه الموسوعة.
- (٤٦) حول الملك سنحاريب، انظر: طالب منعم حبيب، سنحاريب، سيرته ونجذاته، رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة الى جانب بغداد، كلية الآداب، عام ١٩٨٦.
- (٤٧) ساكر، المصدر السابق، ١٤٩ — ١٥٠.
- (٤٨) Luckenbill, op. cit. 1 pp. 118-119, no. 239
- (٤٩) Ibid, no 239.
- (٥٠) جورج رو، المصدر السابق، ص ٤٢٨.
- (٥١) عامر سليمان، الكتابة المسارية والحرف العربي، موصل، ١٩٨٢، ص ٥٦ : ١٧ — ١٨.
- (٥٢) Luckenbill, The Annals of Sennacherib, Chicago, 1928, p. 77.
- (٥٣) Grayson, A.K., Assyrian and Babylonian Chronicles, New York, 1975, pp. 81-82.
- (٥٤) Pritchard, op. cit, pp. 289-290
- (٥٥) Wiseman, P.J., The Vassal Treaty of Assarhaddon, Iraq, XX (1958)
- (٥٦) Ibid
- (٥٧) Luckenbill, op. cit. 1 no. 986
- (٥٨) رياض عبد الرحمن الدوري، آشور بانيبال، اطروحة ماجستير غير منشورة، مقدمة الى جامعة بغداد، كلية الآداب، عام ١٩٦٩، ص ٣٧.
- (٥٩) ساكر، المصدر السابق، ص ١٦١.
- (٦٠) المصدر نفسه، ص ١٥٨ — ١٥٩.
- (٦١) المصدر نفسه، ص ١٦٤، وكذلك
Luckenbill, op. cit. no. 805
- (٦٢) طه باقر، المصدر السابق، ص ٥٢٥ — ٥٢٧ وكذلك
Saggs, op. cit. 1 p. 117
- (٦٣) Ibid. 118
- (٦٤) جورج رو، المصدر السابق، ص ٥٠٠.
- (٦٥) انظر: عامر سليمان، الكتابة المسارية والحرف العربي، موصل، ١٩٨٢، وانظر ذلك الفصل الخاص بآثارنا الباقية من الباب الثاني.
- (٦٦) Wiseman, D.G., Chronicles of Chaldean kings, London, 1961, pp. 59-60 L. 38-43
- (٦٧) حول تفاصيل هذه الاحداث، انظر:
Wiseman, Ibid, pp. 59-61, Saggs, op. cit., pp. 119-120
- جورج رو، المصدر السابق، ص ٥٠٠ — ٥٠١، طه باقر، المصدر السابق، ص ٥٢٥ — ٥٢٦.
- ومن الجدير بالاشارة هنا ان هيئة تقييات جامعة الموصل في سورينيزي قد كشفت عن بقايا حريق وتدمير في بوابة ادد في سورينيزي، يقن انها تخص الفترة التي سقطت فيها نينوى،
- (١٩) انظر: ترجمة نصوص آشور ناصر يال في:
Luckenbill, op. cit., pp. 138 — 199 (nos. 436 — 525).
- (٢٠) انظر: وليد محمد صالح، العلاقات السياسية الاشورية، اطروحة ماجستير غير منشورة مقدمة الى جامعة بغداد، كلية الآداب، عام ١٩٧٦، ص ١٢٦ — ١٣٩، وكذلك، عامر سليمان في كتاب العراق في التاريخ بغداد، ١٩٨٣، ص ١٤٥ — ١٤٧.
- (٢١) Saggs, op. cit., p. 77., Luckenbill, op. cit., p. 207 (nos. 582 — 584).
- (٢٢) ساكر، المصدر السابق، ص ١١٤.
- (٢٣) انظر ترجمة النص المنقوش على المسلة
Luckenbill, op. cit., p. 211 ff.
- (٢٤) جورج رو، المصدر السابق، ص ٢٩٩.
- (٢٥) حول تفاصيل الاحداث التي وقعت في هذه الفترة، انظر:
Grayson, A.K., op. cit, pp. 266 ff.
- ساكر، المصدر السابق، ص ١١٦ — ١١٩.
- Saggs, op. cit., pp. 74 — 78.
- (٢٦) طه باقر، المصدر السابق، ص ٥٠٦ — ٥٠٧.
- (٢٧) Saggs, op. cit, p. 79.
- (٢٨) انظر:
Luckenbill, op. cit, pp. 78 — 79
- طه باقر، المصدر السابق، ص ٥٠٦ — ٥٠٨.
- (٢٩) Luckenbill, op. cit., p. 262 ff. mos. 739 — 745.
- (٣٠) ساكر، المصدر السابق، ص ١٩٧.
- (٣١) المصدر نفسه، ص ١٣٧ — ١٣٨.
- Saggs, op. cit., pp. 85 ff.
- انظر كذلك الفصل الخاص بالنظام الاداري في العصور القديمة من هذه الموسوعة.
- (٣٢) عامر سليمان في موسوعة الجيش والسلاح، الجزء الاول، بغداد، ١٩٨٧.
- (٣٣) جورج رو، المصدر السابق، ص ٤١١ — ٤١٢.
- (٣٤) ساكر، المصدر السابق، ص ١٣٩، وكذلك:
Luckenbill, op. cit, pp. 267 — 294, mos. 762 — 821.
- وجورج رو، المصدر السابق، ص ١٤٢.
- (٣٥) ساكر، المصدر السابق، ص ١٤٢.
- (٣٦) سامي سعيد الأحمد، تاريخ فلسطين القديم، بغداد، ١٩٧٩، ص ٢٢٤. انظر كذلك: سفر الملوك الثاني، اصحاح ١٧ : ٣ — ٦.
- (٣٧) حول عهد سرجون، انظر: قاسم محمد علي، سرجون الآشوري، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى جامعة بغداد، كلية الآداب، عام ١٩٨٣.
- (٣٨) Luckenbill, op. cit. 1 p. 71 no 135.
- (٣٩) جورج رو، المصدر السابق، ص ٤١٥.
- (٤٠) سفر الملوك الثاني، اصحاح ٢٠.
- (٤١) جورج رو، المصدر السابق، ٤١٦.

علاقات الآشوريين مع الأقاليم المجاورة

د منير يوسف طه

اتخذ الآشوريون خلال فترة حكمهم الطويل أربعة عواصم رئيسية ، لعبت كل واحدة منها دوراً مميزاً في العلاقات السياسية والاقتصادية مع البلدان المجاورة . وكانت آشور أول عاصمة لهم وتقع عند منتصف نهر دجلة تقريباً ، وقد بقيت آشور العاصمة الروحية للآشوريين حتى بعد ان انتقلت العاصمة الرسمية الى غيرها من المدن وذلك حتى نهاية الآشوريين السياسية وسقوط المدينة عام ٦١٤ قبل الميلاد .

وبعد تركيز دعائم الدولة الآشورية من الناحيتين العسكرية والاقتصادية اختار الملك شيلمنصر الأول (١٢٧٤-١٢٤٥ قبل الميلاد) موقعاً جديداً لتشييد عاصمة جديدة للدولة الآشورية هو موقع كلخو (غرو) التي تبعد قرابة خمسة وثلاثين كيلومتراً جنوبي الموصل الحالية .

لقد بقيت كلخو العاصمة العسكرية لحين انتقال الملك سرجون الثاني (٧٢١-٧٠٥ قبل الميلاد) الى عاصمته الجديدة دور شروكين (خرصباد) وبعد ان تولى الحكم الملك سنحاريب (٧٠٥-٦٨٠ قبل الميلاد) اتخذ نينوى والتي تقع على الجانب الشرقي لنهر دجلة عاصمة له ، وبقيت عاصمة للدولة الآشورية لحين سقوطها عام ٦١٢ قبل الميلاد .

الآشوريون وبلاد الأناضول :

في اثناء التنقيب في موقع يدعى كول تبة (Kul Tepe) والذي كان يعرف قديماً باسم قانش (Kanish) ، ويقع شمال منطقة قيصري في اقليم

لقد تعرف العالم على الآشوريين وتاريخهم وحضارتهم قبل ان تبدأ الاكتشافات الأثرية ، وذلك من خلال العهد القديم ، كتاب اليهود المقدس ، فقد ذكرت نصوص العهد القديم وبصورة مشوهة كيف كانت الدولة الآشورية ذات بأس عظيم ، وكيف انها قضت على كيان اليهود السياسي في أواخر القرن الثامن قبل الميلاد :

لذا فان معظم المؤرخين الأوروبيين ، ولاسيما اليهود منهم ، قد اعتوا الآشوريين بالقسوة والبطش والظلم والطفغان ، الا ان المكتشفات الأثرية الحديثة اكدت ان الآشوريين كانوا ذوي حضارة متميزة ، وان سياستهم وعلاقاتهم مع الأقاليم القاصية والدانية كانت قائمة على أسس واضحة ومقبولة حتى بالنسبة لمقاييس العلاقات الدولية في الوقت الحاضر . ومع ان الرقعة الجغرافية والمتمثلة حالياً بمنطقة الموصل لاتتعدى مساحتها اكثر من خمسين الف كيلومتر مربع ، تمتد ما بين منتصف نهر دجلة جنوباً ، وحتى شمال مدينة الموصل الحالية شمالاً ، ومن مدينة أربيل شرقاً وحتى حدود الجزيرة غرباً ، إلا انه قامت فيها امبراطورية مترامية الأطراف .

وقد نتج عن ذلك علاقات متشابكة بين الآشوريين وبين اقوام البلدان والأقاليم التي سيطروا عليها أفرزت تأثيرات واضحة في تاريخ الآشوريين وسياستهم سيطرت بنفوذها على معظم انحاء الشرق الادنى القديم خلال القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد .

ان (هيئة) الكارم هي في الواقع كانت أشبه ما يكون بالغرفة التجارية في الوقت الحاضر، حيث كانت هذه (الهيئة) تدير شؤون وحركة التجار ما بين بلاد آشور والمراكز التجارية في بلاد الأناضول. كما ان هذه (الهيئة) كانت مسؤولة عن سلامة سير القوافل التجارية.^(٣)

وحسب المعلومات الواردة من النصوص التي تم العثور عليها في موقع قانش، فقد كان في بلاد الأناضول أحد عشر مركزاً تجارياً فيها (هيئة) كارم وعشرة مراكز فيها (هيئة) او بارم. وتمتد هذه المراكز من حدود مدينة آشور وحتى سهل قونية الواقع في الجنوب الغربي من هضبة الأناضول.^(٤)

كما كان لهيئة الكارم بنايات للاجتماعات، ومعابد ومزارات للعبادة الى جانب أماكن مخصصة للحنن واصطبلات لاستراحة الحيوانات. كما لعبت (هيئة) الكارم دوراً مهماً في تجهيز محطات الاستراحة، وتحديد اسعار الفوائد على القروض المتعاقد عليها. وأخيراً فإن من واجبات هذه (الهيئة) أيضاً تسوية الدينون.^(٥)

ومن خلال قراءة أسماء الأماكن والأشخاص التي وردت على الرقم الطينية المكتشفة في المراكز الآشورية في بلاد الأناضول ظهر أنها كانت تحوي آنذاك اقواماً مختلفة. فهناك وعلى سبيل المثال الحاثيون (Hattians)، والحوريون (Hurrians) والحيتيون (Hittites) وان هذه الأقوام كان لها مطلق الحرية في اختلاط بعضها مع بعض وبالأشوريين المقيمين هناك. بدليل ان كثيراً من التجار الآشوريين قد تزوجوا من نساء محليات وقطنوا تلك المناطق. وبعضهم الآخر اتخذ له زوجات محليات لمدة مؤقتة. حيث كان بالامكان فسخ الزواج من المرأة المحلية بسهولة وبعد دفع الصداق.^(٦)

لقد عبد الاله الآشوري آشور في جميع المراكز التي سكنها الآشوريون في بلاد الأناضول، حيث كان لكل مجموعة آشورية معبد خاص بها يحوي تمثال الاله آشور. اما الاله الآشوري سين فان

كيدوكيا (Cappadocia) عثر على اعداد كبيرة من الرقم الطينية المدونة باللغة الأكدي والخط المسماري، تبين أنها تمثل في الواقع العلاقات التجارية ما بين هذه المنطقة وبلاد آشور ابان مطلع الألف الثاني قبل الميلاد.

كما أوضحت هذه الرقم أن التجار الآشوريين كانوا قد سيطروا على تجارة بلاد الأناضول في مطلع الألف الثاني قبل الميلاد. ومن الجدير بالاشارة هنا ان نذكر بأن الملك سرجون الأكدي (٢٣٧١-٢٣١٦ قبل الميلاد) كان قد هبّ لمساعدة عدد من التجار الأكديين في المنطقة نفسها، كما تذكر ذلك بعض النصوص المسمارية المتأخرة، مما يشير الى ان التجارة مع بلاد الأناضول تمتد جذورها الى أربعة قرون قبل بداية تعامل الآشوريين معها.^(٧)

لقد بلغ مجموع الرقم المكتشفة في اثناء التنقيب هناك ثمانية وعشرين الف رقم. معظمها يذكر الصفقات التجارية والنظام التجاري الذي كان سائداً آنذاك. كذلك ظهر من خلال قراءة هذه الرقم أن الغاية من التجارة مع منطقة كيدوكيا بصورة خاصة وبلاد الأناضول بصورة عامة هو الحصول على المعادن، سيما وان بلاد آشور والمناطق المتاخمة لها تعد من المناطق الغنية بالمواد الزراعية الا انها تفتقر الى وجود المعادن والتي كان معظمها يستخرج من بلاد الأناضول، حيث ان استخراج تلك المعادن كان يقع وبالدرجة الاولى على عاتق اهالي منطقة كيدوكيا. وكان القصدير من اهم تلك المعادن حيث كان يستخدم بعد خلطه مع النحاس لانتاج معدن البرونز الذي استخدم على نطاق واسع في بلاد آشور.^(٨)

ان الهيئة المسؤولة عن التجارة في منطقة الأناضول وحسب ما تذكر الرقم الطينية المكتشفة كانت تعرف باسم كارم (Karum). اما المراكز التجارية التي تخلو من الجالية الآشورية او التجار الآشوريين فان ادارتها كانت تمهد الى (هيئة) يطلق عليها اوبارم (Ubarum).

منزلته كانت تأتي بعد الإله آشور، وكذلك عبدت الإلهة عشتار والإله شمش في تلك المراكز، وفي أثناء التنقيب في قانش عثر على معبد كبير مخصص لعبادة الإله آشور وعلى ما يبدو فإن هذا المعبد قد نهض بدور كبير في حياة التجار الآشوريين هناك.^(٧)

إن الطرق التجارية التي سلكها التجار من الدولة الآشورية واليهما كانت عبر جبال طرسوس وحوض نهر الخابور الأعلى مروراً بالسهل الواقع جنوب منطقة سنجار. أما الحيوانات التي استعملت في نقل البضائع التجارية، فقد كانت الحمير والعربات والذي يتراوح معدل قطعها في اليوم الواحد ما بين عشرين إلى خمسة وعشرين كيلومتراً. كانت توضع البضائع على ظهور الحيوانات والعربات بهيئة رزم، ونظراً لقساوة المناخ أثناء فصل الشتاء فإن الحركة التجارية تتوقف في هذا الفصل ما بين بلاد آشور وبلاد الأناضول.^(٨)

هناك معلومات قليلة جداً عن كيفية بدء وانتهاء المراكز التجارية الآشورية في بلاد الأناضول، حيث إن معظم النصوص الخاصة بالعقود التجارية وبالعلاقات التجارية مع بلاد آشور قد عثر عليها في الطبقة الثالثة في قانش والتي على ما يبدو قد انتهت بحريق هائل. بعد تلك الطبقة (طبقة الحريق) لم يعثر على أي عقد أو نص تجاري لحين حكم الملك شمشي ادد الأول (١٨١٣ - ١٧٨١ قبل الميلاد).^(٩)

أما متى بدأ الآشوريون بالتجارة مع بلاد الأناضول، فإن هناك كثير من الآراء قد طرحت حول احتمال بدء هذه العلاقات إبان حكم الملك ارشوم سبأ وإن الطبقات السفلى في قانش لم يعثر فيها على أي نص أو معلومات تخص هذه العلاقات.^(١٠)

أما العلاقات العسكرية والسياسية للملك شمشي ادد الأول فتذكر المصادر التاريخية (قوائم الملوك الآشوريين) بعد رجوعه من أرض بابل استولى على اكالاتم Ekallatum وحكم فيها لمدة ثلاث

سنوات، ثم اتجه صوب شرقي نهر دجلة، ودخل مدينة آشور واتخذها عاصمة للملكة^(١١).

بعد ذلك بسط نفوذه على أواسط حوض الفرات (مدينة ماري) والتي كانت تعد آنذاك من المراكز الحيوية للآشوريين حيث أنها تربط ما بين أرض بابل من جهة ومناطق البحر الأبيض المتوسط الشرقية من جهة أخرى.

كذلك تذكر المصادر التاريخية أن الملك شمشي ادد الأول قد استولى على مدينة شوبات - انليل Shubat Enlil والتي تقع على الجهة الشمالية الغربية لآشور. إن الغاية المتوخاة من السيطرة على هذه المدينة وإقامته هناك كانت في الواقع لها مردودات اقتصادية هي السيطرة على أواسط دجلة من جهة وأواسط نهر الفرات من جهة أخرى^(١٢).

وبعد تعيين ابنه البكر اميراً على أكالاتون نصب ابنه الأصغر والمُدعو (يسمخ / يسمع . ادد) اميراً على ماري. وأن الرقم التي تم الكشف عنها في ماري في أثناء التنقيب قد أوضحت قسماً من المراسلات الملكية ما بين يسمخ / يسمع . ادد، ووالده، وأخيه. إذ إن هذه الاكتشافات في الواقع قد ألقت الضوء الكثير على علاقات الآشوريين مع الأقاليم المجاورة إبان عهدهم المبكر.

أما النصوص الخاصة بالمراسلات الملكية والتي تم الكشف عنها في منطقة شمشارة فإنها تبين امتداد حدود الآشوريين إبان حكم الملك شمشي ادد، حيث تذكر تلك النصوص أن حدود الآشوريين قد امتدت من جبال زاغروس لتضم أربيل والسهول المحيطة بها، كذلك فإن تلك النصوص تذكر أن الآشوريين وإبان حكم الملك شمشي ادد قد بسطوا نفوذهم على منطقة أرابخا Arrapha كركوك الحالية^(١٣).

وبعبارة أدق إن الآشوريين إبان حكم الملك شمشي ادد الأول وأولاده أصبحت تمتد من سلسلة جبال زاغروس شرقاً وحتى حوض الفرات الأوسط غرباً، ومن نهر العظم جنوباً وحتى بلاد الأناضول شمالاً.

حوض دبالى . لذا فان من المرجح جداً ان يكون الحوريون قد هاجروا الى بلاد وادي الرافدين من الشمال وليس من المستبعد جداً ان يكونوا قد اتوا من ارمينيا .

وفي عهد الملك الآشوري شمشي ادد الاول انتشر الحوريون في معظم مناطق وادي الرافدين ، وخاصة المناطق الشمالية الشرقية . ومنها زاجروس والتي كان يحكمها (ملوك) حوريون^(١٥) .

ان المصادر التاريخية تذكر ان احد احفاد الملك شمشي ادد الاول قد تزوج امرأة من احدى قبائلهم المتنفذة ، وبعد الملك شمشي ادد انتشر الحوريون في المناطق السورية وبالذات في منطقة الآلاخ (تل العيشانة) حيث عثر على كثير من النصوص التاريخية هناك .

وفي منتصف القرن السابع عشر قبل الميلاد هاجم الحوريون المناطق الحثية الواقعة في الجهة الشمالية الغربية واستولوا عليها . وبعد قرن من الزمن اسس الحوريون مملكة محلية في بلاد الاناضول عرفت بالدولة الميتانية Mittani . لقد انتشرت هذه الدولة في بادى امرها شرقي اعالي الفرات ، ثم ظهر نفوذها في سوريا^(١٦) .

ان سيطرة الدولة الميتانية على هذه المناطق يعود بالدرجة الاولى الى عدم تكامل (الدولة) الاشورية والتي ابدت الفرعون المصري تحتمس الثالث لشن حملة عسكرية على المناطق الميتانية . في عام ١٤٧٢ قبل الميلاد . لقد بارك هذه الحملة ايضا الحيثيون .

وبعد انتصار تحتمس عليهم بفترة اعاد الميتانيون سيطرتهم على سوريا ، بعد ذلك عمدوا الى الاستيلاء على الدولة الاشورية . وبالفعل فقد غزوها ونهبوا العاصمة آشور وفسطوا نفوذهم حتى سلسلة جبال زاجروس ومنطقة كركوك ، حيث تركزت الحضارة الحورية في منطقة نوزي (بورغان تبه)^(١٧) وكورجاني (تل الفخار) .

ان طرد الميتانيين من بلاد آشور لم يحدد تاريخه بالضبط الا ان الاحداث التاريخية ترجع طردهم

ولم يكتف شمشي ادد الاول بذلك بل وصل الى سواحل البحر الابيض المتوسط الشرقية واقام هناك مسألة له . ان الغاية من اقامة المسلة هناك كانت في الواقع اظهار قوة الاشوريين امام القبائل الامورية والتي اعتبرت هذا الملك والاشوريين قوة جديدة تظهر لأول مرة . وفضلا عن ذلك فان الاموريين الذين نزحوا من تلك المناطق قد اسسوا سلالة تعرف باسم سلالة بابل الاولى واتخذوا بابل عاصمة لهم . وان ملكهم حمورابي الذي عاصر هذا الملك كان هو الاخيريطمع في بسط نفوذه على كثير من الاقاليم المجاورة . حيث ان المصادر التاريخية تذكر ان بعض ملوك هذه السلالة قد سيطروا على منطقة مارى ايضا^(١٨) .

الدولة الاشورية وعلاقتها بالاقاليم الشمالية الغربية :
ان المتبع للهجرات البشرية يلاحظ ان هناك هجرتين بشريتين ظهرت خلال عهد (الدولة) الاشورية المبكر . وان اولى هاتين الهجرتين كانت الموجة الحورية Hurrians والتي استوطنت بلاد وادي الرافدين وسوريا . اي المنطقة الشمالية الغربية ، والغربية من بلاد اشور .

اما الموجة البشرية الثانية فهي موجة الاموريين التي استقرت في بداية الامر في منطقة الفرات الاوسط (عنة) ، اي المنطقة الواقعة غرب بلاد آشور قبل نزوحها الى منطقة بابل . ففي حين تأثرت الموجة الاخيرة (الامورية) بحضارة منطقة بابل ، فقد تأثرت وتطبعت الموجة الاولى الحورية بالحضارة الاشورية .

علاقات الآشوريين بالحوريين :

لقد كان الحوريون اكبر المنافسين للدولة الآشورية ابان الربع الاول من الالف الثاني قبل الميلاد . كما دلت الدراسات بان اللغة الحورية لاتشبه اللغة السومرية او الاكدية . وفي نهاية السلالة الاكدية كون الحوريون لهم دولة صغيرة تقع في منطقة الخابور . وفي خلال سلالة اور الثالثة ظهرت كثير من الاسماء الحورية ، لاسيا في منطقة

ابان حكم الملك اريبا - ادد الاول (١٣٩٢ - ١٣٦٦ قبل الميلاد) والد الملك اشور بالظ الاول (١٣٦٥ - ١٣٣٠ قبل الميلاد).

وبعد استقلال الدولة الاشورية من الهيمنة الميتانية ارتبطت بحلف مع بابل بدليل وجود وثيقة تاريخية تذكر هذا الحلف. كما ترك هذا الملك كثيراً من المراسلات التجارية مع الاقاليم المجاورة، إذ ان حويلاته لم تذكر بالتفصيل حملاته العسكرية. الا ان ملوك اشور اللاحقين قد ذكروا هذا الملك وكيف انه سيطر على المناطق الواقعة شمال آشور لكي يؤمن كثيراً من المواد الخام التي كانت تحتاج اليها الدولة الآشورية، كالخشب، والمعادن، والاحجار الكريمة الى جانب المواد الكيماوية كالبخور والمطيبات^(١٨).

ان الملوك الذين خلفوا الملك آشور بالظ عمداوا الى توسيع الرقعة الجغرافية لبلاد آشور، بدليل ان قوائم الملوك الاشورية تذكر ان الملك اريك - دين - ايلي Arik-den-ili (١٣١٩ - ١٣٠٨ قبل الميلاد) قد نعت نفسه بـ "ملك الكون"^(١٩) وان الملك ادد نيراري الاول (١٣٠٧ - ١٢٧٥ قبل الميلاد) تمكن من الوصول الى كركميش، كذلك قام ابنه شيلمنصر الاول (١٢٧٤ - ١٢٤٥ قبل الميلاد) باحتلال هذه المدينة ثانية. والى هذا العامل يعود الفضل ايضاً بالقضاء على الدولة الميتانية في عام (١٢٧٠ قبل الميلاد) والسيطرة على المناطق التي كانت تحت سيطرة الدولة الميتانية.

اما الملك تيجلاتيليز الاول (١١١٥ - ١٠٧٧ قبل الميلاد) فانه تمكن من دخول منطقة تدمر ثم تلاه الملك شيلمنصر الثالث (٨٥٨ - ٨٢٤ قبل الميلاد) وان هذا الملك حاصر دمشق قبل فتحها من قبل الملك تيجلاتيليز الثالث (٧٤٤ - ٧٢٧ قبل الميلاد)، كذلك قام هذا الملك بضم نصف ما يسمى بمملكة اسرائيل الى الدولة الاشورية، وعين هوشع ملكاً على السامرة.

اما حويلات الملك سرجون الثاني (٧٢١ - ٧٠٥ قبل الميلاد) فتذكر انه سيطر على دولة

كركميش وقضى على استقلالها، كما انه، وحسب ما تذكر اخباره، قد قضى ايضاً على عدة دويلات في بلاد الاناضول منها كيليكية (قويي Quê) وفريجية (موشكي Muski).

وعلى ما يظهر فان الملك سرجون قد تسلم وهو في بلاد الاناضول هدايا من ملوك (باتنانا) السبعة، اي من امراء جزيرة قبرص. وبما يؤيد هذا القول وجود المسلة العائدة للملك سرجون في عاصمة قبرص لرناكا. كما اخضع هذا الملك ايضاً بلاد الشام وازال مملكة اسرائيل من الوجود.

لقد ورث العرش بعد الملك سرجون الثاني ابنه سنحاريب (٧٠٤ - ٦٨١ قبل الميلاد) وقد حكم هذا الملك ثلاثة وعشرين عاما اتسمت اعماله خللاها بالقوة الحربية والنشاط البنائي حيث جعل نينوى العاصمة الاولى للامبراطورية. اما ما يخص اعماله العسكرية في بلاد الشام والتي ورد ذكرها في حويلاته الملكية فتذكر ان بعض دويلات فينيقية وفلسطين اظهرت العصيان على الدولة الاشورية بمساعدة مصر وكان من بين تلك الدويلات ، يهوذا في عهد ملكها المدعو حزقيا، عمد سنحاريب الى ضرب هذه الدويلات في السنة الرابعة من حكمه، وتم اخضاعها جميعاً.

وبعد تسلم زمام الحكم الملك اسرحدون اعلنت العصيان بعض دويلات بلاد الشام ثانية، الا ان هذا الملك قضى عليها وبخاصة العصيان الذي قام به ملك صيدا المدعو عبد ملكوتي. وبعد ذلك ركز الملك اسرحدون جل اهتمامه لدخول مصر.

اما حويلات الملك اشور بانيبال فانها تذكر عصيان كثير من اقاليم بلاد الشام ايضاً كفينيقية مثلاً، الا ان الملك اشور بانيبال استطاع اخضاعها جميعاً^(٢٠).

لقد بقيت هذه الاقاليم (اقاليم بلاد الشام) تابعة للدولة الاشورية لحين افول الدولة الاشورية، وبعد قيام الدولة الكلدانية ببابل اصبحت جميع هذه الاقاليم تابعة لها.

علاقة الدولة الاشورية بالدولتين الحيثية والاورارتية:

(أ) علاقة الدولة الاشورية بالدولة الحيثية:

لقد بدأت المملكة الحيثية القديمة بالتطور في بلاد الاناضول في منتصف القرن الثامن عشر قبل الميلاد. اي بعد بزوغ العصر الاشوري القديم بقليل في بلاد اشور. وتعاظم سلالة بابل الاولى في بلاد بابل.

ان المنطقة التي سكنها الحيثيون في بلاد الاناضول قد عرفت في نصوص الالف الثاني قبل الميلاد باسم ارض حاثي، وابان هذه الفترة (فترة تكوين مملكتهم القديمة) اتخذ الحيثيون (مدينة) بوزاغ كوي (خاتوشا) عاصمة لهم. ومنها سيطروا في بداية امرهم على المناطق المحصورة ما بين غرب نهر الفرات (الاعلى) وسواحل البحر الابيض المتوسط الشرقية^(٢١).

وفي بداية القرن السابع عشر قبل الميلاد تمكن الملك الحيثي مرسيلس (مورشيلي) من احتلال منطقة شمال سوريا ومنها نزل الى جنوب نهر الفرات، حيث قضى على سلالة بابل الاولى واستولى على العاصمة بابل. فالمصادر البابلية تذكر هذا الحدث الذي ساعد على اعطاء تاريخ ثابت لحكم هذا الملك. ولولا النصوص البابلية وقوائم الملوك الاشورية لاصبح من المتعذر اعطاء تواريخ تسلسل ملوك الدولة الحيثية^(٢٢).

والملاحظ ايضا ان قوة الدولة الحيثية لم تظهر في منطقة سوريا الا بعد احتلال ملكهم شويلولوما في عام ١٢٧٠ قبل الميلاد. مدينتي حلب والالاخ. والعامل المساعد الآخر الذي ساعد الدولة الحيثية من بسط نفوذها على منطقة سوريا هي قضاء الاشوريين على الدولة الميتانية، حيث ان سقوطها ترك فراغا كبيرا في المنطقة. كما ان انشغال الدولة الاشورية في اعداد نفسها قد ساعد الدولة الحيثية في شغل المناطق التي دحرفها الميتانيون.

ان المصادر التاريخية المصرية تذكر وباسهاب الصراع السياسي ما بين سلالات مصر والدولة

الحيثية والذي تعاظم ابان حكم الملك (الفرعون) رمسيس الثاني (١٢٩٨ - ١٢٣٢ قبل الميلاد). ان السلالات المصرية لم تستطع دحر القوة الحيثية المتمركزة في المنطقة الواقعة ما بين غرب الفرات والسواحل الشرقية للبحر الابيض المتوسط الا انها اوقفت زحفها نحو الغرب.

وفي اثناء الصراع ما بين مصر والدولة الحيثية، كانت الدولة الاشورية تعد العدة للقضاء على الدولة الحيثية، سيما وان حدود هذه الدولة قد توسع على حساب الدولة الاشورية، حيث ان المصادر الملكية الاشورية تذكر ان اول ملك اشوري وصل الفرات (غربي الفرات الاعلى) بعد سقوط العاصمة خاتوشا كان الملك تجلا تيليزر الاول عام ١١١٠ قبل الميلاد^(٢٣).

كما تذكر المصادر التاريخية تلك، ان الملك تجلا تيليزر الاول، ارسل في بادئ الامر بعض السرايا لاكتشاف الطريق ما بين بلاد الاناضول وبلاد اشور، وبعد اتمام الكشف سار شمال نهر دجلة ومن هناك دخل بلاد الاناضول، حيث وصل في بادئ الامر الى مدينة ميليد (ملاطيا) ومنها اتى صوب الجهة الشمالية الغربية نحو بحيرة وان. وهناك وحسب ما تذكر المصادر الاشورية ترك منحوتة مازالت في منطقة ملاذكرت نقش عليها النص الاتي: «تجلا تيليزر الملك القوى، ملك الكون، ملك اشور، ملك الجهات الاربع، فاتح ارض ناثيري من ارض تومي الى ارض دينو، فاتح ارض خابجا الى البحر العظيم (البحر الابيض المتوسط)». ومن هذه المناطق جلب الملك الاشوري غنائم قوامها النحاس، وآنية برونزية وخيل، وماشية، وثيران، وحمر^(٢٤).

وبعد وصول الملك تجلا تيليزر الاول الى سواحل البحر الابيض المتوسط طلب الركوب في سفينة، حيث تذكر حويلاته: انه ركب سفن مدينة ارواد، وهي ارض امورو، وقد قام الملك الاشوري برحلة من هذه المدينة وحتى سامورو. وبعد سقوط العاصمة خاتوشا وسير الملك الاشوري في المنطقة المحصورة ما بين غرب الفرات والسواحل الشرقي

للبحر الابيض المتوسط أمست هذه المنطقة تحت سيطرة الدولة الآشورية.

ان الفتوحات التي قام بها الملك تجلا تبليزر الاول في بلاد الاناضول قد مكنت الملوك الآشوريين اللاحقين من بسط نفوذهم على مناطق اخرى من بلاد الاناضول. حيث تذكر حوليات الملك شيلمنصر الثالث. انه وسع النفوذ الآشوري في بلاد الاناضول، حيث وصل الى الجهة الشمالية الغربية وحتى منطقة كليشيا، واواسط منطقة الاناضول. ان السيطرة على منطقة كليشيا مكن الآشوريين ايضاً من التجارة مع جزيرة قبرص وشبه جزيرة اليونان، وخاصة تجارة الحديد. وبهذا يكون الآشوريون وخلال حكم شيلمنصر الثالث قد سيطروا على جميع المناطق الحيشية التي لم يستطع الملوك الآشوريون الذين سبقوا الملك شيلمنصر الثالث من الوصول اليها. بدليل ان الرحالة اليونانيين الذين زاروا مناطق شمال سوريا، وبلاد الاناضول كانوا يطلقون عليها مقاطعات الامبراطورية الآشورية. اي ان اسم ارض حاتي قد نسي تماماً^(٢٥).

واخيراً فان العلاقات ما بين الآشوريين والاقاليم الواقعة غرب الفرات، وحتى سواحل البحر الابيض الشرقية يمكن لمسها من كثير من التحف الفنية التي تركها الآشوريون، ولاسيا ما يسمى بعاجيات نمود. حيث ان صناعة بعض تلك العاجيات يعكس تاثيرات تلك المناطق وخاصة منطقة بيبولوس (جيل).

(ب) علاقة الدولة الآشورية بالدولة الاورارتية :
في النصف الأول من القرن الثامن قبل الميلاد تكونت في شرق بلاد الاناضول (أرمينيا) مملكة تسمى (اورارتو).

ان هذه المملكة قد تطورت في الواقع خلال القرن التاسع قبل الميلاد من اتحاد دويلات تقع ما وراء جبال طرسوس والتي كانت عرضة للتوسع الآشوري.^(٢٦)

لقد استخدم الآشوريون كثيراً من ابناء هذه المنطقة في الدولة الآشورية صناعاً، او مسؤولين وكلاء عن وصول الاخشاب والخيل، والمعادن الى بلاد آشور. بدليل ان اللغة الاورارتية (هندوأوربية) قد دوّنت بالكتابة المسبارية العراقية.^(٢٧)

ان تفاقم خطر الدولة الاورارتية بدأ يظهر خلال حكم الملك شيلمنصر الثالث. حيث ان حولياته تصف علاقته وحملاته العسكرية الى بلاد اورارتو. ان وصف هذه الحملات قد ظهر ايضاً وبهينة تحت بارز معمول من البرونز على الافاريز التي كانت تزين بوابات احدى المدن الآشورية القريبة من العاصمة كلخو (نمود) وهي بلوات. تحوي هذه الافاريز مشاهد توضح كيف ان الفرسان والمقاتلين الآشوريين احرقوا العاصمة الاورارتية الاولى ارزاشكون.^(٢٨)

وفي نهاية حكم الملك شيلمنصر الثالث امتدت حدود المملكة الاورارتية لتشمل المنطقة الجبلية (الجنوبية) والمنطقة الشرقية وحتى أذربيجان، وعند محاولة الاورارتيين الوصول الى جنوب هذه المنطقة تصدى لهم الآشوريون في عام ٧١٤ قبل الميلاد واوقفوا زحفهم.

ولم تكف الدولة الاورارتية بذلك بل انها امتدت الى اعالي الفرات. اذ ان سيطرة الدولة الاورارتية على تلك المنطقة يعني حجب وصول كثير من السلع التجارية من بلاد الاناضول عبر الفرات الى بلاد آشور.

لقد شن الملك شيلمنصر الرابع (٧٨١ - ٧٧٢ قبل الميلاد) وحسب ما تذكر حولياته ست حملات عسكرية على منطقة اورارتو خلال ثماني سنوات الا انه لم يفلح في دحرها، لذا فان معظم السلع التي كانت تجلب عبر الفرات قد جلبها الآشوريون من مناطق اخرى، الا انهم في الوقت ذاته واصلوا المحاولات للقضاء على الدولة الاورارتية.^(٢٩)

لقد حاول الملك تجلا تبليزر الثالث فتح طريق هذه السلع الى آشور وذلك عن طريق مد نفوذهم

وحتى ساحل الخليج العربي ، حيث تكثر في هذه المناطق المرتفعات والمياه ، الى جانب انخفاض درجات الحرارة في المناطق الشمالية : وسهولة وقلة المياه (الامطار) وارتفاع درجات الحرارة في المناطق الجنوبية .

وكما هو معلوم فان المنطقة الجنوبية من العراق قد شهدت تضجاً ثقافياً سبق المنطقة الشمالية ، اذ ان هذا السبق الثقافي قد امتد الى جنوب الهضبة الايرانية ، بدليل ان الثقافة العيلامية المبكرة كانت متأثرة جداً بالثقافة السومرية القديمة والمتأخرة ، كما تأثرت ايضاً بالثقافة الاكدية التي ازدهرت في العراق ، وخاصة في زمن الملك الاكدي نرام سين الى درجة حلت اللغة الاكدية محل اللغة المحلية للعيلاميين .

علاقة الدولة الاشورية بالعيلاميين :

ان معظم النصوص التاريخية تشير الى الدور الذي قام به العيلاميون في اسقاط سلالة اور الثالثة (٢١١٢ - ٢٠٠٤ قبل الميلاد) الا انهم لم يستطيعوا السيطرة على اي جزء من بلاد سومر . لقد حاول العيلاميون ايضاً مقارعة الدولة الاشورية ابان حكم الملك آشور - دان الاول (١١٧٩ - ١١٣٤ قبل الميلاد) الا ان محاولتهم باءت بالفشل بعد ذلك عاودوا الكرة في مهاجمة الدولة الاشورية ابان حكم الملك توكلي - نورتا الاول . إذ ان هذا الملك حطم القوة العيلامية ، لاسيما في المنطقة الواقعة حول حوض الزاب الاسفل . حيث ان هذه المنطقة كانت من اهم المناطق الحيوية للدولة الاشورية ، لا لكونها خصبة فحسب بل كانت تمر بها الطرق التجارية الشرقية .^(٣٢)

ان علائق الدولة الاشورية مع العيلاميين خلال العصر الامبراطوري الثاني كانت تتميز ، وحسب ما تذكر الحوليات الاشورية بطابعين : الطابع الدبلوماسي ، والطابع العسكري .

وعلى ما يبدو فان الطابع العسكري كان الطابع المرجح في تينك العلاقتين فضلاً عن ذكر حوليات الملك

الى شمال سوريا ، ولكنه لم يفلح ايضاً . الا ان اصرار الملك سرجون الثاني (٧٢١ - ٧٠٥ قبل الميلاد) بالسيطرة على منطقة اورارتو وفتح الطريق التجاري قد تمخض فعلاً عن نتيجة ايجابية .^(٣٠) تذكر حوليات هذا الملك أنه قرر السيطرة على دولة اورارتو بنفسه فترك مدينة كلخو متوجهاً نحو الشرق ، اي نحو جبال زاغروس ، ومنها اتجه صوب بلاد المانيين ، اي انه وصل بحيرة اورميا . وفي الحال استسلمت هذه المنطقة الى قوة سرجون .^(٣١)

لقد شيد الاورارتيون مناطق حصينة غرب بحيرة وان ، لذا فان الملك سرجون بدأ هجومه من الجانب الشرقي للمدينة اي الجهة التي كانت خالية من التحصينات . وبعد شن هجومه الأول تمكن من فتح العاصمة ترووشيا ، وعند سقوط العاصمة انهارت قواعد الدولة الاورارتية ، حيث تم فتح الطريق التجاري مابين بلاد الاناضول وآشور . وبعد السيطرة على منطقة اورارتو رجع الملك سرجون الى كلخو عن طريق الغرب ، وفي طريقه ابرم كثيراً من المعاهدات مع الاقاليم التي كانت تحت السيطرة الاورارتية .^(٣٢)

ان سقوط الدولة الاورارتية كان له الاثر الكبير في امتداد الامبراطورية الاشورية الى المناطق التي كانت تجلب منها كثير من السلع التجارية والمواد الخام التي كانت تفتقر اليها بلاد آشور .

الدولة الآشورية والهضبة الايرانية :

ان المتبع للاصول الثقافية والتاريخية للهضبة الايرانية يجدها مشتقة من وادي الرافدين . بدليل ان العدد الكبير من اللقى الاثرية التي عثر عليها في كثير من المواقع الاثرية في الهضبة الايرانية ترجع اصولها الى ثقافة وادي الرافدين . كما دلت الدراسات على ان سكان الهضبة الايرانية الاقدمين لم يكنوا بنقل ثقافة وادي الرافدين اليهم بل تطبعوا بأصولها .

ان الواقع الجغرافي لغرب الهضبة الايرانية لا يختلف كثيراً عن الواقع الجغرافي لبلاد وادي الرافدين والذي يمتد من شمال الدولة الآشورية

سرجون الثاني كيف انه حطم الجيش العيلامي والذي كان تحت قيادة الملك خمبا نيكاش .

اما حوليات الملك اشوربانيال فتذكر كيف ان الملك آشوربانيال قد ارسل الى ملك عيلام حبوب (ذرة) حين حلت به وبالعيلاميين كارثة . ان جزء من نص هذه الحولية يذكر الآتي : « عندما انتشرت المجاعة وقُل الطعام في عيلام ارسلت الى ملك عيلام ذرة لكي يستطيع العيلاميون العيش ، وشددت على يد الملك . كما ان بعض العيلاميين هربوا من تلك المجاعة التي حلت بهم وسكنوا ارض آشور لحين سقوط المطر عندهم وازدياد المحاصيل ، اذ ان اولئك العيلاميين الذين عاشوا في ارض اشور ارجعهم عند انتهاء المجاعة »^(٣٤) .

إلا ان الملك العيلامي اورتكي نسي فضل الملك الاشوري عليه وعلى شعبه فهجم على بابل عام « ٦٦٥ قبل الميلاد » . الا ان هجومه هذا قابله الملك الاشوري بهجوم معاكس تم خلاله تحرير بابل من العيلاميين .

وبعد موت الملك العيلامي اورتكي تسلم زمام الحكم الملك تيومان ، حيث هو الآخر نسي فضل الاشوريين على العيلاميين . وبدأ يتحرش بالاشوريين ، فارسل اليه الملك الاشوري اشوربانيال في صيف عام « ٦٥٣ قبل الميلاد » قوة تمكنت من القضاء عليه .

حيث تذكر حوليات الملك آشوربانيال ايضاً النص الآتي : « تيومان ملك عيلام ... هرب لافقاذ حياته واختبأ في الغابات . ان عربة هذا الملك قد انكسرت وانقلبت عليه .. ولقد حاول ابنه (مساعدته) على الهرب ، الا انه تم القبض عليه وقطع رأسه ، وقد أخذ رأس تيومان الى الملك الاشوري وأقام الملك وزوجته احتفالاً كبيراً بهذه المناسبة .

ان قسماً من هذا الاحتفال نقش بهيئة تحت بارز عثر عليه اثناء التنقيبات في نينوى ومعرض الان في المتحف البريطاني في لندن .^(٣٥)

ان الصراع ما بين الاشوريين والعيلاميين يعزى الى عاملين اساسيين اولها الاختلاف الحضاري ما بين المجتمع الاشوري والعيلامي . حيث كان العيلاميين ينظرون الى الدولة الاشورية كدولة غنية مرفهة تمتد حدودها الى اقاليم دانية وقاصية . تصل منها كثير من المواد الخام الى جانب السلع الكمالية والاستهلاكية لذا فان كثيراً من الملوك العيلاميين حاولوا قهر الدولة الاشورية . اما العامل الثاني فيعزى الى معاناة الدولة العيلامية ومنذ قيامها من صراعات داخلية . اذ ان هذه الصراعات قد ساعدت كثيراً على اضعاف الدولة العيلامية والتي لم تحدد موقفها الحقيقي من الدولة الاشورية ، فحين تزداد الصراعات الداخلية يرم العيلاميون معاهدة سلمية مع الدولة الاشورية ، وحينما يقضى على هذه الصراعات فان ملوك العيلاميين يشنون هجومهم على حدود الدولة الاشورية ، لحين نهايتهم على يد الملك الاشوري اشوربانيال .

واذا تركنا خارطة جنوب الهضبة الايرانية وانجھنا شمالاً أي الى الحدود المتاخمة للدولة الاشورية ، نجد ان هذه المنطقة كانت دوماً تحت النفوذ الاشوري (التجاري) . حيث ان كثيراً من المراكز التجارية قد كشفت عنها شرقي وشمال سلسلة جبال زاغروس .

ان حوليات الملوك الآشوريين السابقة لحوليات الملك شليمنصر الثالث، لم تذكر اي هجوم عسكري او ذكر اي قوم من اقوام تلك المناطق ، الا ان حوليات هذا الملك تذكر الى جانب حملاته العسكرية ان هذه المناطق (شرق زاغروس) اسماء بعض اقوام تلك المناطق والتي كان من بينها المانيون ، والميديون ، والفرس .^(٣٦)

لقد جاء ذكر هؤلاء الاقوام في حوليات الملك شليمنصر الثالث عندما عبر جبال زاغروس ، وبعد ان جابه في بداية امره الميديين والفرس وهم من القبائل الايرانية التي انت او بالاحرى هاجرت الى الهضبة الايرانية من الشمال في بداية الالف الاول قبل الميلاد .

انتصار الفرعون المصري تحتمس الثالث على الميتانيين في سوريا عام ١٤٧٢ قبل الميلاد. وعلى ما يبدو فإن العلاقات ما بين الدولة الآشورية ومصر قد ازدادت وثوقاً ابان حكم الملك آشور-أوبالط، حيث كشفت المراسلات الملكية الآشورية ما بين الملكين الآشوري والمصري ذلك. ومن بين هذه المراسلات رسالة ارسلها آشور-أوبالط الاول الى فرعون مصر، ان محتويات الرسالة هو الاتي: «الى ملك مصر، فعليه، يقول الملك آشور-أوبالط، ملك آشور، آملاً ان تكون انت بخير، واسرتك، وارضك، وعربانتك، وقواتك، لقد ارسلت اليكم رسولي لمقابلتكم لكي يرى ارضكم. اكتب اليكم اليوم، والذي لم يكتب اليكم اي ملك آشوري من قبلي. لقد ارسلت اليكم عربة جيدة الصنع، ومجهرات، تمثل حجر اللازورد الحقيقي كهدية اليكم. لاتبقي رسولي الذي ارسلته اليكم. ان مهمة هذا الرسول هي رؤيتكم والعودة الى آشور ودعه يقيم في ارضك، ومن ثم دعه يرجع اليك»^(٣٨).

بطبيعة الحال ان دلت هذه الرسالة على شيء فانما تدل على رغبة الدولة الآشورية باقامة علاقات سياسية وتجارية مع مصر. وبالمثل فقد ارسلت مصر رسل الى بلاد آشور حيث دخلوا البلاط الآشوري وقابلوا الملك.

وقد اردف الملك الآشوري بعد هذه الرسالة والهدايا، هدايا اخرى الى فرعون مصر، وبالمقابل طلب من مصر ارسال الذهب اليه لتزيين قصره الجديد.^(٣٩)

وكما هو معلوم فان الطور الثاني للامبراطورية الآشورية اتسم بامتداد حدود الدولة الآشورية الى بقاع تمتد الى حدود مصر، حيث تذكر حوليات الملك تجلا تلبيزر الثالث بأنه سيطر على فلسطين حتى مدينة غزة -التي كانت تعد حدود مصر الخارجية (الفاصلة ما بينها وبين فلسطين).-

اما حوليات الملك سرجون الثاني فانها تذكر ان الملك سرجون قد شجع التجارة مع مصر. الا ان

لقد سكنت القبائل الفارسية فيما بعد جنوب غرب ايران، اما الميديون فقد اسسوا لهم قرب همدان عاصمة تدعى اكبتانا، وقبل قدوم هذه القبائل الى الهضبة الايرانية كانوا عبارة عن بدو رحل يتجولون في معظم انحاء المناطق الشمالية، وان معرفتهم بالطرق البرية قد ساعدهم كثيراً على جلب حاجيات تجارية الى الدولة الآشورية، لاسيما حجر اللازورد Lapis - Lazuli والذي كان يستورد من افغانستان.

لقد تعلم الميديون والفرس بصورة خاصة كثيراً من ثقافة الدولة الآشورية وتطبعوا بها، وبعد ان قوى ساعدهم هاجم الميديون العاصمة آشور في حدود عام ٦١٤ قبل الميلاد، وبعد افول الدولة الآشورية اتحد الميديون والفرس وكونوا دولة عرفت بالدولة الاخمينية.

اما القبائل المانية فهي الاخرى كانت تحت الهيمنة الآشورية، منذ حكم الملك شيلمنصر الثالث، والملوك اللاحقين. الا ان اخبار الملك سرجون الثاني تذكر ان القبائل المانية انتهت امرها بعد سيطرة الملك سرجون الثاني على اذربيجان في عام ٧١٤ قبل الميلاد.

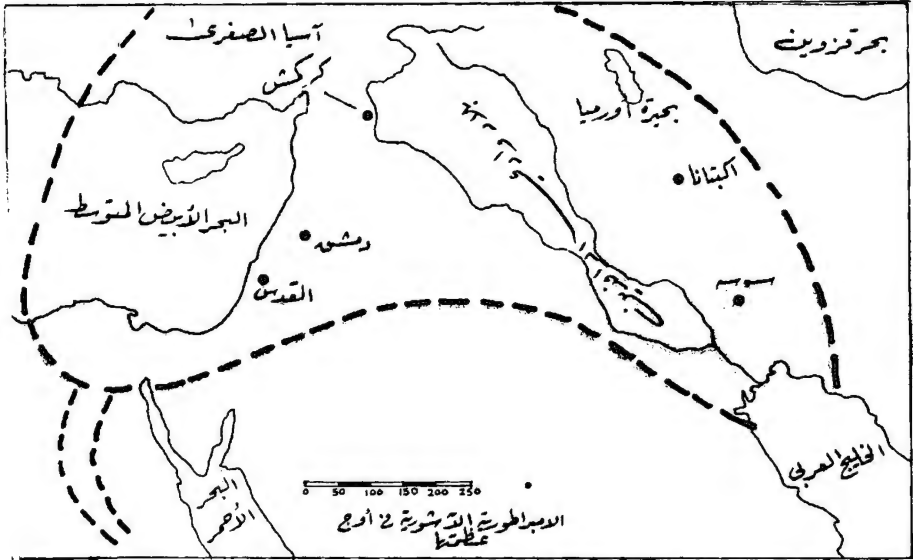
وفي نهاية حكم سنحاريب (٧٠٤ - ٦٨١ قبل الميلاد) ظهرت موجة جديدة من القبائل المهاجرة الى الهضبة الايرانية من الفقفاس. ولقد عرفت هذه الموجة في الحوليات الآشورية باسم كميريا، وباللغة اليونانية باسم الكيريين Kimmerians. تبعتها موجة اخرى هي الموجة السيثية Sythians. وقد تمكن الملك سنحاريب من السيطرة على الموجة الاولى والتي هي الاخرى تطبعت بالثقافة الآشورية.^(٣٧) لقد اتحدت هذه القبائل والقبائل الاخرى المهاجرة الى الهضبة الايرانية مع قبائل الميديين والفرس، وحاولوا قهر الدولة الآشورية ما قبل عام ٦١٤ قبل الميلاد.

علاقة الدولة الآشورية بمصر:

ان اول اشارة للعلاقات السياسية ما بين الدولة الآشورية ومصر جاءت اليها حينما بارك الآشوريون

وفي عام ٦٠٥ قبل الميلاد قاد الجيش الكلداني نبوخذ نصر الثاني ابن الملك نبولاصر حملة الى سوريا تمكن من خلالها القضاء على كركميش. وبعد هذا التاريخ لم تذكر المصادر التاريخية أي شيء عن مصير الملك الاشوري او الدولة الاشورية. وفي العام ذاته اصبح الملك نبوخذنصر الثاني ملك بابل، حيث دخلت بلاد وادي الرافدين في عصره حقبة تاريخية جديدة اتسمت بالنضج الثقافي، لا يقل اهمية وقوة وتأثيراً عن النضج الثقافي الذي وسمت به الدولة الاشورية.

وبعد سقوط العاصمة نينوى، لاسبب الحصار الذي فرضه عليها البابليون والميديون فحسب بل بسبب الفيضان الذي اتاها من نهر الخوصر والذي هدم اسوارها وتحصيناتها الدفاعية، هرب الملك الاشوري آشور اوبالط الى حرّان^(٤٤). وفي اثناء مكوثه في حرّان طلب المساعدة من مصر وذلك في عام ٦١٠ قبل الميلاد، لم يتردد ملك مصر نيكو الثاني في ارسال قوة مصرية تقف الى جانبه حيث اتخذوا من كركميش قاعدة لذلك.



خارطة تبين حدود الامبراطورية الاشورية وعي في أوج عظمتها

Smith, S., Cuneiform Text From Cappadocia
Tablets in the British Museum, oct, No. III, 1921.
Lewy, J. Old Assyrian Roads in the Valley of. the
Habur and the Euphrates and in the North Syria,
Orientalia, Vol. XXI.
....., Some Aspects of Commercial life in
Assyria and Asia Minor in the 19 th Century B.C.,
Journal of Oriental Society, Vol. 1958.
Saggs, H.W.F. The Might that Was Assyria 1984
Lloyd, S., Op. cit
Orlin, L.L., Op. cit
Akurgal, A., Ancient Civilization and Ruins of
Turkey, 1970.

١. لقد جلب الاكديون من منطقة الاناضول كثيراً من المعادن
ولاسيما النحاس والبرونز راجع :
Gadd, G.J., The Reign of Sargon, The Cambridge
Ancient History, Vol, 1, 1968.
Lloyd, S., Early Anatolia, (la) Forbes, R. J.,
٢. Metallurgy in Antiquity 1950.
Orlin, L.L., Assyrian Colonies in Cappadocia,
٣. 1970.
٤. نفس المصدر السابق.
٥. نفس المصدر السابق.
٦. Stephen, F. J., Personal Names from Cuneiform
Inscription of Cappadocia, Yale University
Oriental Series, vol. XIII, No. I, 1928.

- Saggs, H.W., op. cit. ٢٧
King, H., Bronze Rliefs from the Gate of Shal-
manesser 1962
Parrot, A. Assor 1961 ٢٨
Jameron, G. G., The Annals of Shalmaneser,
Sumer 1950 ٢٩
ان حويلات هذا الملك تذكر وبالتفصيل الطريق الذي سلكه
Thureav, F. The camp- هناك كانت تقطن هناك
ings of Sargon,
Journal of Near Eastern Studies 1958. ٣١
Waterman, L. Op. cit
Saggs, H. W., The Might ٣٢
Waterman, L. Op. cit ٣٣
٣٤. نفس المصدرين السابقين.
٣٥. نفس المصدرين السابقين.
Luckenbill, D., Ancient Records of Assyria and ٣٦
Babylonia, 1926
Olmstead, A.T., The History of the persian ٣٧
Empire, 1948
Ghirshman, R., Iran, 1954
Luckenbill, D., The Annals of Sennacherib 1924 ٣٨
لقد وردت اثناء هذه الاقوام في كتابات اليونان.
Saggs, H.W. The Might ٣٩
٤٠. نفس المصدر السابق.
Thompson, C., The Annals of Esarhaddon and ٤١
Ashurbanipal, 1931
Saggs, H.W., The Might ...
٤٢. نفس المصدرين السابقين.
٤٣. نفس المصدرين السابقين.
٤٤. نفس المصدرين السابقين.
Ozguc, T., and N., New Researches at the centre
of the Assyrian Trade Colonies, TTKY. Vol. V,
No. 19, 1959
Mellaart, J. The Earliest Civilization of the Near
East 1965
Waterman., L. Op. cit ١١
Lloyd,s. Op. cit
Saggs, H.W.F., The Might that was Assyria. ١٢
نفس المصدر السابق ١٣
Saggs, H.W.F., The Might that was Assyria
Olmstead, A.T. op. cit. ١٤
١٥. حول تاريخ وهجرة الحوريين راجع :
Speiser, A., The Hurrian Participation in the
civilization of Mesopotamia, Syria, and Palestine,
Journal of World History 1933
-----, Ethnic Movement in the Near East in the
Second Millennium B.C. Annal of The American
School of Oriental Research 1933
Gelb, A. Hurrians and Subahians 1944
Speiser, A. op.cit. ١٦
Saggs, H., op. cit.
١٧. نفس المصدر السابق
١٨. نفس المصدر السابق.
٢٠. وفيما يخص علاقات الدولة الآشورية بتلك الاقاليم راجع ايضاً
المهد القديم - وحوليات الملوك الآشوريين.
Akurgal, A., The Art of the Hitties ٢١
that was Assyria, London 1984.
Gurnev. O. R. The Hitties, 1954 ٢٢
Waterman, L. Op. cit ٢٣
Saggs, H. The Might
٢٤. نفس المصدر.
Gurney, O. R. Op. cit ٢٥
Saggs, H. Op. cit ٢٦
Gurney, O. R. Op. cit
Loon, M., Urartian Art, its distinctive traits in the
light of New Excavations 1966

النشاطات الآشورية في الخليج العربي

د. منير يوسف طه

الشمالية الشرقية لسوريا ، وجزء من المنطقة الجنوبية الغربية لبلاد الاناضول .
وقد نقل عن طريق هذين النهرين كثير من السلع التجارية ما بين تلك المناطق ومنطقة الخليج العربي ، وحتى وادي السند والهند شرقاً وسواحل أفريقيا الشرقية غرباً ، وبالعكس .

١٢١

الخليج العربي عبر العصور:

تقع منطقة الخليج العربي في موضع جغرافي مميز. يضاف الى ذلك اتصاله المباشر بالرافدين دجلة والفرات . حيث يربطه الرافد الاول (دجلة) ببحر قزوين ، والمناطق الشرقية لبلاد الاناضول . اما الرافد الثاني (الفرات) ، فيربطه بسواحل البحر الابيض المتوسط الشرقية ، اضافة الى المناطق

م / ١٦ موسوعة الموصل الحضارية

ساحله الغربي. اما اقليم ملوخا فانه من المرجح ان يكون موقعه وادي السند ان لم يكن ضمن حدود الساحل الغربي للخليج العربي ايضا⁽⁴⁾.

وما يؤكد الاتصال الثقافي والتجاري المباشر ما بين الخليج العربي ووادي الرافدين في عصور ما قبل التاريخ اكتشاف ثقافة العبيد في كثير من المواقع الاثرية التي تم الكشف عنها خلال العقود المنصرمين على امتداد الساحل الغربي للخليج العربي، وخاصة منطقة القطيف⁽⁵⁾.

ان اول اشارة تاريخية للتبادل التجاري ما بين وادي الرافدين والخليج العربي وصلت الينا من عصر الملك اورنانشة (٢٥٢٥ قبل الميلاد) حيث يذكر احد نصوصه انه جلب الخشب من الخليج العربي^(٦).

وهناك عدة نصوص أكدية تؤكد علاقة الدولة الأكديّة بالخليج العربي. خلال عصر سلالة اور الثالثة، وعصري ايسن ولارسا، وصلت العلاقات التجارية ما بين الخليج العربي وبلاد وادي الرافدين اوج عظمتها بدليل العثور على كثير من النصوص التاريخية وخاصة في موقع اور، تذكر تلك العلاقات والسلع المتبادلة آنذاك^(٧).

اما المصادر التاريخية لسلالة بابل الاولى فانها تذكر ان المناطق الواقعة شمال منطقة بابل كانت الممول الرئيسي للمواد الخام والسلع التجارية لهذه السلالة. لذا فان العلاقات التجارية ما بين هذه السلالة وأقاليم الخليج العربي التجارية قد توقفت. وكنيجة لهذا التوقف فان مدينة أور قد أهملت شؤونها بعد ان كانت الميناء الرئيسي لتصدير واستيراد السلع التجارية من الاقاليم التجارية في منطقة الخليج العربي^(٨).

اما فترة السيطرة الكشية على بلاد بابل فقد اتسمت بقوة العلاقات التجارية والحضارية مع أقاليم الخليج العربي بدليل ان كثيراً من النصوص الكشية تذكر استيراد مواد غذائية من اقليم دلون ومن بينها التمر^(٩).

لقد عرفت منطقة الخليج العربي في المصادر التاريخية القديمة بعدة اسماء حيث وردت في نصوص العهد الاكدي بهيئة ارض البحر (مات- تام- تيم) Mat-tam-tim. حيث يذكر الملك سرجون الاكدي انه جلب غنّام من هناك اي (أرض البحر). اما الآشوريون فقد اطلقوا على الخليج عدة اسماء، منها البحر المر، وبحر الشروق، وبحر الكلدانيين، والبحر الاسفل^(١٠). اما الكتاب والمؤرخون والجغرافيون، والرحالة الكلاسيكيون (اليونان والرومان) فقد سمّوا الخليج العربي باسم البحر الاريثري، اي البحر الاحمر^(١١).

ان الموقع الجغرافي المميز للخليج العربي جعله موضع اهتمام العديد من القوى السياسية والاقتصادية منذ أقدم العصور والى يومنا هذا، لذا شهد كثيرا من الاحداث السياسية وحقبا ثقافية متنوعة، وقد اكدت الكشوفات الاثرية امتزاج ثقافات وادي الرافدين بثقافات الخليج العربي. كما اكدت تلك الكشوفات والدراسات كيف ان مياه الخليج العربي كانت احد المنافذ المائية لنقل ثقافات وادي الرافدين الى بعض اقاليم آسيا وأفريقيا^(١٢). كما لا يستبعد وصول ثقافات وادي الرافدين وعن طريق مياه الخليج العربي الى السواحل الصينية.

ان كثيرا من النصوص التجارية التي كشف عنها في بلاد وادي الرافدين والتي يمتد تاريخها منذ النصف الاول من الالف الثالث، وحتى منتصف الالف الاول قبل الميلاد، قد ذكرت كثيرا من الاقاليم التجارية التي كانت لها علاقة تجارية ببلاد وادي الرافدين. أي انها صدرت واستوردت من تلك الاقاليم كثير من السلع الاستهلاكية والمواد الخام، اضافة الى المواد الكمالية والتي كانت تفتقر الى بعضها ارض الرافدين.

ان من بين تلك الاقاليم اقليم دلون، Dilmun وماجان Magan، وملوخا Meluhha. لقد طرحت عدة آراء حول مواقع هذه الاقاليم الا انه بات من المؤكد الآن ان اقليمي دلون وماجان يقعان في منطقة الخليج العربي، وبالذات على

ان آخر اشارة لاحد اقاليم الخليج العربي (دلون) وردت في نص تاريخي يعود الى الملك نبو نائيد آخر ملوك السلالة الكلدانية التي حكمت بابل^(١٠).

وبعد الغزو الاخميني لبابل في عام ٥٣٩ قبل الميلاد دخل الخليج العربي واقله التجارية عصر الظلمات لم يخرج منها الى النور الا بعد غزو الاسكندر المقدوني لبلاد بابل. حيث اراد هذا القائد تكوين امبراطورية تكون بابل مركزها، لذا فقد كلف احد قواده باكتشاف مياه الخليج العربي، وبالفعل فقد قام هذا القائد والمدعو نيراخوس Nerachus بالبحار من الهند وحتى رأس الخليج العربي^(١١).

اما خلال فترة الاحتلال الفارسي والساساني لبلاد وادي الرافدين فقد عطلت الحركة التجارية في الخليج العربي خلالها، وأعيدت الحركة التجارية الى مياهه بعد التحرير العربي الاسلامي لمعوم المنطقة. وبعد تأسيس بغداد عادت العلاقات التجارية والثقافية ما بين بلاد الرافدين والخليج العربي على افضل الوجوه.

الآشوريون والخليج العربي :

ان اول نص تاريخي آشوري يذكر الخليج العربي، او بالأحرى احد اقالمه التجارية جاءنا من عهد الملك توكولتي نورتا الاول (١٢٤٤ - ١٢٠٨ قبل الميلاد) حيث يذكر هذا الملك من بين ألقابه لقب ملك ملوختا ودلون^(١٢).

ان اتساع الامبراطورية الآشورية خلال الطور الثاني للامبراطورية حتم عليها استيراد كثير من المواد الخام والسلع التجارية التي كانت تفتقر اليها والتي كانت ترد اليها في العادة من المناطق الشرقية والغربية لبلاد الاناضول عبر المسالك الغربية والشالية الغربية للامبراطورية. وبعد سيطرة الدولة الاورارتية على جزء كبير من المناطق الشرقية لبلاد الاناضول ابان القرن الثامن قبل الميلاد اغلقت هذه المسالك مما أدى الى توقف الحركة التجارية ما بين الدولة الآشورية وبلاد الاناضول. لذا فقد

عند الآشوريين الى التجارة مع اقاليم الخليج العربي حين فتح هذه المسالك. وبالفعل فقد تم القضاء على الدولة الاورارتية وفتح المسالك التجارية ابان حكم الملك سرجون الثاني، وفي الوقت ذاته استمرت التجارة مع اقاليم الخليج العربي بدليل ان بعض نصوص الملك سرجون الثاني تروى كيف ان هذا الملك بسط نفوذه العسكري والتجاري على الخليج العربي^(١٣). ان ثلاثة من هذه النصوص تذكر الآتي :

(أ) 'الملك اperi Uperi والذي يعيش مثل السمكة في وسط بحر الشروق، سمع بقوتي وجلب هداياه'.

(ب) ان الملك اperi ملك دلون والذي يعيش في وسط البحر.... ومن وسط أرضه اكتب... 'وأرسل سفيره ليعرض (عليها) التنازل حيث جلب معه الهدايا والقدية'.

(ج) الملك اperi ملك دلون والذي يبعد مسكنه مسافة ٣٠ بيرو (ساعة مضاعفة) في وسط بحر الشروق، مثل السمكة سمع (بي)، وأرسل هداياه ان هذا الملك الطيب والذي كرس افكاره لاعمار (مدنه) والتي سقطت للرياح اصلح الحقول وجعلها صالحة للزراعة، كما قام بزراعة البساتين^(١٤).

اما ابنه الملك سنحارب فانه يذكر في احدي حولياته :

"وبعد تدمير بابل، فان غبارها (بابل) وصل الى دلون وقد راه الدولونيون ودخل الفرع الى قلوبهم ونخشوا من اشور فجلبوا الكنوز، ومع كنوزهم جلبوا الحرفيين المهرة، والعربات النحاسية، والادوات النحاسية، واواني من صنع بلادهم"^(١٥).

ان ابن الملك سنحارب اسرحدون يذكر ايضا من بين القابه المتعددة ملك دلون و ماجان، وملوختا^(١٦). اما ابن الملك اسرحدون اشور بانيبال فان حولياته تذكر بانه سيطر على اقليم دلون والذي يقع في البحر الاسفل، وانه جلب غنائم من هناك

كلا من الكويت وبعض المواقع الاثرية الواقعة على طول الساحل الشرقي للمملكة العربية السعودية . ومنذ مطلع السبعينات قامت عدة بعثات محلية واجنبية^(١٧) بالتنقيب في عموم اقطار الخليج العربي ، وفي اثناء عمل هذه البعثات كشفت مجاميع عديدة من اللقى الاثرية ، اضافة الى عدد قليل من الكتابات المسماة والتي ظهرت في جزيرة البحرين فقط . وبعد ان تمت قراءة احد هذه النصوص من قبل المختصين ظهر انها تخص عبادة احد الالهة السومرية .^(٢٠)

اما فيما يخص اللقى الاثرية وبعض المدافن وخاصة تلك المدافن التي كان يكشف عنها على اعماق متباينة وبهية جرار ، فبعد دراستها تبين ايضا ان الكثير منها لها ما يشابهها في بلاد وادي الرافدين .^(٢١)

ان بعض الدارسين لم يكتف بالمقارنة فحسب بل قاموا بدراسة تفصيلية وشولية لمعرفة اصل بعض هذه اللقى ، وبالذات الفخاريات ، وبعد تحليل عينات منها ظهر بأن اصل فخاريات العبيد وجزيرة ام النهار هو وادي الرافدين .^(٢٢)

وفيما يتعلق بالعلاقات الحضارية ما بين الخليج العربي والدولة الآشورية فان كثيراً من المخلفات الحضارية التي كشفت عنها في اثناء التنقيب في مواقع الخليج العربي وبالذات في جزيرة البحرين وشبه جزيرة عان (دولة الامارات العربية المتحدة وسلطنة عمان) ، لها ما يشابهها في المراكز الآشورية ، وبالذات مدينة كلخو .^(٢٣) وفي الواقع فان اللقى التي ظهر ما يمثلها في المراكز الآشورية والتي هي بالذات الفخاريات والازار المعمولة من الحجر الصابوني (Steatite) والحلابة بحزوز بهية دوائر قد ساعدت البعثات العاملة في الخليج العربي في اعطاء تواريخ ثابتة للمواقع التي كانوا يعملون بها .^(٢٤)

وفضلاً عن ذلك فان المدافن التي ظهرت بهية جرار^(٢٥) . وبعض البرونزيات التي كشفت عن بعض منها في جزيرة البحرين وبعضها الآخر في امارة دبي ، في دولة الامارات العربية

من بينها مئة وستون طالت من نبات دلكا شوشو وستة وعشرون طالت من النحاس ، والبرونز واربعة انايبو (اواني ؟) من النحاس .^(١٧)

وفضلاً عن ذلك فإن حويلات الملك سنحاريب تذكر ايضا انه شن حملة عسكرية ضد العيلاميين عن طريق الخليج العربي او بالاحرى رأس الخليج العربي . حيث بدأت هذه الحملة من نينوى عن طريق نهر دجلة ، وحين وصولها الى قرية قرب مدينة بغداد الحالية ، ولصعوبة الملاحة في نهر دجلة جنوب هذه القرية ، فقد انتقلت الحملة عبر قناة الى نهر الفرات ، ومنها تم الوصول الى الخليج العربي ، ومن هناك شن الجيش الاشوري حملته على العيلاميين وانتصر عليهم .^(١٨)

ان النصوص الآشورية الملكية مابعد حكم الملك اشوربانيبال لم تذكر اي علاقة ما بين الخليج العربي والدولة الآشورية مما يدل على ان هذه المنطقة اصبحت تحت تاثير السلالة الكلدانية وبالذات بعد ان قضى الملك الاشوري اشوربانيبال على الدولة العيلامية قضاء مبرما .

العلاقات الثقافية ما بين الخليج العربي والدولة الآشورية :

مع ان التنقيب قد بدأ وبصورة متقطعة في جزيرة البحرين منذ منتصف القرن الماضي ، فان التنقيبات العلمية لم تبدأ في هذه الجزيرة وباقي اقطار الخليج العربي الا في مطلع الخمسينات من هذا القرن . وان اول بعثة تنقيسية من هذا النمط كانت البعثة الدنماركية . لقد قامت البعثة الدنماركية في بداية اعمالها اجراء التنقيب في عدد من المدافن والمستوطنات في جزيرة البحرين . بعد ذلك انتقلت الى دولة الامارات العربية المتحدة ، حيث كشفت هناك ايضا عن عدد من المدافن والمستوطنات . ان قسماً من هذه المدافن والمستوطنات يقع قرب سواحل الخليج العربي ، وخليج عان ، وبعضها الاخر كشف عنه في القسم الجنوبي لدولة الامارات العربية المتحدة اي قرب واحة البريمي . وفضلاً عن ذلك فقد قامت البعثة الدنماركية باجراء التنقيب في

المتحدة^(٣٦) ، هي الأخرى أثبتت الاتصال الحضاري المباشرة ما بين الدولة الآشورية والخليج العربي.

وأخيراً وليس آخراً ، فإن التنقيبات التي أجريت في الموقع الآشوري تل الرماح والذي يقع في جزيرة العراق قد كشفت عن اصداف بحرية جلبت من منطقة الخليج العربي^(٣٧) .

إن امتداد الامتزاج الحضاري ما بين الدولة الآشورية والأقاليم الواقعة على طول الساحل الغربي للخليج العربي ، يؤكد كون إقليم دلمون والذي جاء ذكره في حوليات الملوك الآشوريين المتأخرين كان يقع على امتداد هذا الساحل.

المسالك التجارية ما بين الدولة الآشورية والخليج العربي :

يبعد رأس الخليج العربي عن الدولة الآشورية قرابة الألف كليومتر. وعلى ما يبدو فإن البضائع التجارية كانت تصل الى الدولة الآشورية عن طريقين رئيسيين هما : الطريق النهري ، والطريق البري.

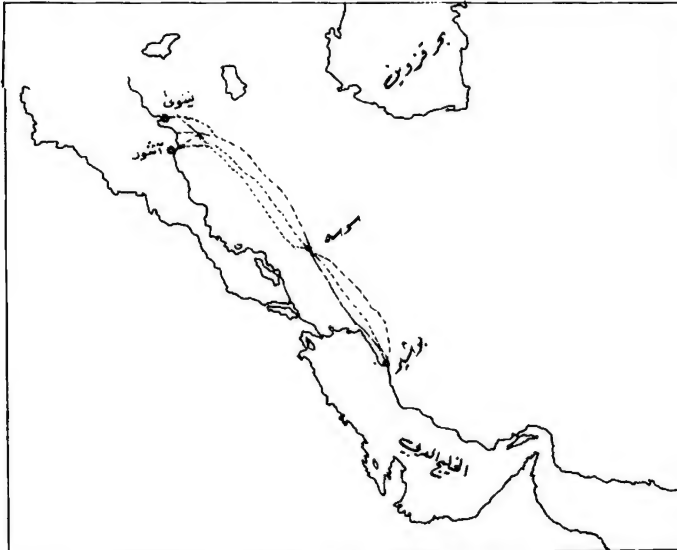
(أ) الطريق النهري :

كما هو معلوم ان مياه نهر دجلة كانت اiban العصر الآشوري الحديث لاتصل الى الخليج العربي مباشرة . اما نهر الفرات فان مياهه كانت تصب مباشرة في مياه الخليج . لذا فان كثيراً من البضائع التجارية التي كانت ترد الى الخليج العربي وبالعكس كانت تنقل عن طريق نهر الفرات . وعلى ما يبدو فان تأمين وصول البضائع التجارية الى الدولة الآشورية عن طريق هذا النهر كان يتم عن طريق قناة تقع قرب مدينة بغداد^(٣٨) .

ان استعمال هذا الطريق تحدده وبطبيعة الحال علاقة الدولة الآشورية ببابل ، حيث كان بمقدور بابل وقف المراكب المائبة المذهبة والواردة من خلاله .

(ب) الطريق البري :

لقد امتدت حدود الدولة الآشورية خلال عصرها الامبراطوري الثاني من الجهة الشرقية حتى مدينة اكبثانا الواقعة في منطقة همدان الحالية ، اي انها ضمت ضمن حدودها ، بحيرة وان ، وبحيرة



إحدى الطرق التجارية التي كانت تربط ما بين
الخليج العربي والدولة الآشورية

(٢) حول تسميات الخليج العربي ابان الفترة الهلنستية والرومانية :
راجع فؤاد جميل : الخليج العربي في مدونات المؤرخين
والبلدانيين الأقدمين. مجلة سوبر، المجلد ٢٢، ١٩٦٦، ص
٣٩.

وقد تكون تسمية البحر الاحمر لم تشمل الخليج العربي
فحسب، بل كانت تشمل ايضا البحر العربي.
(٣) حول الاتصال الحضاري ما بين بلاد وادي الرافدين والخليج
العربي، وادي السند : راجع

Frifelt, K., Jemdet Nasr Finds in Oman KUML

-----, A Possible Link Between The Jemdet

Nasr and Umm anar.

-----, Graves of Oman, the Journal of Oman

Studies 1975

During-Casper, E. Sumer, "Coastal Arabia and
the Indus valley in the Protoliterate and Early
Dynastic Eras, Supporting Evidence for a Cultural
Linkage" Journal of the Economic and Social
history of the Orient, No. 22. 1977

(٤) ان اهم ماكتب حول مواقع هذه الاقاليم :

Cornwell, On the Location of Dilmun, Bulletin of
the American Schools of Oriental Research, No.
103, 1952

Gelb, I. J. Magan and Meluhha in the Early
Mesopotamian Sources, Revue d Assyriologie et d'
Archeologie Orientale, No. 64, 1970

Kramer, S.N., "Dilmun the Land of Living"
Bulletin of the American Schools of Oriental
Researches, No. 96, 1945

Mallown, M. "The Mechanics of Ancient Trade in
Western Asia". Iran, 3, 1963

Masry, A., Prehistory in North eastern Arabia
1974

Oates, J. "Ubaid Mesopotamia in Gulf coun-
tries". In Qatar Archaeological Report, De-Cardi
(ed) 1978

Sollberger and Kupper, Inscriptions Royal Sum-
meriennes et Akkadiennes; Les Editions du cerf
1971

(٧) Oppenheim, A.L., "The Seafaring Merchants of
Ur" Journal of the American Oriental Society, No.
74, 1954

(٨) Oates, J., Davidson, T. Karmilli D., and Mack-
errel H., "Seafaring Merchants of Ur" Antiquity,
vol. 51. 1977

اورميا، وجبال زاجروس، اضافة الى منطقة
سوسة. ان وقوع هذه المناطق تحت سيطرة الدولة
الآشورية مكنها من استخدام مسالكها التجارية مما
أمن وصول البضائع الآتية اليها من الاقاليم
الشرقية، والجنوبية الشرقية، والشمالية الشرقية.

اما البضائع التجارية التي كانت ترد الى الدولة
الآشورية عن طريق الخليج العربي فان وصولها الى
منطقة آشور كان يتم اضافة الى الطريق الوارد
ذكره، عن طريق جزيرة البحرين أولاً، ومن
جزيرة البحرين كانت تنقل البضائع الى ميناء
(بوشير) والذي يقع على الساحل الشرقي للخليج
العربي. (٢٩) ومن هذا الميناء كانت تنقل البضائع
برا الى سوسة ومنها شمالاً باتجاه منطقة آشور.

ان هذا الافتراض يدعمه كثير من الشواهد
الأثرية. بدليل ان التنقيبات الأثرية التي أجريت
غرب سلسلة جبال زاجروس قد كشفت على
العديد من المراكز (التجارية) التي كانت لها علاقة
مباشرة بالدولة الآشورية. (٣٠) وفضلاً عن ذلك
فان هناك اتصالاً حضارياً مباشراً ما بين هذه المواقع
او المراكز ومواقع الخليج العربي (٣١).

ان استعمال هذا الطريق في الواقع هو أفضل
من استعمال الطريق السابق (المائي) لكون الطريق
السابق يعترضه اضافة الى علاقة الدولة
الآشورية ببابل سير تيارات دجلة والفرات، حيث
من الصعب جداً الملاحة عكس تيارات المياه في
هذين الرافدين، وخاصة عند الصيود.

(١) إن هذه التسميات قد وردت في معظم حوليات الملوك
الآشوريين، لذا فإن كثيراً من المصادر التي كتبت عن حوليات
الآشوريين قد ذكرتها بهذه الصيغة... وفضلاً عن هذه الاسماء
فقد ورد اسم أحد اقاليم الخليج العربي (حلون) في حوليات
ملوك العصر الآشوري الحديث.

راجع :

Luckenbill, D., The Ancient Records of Assyria
and Babylonia, Chicago, 1926

- Oman Studies, Vol.1, 1975
- Oates, J. "Prehistory in North-eastern Arabia" (٢٢)
Antiquity. Vol. 50, 1976
- Yasin, W. دولة الامارات العربية المتحدة في الآثار (١٩٨٦).
- Frifelt, K., op. Cit (٢٣)
- Bibby, G. op. Cit (٢٤)
- Glob, P. V. Neo Babylonian Burial From (٢٥)
- Bahrain Pre-historic Capital
KUML, 1956
- Taha, M., The Iron Age in the United Arab (٢٦)
Emirate with Special Reference to Mesopotamia
أطروحة دكتوراة قدمت الى جامعة كمبرج في عام
(١٩٨١) وقد ترجمها المؤلف الى العربية
- Carter T. H., "Excavation at Tell Rimah 1964" (٢٧)
Bulletin of American School of
Oriental Research, No. 178, 1965, 40-68
- (٢٨) ان هذه القناة وصل من خلالها الجيش الاشوري الى بلاد
عيلام ايان حكم الملك سنحاريب : انظر الهامش رقم (١٨).
- (٢٩) لقد اطلق اليونان على هذا الميناء والذي كان يتصل مباشرة بدولة
ميسان اسم (انطاكية).
- راجع : طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات (١٩٧٣)
ص ٥٩٧.
- Toung, T. C. "A Comparative Ceramic Chron- (٣٠)
ology for Western Iran, 1500. 500 B. C."
Iran. No. 3, 1965
- Toung, T. C., and Levine, C. D., Excavation of (٣١)
Godin Project, Second Report, 1974
- Bibby, G. Looking For Dillmun, 1972
- Goetze, A., "The texts Ni (615) and Ni (641) a of the (٩)
Istanbul Museum", Journal of Cuneiform Studies,
Vol. (6), 1952.
- "Oppenheim, A. L. Op. Cit (١٠)
حول هذه الرحلة ، راجع : (١١)
- Arrian, The voyage of Nearchus, and the periplus
of the Erytheran Sea" Loeb Classical Library .
- Brinckman, J. A., "Materials and Studies For (١٢)
Kassite History" Vol. I, 1976
- (١٣) ان اقليم دلون والذي ورد في نصوص العصر الاشوري الحديث
وبالذات حوليات الملك سرجون وحوليات الملوك الذين تبعوه قد
يعني الساحل الغربي للخليج العربي برمه . اي الساحل الممتد
من جنوب الكويت وحتى مضيق هرمز وليس جزيرة البحرين
فقط والتي ربط اسمها كثير من الاثاريين باقليم دلون الوارد ذكره
في النصوص السومرية والاكادية والسومرية الحديثة والكشية .
اما مركز اقليم دلون (الاشوري) فلا يستبعد ان يكون
جزيرة البحرين.
- Luckenbill, D. Op. Cit (١٤)
- Luckenbill, D. Op. Cit (١٥)
- Luckenbill, D., Op. Cit (١٦)
- Watermann, C., Royal Correspondence of the (١٧)
Assyria 1972 Borger, R., Die Inshriften Asarhad-
dons Konigs von Assyrien Graz: Archiv Fur
Orient forschungs: Beiheft, 9, 1956
- Saggs, H. W. S. The Might that was Assyria, 1984 (١٨)
- (١٩) ما بين عام ١٩٧٢ وعام ١٩٨٥ اوفدت دائرة الآثار والتراث
العراقية عدد من الهيئات للعمل في دولة الامارات العربية
المتحدة والبحرين.
- Bibby, G. Looking For Dillmun, 1973. (٢٠)
- Bibby, G. Op. Cit (٢١)
- Frifelt, K., Archaeological Investigations in the
Oman Peninsula KUML, 1968
- , "A possible Link between Jamdat Nasr and
umm anar graves of Oman" The Journal of

مَنْطَقَةُ الْمَوْصِلِ فِي فِتْرَةِ الْإِحْتِلَالِ الْأَجْنِبِيِّ: الْأَخْمِينِيُّ وَالسَّلُوقِيُّ وَالْفَرْتِيُّ

د. جابر خليل إبراهيم

٥٣٩ ق.م - ٢٢٦ ق.م

١. فِتْرَةُ الْإِحْتِلَالِ الْأَخْمِينِيِّ ٥٣٩ ق.م - ٣٣١ ق.م

بعد ان شكل الاخمينيون أول كيان سياسي لهم في المنطقة المسماة بارسوا Parsua الواقعة الى الجنوب من الهضبة الايرانية والتي ورد ذكرها لأول مرة في حوليات الملك الآشوري شيلمنصر الثالث عام ٨٤٣ ق.م. ، وفي نصوص اخرى تعود للملكين الاشوريين سنحاريب وآشور بانيبال ولاسيما في حملة الاخير على بلاد عيلام- خاض ملكهم كورش سلسله من الحروب مع الميديين ، فتحت الابواب امامهم باتجاه البحر الاسود وسواحل بلاد اليونان وسواحل البحر الابيض المتوسط وبلاد وادي الرافدين ومصر بعدئذٍ ، في فترة لم تكن هناك قوة اخرى توقف توسعهم وتحد من اطماعهم بعد غياب الدولة الآشورية .

تشير المعلومات المتوفرة في الوقت الحاضر الى ان كورش قطع نهر دجلة في سنة ٥٤٧ ق.م وقاد جيشه في بلاد آشور واتجه غرباً قاطعاً نهر الخابور لملاقاة ملك ليديا في آسيا الصغرى من اجل ان تكون منافذ البحر المتوسط في ايديهم ، ولد نفوذهم بعد ذلك الى البحر الاحمر والجزيرة العربية لاحكام سيطرتهم على الاقطار التي تحيطها هذه البحار من أجل ان ينفردوا بالتجارة الخارجية .

وضمن هذا المخطط كانت بلاد بابل وآشور والشام وفلسطين ومصر والمغرب العربي هدفاً سوقياً. للاخمينيين فاتجهت جيوشهم نحو بابل لاحتلالها في

على الرغم من اتساع رقعة التنقيبات الاثرية وازدياد نشاطها في اعالي العراق بما فيها منطقة الموصل منذ النصف الاخير من القرن الماضي ، فان المواد الاثرية المكتشفة في تلوها المنسوبة الى فترات الاحتلال الاجنبي- الاخميني والسلوقي والفرتي ، وبامستثناء الساساني الذي سيكون موضوع البحث التالي- قليلة بدرجة لا تكفي لاعطاء صورة واضحة عن المنطقة المذكورة. لذلك فإن الكتابة عنها تعد من بين المشكلات التي يقاسي منها الاثاري والباحث في تاريخ العراق القديم على السواء .

واذا ما أريد ملء هذا النقص في معلوماتنا فعلى الباحث اعادة دراسة ما سبق ان كشفته التنقيبات الاثرية ، وما وصل الينا من مصادر تاريخية ، فلعلى ذلك مايسهم في لقاء الضوء على فترات قد تعد غامضة في تاريخنا ، لكن التطلع الى التنقيب في المستقبل ربما سيوفر الدلائل الاثرية التي ستمكن الباحث من الكتابة في الجوانب المتعددة لمنطقة الموصل التي كانت تعرف ببلاد آشور.

وقبل البدء بالكتابة عن فترات الاحتلال هذه ارتأينا ضرورة ايجاز الملامح التاريخية للاقوام التي احتلت بلاد بابل وآشور من اجل ان يقف القارئ على الظروف السياسية التي احاطت بتلك المنطقة في الوقت الذي اقتسمت العالم القديم قوى ظهرت في الشرق والغرب .

زمن ملكها نبونائيد الكلداني . الا ان الطريق الذي سلكه كورش غير معروف على وجه التحديد . فيذكر هيرودتس ان كورش واجه مشقة في عبور نهر جندس (ديالى) ، لسرعة تياره الذي اغرق واحدة من افراسه المقدسة . الا ان هيرودتس لم يذكر الجهة او المكان الذي تحرك منها كورش . لذلك بقي تحديد الطريق لا يبدو الافتراض . فإن كانت الجهة التي تحرك منها كورش هي عيلام فإن الطريق الذي سلكه كان عبر سهل سوسيان - بلاد آشور . اما اذا تقدم ذلك الجيش من اكينانا (همدان) عاصمتهم فيفترض انه كان عبر منافذ جبال زاجروس ، ومن ثم بلاد آشور عبر مسلك كركوك - وادي نهر دجلة .^(١) وهذا مارجحه معظم الباحثين من ان كورش توجه الى بلاد آشور عن طريق همدان - كرمنشاه ، اربيل ، وهو الطريق التاريخي المؤدي الى حران^(٢) . واغلب الظن ان كورش قد وصل اربيل وانحدر بعدها نحو بلاد بابل متبعاً الطريق مابين مرتفعات حميرين ونهر دجلة ، وعبرت جيوشه ذلك النهر عند مدينة أوبس^(٣) ، التي وقعت عندها اول معركة بين الكلدانيين وجيش كورش المحتل . ويبدو ان ذلك الطريق ، ولاسيما بين اربيل وبابل ، كان معروفاً حتى ان الاسكندر الكبير قد سلكه بعدئذٍ على ما يرجح بعد ان توقف في اربيل اثر انتصاره على دارا الملك الاخميني في معركة كوكاميل^(٤) .

حين دخل كورش بابل محتلاً بعد المعارك التي خاضها الكلدانيون من اجل إيقاف زحفه ادعى لنفسه انه ملك بابل وسومرو ملك الجهات الأربع التي سبق ان كانت من القاب عدد من ملوك العراق القديم ومنهم نرام - سين وانورمو .

وقد انتهز كورش تردي الاوضاع الداخلية في بابل فتبنى سياسة الترضية لسكانها ، فضلاً عن اتباعه التنظيمات الادارية ذات الاصول الآشورية ، فقسم البلاد التي احتلها الى اقاليم ومقاطعات وعين حاكماً على كل واحدة منها سمي ستراب Strap (مرزيان) ، كان على ارتباط مع

الحكومة المركزية . واصدر كورش نداءً وبالكثافة ايضاً بعودة الراغبين من اليهود الذين جاء بهم نبوخذنصر الى بابل على ماترويه التوراة . ونسب كورش لنفسه « ان الرب اله السماء اوصاني أن ابني له بيتاً في اورشليم التي في يهوذا... » وخير كورش اليهود مابين العودة الى اورشليم لبناء ذلك المعبد والبقاء « في احد الاماكن حيث هو مغترب فليمدده أهل مكانه بغضة وبذهب وبامتنعة وببهاثم مع التبرع لبيت الرب الذي في اورشليم »^(٥) . بيد أن قرار كورش هذا لم يكن سياسياً أو لترضية اليهود الذين قاموا بدور كبير في ارباك الاوضاع الاقتصادية والسياسية والدينية في بابل او عن دورهم الاعلامي المؤيد للخلاص على يد كورش ، بل كان يهدف الى ان تكون فلسطين المحطة التي سيتمكن الاخمينيون من خلالها الوصول الى مصر والمغرب العربي لاحتلالها حسب خططهم . وموت كورش نفذ ابنه قبيز بقية ما خطه أبوه واحتل مصر عام ٥٢١ ق . م ، لكنه فشل في احتلال بلاد المغرب العربي للسيطرة الكاملة على منافذ البحر المتوسط وكان للقرطاجيين دور كبير في افشال هذا المخطط^(٦) .

وعند مجي دارا ملكاً على العرش انصرف أولاً الى اخماد ثورات الأقاليم ضد الاحتلال الاخميني ومنها بابل ومصر والشام ، وبعدها انصرف الملك المذكور الى اعادة النظر في الشؤون الادارية للامبراطورية ، معتمداً النظام الآشوري الذي كان متبعاً في العصر الأخير من تاريخهم . فقسم دارا الامبراطورية الى عشرين ولاية سميت ستراب وقسمت كل ولاية الى وحدات او مناطق قسمت بدورها الى مجموعات . وكان حاكم الولاية مثلاً للملك ، وله حرس خاص به ، كما كان للولاية قوانين ومكاييل ومقاييس اوزان^(٧) . وفرض دارا على كل ولاية دفع مبلغ من المال بالفضة . وكانت بابل ، الولاية الحادية عشر وبضعها بلاد آشور ، قد شهدت اوضاعاً اقتصادية متردية^(٨) .

وموجب السياسة الاستيطانية التي شجعها الملوك الاخمينيون تغلغت اسر فارسية واستوطنت في بلاد بابل

وتملك قادة الاخميين والاسر المجوسية العقارات في بابل واريل^(٩). وفرض ملوك الاخميين ضرائب على الفلاحين ومستثمري الاراضي منها ضرائب ايجار الاراضي المروية وهي ثلث حاصلات الفواكه كما تشير الى ذلك الوثائق التجارية من بابل وفروالوركاء، فضلاً عن نسبة كان يدفعها الفلاح بالفضة عن اراضيهِ المزروعة، وتملك حكام الاخميين من الملوك ومسؤولي الولايات والاسر المجوسية المتنفذة قنوات الري ومصادر السمك واغتصبوا الاراضي التي كانت في الاصل من املاك سكان البلاد. ونتج عن هذه السياسية ان رهن السكان حقولهم وبساتينهم واصبحوا عمالاً في الاراضي الزراعية^(١٠).

وبعد عام ٤٧٨ ق. م اصبحت بابل واشور ولايتين مستقلتين بعد ان كانتا الولاية الحادية عشرة كما اسلفنا، والحققت ببلاد اشور سوريا وفلسطين وقبرص^(١١). وكانت الضرائب المفروضة على تلك الولاياتين ١٠,٠٠٠ طالنت من الفضة^(١٢).

وقد عرفت بلاد اشور في هذا العصر، كما جاء في تقسيمات الملك دارا الادارية، باسم (عربايا) التي يعنينا معظم الباحثين باعالي بلاد الرافدين وسوريا والتي كان يمر عبرها الطريق الملكي^(١٣). فقد كان سكانها من القبائل العربية التي تدفقت من الجزيرة العربية واتجهت نحو اعالي بلاد وادي الرافدين وبلاد الشام وامتدت الى نصيبين وديار بكر بعد غياب الدولة الاشورية التي حدثت من تقدمهم نحو مدنها يوم كانت في قمة مجدها^(١٤).

ويذكر هيرودس ان دارا اخضع جميع سكان اسيا واعترفوا بسلطانه عبيداً الا العرب فلم يخضعوا لنفوذه بل كانوا يشكلون قوة اضطرتهم الى عقد محالفات معهم حتى ان دارا ذكر بلادهم (عربايا) بين الاقاليم المكونة لامبراطوريته.

وكما اسلفنا ان معلوماتنا عن منطقة الموصل ابان ذلك العهد قليلة لا تتناسب مع كثرة المواقع الاثرية المنقبة ولاسيا العواصم الاشورية مثل اشور (قلعة شرقايط) وكلخو (نمرود) ودورشروكين (خرصباد) ونيوى، بدرجة لا يمكن مقارنة هذه المعلومات مع بلاد بابل التي قدمت الوثائق المكتشفة منها صورة

عن اوضاعها السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وما كشفته الحفائر الاثرية في هذه المنطقة لا يتعدى لى اثرية قليلة مثل المسكوكات والمسارح الطينية وانية فخارية وجدت في طبقات خالية من ابنية كالجدران وارضيات المساكن. لذلك لا تشكل هذه المواد ادلة مقنعة حتى بات الشك في نسبتها الى ذلك العهد^(١٥). اما التنقيبات الواسعة التي نفذتها بعثات اثرية مختلفة في السنوات الاخيرة في المواطن الاثرية الواقعة في مشاريع الري الكبرى في المنطقة ومنها حوض سد صدام فان هذه البعثات لم توفق في كشف طبقات بنائية من ذلك العهد في اي من المواقع المنقبة مثل خربة شطاني وخربة قصرخ وخربة الخانونية. وكل ما توصل الى كشفه المتقربون هو وجود طبقات بنائية نسبت الى الفترة الهلنستية كانت قائمة فوق تراكبات من الانقاض لا يزيد سمكها في معظم المواقع عن المتر الواحد، تفصلها عن الطبقة الاشورية التي تحتملها^(١٦).

واذا ما اراد الباحث الوقوف على عدد المواقع الاثرية التي تعود الى فترة الاحتلال الاخميني في اعالي العراق بما فيها منطقة الموصل، فان السفر الذي اعدته دائرة الآثار والتراث «المواقع الاثرية في العراق»^(١٧) لم يحتو الا على القليل جداً من الاماكن الاثرية من ذلك العهد، مما تعطي الدليل ايضاً على ان الاستيطان قد انخفض انخفاضاً ملحوظاً في هذه المنطقة، ان كانت دراسة الادوار الزمنية من خلال الكسر الفخارية الموجودة على سطح كل تل اثري صحيحة.

اما الوثائق المعاصرة التي يمكن للباحث ان يستقري من خلالها حالة منطقة الموصل بشكل خاص واعالي بلاد الرافدين بعامة ابان الاحتلال الاخميني فهي قليلة جداً، الا ان المكتشف منها يكون على جانب من الاهمية. ومن هذه المصادر وثيقة من القرن الخامس قبل الميلاد مكتوبة بالارامية عثر عليها في مصر تعود لشخص اسمه نختحور Nehtihur كان تابعاً الى ارشام Arsham ستراب مصر آنذاك^(١٨). وتذكر هذه الوثيقة ان نختحور

La'ir وارزوخيم Arzuhim و اربيل و خالصو
Halsu و ماثال - اوباس Mathal - ubas وسالام
Salam و دمشق .

وسعى بعض الباحثين الى مطابقة اسماء هذه
المدن مع اسماء مدن ذات اصول اشورية التي
كانت قائمة في ايام الاشوريين وهي :

سافر من بابل الى مصر لادارة اعمال هناك وكانت
معه رسائل الى مسؤولين في المدن الواقعة على الطرق
التي سلكها والمؤدية الى مصر . وبدلا من ان يسلك
نحتحور الطريق المحاذي لنهر الفرات وهو الاقصي ،
فقد سلك الطريق الاخر الذي يقع شمال بلاد
الرافدين . ووردت في الرسالة المذكورة اسماء مدن
كان على حكامها تقديم المساعدة له وهي : لاعير

اسم المدينة في الوثيقة	الاسم الاشوري	الموقع الحالي
لاعير La'ir	لاخيرو Lahiru	اسكي كفري ؟
ارزوخيم Arzuhim	ارزوخيم Urzūhim	جمجال ؟
اربيل Arbil	اربيلu Arbīlu	اربيل
خالصو Halsu	؟	؟
اوباش Ubās	اوباشi Ubāsi	تل الحويش عند ملتقى وادي الجرزاف بدجلة
سالام Salam	_____	_____
دمشق Damascus	دمشق Damascus	دمشق

كورش الصغير نحو بابل لمقاتلة اخيه ارتخششتا
الملك الاخميني . وكذلك ملاحظاته عن المنطقة
التي مر بها الجيش اثر انسحابه بعد مقتل قائده
وانتخاب زينفون قائداً له .

والذي يهمننا من هذه الرحلة هو القسم الخاص
 بالمنطقة التي كانت تعرف ببلاد اشور والتي تعد
 منطقة الموصل جزء منها . وستكون الغاية من متابعة
 هذه الرحلة ، بدءاً بالسور المادي الذي يشكل
 دلالة مكانية لكونه على ما يظن الحد بين بلاد بابل
 وبلاد اشور^(٢١) ، وحتى وصول زينفون الى اطلال
 المدن الاشورية ، لايجاد ما يلقى الضوء على المنطقة
 المذكورة .

فيذكر زينفون ان جيشه عبر قناتين متصلتين بنهر
 دجلة كانتا على مسافة ثمانية فراسخ من السور
 المادي . وفوق احدهما قنطرة وعلى الاخرى جسر
 مؤقت محمول على ثمانية قوارب . وتتفرع من هاتين
 القناتين جداول وشعاب تسقي الاراضي المتصلة بها .
 ١٣١

ويبدو ان نحتحور سلك الطريق الذي كان
 يعرف بالملكي الذي يقطع سهل ديانى والزاب
 الاسفل بعدئذ ومن بعده نهر دجلة ليرتبط باحدى
 الطرق الممتدة من شمال غرب بلاد الرافدين الى
 سوريا عبر الخابور^(٢٢) .

ويستخلص من هذه الوثيقة ان المدن المذكورة
 فيها كانت مراكز ادارية في القرن الخامس ق . م
 آلت اراضيها الى ملكيات فارسية . الا ان التوزيع
 الجغرافي لمواقع هذه المدن ان صحت مطابقتها مع
 المدن الحالية لا يجعل منها وحدة مترابطة متصلة فيها
 بينها على طريق واحد ، لاسباب وان كل واحدة منها
 ذات خصائص طوبوغرافية تختلف عن الاخرى .
 اما الوثيقة الاخرى فهي كتابات زينفون^(٢٣)

التي ضمت تفاصيل عن منطقة الموصل تفوق
 ما جاء في وثيقة ارشام التي سبق الحديث عنها . فقد
 دون زينفون مشاهدته وهو في طريقه في اثناء تقدم
 الجيش المؤلف من المرتزة الاغريق الذي كان يقوده

جندته مثلوا بالقتلى من اعدائهم ، ويبدو ان الجيش المذكور ابتعد عن نهر دجلة ولاسيا بعد عبوره نهر الزاب الاعلى ، وعند وصوله ذلك النهر وجدوا عنده مدينة مهجورة تدعى (لاريسا) ، التي يجمع معظم الباحثين في تعيينها بمدينة كلخو (نمرود) . ويصف زينفون خرايبها الواسعة ومنها السور الذي يطيف بها والذي طوله فرسخين ، وثخنه خمس وعشرين قدماً وارتفاعه مائة قدم ، بنيت قاعدته بالحجارة المهندمة الى ارتفاع عشرين قدم . ويشير زينفون الى كومه من حجارة بيثة هرم ربما يقصد بها الزقورة .

وبعد ان قطع الجيش ستة فراسخ يوم واحد وصل اطلال مدينة محصنة كانت خالية من السكان ربما كانت نينوى العاصمة الاشورية او احد ثلوثها العالية مثل قوينجق او النبي يونس . فذكر ان سورها الذي بنيت قاعدته بالحجارة المصقولة يبلغ سمكه خمسين قدماً وارتفاعه خمسين قدماً ايضاً وهو اقل ارتفاعاً من سور لاريسا (نمرود) ، كما بنيت الاقسام العليا منه بالاجر (ولربما يقصد باللين) . ويورد زينفون اسم مدينة يطلق عليها مسيلا كانت بالقرب من التحصينات المار ذكرها ولعلها هي الموصل ان كان الاسم محرفاً من الكلمة مسيولاي Mesulae التي تعني المر الوسط (٢٨) .

وقيل ان مسيلا اسم مشتق من الكلمة (مسيالو) اي الارض الواطئة او السفلى (٢٩) . ويذكر زينفون ان المدينة المذكورة كانت آهلة بالسكان الا ان ملك الفرس قد حاصرها واحتلها بعدئذ (٣٠) .

واذا كانت لاريسا هي كلخو (نمرود) ونينوى القرية من مسيلا مهجوريتين يوم ان مر بهما زينفون فهذا دليل اخر يدعم نتائج التنقيبات الاثريّة في ان المدينتين المذكورتين لم تستوطنا مرة اخرى الا بعد ان غزا الاسكندر الكبير البلاد بعد معركة كوكاميليا عام ٣٣١ ق. م والتي سنناقشها في الصفحات القادمة .

مما يعني ان تلك المنطقة كانت حلقة اتصال مع المناطق الاخرى فضلاً عن كونها زراعية . وربما يتطابق وصف زينفون مع منطقة ماركانى Mar-gani التي وجد عندها الملك الاشوري توكولتي نورتا الثاني وجيشه الماء الوفير في قنواتها الكثيرة بعد ان ترك مسار وادي الثرثار (ترتارا) في حملته العسكرية على بلاد بابل في اواخر نيسان عام ٨٨٤ ق. م (٢٢) . واذا صح هذا التطابق فهذا دليل على ان المنطقة المذكورة حافظت على بيئتها الزراعية .

وبعد ان عبر جيش زينفون نهر دجلة الذي كان عليه جسر محمول على سبعة وثلاثين قارباً تحت مدينة أوس Opis بقليل الوارد ذكرها في المدونات الاشورية (٢٣) ، وصل منطقة صحراوية اجتازها بستة ايام وجد بعدها المون والحبوب والاغنام في قرية كانت من املاك بارساتس ام ارتخششتا الثاني ، تشكل حلقة الوصل بين منطقتين صحراويتين غير اهلتين بالسكان . فيذكر زينفون ان الجيش دخل منطقة صحراوية اخرى قطعها بخمسة ايام وكان نهر دجلة على يسارهم . الا ان طوبوغرافية المنطقة وفق وصف زينفون قد تغيرت بعد ان وصل الجيش على مقربة من مدينة راكبة على الجهة الثانية من نهر دجلة تعرف بـ كيني Canenae جلب منها الخبز والحب والنيذ لجنده على اكلاك تحمّلها جلود الحيوانات . الا ان الشك مازال في تعيينها . فن الباحثين من طابقها مع تكريت (٢٤) او اشور (٢٥) او مدينة الكحيل (٢٦) الواقعة بينهما في لحف جبل مكحول ، او مدينة الحديثة (حديثة دجلة) (٢٧) . الا ان مذكره زينفون عن الاطعمة التي جلبت من هذه المدينة ينبغي ان يكون موقعها في سهل زراعي تساعد بيئته على انتاج المواد الغذائية المشار اليها مما يستبعد ان تكون تكريت او الكحيل المدينة كيني .

ومن وصف زينفون للمنطقة بين الزابين الاسفل والاعلى ان جيشه عبر زاباتاي (الزاب الاسفل) على اكلاك تظفوف فوق الجلود المنفوخة وقعت بعدها معركة بين الاغريق واعداءهم ، ويذكر زينفون ان

اما المنطقة الكائنة بين نينوى وسلاسل الجبال التي اطلق عليها (كردوجي) فقد كانت جزءاً من سهل اشور حيث يذكر زينفون ان فيها العديد من القرى ذات الغلال الكثيرة .

والجدول الآتي يوضح اسماء الامكنة والمناطق التي ذكرها زينفون ، والمسافات بينها ،

الامكنة	الايام	الفراسخ
السور المادي - اوس	٢	٨
عبور نهر دجلة بالقرب من اوس - نهر فسفس	٤	٢٠
المنطقة الصحراوية - قرية باريسانس	٦	٣٠
قرية باريساتر - كيني	٥	٢٠
كيني - الزابان - لاريسا		
لاريسا - مسيلا	١	٦
مسيلا - سهل اشور	١	٤
سهل اشور - جبال كردوجي	٥	—

من عدوهم وللحصول على موطن قدم لهم في افريقيا واسيا لاهداف اقتصادية وللخلاص من نفوذ الاخمينيين الذين احكوا سيطرتهم على البحار الآتية : الاسود والمتوسط ، والاحمر والمحيط الهندي .

وكان دارا اوداريوس قد وصل بجيشه الى اوربا واصبحت في عهده السواحل اليونانية والاقسام الشمالية من تلك البلاد بما فيها المرافئ تحت سيطرتهم . واصبحت مدنهم من بعد تحت حكم ستراب فارسي . الا ان خطط دارا قد حفرت الدوليات اليونانية ومنها اثينا واسبارطة اكبر الدولتين ان تتناسا خلافاتها ، وتتزعان توحيد المدن اليونانية الباقية لصد الهجمات الفارسية . ونجحت مساعيها في صد حملة عدوهم داريوس . وبعد موته عام ٤٨٦ ق . م استمرت حملات الفرس على بلاد اليونان ومنها الحملة البحرية التي قادها الاسطول الاخميني عند سلاميس عام ٤٨٠ ق . م واخرى برية وقعت في بلاطية عام ٤٧٩ ق . م .

بعد ان قطع الاخمينيون خطوط التموين امام بلاد اليونان ولاسيا الحبوب التي كانت تمونها مصر منذ حقب سابقة اصبحوا امام خطر يهدد الاغريق باسرههم ، ولذلك ترقب الاغريق اليوم الذي يثأرون به لثرتهم ومياهم لتحريرها من الاحتلال الفارسي ، الا ان وضعهم الداخلي والتشكيل السياسي لدول مدنهم المتفرقة لا تجعل الامل قريباً للئيل ، من عدوهم فارس ، الا بعد القضاء على التجزئة . وتطلب ذلك توحيد بلاد اليونان من اجل المعركة المقبلة ضد فارس . فتمكن فليب المقدوني ملك مقدونيا توحيد المدن اليونانية تحت قيادته الا انه اغتيل وهو يستعد لحرب مقدسة . فاختر ابنه الاسكندر (٣٥٦-٣٢٣ ق . م) الذي قاد الاغريق في حرب ضد الفرس سنة ٣٣٤ ق . م . وقد اثرت هذه الحروب على اقطار الوطن العربي بشكل خاص واقطار الشرق الادنى بشكل عام ، الا ان اخر معركة فاصلة بين الطرفين وقعت في منطقة الموصل وغيّرت نتائجها موازين القوى في العالم آنذاك .

واذا ما حاول الباحث التوفيق في الصورة عن منطقة الموصل من خلال مصدرين يغاير احدهما الاخر في المعلومات ، اولها الانثاري المعتمد على نتائج التنقيب والثاني التاريخي كوثيقة ارشام او كتابات زينفون . فنتائج التنقيب تعطي الادلة وكأن المنطقة المذكورة كانت مهجورة ابان فترة الاحتلال الاخميني . اما المصدر التاريخي فيرينا ان الاستيطان كان يتركز في القرى وقليل من المدن ولاسيا الواقعة منها الى الشرق من نهر دجلة بعكس منطقة الجزيرة التي كانت على ما يرجح تعيش احوالاً سيئة نتيجة تغيير مسارات الطرق التجارية وفقدان الامن والاستقرار فيها .

الاحتلال المقدوني والفترة السلوقية

شهد القرن الخامس ق . م احتكاً عسكرياً بين الفرس والدوليات اليونانية ، اعقبته حملات عسكرية بحرية وبرية قادها الاخمينيون ضد بلاد اليونان ، فتحت الباب بعدئذ امام الاغريق للثأر

معلومات عن جيش دارا الذي كان يعسكر عند السهل الا انها لم تقدر حجم قواته ، الامر الذي دفع بالاسكندر ان يستطلع المنطقة بنفسه ترافقه حامية من فرسانه . وبعد ان تكونت الصورة عند القائد المقدوني عن قوات عدوه المكونة من فصائل من جيوش متحالفة بما فيها ٤٠,٠٠٠ من الخيالة ومليوناً من المشاة ، نظم الاسكندر جيشه للمعركة الفاصلة التي ستقع في سهل فسيح يسمح للمناورة وتسهل فيه حركة المشاة والعربات التي تجرها الخيول .

وقبل الصولة الاولى من المعركة دعا الاسكندر قادة جيشه الى مؤتمر حربي وهو على مسافة يسيرة من عدوه ، لوضع الخطط التعبوية للمعركة ، اقروا فيه وضع صفوف متراسة قوامها ستة عشر صفاً يحملون الاسلحة كالحراب والرمح . واستطلع الاسكندر بنفسه الارض التي ستقع عليها المعركة . واوزع الى جنود الصولة الاولى بالاصابة من الطعام والاخلاد الى الراحة . ورفض القائد المقدوني اقتراحاً بالقيام بهجوم ليلي على جيش دارا وعده عاراً وسرقة للظفر بعد ان دخل البلدان في وضح من النهار وهو في مقدمة قطعاته .

ووقعت المعركة في كوكامبلا (٣٢) بسهل اربيل في ايلول ٣٣١ ق. م وانهمز الجيش الاخميني وهرب دارا الى اكبثانا ومعه ما يقرب من الفين من الجند المرتزة ، في حين اتجه الاسكندر الى بابل بعد ان توقف في اربيل سالكاً الطريق بين تلال حميرين ونهر دجلة (٣٤) .

وحين وصل الاسكندر مدينة بابل محتلاً اتبع مع سكانها سياسة الرضية حيث أمر باعادة بناء المعابد ومنها معبد بعل . وجعل على البلاد نائباً عنه لحكمها ، وقائداً لجنودها وجانياً للضرائب واراد ان يجعلها ميناءاً للسفن التجارية . وغادر الاسكندر بابل متوجهاً الى الهند ، عاد اليها بعد ثماني سنوات الا انه مات بمرض مفاجئ في ١١ حزيران عام ٣٢٣ ق. م وكان عمره ثلاثاً وثلاثين سنة . (٣٥)

بعد ان هيمن الاسكندر على اسيا الصغرى اثر معركة ايسوس سنة ٣٣٤ ق. م فانه لم يتابع جيش دارا المهزوم ، بل تركه ينسحب بحرية كاملة ، في حين اتجه بجيشه نحو السواحل السورية وفلسطين ومصر لجعل سواحل البحر المتوسط تحت سيطرة الاغريق بالكامل لقطع الطريق على ما يظن امام الاسطول الفارسي ولضمان تموين بلاد اليونان بحبوب مصر (٣٦) .

ولكي يواصل الاسكندر حربه مع الاخمينيين غادر مصر في ربيع ٣٣١ ق. م سالكا طريق وادي الخابور بعد اجتيازه نهر الفرات عند مدينة تفساح قرب دير الزور التي كان عندها جسران محمولان على قوارب وذلك في اب ٣٣١ ق. م . وعند هذين الجسرين وضع دارا حامية عسكرية مؤلفة من ثلاثة الاف محارب من المرتزة الاغريق لعرقلة عبور الاسكندر . الا ان قائد الحامية لم يتمسك بموقعه عند سماعه بقدوم الاسكندر . ولم يقصد الاسكندر في بادئ الامر مدينة بابل لكنه فضل طريقاً آخر تتوافر فيه المزارع والمؤن لجنده والعلف لخيوله ، فضلاً عن انه اقل حرارة من الطريق المؤدي الى بابل .

اما دارا الاخميني فقد كان يعسكر بجيشه في سهل اربيل ، ويخطط لايكاف تقدم جيش الاسكندر ، ومنها حامية وضعها عند نهر دجلة في المنطقة التي ستعبر منها جيوشه ، مما شجع الاسكندر للاسراع بعبور ذلك النهر ، الا انه لم يلق اي قوة هناك ، الامر الذي يمكن تفسيره باحثائين اما ان دارا غير مكان حاميته او ان المعلومات المقدمة الى الاسكندر كانت غير دقيقة ، ولم يعط اريان الذي دون تفاصيل حملات الاسكندر اي معلومات عن امكنة عبور الاسكندر وجيشه نهر دجلة مما ترك للباحثين الاجتهاد في كيفية العبور وامكنتها (٣٧) . وبعد اربعة ايام من هذا العبور سار جيش الاسكندر في منطقة سماها اريان « ارض الثور » اي بلاد اشور وعندها زودت الاسكندر اجهزة مخابراته

وعلى اثر موت الاسكندر استمر النزاع بين قاداته لما يقرب من اربعين سنة حول من سيخلفه في حكم الامبراطورية ، حتى آل الأمر الى تقسيمها بين ثلاثة من كبار قاداته . واصبح العراق والشام وايران والافغانستان تحت حكم سلوقس . وأسس القائد المذكور مدينة على نهر دجلة عرفت باسمه « سلوقية » واصبحت عاصمة مملكته او للاقسام الشرقية منها على أقل تقدير .

الا ان الصراع بين القادة أنفسهم قد استمر حتى بعد تقسيم الامبراطورية ولاسيما بين سلوقس وبطليموس حاكم مصر . وقد اثر هذا النزاع على حركة النقل وخطوط التجارة بين العراق والاقطار المجاورة . واصبحت الاتصالات بين الخليج العربي والاقسام الشرقية من البحر المتوسط ترتبط كلها بوادي دجلة اكثر من الفرات ولاسيما بعد ان وقعت مدينة انطاكيا تحت الاحتلال البطلمي لبعض الوقت . وباسترداد السلوقين لهذه المدينة عاد النشاط التجاري من شرق البحر المتوسط الى سواحل البحر الاسود ، وشهدت على اثرها منطقة اعالي بلاد الرافدين نشاطاً كبيراً في حركة التجارة في الوقت الذي سادت الاضطرابات الاقسام الشرقية من المملكة السلوقية التي نتج عنها بعد ذلك ممالك في بلاد البخت وبارثيا واذريبيان وأرمينيا في القرن الثاني ق.م .

وشهدت اعالي العراق في اثر ذلك نشاطاً في التجارة بعد ان عادت الحياة مرة أخرى الى المدن الآشورية المهجورة ، ولاسيما الواقعة منها على خطوط التجارة . وبنيت في اطراف منها . او فوق اطلالها قرى واسعة مثل كلخو (نمرود) ونيوى الا ان آشور (قلعة شرواط) قد فاقت بنشاطها العمراني المدن الاخرى .

فالابنية التي كشفتها البعثة الالمانية في آشور (١٩٠٣-١٩١٤) تربتاً مزجاً بين الاساليب الآشورية والعناصر ذات الاصول الاغريقية . وبذلك اصبحت اساليب هذه الابنية نموذجاً متبعاً في بابل والوركاء ونفر . كما استخدم السلوقيون

طريقة البناء بالآجر والجص والزخارف الجصية التي سبق وان كانت شائعة في بلاد آشور بدرجة ظلت شائعة حتى في الفترة اللاحقة . واستخدام القوس في الابنية بدلاً من الجسور وشاع الايوان كوحدة عارية ذات اصول آشورية على الأرجح .

ومن المشكلات التي بقيت غير محسومة هي اسماء المدن في الفترة السلوقية ولاسيما العواصم الآشورية ، ومنها آشور ، التي لا يعرف ما اذا كانت تعرف باسمها او اطلق عليها « لبانا » على الرغم من ان الشواهد تشير الى نمو هذه المدينة وعودة الحياة اليها بعد ان هجرت لعدة قرون .^(٣٦) وربما يكون السبب في نموها وازدهارها هو الاستقرار الذي شهدته المنطقة آنذاك ، فضلاً عن وقوعها على طرق المواصلات الرابطة بين العاصمتين السلوقيتين ، سلوقيا على دجلة وانطاكيا على نهر العاصي . ولاسيما بعد ان زاد الطلب على بضائع الشرق وزادت معها حركة نقل البضائع الى سوريا وآسيا الصغرى عبر المنطقة التي عرفت باسم « بلاد عربايا » كما الحنا اليها من قبل واصبح سكان البوادي يحمون القوافل التجارية بدلاً من مهاجمتها .

وتلقت تنقيبات معبد نابو في تل قوينجق الضوء في ان نينوى قد سكنت على نطاق محدود في الفترة السلوقية ، ولربما لكون نفس العامل هو الذي اعاد الحياة الى آشور . فالمواد الاثرية المكتشفة تحت الطبقة القرية من هذا التل كانت معظمها من لقي اغريقية الاسلوب والصناعة كالمواد الفخارية والكتابات التي وجدت على عمق اربعة أمتار فوق ارضية فناء احد البيوت ، منها نص مكتوب بالاغريقية بخط ناعم على حجرة اسطوانية لم يتمكن المتقّب طومسن من قراءتها يومذاك . وقد ذكرت اسماء الهة اغريقية أخرى على حجرة أخرى ومنها ابولو كبير الهة المدينة ، فضلاً عن كتابة أخرى تحوي قائمة باسماء الاشهر بالاغريقية^(٣٧)

ويبدو ان نينوى كانت آنذاك قرية تركز الاستيطان على سفوح كل من تل النبي يونس وتل قوينجق ، حيث كشفت دائرة الآثار العراقية في

الآشورية) على نحو عشر كيلومترات شمال شرقي نمرود ، لقي فخارية ملونة ، ومسارج رسمت على فوهاها اشكال بهيمة المراوح النخيلية ، نسبت الى الفترة السلوقية . فضلاً عن آنية فخارية وجدت في تل قريب من قرية الخضر في ضواحي نمرود ؛ ذات شبه بالمواد التي كشفها طومسن في معبد نابو بتل قوينجق.^(٤٠)

ويدو ان التأثير الهلنستي قد شمل الاقسام الشمالية الشرقية من بلاد وادي الرافدين ، فالاعمدات ذات التيجان الكورنثية المنحوتة على واجهة مدفن يعرف عند المحليين باسم قرقبان في منطقة السليمانية قد نسبت الى الفترة السلوقية.^(٤١)

وفي السنوات الاخيرة وفرت التنقيبات التي قامت بها مؤسسات اثارية مختلفة في عدد كبير من التلول الاثرية في حوض سد صدام الى الشمال الغربي من الموصل معلومات في غاية الاهمية عن الفترات المختلفة ومنها الفترة الهلنستية . فقد كشفت في تللول البقاي رقم (١) مسكوكات عليها كتابات لاتينية من القرن الثالث ق.م. وظهرت في الطبقات العليا من البقاي (٢) مواد اثارية كالجرار والقطع النقدية شبيهة بالآنية المكتشفة في نمرود من حيث الاسلوب والصناعة . وفي تل جيكان كشف في الخندق الذي طوله ١٣٠ متر وعرضه خمسة امتار وعمق ثمان امتار ، عن طبقات هلنستية في القسم العلوي منه.^(٤٢)

٣. فترة الاحتلال القرني

اختلف المؤرخون القدماء منهم والمحدثون في الاصول الاولى التي انحدر منها البارثيون او الفرثيون مثل اريان Arrian وزوسيموس Zosimus وجستين Justein وسترابو Strabo ، فضلاً عن الكتاب المحدثين ولاسيما الذين درسوا تاريخ ملوكهم من خلال المسكوكات والمصادر الادبية . لكن آراء هؤلاء المؤرخين تتفق في ان البارثيين من القبائل السبئية التي عرفت باسم بارثي Parni

الثل الاول عن معبد كان مكرساً لعبادة الاله هرمز^(٣٨) . كما اظهرت مجاميع اخرى من اللقى الاثرية عام ١٩٦٨ وجدت في اربع طبقات على كنف نهر الخوصر فيها سمات الصناعات التي شاعت في العصر الهلنستي^(٣٩) .

اما نمرود (كلخو) فإن التنقيبات الاثرية كشفت طبقات بنائية تعود لقرية نشأت في فترة الاحتلال السلوقي عند الزاوية الجنوبية الشرقية من أبنيتها المركزية . وحدد المنقبون ست طبقات استيطانية فيها تنحصر تواريخها بين ٢٥٠-١٤٠ ق.م. بالاعتقاد على المسكوكات التي وجدت على ارضيات ابنة هذه الطبقات وهي كالآتي :

رقم الطبقة	تاريخها
السادسة (وهي الاقدم)	٢٥٠-٢٤٠ ق.م
الخامسة	٢١٠ ق.م
الرابعة	١٧٠ ق.م
الثالثة	١٥٠ ق.م
الثانية	١٤٥ ق.م
الاولى	١٤٠ ق.م

والملاحظ في المواد الفخارية المكتشفة في هذه الطبقات اصولها الآشورية في أشكالها ، فضلاً عن التأثيرات الغربية الواضحة في اساليب صناعتها ، لاسيما بعد ان قورنت هذه الآنية مع مثيلات لها كشفت في سوريا والاناطول . وقد مكنت التماذج الكثيرة لهذه المواد المستظهرة في نمرود والاماكن الاثرية الواقعة في اعالي بلاد وادي الرافدين من تميزها عن الفخاريات الأخرى المعاصرة لها والمكتشفة في المواطن الاثرية في القسم الجنوبي من البلاد .

وامدت الخنادق الاختبارية في تل ابو شيبة الكائن على نحو عشرة كيلومترات شمال شرقي بلدة الكوير عام ١٩٥٥ ، مواد فخارية من الفترة الهلنستية شبيهة بالمواد المكتشفة في نمرود . كما كشفت حفرة الجس في موقع بلوات (امكور-انليل

البدوية وداهي Dahay التي كانت مضاربها منتشرة على امتداد نهر اكسس oxus. واستقرت هذه القبائل في اقليم بارثيا او بارثوا واصبحوا سادتها وكانت حياتهم تعتمد على الرعي والغزو والسطو على القوافل التجارية.

تمكن الفريون من الثورة على السلوقيين عام ٢٥٥ ق. م بعد ان ساد الوهن في سلطنتهم الاقسام الشرقية من مملكتهم، ولاسيما بعد اقتتال الاخوين سلوقس وانطيوخس التي مكنت ارشاق من تأسيس حكم في اقليم بارثيا وانسحب اسمه على الملوك الذين حكموا من بعده وعلى الفترة التي حكموا فيها ايضاً.

وتعد المسكوكات من ابرز الوثائق الرسمية لدراسة تاريخ الفريين فضلاً عن المصادر التاريخية مثل كتابات الاغريق والرومان والمصادر السريانية والتلمود وماكتبه المؤرخون العرب مثل الطبري والمسعودي وابن خلدون الذين اطلقوا على الفترة ذاتها اسم « ملوك الطوائف ». الا ان تاريخهم لم يكتب على نحو مفصل سوى الفترات التي جرى فيها احتكاك عسكري بينهم وبين كل من الاغريق والرومان، الا بعد احتلالهم لبلاد بابل وتمركزهم في سلوقيا على نهر دجلة عام ١٤١ ق. م (٤٣).

وفي الوقت الذي بدأ فيه نشاط الفريين في الشرق كان الرومان يوسعون حدودهم نحو الشرق ايضاً للاستحواذ على طرق النقل ومنها طريق الحرير. وقد حاول كل طرف استمالة القبائل والممالك التي تخترق اراضيها او حدودها هذه الطرق الى جانبه. فنشبت بين القوتين حروب انتهت بعقد معاهدات مؤقتة وكان نهر الفرات في معظم فترات الهدوء والاستقرار الحد الفاصل بينها.

وكانت سلوقيا على نهر دجلة مركزاً تجارياً مهماً آنذاك حيث تلتقي عندها الطرق الاتية من الجهات المختلفة، ومنها الطريق الى همدان، وطريق الفرات الى دورابوريس (الصلحية) وتدمر وطريق نهر دجلة الى تكريت وآشور والحضر وسنجار واعالي الخابور.

بعد احتلال الرومان سوريا عام ٦٤ ق. م والحاقها بامبراطوريتهم اصبح نهر الفرات خط المواجهة بينهم وبين الفريين، وتعطلت على اثرها الطرق التجارية الممتدة او المتصلة بهذا النهر، في حين زاد النشاط التجاري لارمينيا التي الحقت بالدولة الفريّة، وذلك لمرور الطريق بين الهضبة الالبرانية وجبال سنجار عبر اراضيها. كما نشطت حركة النقل على مسلك وادي نهر دجلة الذي يربط بين سلوقية العاصمة وانطاكيا على نهر العاصي في سوريا ولاسيما في الفترات السلمية. تفرع من هذا الطريق مسلك آخر عند تكريت او بينها وبين المكان الذي عنده بلدة بيجي يتجه غرباً ليصل مدينة الحضر عبر وادي الثرثار وبعدها نحو سنجار والخابور، ولاسيما بعد ان ازدهرت مدينة الحضر التي تلتقي عندها او بالقرب منها يومذاك عدة مسالك (٤٤).

وشهدت اعالي بلاد وادي الرافدين ومنه منطقة الموصل نشاطاً كبيراً في التجارة لمرور طرق التجارة عبرها الى ارمينيا وسوريا واسيا الصغرى. الا انها اصبحت تحت نفوذ ارمينيا بعد ان وسع ملكها تجرانس مملكته منتزاً الصراع بين الفريين والرومان. وشمل توسعه الاقسام المذكورة بما فيها حدياب وجبل سنجار واصبحت ديار بكر العاصمة الجديدة لارمينيا (٤٥).

وبحكم الموقف المتوتر بين الفريين والروم، فقد شيد كل طرف تحصينات دفاعية على كل جانب من نهر الفرات باعتباره خط المواجهة او المسلك الاقصر مسافة المؤدي الى طيسفون عاصمة الفريين. كما شيدت تحصينات أخرى على المسالك الاخرى (٤٦).

ووفق هذه السياقات حاول كل طرف من القوى المتخاصمة بذل الجهود للسيطرة على بلاد الرافدين، ولاسيما الاقسام الشمالية منها، لاستخدام مسالك دجلة والفرات للاغراض العسكرية والتجارية. ومن الابطاطة الروم الذين اعدوا الخطط لاحتلال بلاد وادي الرافدين كان

دومتيان Domitian (٨١ - ٩٦ م) وترجان Trajan (٩٨ - ١١٧ م)، ولوشيس فيروس Lucius Verus (١٦١ - ١٦٩ م)، وسبتيموس سيفيروس Septimus Severus (١٩٣ - ٢١١ م) وكركلا Caracalla (٢١١ - ٢١٧ م) وسفيروس اسكندر Severus Alexander (٢٢٢ - ٢٣٥ م) وكوردون Gordian (٢٣٨ - ٢٤٣ م).

وكان الامبراطور تراجان يخطط لاحتلال الشرق والوصول الى الهند الذي سبق ان خطط لها الامبراطور دوميتان. وكان من اهدافه مهاجمة ارمينيا وسوريا وبلاد وادي الرافدين. فاحتل ارمينيا عام ١١٤ م ووضع عليها حاكماً رومانياً. واحتل بعد ذلك نصيبين وماردين واستلم هدايا من ملك الرها واستولى على انطاكية. واتجه بعدها الى الاقسام الشمالية من بلاد وادي الرافدين سالكاً الطريق الذي في لطف جبل سنجار^(٤٧). واحكم السيطرة على سنجار وعلى الطرق المؤدية الى كل من دورايوريس على نهر الفرات والحضر في اواسط بادية الجزيرة.

وفي ربيع ١١٦ م قطع تراجان نهر دجلة وتوجه الى اقليم حدياب التي اعترفت بسلطانه. غير ان حدياب لم يصبا اذى في هذه الحملة الا ان حدودها من الغرب لم تتعد نهر دجلة. وواصل تراجان سيره الى جنوب العراق. عاد بعدها الى بابل وزار الغرفة التي مات فيها الاسكندر الكبير. وتوجه تراجان بعد ذلك الى الحضر التي كانت من بين المدن التي اعلنت ثورتها على الرومان، سالكاً طريق نهر دجلة وما ان وصلت جيوشه تلك المدينة ضرب حصاراً فاشلاً عليها، ومات في ١١٧ م بعد فترة قصيرة من الانسحاب.

وبعد مجيء هادريان الى عرش الامبراطورية الرومانية (١١٧ - ١٣٨ م) اتبع سياسية اللين مع المقاطعات التي يديرها الرومان، واعاد المقاطعات التي احتلت الى سكانها. وساد الهدوء والاستقرار في المنطقة وازداد نشاطها التجاري.

شهدت المنطقة بعد موت هادريان وحتى مجيء سبتيموس سيفيروس عام ١٩٣ م حالة ما بين الفوضى والاستقرار الوقي. فسرعان ماتعود العلاقات السلمية بين القرنيين والرومان الى نزاع عسكري، ينسحب تأثيرها الى الاقاليم الوارد ذكرها، وقد كانت اراضيها ساحات للمعارك بين الطرفين. وفي هذه الفترة تنازع على العرش ثلاثة من كبار قادة الرومان. اذ اثر هذا النزاع على المقاطعات التي كانت تحت حكم الرومان بشكل عام ومنطقة الموصل بشكل خاص. فوقف ملك الحضر بجانب احد اطراف النزاع وهو نيجر حاكم سوريا. حيث قدم برسميا (عبد سميا بن سنطروق) الملك المعونات العسكرية له ومنها فرقة من النبالة الحضرين. وبعد ان انتهى النزاع لصالح سبتيموس سيفيروس واصبح امبراطوراً للرومان سير جيوشه لمعاينة خصمه نيجر في سوريا والآخرين الذين وقفوا معه ومنهم ملك الحضر برسميا.

اتجه سبتيموس سيفيروس بجيوشه الى الرها التي اعترفت بسلطانه، ومن بعدها نصيبين مركز عملياته العسكرية. ووصل طيسفون وخرها، عاد بعدها الى الحضر عن طريق نهر دجلة وضرب الحصار عليها في عام ١٩٨. الا ان قوة تحصينات الحضر وفعالية اسلحتهم وكفاءة مقاتليهم مما اجبره على الانسحاب منها الى نصيبين من اجل الاستعداد لهجوم آخر على المدينة المذكورة. لكن محاولته الثانية كانت في سنة ٢٠٠ م لم تكن اكثر حظاً من الاولى. وربما كان فشل هذا الامبراطور قد بقي في اذهان الرومان حتى ان الامبراطور كركلا في حملته على طيسفون لم يقترب من اسوار الحضر رغم ان جيشه سلك طريقاً غير بعيد عن الحضر. وفي عودته توقف في اربيل وخرها ونش قبور الملوك القرنيين المدفونين فيها ونثر عظامهم^(٤٨).

بعد العرض التاريخي العام للاحداث التي مرت على منطقة الموصل وحتى اواخر العهد القرني ينبغي ان يقف القارئ على مقدار تأثير هذه الاحداث على منطقة الموصل.

الآبار والمنخفضات. تحيط بها تربة رملية باستثناء جهة الشرق ففيها تربة طينية. لا تقطع ارضها وديان او شعاب، واقرب الوديان اليها هو الثرثار (ترتارا) الواقع على نحو اربعة كيلومترات الى الشرق منها.

وتحيط بمدينة الحضر اراض اكثر منها ارتفاعاً، وتظهر وكأنها منخفضة تصب فيه سيول الامطار، وتتجمع هذه المياه في منخفضين كبيرين يقعان في القسم الشرقي من المدينة، لا ينضب ماؤها حتى في فصل الصيف. واستفاد الحضريون من مخزون الماء في ارض مدينتهم.

وتتوفر في ارض الحضر احجار الكلس التي بنى الحضريون فيها مصليات واواوين معبدهم الكبير وسوره، كما شيدوا به مدافنهم والاقسام السفلى من منشآتهم الاخرى.

ولم يعرف على وجه الدقة متى استوطنت الحضر، الا ان المستوطنات المنتشرة حول هذه المدينة او بالقرب منها ولاسيما في الاماكن التي تتوفر فيها مصادر المياه تعود الى العصور الحجرية مثل ام الدباغة وتلول الميمون وديشي وام تلبل.. مما يلقي الضوء على ان المنطقة التي قامت فيها الحضر شهدت تجمعات سكانية منذ ان اهتدى الانسان الى الزراعة اوقبلها. ولعل الاعمال الاثرية الدقيقة في المستقبل ستكشف عن اقدم اطوار الاستقرار في ارض هذه المدينة. وما زال الافتراض معقوداً على انه كان في المدينة المذكورة ثمة مستوطن آشوري ربما كان قائماً على حافة المنخفضات المائية في المدينة المناسبة من المنحدرات المجاورة. واصبح هذا المستوطن مركزاً للقبائل العربية التي كانت منتشرة في المنطقة المحصورة بين دجلة والفرات حتى انها عرفت في عصر الاحتلال الاخميني باسم عرابيا وبلاد العرب^(١٩).

وعلى الرغم من سعة مساحات التحري والتقيب في الحضر التي بدايتها كانت في عام ١٩٥١ الا انها لم تهدف الى الحفر من اجل تتبع مراحل الاستيطان فيها. وكل المحاولات التي جرت

فقد شهدت هذه المنطقة وهي قسم مهم كانت تعرف ببلاد آشور نشاطاً في العمران بعد ان نضاءت اهميتها بعد سقوط نينوى عاصمة الاشوريين عام ٦١٢ ق. م كما اسلفنا، ولاسيما بعد ان اصبحت مدينة الحضر (حتر) حاضرة للأقوام العربية التي كانت المنطقة الواقعة فيها تعرف ببلاد عرابيا في فترة الاحتلال الاخميني. ومثلما ازدهرت الحضر نهضت مدينة آشور التي هجرت على اثر هجوم الكلدانيين والميديين عليها. كما شمل الازدهار ايضا مراكز اخرى واقعة على امتداد وادي الثرثار. ويبدو ان للعامل التجاري دوراً في نمو عدد من المدن الواقعة على خطوط المواصلات، كما كان للعامل السوقى اثرهم في بناء التحصينات الدفاعية للمدن او للقلاع او لمحطات الطرق. مثل مدينة سنجار وقلعة جدالة بين الحضر وبلدة القيارة. اما العامل الجغرافي ومنه وفرة مياه الامطار والعيون والثرثار والآبار وخصوبة الاراضي فقد كان سبباً في نمو العديد من القرى والمدن الاخرى.

فالمنطقة بين الموصل وجبل قليعات وحمام العليل احتوت على عدة مواطن اثرية تعود للفترة التي ازدهرت فيها الحضر كمدينة وبملكة، وشهدت السهول بين سنجار وتلعفر نشاطاً سكانياً آنذاك. واذا دققنا النظر في التوزيع الجغرافي لانتشار المواقع الكثيرة في تلك المناطق وهي ما بين مدينة وقرية ومبان محصنة، والواقعة ضمن المنطقة التي تسقط فيها الامطار الكثيرة.

اما الاماكن الاثرية المنسوبة لهذه الفترة الواقعة الى الجنوب من خط المطر وتشمل الحضر واسافل الثرثار واشور وتكريت، فهي قليلة وربما يكون لقلة المطر والمناخ الحار والتربة الرملية والمياه المالحة عوامل غير مشجعة لقيام تجمعات سكانية، باستثناء مدينة الحضر التي سنوضح العوامل في نشأتها وازدهارها في الصفحات القادمة.

الحضر

تقع مدينة الحضر في منطقة يقل الزرع فيها ويكثر العشب. وينعم الماء الجاري وتكثر فيها

وتليس ، فضلا عن المواقع الاخرى التي نهضت وعادت الى النمو والازدهار اثر تمتع المنطقة بالهدوء والاستقرار ابان الفترة السلوقية .

بدأالوضوح في تاريخ مدينة الحضر بعد التنقيب في اطلالها واكتشاف الشواهد الاثرية ومنها الكتابات الارامية المحفورة على قواعد التماثيل وجدران وارضيات المباني فيها . وقد زاد المنشور منها على الاربعة نص . والقت هذه الكتابات الضوء على الجوانب السياسية والاجتماعية والدينية في الحضر ولاسيما المؤرخة منها بالتقويم السلوقي الذي بدايته في خريف ٣١٢ ق.م او في ربيع ٣١١ ق.م^(٥٢) .

وفي فترة نشوئها يبدو ان السلطة فيها كانت موزعة بين زعماء او شيوخ يطلق عليها لقب (ربا) والسندنة (رب — بيتا) المسؤولين عن ادارة المعبد الكبير حيث كانت الامور الدينية فيها مسندة الى رئيس كهنتها الذي يعرف باسم (افكل ربا)^(٥٤) كما كان للحضر سادن يتخبه سكانها شيئا وشيانا والاعراب المارون بها وامتدنتا كتابتان مؤرختان في كانون عام ١٥١ م بمعلومات عن انتخاب شمشيرك سادنا لهذه المدينة^(٥٥) .

وبرينا اقدم نص من الحضر مؤرخ في عام ٩٨ م ان قبيلتين متحدتين هما بنو تيمو وبنو بلعقب اقامتا معبداً كان مخصصاً للالة نرجول من مالها الخاص ، كما شيديتا ايضا مدفناً في الحضر سنة ١٠٨ م . وتعيينتا النصوص الآرامية المكتشفة في منطقة وادي حوران (بين الفرات وبادية الشام) ان رعاة من بني تيموقضوا فصل الربيع على احد فروع ذلك الوادي عام ٩٨ م مما يعني ان جماعة من بني تيمو كانت تعيش حياة البداوة ويعيش الآخرون منهم كباقي السكان في مدينة الحضر . ولا يستبعد ان المقيمين في هذه المدينة من القبائل التي وردت اسماءها في كتابات الحضر مثل بني اقلتا وبني رفشمش وعصليا وحرنفش وعقيا.... كان بنو عمومهم يعيشون في البوادي الا انهم كانوا تابعين

في هذا الميدان لا يعدو حفر خنادق اختبارية توزعت بين نقاط مختلفة من المعبد الكبير او في القطاعات القريبة منه . وقد كشفت كلها عن طبقات بناءية ، لكن التي الاثرية فيها كانت قليلة جداً بدرجة لا يمكن نسبتها الى فترات معينة . وبما تجدر الاشارة اليه ان الطبقة فوق التربة البكر مكونة من رماد ومواقد وتنانير ولم يتوفر الدليل على وجود اسس لأبنية فيها ، مما يرجح ان سكان هذه الطبقة كانوا من المتقلبين من سكان الخيم الذين اشار اليهم سترابو في حديثه عن سكان مناطق الصحراء التي بين دجلة والفرات^(٥٦) . اما الطبقات التي فوقها فتحتوي على مداميك من اللبن . بنيت السفلى منها بشكل غير متقن ، اما التي فوقها فهي اكثر منها سمكاً ووجودة في البناء . وترينا كيف تحول السكان الى الاستقرار ولاسيما الدائمي منه^(٥٦) . الا ان ندرة اللقى الاثرية التي خلفها سكان هذه الطبقات جعلت معرفة فتراتها الزمنية غير اكيدة . على الرغم من ان الاستاذين فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى وهما من ابرز المنقبين في الحضر اشارا ان المستوطن الاشوري الذي نشأ في ارض هذه المدينة توسع تدريجياً واصبح مركزاً للعرب المتقلبين الذين يرعون اغنامهم هناك في فصل الربيع ، وينوا من بعد معبداً او مزاراً للالة الشمس كبير آلهتهم . وازدادت اهمية هذا المستوطن ، كما يرى هذان الباحثان بعد غزوة الاسكندر الكبير للشرق ، ومنها بلاد وادي الرافدين (٣٣١ — ٣٢٣ ق.م) ، ولاسيما بعد ان اسست مدناً جديدة في تلك البلدان آنذاك ، ربطت بينها خطوط رئيسة للتجارة . ورغم ان هذا الرأي مازال يعتمد في ادلته على قطع اسطوانية لاعمدة نسبت الى القرن الثاني قبل الميلاد ، استخدمت كباقي الحجارة في بناء جدران او اوين المعبد الكبير^(٥٧) .

فان هذه القطع والمواد الفخارية القليلة المكتشفة معها لاتعطي صورة عن تطور مدينة الحضر وتحولها من القرية الى المدينة ، الا اذا اضعنا الى الشواهد الأخرى المكتشفة في اشور (قلعة شرقا) ونيوى وغرود (كلخو) وجزر الفرات مثل عانة وبيجان

الى سلطة حكام الحضرة، ولهم حق في انتخاب سدنبا.

وكانت المنطقة الصحراوية التي فيها الحضرة الآهله بالعرب من القبائل التي اشرنا الى عدد منها من المستقرين والبدو في المدن والريف، قد اصبحت عازلة بين الامبراطوريتين الفرثية والرومانية ومن بين المناطق التي شهدت اوضاعاً غير مستقرة مثل سوريا وأرمينيا منذ القرن الثاني قبل الميلاد.

وفضلاً عما شهدته هذه المنطقة من تنافس بين القوتين المذكورتين فقد كانت ارمينيا طرفاً آخر وسعت نفوذها حينما احتل حاكمها تجرانس الرها وحدياب وقسمها من الجزيرة. ويروي يوزيفوس Josephus (٣٧ — ٩٣ م) كيف ان ابا اواباس ملك العرب الذي أيدته القبائل العربية في جزيرة ما بين دجلة والفرات نازع ازاط ملك حدياب (٣٦ — ٦٠ م) ليهوديته وقد دفع هذا الموقف بالآخر الى مقاتلة ايبا ومحاصرته في مدينة محضة تعرف بـ ارسامس Arsamus التي يرجع ان موقعها كان في جزيرة الحضرة، وحينما رأى ايبا انه لا مناص من وقوعه اسيراً الى نفسه من على الحصن فأت. (٥٦).

الا ان عدم ذكر اسم الحضرة في الاحداث التي اوردها يوزيفوس لا يعني انها كانت مدينة صغيرة غير ذات اهمية، لكن ما اورده يؤكد وجود امراء عرب كان لهم شأن في المنطقة ولاسيا قبل ظهور الملكية في الحضرة (٥٧).

ويذهب بعض الباحثين الى ان الحضرة آنذاك كانت تابعة الى نفوذ حكام حدياب دون ان تكون لديهم اسانيد مقنعة سوى تمثال من الرخام اكبر من الحجم الطبيعي كان مقاماً في المعبد الثالث في الحضرة المكرس لعبادة بعلمشين. تذكر الكتابة التي في قاعدته انه الملك أنلونون أشري، الذي نسب انه كان ازاط ملك حدياب بعد ان فسرت في ان نتون أشري يقصد بها حدياب. وعلى هذا الاساس لقب أنلون خطأ بالحدلياني، في حين ان نتون أشري

كان من بين اسماء الاعلام المعروفة في الحضرة التي بدخل في تركيبها اشتر (اسم الاله آشور). (٥٨).

بعد الغموض الذي ساد هذه المرحلة من تاريخ الحضرة، تبدو المرحلة اللاحقة أكثر وضوحاً بفضل الكتابات المكتشفة التي أمدتنا بستة اشخاص كانوا يحملون لقب مربا (السيد) وهم حسب قدمهم: نشرهب، ورو، نصر، معنو، ولجش، سنطروق حكموا لما يقرب من القرن وتظهر هذه الالقاب او الوظائف مستقلة الفترة التي حكم فيها الملوك. ولهذا اطلق على هذه الفترة اسم «دور السادة».

وان هذا اللقب الذي يعني السيد او سيدي كان منحصراً في عائلة واحدة، ينتخب من يصلح من بينها لنيل هذا اللقب. وكان هذا الشخص المسؤول السياسي والأداري والديني للحضرة. واصبحت هذه العائلة فيما بعد العائلة الملكية في الحضرة.

واهم الاحداث التي وقعت في مناطق الشرق الادنى بشكل عام واعالي بلاد وادي الرافدين بنحو خاص خلال حكم من لقبوا بمربا في الحضرة ولاسيا في الفترة بين منتصف القرن الاول ومنتصف القرن الثاني للميلاد، ان اقسام الروم والفرثيون اقاليم العالم القديم ومن بينها اقاليم الوطن العربي. فاصبحت سوريا تحت حكم الروم منذ ٦٤ ق. م وبلاد وادي الرافدين تحت حكم الفرثيين فقامت بينها نزاعات حادة انعكست نتائجها على هذه المنطقة بشكل خاص كما بينا ذلك فيما سبق. فكانت حروب تراجان (١١٤ — ١١٧ م) الذي احتل معظم اقاليم اوربا وأرمينيا وسوريا وبلاد بابل وآشور، الا انه لم يتمكن من احتلال الحضرة ثم انسحب منها بعد فشله عام ١١٧ م. ويطن ان نصرو السيد قاد الحضريين في صمودهم اثناء ذلك الحصار. (٥٩).

وقد اعقب الحكام الذين لقبوا «مربا» اشخاص لقبوا بملكا (الملك) وهم: ولجش، سنطروق الاول، عبد سميا، سنطروق الثاني. الا

ان الملكين الاولين ولجش وسنطروق ابنيا نصرور حمل كل منها لقب مريا اولاً ولقب ملكاً ثانياً ، اما الملوك الآخرين الذين اعقبوها فلم يحملوا سوى لقب ملك . فضلاً عن اسم ملك آخر وهو اتلو الذي وجد تمثاله في المعبد الثالث كما اشرنا الى ذلك قبل قليل .

لقب ولجش ملك العرب كما تشير الى ذلك الكتابتان [١٩٣ ، ٢٨٦] علماً ان هذا اللقب قد حمله الملوك الاخرون مثل سنطروق الاول وعبد سميالوسنطروق الثاني . وقد اعطيت على نحو تقريبي الفترة التي حكم فيها هذا الملك (١٥٨ - ١٦٥) . ولقب سنطروق الاول بملك العرب المظفر ، ولقب ايضاً الكاهن والملك والمعروف ان هذا الملك شيد المعبد المربع (خلو الشمس) ومعبد اللات . اما عبد سميال ملك العرب وقد ستمه المصادر الكلاسيكية (برسيموس) ولاسيا بعد تقديم العون العسكري لحاكم سوريا الروماني نيجرا احد اطراف النزاع على عرش روما . ولما اصبح سبتموس سفروس امبراطوراً للروم قاد حملة لمعاينة كل الاطراف التي ساعدت خصمه نيجر ومن بينهم ملك الحضرة . تشير المصادر ان سفروس اتجه الى نصيبين وهاجم حدياب وطيسفون وسلوقيا ، تفرغ بعدها لمحاورة الحضرة عام ١٩٨ م الا انه فشل ، لكنه عاد مرة اخرى بعد سنتين وضرب عليها الحصار في خريف ٢٠٠ م بعد ان جلب معه عدة حربية جديدة الا انه فشل ايضاً لقوة استحكاماتها الدفاعية وشدة بأس مقاتليها وكفاءة اسلحتها ، كما مرّ بنا الاشارة الى ذلك من قبل . وكان عبد سميال الملك الذي قاد الحضريين في دفاعهم عن هذه المدينة .

اما سنطروق الثاني بن عبد سميال الذي وصف انه ملك العرب وملك البلاد العربية ، كما لقب بالملك المنتصر المحسن ايضاً . وقد شهدت الحضرة الازدهار في عهده . وصمدت في حصار اردشير الملك الساساني ، الا ان نهايتها المحزنة كانت باحتلال شابور عام ٢٤١ م .

وتتوقف في تاريخ الحضرة بظهور الساسانيين واحتلالهم العراق وعدم اعترافها بسلطانهم ، مما دفعها الى التحالف مع الرومان . وستكون تفاصيل تلك الفترة من تاريخ الحضرة في المبحث القادم .

- (١) ابراهيم شريف ، الموقع الجغرافي للعراق واثره في تاريخ العالم ، بغداد (بدون سنة طبع) ج' ص ١٩٠ .
- (٢) Olmstead, A "History of the Persian Empire", Chicago, 1966, 2nd edition, p. 37.
- (٣) ما زالت الاراء متضاربة في تحديد موقع اوس Opis ، فحددها البعض بموقع طيسفون او سلوقيا (فؤاد جميل ، اوس اين تقع ، سور ٢٣ ، الكائن الى الجنوب من سامراء (ابراهيم شريف ، المصدر السابق ، ١٩٠/٢) ، وحددها آخرون بتل Abir الكائن على الجهة اليسرى لنهر دجلة عند التقاءه بنهر العظيم (انظر عن ذلك Longden, Lane "Babylonian Problems" London 1923, pp. 50 - 59, map. No. 1. وعين اوس ايضاً بانها تقع في الطريق الاقرب الى تكريت (عبد الرحيم طه الاحمد ، تكريت ببغداد / ١٩٨٨ ص ٣٣ .
- (٤) جابر خليل ابراهيم ، تكريت من خلال المصادر اثرية ، مجلة الفؤاد العربي العدد ٣٩ ، ١٩٨٨ ص ٢٩٨ لوح ١٠
- (٥) سفر عزرا ، الاصحاح الاول
- (٦) انظر عن حدود الامبراطورية والاقطار التي احتلها . Ghirshman, R, "Persia from the earliest times to the Islamic conquest, London 1954 p. 133.
- (٧) مجموعة من الباحثين السوفيت ، العراق القديم ، ترجمة سليم طه التكريتي ، بغداد ١٩٧٦ ص ٤٥٤
- (٨) Oates, J. "Babylon", London 1978, PP. 134 - 38
- (٩) انظر الهامش ٧ ص ٤٦٢
- (١٠) المصدر السابق ص ٤٧٢
- (١١) طه باقر ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ج' ، بغداد ١٩٧٣ ص ٥٦٥ .
- (١٢) جورج رو ، العراق القديم ، ترجمة حسين علوان حسين ، بغداد ١٩٨٤ ، ص ٥٤٩
- (١٣) Herzfeld, E. "The Persian Empire", 1968, P. 202.
- (١٤) فؤاد سفر وعبد علي مصطفی ، الحضرة مدينة الشمس ، بغداد ١٩٧٤ ، ص ١٧
- (١٥) Oates, D. and J "Nimrud 1957, the Hellenistic Settlement" Iraq, 20, 1958
- (١٦) Ibrahim, J.Kh., Pre- Islamic Settlement in Jazirah Mosul, 1986,

- (٣٤) جابر خليل ابراهيم ، تركزت من خلال المصادر الاثرية ، المؤرخ العربي ، ٣٩ ، ١٩٨٨ لوح ١٠
- (٣٥) فؤاد جميل ، اريان بدون ايام الاسكندر الكبير في العراق ، سومر ٢١ ، ١٩٦٧ ص ٢٦٧ - ٣٠٠
- (٣٦) انظر نتائج تنقيبات البعثة الالمانية في اشور (١٩٠٣-١٩١٤) التي عريت مظهرها ونشرت في دائرة الآثار والتراث ولاسيما الكتاب الموسوم لاثريه رئيس البعثة « آشور المهنسية » تعريب عبدالرزاق كامل الحسن ، الموصل ١٩٨٧ وانظر من الدمي الطينية في اشور ، د. صبحي انور رشيد ، « دمي من اشوري متحف الشرق الادنى في برلين » سومر ٤٠ ، ١٩٨١ ، ص ٢٥٣
- (٣٧) Thompson, R., and Hutchinson, R, The excavation on the temple of Nabu at Nineveh Archaeologica, 29, 1929, 138, 142.
- (٣٨) محمد علي مصطفي ، اكتشاف نثال في نينوى ، سومر ١٠ ، ١٩٥٤ ج٢ ، ص ٢٨٠ - ٢٨٣ .
- (٣٩) د. طارق مظلوم ، التنقيب في نينوى ، سومر ٢٤ ، ١٩٦٨ ص ٣٩ - ٦٢
- (٤٠) معظم المعلومات من موقع غرود ابان الفترة المهنسية كانت من المصدر التالي
- Oates, D. and J., Nimrud, 1957: The Hellenistic Settlement , Iraq 20, 1958, pp. 114 - 157.
- (٤١) Rowland, B, Nqce-on Ionic Architecture in the East, AJA , 39, 1935, p. 492.
- وانظر ايضاً كمال نوري معروف ، منحوتة قرقيان ، سومر ٣٨ ، ١٩٨٠ ص ٣٠٩ - ٣١٤
- (٤٢) انظر البحوث المنشورة عن نتائج التول المعبية في حوض سد صدام السفر الصادر عن دائرة الآثار والتراث دبحوث اثار حوض سد صدام وبحوث اخرى ، للموصل ١٩٨٧ .
- (٤٣) عن تأريخ القرنين انظر Debevoise, 'A Political history of Parthia' Chicago-1938.
- (٤٤) Ibrahim, J. 'Pre- Islamic Settlement in Jazirah Mosul, 1986, p. 301.
- (٤٥) ابراهيم شريف ، الموقع الجغرافي للعراق وأثره في تاريخه العام ، بغداد (بدون سنة طبع) ج٢ ص ٢٣٥ .
- وانظر ايضاً سامي سعيد الاحمد ورضا جواد الهاشمي ، تاريخ الشرق الادنى القديم ، ايران والانفوسل ، ص ١٤٦ .
- (٤٦) انظر تفاصيل هذا الموضوع في
- Oates, D. Studies in the ancient history of North- ern Iraq, London 1968, pp. 67 - 91 .
- (٤٧) كشت في عام ١٩٢٧ و اقم اميال بالقرب من قرية كرمي في جبل سنجان عليه « كتابة لاثينية تحمل القاب تراجان ومنها Parthicus وفيلدا و اقم الاميال هذا في تحديد الطريق الذي سلكه تراجان . انظر Oates, 1968: 67 - 92
- (٤٨) فؤاد سفر ومحمد علي مصطفي ، الحضر مدينة الشمس ، بغداد ١٩٧٤ ، ص ٣٢
- (٤٩) فؤاد سفر ومحمد علي مصطفي ، المصدر السابق ص ١٧ ، ١٨ وانظر حول عرايا

- وانظر ايضاً النتائج التي توصلت اليها البعثات الاتارية المختلفة في تنقيباتها مواقع في حوض سد صدام والمنشورة في « بحوث آثار حوض سد صدام وبحوث اخرى الموصل ١٩٨٧ .
- (١٧) مديرية الآثار العامة ١٩٧٠
- (١٨) حول ارشم اوراشام انظر : دويت سومر ، الاراميون تعريب البير أرينا ، سومر ١٩ ، ١٩٦٣ ص ١٣٨ - ١٤٠
- (١٩) Oates, D. Studies in the Ancient History of the Northern Iraq London 1968.
- (٢٠) زينفون مؤرخ اغريقي من اتباع سقراط انضم الى جيش كوروش الصغير كجندي عام ٤٠١ ق. م . الذي كان حاكماً في ساريس عاصمة ليديا . وقاد حملة على اخيه الملك الاخميني ارخششتا ابن دارا الثاني في بابل . وبعد مقتل قائد الحملة كوروش انتخب زينفون مكانه لنفوذه في الجيش وقاد الحملة الآت اغريقي من المرتزة في انسحابهم بعد المعركة المعروفة باسم « الكناسة » التي وقعت بالقرب من بابل اثر مقتل كوروش الصغير . انظر فؤاد جميل ، زينفون في العراق وحملة العشرة آلاف اغريقي سومر ٢٠ ، ١٩٦٤ ص ٢٢٧ - ٢٥٨
- (٢١) عن السور للمادي انظر الدراسة القيمة التي اجراها . Lanc, W. Babylonian Problems, London 1923, pp. 90 - 104
- Reade, J. EL - Mutabbaq and Umm Rus, Sumer 20, 1964, pp. 83 - 89
- (٢٢) Luckenbill, D. Ancient Records of Assyria and Babylonia, Chicago, 1926, Vol. 1, p. 128.
- (٢٣) فؤاد جميل ، أوس ابن تقع ، سومر ٢٣ ، ١٩٦٧ ص ١٥٧ - ١٧٦ وانظر ايضاً المصدر السابق . Lane Olmstead, A. History of Assyria Chicago Reprint 1975, p. 253
- (٢٤) اندريه ، اشور المهنسية ، ترجمة عبدالرزاق كامل الحسن ، الموصل ١٩٨٧ ص ١٨
- (٢٥) سامي سعيد الاحمد ، العراق في كتابات اليونان والرومان سومر ٢٦ ، ١٩٧٠ ، ص ١١٨
- (٢٦) جابر خليل ابراهيم ، تركزت من خلال المصادر الاثرية المؤرخ العربي ١٩٨٨ ، ٢٩٩ الهامش ٩٥
- (٢٧) فؤاد جميل ، زينفون ص ٢٥٤
- (٢٨) حول هذه الازاء انظر فؤاد جميل ، زينفون ص ٢٥٤
- (٢٩) طه باقر وفؤاد سفر ، المرشد الى مواطن الآثار والحضارة الرحلة الثانية ١٩٦٦ ص ١٧
- (٣٠) فؤاد جميل ، زينفون ص ٢٥٥
- (٣١) انظر عن هذا الموضوع د. مصطفى البادي ، العصر المهنسي في مصر ١٩٨١ بيروت وهارولد ادرس بل ، الملية في مصر ، ترجمة زكي علي ، مصر - دار المعارف (بدون سنة الطبع)
- (٣٢) Stein, A., Notes on Alexander's Crossing of the Tigris and the battle of Arbela, GJ, 100, N0-4 1942, pp. 155 - 164.
- (٣٣) عن كوكابيل واحتمال انها الكويل على نهر الخازر او كويليس الى الشرق من الموصل انظر Stein المصدر السابق .

(٥٤) فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى، المصدر السابق ص ٢٦.

(٥٥) جابر خليل ابراهيم، نصان قانونيان من الحضرة، مجلة سومر ١٩٨٢، ٣٨.

(٥٦) Debevoise, A Political History of Parthia, Chicago, 1938, p. 50.

(٥٨) لمناقشة تلك الآراء انظر:

Ibrahim, J. Pre- Islamic Settlement in Jazirah, Mosul, 1986, p. 98 - 99.

(٥٩) فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى، المصدر السابق ص ٣٠.

1968.

(٥٠) Strabo, XVI, 233., Oates, D. 1968, p. 63

(٥١) Ibrahim, J. 1986, p. 92

(٥٢) فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى المصدر السابق ص ١٠٨، ٣٩٩

(٥٣) وجدت كتابات اخرى غير الآرامية في الحضرة منها ثلاثة

نصوص مكتوبة باللاتينية وواحد بالآغريقية. اما الكتابات

الآرامية فقد نشرت في مجلة سومر الاعداد: ٧-٩، ١١، ١٧، ١٨،

٢٠-٢١، ٢٤، ٢٧، ٣١، ٣٤، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤٣، ٤٤.

كما ونشرت في مجلات علمية اخرى مثل

منطقة الموصل تحت وطأة الإحتلال الساساني

سالم احمد محل

تأسيس الموصل:

توسع الدولة الاشورية وسيطرتها على بلاد الشام كانت تعني ان «كل ماياتي الى العاصمة نينوى من جهة الغرب لابد من ان يمر من منطقة تقابل العاصمة، فانسب مكان لذلك هو المرتفع من الارض المقابل لها وهو موقع الموصل»^(١). وهذا الرأي يلمح الى اهمية العامل العسكري (الحصن) على العامل الاقتصادي (السوق) في نشوء الموصل. ويبدو ان بناء الحصن سابق على ظهور السوق اذ صار نواة ظهور مدينة الموصل في العصر الاشوري. فقد ظهر السوق جزءاً من متطلبات احتياجات الحامية العسكرية المقيمة في الحصن لحماية العاصمة. ثم اظهر التطور الحاجة الى الاستقرار فظهرت المدينة. فالموصل مدينة قديمة كانت قلعة آشورية في بداية الامر، كما راينا وعند مرور زينفون اليوناني مع حملة العشرة الاف (سنة ٤٠١ ق. م) اشار الى بعض المناطق التي مربها من بينها (لارسا) التي يعتقد من وصفه لها بأنها ثمرود، ثم يقول ان الحملة سارت شمالاً فبلغت «قلعة لاتقهر بالقرب من مدينة تدعى مسيلا التي كانت لفترة اهله بالمدين»^(٢). ويسود الاعتقاد بأن مسيلا هي نفسها مدينة الموصل وربما كانت التسمية

من اكثر الصعوبات التي تواجه الباحث في تاريخ الكثير من المدن القديمة تحديد زمن بنائها، خاصة عندما لا يرتبط اسمها باسم مؤسسها او منشئها ملكاً كان ام اميراً ام قائداً. والموصل واحدة من تلك الحواضر التي يكتنف نشأتها الغموض والابهام. فلا يعرف بالضبط متى بنيت، ولا من الذي بناها.

غير ان الذي لامرأ فيه هو ان الموصل مدينة قديمة ترجع الى ايام الاشوريين. وهذا يعني انها ظهرت قبل الميلاد بقرون عديدة. فقد اتخذ الاشوريون نينوى الواقعة على الضفة الشرقية من نهر دجلة عاصمة لهم في عهد العاهل الاشوري نبوجلا تيليزر سنة ١٠٨٠ ق. م^(٣). ولعوامل عسكرية تتعلق ببدء الاخطار عن العاصمة، اقام الاشوريون حصناً على الضفة الغربية من نهر دجلة مقابل عاصمتهم في تل «القليعات» فكان هذا الحصن نواة مدينة الموصل^(٤). ويعتقد بديج ان العامل الاقتصادي كان وراء قيام الموصل في هذا المكان، اذ ان مكانها يصلح سوقاً يخدم المركز التجاري الكبير وهو العاصمة نينوى فكانت فيه او بالقرب منه مدينة^(٥). غير انه وجد من يعارض ذلك ويرى ان

اشورية مشتقة من الكلمة الاشورية «مشبالو» او «مشفالو» التي تعني الارض السفلى او الواطئة . ويرى سليمان صائغ ان مسيلا التي ذكرها زينفون هي مدينة «نينوى القديمة» والقلعة التي يذكرها قد تكون موقع الموصل الحالي»^(٧) :

الا انه يبدو لنا خلاف ذلك لان الجيش اليوناني كان يسير بحملته بمحاذاة الضفة الشرقية من نهر دجلة وخط سيره معروف لدينا، فمن الطبيعي ان تكون نينوى المكان الذي حطّ فيها رحاله في هذه المنطقة حيث وجد قلعة عظيمة قام باعطاء وصف دقيق لابعادها ، لاجمال لذكرها هنا . فوصله للقلعة التي وصفها كان قبل اشارته للمدينة القريبة منها . والتي يسميها مسيلا والتي على ما يبدو لم يمر بها لانه لم يعط اي وصف لها . وهناك من يظن ان القلعة التي وصفها زينفون هي «موضع قريب من مدينة نينوى المدرسة او بالاحرى تل توبة الذي يقوم عليه جامع النبي يونس حاليا»^(٨) . وهو جزء من مدينة نينوى القديمة كما هو معروف الان .

اما الكتبة الاراميون فقد ظلوا يسمون المدينة باسم ذلك الحصن الاشوري (حستا - عرابا) او «الحصن العبوري» لاشرافه على نهر دجلة^(٩) . اما البلدانون والمؤرخون العرب فقد اشاروا الى تأريخ تأسيس الموصل ، ولكنهم لم يوفقوا الى تحديد تاريخ دقيق لبنائها ، فجاءت رواياتهم عنها بهذا الخصوص غير خالية من الغموض والابهام .

فالطبري يعدد اسماء عدد من المدن التي بناها اردشير بعد قضاائه على الدولة البارثية سنة ٢٢٤ م او ٢٢٦ م فيقول «وبالموصل بوذ اردشير وهي حزة»^(١٠) وهذا يعني ان الموصل كانت قائمة عند احتلال الساسانيين للعراق وان اردشير بنى حيا او محلة فيها هي بوذ اردشير . غير ان الطبري توهم في اعتباره هذه المدينة هي حزة . لان حزة هي بلدة بالقرب من اربيل ، كما ان مدينة بهذا الاسم تقع بين نصيبين وراس العين^(١١) . فمن المستبعد ان

تكون محلة اوحي بوذ اردشير هي حزة . ويذكر ابن خردادبة ان اردشير بعد احتلاله للعراق عين ملوكاً على اقالمه ومدنه ومن ضمنهم ملك على الموصل «بوذ اردشيران شاه ، يعني الموصل»^(١٢) . والدينوري بدوره يعرض انطباعاً بوجود الموصل قبل الاحتلال الساساني فيذكر ان اردشير بنى «ددا من المدن ..ومدينة بالموصل تسمى خرزاد اردشير»^(١٣) .

ويورد الحموي رواية لحمة يقول فيها «كان اسم الموصل في ايام الفرس نوأردشير بالنون او الياء...»^(١٤) ويمكن ان نقرر نص حمزة على ان اردشير قد غير اسم الموصل بعد احتلاله لها وسماها «نواردشير» اي مدينة اردشير الجديدة^(١٥) . وعلى هذا فالموصل كانت موجودة عند احتلال الساسانيين للعراق . فيذكر الدينوري ان «اردشير اقام بالعراق حولاً ، ثم سار الى الموصل فقتل ملكها ثم انصرف...»^(١٦) . كذلك فان المسعودي يشير الى وجود ملك اصله من التمن كان يحكم الموصل ، وكان بينه وبين ملك نينوى حروب ووقائع^(١٧) . فاذا صح هذا فيكون هذا الملك قد حكم خلال العهد البارثي .

من هذا العرض يتبين لنا ان الموصل مدينة قديمة ترجع الى ايام الاشوريين وان كنا لانزال نجعل تحديد تاريخ بنائها ومن الذي بناها .

سكان الموصل :

أسست الموصل في العهد الآشوري ، فسكانها هم من الاقوام العربية القديمة ، غير ان الانبياء السياسي للآشوريين سنة ٦١٢ ق . م احدث فراغاً سياسياً في المنطقة . فبدأت القبائل العربية تندفق من الجزيرة العربية فاستوطنت منطقة الجزيرة التي أصبحت الموصل فيما بعد قاعدتها الاقليمية ، حتى ان كتابه بهستون التي ترجع الى نهاية القرن السادس قبل الميلاد في العصر الاخميني أطلقت على هذه المنطقة اسم «عربايا» نسبة الى العرب^(١٨) ولما كانت منطقة الجزيرة هي الراقد الذي كان يرفد

الموصل والمنطقة بالسكان خاصة بعد انهيار الآشوريين فجدير بنا ان نقدم نبذة موجزة عن حدودها وموقعها من خلال مؤلفات البلديين العرب .

فالاصطخري يحددها بقوله : « واما الجزيرة فانها ما بين دجلة والفرات من داخل بلد الروم من ملطية على يمين . ويجري بينها وبين سميساط وممر على سميساط وجسر منبج وبالسا الى الرقة وقرقيسيا والرجبة وهي والانباء . ثم يعدل حد الجزيرة في سمت الشمال الى تكريت وهي على دجلة حتى ينتهي عليها الى السن مما يلي الجزيرة والحديثة والموصل وجزيرة ابن عمر ، ثم يتجاوز آمد فينقطع حد دجلة على بعد من ارمينية ، ثم يمتد مغربا الى سميساط ثم ينتهي الى مخرج ماء الفرات في حد الاسلام من حيث ابتدأنا »^(١٩) واما المقدسي فقد تحدث عن الجزيرة والتي يسميها اقليم آفور ولكن على بطون القبائل العربية التي استوطنته وجعله كما يقول « ثلاث كور على عدة بطونهم اولها من قبل العراق ديار ريبة ثم ديار مضر ثم ديار بكر وبه اربع نواح . وأما ديار ريبة فقصبها الموصل ومن مدنها الحديثة ... تلعفر سنجان ، الجبل ، بلد ... نصيبين ، دارا ، رأس العين واما ناحيتها فجزيرة ابن عمر . ومدنها فيشاور ... وأما ديار مضر فقصبها الرقة ... حران ، الرها والناحية ، سروج ، كفرزاب ، كفرسرين . واما ديار بكر فقصبها آمد ومن مدنها ميفارقين ، تل فافان حصن كيفا ... ومدن الخابور فقصبها عرابان »^(٢٠) فالجزيرة على هذا الاساس تشمل الارضين الواقعة بين دجلة والفرات حتى تكريت والانباء جنوباً ومن الشمال ارمينيا وبلاد الروم ومن الغرب بلاد الشام ومن الشرق آذربيجان^(٢١) . وسميت بالجزيرة لوقوعها بين دجلة والفرات^(٢٢) فالموصل كانت اشهر ديار ريبة ، آمد اشهر ديار بكر والرقة على الفرات اشهر ديار مضر .

عرفت منطقة الجزيرة بخصبها وكثرة مياهها وطيب مناخها فكان هذا دافعا للقبائل العربية الى

ان تهجر مواطنها في الجزيرة العربية وتجه صوب الجزيرة . كما كان هناك دافع اخر لهذه الهجرة . وهو اشتداد المنازعات والخصومات القبلية مما كان يدفع بعض القبائل الى الهجرة الى بلاد العراق والشام ومنها منطقة الجزيرة . وبالحصيلة فقد كان سكان هذه المنطقة وسنهم اهل الموصل من العرب القادمين من الجزيرة العربية اصلاً سواء كانوا من العرب القدماء (الاشوريين) ام من القبائل العربية التي هاجرت اليها في وقت لاحق . وظاهرة الهجرة من الجزيرة العربية الى الهلال الخصيب ابتدأت بهجرة الاكديين والاموريين والاشوريين فهي ليست جديدة على المنطقة .

ولهذا فقد كانت منطقة الموصل معروفة عند العرب قبل الاسلام بخصوبتها وطيب مناخها فكانوا يسمونها « بعربايا » ويذكر ابن الفقيه رواية للاصمعي تقول « كانت قرش تسأل في الجاهلية عن خصب باعربايا وهي الموصل لقدرها عندهم ... وعن ريف الجزيرة ومايلها لانها تعدل في الخصب باعربايا »^(٢٣) .

ويذكر الديوه جي اهمية قبيلة التمر في الموصل لدى الساسانيين بحيث كانوا يستعينون برجالها في الادارة والحرب . فقد كان سنان بن مالك عاملاً لكسرى على الابلّة وهو من اهل الموصل^(٢٤) .

الموصل تحت وطأة الاحتلال :

طبقاً لرواية حمزة التي وردت عند ياقوت الحديدي ، والتي مر ذكرها ، فان اردشير بعد احتلاله للعراق ودخوله الموصل قد غير اسمها الى نو أردشير ، الجديدة ، ومن المرجح ايضا ان يكون اردشير قد عين على الموصل حاكماً او شاهاً (ملكاً) لحكمها ، وجعلها بمثابة قاعدة عسكرية في هذا الموقع المتقدم من الحدود بين مناطق احتلال الساسانيين في العراق ، ومناطق احتلال الرومان في بلاد الشام . بخاصة وان علاقة الساسانيين بهؤلاء كانت عدائية في معظم مراحل التاريخ الساساني . ولطبيعة هذه العلاقة بين الجانبين ، ولاهدهما التوسعية كلا على حساب الآخر ، فقد شهدت

«ومواطن سكنية في الموصل والعراق وحشد فيها العرب والفرس وأمرهم بالعبادة والزراعة»^(٢٩) ويبدوان طلب قباذ من سكان منطقة الموصل العمل في الزراعة وبنائه مواطن سكنية لهم يهدف الى تثبيت السكان بالارض مما يساعد على استئثارهم في القتال في حالة مهاجمة البيزنطيين لهذه المنطقة.

في سنة ٥٤٠ م بدأت الحرب بين الساسانيين والبيزنطيين في عهد كسرى انوشروان (٥٣١-٥٧٩ م) وتمكن فيها الساسانيون من اقتحام عدة مدن في بلاد الشام أشهرها انطاكية عاصمة سوريا يومذاك، فاعملوا فيها السلب والنهب والقتل والاسر والتخريب^(٣٠). وهناك اشارة وردت لدى ميخائيل السرياني تفيد بانه بعد العمليات الناجحة التي قام بها كسرى انوشروان في بلاد الشام: «... تقدم الروم في ارض الفرس فاستولوا على كردواية وارزانية وعرباية»^(٣١). وقد تمكنوا في هذه العملية من الدخول الى الموصل التي اشير اليها في رواية ميخائيل باسم عرابية من قتل واسرقسم من سكان الموصل فكانت نكبة لها^(٣٢). وقد تجدد النزاع ثانية سنة ٥٧٢ م، فاجتاح انوشروان ارض الجزيرة من جديد (بلاد ما بين النهرين) وهزم جستنيان، القائد البيزنطي، فخلفه القائد مورييس فقام بغزوات ضد الساسانيين استولى بها على سنجار وجرت مفاوضات لعقد الصلح بين الجانبين غير ان انوشروان توفي سنة ٥٧٩ م قبل ان يرى نتيجة هذا الصلح^(٣٣). غير اننا نرتاب في صحة دخول البيزنطيين للموصل في هذا الوقت لان نتائج حرب ٥٤٠ م كانت لصالح الساسانيين. ومن المرجح ان البيزنطيين لم يدخلوها. وكل النجاح الذي حققه البيزنطيون قد تمثل في دخول سنجار وكان هذا في فترة لاحقة اي سنة ٥٧٩ م اوقبلها بقليل.

ونلاحظ انه على الرغم من الاستعدادات التي قام بها الامبراطور جستنيان (٥٢٧-٥٦٥ م) ببناء الحصون، وتجديد اسوار المدن المجاورة للشرط الحدودي مع الساسانيين فإنه فشل في الاستيلاء

الدولتان حروبا ومعارك دامية، كانت منطقة الجزيرة بالدرجة الاولى ساحة لها، ولابد انها شهدت من الخراب والتدمير الشيء الكثير. فقد اجتاحت سابور الاول (٢٤١-٢٧٢ م) سوريا ووصل الى انطاكية في حرب سريعة شنها الرومان انتهت بعقد اتفاقية السلام مع الامبراطور فيليب العربي سنة ٢٤٤ م تنازل الرومان فيها عن ارمينيا ومنطقة الجزيرة الى الساسانيين^(٣٤). غير ان الساسانيين اضطروا للتنازل عن هذين الاقليمين (ارمينيا والجزيرة) في عهد الشاهنشاه بهرام الثاني (٢٧٦-٢٩٣ م)، بسبب ثورة هرمزد، اخي الملك في خراسان^(٣٥) وكان الرومان قد اجتاحتوا الجزيرة ووصلوا الى المدائن العاصمة.

وتجددت الحرب بين الساسانيين وبين الرومان في عهد سابور الثاني (٣٠٩-٣٧٩ م) وتمكن من اجتياح ارمينيا، ودارت معارك طاحنة في الجزيرة وصمدت قلاع الرومان في هذه المنطقة وخاصة في نصيبين، كما كسب الرومان معركة سنجار، غير ان الحشود الهائلة للساسانيين اضطرت الرومان لطلب المفاوضات. فوافق سابور غير ان تعثر المفاوضات ادت الى تجدد الحرب فهاجم سابور آمد (ديار بكر) سنة ٣٥٩ م، ثم رجحت كفة الفرس في معارك لاحقة مع الامبراطور بوليان انتهت بمقتل الامبراطور سنة ٣٦٣ م وعقد صلح مع الساسانيين كانت من بنوده المهمة تنازل الرومان عن نصيبين وسنجار، وخمسة عشر حصنا اخر كما يقول ايمانوس مرسلينوس^(٣٦). ويظهر من هذا كيف ان منطقة الجزيرة كانت ساحة لمعارك الساسانيين والرومان، كما انها كانت احد محاور النزاع بين الجانبين. وكانت الموصل قاعدة الجزيرة، محط اهتمام الساسانيين عندما يشتد النزاع بينهم وبين البيزنطيين. فصارت قاعدة لحشد جيوش الساسانيين، كما كانوا يشحنونها بالاعتدة والذخيرة^(٣٨). فعندما اندلعت الحرب بين الساسانيين والبيزنطيين في عهد قباذ (٤٨٨-٤٩٧ م) (٤٩٩-٥٣١ م) انشأ قباذ عدة قلاع

على نصبيين بعد محاصرته لها ، كما انه واجه فشلا اخر في محاولته الاستيلاء على قلعة «تبت» القريبة من مدينة دارا . ومنيت قواته بخسائر فادحة بسبب حرارة الجو وقلّة المياه^(٣٣).

وفي هذا الوقت ظهر عنصر اخر زاد في متاعب البيزنطيين في بلاد الشام . فقد اخذت القبائل العربية وخاصة طي (طباية اي الطائيون) التي تتجول في مناطق الموصل تشن غاراتها على البيزنطيين في بلاد الشام مما اضطر معه الامبراطور جستنيان على بناء مدينة بيرية تورين «تينير» لصد غاراتهم واوزع الى حاكم المنطقة السلنسيار توما القيام بهذه المهمة . فبدأ الاخير بتوفير المواد الضرورية الخاصة بهذا الشأن وشرع في البناء . غير ان «العرب والكوديشيين من سنجار وتبت اضطروهم الى ايقاف العمل»^(٣٤) .

ويبدو انه كان للساسانيين والبيزنطيين دور في اذكاء نار العداء بين القبائل العربية في العراق وتلك التي في بلاد الشام ، لتحقيق مصالح الدولتين من جهة ، ولتبع اية محاولة للتوحيد بين العرب في هذه المنطقة في المستقبل . وهو موقف يذكرنا بموقف الدولتين من كل من المناذرة في العراق والغساسنة في بلاد الشام بحيث كانت الدولتان وباستمرار تؤججان نار العداء بينهما .

واذا كان جستنيان قد اولى اهتماما خاصا للعناية بحصون واسوار مدن الشام الواقعة تحت نير احتلاله ، فان كسرى ابرويز (٥٩٠-٦٢٨ م) قد اولى الموصل مثل هذا الاهتمام . فاخذ بتحديد حصونها وقلاعها لجعلها اقدر على مجابهة اية محاولات بيزنطية لمهاجمتها في المستقبل^(٣٥) .

وفضلا عن الموصل كان هناك مركزان حضريان يقعان ضمن اقليم الجزيرة وهما سنجار وبلد التي تعرف خرابها حاليا باسكي موصل^(٣٦) . وكانت النصرانية قد دخلت الى منطقة الموصل وضمها سنجار وبلد . حتى ان اخو دامه الذي صار مطرانا لليقويين عام ٥٥٩ م (وكان من اهل بلد) قد دأب على نشر النصرانية بين القبائل البدوية القاطنة

في هذه المنطقة فزارها في مخبأها وادخل اناسا منهم في النصرانية وذلك بالتودد والتقرب الى شيوخهم . واقنعهم بان يجعلوا لانفسهم من كل قبيلة قساً وشماساً وأمرهم ان يبنوا البيع وان يسموها بأسماء شيوخهم^(٣٧) . وكان انوشروان مهتماً بالتيارات الدينية في دولته . ويروى بانه كان يطلب عقد المناظرات الدينية في بلاطه . والظاهر ان اخو دامه كان يتردد على بلاط انوشروان ، غير انه اثار حفيظة الاخير عندما قام بتعميد احد ابناء انوشروان فغضب عليه ورواه في السجن^(٣٨) .

وعندما بلغ خبر سجن انوشروان لاخودامه مسامع بعض القبائل العربية في الجزيرة اسرعوا الى المدائن لمقادة اخو دامه ، وعرضوا على الملك ان يدفعوا له ما يعادل وزن اخو دامه ذهباً ثلاث مرات^(٣٩) . بل انهم ذهبوا ابعد من هذا . فقد عرضوا على الملك انهم على استعداد لفدائه ، «ولو طلب الشاه عشرين رجلا منا ليقتلهم بدلا عنك»^(٤٠) . وهذا يدل على تحمس هؤلاء العرب لعقيدتهم الجديدة ، وخاصة قبائلهم المختارة والكثيرة العدد «وهم عقولاية وتنوخاية وطباية» اي عاقول وتنوخ وطبي^(٤١) .

ولما بدأت حروب التحرير العربية في العراق وانهمز الفرس في معركة القادسية سنة ٦٣٧ م ووصلت الاخبار الى منطقة الجزيرة ، وكانت يومذاك تحت الاحتلال الساساني فان الحاميات الفارسية تركت مواقعها والتحقّت بالفرس عدا الحامية الساسانية في سنجار فانها اقامت مسلحة واخذت تدافع عن سهلها وسهل ماردين ودارا . «فاقاموا في مدينتهم (اي سنجار) . فلما هلكت فارس وأتاهم من يدعوههم الى الاسلام اجابوا واقاموا بمدينتهم»^(٤٢) . اما بقية حواضر الجزيرة كحران والرها وقريسيا ونصيبين فقد تحررت على يد القائد عياض بن غنم زمن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وفي هذا الوقت كانت الموصل (المدينة) قد سقطت بيد البيزنطيين سنة ٦٢٨ م عندما تمكن الامبراطور هرقل (٦١٠-٦٤٢ م) من انزال هزيمة

يتولون حكم اقليم من الاقاليم ، وهذا هو المسوّج لاطلاق لقب الشاهنشاه (ملك الملوك) على ملك ايران. (٤٧)

وتبعاً لذلك فقد كانت حدياب إحدى مقاطعات الدولة الساسانية قسمت الى استانات يدير كلاً منها موظف يدعى «استاندار» ، كما قسمت الناحية «الاستان» الى وحدات اصغر تسمى الوحدات منها (شهر) ويحكمها موظف يسمى «شهرليك» كما قسمت (الشهر) الى قرى وكان مسؤول القرية يسمى «دهيك» «دهقان» (٤٨).

وكان الملوك الساسانيون يعينون على الولايات احد افراد الاسرة المالكة لحكمها. فلقد ولي أردشير الثاني إمارة حدياب ، وكان هذا قد ارتقى العرش الساساني فيها بعد (٣٧٩-٣٨٣ م) (٤٩).

كان حكام الأقاليم هؤلاء والاداريون الكبار ملتزمين بدفع الضريبة الى الحكومة المركزية ، كما كان عليهم في حالة نشوب الحرب مع دولة أخرى أن يضعوا القوات التي يتولون قيادتها (وهم من سكان الأقليم) تحت تصرف القائد العام للجيش الساساني المعروف باسم (أصباهد) ، فيتكون من هذه الجيوش القطاعية للأقاليم الجيش الساساني ، إضافة الى القوات الملكية الخاصة في العاصمة. (٥٠)

لقد كان لحدياب أهمية كبيرة بفضل موقعها الممتاز على طرق القوافل التجارية ، وكانت تعرف في القديم باسم (أربليس) أو باسم الزابين لانها تقع بينها «فكان يقال لها أديابين وحديب عند اهل الشام وهو نفس الاقليم الذي سماه جغرافيو العرب أرض أربل». (٥١) وكانت اربل مقر الولاية الذين يعينهم ملك ايران على هذه المنطقة ، وكان نفوذ هؤلاء كبيراً حتى يظهروا وكأنهم شبه مستقلين ، خاصة عندما يكون ملك الملوك ضعيفاً أو تسود الاضطرابات في الدولة. (٥٢)

وطبقاً للنظام الاقتصادي الاجتماعي الساساني فقد كان سكان المنطقة من الحرايين الاقنان ، وكانوا يشكلون صنف المشاة السيء الصيت في الجيش الساساني ، حيث كانوا يلوذون بالفرار عند اول

ساحقة بالساسانيين في المعركة التي دارت رحاها بالقرب من نينوى سنة ٦٢٨ ففر كسرى ابرويز الى مدينته دستجرد ، ومنها الى سلوقية حيث قاد ابنه شيرويه انقلاباً عليه وقتله سنة ٦٢٨ م. ثم صالح هرقل وانتهت الحرب لصالح البيزنطيين بحصولهم على الموصل (٥٣) غير ان البيزنطيين لم يكتب لهم البقاء في الموصل الا بضع سنوات حيث عاجلتهم جيوش التحرير العربية سنة ١٦ هـ بقيادة ربعي بن الافكل العنزي فحررتها من البيزنطيين.

حدياب :

تعد حدياب إحدى المناطق التي تهتما دراستها ضمن موضوع «الموصل تحت الاحتلال الساساني» وذلك بسبب امتداد نفوذها كامارة أو مملكة في العهد البارثي الى الموصل وسنجار ونصيبين ، ولقربها من الموصل (من الناحية الجغرافية).

كان سكان حدياب في عهدي السيطرة البارثية والساسانية من الآراميين ، وهم احد الاقوام العربية القديمة التي استوطنت العراق. وقد قامت إمارة أو مملكة في العهد البارثي تمكنت من بسط نفوذها على جزء من أرمينيا ، فضلاً عن المناطق المحصورة بين الزابين الاعلى والاسفل ، كما امتد نفوذها ليشمل الموصل وسنجار ونصيبين ، ويحتمل ان تكون الحضر قد خضعت هي الأخرى لنفوذ حدياب في بداية نشأتها. وقد كانت أربيل قاعدة هذه المملكة. (٥٤)

ويشير سليلان صانع الى أن ملك حدياب كان قد وقف الى جانب أردشير في اثناء تمرد الأخير على الدولة البارثية ، ودارت بين الجانبين حروب انتهت بهزيمة الملك البارثي وانتصار أردشير الذي أسس الدولة الساسانية باعلان نفسه «ملك للملوك» (٥٥)

وطبقاً للنظام الاداري الساساني الذي قام على تقسيم المملكة الى ولايات او مقاطعات يحكم كلاً منها موظف كبير يسمى «ستراب» Satrap, Sharraban أو (بيدخش bidhakh). ثم حصل تغير في التسمية فظهر منصب «المرزبان marzban» اعتباراً من عهد بهرام جور (بهرام الخامس) ٤٢٠-٤٣٨ م. (٥٦) كما كان لقب ملك (شاه) يستند الى بعض افراد الشهوداران الذين

اشتباك مع الجيوش الأخرى (الرومانية والبيزنطية خاصة) (٥٢).

وربما كان عدم توفر روح الاقدام والصمود لديهم ناتجاً عن قناعتهم بأنهم يقاتلون من أجل رفعة ومجد اناس غرباء عنهم ، لم يوفروا لهم أبسط مقومات الحياة. كما أن انتشار النصرانية بين هؤلاء أدى الى عدم اخلاصهم في القتال. فهناك اشارة وردت عند كريستنس تفيد أن يزدجرد الاول (٣٩٩-٤٢٠ م) طرد النصارى من جيشه قبل بدء المعركة مع ملك الجول لانتعاه بعدم اخلاصهم في المعركة. (٥٣) لقد كانت حدياب اولى مناطق العراق التي دخلتها النصرانية منذ القرن الثاني للميلاد، (٥٤) وقد كان لسوء الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية لبعض سكان حدياب

اثره في تقبل الدين الجديد. كما أن هذا الدين ظهر في منطقة عربية لها نفس العادات والتقاليد والقيم والمثل الاخلاقية السائدة لديهم. كما نجد عزوفاً بين عرب سكان العراق عن اعتناق الزرادشتية لما فيها من مبادئ تتناقض مع قيمهم الاجتماعية كتحلل الزواج بالمحارم (الأم، البنت، الأخت، بنت الأخت ، بنت الأخ الخ....). لذا فقد شنت السلطة الساسانية حملة اضطهاد ضد النصارى في عهد سابور الثاني (٣٠٩-٣٧٩ م) سميت بالاضطهاد الأريبعي (٣٣٩-٣٧٩ م) فشملت هذه الحملة حدياب في عهد حاكمها «قرغ» الذي أصبح والياً عليها سنة ٣٥٩ م. وقد امتد نفوذ حدياب في عهده من نهر ديال الى نصيبين. ويقال بأن قرغ قام بهدم بيوت النيران المجوسية في حدياب وبنى كنائس في مكانها، فلما بلغ الخبر سابور امر بإلقاء القبض عليه ثم اعدم قتلاً بالحجارة بعد محاصرته في حصنه. (٥٥) كما شنت حملات اضطهاد أخرى ضد النصارى في عهود أردشير الثاني (٣٧٩-٣٨٣ م) وسابور الثالث (٣٨٣-٣٨٤ م) وبهرام الرابع (٣٨٤-٣٩٩ م) (٥٦). وفي بداية عهد يزدجرد الاول (٣٩٩-٤٢٠ م) نعم النصارى بالأمن

والسلام وسمح لهم ببناء كنائسهم التي دمرت في اثناء فترة الاضطهاد، وعمل على عقد مؤتمر ديني لحل الخلافات والمنازعات الدينية، وعقد هذا المؤتمر سنة (٤١٠ م) في المدائن وحضره أسقف أربيل وأسقف آمد وأسقف سنجار. (٥٨) غير انه عاد فأخذ يضطهدهم بعد قيام احد القساوسة باطفاء النار في احد المعابد. (٥٩)

وفي عهد بهرام جور (بهرام الخامس) (٤٢٠-٤٣٨ م) قامت موجة أخرى من الاضطهاد ثم نشبت الحرب بين الساسانيين والبيزنطيين، غير أن الساسانيين لم يتمكنوا من تحقيق اي نصر على البيزنطيين بل اضطروا على التوقف في نصيبين. فعمدت اتفاقية سلام بين الجانبين تضمنت تعهد الساسانيين بمنح النصارى في الاراضي التي يحتلوها حربتهم الدينية. (٦٠)

في اواخر القرن الخامس الميلادي كانت القبائل العربية في الجزيرة ، بما فيها الموصل ، تخضع لنفوذ الحاكم الساساني في حدياب ، وربما لاسباب سياسية ، شجع الساسانيون هذه القبائل على شن غارات على البيزنطيين في بلاد الشام ، وكانت قبيلة طي احدى أكثر هذه القبائل اثراً في هذا الميدان ، فطالب البيزنطيون الفرس بدفع تعويضات عن الخسائر التي لحقت بهم من قبل طي وبعض القبائل الجنوبية الأخرى. (٦١) غير أن الساسانيين احتجوا بأن بعض القبائل العربية الخاضعة لنفوذ البيزنطيين قد سبق لها أن اخذت ماشية واسرى «من بيت ياجرمي وادباينه (حدياب) ونيوى» (٦٢)

والظاهر ان اضطهاد النصارى قد توقف في عهد كل من قباد وابنه انوشروان. وربما يعود ذلك الى تحول كبير نسبياً لنصارى ابران والعراق نحو المذهب النسطوري. وقد بقيت كنيسة اربيل مخصصة للأرثوذكسية حتى نهاية القرن الخامس ، حيث اخذت تتجه نحو النسطورية منذ منتصف القرن السادس الميلادي (٦٣).

* ويمكننا اعتبار التحول المذهبي لنصارى العراق والشام ومصر نحو النسطورية بالنسبة لنصارى العراق والمونوفيزية بالنسبة لنصارى الشام ومصر. بمثابة تحدٍ ثقافي للاحتلال الاجنبي. وكان هذا واضحاً في الشام ومصر بصورة خاصة. ولدنيا اشارة يذكرها كريستنسن عن هذا التحول المذهبي قوله «وقد كان اولئك (أي النساطرة) وهؤلاء (أي المونوفيزيت) جهة واحدة ضد الآريين. وكان الفرقان يفضاهم، ولكنها في الوقت نفسه كانا يتخاصمان»^(٦٤).

وفي عهد كسرى انوشروان شن الموبذان- موبذ حملة اضطهاد على النصارى ولكنها على ما يبدو كانت محدودة وانصبت على الزرادشتيين الذين تركوا دينهم واعتنقوا النصرانية^(٦٥). كما ان كسرى انوشروان نفسه تعهد للامبراطور البيزنطي جستنيان بموجب الاتفاقية التي عقدت بينها سنة ٥٦٢ م منح النصارى في ايران التمتع بحريتهم الدينية شريطة ان لا يقوموا بأية اعمال تبشيرية^(٦٦). ومن المرجح ان القصد من هذه العبارة عدم التبشير بالنصرانية بين المجوس. وفي عهد هرمزين كسرى انوشروان (٥٧٩- ٥٩٠ م) نعمت النصرانية بالسلام والامان فقد نسب لهرمز قوله «لاقوم للملكنا ولثابت له مع استفسادنا من في بلادنا من النصارى»^(٦٧).

وعندما أعلن الامبراطور هرقل (٦١٠- ٦٤٢ م) الحرب على الساسانيين اصبحت الاقسام الشمالية من العراق بما فيها حدياب والموصل ساحة للمعارك بين الجانبين. ولا يمكن تجاهل ما خلفته هذه الحرب من دمار وخراب. فلقد زحف هرقل نحو العراق قادماً من آذربيجان متخذاً طريق (شنو- راوندوز) فاحتل اربيل وكركوك ثم اتجه نحو الموصل وبالقرب من نينوى انزل الهزيمة بكسرى ابرويز ففر الى دستجرد سنة ٦٢٨ م. ثم هرب الى سلوقية الا، ان ثورة تزعمها ابنه شيرويه نجحت بالقضاء القبض عليه ثم اعدامه^(٦٨). وكانت هذه الحرب هي آخر حلقات ذلك المسلسل الدموي بين الساسانيين والبيزنطيين.

وختاماً نقول ان الصراع الساساني- البيزنطي كانت له ابعاد مدمرة في العراق والشام. فلقد كانت نسبة من الجيش الساساني، صنف المشاة، من سكان العراق وهم بلاشك من الحرائين الاقنات، وكانوا يعيشون في حالة من التردّي الاقتصادي والثقافي والاجتماعي. وما ان تشب الحرب بين الساسانيين والبيزنطيين الا ويجدون انفسهم جنوداً تحت رياسة صاحب الاقطاع. وهكذا فانهم كانوا يشتركون في الحروب ويموتون دون ان يحصلوا على اية فائدة. كما كانت بلادهم (العراق والشام) ساحة هذه الحروب. فأصابها من الخراب والتدمير الشيء الكثير سواء كان ذلك في الجانب البشري او في الممتلكات. وتلك هي نتيجة طبيعية عندما تتحول ارض شعب الى ميدان للتلز بين خصمين كلاهما لا يشعر بأية رابطة تربطه بأهل ذلك البلد سوى رابطة الاحتلال.

- الحضرة -

الموقع :

تقع الحضرة الى الجنوب الغربي من مدينة الموصل على مسافة ١١٠ كم، وهي في بادية لم تتوفر فيها المياه الجارية، ولم تكن امطارها وفيرة، مما أدى الى قلة المزروعات فيها وتدهورها. وهي بذلك شبيهة باخواتها مدن الصحراء الاخرى كتدمر في سوريا والبتراء في الاردن^(٦٩). ومع ذلك فقد تمت الحضرة وازدهرت بسبب موقعها المناسب على طرف البادية الفاصل بين اعظم دولتين اقتسمتا العالم القديم منذ القرون الاولى للميلاد، وهما الامبراطورية الرومانية والدولة البارثية^(٧٠). وهناك عامل آخر زاد في ازدهار الحضرة وهو وقوعها على طرق القوافل التجارية، حيث كانت التجارة القادمة من الخليج العربي تنقل الى المواليء الشرقية الواقعة على سواحل البحر المتوسط^(٧١).

تتمتع الحضرة بمحيط طبيعي ساعدت على نموها وازدهارها. فمن الشرق كان يحدها نهر دجلة، ومن الغرب نهر الفرات، ومن الشمال جبال سنجار، ومن الجنوب المدائن. غير ان نفوذها تجاوز هذه

المنطقة في بعض الفترات لتمد شمالاً الى الخابور ونصيبين^(٧١).

ولم تكن الحضرة زمن الاشوريين سوى قرية نشأت على تجمعات مياه الامطار التي تنساب الى الحضرة او تسير تحت الارض في سرب لتظهر في البوق التي تكثر في اطراف تلك القرية ، فأصبحت هذه القرية مركز تجمع للقبائل العربية المتجولة في هذه البوادي ، فأخذت تستقر فيها وخاصة في موسم الربيع لكثرة المراعي حولها . ثم أنشأوا لهم بيتاً للاصنام فأصبحت بذلك بمثابة العاصمة الاقليمية للقبائل الاخرى في المنطقة ، فبدأوا يحجون اليها ويقدمون النذور ويذبحون الذبائح في بيت الاصنام هذا ، وعبدو الشمس فصارت أشهر آلهتهم^(٧٢) . ونتيجة لوجود المعبد واستمرار تدفق وجود القبائل العربية في تلك البوادي فقد توسع هذا المستوطن ، ولأسيا بعد غزو الاسكندر المقدوني (٣٣١ - ٣٢١ ق. م) لبلاد الشرق ، حيث ادى ذلك الى تأسيس العديد من المدن ، وظهور شبكة من طرق المواصلات ، تخرج من بابل الى مختلف الجهات^(٧٣).

ولما قامت الدولة البارثية بالعراق بعد سنة ١٢٦ ق. م أصبحت الحضرة تتمتع باستقلال ذاتي لكنها كانت أقرب الى الاستقلال . وقد رضي البارثيون للحضرة بهذه المكانة بسبب حمايتها لطرق القوافل التجارية الى بلاد الشام ، والافادة منها دولة حاجزة بينهم وبين الرومان وضبطهم للقبائل العربية التي كانت تتجول الى الغرب من دجلة باتجاه بلاد الشام^(٧٤).

ومن المرجح ان العوائد المالية التي حصلت عليها الحضرة بسبب حمايتها للقوافل قد ادى الى ازدهار العمران فيها ، فأثارها تدل على وجود مبان كثيرة ومعابد فخمة مشيدة بالحجر ومزينة بزخارف وتماثيل دلت على عبقرية بنائها ، ولا تزال بقايا هذه المدينة شاخصة حتى يومنا هذا تحكي لنا قصة الحضريين ودورهم في التاريخ .

ويرى فؤاد سفر: ان توسع مدينة الحضرة وزيادة اهميتها يرجع الى امرين : الدين والعامل العسكري ، ولما يعزز هذا الرأي ، كما يرى سفر كثرة المعابد الموجودة في الحضرة ومناعة اسوارها واستحكاماتها^(٧٥).

وقد حكم الحضرة عدة ملوك شهدت الحضرة على ايديهم المزيد من التقدم والازدهار وكان ابرز ملوكها ولجش الذي يظن انه اول من تلقب بلقب «ملك العرب» اي ملك سكان بادية العراق ، ثم حكمها «سنطرق» حوالي سنة ١٦٤ م ، فضرب النقود ، وشيد المعبد المربع ، كما حكم عبد سميا الذي قاد الدفاع عن الحضرة بوجه الامبراطور الروماني سفيروس الذي حاول اقتحام الحضرة سنة ١٩٧ م . غير انه فشل في ذلك بسبب الدفاع المستميت لسكانها واستخدامهم قذائف النار ، ورمي سهمين اثنين في كل تصوب فأوقعوا بذلك خسائر فادحة بجنود الامبراطور بما فيهم حرسه الخاص^(٧٦).

حكم الحضرة بعد ذلك سنطرق الثاني ، بعد أبيه عبد سميا ، فامتد نفوذ الحضرة الى الخابور وعبر الفرات ، مما جعله يلقب نفسه «المظفر ملك البلاد العربية»^(٧٧) . ويبدو ان سنطرق هذا كان آخر ملك من ملوك الحضرة.

كان قيام الدولة الساسانية سنة ٢٢٤ او ٢٢٦ م حدثاً مشؤوماً ليس على الحضرة وانما على عموم العراق والشام والسواحل الشرقية من الخليج العربي واطراف الجزيرة العربية .

فما ان وطّد اردشير حكمه بعد قضائه على البارثيين حتى اندفع في مهاجمة الحضرة . غير انه لم يتمكن من دخولها ففرض الحصار عليها . لكنها صمدت حتى اضطر اخيراً الى الانسحاب وهو يجر اذيال الخيبة والفشل^(٧٨).

وقد ظهرت الحضرة مرة ثانية على مسرح السياسة الساسانية وذلك سنة ٢٤٠ م .

احتلال الحضر وسقوطها:

والظاهر ان قادة الفرس لم يتمكنوا من التصدي للقوة المهاجمة او ملاحقتها. فلما رجع سابور، وقبل انه كان في غيبة له في خراسان، اخبر بان ملك الحضر قد هاجم مملكته^(٨١).

بدأ سابور استعداداته لمهاجمة الحضر، وعباً جيشه وسار نحو الحضر، فلما علم سنطرق، ملك الحضر، بمقدمه دخل حصنه فتحصن فيه^(٨٢). فلم يكن امام سابور سوى فرض الحصار على الحضر. وقد استمر هذا الحصار سنة تقريباً من ١٢/ نيسان/ سنة ٢٤٠م الى ١/ نيسان/ سنة ٢٤١م. حيث استسلمت الحضر، حسبما جاء في وثيقة اكتشفت حديثاً في مصر^(٨٣). ودخلها سابور واكتفى باسر ابنائها واخذ كنوزها غير انه لم يخرب المدينة ولذلك بقيت حتى اليوم محفوظة بعمارتها سوى ماتمكنت منه يد الايام^(٨٤).

لقد ورد في معظم المصادر العربية ان ملك الحضر الذي حاصره سابور هو «الضيزن» او الساطرون^(٨٥). غير ان الكتابات التي عثر عليها في الحضر لم تشر الى ملك بهذا الاسم. لقد سبقت الإشارة الى ان الحضركانت قاعدة للقبائل العربية التي تتجول في البادية ومن بعض ابيات في الشعر الجاهلي وردت اسماء بعض هذه القبائل مثل اباد قضاة، كما يشير الطبري الى قبيلة بني حلوان^(٨٦). وقد صادف دخول بعض هذه القبائل قيام الدولة الساسانية او قبلها، فلما قضى على البارثيين واقام اردشير دولته كرهت، كما يقول الطبري، «كثير من تنوخ ان يقيموا في مملكته، فخرج من كان منهم من قبائل قضاة... فلحقوا بالشام الى من هنالك من قضاة^(٨٧)».

فيبدو ان سابور قد اغار عليهم فانهزموا أمامه ولجأ احد شيوخهم وهو الضيزن التنوخي الى ملك الحضر سنطرق فاحتسب باسوارها وقبول برضى من ملك الحضر كما حاربوا سوية سابوراً خلال الحصار. الامر الذي احدث التباساً لدى المؤرخين العرب^(٨٨). اما الساطرون فيبدو انه تحريف

من المعروف ان سابور الاول بن اردشير قد توج سنة ٢٤١ م وهناك اشارات تفيد بانه توج قبل وفاة والده، وقد يعود ذلك الى العجز والشيخوخة التي بلغها اردشير في اواخر حياته^(٨٩). فاذا كان الامر كذلك فيكون سابور قد هاجم الحضر ووالده مازال حياً.

تعد سياسة سابور الاول (٢٤١-٢٧٢م) استمراراً لسياسة ابيه اردشير، كما انه افاد من حالة الاستقرار التي وفرها له ابوه عند توليه العرش. لذا بدأ سابور بعد العدة لمهاجمة الحضر مرة اخرى فيحقق لنفسه ماعجز ابوه اردشير عن تحقيقه، ولا يخفى ما يحقق مثل هذا النجاح من السمعة والشهرة لسابور.

وفي الجانب الاخر نجد ان مملكة الحضر لم تعد مطمئنة على استقلالها في ظل السياسة التوسعية الجديدة للدولة الساسانية والتي بدت واضحة للعيان في محاولة اردشير الفاشلة لاحتلالها. لذا فقد قام ملك الحضر بغزو السواد وشهر وزور اللتين كانتا ترزخان تحت وطأة الاحتلال الساساني. وليس لدينا ما يشير الى اي اتفاق بين ملك الحضر واية دولة خارجية (الامبراطورية الرومانية مثلاً) لتوجيه ضربة للساسانيين في هذا الوقت، كذلك لم يقيم اي دليل على تعاون قوى محلية مع ملك الحضر في هذا الوقت لمحاربة الساسانيين. ويبدو ان ملك الحضر اعتمد على امكاناته الذاتية، وربما اراد ان يوحي للساسانيين ان الحضر القوية لا يمكن ان تخيفها اية قوة اخرى. خاصة وان الحضر سبق لها الصمود بوجه الرومان ثم اردشير. ويبدو ان الهجوم الذي قام به ملك الحضر كان سريعاً ومفاجئاً اسفر عن مقتل عدد من رجال الدين المجوسي، كما جاء بهذه الايات للشاعر عمرو بن الة القضاعي^(٩٠):

لتيانهم يجمع من غلاف وبالخير. الصلادة الذكور
فلاقت فارس منا نكالاً وقتلنا هرايد شهرزور
دلقتنا للاعاجم من بعيد يجمع كالجزيرة في السعير

يعلل فؤاد سفر اسباب عدم نهوض الحضرة على انه راجع الى عاملين هما الدين والعامل العسكري ، وهما نفس السببين اللذين يعدهما اساس قوة الحضرة ، كما مر معنا سابقاً .

فاهتمام الحضريين بالدين كان كبيراً ويتجلى في كثرة العابد الموجودة في الحضرة وكثرة ما فيها من اصنام ، غير ان تغييراً قد طرأ على معتقداتهم الدينية ، كما يرى سفر ، بظهور الزرادشتية « كدين رسمي لجميع الشعوب الخاضعة لحكم الساسانيين ، وتغلغل المسيحية فيما بعد الى وادي الرافدين من الغرب فلم يبق لأصنام الحضرة ومعبادها مفعولها السابق » (٩٦)

اما فيما يتعلق بالعامل الثاني وهو العسكري ، فانه يرى انه « لم تبق للحضرة اهميتها العسكرية للتبدل الحاصل في الحدود بين الامبراطوريتين ، ولضعف الرومان بانتقال مركز الحكومة من روما الى بيزنطة ، تلك التبدلات التي اوهنت نفوس الرومان وافقدتهم الشيء الكثير من شموخهم العسكري ، ولاسيما بعد تلك الخسارة الساحقة التي سقط فيها الجيش الروماني ومعهم امبراطورهم فاليريان في الاسر في يد سابور الاول سنة ٢٦٢ م » (٩٧)

اما بالنسبة للعامل الاول فنحن لانتفق مع فؤاد سفر في تعليله لعدم نهضة الحضرة . فمن المعروف ان الديانة الزرادشتية لم تنتشر بين العرب وذلك لما فيها من اباحة الزواج بالمحارم ، اذ ان العرب الوثنيين كانوا يحرمون الزواج من الام او الاخت ، الخ ولذلك اقتصر اعتناقها على المحتلين الفرس ، واذا وجد من يقول بان الزرادشتية قد ظلت في العراق حتى القرن الرابع الهجري فهذا مما لاضر فيه وليس فيه حجة ، لانها فعلاً كانت موجودة ولكن بين الفرس الذين بقوا في العراق . وفضلاً عن ان الديانة الزرادشتية تبشيرية بدرجة محدودة جداً فشانها ليس شأن الاسلام والمسيحية فخلال الفترة التي نتحدث عنها كانت الزرادشتية تنعم برعاية الدولة الساسانية وحمايتها لها . فهي دين يعيش حيناً وجددت دولته . ولدينا اشارة من

لاسـم ملك الحضرة الحقيقي سنطرق (٩٨) اما عن سقوط الحضرة وانهارها فلقد كانت لها قصة في مؤلفات المؤرخين العرب .

فلقد عزت المصادر العربية سقوط الحضرة الى خيانة ابنة ملك الحضرة ويسمونها « النصيرة » ولكنهم اختلفوا على الخطة التي استخدمتها النصيرة والتي مكنت سابوراً من دخول الحضرة (٩٩) ، مما يدل على تداعي القصة واختلافها . فلم يعثر على ذكر لها ولا لابيها في كتابات الحضرة (١٠٠) .

ويبدو ان مناعة اسوار الحضرة وقوتها وبسالة سكانها جعلت بعض الناس يعتقدون باستحالة سقوطها لو لم تكن هناك خيانة ، ومن أحد أفراد البيت المالك فاصطنعوا من خيالهم وجعلوا النصيرة كبطة لهذه القصة ، وتبريراً للفشل .

لم يهن سقوط الحضرة على العرب ، لهذا نجد رثاءً من بعض الشعراء العرب لها وهذا هو الشاعر عدي بن زيد العبادي المعاصر للنعمان بن المنذر يقول (١٠١) :

وأخو الحضرة اذ بناه واذا دجـ لـه نجى اليه والخابـر
شاده مرسراً وجلسه كل سـاً فـلطـير في ذراه وكـور
لم يبه ريب المنز قـاد المـ لك عنه فبـائـه مـهـجـور
وقال عمرو بن الة القضاعي ، وكان مع الضنين : (١٠٢)

الم يحزنك والانبياء تنسي بما لاقت سراة بني عبيدا
ومصيص ضيزي وبني ابيه واحلاس الكاتب من تزيد
أتاهم بالفيلول مجللات وبلا بطلان سابور الجنود
فهزم من اواسي الحصن صخراً كأن نغاله زير الحديد
كما رثاه الاعشى ، ميمون بن قيس بقوله : (١٠٣)

الم تزل للحضرة اذ اهله بنعمى وهل خالداً من ينم
اقام به شاهبور الجنود حـولـين تقرب فيه القدم
فما زاده ربه قوة وشمل مجارده لم يقيم
فلما رأى ربه فعله اتاه طروقاً فلم يستقم
وكان دعا قومه دعوة هـلـمـوا الى اسركم قد صر
فوتوا كراماً بأبيادكم ارى الموت يمشي من يجثم
وقال ابو داراد الايادي : (١٠٤)

وارى الموت قد تدل من الحضرة ر على رب أهله الساطرون
لماذا لم تنهض الحضرة؟

سبقت الاشارة الى ان سابوراً عندما دخل الحضرة اكتفى باسر سكانها ، ولم يخرج المدينة اذن لماذا لم تنهض الحضرة ، وما هي الاسباب التي جعلت رقتها ابدية؟

كريستنس جاء فيها «وكان رجال الدين الزرادشتيون شديدي التعصب ولكن مثار تعصبهم كان لاسباب سياسية خاصة. ولم يكن الدين الزرادشتي دين دعاية فلم يكن رؤساؤه مملوئين بالحماس لبث سعادة الارواح في العالم كافة ولكنهم ادعوا السيادة المطلقة في داخل حدود الدولة...» (٩٨)

اما بالنسبة للمسيحية فليست لدينا اية دلائل على انتشارها في الحضراوين القبائل العربية المتقلة في البادية خلال هذه الفترة. واذا قلنا بان احد المبشرين قد ذهب الى البدو في منطقة الموصل للتبشير بالمسيحية فان النجاح الذي حققه لا يكاد يذكر ان لم يكن شبه معدوم. وعلى العموم فان التغير الديني كان بطيئاً ولا يمكن ان تكون القبائل العربية القريبة من الحضرة قد اعتنقت الزرادشتية او المسيحية بهذه السرعة التي اعقبت سقوط الحضرة.

اما العامل العسكري: فيمكن اعتبار التبدل الحاصل في الحدود بين الامبراطوريتين الساسانية والرومانية مقبولاً. فلم تعد الدولة الساسانية بحاجة الى الحضرة كدولة حاضرة مع الرومان. وهذا ناتج عن شعور الساسانيين بالقوة، وتطلعاتهم واهدافهم التوسعية على حساب الرومان لم تكن خافية على العيان، على نقیض البارثيين الذين تركوا للحضرة حريتها وابقوها شبه مستقلة طالما ظلت حاضرة بينهم وبين الرومان. غير ان قول المرحوم سفر بان انتقال مركز الحكومة الى بيزنطة او هن نفوس الرومان وافقدهم الكثير من شموخهم العسكري خاصة بعد اسر الامبراطور فاليريان وجيشه على يد سابور الاول موضوع للمناقشة:

فسقوط الحضرة كان سابقاً على انتقال العاصمة من روما الى بيزنطة بحوالي مائة سنة وهي حقبة تكفي للنهوض لو كانت عوامل النهضة للحضريين متوفرة وميسورة لهم. كما ان هزيمة فاليريان كانت قبل انتقال العاصمة الى بيزنطة بحوالي ثمانين سنة، فكيف يكون هذان العاملان سبباً في عدم نهضة الحضرة؟

من المرجح ان قوة الدولة الساسانية كانت السبب الذي جعل سقوط الحضرة ابدياً، لانها طيلة حكمها الطويل ظلت متاسكة وقوية الى ما قبل سقوطها على يد العرب المسلمين. لهذا فلم تتمكن اية قوة محلية التصدي لها والخروج على سلطانها، كما انها ظلت على الصعيد الخارجي قوة مرهوبة حتى في نظر اقوى اعدائها وهم البيزنطيون.

وبالنسبة لنفسه يمكننا ان نفسر عدم نهوض تدمير والبراء بعد سقوطها على يد الرومان فطالما ظلت الدولة قوية فلا يمكن ان تسمح بظهور قوة سبق لها ان سحقها وخاصة عندما تكون مثل هذه الكيانات مختلفة قومياً عن الدولة الكبرى المحتلة. كما هو الحال في البراء والحضرة وتدمر.

الخاتمة

وختاماً فان الموصل كما ظهر من هذا السرد لأحوالها وظروفها وحياتها تحت وطأة الاحتلال الساساني قد اصابها الكثير من الحيف، ونزلت بساحتها الفواجع والنواب:

(١) فلقد قضى الساسانيون على مملكة الحضرة العربية بعد فترة وجيزة من قيام دولتهم لاثريد على عشرين سنة.

(٢) ولكثرة حروب الساسانيين، نتيجة النهج التوسعي العدواني ضد جيرانهم فقد استخدم سكان الموصل وبقية سكان المنطقة محاربين في جيوشهم وكان اكثر هؤلاء من الفلاحين الاقنان الفاقدين لأبسط مقومات الحياة الكريمة. ولا بد أن اعداداً كبيرة منهم قد سقطت في سوح المعارك على حدود أرمينيا والأناضول وبلاد الشام.

(٣) تصدى الساسانيون للنصارى في بلاد العراق، ومارسوا تجاههم سياسة ملؤها التعسف والأضطهاد، ولقد كانت النصرانية الديانة التي اعتنقها نسبة كبيرة من سكان العراق الأصليين، لأنها ديانة ظهرت ونمت في بيئة عربية، لذا فرسالتها وقيمها ومثلها

تتسجم الى حد كبير مع المثل العربية. بل إن المذهبيين النسطوري واليعقوبي يمكن ان نلمس فيها مقومات تحد ثقافي بوجه المحتلين.

٤- نتيجة آخر حرب شنها الساسانيون ضد البيزنطيين في عهد كسرى أبرويز (٥٩٠-٦٢٨م) واحتلاله الشام ومصر، فقد قام الأمبراطور هرقل بإعلان الحرب على الساسانيين سنة ٦٢٤م. وتمكن من مهاجمتهم في عقر دارهم. فاجتاح شمال العراق راوندوز وأربيل وكركوك والموصل. ودارت المعركة الفاصلة قرب الموصل فخسرها أبرويز وانتهت الحرب سنة ٦٢٨ وعقدت اتفاقية بين الجانبين حصل هرقل بموجبها على الموصل فانتقلت الموصل من يد محتل الى يد محتل آخر، ناهيك عن الدمار الذي لحقها في اثناء الحرب وبقيت تحت وطأة الاحتلال البيزنطي حتى حررها العرب المسلمون سنة ١٦ هـ/ ٦٣٧م.

(١)

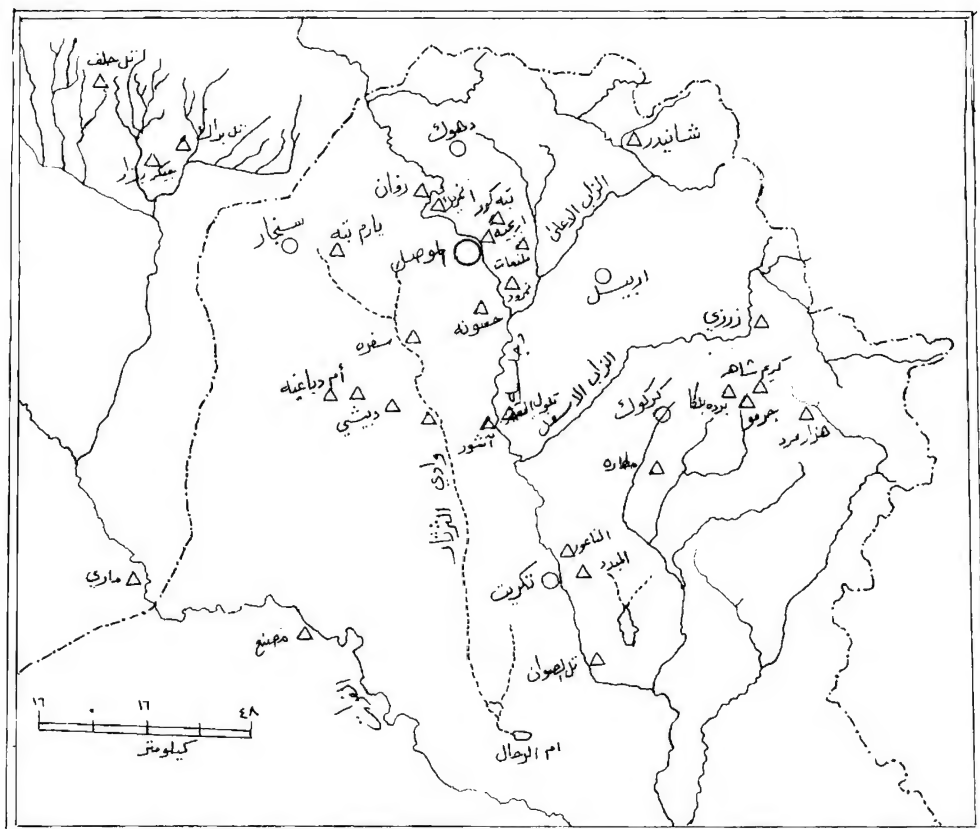
- ١- عامر سليمان واحمد مالك الفتيان: محاضرات في التاريخ القديم. مؤسسة دار الكتب جامعة الموصل/ ١٩٧٨ ص ١٩٢ وانظر: عبد الماجود احمد السليمان: الموصل في العهد الراشدي والاموي/ مطبعة جامعة الموصل/ ١٩٨٥ (ص ٢٣).
- ٢- صانع، سليمان: تاريخ الموصل، المطبعة السلفية بمصر ١٩٢٣، ج ١، ص ٤٠.
- ٣- بلنج، سرواليس: رحلات الى العراق.
- ٤- السليمان، عبد الماجود احمد: المصدر السابق ص ٢٣-٢٤.
- ٥- زينوفون: حلة العشرة آلاف: تمرب يعقوب افزام منصور- مطبعة جامعة الموصل ١٩٨٥/ ص ١٥٥.
- ٦- نفس المصدر هامش ص ١٥٥، وانظر: السليمان، عبد الماجود احمد. المصدر السابق ص ٢٣.
- ٧- صانع: المصدر السابق ج ١ ص ٤٠.
- ٨- زينوفون: المصدر السابق هامش ص ١٥٥.
- ٩- صانع: المصدر السابق ج ١ ص ٤٠.
- ١٠- الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم- طبعة دار المعارف ١٩٦١، ج ٢ ص ٤١.
- ١١- الحموي، ياقوت: معجم البلدان: دار صادر وبيروت- بيروت ١٩٥٧، ج ٢ ص ١٣٤.
- ١٢- ابن خرداذبة، ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله: المسالك والممالك- مطبعة بريل ليدن ١٨٨٩، ص ١٧.

- (١٣) الدينوري، أبو حنيفة: الاخبار الطوال. تحقيق عبد المتعم عامر. مطبعة عيس البابي الحلبي وشركاه ط ١، القاهرة/ ١٩٦٠ ص ٤٥.
- (١٤) الحموي: المصدر السابق ج ٤ ص ٢٢٣.
- (١٥) الترنجمي، محمد: المعجم الذهبي فارسي عربي: دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦٩، ط ١، ص ٥٧٥.
- (١٦) الدينوري: المصدر السابق ص ٤٣.
- (١٧) المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين: مروج الذهب ومعادن الجوهر. دار الاندلس للطباعة والنشر ببيروت/ ١٩٧٨، ط ٣ ج ١ ص ٢٣٨.
- (١٨) فؤاد سفر، محمد علي مصطفى: الحضرة مدينة الشمس: مؤسسة رمزي للطباعة، بغداد/ ١٩٧٤ ص ١٧.
- (١٩) الاسطرخي، ابواسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي: المسالك والممالك. تحقيق محمد جابر عبد العال. مراجعة محمد شفيق غريال. مطابع دار القلم/ القاهرة ١٩٦١ ص ٥٢.
- (٢٠) المقدسي، البشاري: احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، مطبعة بريل- ليدن ١٩٠٩، ص ١٣٧-١٣٨.
- (٢١) حادي، محمد جاسم: الجزيرة الفراتية والموصل. بغداد- دار الرسالة للطباعة ١٩٧٧ ص ٤٥.
- (٢٢) ابن شداد: الاعلاق الخطيرة: دمشق/ ١٩٧٨، مطبعة وزارة الثقافة ج ٣، ص ٤-٥.
- (٢٣) ابن الفقيه، ابوبكر احمد بن محمد الفهماني: مختصر كتاب البلدان- مطبعة بريل ليدن ١٣٠٣ هـ ص ١٣٥.
- (٢٤) اللدبره جي، سعيد: تاريخ الموصل- مطبعة دار الكتب- جامعة الموصل، ١٩٨٢ ص ٩.
- (٢٥) كريستنسن، آرثر: ايران في عهد الساسانيين. تمرب مجي الخشاب، دار النهضة العربية للطباعة والنشر- بيروت (د). ص ٢٠٩ وانظر: قحطان عبد الستار الحديثي وصلاح الحيدري: دراسات في التاريخ الساساني والبيزنطي: مطبعة جامعة البصرة/ ١٩٨٦ ص ٧٦.
- (٢٦) كريستنسن: المصدر السابق ص ٢١٧.
- (٢٧) نفس المصدر ص ٢٢٧: وانظر: ايمانوس مرلينوس: العراق في القرن الرابع الميلادي تمرب: فؤاد جميل، تعليق سالم الاوسي: مجلة سور مجلد ٢/ ١٧ سنة ١٩٦٦ ص ١٧٠.
- () ان تسمية الامبراطورية الرومانية بالامبراطورية البيزنطية مثار خلاف بين الباحثين. غير ان بعضهم يعد ظهور قسطنطين الكبير ٣٠٦ م- ٣٣٧م وبنائه القسطنطينية واتخاذ اللغة اليونانية اللغة الرسمية فيما بعد والاعتراف بالمسيحية عوامل مبررة لاطلاق تسمية الامبراطورية البيزنطية، على الامبراطورية التي كانت تعرف بالرومانية. انظر: عبد القادر احمد اليوسف: الامبراطورية البيزنطية، محمود سعيد عمران: معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية.
- (٢٨) صانع: المصدر السابق ص ٤٣ وانظر: بطرس نصري الكلداني: ذخيرة الادمان في تواريخ المشارة والمغارة السريان. مطبعة دير الياه الدونيكين/ الموصل/ ١٩٠٥ ج ١ ص ١٨٢- ١٨٣.
- (٢٩) الديوبجي: المصدر السابق ص ١٣.

- (٣٠) الطبري: المصدر السابق ج ٢ ص ١٤٩ - ١٥٠.
- (٣١) بيغوليفسكي، نينا فكتورفنا: العرب على حدود بينظلة وإيران من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي. تعريب صلاح الدين عثمان هاشم. الكويت ١٩٨٥ ص ١٨١.
- كردواية: لم أعثر لها على ذكر في معجم ياقوت. غير أنها كانت من الحصون الموجودة في أقصى شمال منطقة الجزيرة فقد وردت عند ألبانوس مرسلينوس باسم كردونيا Gorduena انظر: ألبانوس مرسلينوس: العراق في القرن الرابع الميلادي. مجلة سورمج ١٧/٢، ١٩٦٦ ص ١٧٠.
 - ارزناية: (أرزن): مدينة مشهورة قرب خلاط وما قلعة حصينة من عصر نواحي أرمينيا، وقوم يمدونها من نواحي الجزيرة. (ياقوت: المعجم مجلد ١ ص ١٥٠ - ١٥١).
 - عرابية: (عريان): بلدة بالخابور من أرض الجزيرة (ياقوت: المعجم مجلد ٤ ص ٩٦).
- (٣٢) الذبيح جبي: المصدر السابق ص ١٣.
- (٣٣) كريستن: المصدر السابق ص ٣٥٩.
- (٣٤) بيغوليفسكي: المصدر السابق ص ٢٢٤.
- (٣٥) نفس المصدر: ص ٢٢٤ - ٢٢٥.
- تويرين: لم أعثر لها على ذكر في معجم البلدان ولكن يذكر المعجم اسم مدينة بنفس النطق لعلها هي المقصودة وهي:
 - تَينِير: اسم لبلدين من نواحي الخابور، تينير العليا، وتينير السفلى وهما على نهر الخابور. انظر الحموي: المصدر السابق المجلد ٢ ص ٥٤.
- (٣٥) الذبيح جبي: المصدر السابق: ص ١٣، الكلداني: المصدر السابق: ج ٢ ص ١٨٣.
- (٣٦) Ibrahim, Jabir Khalil: Pre-Islamic Settlement in Jazirah-Dar Al-kutub p printing, University of Mosul, 1986, P. 86.
- وانظر: بيغوليفسكي: المصدر السابق ص ٣٢٩.
- (٣٧) بيغوليفسكي: المصدر السابق ص ٣٢٩.
- (٣٨) نفس المصدر: ص ٣٣٠.
- (٣٩) نفس المصدر: ص ٣٣٠.
- (٤٠) نفس المصدر: ص ٣٣٠.
- لا يستقيم المعنى للعبارة إلا إذا كان الحديث مع اخو دامة نفسه. فإذا كان الحديث مع انوشروان فيجب استخدام (عنه).
- (٤١) نفس المصدر: ص ٣٣٠.
- (٤٢) أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم: الخراج. المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٥٢ هـ ط ٢، ص ٤١.
- (٤٣) عمران، محمود سعيد: معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية. دار النهضة العربية للطباعة بيروت. ١٩٨١ ص ٧٣.
- (٤٤) فؤاد مفر ومحمد علي مصطفي: المصدر السابق: ص ٢٦ وانظر: صانع: المصدر السابق ص ٢٠.
- (٤٥) صانع: المصدر السابق ص ٢٣.
- (٤٦) Raux, Goerge, Leon Barkho, History of Erbil, unpublished, 1988, Paris, p. 25.
- وللمزيد من التفاصيل بشأن النظام الإداري: راجع
- كريستن: إيران في عهد الساسانيين.
- (٤٧) كريستن: المصدر السابق ص ٨٧.
- (٤٨) كريستن: المصدر السابق ص ١٨٨، ١٢٩ وانظر: Raux & Barkho, op. cit p. 25
- (٤٩) كريستن: المصدر السابق ص ٨٩.
- (٥٠) نفس المصدر: ص ١٢٧.
- (٥١) دائرة المعارف الإسلامية، دار الشعب - المجلد الثاني مادة أبريل ٥١٦ - ٥١٧.
- (٥٢) نفس المصدر: ص ٥١٦ - ٥١٧.
- (٥٣) كريستن: المصدر السابق ١٩٩.
- (٥٤) نفس المصدر: ص ٢٧٥. الجول: قبائل هونية كانت تسكن شمال جرجان. انظر كريستن ص ٢٧٣.
- (٥٥) كامل، مراد: تاريخ الأدب السرياني منذ نشأته حتى الفتح الإسلامي. مطبعة القسطنطينية. مصر ١٩٤٩. ٤٤.
- (٥٦) اسماعيل، زبير بلال: أبريل في أدوارها التاريخية - مطبعة النعمان، النجف الاشرف، ١٩٧٠، ١٠٨ وانظر: دائرة المعارف الإسلامية: المجلد ٢ ٥١٦ - ٥١٧.
- (٥٧) آدي شير: تاريخ كلدو وآثور: المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩١٣ ج ٢ ص ٩٩.
- (٥٨) بيغوليفسكي: المصدر السابق ٩٠.
- (٥٩) كريستن: المصدر السابق ٢٥٧ - ٢٥٨.
- (٦٠) نفس المصدر ص ٢٦٧.
- (٦١) بيغوليفسكي: المصدر السابق ص ٩٠ - ٩١.
- (٦٢) نفس المصدر: ٩٠ - ٩١.
- (٦٣) Raux & Barkho: Op. cit p. 29.
- (٦٤) كريستن: المصدر السابق ٢٧٧.
- (٦٥) نفس المصدر: ص ٤١٠.
- (٦٦) نفس المصدر ص ٤١١ وانظر: Raux & Barkho, op. cit p. 29.
- (٦٧) اسماعيل، زبير بلال: المصدر السابق ص ١١٠، كريستن: المصدر السابق ٤٧٤ - ٤٧٥.
- (٦٨) فؤاد مفر ومحمد علي مصطفي: المصدر السابق ص ١٧.
- (٦٩) نفس المصدر: ص ١٧.
- (٧٠) نفس المصدر: ص ١٧.
- (٧١) نفس المصدر: ص ١٧.
- (٧٢) نفس المصدر: ص ١٧ - ١٨.
- (٧٣) نفس المصدر: ص ١٧.
- (٧٤) نفس المصدر: ص ١٧.
- (٧٥) نفس المصدر ص ١٨.
- (٧٦) نفس المصدر: ص ٣٢.
- (٧٧) نفس المصدر: ص ٣٢.
- (٧٨) كريستن: المصدر السابق ص ٢٠٨، محل سالم احمد: العلاقات العربية - الساسانية خلال القرنين الخامس والسادس للميلاد. رسالة ماجستير غير منشورة / جامعة الموصل ١٩٨١ ص ١١١.
- (٧٩) الطبري: المصدر السابق ج ٢ ص ٤٦.
- (٨٠) نفس المصدر: ج ٢ ص ٤٧ - ٤٨.

- (٩٠) الطبري: المصدر السابق ص ٤٩ وما بعدها، ابن الاثير؛
المصدر السابق ج ٣٨٧ — ٣٨٨، الثعالي: المصدر السابق
ص ٤٩١ وما بعدها.
- (٩١) فؤاد سفر، محمد علي مصطفى: المصدر السابق ص ٣٤ .
- (٩٢) الطبري: المصدر السابق ج ٢ ص ٥٠
- (٩٣) نفس المصدر: ج ٢ ص ٤٩
- (٩٤) نفس المصدر ج ٢ ص ٤٨
- (٩٥) نفس المصدر ص ٤٧
- (٩٦) فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى: المصدر السابق ١٨ — ١٩
- (٩٧) نفس المصدر: ص ١٨ — ١٩
- (٩٨) كريستنن: المصدر السابق ص ٢٥٢

- (٨١) نفس المصدر: ج ٢ ص ٤٧ — ٤٨
- (٨٢) نفس المصدر: ج ٢ ص ٤٨
- (٨٣) فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى: المصدر السابق ٣٤
- (٨٤) نفس المصدر: ص ٨٤
- (٨٥) الطبري، المصدر السابق: ج ٢ ص ٤٩، الثعالي، ابو
منصور: تاريخ غرر السير في اخبار ملوك الفرس، طهران،
١٩٦٣، ٤٩١، ابن الاثير، عزالددين: الكامل في التاريخ:
دار صادر ودار بيروت، ١٩٦٥ ج ١، ص ٣٨٧ — ٣٨٨
- (٨٦) الطبري: المصدر السابق: ج ٢ ص ٤٩ .
- (٨٧) نفس المصدر: ج ٢ ص ٤٢
- (٨٨) فؤاد سفر، محمد علي مصطفى: المصدر السابق ص ٣٥ .
- (٨٩) نفس المصدر: ص ٣٥



خارطة منطقة الموصل وماجاورها

حَضَارَةُ مِثْطَقَةِ الْمَوْصِلِ فِي التَّأْرِخِ الْقَدِيمِ

الزِّرَاعَةُ فِي عَصُورٍ قَبْلَ التَّأْرِخِ

أ.د. تقي الدباع

الفواكه وجذور وبذور النباتات البرية ، والاقتصاد المنتج للطعام بواسطة زراعة الحبوب وتربية الحيوان . ويستدل على ذلك من الادلة ذات العلاقة بالشؤون الزراعية المتوفرة في الالف الثامن قبل الميلاد . فبانسحاب الجليد القطبي تغير اتجاه رياح امطار المحيط الاطلسي نحو الشمال وبدأ الجفاف يعم انحاء الشرق الادنى فنمت اصناف برية مختلفة من الحنطة والشعير في هذه المنطقة، كما وجدت الاصول الوحشية للماعز والاغنام والماشية والخنازير^(١) وتغيرت علاقة الانسان بالبيئة الطبيعية وظهرت مجالات جديدة للاستيطان اذ نزع الانسان تدريجياً من المناطق المرتفعة الى مواقع مكشوفة على شواطئ الانهار ومصباتها وعند العيون حيث استقر في القرى بجوار حقول تمكن من انبات المحاصيل والحبوب فيها وتمكن من رعي قطعان الحيوانات اللبونة بالقرب منها، ذلك لأن استمرار تناقص النباتات البرية وحيوانات الصيد عقب الجفاف لم يعد يسمح له بأن يظل معتمداً على مجرد جمع القوت فهجر الكهوف والملاجئ الصخرية والغابات بعد ان انتفت الحاجة اليها على الرغم من ان انسان هذا العصر والعصور اللاحقة ظل احياناً يستخدم

ان البحث في الزراعة في منطقة الموصل في عصور قبل التاريخ يستدعي بالضرورة توضيح نشاط الصيادين في الفترة التي سبقت الاستزراع في العصر الحجري الحديث . ويطلق علماء الآثار على هذه الفترة مصطلح العصر الحجري المتوسط، وهو عصر انتقال تدريجي من الصيد والجمع والالتقاط الى الزراعة وتربية الحيوان . صحيح ان الزراعة تمثل ثورة او انقلاباً في النظم الاقتصادية برأي كثير من الباحثين في الآثار، ولكن هذا الانقلاب لم يحدث فجأة بل ظهرت بوادره نتيجة ازمة المناخ التي تلت ذوبان ثلوج العصر الجليدي قبل ١٥٠٠٠ سنة . ومرّ الانقلاب الزراعي بمراحل تطور وثيدة . وتتضح دلائل هذا التغيير التدريجي في اقطار الشرق الادنى كالعراق وفلسطين وسورية ومصر والاناضول في حين لم تشهد اقطار اوربية واسبوية عديدة هذا الانتقال البطئ من الصيد والجمع الى الزراعة وتربية الحيوان التي استقرت اسسها في العراق في الالف الثامن قبل الميلاد وانتقلت ممارستها الى الاقطار المجاورة ثم الى اقطار بعيدة . ان هذا العصر هو في الحقيقة عصر تمهيدي توسط النظام الاقتصادي المستهلك للطعام، المعتمد على صيد الحيوانات وجمع

التي وجدت في كرم شهر^(١) ولكن مستوطنة ملفعات شيدت فيها بيوت محفورة في الارض وكانت ذات جدران مبنية بالحجارة وتباليط من الحصى والحجارة. وقد تمثل هذه الاطلال بقايا اقدم قرية عراقية في مجال الزراعة التجريبية وفي مجال المحاولات الاولى لترويض الحيوانات. اما قرية زاوي جمى^(٢) القريبة من كهف شانيدر فقد وجدت فيها بقايا بيوت وآثار تدل على ان الصيد والزراعة البدائية المحدودة كانت في مراحلها الاولى مختلطة. ويعود تاريخ هذه القرية بحساب كربون ١٤ الاشعاعي الى مايقرب من ١١٢١٧ زائد او ناقص ٣٠٠ سنة مضت.

ووجدت آثار هذا العصر في وادي النطوف بفلسطين^(٣) وعاش النطوفيون مثلما عاش معاصروهم في شمال العراق في الكهوف والمستوطنات المكشوفة، وكانت انجازاتهم تماثل انجازات سكان شمال العراق في مجال الزراعة. ولعل النطوفيين تعلموا الزراعة منهم. وفي مصر وجدت آثار هذا العصر في حلوان^(٤). وفي ايران وجدت في كهف الخرام^(٥) الذي يقع على السواحل الجنوبية لبحر قزوين وهي على العموم تشبه تلك التي وجدت في العراق وفلسطين ويعود تاريخها حسب اختبار كربون ١٤ الاشعاعي الى زمن احدث وهو ١٠٥٦٠ زائداً او ناقصاً ٦١٠ سنة مضت.

الزراعة والرعي حرفتان متلازمتان وان كان بعض الباحثين يرجح تقدم الاولى على الثانية وبعض يرجح الثانية على الاولى من حيث الزمن. وقد استقرت اسسها تدريجياً عبر زمن طويل في اقطار الشرق الادنى. وكانت منطقة شمال العراق من المراكز الاولى التي اكتشفت فيها الزراعة وروشت الحيوانات وذلك لتوفر المناخ المناسب والمياه الوفيرة والنباتات الطبيعية والحيوانات والانسان العاقل النشيط.

الكهوف كما يفعل بعض الافراد في قطرنا في الوقت الحاضر. وحصل تقدم كبير في صناعة الآلات والادوات الحجرية لتلائم الظروف الجديدة فأصبحت جيدة الصنع ومتنوعة ومتخصصة ودقيقة. واستمر هذا العصر في العالم القديم حتى حل محله بالتدريج في أزمته مختلفة العصر الحجري الحديث الذي اعتمد على انتاج الطعام. وفي اقاليم جنوب غرب آسيا تنضح آثار هذا العصر اكثر مما في غيرها من حيث القدم والتطور وخصوصاً في العراق اذ وجدت في عدة اماكن بعضها كهوف وملاجئ جبلية وبعضها على هيئة قرى ومستوطنات. وكان اول موقع اكتشفت فيه هذه الآثار هو كهف زرزي^(٦) بمحافظة السليمانية. وعثر على مخلفات ماثلة في كهف بالي كورا^(٧) بالقرب من جمجمال بمحافظة اربيل. واستخرجت ايضاً من الطبقة ب في كهف شانيدر^(٨) بمحافظة اربيل. وتبين من اختبار كربون ١٤ الاشعاعي على المواد العضوية المستخرجة من هذا الكهف انها تعود الى نحو ١٢٨٠٠ سنة مضت. ووجدت اثار هذا العصر على نحو اوضح في موقع كرم شهر^(٩) وهو مستوطن مكشوف يقع شرق بلدة جمجمال بنحو تسعة كيلو مترات. وما يشير الى قيام زراعة تجريبية محدودة ومحاولات أولية لاستئناس الحيوانات لاغراض اقتصادية في هذا المستوطن هو العثور على بعض الآلات الزراعية كالمناجل والمطاحن والمجاش والهاوين والمدقات. ولكن من المحتمل ان تكون هذه الآلات قد استخدمت في حصد وطحن حبوب النباتات البرية. فضلاً عن ذلك فان ٥٠٪ من عظام الحيوانات المستخرجة من هذا الموقع كانت لانواع اليفة دجها الانسان للارتفاع منها، ومع ذلك يظهر ان الحرفة الرئيسية لاهل هذه المستوطنات كانت الصيد والالتقاط.

وفي ملفعات^(١٠) على ضفاف نهر الخازر شمال الطريق الممتد بين اربيل والموصل وجدت آثار تشبه تلك

الاقتصاد الجديد ويمكن تخزينها بسهولة ، إذ أن عناية الفلاحين بها موسمية بحيث يبقى لديهم بعض الوقت للعمل في مجالات أخرى وهما غنيتان بالمواد الغذائية المولدة للطاقة . ان الدلائل الاثرية والنباتية تشير الى ان موطن زراعة القمح والشعير هو الشرق الأدنى وبأني القسم الشمالي من العراق في مقدمة المناطق . وكانت عدة انواع منها ينموان نمواً طبيعياً كأعشاب برية في سفوح الجبال إسهول العالية .

ويعد القمح الذي ينمو في سنابله صفان من الحبوب احاد. انواع القمح الذي انتشر نموه في الطبيعة وعرف باسم einkorn وزراعة اهل قرية جرمو في الالف الثامن قبل الميلاد . وهناك قمع تنمو في سنابله ثلاثة صفوف من الحبوب ويعد السلف البري لنوع emmer. اما القمح الذي تحمل سنابله اربعة صفوف من الحبوب فهو من نوع emmer المدجن . وكانت زراعته متيسرة اكثر من القمح الذي تحمل سنابله صفين من الحبوب . وانتشرت زراعة القمح الرباعي الصفوف في عدة مستوطنات مبكرة تعود للعصر الحجري الحديث في الشرق الأدنى مثل قرية جرمو وقرية حسونة جنوبي الموصل .



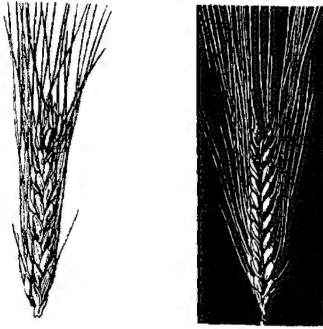
سنبلة قمع من النوع المدجن

ويظهر من آثار التدجين في اقطار الشرق الادنى وجود منطقة سهوب كانت تنمو فيها الحشائش البرية والحيوانات الوحشية . والدلائل الاثرية لانتشیر احيانا الى ان عظام الحيوانات المستخرجة من بعض المواقع الاثرية تعود فعلاً الى حيوانات داجنة، ولكن لدينا احصاءات كافية من مواقع عراقية مثل بالي كورا من العصر الحجري القديم الاعلى وكریم شهر من العصر الحجري المتوسط وجرمو من العصر الحجري الحديث تدل على تربية الحيوانات . وتظهر من ارقام الاحصائيات زيادة نسبة عظام الاغنام والماعز الداجنة من ٣٠٪ الى ٥٠٪ ثم الى ٩٥٪ على التوالي في المواقع المذكورة^(١١) . واذا اخذنا هذه الارقام بنظر الاعتبار يتضح لنا ان سيطرة الانسان على الحيوانات ذات الفوائد الاقتصادية استمرت استمراراً تدريجياً ولمدة طويلة من الزمن حتى تمت اخيراً في اثناء الاستقرار الزراعي في القرى مثل قرية جرمو^(١٢) بمحافظة اربيل سنة ٧٠٠٠ قبل الميلاد وقرية حسونة^(١٣) في محافظة نينوى سنة ٥٦٠٠ قبل الميلاد .

اما في مجال الزراعة فقد قام الانسان بزراعة كل نبتة ذات فائدة كبيرة بعد ان اخضعها للتجارب وثبت صلاحها للاكل . وربما كانت الزراعة في البداية من شأن النساء بالدرجة الاولى في حين كانت الحيوانات ترى على يد الرجال لعلاقتهن بالصيد . وكانت الاعشاب التي تنمو في الطبيعة تشمل انواعاً برية من القمح والشعير تكفي لثموها الامطار الموسمية المحلية فتنتج كميات كافية من الحبوب تشجع على الحصاد . وفضلاً عن القمح والشعير زرع فلاح عصور ما قبل التاريخ في العراق العدس والبازلياء والدخن والحمص والكتان والذرة والجذور ثم الخضروات واشجار الفواكه التي كانت في البداية تنمو في البراري . وكانت نباتات الحنطة والشعير تنموسوية في جميع مواقع العصر الحجري الحديث المبكرة وكلاهما مادة غذائية ضرورية الى

وجدت حبوب القمح والشعير وحبوب نباتات أخرى في شمال العراق ، في قرية جرمو بمحافظة السليمانية وجدت بهيمة متفحمة أو وجدت لها طبقات متميزة في الارضيات .

ووجدت الحبوب المتفحمة للقمح والشعير في قرية حسونة بمحافظة نينوى . وقد تبين من الفحوص انها تعود لنوع بدائي من القمح تحمل سنابله صفيين من الحبوب يعرف بأسم einkorn ولنوع بدائي اخر تحمل سنابله اربعة صفوف من الحبوب يعرف باسم emmer وهذان النوعان تنمو على سنابلها شعيرات كثيرة وبدكن لونها وتسقط حباتها على الارض عند نضجها لان ساق السنبله هش وينكسر بسرعة وللحبوب قشرة صلبة تحيط بنواتها بحيث لا تنطلق النواة عند الدرس الا بصعوبة . اما انواع القمح الحديثة ذات الانتاج الغزير فلا نعرف كثيراً عن تطورها من النباتات البرية سوى انها انتجت بالطفرة الوراثية والتجين وامتزاج الكروموسومات عبر زمن طويل خضعت في اثنائه الى الاختيار المقصود بانتقاء الانسان للبذور من احسن النباتات والى الاختيار الطبيعي عند تغيير احوال المناخ التي تعرضت لها الحبوب الغذائية عند هجرة الانسان من مكان الى آخر .



سنبله شعير بري

وعلى غرار القمح ، كان الشعير ينمو طبيعياً ايضاً في اقطار الشرق الادنى ويتشابك وجوده مع القمح ومع الشوفان والجويدار البري في اكثر الاحيان . وربما كان دخول الشعير الى المزرعة لاول مرة قد حدث مصادفة من حقول القمح . ويتوافر الشعير في مستوطنات العصر الحجري الحديث في نفس الطبقات المبكرة التي يوجد فيها القمح . وهناك مجموعتان من الشعير مجموعة تحمل سنابله صفيين من الحبوب ومجموعة تحمل سنابله ستة صفوف من الحبوب

واقدم شعير عثر عليه لحد الان هو شعير قرية جرمو ، وكان من النوع الذي تحمل سنابله صفيين من الحبوب ويتميز بكبر الحبة . اما الشعير الذي تحمل سنابله ستة صفوف من الحبوب فقد ظهر نتيجة طفرة وراثية عندما انتشرت زراعته في السهول الرسوبية التي تسقى بوسائل الري^(١) . وحل هذا الشعير محل الشعير الذي تحمل سنابله صفيين من الحبوب . وعلى غرار القمح هناك شعير ذو قشرة وشعير عاري بدون قشرة ومعظم الشعير الذي زرع في عصور قبل التاريخ كانت له قشرة .



سنبله شعير مدجن

الخامس قبل الميلاد انتشرت الزراعة في جميع انحاء القطر. وتعتمد بلاد اشور على الامطار الديمية ولكن فيها مساحات واسعة بين الزاين ونهر دجلة يمكن ان تزرع زراعة منتظمة ديماً وسيحاً اي من الامطار والانهار. اما المنطقة التي عرفت في العصور التاريخية القديمة ببلاد سومر واكد فالقدم الاعظم منها صالح للزراعة والرعي ولكنه يعتمد على الري من الانهار، وقد شقت فيها شبكة من الجداول والترع لسقي الحقول والبساتين ولا تزال آثار تلك الجداول والترع المندسة ظاهرة للعيان.

ان افتقار عصور ما قبل التاريخ الى الوثائق المدونة تدفع الباحث الى الاعتماد على المقارنة مع انجازات العصور التاريخية التي تمتد جذورها في اغلب الاحوال في عصور اقدم وعلى الدراسات الانثروبولوجية لمعرفة ممارسات الجماعات التي كانت الى وقت قريب تعيش في مستوى بدائي يقرب من مستوى العصر الحجري الحديث.

كانت المزرعة في بادئ الامر صغيرة المساحة جداً وهي اقرب الى حديقة فيها حقل حبوب. وكانت البذور آنذاك، اي في بداية العصر الحجري الحديث، كما في قرية حسونة وقرية نينوى وقرية ام الدباغة وقرية اريحية وقرية تبه كورا وغيرها من قرى محافظة نينوى، تبذر في قطع صغيرة من الارض وهي تكفي لاعالة اسرة واحدة اي ان رب الاسرة كان هو مالك الارض ويمرور الزمن، كما يستدل من ممارسات العصور التاريخية، اصبحت ملكية الارض مشاعة بين ابناء الاسرة الواحدة ثم اصبحت ملكية فردية. وكانت الزراعة في مراحلها الاولى حقلية اي انها خلعت من البستنة وغرس الاشجار كأشجار الفواكه المثمرة والاشجار ذات البذور. وكانت ديمية تروى مياه الامطار في المناطق الشمالية من القطر وهي كافية في العادة للانبات. ولما انتقلت الزراعة الى السهول الفيضية في الوسط والجنوب اقتضت الضرورة الاستعانة بوسائل الري

وهناك عدة انواع من الشوفان Oats والجويدار Rye التي نمت اعشاباً طفيلية في حقول القمح والشعير في جنوب غرب اسيا. ومن المحتمل انها استغلت للطعام او زُرعت بالانتقاء في قرى شمال العراق في عصور ما قبل التاريخ. وكان الحمص والعنبر الاحمر يزراعان على نطاق واسع في العصور المبكرة فالحمص زرع في قرية جرمو^(١٥) حوالي سنة ٧٠٠٠ قبل الميلاد وكذلك العنبر فقد زرع في مستوطنة جرمو^(١٦) في نفس الفترة وفي قرية جونه مامي^(١٧) بالقرب من مندلي حوالي سنة ٤٩٠٠ قبل الميلاد وزرع ايضاً في قرية خفاجي^(١٨) بمنطقة دبالى حوالي سنة ٣٠٠٠ قبل الميلاد. وزرع الكتان من اجل البافه للنسيج وللاستخراج الزيت منه في العصر الحجري الحديث ووجدت بذوره في قرية الصوان^(١٩) في زمن يعود تاريخه حسب اختبار كربون ١٤ الاشعاعي الى نحو ٥٢٩٢ زائداً او ناقصاً ١٤٦ سنة قبل الميلاد.

كما عثر على بذور الكتان في قرية الاربيجة في مدينة الموصل من زمن يعود استناداً الى تاريخ كربون ١٤ الاشعاعي الى ٥٠٧٧ زائداً او ناقصاً ٨٣ سنة قبل الميلاد واخرجت بذوره ايضاً من قرية جونه مامي^(٢٠) التي يعود تاريخها الى حوالي سنة ٤٩٠٠ قبل الميلاد.

وكانت الزراعة في العراق القديم هي حرفة غالب السكان وكانت جودتها في كل العصور تتوقف على خصوبة التربة وجهود المزارعين وحسن الري وانتظام شؤون الاسرة. وفي العصور التاريخية، كانت تتوقف على انتظام شؤون الدولة ومدى اهتمامها بالانهار والسدود. وكانت الزراعة مقتصرة في عصور ما قبل التاريخ اعتباراً من عصر جرمو (٧٠٠٠ قبل الميلاد) الى نهاية عصر حلف (٤٥٠٠ قبل الميلاد) على شمال العراق اي على بلاد اشور المتمثلة تقريباً بمنطقة الموصل الحالية. والى حد ما على وسط العراق. ومنذ عصر العبيد في منتصف الالف

السبب لم يكن اكل اللحم امراً كثير الحدوث . وكانت وجبات الطعام العادية تتكون من الحبوب المطحونة واللبن مضافاً اليها بعض البقول والخضروات والاسماك والحيوانات التي يصيدها . وفصلاً عن اللحم والحليب فقد استفاد القرويون من صوف الاغنام وشعر الماعز لحياكة الملابس ونسج المفروشات والخيام واستفادوا من الجلود في صناعة الاحزمة والاحذية والحقائب والقرب والملابس .

ويظهر ان سيطرة رجال الدين وسيادة سلطة المعبد ظهرت في اواخر عصور ما قبل التاريخ ثم اشتدت في عصر فجر السلالات وفي العصور اللاحقة . ولارب في ان الملكية العامة ، اي ملكية المعبد ، بدأت جذورها في عصر الوركاء وعصر فجر التاريخ . وكانت الاراضي الصالحة للزراعة التابعة للمعبد في العصور التاريخية على ثلاثة انواع هي اراضي الاله التي تصرف وارداتها على الطقوس والاحتفالات الدينية من قبل المعبد والكهنة المشرفين عليه ثم اراضي الكهنة واختيراً الاراضي التي تؤجر لقاء حصة من المحصول تستقطع عند الحصاد . وتتراوح هذه الحصة بين الثلث والسدس . ولايستبعد ان يكون شيء من هذا القبيل قد وجد في عصور ما قبل التاريخ ايضاً .

ان اقدم نوع من الزراعة بدأ في عصور ما قبل التاريخ ببذر البذور على ارض رطبة ترونها مياه الامطار فتنبو النباتات بالري الطبيعي دون حرث ثم استخدمت الات الحراثة فيما بعد ، فاستعملت في أول الامر العصا الطويلة الحافرة وكان الفلاحون يضعون الحبوب بايديهم في الثقوب التي تحدها هذه العصا الحافرة . وفي المناطق الرخوة كانت الارض تحرث بجاروف خشبي يقطع من غصن متشعب الفروع وكان يجره رجل بيده أو بجمل ، ثم ابتكر الحراث الخشبي الذي جره الانسان في اول الامر ثم استخدم الثور والحمار في حدود سنة ٣٠٠٠ قبل

من الانهار سباحاً وذلك لقلّة سقوط الامطار . وكان انتاج القوت في عصور ما قبل التاريخ يعتمد بالدرجة الاولى على الزراعة وتربية الحيوانات وصناعة منتجات الالبان . ونجم عن الانقلاب الزراعي نشوء الملكية الفردية اي ملكية المزرعة وادوات الانتاج والحيوانات الداجنة في المراعي .

وكان افراد الاسرة الواحدة يتعاونون على تحمل عبء جميع الفعاليات الزراعية طيلة ايام السنة اعتباراً من نشر البذور حتى تقسيم الحاصل بين افراد الاسرة . وزرعت الحقول حينما وجدت التربة الصالحة وكانوا يفضلون ما كان قريباً من القرية . اما الاراضي البعيدة او الضعيفة فقد استخدموها للرعي ، وكانت على الاربع غير مملوكة لاي شخص بل مشاعة لاهل القرية . وبقيت الاراضي المزروعة ملكاً للعائلات التي اصلحتها وحياتها للزراعة او ملكاً لافراد القبيلة مجتمعين طالما ظلت مستمرة على استغلالها . اما الاراضي التي تركت لعدة سنوات واصبحت بوراً فكانت تجدد من بعيد امتلاكها .

وكانت الحيوانات الداجنة تحفظ في حظائر مسيجة بداخل القرية او بالقرب منها ، وهذه الحيوانات هي الماشية والاغنام والماعز والخنازير . واستخدموا الحمير للنقل والكلاب للحراسة . وكانت حيوانات القرية التي هي من نوع واحد ترعى بعضها مع بعض ويشرف عليها الاطفال ويحرسها قليل من الرجال المسلحين اذا لزم الامر . وكانت بقايا سيقان الحبوب من الاشياء الصالحة لاكل الحيوانات . وفي الوقت ذاته فان فضلات هذه الحيوانات استخدمت في تخصيب التربة . وكان القرويون يملكون الحيوانات في الصباح وفي المساء . وصنعوا من الحليب اللبن الرائب والزبد منذ اقدم العصور وساعد اللبن الرائب المجفف على تخزين فائض اللبن لاستعماله في الاوقات التي تقل فيها كميات الطعام . وكانت الحيوانات الداجنة اثمن من ان تذبح الا في الاحتفالات والاعياد، ولهذا

الزراعة المذرة التي كانت تختلف كثيراً عن المذرة الحديثة . وتتألف من كف خشبية مركبة على عصا طويلة لنشر الحبوب المدروسة في الهواء في يوم يكون هبوب الرياح فيه شديداً نسبياً فيتطاير القش وتسقط الحبوب عند قدمي من يقوم بهذه العملية . وفي احد الاختام الاسطوانية نلاحظ صورة امرأة تحمل مذرة بيدها مما يدل على مساهمة المرأة في العمل الزراعي . ومن الادوات التي لها علاقة بالزراعة والتي وجدت في المواقع الاثرية مثل قرية حسونة بمحافظة نينوى وقرية مطارة بمحافظة التأميم اطلاق من الفخار ذات تزينات فخارية حادة استخدمت لفصل الحبوب عن قشورها بواسطة الفرك عند تحريكها على سطح الطبق وهناك هواوين ومجارش ومدقات وجدت نماذجها في كثير من المواقع الاثرية في محافظة نينوى وهي تدل على ممارسة الزراعة في عصور ما قبل التاريخ ، غير ان الطريقة التي يسرت انتاجاً اكبر كانت بالطحن بواسطة الرحى أو المطاحن الحجرية التي تتألف من قرصين حجريين مستديرين يدور احدهما فوق الاخر . ومثل هذه المطاحن كانت في العادة من حجر صلب تقادياً لاختلاط الحجر والطين بالطعام . وقد وجدت امثال هذه الرحى في مواقع عصور ما قبل التاريخ عموماً في العراق .

من مستلزمات الزراعة جمع حبوب غذائية كافية في كل موسم وتخزينها حتى نفوج محصول السنة التالية ، ولذلك كانت عتابر الحبوب والمخازن من المظاهر البارزة في القرى العراقية القديمة . وقد عني اهل القرى بهذه المخازن فكسوها بالجص أو القير من الداخل وغطوها بالجص والتراب لمنع دخول القوارض اليها . هذا وقد وجدت في مواقع عصور ما قبل التاريخ في محافظة نينوى وفي غيرها بقايا تنانير الخبز وهي على العموم تشبه تنانير القرى العراقية في الوقت الحاضر .

ومن الدلائل الواضحة والاكيدة على قيام الزراعة في عصور ما قبل التاريخ وجود اطلال القرى والبيوت أو الاكواخ القديمة ذلك لأن الاستقرار

الميلاد لجره ثم استخدمت الخيول لهذا الغرض في العصور التاريخية . وكانت المحارث في بادئ الامر حجرية وثبتت في مقبض خشبي وتستخدم لحرق قطعة صغيرة من الارض عندما كانت الزراعة حقلياً محدودة المساحة ثم ابتكرت المحارث الخشبية ذات النهاية المدببة . واخترع في العراق في العصور التاريخية الاولى محراث خشبي مزود بقمع وانبوب طويل يصل قريباً من الارض المحروثة ، وكانت البذور في القمع تنزل الى الارض بداخل الانبوب اثناء جر المحراث وغُلقت نهاية المحراث المدببة بالنحاس ثم بالبرونز في عصر البرونز ثم بالحديد لتكون اكثر قدرة في شق الارض . ووصلت الينا من المواقع الاثرية مثل قرية حسونة فؤوس حجرية مختلفة لاشك في أن بعضها كان يستخدم في شؤون الزراعة . وابتكر قدماء العراقيين المسحاة التي كانت في اول الامر من الحجر الصلب المهتمد الحافات ثم صنعت من المعدن في العصور التاريخية . ومن الآلات الزراعية التي جاءتنا نماذج منها من الحفريات في المواقع الاثرية القديمة انواع المناجل المختلفة منها منجل صنع من قطع عديدة من حجر الصوان أو الزجاج البركاني المسنن وجمعت كلها وبيئت بواسطة القير في مقبض خشبي مستقيم أو معقوف كالمنجل الذي وجد في قرية حسونة وقد ظهرت مثل هذه المناجل في مواقع العصر الحجري المتوسط كما وجدت في قرية جرمو . والنوع الثاني مصنوع من الفخار ابتكر منذ عصر العبيد في اريدو وفي غيرها وكان ذا حافة حادة تكتي لقطع السنابل ولكنه كان سريع الكسر .

وفي عصر الوركاء صنعت المناجل من النحاس ومرار الزمن صارت من البرونز ثم من الحديد . وفي جميع الحالات كانت سنابل الحبوب تمسك باليد وتقطع من اعلى الساق . وتلي عملية الحصاد عملية الدرس أي سحق سنابل الحبوب ، وكانت هذه العملية تتم بتسيير الحيوانات مثل الابقار والثيران عليها أو بضرها بالعصا لفصل الحبوب عن قشورها . ومن الآلات التي استخدمت في شؤون

وأفغانستان. ومن ناحية أخرى فإن فائض الغلة شجع على قيام الصناعات وممارسة بعض الحرف والوظائف، فالحدادون والفسخارون والنجارون والبنائون وصناع الاختام والأسلحة ورجال الدين والمقاتلون انسحبوا من الحقول الزراعية ومن العمل الزراعي وأصبحوا لا ينتجون الطعام بل يعرضون بضائعهم وخدماتهم على القرويين المجاورين لمبادلتها بفائض الانتاج الزراعي أي ان فائض الانتاج الزراعي مهد الطريق الى الانقلاب الحضري في المدن.

وبما ان الاحوال المناخية في القطر العراقي لم يطرأ عليها تغيير جوهري منذ العصر الحجري الحديث فان النباتات الطبيعية والمحاصيل الزراعية لم يطرأ عليها تغيير كبير ايضاً منذ ذلك الوقت. فالحبوب الغذائية الرئيسة في العراق القديم كانت، كما هي في الوقت الحاضر، الحنطة والشعير. وقد سبق ان ذكرنا انها دجنا وزرعا من اسلافها البرية التي كانت تنمو في شمال العراق وذلك باختيار احسن الحبوب وتهجين الانواع بمضاعفة الكروموسومات. وفضلاً عن الحنطة والشعير زرع قدماء العراقيين في عصور ما قبل التاريخ الدخن والعدس والباليلاء والحمص والكتان. وتشير النصوص التاريخية الى زراعة الكروم والتفاح والتين والزيتون والكمثرى والشمش والسفرجل والرمان والبنجر والثوم والبصل والبقول والكرات والرشاد والفجل والسلق والكرزيرة والزهور. واغلب الظن انها كانت تنمو طبعياً في عصور ما قبل التاريخ مثلها في ذلك مثل الفستق واللوز والجوز والبلوط والبطم والكستانة.

وفضلاً عما سبق ذكره عن الزراعة في عصور ما قبل التاريخ في المحافظات الشمالية بالقطر العراقي فاننا سنذكر فيما يأتي ملاحظات عن قرى خاصة بمحافظة نينوى مارس اهلها الزراعة وتربية الحيوان منذ الالف السادس قبل الميلاد معتمدين في ذلك

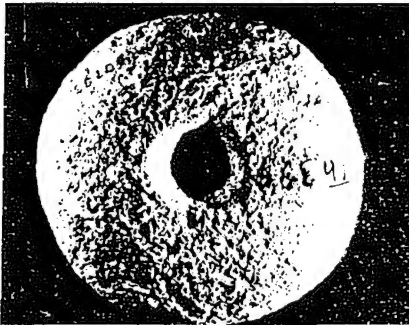
بالقرب من الحقول الزراعية كان شرطاً لازماً لنجاح الزراعة. لأن المزارع تحتاج الى عمل متواصل لتهيئة الارض وحرثها وبذرها وسقيها وحصد حاصلاتها ودرسها وتخزينها أو المتاجرة بالفائض منها. وقد تناولت معاول المتقيين في اواخر القرن الماضي وفي هذا القرن التنقيب في اطلال تلك القرى المبكرة فوجد منها الكثير في شمال العراق ومن نماذجها البارزة قرى منطقة الموصل.

كان الانتاج الزراعي في العهود المبكرة ضئيلاً، وكانت كل قرية تزرع ما تحتاج اليه من المحاصيل الزراعية. ومن نتائج ذلك ان اقتصاد العصر لم يكن فيه حافز مادي للفلاح كي ينتج اكثر مما يحتاج هو وعائلته، الا أن المزارعين لم يتبع جميعهم هذه القاعدة، ولذلك وجد بعض الفائض للمقايضة ويستدل على ذلك من وجود مواد استوردت من مسافات بعيدة بعضها من خارج القطر وقد تم استيرادها على اساس المبادلة. وعمور الزمن زاد عدد السكان واتسعت الحقول الزراعية وحدثت جملة تطورات وظهرت عدة اختراعات ساعدت على زيادة فائض الانتاج، فقد تعلم الانسان تسخير قوة الحيوانات والرياح في النقل البري والنهري واخترع المحراث فاستسعت الحقول الزراعية بعد ان كانت ذات مساحة صغيرة واخترعت عجلات العربات والزوارق الشراعية واصبحت المواصلات للاغراض التجارية وغير التجارية اكثر سرعة لجمع المواد الأولية وتركيزها وتوزيعها وصنعت المعادن التي استخدمت في عمل الآلات الزراعية وعربات النقل والأسلحة والادوات المنزلية.

ان فائض الانتاج الزراعي ربما كان يستبدل به حيوانات الصيد ومنسوجات الرعاة في داخل القطر والمواد الغريبة من خارج القطر مثل الاحجار الكريمة كالعقيق والياقوت واللازورد ومثل الاخشاب والاصداف والتوابل والطور والذهب والفضة والنحاس والقصدير والرصاص من الاناضول ومن اقطار الخليج العربي

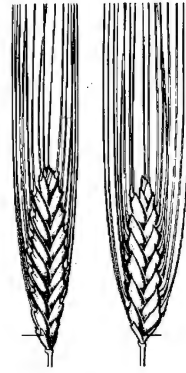
وتبين من المخلفات الاثرية التي اخرجت من هذه القرية ان القمح والشعير زرعاً من اصول برية كانت تنمو طبيعياً في المنطقة وان زراعتها في هذه القرية قد بدأت حوالي سنة ٥٦٠٠ زائداً او ناقصاً ٢٥٠ سنة قبل الميلاد حسب اختبار كربون ١٤ الاشعاعي^(٢٢). ان هذه القرية تعد ثاني اقدم قرية زراعية في العراق بعد قرية جرموهي اقدم قرية في منطقة الموصل وتدل موجوداتها على انتشار الزراعة في السهول الشالية بعد ان كانت في سفوح الجبال. واتضح ان اهل القرية دجنوا الاغنام والماعز وربما الماشية في المراعي للاستفادة من لحمها وصوفها وشعرها وجلدها وحليبها وحتى عظامها لصنع الالات.

كما وجدت بين مخلفات هذه القرية مناجل وهواوين ومطاحن ومجارش وفؤوس واطباق لفصل قشور الحبوب واثار مضارب خيام وبقايا بيوت مشيدة بالطوف.



جزء من رضى حجرية من تلزل الثلاثية

واتضح من التنقيبات الاثرية في خرائب مدينة نينوى^(٢٣) الاشورية التي تقوم في وسط مدينة الموصل الحديثة ان هذه المدينة المشهورة بعظمتها وروعها في العصور التاريخية كانت في عصور ما قبل التاريخ قرية زراعية بدائية، وتعود آثار الطبقة الاولى والثانية



مسلة قمح من النوع البري

(ا و ب) الى عصر حسونة ويرجع تاريخها الى عام ٥٦٠٠ قبل الميلاد ايضاً. وكانت الزراعة وما يتصل بها هي الى حد كبير مثلما كانت في قرية حسونة. اما الطبقة الثانية ج فتعود الى عصر حلف وتمثل على التقارير التي نشرت عن نتائج التنقيبات. والدلائل الواردة في تلك التقارير هي بذور الحاصلات الزراعية المتفحمة او التي بقيت لها طبقات في الارضيات أو جدران اللبن وعظام الحيوانات التي دجنها الانسان وعنى تربيتها في المراعي والالات والادوات الزراعية كالمناجل والهواوين والمجارش والمطاحن والمخارث والمعاول والفؤوس واخيراً البيوت أو الاكواخ التي شيدت قرب الحقول وقد وجدت كلها او بعضها في القرى الانية.

ففي قرية حسونة التي تقع على بعد ثمانية كيلو مترات الى الشرق من مركز ناحية الشورة التي تبعد عن جنوب مدينة الموصل بنحو خمسة وثلاثين كيلو متراً يسقط من المطر اثناء السنة ما بين ٢٤ - ٤٠ سنتيمتراً وهي كمية تكفي لنجاح الزراعة الدائمة للحبوب الغذائية مثل الحنطة والشعير وتروى النباتات الطبيعية مثل الشجيرات والاعشاب. ان مستوطنات محافظة نينوى الاخرى تقع ايضاً بين هذين الخططين المطريين ونجاح الزراعة الدائمة فيها اكيد.

وفي تل قرية يارم تبة الثاني^(٢٦) على بعد ستة كيلومترات جنوب مركز قضاء تلعفر في محافظة نينوى وجد المتقبن عظام الاغنام والماعز والماشية والخنازير المدجنة. كما وجدوا مناجل ومجارش وهاونات من حجر الصوان استخدمت في حصد الحبوب الغذائية وطحنها. ويعود زمن هذه القرية الى نحو ٤٥٥٠ سنة قبل الميلاد اي الى عصر العبيد الذي يمثل المرحلة الثالثة من مراحل القرى الزراعية المبكرة في عصور ما قبل التاريخ بالعراق.

وفي قرية كورا^(٢٧) (تبة كورا) التي تقع الى الشمال الغربي من مدينة الموصل بمقدار ثلاثين كيلومتراً وجدت الآت زراعية من حجر الصوان والزجاج البركاني مثل المجارش والهاونات كما وجدت تماثيل طينية لحيوانات مدجنة كالاغنام والماشية. ويعود تاريخ هذه القرية الى الالف الخامس قبل الميلاد اي انها عاشت في عصر حلف وعصر العبيد.

وفي قرية ابراهيم عزو^(٢٨) التي تقع اطلالها على بعد سبعة عشر كيلومتراً شمال غرب مدينة الموصل كشف المتقبن عن آثار عصر حلف التي تمثل المرحلة الثانية من مراحل تطور القرى الزراعية في عصور قبل التاريخ اي في الالف الخامس قبل الميلاد.

وفي تلوث الثلاث^(٢٩) وجد المتقبن آثار قرية من عصر العبيد وفي أسفلها آثار قرية تعود الى عصر حسونة.

وفي قرية الطواجنة^(٣٠) التي سميت نسبة الى قرية الطواجنة الحديثة على بعد خمسة وعشرين كيلومتراً الى الجنوب من مدينة الموصل على الطريق العام ما بين مدينة الموصل والزاب وجد المتقبن آثار قرية اغلب آثارها (الطبقات الثلاث السفلى) تعود الى عصر العبيد والطبقة الرابعة العلوية تعود الى عصر الوركاء كما وجدت اثار قرية من عصر حلف اسفل

قرية من قرى عصور ما قبل التاريخ ايضاً ولكن من زمن احدث يقرب من سنة ٤٨٠٠ قبل الميلاد. اما الطبقة الثالثة فهي ايضاً تمثل قرية عاشت قبل التاريخ ولكن في زمن احدث يقرب من سنة ٤٥٠٠ قبل الميلاد بينا تعود اعالي الطبقة الثالثة والطبقة الرابعة الى عصر فجر التاريخ فيما بين ٣٥٠٠ - ٢٨٠٠ سنة قبل الميلاد. وفي جميع هذه العصور كانت نينوى قرية يزرع اهلها الحنطة والشعير ويربون الاغنام والماعز والماشية ويعيشون في اكواخ او بيوت مشيدة بالحجارة او الطوف.

وفي قرية ام الدباغية^(٣١) التي تقع على بعد عشرين كيلومتراً الى الغرب من مدينة الحضر وجد المتقبن في اثناء حفرياتهم حبوب القمح من نوع emmer الذي تحمل سنابله اربعة صفوف من الحبوب ومن نوع einkorn الذي تحمل سنابله صفيين من الحبوب كما وجدوا الات زراعية مثل المطاحن والمجارش والهاونات مصنوعة من حجر الصوان وجدوا عظام حيوانات اليقة تعود للاغنام والماعز والخنازير والماشية. هذا فضلاً عن البقايا العمارية للبيوت والاكواخ. وتبدو اثار هذه القرية شبيهة باثار قرية حسونة ويعود تاريخها بحساب كربون ١٤ الاشعاعي الى نحو ٥٥٧٠ زائداً او ناقصاً ١٢٠ سنة قبل الميلاد.

وفي قرية الاريجية^(٣٢) التي تقع على بعد ستة كيلومترات من مدينة نينوى القديمة وهي الآن ضمن الاحياء السكنية في مدينة الموصل عثر المتقبن على حبوب القمح والشعير وعلى بذور الكتان وهي نتاج زراعة ديمية كما وجدوا عظام الاغنام والماعز والماشية والخنازير المدجنة فضلاً عن الآلات والادوات الحجرية ذات العلاقة بالشؤون الزراعية وبقايا الاكواخ. ويعود زمن هذه القرية بحساب كربون ١٤ الاشعاعي الى نحو ٥٠٧٧ زائد او ناقص ٨٠ سنة قبل الميلاد.

of the VI International Congress on Quaternary, Warsaw, 1964.

Garrod, D., The Natufian Culture: The Life and Economy of a Mesolithic People in the Near East, British Academy. Proceedings XLIII, P. 211 – 277.

Clark, G., World Prehistory, 1962, p. 64.

Coon, C., Cave Exploration in Iran, 1949; 1951, p. 20 – 32, 69 – 76.

Braidwood, R. The Near East and the Foundations for Civilization 1952, p. 26, 30, Fig. 14.

Helbaek, H., The Paleoethobotany of the Near East and Europe, in SAOC, No. 31, 1960, p. 130ff;

Reed, C. A Review of the Archaeological Evidence on Animal Domestication in Prehistoric Near East, SAOC, No. 31, 1960, P. 132 – 139.

Lloyd, S. and Safar, F., Tell Hassuna, JNES, Vol. IV, No. 4, 1945 p. 255 ff.

Cole, S., The Neolithic Revolution, 1965, p. 12.

Helbaek, H., 1960, p. 115.

Ibid, p. 115.

Oats, J., Choga Mami, 1967 – 1968, A Preliminary Rept, Iraq, Vol. 31, 1969, p. 140 – 141.

Cole, S., 1965, p. 20.

Helbaek, H. Early Hassuna Vegetable Food at Es – Sawwan Near Samarra, Sumer, Vol. XX, 1946, p. 47.

Helbaek, H., 1960, p. 115.

Oats, J., 1969, p. 140 – 141.

Lloyd, S. and Safar, F., 1945.

Thompson, R. and Mallowan, M., Prehistoric Soudage of Nineveh, 1931 – 1932, AAA, Vol. 20, 1933.

Kirkbride, D., Umm Dabaghiyah, A preliminary Report, Iraq, Vol. 34, No. 1.

Mallowan, M. and Rose, J., Excavations at Tell Arpachiyah, 1933, Iraq, Vol. 2, No. 1, 1935.

Merpet, N. and Munchajev, R., Excavations at Yarim Tepe 1970, Second Preliminary Report, Sumer, Vol. 27, 1971.

Tobler, A., Excavations at Tepe Gawra, Vol. II, Levels 9 – 20, Philadelphia, 1950.

أكرم محمد عبد كسار. عصر حلف في العراق. رسالة ماجستير غير منشورة ١٩٨٢ ص ٣٤.

Egami, N., et. al., Brief Report on the Third Excavations at Tell II of Telul Eth – Thalathat and Some Observation, Sumer, Vo. XXII, 1966.

أكرم محمد عبد كسار. عصر حلف في العراق. رسالة ماجستير غير منشورة، ١٩٨٢ ص ٣٣.

نفس المصدر ص ٣٩.

انظر خارطة دائرة الآثار والتراث للمواقع الأثرية.

القرية العبيدية. أي أن هذه القرية عاشت من سنة ٤٨٠٠ إلى سنة ٣٥٠٠ قبل الميلاد.

وفي قرية قوه تبة^(٢١) التي تقع على بعد ستين كيلومتراً جنوب تبه كورا في شمال غرب مدينة الموصل رصدت آثار تعود إلى عصر حلف وعصر العبيد في الفترة ما بين ٤٨٠٠ – ٣٨٠٠ قبل الميلاد.

وهناك مجموعة من المستوطنات منتشرة في أنحاء مختلفة من محافظة نينوى^(٢٢) لم تنقب فيها بعثات أثرية وتدل اللقى الملتقطة من سطحها في أثناء المسح والتفتيش الأثري على أنها كانت قرى مارس أهلها الزراعة في عصور ما قبل التاريخ مثل قرية سفرة وقرية الخان اللتين تعود آثارهما إلى الألف السابع قبل الميلاد. وقرية براهوي التي تعود إلى عصر حلف في أوائل الألف الخامس قبل الميلاد وقرية كركي رش التي تعود إلى عصر العبيد في منتصف الألف الخامس قبل الميلاد وقرية أبو ماريا التي تعود إلى عصر الوركاء في أوائل الألف الرابع قبل الميلاد.

الهوامش

١. ساكر. هاري. عظمة بابل. ترجمة د. عامر سليمان، ١٩٧٩ ص ٢٦.
٢. Garrod, D., The Palaeolithic of Southern Kurdistan. Excavations in the Caves of Zarzi and Hazar Merd. American School of Prehistoric Research Bulletin No. 6, p. 8 – 43.
٣. Braidwood, R. and Howe, B., Prehistoric Investigations in Iraqi Kurdistan, SAOC, No. 31, Chicago, 1960, P. 28 – 29.
٤. Solecki, R., Shanidar Cave, A Paleolithic Site in Northern Iraq and its Relationship to the Stone Age Sequence of Iraq, Sumer, Vol. XI, 1955.
٥. Braidwood, R. and Howe, B., SAOC, No. 31, Chicago, 1960, p. 28 – 29.
٦. Ibid, p. 27 – 28.
٧. Solecki, R., Zawi Chemi Shanidar, A Post Pleistocene Village Site in Northern Iraq. 1964. Report

الزراعة في العصور التاريخية

أ.د. سامي سعيد الأحمد

أهمية الزراعة :

وهو نهر فصلي تفيض مياهه في الشتاء وبداية الربيع ، ويظل جافا طوال الصيف عدا بعض أجزاء منه تغذيها مياه العيون المتسلطة اليه ، وشيدت مدينة الحضر بالقرب من بعض شعابه بهذا الوادي ، وحيث تتجمع مياه الأمطار المنحدرة او تسير تحت الأرض وتنبت في الآبار والتي ربما كان عند موقعها مدينة آشورية قد تعود الى العصر الآشوري القديم لوقوعها على أقرب طريق يصل العاصمة آشور بالغرب ومرتبطة معها خلال ممر في تلال مكحل ، وتنبع من تلال سنجار عدد من المجارى التي تتحد الى الجنوب والجنوب الشرقي الى جانب منخفضات تتجمع فيها المياه بعد سقوط المطر منها نقرة ام الذئاب الحالية قرب الحضر.

٢- منطقة السهوب :

وتقع بين الجزيرة وسفوح المنطقة الجبلية وتشمل غالب اراضي بلاد آشور ، وهي ذات تلال واطنة تغطيها الحشائش ، وتمتاز باعتدال مناخها وكثرة حبوبها وتوفر الينابيع وكفاية المطر في الشتاء والربيع لانماء محاصيل الشتاء ، في حين تحتاج المزروعات صيفا الى الارواء ، وتعد الموصل وأربيل وكركوك أكبر المدن فيها ، كما تعد المنطقة بين الموصل وأربيل أكثر الأجزاء ازدحاما بالسكان ويخترقها نهر دجلة وروافده ، الزاب الكبير والصغير ، غير ان ارتفاع الأرض بالنسبة لمستوى مياه الأنهار قلل الاستفادة من مياهها للرعي مما جعل الآشوريين يهتمون بوسائل الري وشق القنوات على انواعها وأوضح خارطة قديمة كثرة القنوات الاروائية في منطقة كاسور (كركوك) خلال العصر الأكدي .

استعرض الفصل السابق نشوء الزراعة وتطورها في عصور ما قبل التاريخ ، وأشار الى أهم المستوطنات والقرى الزراعية التي تم التقيب فيها حتى الآن ، والواقعة في منطقة الموصل . ويتناول هذا الفصل بيان تطور الزراعة في العصور التاريخية التالية ، وهي العصور التي برز فيها الآشوريون ، وسميت المنطقة باسم (بلاد آشور) ، ونظرا لسعة المساحة التي احتلتها منطقة الموصل واختلاف نسبة سقوط المطر ومساحة الأرض المزروعة في اجزائها المختلفة يمكن تقسيمها طبوغرافيا الى ثلاثة أقسام رئيسة هي :

١- منطقة الجزيرة الشمالية :

وهي عبارة عن سهل واسع يتفاوت ارتفاعه من ٥٠٠-١٠٠ قدم فوق مستوى سطح البحر ، يشتمل على عدد من الأحواض الصغيرة التي لاتصرف لها ، ويسقط المطر في شتائها بنسبة تكفي الزراعة اذا توفرت معها مياه الارواء ، وتمثل هذه في منطقة جبل سنجار ووديان نهري الخابور والبلخ وروافدها التي اكتظت بالسكان لوفرة المياه ، ويقدم قصر نرام سين ، آخر ملك قوى للسلالة الأكديّة ، عند تل براك خير مثال ، فمساحة القصر تبلغ حوالي العشرة آلاف متر مربع باربع ساحات وما لا يقل عن اربعين مخزنا عثر في ثلاثة منها على بقايا حنطة وشعير ، مما يدل على ان هذا القصر البالغ السعة قد خصص لجميع الضرائب والعشور المستحقة للدولة . ويعد وادي الثرثار الذي بداياته من مرتفعات ارض الجزيرة في الشمال والشرق المصرف الأساس للتخوم الشرقية منها باتجاه دجلة ،

٣- منطقة الوديان وسفوح الجبال :

وهي أكثر ارتفاعاً من السابقة وذات مطريكي لزراعة المحصولات ولو بانتاجية أقل. وتنمو فيها الحشائش وتكثر المراعي وتنفجر في بعض أجزائها العيون، ويمكن الحصول على المياه بمجر آبار قليلة العمق، كما تضمنت أحواضاً منخفضة مليئة بالترسبات الغرينية، جعلتها صالحة للزراعة، مثل سهلي قرّة قوش شرقي نينوى، وتلكيف شمالها والمتصل بسهل ستيك جنوب وجنوب غرب دهوك.

أدت الزراعة دوراً مهماً في حياة الآشوريين، واهتم بها الملوك وأولوها ذات الرعاية التي قدموها لقواتهم المسلحة، فلم تكن بلادهم ثرية بصورة طبيعية حيث انتج وادي دجلة الضيق مع جباله العالية نسبياً على جانبي النهر بصعوبة المحصولات الزراعية الكافية لتزويد السكان، وجعلت الآشوريين ينظرون إلى ما وراء حدودهم لتعويض النقص. ويوضح حسن اختيار الآشوريين لمواقع المدن التي اتخذوها عواصماً، وأسماء الأشهر الآشورية خاصة في عصورهم الأولى، والنصوص الاخبارية وتفسيرها وصور المنحوتات والأختام، الدور الذي أدته الزراعة في حياتهم، فقد شيدت مدينة آشور عند مصب وادي أم الشبايط بدجلة، حيث يصب نهر الزاب بالأخير، وإلى الشمال منها بقليل تتلاشى المرتفعات وتتسع السهول على جانبي دجلة الغربي، كما في جانبه الشرقي، ويمتد السهل حتى منطقة القيارة رغم أن التربة مسامية تميل طبقاتها نحو النهر، مما يقلل الاستفادة من مياهه للزراعة إلى جانب ارتفاع ضفة دجلة باتجاه المجرى. أما كلخو (نمرود) فشيدت على جانب دجلة الشرقي وشمال مصب الزاب الكبير بدجلة ووسط امتداد سهل واسع، وشملت منطقة نينوى سهولاً، وكانت سوقاً طبيعية لتبادل المنتجات بين الجبال والسهول، وكذلك دور شروكين التي شيدها سرجون الثاني.

أطلقت نصوص المراكز التجارية الآشورية بآسيا الصغرى على شهر آذار اسم شهر البساتين (كرانم) وسُمّت تموز وآب بشهري الراعي والرعية على التوالي، ونقرأ في العقود عن أشهر التذرية والحصاد، واطلق على الشهر الخامس في التقويم الآشوري خلال العصور الأولى شهر جمع البلوط والذي قد يكون بداية الربيع، لأن شهري تموز وآب مكران لجمعه، إلا إذا كان المقصود جمع من البلوط، كما نقرأ عن شهر المحراث، والشهر الذي تعمل فيه الثيران (السنّي) وشهر البطم (إذا صُحّت القراءة) والذي يدل على معرفة الآشوريين بالزراعة المتخصصة منذ وقت مبكر.

ورد في نصوص الأحلام الآشورية أحلام وتفسير ذات علاقة بالزراعة تصور مدى اهتمام الآشوريين بها أمثال (إذا رأى بالحلم بأنه يأخذ محراثاً ويبدؤوا....) (إذا رأى في الحلم أنه يأخذ محراثاً ولا يبدؤوا....) (إذا حرث الأرض بمحراث) (إذا حرث بمحراثه في مركز المدينة)، كما نقرأ في النصوص الاخبارية (عندما يكون الكوكب القمر، عند ظهور الفجر، ضمن قرن القمر الأيمن، فسوف يطغى الجراد ويأكل محاصيل الحصاد) و (عندما يكون القمر محاطاً بنهر- هالة- فعناه ان فيضانا ومطرا قويا سوف يحدثان).

ان المنحوتات والأختام الاسطوانية الآشورية مليئة بصور طقوس ذات علاقة بالخصب ووفرة الانتاج ورموز مرتبطة بها، فقد فسر الرجل التنين والرجل السمكة وغيرها، والتي نلاحظها في صور الأختام الأسطوانية بأنها يمثلان المناخ الطيب والرياح المفضلة، وفُسر الكائنات البشرية ذات الجناحين أو الأربعة اجنحة في المنحوتات الآشورية رسلاً مجنحة للقوة والصحة ترافق غنى الحصاد ووفرة في بلاد آشور، ونرى في صورة القرص المجنح متضمناً الآله القوي آشور ومياه الأمطار تنهمر منه إلى الأرض. وقد حلّ القرص المجنح محل الاناء

اهتم الملوك الآشوريون بالزراعة والرعى كثيرا، فذكر توكولتي نينورتا الأول شقه القنوات، وتعرض توكولتي نينورتا الثاني الى حفر ٤٧٠ بئراً، وأخبرنا آشور ناصر بال الثاني عن اصلاحه قناة في آشور لم تعد صالحة للملاحة منذ ثلاثين عاما، وتكلم سرجون الثاني عن حفره الأخاديد التي لم تر، حسب قوله، المحراث في أي عهد من الفترات السابقة، وعن شقه القنوات واصلاحه السدود وزرع الحبوب والبساتين، وكانت مشاريع آشور ناصر بال الثاني وسنحاريب الاروائية ذات أهمية كبرى وان الرسائل الملكية من العصر السرجوني عاجلة بالأخبار الخاصة بالزراعة ودره الأخطار عن الأراضي وحماية المحصولات.

فرسالة تنى باحتمال طغيان الجراد، وأخرى باستمرار مياه الفيضان بالارتفاع عن مدينة كوريان (قصة آشورية على الحدود الشمالية) وغيرها عن تجمع الحبوب وحراسة القطعان الملكية ونقل العلف، ونقرأ في النصوص أدعية ضد من يحنث بقسمه يدعو الآلهة بها ان تنتقم من محصولاته وتجس المياه عن أرضه، فجاء في وثيقة «اذا أذنب ماني - ايلو وأولاده ضد القسم الذي - قطعه - الى آشور نراري فعسى ان يجفف أود آباهم ويجبس عنهم المطر وأن لا ينشد الفلاحون أغنية الحصاد في الحبوب، وأن لا ينبت - في حقوله - اي نبات في الربيع»، والحواليات الآشورية مليئة بالتشابه المنتزعة من الحياة الزراعية، فقد شبهوا تقدم جيوشهم بزحف الجراد، ومثل سنحاريب امتلاء ساحة المعركة ببحث قتلى العدو بالقول «ملاؤ الحبوب بهم مثل الحشيش وقطعت أيديهم مثل بذور الخيار الناضج».

ملكية الأراضي:

ضمت القوانين الآشورية الخاصة بالأراضي احتراماً للحدود، وعلاقتها وتقسم عادل للماء الرى، فجاء في المواد ٨ - ١٠ من مواد اللوح

الفوار في المنحوتات البابلية ويرمز الأول الى الآله شمس (الشمس) الذي اعتقد العراقيون القداسى بهيمته على مياه السماء وقرن مع الآله آشور والسماء، ويظهر في منحوتة شعار القرص المجنح تنزل منه الأمطار وتحتله ملتج يرفع يديه نحو القرص لاسناده، والى اليمن اله بشكل سمكة وانسان حاملا سطلا بيد، ويشير باليد الاخرى الى القرص. وفي الجهة الثانية متعدد يمثل الآله آشور. وصور في طابوق الملك توكليتي نورتا الثاني المزجج السحاب المطر على جانبي الآله آشور، وهي جزء من صفات هذا الآله وشخصيته وذات علاقة بأثر المناخ في بلاد آشور حيث تعتمد الزراعة كثيرا على المطر، وعجت المنحوتات الآشورية وأحيانا الأختام الاسطوانية خاصة في الفترة المتأخرة بالزخرفة المعروفة بشجرة الحياة المقدسة التي قيل انها تمثل الآله آشور او النخلة،

ولكن صورة الشجرة أقرب الى شجرة الصنوبر المعروفة في المنطقة الشمالية وترتبط بها زخارف من غصون وأزهار، ويقف على جانبيها كائنان خرافيان بيد كل منها مخروطا يقربه الى الشجرة، ويحمل في اليد اليسرى سطة صغيرة، وتمثل الصورة طبقاً خاصاً، وقد فسرهما بعضهم بكونها ترمز الى عملية تلقيح النخل، غير ان عدم وجود النخل في شمال العراق يضعف هذا الافتراض، ولكن الآشوريين اعتقدوا بأن النخلة منبع الخير والبركة، اما الكائنان فهما رسل القوة والخصب يقدمان البركة والنشاط الى النخلة التي تمثل الانتاج الزراعي الجديد، وصورت في ختم من حوالي ١١٠٠ ق. م شجرة الحياة، وقد وضعت على جبل وهي تنبثق من جرة ماء فوقها القرص المجنح الذي يمثل السماء او السحب ينزل منه المطر الى جرتين، وفي ختم آخر صورة شجرة الحياة وفوقها القرص المجنح والملك ويده مخروط الصنوبر يقربه بيده اليمنى الى الشجرة وخلفه الملاك المجنح حاملا المبخرة.

الثاني مانصه "اذا تجاوز رجل على أهم ممتلكات جاره فاذا اتهم بذلك وثبتت عليه الدعوى، فعليه ان يعطي ثلث حقله بقدر ما تجاوز عليه ويقطعوا أحد أصابعه ويضرب مائة جلدة، ويسخر للملك شهرا كاملا" "واذا تجاوز جار على حصة جاره الأقل أهمية وثبتت عليه الدعوى لدى اقامة الدعوى، فعليه أن يدفع طالنا واحدا من الرصاص، ويؤخذ ثلث الحقل الذي تجاوز عليه ويجلدونه خمسين جلدة، ويعمل شهرا للملك" و "اذا حفر رجل بئرا او عمل سدا في حقل يعود لغيره فسوف يخسر بئره او سده عندما تثبت عليه الدعوى ويجلدونه ثلاثين جلدة ويعمل عشرين يوما عند الملك". فأرض كل مالك محترمة لايجوز التجاوز عليها، وضمن القانون حرمة تلك الحدود، وعاقب كل المتجاوزين، وسمح القانون لمن يغرس بستانا او حقلان ان يمتلكه اذا كان صاحبه موافقا شريطة ان يعوض الأخير بقطعة أرض أخرى.

اما اذا قام بذلك دون موافقة صاحب الأرض فان الأخير يأخذها وما أنجز عليها اذا أقام عليه الدعوى، حيث ورد في المادتين ١٢ - ١٣ من اللوح الآشوري "اذا زرع رجل بستانا او حفر بئرا او زرع أشجارا في حقل جاره لم يعرفه صاحب الحقل ودون اعتراضه، فان ذلك الرجل حر في تملك الحقل شريطة ان يعوض صاحبه بحقل مقابل حقله" و "اذا قام رجل بزرع بستان او حفر بئرا أو زرع خضراوات في أرض لا تعود له، فاذا اتهم وثبتت عليه الدعوى، فحال حضور صاحب الحقل فانه سيأخذ البستان وما قام به الرجل".

يتم بيع الأراضي بموجب وثائق بيع خاصة، وتتألف كل وثيقة عادة من مقدمة تتضمن أولا موافقة البائع وطبيعة الأرض وما عليها من فلاحين وعبيد، وثانيا وصف كامل وعبارة كون قيمة الحقل قد دفعت بالكامل، وثالثا بنود خاصة بمنح اتفاق البيع والعقوبات التي تفرض على من ينكل عن

العقد، وقائمة باسماء أناس يمكن ان يتخذوا اجراءات لذلك وما يترتب من عقوبات وأخيرا القسم والتاريخ والشهود، وتحدد عقود بيع الأرض او رهنها حدود المزرعة بالتفصيل، فتذكر الجيران والطرق والقنوات ويضع البائع ختمه أو ظفره، وينص القانون الآشوري على وجوب اعلان بيع الملاكين لأراضيهم بصورة رسمية، وعندما لا يكون ثمة اعتراض يسجل البيع بوثيقة تودع في سجلات الدولة الرسمية، ويحتم استخدام مناد يعلن داخل مدينة آشور او حيث تقع الأرض ثلاث مرات (لا بد ان كانت بأوقات متفاوتة) ويدعى المدعون في تلك الأرض الى اثبات ادعائهم بوثائق خلال شهر واحد أمام مجلس موظفين، يضم ممثل الملك وناسخ المدينة والمنادى والعمدة وبعض الحكام وثلاثة وجهاء شهودا، واذا ثبت الادعاء فيلغى البيع حيث جاء في المادة السادسة من لوح القانون الآشوري "... وقبل ان يمتلك الحقل والدار (الذي فيه) فعليه أن يعلن بوساطة مناد (ان كانت داخل مدينة آشور) ثلاث مرات خلال شهر واحد او ان يعلن ثلاث مرات في المدينة حيث يقع الحقل والبيت اللذان سيشتريهما قائلا "اني على وشك شراء حقل ودار فلان بن فلان الواقع ضمن حدود هذه المدينة، فعلى الذين لهم ادعاء في الملكية ان يقدموا حججهم ويبرزوها أمام المسجلين ويقدموا ادعاءهم ويظهروا التلك الصحيح (وآلذاك) يأخذ الملك. ومن قدموا عقودهم خلال شهر واحد، فما دام هناك وقت ووضعها أمام المسجلين فان حقوق هذا الشخص مضمونة فيما يتعلق بحقله وسوف يأخذه، واذا أعلن المنادى في مدينة آشور نداء فان أحد موظفي الملك وناسخ المدينة والمنادى ومسجلي الملك يعقدون جلسة، وفي حالة مدينة أخرى، حيث يكون الشخص على وشك أخذ الحقل والدار، فان محافظ المدينة وثلاثة من مسنيها يجتمعون ويأمرون المنادى بالاعلان ويكتب له اللوح ويعطونه حقه في

الحقل والدار. وتغدو ملكا لمن أعلن المنادى ادعاه
ويدون الحكام ثلاث نسخ من نداء المنادى“.

معبد الآله سين في حران ، أخبرنا حفيده أسرحدون
قد نقض تلك المنحة فيما بعد فحلت النكبة بشعبه
بان سرجون .

وكانت هناك اراضي تمتلكها المدن ، فقد كانت
لمدينة آشور اراض خاصة بها كانت تقدم لأشخاص
معينين وغالبا ما كان يعاد النظر في ذلك ، وبصورة
عامة كانت اراضي الدولة الآشورية اسميا بيد الملك
وبعضها تحت ادارته الخاصة مباشرة اي اراضي
خاصة بالدولة ملققة بشتى مرافق الدولة الادارية
الى جانب اراض خاصة بالملك نفسه ، وأخرى لولي
العهد الذي كان يمتلك أراضي واسعة على الأقل
من العصر الآشوري المتأخر مع موظفين كثيرين
لادارتها .

وكان في كاسور (نوزى خلال الفترة الحورية
في كركوك الحالية) خلال العصر الأكدي مسجل
للمحقوق واجبه حفظ الوثائق الرسمية الخاصة
بالأملاك ، وهناك أراض يمتلكها الملك او الحكام
او الأفراد ، وقد وصلت البنا من نوزى وصابا
لاثرياء بمنح اراضيهم لمن يريدون بعد موتهم ،
وتحدد نصوص نوزى بصورة عامة موقع الأرض
بالضبط وأحيانا بصورة مطولة ، ويأخذ الابن البكر
في نوزى عادة ضعف الحصة التي تعطى لكل من
اخوته الآخرين ويختار الابن الأكبر حصته ثم تقسم
الحصص الباقية بين الاخوة بالقرعة ، وكان تملك
الأرض في نوزى على انواع منها التملك المشترك
الذي فسر على أساس تبني صاحب الأرض
للمشتري مما يدل على حق العائلة في الملك ،

فالأرض بالأصل ممنوحة الى المالك بموجب
التزامات عليه القيام بها حيث ليست هناك اية
عقود عن بيع مباشر للأراضي ، ثم عقود تبادل
خاصة بثبيت ملكية قطع تم الحصول عليها في
اماكن متعددة وجعلها اقطاعية كبيرة واحدة .

لم تكن قسمة الأرض في غالب الأحيان
بالتساوي على الرغم من ان القانون الآشوري قد
حتم اعطاء الابن البكر حصتين يختار واحدة بنفسه
ويستحصل الثانية بالقرعة ، حيث ورد بالمادة
الاولى من اللوح الثاني ” اذا اقتسم اخوان مقاطعة
والدهم الزراعية البساتين والأبار في الأرض
فان الابن الأكبر يأخذ حصتين ، حصة واحدة
ويعده يختار اخوته حصصهم ، وان الأصغر سنا
يقسم الأرض الزراعية وكل المحاصيل ويختار الابن
الأكبر حصة واحدة له ثم يعمل الباقيون قرعة بينهم
ليأخذ كل أخ حصته“ . ويمكن ان تعطي اي
وريث (اذا كانت الأرض الموروثة قد تمت
قسمتها) اذا ارتكب حادث قتل كدية لأهل
ضحيته ، واذا خان احد الأخوة او هرب فان
الملك يتصرف بحصته كما يشاء . ويظهر ان الدولة
لايمكن ان تتصرف بحصة الوريث تحت أي ظرف
اذا كانت الأرض الموروثة بعد لاتزال مشاعة وغير
مقسمة بين الأخوة ، حيث ورد في المادة الثالثة من
لوح القانون الآشوري الثاني ” اذا ارتكب أحد
الأخوة قبل قسمة أرض والدهم . خيانة او هرب
فان الملك يتصرف بحصته كما يريد“ .

امتلكت المعابد الكثير من الأراضي التي كانت
في تزايد مطرد على الرغم من أن مركز الكهنة في
بلاد آشور لم يكن قويا مثل مركزهم في بلاد بابل
لعدم رغبة الملوك الآشوريين في تقوية نفوذهم
وتوسيع صلاحياتهم وزيادتها ، فنذ زمن شيلمنصر
الأول قدمت الأرض للمعابد كمي تزودها
بالتجهيزات ، وكانت املاك المعابد معفاة من
الضرائب والرسوم وأعمال السخرة وما الى ذلك ،
وأعطى سرجون الثاني الآشوري مقاطعة زراعية الى

الأراضي الزراعية :

كانت الأراضي الزراعية تحتسب بالمساحة التي كانت تختلف من أرض الى أخرى ، فهناك اراض واسعة جدا ، وأخرى متوسطة وغيرها صغيرة المساحة ، وكانت قيمة الأراضي تحتسب بكمية البذور المطلوبة للبذر ، وتتألف الأراضي من حقول وبساتين ومراع ، وما فيها من بنايات (بيوت ومخازن) وآبار ، ويشكل الفلاحون الاحرار المرتبطون بالأرض والعاملون في فلاحتها جزء من الملك ، يباعون ويشترون معها ويعطون رهينة لضمان قرض تسلمه صاحب الارض . وكثيراً مايكون في الارض عبيدا الى جانب الفلاحين الاحرار ، وبالوقت الذي تذكر فيه العقود أسماء العبيد فقط تذكر عادة أسماء الفلاحين الاحرار ، مرفقة بأسماء آبائهم ، وربما كان الفلاحون الاحرار يدفعون نصف واردهم او ثلثه الى أسيادهم ، ويتحمل أصحاب الأرض اثمان البذور والآلات الزراعية وحيواناتها وتطهير القنوات ، وكان أصحاب الأرض يؤجرون أراضيهم ، ويكون الاجار عادة لمدة سنتين ، سنة للزرع وثانية تبور خلالها الأرض لراحتها وتمكينها من استعادة نشاطها وخصوبتها ثم حرثها واعدادها للزرع . ونقرأ في العقود عن اجار لمدة ست سنوات وثمانى سنوات .

تسمى الأرض عادة باسم صاحبها او بالنسبة لمكان معين او قرية قريبة ، لولشئى (او حجر الحدود) او لجامعة (ام الكلدنين ، مزعة الآراميين) ، وتسمى الحقول احيانا باسم شخص متوفى أو لايسكن فيها . وكانت الدولة تمتلك الأراضي الكثيرة حيث نقرأ في النصوص عن موظفي الدولة بألقاب مثل الراعي الاعلى ، ومسؤول الري ومسؤول البساتين الخ . وكان الملك يمنح الأراضي من ممتلكات الدولة ، ويظهر ان الملك كان يعد الأفراد احيانا شفويا ، فقد جاء في رسالة من أميل - نابو يذكر فيها بأن

الملك قال له ذات مرة « تعالى أزرع للحصاد واجمع لنفسك بصورة كاملة وتمتع بها تحت حمايتي ويخاطب الملك بالقول : « فليات رسول سيدي الملك ويتفحص ارض والدى التي أرجعها الملك لي وكيف ان مانوكي راما ن قد خرّتها ، وبغيره انه رفض ان يسلم الحبوب والعلف» . وأحيانا قد يغتصب موظف كبير أرضا فنعرف ان مانوكي راما ن كان البواب الرئيسي وأخذ مرة (بأمر ملكي) اراضي والد شارو نائيد ولم يعمرها ، وعندما تحوى الأخير وجد أن الملك او ولي العهد فقط يتمكنان من ارجاع الأرض إليه ، وكانت منح الملك من الأراضي على اربعة أصناف :

١- أراضي يمنحها الملك الى أشخاص مكافأة لاخلاصهم وخدمتهم الطيبة له ، وفي العادة يحدد قرار المنحة الاعفاءات المرفقة بها ، ومن هذه منحة الملك تجلاتيليزر الثالث الى موظفه بيل -حران بيل -او صور ومنحة الملك آشور بانيبال لموظفه بولتا ، فقد منح آشور بانيبال موظفه هذا لشجاعته حقلا وأعنى كل حقوله وبساتينه من كل الرسوم والعشور ، حيث جاء في وثيقة المنحة "لا تفرض عليها ضريبة الشعير ولا يؤخذ منها علف ولا يساق اي حيوان من قطعانه كاتناج اولي ولا تفرض على حقوله وبساتينه اية ضريبة ولا يسخر رجاله وانهم معفون من جمع حقوق المرور واستعمال الأرضة" .

٢- اراض يمنحها الملك الى اشخاص كي يقدموا عطايا الى معبد معين ، ومن هذه مكافأة الملك ادد- نزارى الثالث لاراض الى ثلاثة اشخاص من قرية مانا غويا وحدد بالوثيقة العشور الواجب عليهم تقديمها الى الاله آشور والاله باو .

٣- اراض يمنحها الملك لأفراد تعويضاً لهم عن أراض انتزعتها الدولة او الملك نفسه ، فعندما

خلال العصر الاكدي في كاسور، ولكنها الوحدة الأساسية للاقتصاد الزراعي .

كان الملاكون يقرضون فلاحهم نقدا او عينا (خمرأ او زيتا او حبوبا او ماشية) ويكون الدفع وقت الحصاد ، واذا دفع الفلاح دينه وقت الحصاد فلا فائدة عليه ، واذا لم يقو على الدفع ، فعليه ان يدفع فائدة بالسعر المعروف في نينوى ، ونعرف من كاسور خلال العصر الاكدي ان الفلاحين المرتبطين بالأرض كانوا يتسلمون عن اعمالهم حبوبا ، وهي عادة شعير وقد كانت تختلف باختلاف الجنس والعمر حيث نقرأ في نص (رجال بالغين) يتسلم كل منهم ٦٠ قا شعير شهريا ، نساء بالغات ٣٠ قا شعير شهريا ، اولاد ٢٠ - ٣٠ قا شعير شهريا ، بنات ٢٠ - ٣٠ قا شعير شهريا ، اطفال رضع ١٠ قا شعير شهريا . وهناك دليل غير مؤكد عن قطع اراض تتراوح مساحتها بين ١ - ٥ ايكرات يديرها فلاحون مرتبطون بالأرض .

أكد القانون الآشوري على ضرورة تعاون أصحاب الحقول في السقي من الآبار ومياه الامطار وتنظيف قنوات الماء وجداوله ، فقد جاء في المادتين ١٧ - ١٨ على التوالي من لوح القانون الآشوري الثاني مانه : ” اذا كان في الآبار ماء يمكن جلبه لسقي الأرض يكفي لزراعتها فعلى اصحاب الحقول (المتعمدة على هذه الآبار) ان يساعد بعضهم بعضا ، وعلى كل منهم ان ينجز العمل (الخاص بمجرى الماء) ضمن مساحة حقله ، وله (بعد ذلك) ان يسقي حقله ، واذا لم يكن بينهم اي تعاون (على تنظيف مجرى الماء كل للمسافة المتعلقة بأرضه) فيمكن للرجل المتعاون منهم ان يطلب من القضاة اصدار امر تحريري ، فيقوم القضاة بتثبيت (الاتفاق) وعندئذ يأخذ كل شخص المياه التي تكتفي لسقي حقله و (اذا كانت هناك مياه أمطار) يمكن جلبها لسقي الأرض لتهيتها للزرع ، فعلى اصحاب الحقول (المتعمدة على مياه الأمطار هذه)

أراد سرجون الثاني الآشوري بناء مدينة دور شروكين اعطى لاصحاب الاراضي التي صادرها لغرض البناء في قرية مانا غوبا أراضي أخرى بدلا عنها وأعفاها جميعا عن ضريبة الشعير ورسوم العلف العينية ومسؤولياتهم تجاه الآله آشور ، وعوّض الاخير عن خسارته نتيجة هذا الاعفاء باعطائه حقل .

٣ - اراض يمنحها الملك الى كهنة اوموظفي معبد مقابل خدماتهم المعبدية او حسن ادائهم لها .

العلاقة الزراعية :

كان غالب الفلاحين لا يمتلكون الأراضي التي يزرعونها بل يعملون عليها ، وكثير منهم يشتغلون عمالا زراعيين وقت الحصاد ، ويصعب معرفة كيفية توزيع حصص الانتاج بين ذوى العلاقة (الفلاحين والملاكين) ولدينا دليل من كاسور عن تسلم الفلاحين المرتبطين بالأرض ارزاقا عن اعمالهم ، وكان العبيد قليلين خاصة على مقاطعات الأثرياء الواسعة بوقت كان الطلب فيه كبيرا على الأيدي العاملة في الزراعة لانشغال الآشوريين في الحرب ، وقد اتبعت وسائل للتعويض عن عمل العبيد او بتحويل الفقراء الى عبيد .

وكان في كاسور خلال العصر الاكدي مقاطعة زراعية تحت ادارة مدير برفقة ناسخين اثنين ومشرفي عمل ومراقبي عمل ، ويرتبط بالآخرين مراقبو الفلاحين الذين يحرثون الأرض ويعمل في الأرض الزراعية الفلاحون المرتبطون بالأرض وأقل منهم العبيد ، وكان يدير مقاطعات الملك موظفون وجنود عاملون الى جانب عبيد الملك ، وربما كان واجب الجنود العاملون في المقاطعة حراستها الى جانب فلاحة الارض ، ونقرأ عن مقاطعة زراعية على مديريها ان يبذر ٣٣ ايكرا من الارض ولديه ١٧٠ عمالا زراعيا وعشرة فلاحين ، مما يدل على ان المقاطعة الزراعية كانت مؤسسة اقتصادية مهمة

ان يساعد بعضهم بعضاً ، وعلى كل منهم انجاز العمل (الخاص بمجرى الماء) ضمن مساحة حقله ، وله ان يسقي حقله ، واذا لم يكن بينهم اتفاق على تنظيف مجرى الماء ككل للمسافة المتعلقة بحقله فعلى الموافق (على الاتفاق) ان ينال من القضاة تحويلاً ضد الذين لم يوافقوا عليه ، ويجب ان يحضر رئيس المدينة وخمسة من مسنيها والمخالف يضرب جلدة ويغمد شهراً كاملاً في اعمال الملك“.

اذا اراد شخص زرع حقل لايعود اليه فعليه استحصال موافقة صاحب الحقل. اولاً ، والأفعليه أن يقدم للمالك ضعف غلة حقول المدينة حسب مساحة ذلك الحقل ، حيث ورد في المادة ١٩ من لوح القانون الآشوري الثاني ”اذا اراد شخص ان يزرع حقل جاره ومنعه موظف وأقسم بالملك (بشرعية عمله) واستمر بزرعه ، فعند مجيئ مالك الحقل فعلى الشخص الذي زرع الحقل ان (يمحصد الحبوب) وقت الحصاد ويدرسها ويخزنها بمخزن عمومي ويحول الحقل الى مرعى ويعطي لصاحب الحقل ضعف غلة انتاج حقول المدينة“.

كانت أراضي المنطقة الخاصة بسكان المدينة / القرية على اربعة أنماط ، فاما ان تكون أراضي خاصة بالمدينة / القرية ، او اراضي مزروعة (أراضي خارج القرية) وأراضي غير مزروعة وأراضي خلفية ، ويمكن ان تتحدد الأراضي بمحدود معينة وضمن الأرض القطع التي كانت هي الأخرى مقسمة . وان الأراضي تعود الى الأسر التي تقسمها الى قطع موزعة بين أفرادها، وليس من الضروري ان تكون القطع متساوية المساحة، وللأفراد حق التصرف بقطعهم ، وفي حالة بيعها فللمشتري حق اختيار الأرض بموقع أحسن حتى في الأرض غير المزروعة او الخلفية . ومن الصعب معرفة السبب في عدم اعطاء القطعة الى المشتري بقطعة منذ البداية دون السماح له بالاختيار وما الأسباب التي تقف امام

عدم رضا المشتري بقطعة . فربما كانت هناك اعتراضات من الجماعة على ضرورة اعطاء المشتري قطعة من الأرض غير المزروعة التي لا يكون الحصول عليها بيد البائع . وهناك مادة تمنع المشتري من اختيار القطعة في طريق او أرض دوس محه ول او ذات بئر أو قناة اروائية ، اي ان البيع يجب ان لا يكون على حساب مصلحة الجماعة كلاً . ولذلك تؤكد الوثائق عد. شمول البئر وأرض التذرية المشتركة بالبيع ، فالأرض ملك الجماعة التي لها وحدها الكلمة الأخيرة في الموافقة على البيع ، وتحتوي العقود عبارة ان كانت القطعة المبيعة قد ورثها البائع او اشتراها وتظل القطعة المروثة جزء من مقاطعة العائلة، وليس هناك فرق بين الأرض المروثة او المشتراة لأنها في الحالتين ملك الجماعة ، وبذلك يصبح المشتري عضواً في الجماعة وليس في العائلة ، إلا اذا اجبر على اختيار قطعة في الأراضي غير المزروعة وربما تدل هذه الاجراءات على ان عمليات البيع والشراء كانت ظاهرة جديدة . وتظهر الوثائق نشاطاً غير عادي لشراء الأراضي من قبل فئة صغيرة مما يدل على تدهور الزراعة في بلاد آشور ونقرأ في النصوص عن رهن وبيع حقول كاملة بما عليها من أراضي دوس وآبار وببوت ، ولا يحق للمشتري في هذه الحالة الاختيار عند الشراء ، وللأراضي الواسعة حدود دائمية ولا تنتقل ملكيتها بين فترة واخرى ويمكن ان تكون ملكاً لعائلة واحدة تتوارثها او للجماعة ، غير أنها خاضعة للتقسيم على الافراد . ويمكن لآبناء الأسرة الواحدة بيع حصصهم بعضهم لبعض او لغيرهم او تبادلها فيما بينهم او مع آخرين ، ولدينا أمثلة على عوائل اصابتهم الحاجة فباع افرادها قطعهم الى شخص واحد ، وفي أرض كل عائلة حصّة للقصر اعتقد بكونها دائمية تزورها العائلة وتسلم ايرادها الى الدولة او ممن تخوله بتسليمها .

فرض الآشوريون ضرائب على المنتجات الزراعية سواء داخل بلاد آشور او في المناطق التابعة

لهم ، وهي تختلف باختلاف الأراضي من ناحية سعة الأخيرة وموقعها وما تستنتبه من المحصولات وما الى ذلك ، وأحياناً تعنى الأراضي من هذه الضرائب ويتحمل الشخص الزامن للحقل دفعها ، وأهم الضرائب الموساخي والشيبسو وتدفعان عن الأراضي المروية ، ويكون رئيس مأموري الخازن هو المسؤول عن جبايتها ، وهناك ضرائب على العلف والقطعان الى جانب السخرة ونقرأ عن اعفاءات من الرسوم وضرائب الحبوب (مايداس) والقواكه (مايقطف) ، وهكذا حرص الآشوريون على أخذ احصاء للأشخاص ووارداتهم ، وفي رسالة يأمر الملك موظفا عنده ان يعد قائمة بالموظفين الاحرار ربما لاعفائهم من الضرائب .

كان العاملون بالزراعة في بلاد آشور كثيرين جدا ، وكان الفلاح يشيد في المزرعة التي تزرع حبوباً (حنطة أو شعير أو ذرة) عادة داراً ومكاناً لخزن الحبوب ، واستعمل الآشوريون انواعاً شتى من الآلات في العمليات الزراعية كالساحي الخشبية والبرونزية والحديدية في عصورهم المتأخرة فنقرأ عن مربرونزي من فترة الملك سنحاريب ومساح خشبية من عهد ولده أسرجدون ، ونلاحظ في تعويذة عن مساح مصنوعة من خشب الطرفاء ، وكان لظهور الحديد وانتشار استعماله في العصور الآشورية المتأخرة أثر كبير في تحسن الآلات وزيادة الانتاج ، فقد عثر في أحد مخازن دور شروكين على كميات من الآلات الزراعية المصنوعة من الحديد أمثال الفؤوس والمطارق والمعاول والمحارث ، وكان المحراث عادة يصنع من الخشب عدا السكة في النهاية السفلى فتكون من الحجر أو النحاس ، ثم صارت حديدية فيما بعد . وفي رسالة من الملك شمشي ادد الأول لولده يسمح ادد حاكم ماري بغيره فيها بصنع المحارث الخشبية ، وكان المحراث يتألف من قضيب عمودي ينتهي في القمة بنوع من الصندوق ، لا بد ان كان لوضع البذور حتى

تسقط في الأحاديث التي يشقها المحراث في الأرض ويجر المحراث عادة الثيران التي يختلف عددها وفي الغالب بين ١ - ٢ ، ويظهر انهم استعملوا آلة أخرى للحراثة أطلقوا عليها اسم الشوكارورو ، وتتألف من قرص دائري مزود بتبوءات تشق الأحاديث في التربة ، وكان للمحراث قدسيته وزنه في الصور الجدارية بمعايد دور شروكين مع شجر التين ، مما يدل على ارتباطه بالآلهة في معتقداتهم ، واستعملوا الفؤوس والمعاول والمطارق لتفتيت كتل الطين الصلبة واستعملوا المناجل للحصاد الذي كان يحل في بلاد آشور ابتداءً من شهر نيسان ويستمر الى نهاية حزيران ، ونرى في منحوتة الملك آشور ناصر بال الثاني يحمل منجلاً ويبدو في صورة في قصر سرجون الثاني بدور شروكين ومنحوتة لأسرجدون بأن المناجل صار أكبر وأكثر تعقيداً في العصر الآشوري المتأخر .

كان المحصول يداس بقطعة سميكة من الخشب الصلب ذات السطح المسنن يصل الأرض وتكون النهاية الأمامية عالية قليلاً وأدخلت في الثلاث شطاباً من الصخر والمعدن ، وهناك على القطعة المعدنية مكان لسائق الحيوانات / الحيوان التي تجر الآلة ، وعندما تدور الآلة على المحصول تفصل البذور عن السنبال والمعتقد أنها عمت خلال العصر الآشوري المتأخر .

المحاصيل الزراعية :

يظهر ان الخطة الثنائية البذرة قد تأصلت في شمال العراق ، ونقرأ في اسطورة سومرية مايدل على قدم معرفتهم بنوع من القمح أطلقوا عليه قمح الجبال مما يدل على أصله الجبلي ، وربما تكون هي الخطة الثنائية البذرة ، وكانت الخطة قد وجدت في موقع جرمو ذات سنبال مختلفة النوعية فبعضها ردى ورخو وغيرها مكتنزة قريبة الشبه بثنائية البذرة ، واشتهرت بلاد آشور بزراعة الخطة . والمعروف ان الشعير قد بدأت زراعته في جرمو ، وكان من نوع

شعير الدورتين وهو وسط بين النوع البري والمستنبت ، وربما كان حصيلة تهجينها ، ونقرأ بأسطورة سومرية ان الهين أخوين ادخلا الشعير الى الجنوب جلباه من الجبل حيث خزنه الآله انليل مما قد يدل على أصل الشعير في موقع مطارة في جنوب كركوك وحلف بالجزيرة الفراتية ، وكان الشعير أكثر المحاصيل شعبية ، وتذكر النصوص الآشورية من الألف الأول ق. م الشعير الأبيض ، والشعير ذا الحبوب الصغيرة ، والشعير الرمادي الفاتح اللون مما يدل على معرفتهم بأنواع عدة منه .

يبدو أن زراعة السمسم قد دخلت شمال العراق متأخرة ، وقد فضلو زيته على كل أنواع الزيوت الاخرى التي عرفوا الكثير منها ، ويفتخر الملك سرجون الثاني (في الغالب مبالغاً) بأن السمسم يباع بسعر الحنطة في وقت نجدا سعاره أكثر غلاء من الحبوب بثلاثة أضعاف ونصف في نصوص الملك آشور بانيبال (٣٣٤ ق م) من الحبوب يعادل سعر ٦٦ قاسمسم) ، وتعود أهمية السمسم الى استخلاص الزيت الشديد الطلب في بلاد آشور منه حيث نقرأ في القانون الآشوري عن هجر الزوج لزوجته وتركها دوغما زيت مما يدل على أهميته القصوى في وجبات الطعام اليومية آنذاك ، ثم قول الملك سرجون الثاني « ان الزيت الذي يرخى عضلات الرجال يجب ان لا يكون غالبا في بلادي » والدال على استعماله ايضا في التدهين وحرص الدولة على توفيره بسعر مناسب للناس ، وزراعة السمسم مرغوب فيها في العراق لأنه نبات عشبي يقام الجفاف ويتحمل درجة الحرارة العالية ولا يأبه للتربة الفقيرة نسبيا ،

وقد تضمن نص من الألف الأول ق. م. طريقة حصاده بقطع النبات حيناً تكون البذور الدنيا قد نضجت ثم تكديسها على قطعة من القماش حتى تتسج بقية البذور ونقرأ عن نوع السمسم الأبيض ما يدل على معرفتهم أصنافاً منه وقد زرع السمسم أيضا في المثلث الآشوري والذي لم يكن من نوعية جيدة .

أدخل سنحاريب في بداية القرن السابع ق. م شجرة القطن التي اطلق عليها « الشجرة التي تنتج صوفا » والتي تحتاج الى تربة هشة تمكن جذورها من التغلغل بعيدا في التربة ، وربما زرع سنحاريب أشجار القطن في منطقة تجمع ت الماء التي استخدمها الآشوريون في منطقة في شمال شرقي نينوى والتي ربما تكون أول المناطق التي شهدت زراعة القطن في العراق ، واستحصل الآشوريون من بذور القطن نوعا من الزيت وأعطوا الفضلات علفا الى الماشية ، واستعملوا الباقي سمادا للبياتين ، وزرع الآشوريون أيضا الثوم ومحصولا آخر له رائحة الثوم ، ربما كان نوعا من البصل ، كما زرعوا البصل والزوان (السحلي) الذي استعملوه في الخبز والشوندر الذي يعرف عن نموه طبيعيا في شمال العراق .

قطع الآشوريون الأخشاب في الغابات الشالية في العراق ، واستحصلوا نوعين من الاسل ، أطلقوا عليها اسم اسل الماء واسل الجبال ، وصنعوا منه الحصان والكراسي وحتى القوارب حيث تكلم شيلمنصر الثاني عن قوارب من الاسل . ومن زمن سنحاريب نقرأ عن استعمال خشب السنديان (السندو) في الاعمدة والأبواب ، ثم السيبان المنتشر في جبل حمرين ومنطقة الموصل والسرو الذي استخرجوا منه الراتنج واستعملوا ورقه لاستخراج نوع من الزيت وللدباغة ، والصنوبر الذي ينمو بغزارة في شمال العراق ، ونلاحظه كثيرا في صور المنحوتات الآشورية ، والصندل الذي استعمل سنحاريب خشبه لبناء قصره وأشجار الأرز المتوفرة في شمال العراق الذي استغل أسرحدون خشبها في إعادة تعميره بابل .

كانت المنطقة حوالي مدينة حران زمن الملك سرجون الثاني ، كما هي الآن ، مركزا كبيرا لجمع البلوط ، ويعطي نص آشوري عدد أشجار البلوط في منطقة حران ٤٩,٣٠٠ ، وربما كانت كثرة الأشجار هناك للحصول على العفص او الصبغ

العصر السرجوني كثيرا بالبساتين أمثال سرجون الثاني وسنحاريب ، فقد أخبرنا سنحاريب عن اعدائه تقسيم الأراضي السهلية المحيطة بعاصمته نينوى وتوزيعها على المواطنين لزراعتها بساتين ، واهتم بزراعة البساتين حول قصره بنينوى ، وان البساتين التي أنشأها حول بيت اكيتو في مدينة آشور مشهورة ، ولما جلب الماء الى نينوى غرس بستانا قرب قصره غرس فيها مختلف انواع الزهور والأشجار التي جلبها من جبال الأمانوس في شمال غرب سورية وجنوب العراق والتي صارت ، كما ذكر ، تنتج ثمارا أكثر مما كانت تنتج في اماكنها الاولى ، وأخبرنا والده سرجون الثاني بأنه عهد الى الممار نابوشار آشور بالاشراف على زرع بستان واسع حول عاصمته الجديدة دور شروكين (خورصباد) تماثل بستان جبال الأمانوس وزرعها بكل نوع من أشجار النمر والخشب ، وأقام آشور بانينال قرب قصره بنينوى حديقة واسعة زرعها بأنواع الأشجار والفواكه ، كما يمكن استنتاجه من منحوتاته ، ونقرأ في رسالة عن ٢٣٥٠ شجرة تين و ٤٥٠ شجرة مشمش ، يظهر أنها لبساتين الملك سرجون الثاني في عاصمته دور شروكين .

لم يدخل العنب شمال العراق إلا في الألف الأول ق. م ، حيث شاعت زراعته ، ونعرف من احصاء حرّان من العصر الآشوري المتأخر ان جميع البساتين كانت مزروعة بالعنب وقد بلغ عدد اشجاره ٢٠٠ - ٢٩٠ الف شجرة وهناك منطقة بلغت أشجار العنب فيها ٤١ الفا وأخرى ٢٨٢ ألف شجرة ، وتعد أشجار العنب المصورة في المنحوتات الآشورية يدل على كثرتها . نشاهد في واحدة الملك آشور بانينال جالسا على تحت وأمامه زوجته يحسبان ما قد يكون خمرا نخب الانتصار على عيلام تحت عريش عنب محملا بعناقيد تشاهد مدلاة مع أشجار الصنوبر . والمعروف ان أحسن أنواع الخمر في جنوب العراق قد تم استحصائها من الشمال ،

القرمزي المعروف ببلوط الدودة او بلوط القرمز ، وهناك نوع آخر من البلوط اطلق عليه اسم اللاكاني اولالانكائيش ادخل ايام الملك تجلا تيليزر الأول الى بلاد آشور ، وقد يكون الكستناء ، وربما جاء من اسيا الصغرى بدلالة المقطع كائيش في اسم الشجرة ، والذي معناه في اللغة الحيثية الصيغ والذي ان صح فرما يكون هو النوع الذي يستحصل منه صيغ القرمز . ويذكر نص آشوري عدد أشجار البلوط التي تنمو عليها مثل هذه الديدان في حدائق الالهة عشتار بمنطقة سنجار بما يزيد عن الف شجرة . وحصل الآشوريون من الجبال القريبة على اللوز الذي فرقت الفصوص بين نوعين منه اطلق على الاول اسم اللوز الحلو والثاني سردوا ، ثم الفستق البلدي والبطونم الذي هو في الغالب شجرة البطم ، واستحصلوا على المن خاصة الذي تفرزه انواع من البق ، وقد ذكر وجوده في مناطق ماردين طحيننا ينتشر فوق أشجار البلوط او الآس ويجن صيفا قبل طلوع الشمس بهز الأغصان فوق قطعة قماش ، ويستخلص منه زيت خاص يعرفه العامة الآن باسم من السما ، ويكثر الأخير في جبال شمال العراق الشرقي في نهاية فصل الخريف ، ويجنى من أوراق أشجار العفص والصنوبر على هيئة معجون شفاف .

وكانت منطقة السهوب والسهول الواسعة الممتدة الى سنجار وتلعفر ذات المطر الغزير معروفة بوفرة محصولاتها الزراعية ، ويعود ثراء دولة الحضرة في فترات الأخيرة الى امتداد نفوذها الى هذه الأصقاع ، نشاهد في المنحوتات الآشورية (ولو بقلّة) الجراد مادة للأكل ، وكذلك في صورتي اختام اسطوانية ، وفي نصوص تذكارية بما يدل على تعرض بلاد آشور له احيانا وقتكه بالمحصولات .

البساتين :

كانت البساتين كثيرة في شمال العراق ، وتذكر عقود بيعها عادة الأشجار الموجودة فيها وأنواعها والعبيد العاملين فيها ، واهتم الملوك خاصة خلال

وكيف ان الكثير من الأسم استوردت بذوره وأشجاره وحاولت عبثا زرعه في بلادها، كما زرعوا المشمش (ارمانو) الذي كتبوه برميزي تفاح وجبل مما يدل على أصله الجبلي، ثم الخس الذي عرفوا نوعين منه هما الاعتيادي (خَسو) والصغير (كوزارو) ومرارو

وكذلك الخوخ والسفرجل الذي يكثر في الجبال الشمالية والكرز التي ذكر سرجون الثاني أن شجرتها طيبة الرائحة وهي كثيرة في منطقة الموصل وتنمو بصورة وحشية الى الغرب من الموصل، ثم الرمان (ترمو) الذي عرفوا منه أنواع عدة مثل الحلو، العسلي، والطيب والحامض، وشجرة التوت (موسوكلنو) التي ذكر سنحاريب عن زرعها في البستان التي أنشأها قرب نينوى. والتين الذي ذكر لوح من شادوئيم (تل حرميل) أربعة أنواع منه اطلق على واحد منها اسم تين الجبال الذي يدل اسمه على أصله الشمالي. وفي نص من اوغاريت (رأس شمرة في شمال غرب سورية) عن نوع من التين اسمه سوبارتو (شمال العراق) مما يدل على استحصالهم له من شمال العراق وقد يكون هو نفسه تين الجبال في لوح شادوئيم. ومن بين الاطعمة المصورة على الموائد في المنحوتات الآشورية ما يشبه الأصابع متصلة القاعدة لابد أن تمثل مجموعة من الموز الذي ربما استورده الآشوريون، وهو لا يزال اخضر غير تام النضج فيتركونه ينضج عندهم. ثم النبق، ويصعب الاعتقاد بزراعة النخيل في بلاد آشور لعدم تحمل هذه الشجرة للبرد القارس في المنطقة شتاء وأن تصويرها في المنحوتات الآشورية دلالة على تقديسهم لها واعتبارهم اياها منبع الخير والبركة.

وسائل الري :

كان الآشوريون يحفرون الآبار في البساتين والمزارع وهي تعد من مصادر المياه المهمة في شمال

مما يدل على كثرة أشجار الكروم في الشمال وتفرعها، وان كلمة كيروصارت في الآشورية تعني بستانا وكرمة عنب مما يدل على كثرة زراعة العنب ووفرته بعد دخولها شمال العراق، وسمي الشخص المسؤول عنها Amel. Nu – Kire. ويظهر ان الأشجار في مثل هذه البساتين كانت كثيرة وأن وجود عشرة آلاف شجرة كان شيئا اعتياديا، ويصل العدد الى ١٥ ألفا و ٢٩ ألفا. وكثرت البساتين في القطاع الخصب جنوب تلال سنجار، وتذكر وثيقتان بستانين في منطقة سنجار حوى احدهما على ٢٤٠٠ شجرة فاكهة. ونعرف عن بستان لزراع الخضراوات في نينوى يعود الى معبد الآله نرجال.

نعرف عن استعمال الآشوريين المسمدات لبساتينهم، فقد استعملوا بقايا بذور القطن لهذا الغرض، ومن ألهم التي وجهت الى حاكم في نوزي كانت ابتزازه الأموال لدفع أجور عمال سمدها له بساتينه مما يدل على سعة تملك البساتين وكثرة ماتم صرفه على تسميدها مما يدل على الاهتمام بتسميد البساتين آنذاك. وزرع الآشوريون في بساتينهم شتى انواع المحصولات الصيفية والشتوية. ويظهر ان سنحاريب حاول دونما نجاح زراعة شجرة الزيتون في المنطقة حوالي نينوى، فقد ذكر في نص له (زيت شجرة الثمرة (اي الزيتون) ومنتجات البساتين جلبتها بوفرة). وزرعوا في بساتينهم الخروع والنعناع واليانسون وحب السودة والفجل والخيار والبقلاء والكراث والزعفران (الازويران) المعروف بالزعفران البري اوسورنجان الخريف. كما زرعوا التفاح الذي يذكر التنبؤ انه أحسن انواع التفاح وعن اعجاب الاسكندر المقدوني به عند دخوله العراق وملته السفن منه (دون شك لارسالها الى مقدونيا). وقد استخرج الآشوريون شرابا معيننا من التفاح، ويتعرض الموسوعي الروماني بلني الكبير في تاريخه الطبيعي (14 – VII, VII, XII. BK.) (مبالغا) لحمل شجرة التفاح الآشوري للثمر طيلة أشهر السنة

العراق. واستخدموا في الري آلة يدوية بسيطة أطلقوا عليها اسم الدالية (أكادييتو) استعملوها لارواء البساتين القليلة المساحة. وهي في الغالب على شكل عصا طويلة رافعة في نهايتها سطل او مغرفة من الخوص او الجلد ومعلق في نهايتها الأخرى ثقالة لحفظ التوازن. وتأخذ الدالية الماء من النهر وتفرغه في الجدول الذي يسمى البستان، وهي أقرب الى الشادوف المصري. ويدير الآلة عادة شخص، وأحيانا يوضع حيوان (حمار أو ثور) لرفع العصا.

ويظهر انها صارت أكثر تطورا في العصر الآشوري المتأخر، حيث نرى الدالية المصورة في نقش للملك سنحاريب أكثر ضبطا وتعقيدا من السابقة. فقد صارت العصا الطويلة بهيمة يد منحرفة، ونشاهد في النقش عملية سقي تستخدم بها داليتان تعملان بذات الوقت، ربما خاصة بالأراضي الأكثر ارتفاعا لإيذاء يصعب سقيها بالدالية السابقة. فترفع الدالية الأولى الماء من مجرى النهر العميق وتفرغه في ساقية مرتفعة في الوقت الذي ترفع الدالية الثانية الماء من الساقية الأولى الى ساقية ثانية أكثر ارتفاعا منها. وإذا كانت الأراضي واسعة فتحتمل الى آلات أكثر تعقيدا فيزداد عدد المغارف (السلطات) وتوضع، كما نقرأ في النصوص، الى جنب بئر او حفرة، وربما تكون الحفرة اخدودا في مجرى الماء او قناة عميقة لاستيعاب المغارف، وربما تكون المغارف او الجرار مبروطة بدولاب تفرغ في حفرة او قناة وتحتاج الى قوة كبيرة لتحريكها. ونقرأ في الوثائق عن ادارتها بثورين او اربعة او ستة وحتى في واحدة بثانية ثيران. وتعلق الأسطال او المغارف او الجرار او العصا الطويلة بقطعة من الجلد. وكانت آلة من هذا النوع يطلق عليها تجلا تجلازير الأول الاسم (مرطو اريكو) موضع اختخاره، وأمر بأن تعمم في كافة بلاد آشور، وربما تكون قد ادخلت زمانه.

ان الآلة الأكثر تطورا من الآتين السالفتي الذكر هي الكرذ حيث تكون المغرفة في النهاية كبيرة وذات مصب زادت بها كمية الماء المرفوعة وامكان سقي الأراضي الأكثر ارتفاعا، وذلك لنزولها الى عمق أكثر، وربما ادخلت خلال العصر الآشوري المتأخر حيث ذكرت وثيقة بيع أرض زراعية من تلك الفترة وجود مثل هذه الآلة بالمزرعة تحت اشراف خبير عارف بتشغيلها، مما قد يدل على حداثة ادخالها وقلة العارفين بتشغيلها واصلاحها، ويدخل ضمن هذا النوع صورة في منحوتة من قصر الملك آشور ناصر بال الثاني من نمرود. وتتألف من بكرة كبيرة مستندة من جهتين بعمودين قوين يتحملان الثقل وفي نهايتها مغرفة جلدية كبيرة تفرغ الماء الذي تسحبه من النهر الى الساقية بمجلين يربط الأول على المغرفة والثاني بالنهاية الأخرى ذات المصب. فتتحرك الحبل الأول على البكرة تصعد المغرفة وتزفها ويرفع الحبل الثاني عند الصعود النهاية ذات المصب فيحجز الماء في المغرفة ويصب في الساقية، ويدير الآلة.. شخص يسوق الحيوان (ثورا او حمارا او حصانا) عند صعوده الى الطريق المنحدر حتى تنزل المغرفة الى مجرى ماء النهر وعند نزوله لرفع المغرفة الى الساقية.

كانت مشاريع بعض الملوك الآشوريين الاروائية على غاية من الأهمية أمثال آشور ناصر بال الثاني وسنحاريب. فقد حفر الأول قناة تعرف الآن باسم قناة النكوب ويبلغ طولها ٢٥ كم تأخذ الماء من الزاب الكبير لارواء سهل العاصمة كلخو (نمرود) الصالح للزراعة والذي يفتقر الى الماء، لأن مناسيب الزاب الكبير ارفع من تلك لدجلة مما يجعل وصوله الى كلخو سهلاً الى جانب كون ماءه أكثر صفاء من مياه دجلة، وأطلق على قناته الجديدة اسم فائحة الخير (باني خيكا لي). ويمكن تتبع خط هذه القناة في ممر قطع بالجبل على طول

الماء المطلوب للري الى جانب اتخاذ جسرا . وكانت بقايا السد تقع قرب قرية جهينة على ضفة دجلة النني ويسميه الأهالي العواى (العواية) لخروج دوى نتيجة انحدار الماء فوقه ، وذكر الرحالة تافرنه ونيبور امكان مشاهدة السد عند تناقص مستوى ماء دجلة في اواخر الصيف والخريف ، وقال وليس يج بأنه شاهد بقايا السد وهي ترتفع بما يقرب القدمين فوق سطح الماء وتتألف من كتل حجرية مثبتة بقطع معدنية .

يوضح مشروعا سنحارب لرى مدينتي نينوى وأربيل الشوط البعيد الذي قطعته هندسة الري عند الآشوريين . فقد أخبرنا سنحارب عن حفرة ثلاثة أنهر في جبال خاني التي فوق اربيل (لا بد أن تكون جبال صلاح الدين وسفين وياني باوه داغ) وأضاف اليها ماء الينابيع الواقعة على يمين وشمال الأنهار وحفر بعدها قناة تسير باستقامة تصل وسط مدينة أربيل . وعثر على مستاة مشيدة بالحجارة قرب قرية مورتكة الواقعة على بعد حوالي ٢٠ كم شمال اربيل وفي وسط المسناة نفق يتجه نحو الجنوب . وان روافد نهر باستورة المهمة الثلاثة هي التي تنبع من قرى سوسة ، زياره وقرزة وتلتي أخبرا قرب مضيق يسمى الدربند .

اما الينابيع التي ذكر سنحارب اضافتها لمياه الأنهار فبما بعد فهي العين قرب قرية خوران والثانية على مقربة من هانان والثالثة قرب دنيحيزاوة . وتعتمد هذه القناة في بنائها نظام الكهاريز وفوهتها مربعة مشيدة بالحجر أبعادها ١٢٠ × ١١٢ متر وعرضها ستة أمتار . ومشروع ثاني لسنحارب تم إيصال الماء الى نينوى بالطريقة السبحية استغرق عمله ثلاث عشرة سنة (٧٠٣-٦٩٠ ق. م) وبدأ عمله بتطهير نهر الخوصر ابتداء من قرية كيسيرى مئة عشر كيلو مترا شمال نينوى حتى نينوى ، ثم أنشأ سدا على مجرى ذلك النهر قرب قرية كيسيرى لتحويل مياهه الى قناة حفرها تستمد الماء من امام السد وتسير

ضفة الزاب الكبير النني ثم تسير شمالا على طول الحافة الشرقية للسهل الطموى حتى نقطة قريبة من الزاوية الجنوبية لسور مدينة كلخو الخارجي . وتأخذ القناة الماء من الزاب الكبير بواسطة نفق حفر في الصخر امام قرية القوير الحالية . وعبر خط النفق عند قدم الخط العمودي قطع حاجز في الصخر ثقت به ثلاث فتحات كانت بمثابة سد ذي بوابات . وهناك نفق فرعي من النهر يقطع الحافة الجنوبية لجرف عال مليء الآن بالطمى ويصعب معرفة وظيفته الأصلية . ويظهر انه زود بسد ذى بوابات كانت بمثابة منظم ويغذى رأس القناة ولا نعرف الغاية من حفر نفقين في الوقت نفسه وعند نقطة انطلاق فرعي النفق من التواء الجبلي حفرت قناة في التواء الجبلي الذي يبرز الى مسافة في السهل الفيضي على مسافة حوالي خمسمائة متر شمال النفق ويمكن تعقبها لمسافة تقارب الثلاثة كيلومترات ، وان الخط المستقيم غير الطبيعي لمجرى النهر الغربي خلف هذه النقطة يقترح بأنه قد شق طريقه في مجرى قناة قديمة ، ربما تبدأ حوالي سبعة عشرة كيلو مترا فوق موقع النفق عند ملتقى الزاب الكبير بفرعه الخازر ، وان استعمال المجرى الطويل المكشوف ربما كان لاعطاء بداية أحسن للماء وتعويضا عن تجمع الطمى في القناة ، ولا بد انها كانت معرضة لصعوبات جمة ، وذلك لتغيرات مجرى النهر . وهناك مايدل على ان النفقين قد أضيفا فيها بعد . وربما كانت القناة الطويلة من انجازات الملك أسرحدون وقد يكون الملك تجلاتبليزر الثالث مسؤولا عن شق النفق على الجانب الجنوبي من التواء الجبلي الملىء بالطمى الآن ، لأن مستوى النفق صار الآن أعلى من ماء نهر الزاب بسبب الترسبات .

ربما يكون آشور ناصر يال الثاني هو الذي شيد سد نمروء - العواية . وهو سد من الحجر شيد في نهر دجلة يصل بين ضفتي النهر ، ربما الغرض منه حصر

المراجع

- (١) أحمد سوسة، الري والحفارة في وادي الرافدين (بغداد، ١٩٦٨).
- (٢) أحمد سوسة، مشروع سنحاريب لارواء منطقة نينوى، مجلة المجمع العلمي العراقي، مجلد ٩ (١٩٦٢)، ص ١٦٥-٢١٠.
- (٣) سامي سعيد الأحمد، حفارة العراق (بغداد، ١٩٨٤) ج ٢ (الزراعة والري).
- (٤) تقي الدين، حفارة العراق (بغداد، ١٩٨٤) ج ١ (الثورة الزراعية والقرى الأولى).
- (٥) عبد الله أمين اغا ويسر سعيد العراقي، نمرود، (بغداد، ١٩٧٦).
- (٦) طه باقر، دراسة النباتات الملوكة في المصادر المسارية، سومر، ج ١ مجلد ٨ (١٩٥٢)، ج ٢، مجلد ٨ (١٩٥٢)، ج ١، مجلد ٩، (١٩٥٣).
- (٧) فؤاد سفر، اعمال الارواء التي قام بها سنحاريب، سومر، مجلد ٣، عدد ١ (١٩٧٤).
- (٨) مارتن لني، ترجمة: د. محمود فياض وآخرون، الكيمياء والتكنولوجيا الكيميائية في وادي الرافدين (بغداد، ١٩٨٠).
9. R. Clay, Tenure of Land in Babylonia and Assyria, (1931), University of London, Instit. of Archaeology, No. 1.
10. G. Contneau, Everyday Life in Babylonia and Assyria, (N. Y., 1965).
11. L. Delaporte, Mesopotamia, (London, 1950).
12. I. M. Diakonoff, Agrarian Conditions In Middle Assyria, Ancient Mesopotamia, (Moscow, 1969).
13. H. Frankfort, The Cylinder Seals, (Chicago, 1939).
14. Abdul Jalil Jawad, The Advent of the Era of Township in Northern Mesopotamia, (Leiden, 1965).
15. C. H. W. Johns, Assyrian Doomsday Book, (Leipzig, 1901).
16. D. D. Luckenbill, Ancient Records of Assyria and Babylonia, (Chicago, 1926).
17. E. T. Olmstead, History of Assyria, (Chicago, 1923).
18. David Oates, Studies in the Ancient History of Northern Iraq, London, (1968).
19. J. N. Postgate, Neo-Assyrian Royal Grants and Decrees, (Rome, 1969).
20. James Pritchard, (ed.) Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament, (Princeton, N. J., 1957).
21. Armas Salonen, Agriculture Mesopotamica nach Sumerisch - Akkadischen Quellen, (Helsinki, 1968).
22. L. Waterman, The Royal Correspondence of the Assyrian Empire (Ann Arbor, 1930 - 1936) Vol. 1 - IV.

موازية للنهر غربا حتى بساتين نينوى ووسع العيون التي تغذي النهر في شمال نينوى وأجراها بقنوات تنتهي بالقناة الجديدة ولري مساحات أوسع من الأراضي قام سنحاريب بتحويل المياه من ينباع نهر الكومل في جبال بانيان وأجراها في قنوات بلغ مجموعها ثمانية عشر تنتهي اليه ثم شيّد سدا في مضيق بانيان لحجز المياه وخزنها امام السد وشق نهرًا من امام السد يتفرع من جانب نهر الكومل الغربي قرب قرية خنس وينتهي بالخورص فينينوى لمسافة تربو على الخمسين ميلا، وربطت الأودية العميقة التي تعترض مجرى نهر الكومل في طريقه الى الخورص بقناطر من الحجارة وأجرى فوقها الجدول. وأضخم هذه القناطر كانت قرب قرية جروانة في الشيوخان شرق عين سفني والمعروفة الآن بعبارة جروانة، وهي مشيدة من حجر الكلس الأبيض طولها ٢٨٠ متر وارتفاعها تسعة أمتار وتتألف من ثلاث عشرة فتحة عرض كل منها خمسة عشر مترا وفتحة واحدة في الوسط عرضها ثلاثون مترا مقسمة الى اربع فتحات عميقة في وسط الوادي،

ويظهر ان الفتحة الوسطية أعدت لمرور المياه الصيفية، ويحوى المشروع مايقارب مليوني حجارة بحجم نصف متر ووزن ربع طن للواحدة، وحفر سواقٍ تتفرع الى البساتين من تلك القناة. ولتصريف المياه الفائضة من القناة التي تسقي نينوى أخبرنا سنحاريب بأنه أقام بحيرة للاستفادة من تلك المياه، ويجعل الذكور سوسة هذا المنخفض قرب تريبض القديمة (شريف خان قرب نينوى) وبطابقه آخر مع منطقة منخفضة بين دجلة والخورص وطريق الموصل - دهوك ووضعه ثالث على نهر الخورص قرب قرية الجيلة.

الغالب من منطقة كركوك والتي هي أقرب مكان تتوفر فيه هذه المادة الى شانيدار. كما عثر في كهف زرزى (شمال غرب السلمانية)

على أدوات حجرية مصنوعة من حجر السبع البركاني الأسود هذا. كذلك عثر على الحجر البركاني في جرمو ومن بينها شظايا صغيرة جدا كانت تثبت بالخشب بواسطة القير. واستورد أهل جرمو هذا الحجر من منطقة وان بأرمينيا ايضا. كما حصل سكان جرمو على الحمار والصدف، وربما حصلوا عليها من بحيرة وان نفسها او من اقاليم الخليج العربي عن طريق التجارة. ويقدم موقع حسونة أدلة عدة على التجارة مع الخارج، حيث عثر على أدوات مصنوعة من حجر السبع البركاني الأسود والفيروز والتي تقترح تجارة مع الشمال والشرق، كما استعمل سكان الموقع المغرة الحمراء والملاخيت والأتحد أصباغا وكل هذه المواد غير موجودة في المنطقة، وعثر في مواقع عصر حسونة على الأصداغ البحرية التي استحصلوها من منطقة الخليج العربي لصنع الحلي، وليس من الصعب القول بأن كل هذه المواد قد نقلت بواسطة التجار او انها قد احضرت من مستوطنة لأخرى، وعثر على أدلة على استعمال النحاس في بعض مواقع عصر حسونة، وأقرب أمكنة لتعدين هذا المعدن هي جايونو قرب ديار بكر وجاتال هويوك في آسيا الصغرى، مما يشير الى انها قد وصلت منطقة الموصل عن طريق التجارة.

كان توزيع مواقع حضارة حلف في شمال العراق وسوريا من شغل بازار حتى كركميش وجديدة

لا تتوفر في بلاد آشور جميع المواد الضرورية لنشوء الحضارة وتطورها، لذلك اجتهد الآشوريون منذ العصر الآشوري القديم (في وقت ما من الألف الثالث ق. م) للحصول على ما يحتاجون اليه عن طريق التجارة، وكان موقع بلاد آشور بصورة عامة ملائما للتجارة، حيث تمر خلالها طرق المواصلات التي تصل ما بين البحر المتوسط والخليج العربي فبحر العرب. فالبضائع القادمة من الغرب باتجاه الهند، او بالعكس تمر من طريق آسيا الصغرى او البحر المتوسط عبر شمال سوريا ومنها الى الخليج العربي. كما تقع بلاد آشور على خطوط المواصلات البرية بين الشمال الشرقي والجنوب الغربي خاصة وان سلسلة جبال أرمينية باتجاه الشمال والصحراء العربية باتجاه الجنوب تشكل صعوبات بالغة الى التجار الذين يتبعون الطرق البرية.

لقد أظهرت نتائج التنقيبات الأثرية في مختلف المواقع في شمال العراق اتصالات السكان منذ أقدم عصورهم المعروفة مع العالم الخارجي، حيث جلبوا من هناك ما تفتقر اليه يشتم من مواد عن طريق التجارة، فيعطي كهف ومستوطنة شانيدار (قرب التقاء نهر راوندوز بالزاب الكبير) أول الدلالات التي نعرفها حاليا عن علاقات تجارية بين شمال العراق والخارج، فقد وجدت فيها أدوات مصنوعة من حجر السبع البركاني الأسود والذي لا بد أن يكون قد جلب من منطقة بحيرة وان في شرق بلاد الأناضول، وهي أقرب مكان الى الموقع يكثر فيه هذا الحجر، ويبعد حوالي ١٨٠ كيلومترا شمالا. الى جانب استعمال الفار الذي جلب في

وحويانية ونباتية امثال ازهار ووريقات اشجار وطيور وأفاعي وروثوس ثيران وما الى ذلك . فضلا عن الرموز مثل الحمامة والفأس ذي الحدين ورأس الثور، وقد وجدت فيما بعد في كريت، تدل على تأصلها في شمال العراق وانتقالها الى تلك الربوع عن طريق التجارة عبر نهر الفرات والجزيرة الفراتية فكريكميش واوغاريت وقبرص وتلكيت تبه وغيرها .

عثر في مدافن فترة الوركاء من موقع تبة كورة على عدد مدهش من الخرز، فقد حوى المدفن رقم ١٠٢ في الطبقة العاشرة على اكثر من خمسة وعشرين الف خرزة، ووجد في مدفن بالطبقة الحادية عشر حوالي ثلاثة الاف خرزة، وياخر في الطبقة التاسعة على ٨٥٠٠ خرزة، وفي آخر في الطبقة الثامنة على بضعة آلاف، وعثر في مستودع على اكثر من ٧٥٠ صدفة صفراء، لا بد ان جلبت من بحر العرب عن طريق الخليج العربي . وبين المواد التي استعملت للخرز والقائم اللازورد والعاج واليشب الأخضر والشذر والعقيق وحجر الدم والسيج البركاني الأسود والكوارتز والديوريت الأسود . وكل هذه لا بد أن استوردت من بلدان تقع الى الشرق من العراق وغيرها أحضرت من أرمينيا . وفي القبر المرقم ١٠٩ عثر على خمس وأربعين خرزة لازورد، لا بد ان وصلت من بدخشان في أفغانستان، وكلها تشير الى خطوط تجارية مع الشرق تصل حتى أفغانستان ومن أرمينيا غربا . وفي الغالب وصل اللازورد الى شمال العراق (بدليل موقع تبة كورة) قبل بلاد بابل، وذلك لقرب الأول الى مصدره الأصلي، وفي المدفن نفسه عثر على خرز شذر لا بد أن احضرت من الشرق واصص مصنوعة من الحجر الجيري هي الأخرى مستوردة الى جانب اصص من الحجر البركاني الأسود . كما وجد في المواقع المرجان الذي لا بد أن احضر من الخليج العربي، ثم الفضة التي ربما وصلت من شمال غرب ايران حيث هناك مناجم

مها، حيث تنتشر أدوات هذه الحضارة على طول منطقة واسعة تمتد من سفوح جبال زاغروس الى نهر الفرات قرب كركميش وتل تورلو وغازي عيتاب ومنطقة أديا مان في سفوح جبال طوروس وتكثر في منطقة طور عابدين . وقد عثر على أدوات هذه الحضارة حتى في هضبة الأناضول عند مواقع تلكيت تبة شرق بحيرة وان وعيسى كوي وقره هويوك وارسلان تبة في منطقة ملاطية، وكل هذه المستوطنات ربما تشير الى محطات تجارية لتجاري الموارد الطبيعية وعلى رأسها حجر السيج البركاني الأسود من منطقة بحيرة وان والنحاس حوالي ملاطية ومنطقة ديار بكر (اليرغاني معدني) . الى درجة أن هناك من يرى ان سكان حلف كانوا بالأصل من منطقة بحيرة وان وكانوا وسطاء في تجارة حجر السيج البركاني الاسود . واستنتج من نقوش فخار حلف الوسيط المشتقة من نماذج المنسوجات بأن أهل حضارة حلف ربما تاجروا ايضا بالمنسوجات وان انتشار فخار حلف باتجاه الغرب في سوريا فيما وراء الفرات وحتى في كليكيا قد اتبع في الغالب الطرق التجارية، وقد عثر على حجر السيج البركاني الأسود في موقع الأريجية قرب الموصل (من عصر حلف) بصورة وافرة لصنع الآلات القاطعة والأصص والخرز الخ... وان نقوش فخار حلف المختلفة تبين مشاهد ذات مواضيع معروفة في الشرق والغرب . وجميعها لا بد ان وصلت عن طريق التجارة، فالنقاط البيضاء مثلا موجودة في فخار بوز هويوك قرب أديمان والأنداح الصفراء الشاحبة متوفرة عند تلكيت تبه وهناك علاقات قوية ايضا بين مواقع حلف في شمال العراق مع الطبقة الخامسة من موقع كيان الى الشرق من العراق والتي تؤثر هي كذلك ارتباطات تجارته .

ان الكثير من الصور التي ظهرت على فخار موقع الأريجية من عصر العبيد، وهو الفخار الرائع الشكل الجميل الزخارف، تعرض نقوشا هندسية

قرب تبريز. وتوضح مكتشفات تل براك من العصر السومري القديم صلات قوية مع جنوب العراق خاصة مع الوركاء خلال عصر جمدة نصر. ويعكس الدليل الآثاري من هذا الموقع رخاءا اقتصاديا وعلاقات تجارية قوية بين الشمال والجنوب في نهاية العصر السومري القديم (عصر فجر السلالات الثالث).

ان فخار نينوى المتميز من الطبقة الخامسة (العصر السومري القديم) قد عثر عليه في مواقع كثيرة، وان تركز صناعته في المنطقة حوالي نينوى دفع الباحثين الى الاستنتاج بأنها كانت مركز انتاج هذا الفخار الأصلي. وقد لوحظ وجود هذا النوع من الفخار في مالا يقل عن ستة وأربعين موقعا، أمثال تل بلة والعباسية وتلول الثلاث في منطقة سنجار، ومواقع سهل رانية شرقا، وربما يمكن تعقبها على طول الزابين الاعلى والأسفل حتى الحدود الشرقية. وان التجارة كانت دون شك مسؤولة عن انتشار هذا الفخار الواسع، وكانت المدينة التي عند موقع شهربازار (في الغالب شوبات أنليل التي ربما اتخذها الملك الآشوري شمشي ادد الأول عاصمة صيفية له والواقعة عند وادي دارا شرق نهر جفجفج رافد الخابور وعلى مسافة تقرب من ٢٥ ميلا جنوب غرب قصبه قامشلي)، مرتبطة بمدينة نينوى بطريق قوافل يسير عبر جبل سنجار، وعثر على كسرة من قصبه خنجر مصنوعة من الحديد تدل على ان عمل هذا المعدن كان موجودا في هذه المنطقة من شمال العراق منذ نهاية العصر السومري القديم على الأقل. كما نعرف بأن هذا المعدن الخام كان متوفرا في مواقع أبعد الى الشمال. كما كانت المدينة التي ازدهرت عند موقع تل براك قرب بحيرة الخاتونية مرتبطة بنينوى تجاريا، وكانت مدينة واسعة.

عثر على اقدم الوثائق التجارية التي نعرفها في الوقت الحاضر في موقع نوزي، وكانت منطقة

نوزي ثرية بمعدن الذهب والمنتجات الزراعية. وتدل وثائق التجار الآشوريين التي عثر عليها في نوزي على نشاط اولئك التجار هناك. وان اسماء التجار آشورية قديمة معروفة، مثل يوزور آشور وسين رابي، لا تترك اي مجال للشك في هوية رجال الأعمال والتجار الذين يظهرون في هذه الوثائق. وقد وصل اولئك التجار من مدينة آشور (قلعة شرقا الحالية) بدلالة ورود الاشارة الى عبارة في المدينة (اينا أليم) والتي تظهر دائما في وثائق المراكز التجارية الآشورية في آسيا الصغرى وفي مراسلات الملك شمشي ادد الأول ضمن رسائل ماري (تل الحريري قرب دير الزور). وكان الأشخاص الذين تاجروا معهم مواطنين محليين، كما يمكن استنتاجه من الأسماء التي وردت في الوثائق امثال قشباك رابي.

وقد أشير الى القافلة بالاصطلاح الآشوري القديم مما يدل على وجود حركة تبادل بضائع واسعة النطاق، وربما تعود نصوص العصر الآشوري القديم، من موقع نوزي الى بداية سنوات الملك الآشوري ايريشوم الأول (١٩٣٩ - ١٩٠٠ ق. م) او نهاية حكم والده الملك ايلوشوما.

وتذكر إحدى الرسائل دفع عدد من الأمانات الفضية وأخرى عن تقديم شيشين بالذهب، الاولى مالا يقل عن ثلث المن وخمسة شقيقات (تساوي كلها نصف باوند من الذهب)، والثاني كميات كبيرة من النحاس وضعت في اراجخا (موقع عرفة الحالي في كركوك). فالرسائل توضح وجود الثروة الطائلة المتمثلة بالمعادن الثمينة، ولما كانت الطبقات الاولى من نينوى توضح قلّة هذا المعدن بالصورة الاولى من التاريخ الآشوري فيمكن الاستنتاج بأن هذه الفترة كانت تتمتع برخاء اقتصادي، وبسهل استحصال الذهب من منطقة نوزي حيث عثر على ترسب ذهب عند الزاب الصغير ورافده، وحيث كانت

المراكز التجارية الآشورية في بلاد الأناضول :

لقد سبق ان تحدثنا في الباب الأول عن نشوء وغو المراكز التجارية الآشورية في بلاد الأناضول وبينما طبيعتها وأوجه نشاطها ومدى علاقتها ببلاد آشور من جهة وبلاد الأناضول من جهة أخرى. وذكرنا أنه يبدو ان الآشوريين أحسنوا في اختيار أقليم كبد وكيا لإقامة مراكزهم التجارية ، حيث تقع مدينة قانش (وهي أهم المراكز التجارية المكتشفة) في وسط سهل قيصري الخصب وفي مكان تلتقي وتفرق فيه الطرق التجارية التي تربط الشرق بالغرب عند النهاية الشرقية لمضبة الأناضول الوسطى. ويظهر ان آسيا الصغرى كانت مفتوحة الى التجارة الآشورية زمن ايريشوم ، فالنحاس كان يرد من منجم ارغاني معدن الذي ربما يكون هو المكان الذي اُسِّمَه التجار الآشوريون في وثائقهم خارانا ، وأشاروا اليه بوصفه محطة توقف ومحطة على طريق القوافل بين آشور وقانش ، وان ضم الآشوريين لخارانا زمن ايلوشوما لابد ان أدى الى وفرة النحاس وبداية التغلغل الآشوري في آسيا الصغرى ، وأولى خليفته ايريشوم اهتمامه بالفعاليات التجارية لأفراد شعبه والتي كانت في الغالب اول خبرة للعمل التجاري الحر على نطاق واسع . وربما كان العمل التجاري للتجار الآشوريين في آسيا الصغرى مساهمة آشورية عامة اشتركت بها مؤسسات فردية (عوائل) او رسمية (المدينة والملك) الى جانب المعبد. فقد وردت اسماء عوائل كثيرة في النصوص التجارية المكتشفة في قانش امثال بوشكين بوشوتا ، وطاب آخوم ، ولوزينا وبكبيكي وغيرها ، وانطوى العمل التجاري على تبادل البضائع بين بلاد آشور وآسيا الصغرى ، وتركز العمل على الصياغة الخاصين الذين كانوا يتحملون المخاطر والمشقات .

غطت فترة عمل التجار الآشوريين بآسيا الصغرى فترات حكم الملوك ايريشوم الأول ، واينكونوم ، وسرجون الأول ، وربما بوزور آشور الثاني .

الضرائب التي تدفع عن الممتلكات غير المنقولة بالذهب ، فالتجار الآشوريون تمكنوا من الحصول على الذهب وعلى كميات كبيرة من الفضة مما يدل على ان القوة السياسية التي كان يتمتع بها الملك الآشوري شمشي ادد الأول قد استندت على ثراء وهناك مايدل على أن بدء التغلغل الآشوري في الأسواق التجارية الأجنبية كان منذ عهود الملوك الذين سبقوا الملك شمشي ادد الأول . فقد أشار الملك ايلوشوما (١٩٥٩-١٩٣٩ ق.م) اكثر من مرة الى تجهيزه الاكديين بالنحاس ، حيث قال في احداها مانصه : "لقد ثبتُ للأكديين وابنائهم حرية التنقل وغسلت لهم النحاس ، فمن مناطق الأهوار ومدن اور ونفر وأوال وكيسار ودير الآله ساتران من المدينة (يقصد العاصمة آشور) ثبت لهم حرية الحركة" فالملك الآشوري أجبر ملوك هذه المدن على تقديم كل التسهيلات الى تجار أكد للتجارة وبيع البضائع وما يشترونه من آشور فيها . والعبارة غسل النحاس تعني في الغالب فرض الآشوريين احتكارا رسميا على النحاس في الأقطار التابعة لهم . ويظهر أنه اعطى التجار الأكديين حق شراء هذا المعدن وبيعه في أقطارهم ، وهذه تدل على أنه كان لديه من النحاس ماينطوي حاجاته ويتبادل بالفائض منه بما يحتاج اليه من مواد وبضائع .

واتبع ولده وخليفته ايريشوم سياسة والده حيث ورد في نصوصه القول : "لقد ثبت حرية نقل الفضة والذهب والنحاس والرصاص والحنطة والصوف الخ" وهي توضح اهتمام هذا الملك بالنشاط التجاري .

كانت مدينة آشور خلال هذه الفترة (بداية الألف الثاني ق.م) مركزا تجاريا مهما ، وكان تجارها يسيطرون على الحياة التجارية في شمال سورية وآسيا الصغرى حيث كانت لهم الكثير من المستوطنات والمراكز التجارية .

غير ان نشاط قانش قد عاصر ايضا حكم بسمخ ادد ابن الملك شمشي ادد الأول في ماري الذي دام تسع سنوات. ويتلخص العمل بان يقدم الصيرفي كمية معينة من رأس المال في الغالب مئتين ذهب او مضاعفات هذه الكمية الى تاجر متجول او الى تاجر متوجه من آشور ليستوطن بضع سنوات في آسيا الصغرى. ويتعهد متسلم المبلغ بان يرجع المال مضاعفا بعد عدد محدود من السنين هي في الغالب اربع سنوات، واذا ترتب ارباح اكثر فعليه ان يدفع حقا شرعيا الى البائع ويقسم بين الجهات المتعاقدة بمعدل معين. وسمح حتى للعاملين امثال المكارين والمراسلين وغيرهم بالمشاركة في العملية التجارية. فيتسلم التجار في البداية رأسمال معيناً لهم الحق باستعماله في الطريقة التي يرونها مناسبة وبحققة للأرباح، وعليهم ان يرجعوا نفس الكمية في نهاية الرحلة، ويبدو ان الملك ابريشوم قد استحصل اموالا طائلة من الرسوم والضرائب التي فرضها على التجار ورجال الأعمال المرتبطة بالعمليات التجارية الأمر الذي يقسر كثرة التعميرات التي قام بها في عاصمته.

من الصعب في ضوء الدليل المتوفر الآن معرفة الكيفية التي دخل بها التجار الآشوريون الى آسيا الصغرى، ولكنهم تمكنوا من تأسيس مشروع تجاري منظم قام بالاستيراد والتصدير على نطاق دولي. وقد وصلت الكثير من النصوص الخاصة بهذه المراكز التجارية في آسيا الصغرى، وفيما يتعلق بالعمل التجاري فقد شملت الوثائق التجارية على طلبات شراء ووثائق دين وقوائم بالمواد والبضائع المتوفرة بالمخازن واتفاقيات نقل البضائع ونقل ملكية وعقود توكيل تفويل مشاريع تجارية وقوائم حسابات الخ. اما الرسائل التي عثر عليها بين النصوص فكانت اما متبادلة بين أصحاب المشاريع ومستخدمهم او مع الهيئات الرسمية وممثلها كما تضمنت النصوص وثائق قضائية تناولت قضاياهم التجارية وقرارات المحاكم الخ.

استورد التجار الآشوريون بآسيا الصغرى من بلاد آشور (المركز المالي والتجاري الرئيسي لهم عند مدينة آشور العاصمة) الكثير من المنتجات كالمنسوجات والصوف الذي باعوه (وبادلو قسما منه بملابس أناضولية) ومعدن القصدير. وكانت الحاجة ماسة الى المعدن الأخير من أجل خلطه بالنحاس لعمل البرونز، وكان النحاس متوفرا بآسيا الصغرى في وقت انعدم بها وجود القصدير، ولا نعرف اين كانوا يعدنون القصدير، غير ان بلاد آشور وبخاصة العاصمة آشور كانت مركزا مهما في تجارة القصدير، ويقدم نص من شمشارة بأقصى شمال العراق الشرقي الدليل على وجود القصدير والعمل به، حيث ورد فيه عن طلبات كميات من القصدير زمن الملك شمشي ادد الأول، الأمر الذي يدل على ان شمشارة كانت مركزا في تجارة ونقل القصدير الى بلاد آشور، وربما كان القصدير يرد من الشرق عبر شمال العراق، حيث ثمة مناجم كثيرة للقصدير في وادي فرغانة بأواسط آسيا وربما كان هناك منجم أكثر قربا لآشور استهلك معدنه الآن. وكانت قوافل التجار الآشوريين تتاجر بالرصاص ايضا، وقد توفرت خامات الرصاص التي حوت كميات من الفضة على مقربة من منابع الزراب الاعلى ومنطقة جودي داغ والتي بعثوها الى آسيا الصغرى، ويبدو ان القوافل كانت تحمل كميات كبيرة منه، حيث نعرف عن قافلة حملت أحد عشر طنا منه. وقد اكتشف في معبد الآله آشور بمدينة آشور قطع من نصف طن رصاص. وفي الوقت الذي كانت فيه القوافل الذاهبة الى بلاد الأناضول تحمل كميات كبيرة من الرصاص يسجلون كميات القصدير التي يحملون منها الى حد الانسبات، وذلك لغلاء سعره، وكانت ارساليات القصدير المرسلة من آشور الى آسيا الصغرى في الغالب مختومة لضمان الوزن الثابت والنوعية المطلوبة، واعتقد بعضهم بأن التجار الآشوريين في بلاد الأناضول كانوا يرسلون النحاس الخام والمصن

معها ويعودون الى بلادهم عند موت رئيس العائلة او تركه العمل .

اطلق التجار الآشوريون في بلاد الأناضول على الهيئة التي تدبر شؤونهم التجارية بكل مدينة من بلاد الأناضول كما سبق ان أشرنا اسم كاروم (معناها المستوطنة) او اوياروم (أبارتوم) ، وكان أشبه بقرعة التجارة الحالية وكان الكاروم مسؤولا عن ادارة حركة التجارة بين بلاد آشور وكافة مدن بلاد الأناضول التي تمت التجارة معها . فهو المسؤول عن ارسال القوافل وضمان سلامتها ودفع الديون المترتبة على البضائع . وحسب الدليل المتوفر الآن هناك أحد عشر مركزا تجاريا آشوريا في بلاد الأناضول من نوع الكاروم وعشرة من نوع الاورباروم ، وكان أكثرها أهمية كاروم قانش وكاروم بوروش خاخوم (ربما أجم هويوك الحالية قرب السراى) . وأهمية كاروم الأخيرة كان لوقوعها قرب مناجم النحاس المهمة في بلاد الأناضول واشراف الكاروم على انتاجه وتصريفه للتجار الآشوريين . وهناك عدد من الكاروم امثال كاروم وأخشوشان (ربما قرب نقده الحالية) وكاروم بوروش خاتوم في سهل قونية وكاروم خالتوش قرب بوغازكوى وكارم تاوبينا (نفس كوى الحالية) . واستعمل التجار الآشوريون العاملون بآسيا الصغرى الأوزان والمقاييس العراقية . وعاش تجار كاروم قانش خارج أسوار مدينة قانش ربما كاجراء احترازي دفاعي من احتمال هجوم السكان المحليين عليهم . وربما كانت طبيعة عمل التجار ووصول قوافلهم والبضائع تحتم ان يكون موقعها خارج المدينة ، وكان كاروم قانش أشبه بمدينة منفصلة لها مراعيها وسوقها ويوتها المنعزلة . وأهم بناية في الكاروم هي بيت الكاروم المسؤول عن تجهيز المحطات وجمع الضرائب ومحاسبة القوافل وتحديد أسعار الفوائد على القروض المتعاقد عليها مع التجار ، وحرص التجار الآشوريون على حفظ علاقات طيبة لهم مع الأمراء

من آسيا الصغرى الى بلاد آشور لتعدينه والتي صارت مهنة شائعة في آشور بحيث اطلق على احد بوابات مدينة آشور باسم بوابة معدني المعادن ، غير ان هناك من يجزم بأن التجار الآشوريين لم يصدروا النحاس الى بلاد آشور .

كان للدولة الآشورية اليد العليا في اعمال المراكز التجارية وسير قوافل التجار ، ويمكن تلمس ذلك في فرض الضرائب على بضائع الترانسيت واهتمامها بحسابات التجار وتزويد الباعة بالمعادن التي يحتاجون اليها ، خاصة الثمينة منها ، وضمانها للأوزان والمقاييس لكل البضائع المرسلة من آشور ، وكان سراى المدينة (بيت المدينة) هو المؤسسة التي تشرف الدولة بواسطتها على التجارة والذي يقابله في المراكز التجارية بآسيا الصغرى بيت الكاروم ، وكانت السلطة الآشورية تفتش كافة اعمال التجار الآشوريين في بلاد الأناضول حيث كانت ترسل اليهم موظفين عرفوا باسم "رسل المدينة" لمشاورة ونصح كاروم قانش على وجه خاص ، كما كانت السلطة المركزية الآشورية ترسل الى المراكز التجارية موظفا قضائيا عرف باسم الرابيصوم او رابيصوم المدينة للنظر في مشكلات التجار المستعصية . وقد دعمت التجارة بين بلاد آشور وآسيا الصغرى باتفاقيات تجارية رسمية بين ممثلي الدولة الآشورية وحكام مختلف المدن في بلاد الأناضول التي يعمل التجار الآشوريون فيها ، ويعلل بعضهم سبب نجاح التجار الآشوريين بأعالمهم الى نشاطهم غير الاعتيادي ودعم حكومتهم في الوطن الأم لهم واخلاص التجار أنفسهم وحسن العلاقة بينهم وبين سكان بلاد الأناضول والحكام هناك . ويبدو ان تجار المراكز الآشورية كانوا يتمتعون الى عوائل متنفذة آشورية معروفة ، وكان اكبر العائلة سنا يقيم في بلاد آشور ويدير من هناك العملية التجارية مع آسيا الصغرى ، ويقوم افراد العائلة الأصغر سنا بالعمل في مختلف المدن الأناضولية التي تاجروا

المحلبين وكثيرا ما كانوا يقرضون الآخرين الأموال ، وكان للأمرأة المحلبين الحق بمصادرة اية بضاعة من محلات التجار الآشوريين في الوقت الذي كان فيه الأولون مسؤولين عن حفظ الأمن وسلامة بضائع التجار، وأهم مؤسسة في الكاروم كان بيت الكاروم حيث كانوا يتسلمون البضائع الواردة ووضعت أثمانها في حسابات التجار. وكانت كافة المستندات محفوظة في بيت الكاروم وفيه تجري حسابات التجار وتعمل مشكلات حساباتهم. وهناك من يعتقد بأن دار حسابات وخزانة أموال القوافل كانت منفصلة عن بيت الكاروم ، وكثيرا ما كان الكاروم نفسه يقترض أموالا من التجار بفائدة منخفضة كما كان له الحق بشراء البضائع . ويظهر ان امير مدينة آشور (الروبايوم) ومجلس مدينة آشور كانا يشرفان على كافة مراكز التجار الآشوريين في آسيا الصغرى ولديها كان التجار الآشوريون يستأنفون قضاياهم في الوقت الذي كان كاروم قانشر فيه يشرف على المراكز التجارية الآشورية الأخرى في بلاد الأناضول وحتى أنه تحول بالتفاوض مع السلطات المحلية .

تاجر رجال المراكز التجارية الآشورية بآسيا الصغرى ببضائع عدة منها المنسوجات سواء كانت جاهزة على شكل ملابس ام قطع كبيرة معلومة القياس من المنسوجات ، والأخيرة اما أنها مصنوعة في آشور او مستوردة اليها خاصة من بلاد بابل او يأتي بها التجار البابليون أنفسهم لبيعها في آشور وأخرى مصنوعة محليا في آسيا الصغرى وفي رسالة يوصي تاجر آشوري من مستوطني آسيا الصغرى حائكة في بلاد آشور بالمنسوجات التي يريدتها والمواصفات التي ييغبها ويذكرها بكثرة الطلب على المنسوجات الآشورية في آسيا الصغرى ، ويظهر من رسالة أخرى ان الصوف في بلاد آشور لم يكن كافيا لعمل المنسوجات المطلوبة من آسيا الصغرى بل

كثيرا ما كانت ترسل كميات من الصوف الخام من آسيا الصغرى اليها . وكان أكثر العاملين بالنسيج في آشور من النساء ويضعن انواعا عديدة من المنسوجات، وحتى ان العمال كانوا يضعون أحيانا اسماءهم على منسوجاتهم ، وقد وردت اليها اسماء عدد من المنسوجات وربما يكون الكيتافوم نوعا من الأبسطة ، وكانت الأسعار متفاوتة تبعا للجودة ، واستعمل التجار الآشوريون ببلاد الأناضول للأقمشة والمنسوجات عدة اصطلاحات امثال قوي ، وسبيك ، وقاعم ، ومقصوص ، وواسع ، واللوان شتي (احمر ، واصفر ، وابيض الخ) ثم جيد الصبغ واعتيادي ومتوسط النوعية ، وأكثر الملابس والمنسوجات كانت تعرف باسم مصادرها وكذلك تاجروا كما أسلفنا القول بالقصدير الذي صدره الى بلاد الأناضول لاستعماله في تعدين النحاس .

واعتقد بعضهم ان سبب توقف التجار الآشوريين في آسيا الصغرى عن العمل هو استعاضة سكان بلاد الأناضول عن القصدير في تعدين النحاس ، وكانت قيمة القصدير تتقلب أكثر من أسعار المنسوجات ، وكان معدل سعر القصدير في بلاد الأناضول ضعف سعره في بلاد آشور. كما تاجرت المراكز التجارية الآشورية بالصوف الخام الذي استحصلوا أحسن انواعه من ماما (الباستان شرق الأناضول) وأرسلوها من هناك الى آشور وقانشر ، كما تاجروا بالمحصولات الزراعية بين مختلف مدن الأناضول وبالنحاس الذي كانوا يرسلون منه كميات كبيرة قد تصل الى بضعة الاف من الأطنان ، وكان يصنع على شكل آلات مثل المناجل والفؤوس الخ. كما صدروا الى بلاد آشور الذهب والفضة التي يسلموها بيد الثقات من الناقلين وخاصة سعاة البريد . وقدر لارسن حجم التصدير خلال خمسين سنة من آشور الى قانشر ٨٠ طنا من القصدير على الأقل و ١٠٠ الف قطعة من المنسوجات بلغت وارداتها ١٠ أطنان فضة من

وضرائب عينية الى الكاروم ، وضريبة لتعمير حصون آشور، وضرائب عند الخروج من آشور والأناضول عند المدن التي يمرّون منها ، وضريبة رؤوس ، وأخرى عن ارساليات الذهب والفضة الى آشور.

التجارة الخارجية :

اهتم الآشوريون بالتجارة منذ عصور استقرارهم في بلاد آشور وازداد ذلك الاهتمام بعصورهم المتأخرة ، وقد عزا كثيرون الازدهار الآشوري في تلك العصور الى انتعاش التجارة ، وقد استورد الآشوريون مختلف انواع المعادن كالذهب والفضة والقصدير والنحاس والرصاص ومختلف انواع الأحجار الكريمة وشبه الكريمة والصخور وأصناف من الأخشاب مثل الارز والأبنوس وخشب القس واللؤلؤ والعاج والكثير من المواد الضرورية التي لا تتوفر في بلادهم . ولعدم ثبات توفر المواد الغذائية بصورة دائمة ، حيث كثيرا ما كانت تشح نتيجة قلّة مياه الارواء او عدم توفرها او زيادتها لحدوث فيضان مدمر بسبب الآفات الزراعية ، فقد صار اهتمام الآشوريين بالتجارة الخارجية كبيرا . وذكر الملك آشور- بليز الأول (١١١٥-١٠٧٧ ق. م) على حيوانات أراد تكاثرها في بلاد آشور كالجمال ذي السنامين لابد ان جاء بها التجار عن طريق جبال زاغروس . وربما يكون حيوان البورخيش الذي ذكره هذا الملك هو ثور التبت الطويل الصوف الفخم المعروف بالياك الذي وصل هو الآخر الى آشور عن طريق التجارة ، وجلبوا اللؤلؤ من الخليج العربي والعاج من الهند ومصر وأفريقية سواء بصورة مباشرة او عن طريق الفينيقيين، وتدل كثرة قطع انعاج التي عثر عليها في المواقع الآشورية خاصة في نمرود على مدى اعتماد الآشوريين على التجارة الخارجية خاصة في جلب هذه المادة وجلب الصنّاع المهرة الذين يتقنون قطعها وتزيينها ، ويبدو ان تجارة العاج كانت بين الهند وديدان حيث نقل

القصدير و٨ اطنان فضة من المنسوجات يطرح منها النفقات والضرائب ، كما ذكرت نصوص المراكز التجارية الآشورية متاجرهم بالتين والجلود والزيت واللبس والتي يبدو انها كانت تجلب من مناطق في داخل آسيا الصغرى .

يظهر ان تجار المراكز الآشورية ببلاد الأناضول قد اتبعوا نهر الخابور الاعلى عبر جنوب سنجار حتى العاصمة آشور . وكانت هناك طرق قوافل قديمة سواء المارة منها بالثرثار عبر جبل سنجار فوادي الخابور ام الى تلعفر ونصيبين ، وربما اتبع التجار طريق الخابور الماربساديواتوم (ربما تل السعدية) ، فرزاماشا بوراما (ربما تل عبطة وقد تكون نفسها مدينة بيل حران بيل او حور) ثم قطاره (ربما تل حويش جنوب بلد سنجار) فروزاماشا او خاكم قابوم . وربما سلكوا ايضا الطريق الشمالي على طول دجلة فجزيرة بن عمر فنصيبين ويعبروا الفرات عند دادانيا (ربما بيره جك الحالية) باتجاه قانش سواء عبر دارند وكورون او عبر غازي عيتاب فوادي زنجلي (سما) .

وقد حمل التجار بضائعهم على الحمير (كل حمار يحمل حوالي ١٥٠ باوند تقريبا) . وقد تصل اعداد الحمير في القافلة الى ٢٠٠ حمار ، وكان التجار يشترى الحمير من آشور ، ويبيعوها بآسيا الصغرى وذلك لغلاء اسعارها هناك . وقد استعملوا العربات بقلة وكذلك القوارب ، ربما عند عبورهم الأنهار ، وكانوا يضعون البضائع على شكل رزم فوق الحمير بأزواج يضعون فوقها أكياسا أصغر حجما . وكانوا يضعون مع المعادن المحملة وزنا اضافيا لتغطية مصاريف الطريق . اما المنسوجات فكانوا يضعون من ٢٠ - ٣٠ قطعة لكل حماري حوالي ٨٠ كيلو غرام للحمل الواحد واستعملوا للتغليف منسوجات أرخص نوعا .

دفع التجار انواعا من الضرائب امثال ضريبة الطريق ، والتصدير ، وضريبة مواجهة الأمير ،

أنواع النبيذ تصلها من حلب وكركميش. وكان الرصاص أكثر شيوعاً في بلاد آشور في العصور الأولى، وربما كانوا يجلبونه من سورية والجبال القريبة، وكانت الفضة موجودة في شمال الألبان الكليكية بآسيا الصغرى حيث مناجم بلغار عدن وقد ضمن الملك شيلمنصر الثالث المدخل إلى هذه المنطقة الثرية بالفضة عندما سيطر على تدي والتي سرعان ما خسرها ثم استجمعها نجلاً تبليرز الثالث الذي وصل إلى المناجم نفسها. وكم حاول الملوك من سرجون الثاني حتى أشرحدون الحفاظ عليها، ولكن غزوات القبائل البربرية من الشمال أوقفت جهودهم.

استورد الآشوريون اللازورد من بد خشان في أفغانستان وبكتريا. وربما استوردوا العقيق الأحمر واليشب والجرج (العقيق الثاني) من عربستان حيث وجد منها في حوض نهر الكرخرة، أو أنهم استحصلوها من الهند، وجلبوا الزمرد والشذر من مصر، كما حصلوا على أحجار شبه كريمة من أرمينيا واستوردوا الصخور المنحوتة على شكل جعارين من مصر. وحصل الآشوريون على كثير من الأحجار الكريمة من صيدا والمدن البابلية والمصرية. وقدمت القبائل الميديّة جزيئتها إلى الملك أشرحدون باللازورد الذي قدمته أيضاً المناطق شمال شرق ميديا إلى نجلاً تبليرز الثالث والتي كانوا يستحصلونها من بد خشان، وعثر سرجون الثاني على كميات كبيرة من اللازورد في قصر مصاصير (بمنطقة راوندوز)، ويعزى ثراء مصاصير إلى ارتباطها بخطوط التجارة عبر جبال زاجروس بأواسط آسيا وبد خشان، كما استحصل الآشوريون على الأحجار الكريمة من بلاد العرب وساحل البحر الأحمر وقدمت ايدوم اليهم جزيئتها بالزمرد، وقدمت مناطق نايري وسورو جزيئتها إلى الملك توكولتي نورتا الثاني (٨٩٠-٨٨٤ ق.م)، بالحديد. وقد استحصل شيلمنصر الثالث اربعمائة طالن حديد كجزية من الحيثيين وقد

الديديانيون العاج إلى فينيقيا وربما استحصله الآشوريون من ديدان مباشرة. وقد اشتهرت صور في تجارة العاج حتى شبهها سفر حزقيال من العهد القديم بسفينة ذات مصاطب من الخشب مغطاة بالعاج ورغم أنه لم يعثر على شيء من العاجيات الآشورية خارج الممتلكات الآشورية، إلا أنه يمكن الافتراض أن الآشوريين صدروا العاج المحفور ومتجاتهم من الزجاج الشفاف الملون والطاسات المعدنية والصحون.

تعرضنا إلى جلب الآشوريين للقصدير من مناطق جبال قرة داغ قرب تبريز بإيران ومن وادي فرغانة بأواسط آسيا ومنطقة شمشارة في شمال العراق الشرقي، وربما استحصلوه في عصورهم المتأخرة عن طريق الفينيقيين الذين كانوا يحضرونه في الغالب من صقلية وجزائر كورنوال بانكلترا التي عرفت باسم جزر القصدير، وربما بادله الآشوريون معهم بالمنسوجات والصناعات الأخرى. ولم يعثر على القصدير في المواقع الآشورية بحالة نقية بل عنصراً في صناعة البرونز حيث يشكل $\frac{1}{10}$ - $\frac{1}{15}$ من المادة. أما النحاس فقد أتى الآشوريون به من ارغان معدن (ارغانة) وفي العصور التالية من مناطق القفقاس وخراسان وبحر الخزر وقبرص وعمان عن طريق البحرين (دلون). ومنذ عهد سرجون الثاني استحصل الآشوريون النحاس من قبرص وربما من عمان. وكانت المدن الكلدانية في حوض الفرات الأدنى ودجلة ذات علاقة مع أفريقية بالذهب والساج والعاج التي لا بد أن تم تبادلها بصناعات شرقية وبالفضة والقصدير والنحاس والحديد. وكانت ماري تستورد القصدير ثم تعيد تصديره إلى حلب وقطنة (مشرقة في سهل حمص بسوريا) وخابور (تل القداح في فلسطين) كما عملت تجارة الذهب والأحجار الكريمة والخشب. ونقرأ أيضاً عن تجارة لها في الحيوانات والخمر والأعشاب الطبية، وكانت

استحصل الآشوريون على الحديد من منطقة كوما
عنين شمال غرب آشور كما جلبوه من حرّان ايضا.
وربما يكون معدن الأموتوم هو المعدن الغالي الثمن
الذي استحصلوه في عصور اولى.

ذكر هيردوتس (٤٨٠ - ٤٢٥ ق. م) أن
البضائع الآشورية كانت ضمن صادرات الفينيقيين
الى بلاد اليونان منذ عصور قديمة دون ان نجبرنا
بطبيعة تلك البضائع. وقد تكون من هذه البضائع
المنسوجات الزرقاء والمطرزة. وكان الحرير خلال
العصور الرومانية من الصادرات الآشورية
الأساسية. وتكلم الشاعر الروماني هوراس من القرن
الأول على النادرين الآشوري وقد ذكر الشاعر
الروماني فرجيل الهيل الآشوري وتعرض يتبولوس الى
العمور الآشورية وربما وصلت كل هذه الى الرومان
عن طريق الفينيقيين الذين استحصلوها بالتبادل
التجاري من الآشوريين.

جلب الآشوريون الخيول من كباد وكية والسهول
التيسية غرب ميديا، وكان الحصان الذي استعمله
الآشوريون متوسط الحجم نحيف البنية تبرز يده
الاماميتين قليلا الى الاعلى اكثر من رجله الخلفيتين.
ونقرأ في رسالتي الملك آشور- او بالظ الى معاصرة
الفرعون المصري امنحوتب الرابع (اختاتون) من
عصر العارثة ارسال الاول للثاني خيولا، ويقدم
دليل الضرائب وجود انواع عدة من الخيول امثال
الخيول الواردة من منطقة ميسو (شرق آشور)
والخيول الكوسية والماسية الخ مما يدل على تنوع
مصادر استيرادها. وهناك وثيقة بارشالية قدرها
سبعائة وثلاثون حصانا، وهي دليل مهم عن
التجارة الدولية بالخيول، وربما كانت مرسله الى
الدولة لأهميتها العسكرية. وقدمت ميديا جزيتها الى
الآشوريين بالخيول.

أورد سفر حزقيال من العهد القديم (٢٧ :
٢٣ - ٢٤) ذكرا لتجارة الآشوريين مع مدينة صور
في الملابس الزرقاء المطرزة، حيث ورد "حران وكنة

وعدن تجار شبا وآشور وكلمد تجارك. هؤلاء تجارك
بنفائس بأردية اسمانجونية ومطرزة وأصونة مبرم
معكومة بالجبال مصنوعة من الأرز بين بضائعك"
وقد استورد الآشوريون الشب والنظرون من مصر
استخدموها مواد مثبتة للألوان على خيوط الغزل
والنسيج والملابس. وقد عرض آشور بانبيال على
مدينة ارواد الفينيقية دفع نوعين من الصوف
المصبوغ بالأرجواني الذي يوثق به من مناطق سورية
حيث المراعي الكثيرة، وقدمت بعض المدن
السورية جزيتها للآشوريين بالصوف، وذكرنا قدم
شهرة آشور بصناعة المنسوجات المختلفة التي كانوا
يصدرونها الى بلاد الأناضول.

أتى الآشوريون بخشب الارز من لبنان وجبال
الأمانوس (الماداغ في شمال غرب سوريا) وجلبوا
خشب الساج والأبنوس من الهند وأفريقية
المدارية، وكانت صور تستورده، وسمح الآشوريون
لمدينتي صور وصيدا ان تقطع الخشب من جبال
لبنان شرطة ان يدفعوا عنها الضرائب عند وصولها
الى المخازن، وقد أثارت هذه السياسة الفينيقيين
حتى ان جامع ضريبة آشوريا قد قتل، مما دفع
الآشوريين الى اخراج الفتنه عسكريا وفرضوا بعدها
قيودا على الصادرات، وصار الخشب يرسل الى
بلاد آشور.

أتى الآشوريون بالبخور من بلاد العرب
واستوردوا الدارصين من جنوب شرق بلاد العرب،
وربما من سيلان، حيث دخلت هذه المادة في
تركيب الدهن المقدس. اما تجارة المحصولات
الزراعية فكانت قائمة على قدم وساق. وذكر بلني
الكبير في موسوعته ان الكثير من الأمم حاولت
زراعة التفاح الآشوري نظرا لحمله الفاكه طيلة
السنة، واستورده من بلاد آشور في جرار مزودة
بثقوب لتنفس الجذور. وكان من الفواكه التي تظهر
على الموائد الآشورية في المنحوتات عددا مما يشبه
الأصابع متصلة بالقاعدة احيانا تمثل مجموعة من
الموز واذا كانت كذلك فرما كانت مستوردة.

ومن العصر البابلي القديم نورد النصوص ارسال القمح الى ماري التي كانت بحاجة دائمة اليها ، وكانت تحصل عليها من بلاد ايمار (مسكنة قرب حلب) والقطن الذي ادخله الملك سنحاريب سنة ٦٩٤ ق. م. ربما استحصله من مصر التي ربما كان يصلها من الهند ان لم يكن قد وصل اليها من الخليج العربي حيث كان يصل اقطاره من الهند ايضا. وفرض الآشوريون على مناطق الجبال والسهوب امثال تابال ، تايانا ، نائيري وبيت زماني عند منابع دجلة وميديا دفع جزيتها بالمواشي ايضا وقدمت الملكة العربية شمشة الى سرجون الآشوري جزية ضخمة من الجبال. وجلب آشور بانيبال من انتصاراته بالغرب اعدادا كبيرة من الجبال مما أدى الى رخص اسعارها في الأسواق المحلية الآشورية.

يقدم دليل الفخار البرهان على وجود تجارة قوية بين السنوات ١٦٠٠ - ١٤٠٠ ق. م بين بلاد آشور وقبرص حيث وجدت في آشور الكثير من الاوعية الفخارية القبرصية المهشمة من زمن الملك آشور- بيل - كالا. كما عثر في مصر على معجم بكلمات مصرية وما يقابلها من معان باللغة الآشورية لايد انها تعود الى تاجر آشوري قصد مصر للتجارة ، وكان في مدينة اوغاريت (رأس شمرة شمال غرب سوريا) مستوطنين من حوالي ١٤٠٠ ق. م. يعملون في التجارة ، وقامت اوغاريت بدور وسيط في التجارة ما بين آسيا الصغرى ، حيث مصادر النحاس والذهب والفضة وبين مدن العراق القديم. ويعود سبب تحرك الآشوريين خلال القرن العاشر ق. م. الى سوريا الى الصعوبات التي حلت بأشور نتيجة التحركات الآرامية في سوريا ، وكان ذهابهم الى سوريا هو للسيطرة على الطرق التجارية المؤدية الى البحر المتوسط ، وفعلنا نجحوا في ذلك حوالي منتصف القرن الثامن ق. م. وسيطروا على كل سوريا وفينيقية ، وكان الآشوريون يسيطرون على

اقتصاد وتجارة المناطق التي يسيطرون عليها. وربما يكون سبب الصراع بين دولتي اارات وآشور هو النزاع على الخطوط التجارية خاصة وان مشكلاتهم قد تركزت في شمال سوريا وجنوب كليكييا والمنطقة جنوب شرق بحيرة اورمية (رثانية) خاصة وان سوريا مهمة تجاريا وسعى الاثني الى السيطرة عليها. وان السيطرة على كليتييا يفتح الطريق الى المستعمرات اليونانية بآسيا الصغرى وموشكي (فريجيا) وبلاد اليونان الى جانب اهمية شمال شرق العراق التجارية في نقل التجارة من المشرق الى آسيا الصغرى فالليونان ، وحرص الآشوريون في عصرهم المتأخر على احكام قبضتهم على شمال العراق الشرقي واشاعة الأمن والاستقرار في ربوعه من ناحية وجعل شمال غرب سوريا مزدهر تجاريا ، لذلك اقاموا القلاع والحصون فيها. كما فتح الطريق الى حلون (البحرين) خلال العصر الآشوري المتأخر للحصول دون شك على منتجات الخليج المختلفة التي كانت تصل اليه تجاريا من الهند والنحاس من عمان.

وقد اعلمتنا قائمة المنتجات والمواد التي قدمها مردوخ ابلا أدينا (مردوخ بلادن) الى تجلا تليزر على غنى منطقة الخليج العربي. فقد ذكر ضمن المواد تراب الذهب وكثرته وأوعية ذهبية واحجارا كريمة ولؤلؤ وقلائد الخ. وان سرجون الثاني الآشوري هو أول حاكم آشوري نجح في اجبار مصر على فتح العلاقات التجارية مع آشور واعتبر سرجون هذه المسألة على غاية من الأهمية. وبذلك خرجت مصر من عزلتها التجارية التي عبر عنها سرجون بالقول (حدودها المغلقة). وهذه أول اشارة نعرفها حاليا عن اهتمام الدولة الآشورية بالتجارة وشاركها في العلاقات التجارية الدولية. ويذكر أصرحدون اعطاءه البابليين امتيازاً بحرية التجارة غير المقيدة لهم مع جميع انحاء العالم المعروف آنذاك. وتدل هذه على ان التجارة البابلية والآشورية قد بدأت منذ ١٩٥

صور التي كانت مركز تجارة دولي في العصر الآشوري الأخير. وأحيانا كانت الدول التابعة لآشور، كما لاحظنا، تدفع جزيتها بمنتجاتها المحلية التي كان الآشوريون يستفيدون منها في التجارة الدولية.

وقد ظهر الرصاص في العصور الآشورية واسطة تبادل الى جانب الفضة. وفي زمن الملك سرجون الثاني كانت نسبة الفضة الى الذهب ١ : ١٠ اي ان فضة العملة أصبحت أرخص نوعا. وكانت الفضة المختومة واطئة من حيث الجودة خلافا للفضة التي كانت تستعمل صناعيا، وكانت الأنظمة الرسمية الآشورية تمنع استعمال هذه الفضة حيث ورد في النص: "إذا صهرت قطعة فضية تحوى علامة فانك ستكون مذنباً بحق الدولة" وكانت هذه العلامة المختومة تشر الى أن محتواها الأدنى من الفضة مضبوطا. وهكذا تعد مزيجاً فضياً وليست فضة خالصة. وجاء في نص القول "ارسل لي فلان ٢٠ شيقل فضة كانت ثلاثة منها فقط جيد النوعية اما البقية فمختومة بعلامة" وورد في نص آخر: "٥ شقلات فضة لقاء ثلث شقل ذهب"، ويحدد نص آخر سعر الذهب والفضة بالنسبة الى المعادن الأخرى.

١٠ طالين نحاس تعادل $\frac{1}{3}$ شيقل فضة
 ٣٧ من رصاص تعادل $\frac{1}{4}$ شيقل فضة
 ٤ طالين و ١٧ من حديد تعادل $\frac{1}{3}$ و
 $\frac{2}{3}$ شيقل فضة

وكانت الفضة تخزن في اماكن خاصة وبعمدة موظفين مؤتمنين، وكان خروج هذا المعدن كما يستدل من احدى الرسائل لا يكون الا بأمر الملك أو مبعوثه الشخصي. وقد استعملت الفضة واسطة تبادل أشبه بالعملة. وان الرسائل الآشورية من الفترة السرجونية الأخيرة مليئة بالاشارات لذلك. وقد ورد ذكر شيقل رأس عشتار من الفضة اورأس شمش، ثم قطع نصف شقل للملك سنحاريب.

بداية الألف الأول ق. م. وربما صار الاثنان وسطاء في التجارة بين الهند وشرق العراق الى البحر المتوسط. وتوضح معاهدة أسرحدون مع بلع حاكم صور اهتمام الملك الآشوري بالتجارة ودرجة التجارة البحرية للساحل السوري التي صارت الآن حكرا للفينيقيين. ولم يطلب أسرحدون فيها زيادة الجزية المفروضة عليهم عما كانت عليه زمن شليمنصر الخامس بل طلب تعويضا عن الخسارة التي نجمت عن هبوط قيمة العملة. ولم ينظر الفينيقيون الى هذه كجزية بل دفع عن أقيام سبق تسلمها. ويظهر من بنود المعاهدة ان الفينيقيين هم الرابحين من بنودها أكثر من الآشوريين كما تدل معاهدة أسرحدون مع راماتايا الميدي حاكم اورو كازايارنا حرص الملك الآشوري على حفاظ تابعه على السلام والتعاون مع آشور الضروريان للتجارة. وكانت معاهدة مابين تود جلبا الملك الحيثي وبين تابعه شوشكا موواش ملك عمورو بسوريا فرض الملك الحيثي على تابعه فيها مقاطعة بلاد آشور تجاريا حيث أخبره "ان تجارك يجب ان لا يذهبوا الى بلاد آشور ولا تسمح لتجاره (الملك الآشوري) في بلادك وان لا يمرروا فيها. واذا اتى واحد الى بلدك اقض عليه وارسله الى الملك الحيثي (الشمس في النص)". واعتبر الملك الآشوري هذا تهديدا خطيرا لمصلحته التجارية في سوريا جعله يبدأ الحرب.

كان الكثير من البضائع يصل الى بلاد آشور من الخارج خلال الألف الأول ق. م، خاصة ولكن أغلبها كان على شكل غنائم حرب او جزية ابتداء من زمن الملك توكولتي نورتا الأول الى جانب تسلم الدولة للكثير من الضرائب العينية. وكان ميزان الدفع دائما لمصلحة آشور، فهما يكن الصرف الآشوري فان التوازن يتم بالمصدرين الآخرين (الجزية والغنائم)، وكان الدفع بالذهب والفضة، وفي تملك الذهب كانت على رأس القائمة الآشورية

ومن قبل ذلك ورد ذكر حلقات فضية في الكتابة للملك آشور ناصر بال الثاني (٨٨٤ - ٨٥٩ ق. م) كلها لضمان الوزن.

التجارة الداخلية :

تظهر الوثائق الخاصة بمختلف أوجه النشاط التجاري ، أمثال صفقات البيع والشراء والقروض والمساهمات بالأعمال المتنوعة سواء الخاصة بالانتاج ام التجارة والصيرفة (استثمار ، اعتماد) وما الى ذلك ، سعة حجم التجارة الداخلية في بلاد آشور. فقد كانت البضائع والمواد المختلفة تنقل من المناطق التي تنتجها وتضعها الى تلك التي تحتاجها وتفتقر اليها. فمنتجات المنطقة الجبلية كانت تجلب لتصرفها الى جميع المدن الآشورية ، ويتم نقل المحصولات الزراعية والمواشي والمنتجات الصناعية المختلفة من مدينة لأخرى بواسطة التجار المحليين الذين إما ان يبيعوا لتجار آخرين او الى باعة المفرد. وكانت العلاقة قوية بين جنوب العراق وشماله حيث يتم نقل ما تحتاج اليه المدن الشمالية من منتجات الجنوب ونقل ما يحتاجه الجنوب من محاصيل وصناعات الشمال. وكانت بلاد آشور تشكل مصدرا مهما لتصدير خشب الحور الذي يستعمل في البناء وخشب الاسل المهم في صناعة السفن ، وتدرج وثيقة البيع عادة القيمة التي تمت الموافقة عليها بين البائع والمشتري ثم العقوبات على من ينكث البيع منها وينتهي العقد بأسماء الشهود والتاريخ ، وتقرأ دائما العبارات (الآله هم سادة قضيتي) او (الآله آشور هو سيد قضيتي) او (أدى القسم بالملك الذي هو سيد قضيتي) وكثيرا ما تدرج وثائق البيع عقوبات جزائية على الناكث او أطفاله مثل أكل نبات شوكي حتى يثقب اللسان او حرق ابنته الكبرى او ابن الناكث الأكبر او اجباره على تضحية خيول بيضاء. وأحيانا تلزم العقود الناكث تعويضا عن الخسارة التي لحقها بالطرف الآخر تصل أحيانا الى دفع عشر اضعاف قيمة الصفقة. وفي الكثير من الأحيان تم الصفقات بالتبادل.

كانت هناك اجراءات اعتمادية في بلاد آشور لتسهيل التجارة ، وكان المبد والصيارفة يتعاطون الاقتراض بالفضة لأغراض التجارة والعمل حيث يقرضون المال الذي يسترجعون وقت الحصاد او وقت آخر عينا وفي حالة عدم الدفع فيقدم المقرض فائدة أمكثها بالجوب. وكانت المدن تتبادل مع منتجاتها بعضها مع بعض. فالمنطقة حول حرّان زمن الملك سرجون الثاني كانت مركزا كبيرا لجمع البلوط الذي يستحصلوا منه الى جانب الثمر الغفص والصبغ القرمزي المعروف ببلوط الدودة اوبلوط القرمز التي يصدروها الى المناطق التي تحتاجها. كما كان التجار يشترون الأخشاب من الجبال لبيعوها في المدن. فأثوا بالسيستان من جبل حمرين والجزيرة القراتية والسرو من الجبال الشرقية والتي استحصلوا منها على المن خاصة الذي تفرزه انواع من البق. ثم الجليان الذي يحضروه للبيع من منطقة الشرقاط. وأثوا بمخشب الصنوبر من جبال زاجروس. وكانت الخمر تنتج في المناطق الجبلية الى شمال وشمال شرق نينوى ويجلب للبيع بواسطة تجار الى المدن الآشورية ومنها نينوى. وهناك عقد بين بارتاما ومانوكي نينوى حيث أوعد الأول ان يسلم الثاني حوالي مائة غالون خمر بنينوى خلال شهر مايس واذا لم يقدم الخمر فعليه ان يعطي بالفضة ما يعادل مئة غالون بالسعر الذي عليه الخمر خلال ذلك الشهر. وهذا يدل على تقلب الأسعار حسب الفصول والأشهر حسب الأوضاع الاقتصادية (العرض والطلب).

وكانت كثرة الغنائم تؤدي الى هبوط الأسعار، فكثرة الغنائم التي جلبها الملك آشور بانيبال من حركاته التأديبية ببادية الشام جعلت أسعار الجمال تهبط بصورة ملحوظة.

كان الشعير هو المقياس في العصور الأولى عند تقوم اثمان البضائع الى جانب المعادن الثمينة خاصة الفضة ، ويبدو ان الآشوريين الاوائل استعملوا الرصاص والنحاس ايضا. وذكر سنحاريب صب

اشكال كبيرة وقال ان عملها كان سهلا كسهولة عمل نصف الشقل. وفي جرة عثر عليها في آشور اكتشفت قطع فضة قطعت على شكل قضبان وحلقات. كما عثر على قوالب للمعادن الثمينة على شكل نجمة، وهلال وحيوانات مختلفة وهي خالية من أية كتابات. وعلى الرغم من تصريح سنحاريب سنة ٦٩٤ ق. م بصبه شكلا برونزيا (مثل صب نصف شقل) عرف برأس عشتار ورأس شمش فان النقود لم يكن لها دور في اي دور، ولم تكن هناك نقود في بلاد آشور. وقد استخدمت المعادن غالبا وسيلة للتبادل كقطع ذات وزن ثابت معين تضمنه الدولة. واستخدمت معادن الفضة، والذهب، والقصدير، والنحاس، والبرونز لهذا الغرض، ولأنه الأكثر أهمية في العصر الآشوري الحديث كان الفضة التي استخدمت أحيانا مقياسا.

الخطوط التجارية :

طرق التجار الآشوريون خطوطا تجارية كثيرة في الوقت الذي كانت فيه جميع الطرق التي تسير بها الجيوش الآشورية ممرات للقوافل التجارية، وحضبت بحماية الدولة.

ومن الطرق التي اتبعها التجار الآشوريون كان الطريق الذي يأتي من حوض بحيرة رضائية عبر مضيق كيلبي شين منحدرا الى راوندوز ومتبعا مجرى نهر الزاب الكبير الى حرير حيث تعبر السهل الى نينوى. وقد عثر في كل من طوبزاه وكيلا شين على نصب حجري مدون بكتابة مسمارية باللغتين الآشورية والآرامية (الخالدية). ونصبت الأولى على الطريق العام الذي يصل سيده كان بممر كيله شين، تورد مساعدة روسا ملك ارات (المعاصر لسرجون الثاني الآشوري) خليفه ارزانا ملك مصاصير ضد الآشوريين.

وطول نصب كيله شين حوالي المترين وعرضها ستون سم تذكر انتصار ملك ارات اشبوايني وولده منوا على الآشوريين وضم منطقتي مصاصير ونايري لمملكته، وان وجود هذين النصين المتقاربين على هذا الطريق يدل على كثرة استعمال هذا الملك للتجارة عبر جبال زاغروس. ثم الطريق الذي يربط بلاد آشور مع ميديا ويصل من شمال اكباتانا (همدان) الى السلمانية الحالية عبر مضيق بانه ومن هناك الى كركوك ويعبر الزاب الاسفل عند التون كوبري ثم يمر بأربيل فنينوى. وقد ذكر ديدوروس الصقلي من القرن الاول التجارة التي كانت تصل الى بلاد آشور من ميديا وبارابتا سيني (منطقة البختارية). وهناك الطريق عبر وادي الزاب الاسفل فجبال قنديل الى لدجيان. وكذلك الطريق الذي يمر من سفوح جبال سنجار حتى كركميش (جربلس، تفساح) حيث يعبر نهر الفرات ثم ينشئ جنوبا الى تدمر فدمشق والمدن الفينقية. وهناك طريق آخر يصل نينوى بمدينة حران ويستمر الى كركميش حيث يتصل بالخطوط الذاهبة الى شمال سورية من جهة وآسيا الصغرى من جهة أخرى. ثم الطريق الذي يربط نينوى بمنطقة بحيرة وان والذي يتبع وادي دجلة على طول فرع بتليس جاي. وكذلك الطريق الذي يربط نينوى بنصيبين على طول جبال طور عابدين ذاهبا الى اميدا (آمد، دياربكر) فالعزير وملاطية.

وكان الطريق بين جبلي مكحول ونجمة الذي يسير به الآن الطريق الحديدي طريق قوافل حيث كان يمر به طريقان الأول مارا بالثرثار عبر جبل سنجار الى وادي الخابور والثاني الى تلعر ثم الى نصيبين. وهناك الطريق الذي يربط بلاد آشور بآشوننا التي تتصل بها الخطوط الذاهبة الى الشرق والغرب. وكان هناك طريق يربط بابل بآشور على طول الثرثار. وربما كان هناك طريق يربط بلاد

آشور بغرب الهند عن طريق كابل - هيرات ،
فالأبواب القزوينية وميديا ، حيث عثر هناك على
مسلة الملك شيلمنصر الثالث السوداء التي صور فيها
فيل مع كركدن وجمل بسنمين ، وكانت أخشاب
الارز تنقل بحرا من صور الى أرواد ومنها الى الشمال
حيث تنقل الى الفرات مع خشب الارز الذي يرد
من جبال امانوس .

وحرص الآشوريون على ضمان أمن الطرق
التجارية وسلامة التجار وبضائعهم ، وكان ضمان
القوافل التجارية وسلامتها وأمانها من المواضيع التي
تطرق اليها الملك آشور اوبالط في رسالته الى معاصره
اختاتون فرعون مصر ، حيث ذكر الأول بأن سبب
تأخر وصول رسلمهم يعود الى البدوي منطقة الفرات
الأوسط وأوعد بالضرب بيد من حديد عليهم .
وذكر سرجون الثاني الآشوري حربه ضد القبائل
الأمامية الذين ظلوا يهاجمون قوافل البابليين .

كانت سيطرة شيلمنصر الثاني على سهل مرج
بني عامر في فلسطين مفتاح وصوله الى ساحل البحر
المتوسط ، لأن هذا السهل كان دائما هو الطريق
المباشر للخطوط التجارية التي تربط دمشق وحوران
بالبحر المتوسط . كما سيطرت آشور على ميناء غزة
الذي تصل اليه تجارة العرب الجنوبية في طريقها الى
البحر المتوسط . وربما كان استيلاء سرجون الثاني
على غزة السبب باسراع كاريبي ايلي عاجل سبأ في
البحر المتوسط . وبارسال الجزية اليه حسب ادعائه . وسيطر
الآشوريون على تايانا وفرضوا عليها الجزية . وكانت
تايانا تتحكم بالطريق الممتد من طرسوس عبر جبال
طوروس الى سينوب على ساحل البحر الاسود . كما
قوى سرجون الثاني الآشوري علاقته مع تايال وزوج
ابنته اخت أبيشا للملكها واعطاها كصداق مدينة
هياكو التي كانت محطة توقف للقادمين من كليشيا
في طريقهم الى الطرواد في شمال غرب آسيا
الصغرى .

وخلال العصر البابلي القديم كانت ماري التي
سيطر عليها لفترة الملك الآشوري شمشي ادد الأول
تسيطر على خط القوافل الذي يربط الخليج العربي
بسوريا وساحل البحر المتوسط . وكانت فصل الى
ماري منتجات عدة من أقطار بعيدة لاعادة
تصديرها . وفي عهد شمشي - ادد الأول وصل وفد
من دلون (البحرين) الى شوبات انليل (شجر
بازار) وكان رجوعه الى بلاده عن طريق ماري .
وكانت للماري علاقة قوية خاصة خلال فترة ولاية
يسمخ - ادد ابن شمشي - ادد مع مدينة قطنة التي
كانت مركز مقاطعة ثرية بالحبوب حيث توجد
أشجار الزيتون والعنب وتقع على احد النهايات
القصى لخط القوافل من نهر الفرات الى تدمر .

وكانت صلات قطنة مع البحر قد ضمنها بممر
طرابلس حيث تشق القوافل طريقها بين جبال
لبنان والأنصارية . والى شرقها حزام مع الأراضي
الرعية . وتشير رسائل ماري الى مراعي قطنة . وقد
تزوج يسرخ - ادد من ابنة ملكها ايشخي أدد .
وكان لقطنة صلات تجارية مع ماري التي
استحصلت منها على القصدير .

وسائط النقل :

نقل الآشوريون بضائعهم بالطرق البرية المختلفة
وبالأنهار ولم يكونوا ملاحى بحار ، ولم يركبوا البحر
حتى عندما وصلوا الخليج العربي والبحر المتوسط .
وتركزت خطوطهم التجارية المائية في نهري دجلة
والفرات وروافدهما التي شكلت بالنسبة لهم خط
المواصلات الطبيعي بين تلك الأنهار . وكانت مياه
هذه الأنهار عميقة ولا يمكن خوضها ، ولذلك
استخدموا الكثير من وسائط النقل كالكفاف
والإملاك سواء أكانت جلدية ، حيث تشد بعض
القرب المنفوخة بعضها مع بعض ويرصف سطحها
بالألواح الخشبية ، ام انها كانت على شكل

الاشوريون النقل المائي لرخص تكاليفه واستيعابه الكبير. ونعرف ان الملاحين كانوا يشكلون جماعة مترابطة ويأخذون عوائلهم في الغالب معهم بالسفن. ونقرأ منذ زمن تجلا تليزير الأول عن قوارب استخدمت في مخزن الفرات مصنوعة من الأغصان المجدولة ومغطاة بالجلد ومطلية بالقار. ومثل هذه السفن تكون عادة كبيرة الحجم. ونجد في منحوتة قاربا من هذا النوع حاملا عربة ويجذفها ملاحان. وقد ازداد عدد ملاحي القوارب في العصور اللاحقة حيث صاروا أربعة وكثرت حملات السفن. ويظهر من الصورة ان سير السفينة لم يكن اعتياديا حيث يجلس الجذافون في المقدمة يواجه كل منهم الآخر.

وبالوقت الذي يقوم من في مقدمة السفينة بالسحب، فان الذين عند المقود يدفعون. وكانت السفن في المنحوتات الاولى ذات صواري (اعمدة) قصيرة تنتهي في رأس على شكل فأس صغيرة او مطرقة. وفي السفن المتأخرة هناك في الجزء المائل للفأس منها ما يشبه شفرة مقوسة مثقوبة. ونلاحظ في المنحوتات الاولى قاربا يديره سبعة جذافين (ثلاثة من كل جانب وقائد الدفة). وهذا النوع من القوارب يكون عادة طويلا وضيقا وبأرضية مستوية ومدورة باتجاه المقود والمقدمة ولا تحوى اي شراع او صاري، وفي الوقت الذي تكون فيه مجاذيف الملاحين متائلة فان مجذاف قائد الدفة اطول منها جميعا وينتهي بشفرة بيضوية ومثبت الى قضيب قائم قرب مقود السفينة. ولابد ان اعطت الشفرة مجذاف القائد قوة كبيرة بالاء. علما بأن قائد السفينة يستعمل كلتا يديه. وعندما تكون الحمولة كبيرة وثقيلة فتنتقل في قوارب طويلة ذات أرضية مستوية، وحيث لا يكون فيها مكان للجذافين فانهم يستخدمون الساحبين في جرها بالحبال المثبتة التي تثبت اما بالقارب نفسه او بالحمولة. وتبنى الاشوريون أخيرا السفينة ذات

عوامات من القصب او الخشب حيث تشد قطعاً خشبية او جذوع اشجار بعضها الى بعض، ويمكن الافتراض بأن الآشوريين استخدموها منذ بدء امبراطوريتهم. وهناك ايضا مختلف انواع السفن التي زخرت بها كافة الأنهار وفروعها امثال تلك التي تسير مع مجرى الماء او عكسه. او سفن نقل الحمولات او المسافرين. كما كانت السفن تختلف بالأحجام فقد يصل طول السفينة الى ثمانية عشر مترا حداً أعلى وتراوح حمولتها بين نصف طن وخمسة وعشرين طناً.

والمعروف ان صناعة السفن قد تطورت بصورة ملحوظة في العصر الآشوري الأخير وطراً عليها تحسن كبير. فنقرأ عن بناء سفن لآشور في المدن الفينقية امثال صور وصيدا وحتى عن جلب صنّاع سفن الى بلاد آشور من المدن الفينقية وجزيرة قبرص في العصر الآشوري الأخير، وفي الغالب جلب سنحاريب الخشب الصالح لبناء السفن من لبنان الى نينوى لافتقار آشور الى الخشب الجيد الصالح لبناء السفن. وأدى الاتصال بفينيقية وقبرص الى جعل الآشوريين بناء سفن مهرة وتحسنت سفنهم النهرية الى حد كبير. فقد حل محل القوارب الطويلة غير الجميلة الشكل من الفترات الاولى قوارب خفيفة وجميلة تشبه القوارب الفينيقية. وكانت ماري خلال العصر البابلي القديم مركز بناء سفن من مختلف الأحجام. وقد ورد في الرسائل التي عثر عليها في قصر ماري عن اوامر تسلمها يسمخ أدد ابن الملك شمشي ادد الأول من والده من أجل بناء سفن. ويخبره في رسالة ان يبني ستين سفينة دون ذكر احجامها ويأمره بأخرى بصنع قوارب صغيرة وكبيرة. وفي رسالة الى يسمخ ادد يذكر ملك كركميش احتجازه لثلاثين رأس ماشية في توتول (مدينة على الخابور غير هيت على الفرات التي عرفت هي الأخرى باسم توتول) وخمسين جرة خمر وزوجة ملاح. وقد فضل

دخل الجمل منذ اواخر القرن الثاني عشر ق. م والذي استخدم حيوان ركوب ونقل . فالجمل يمكن ان يحمل احمالا كثيرة يقطع بها يوميا حوالي الثلاثين ميلا . واذا وضع على الجمل سرج فانه يمكن وضع سلال واكياس بضائع او هودج للركاب الى جانب تقدم الناقة حوالي غالون ونصف من الحليب، يوميا يمكن صنع زبدة وجبن منها . كما يمكن صنع خيام وملابس من وبره . وصارت القوافل في الألف الأول ق. م تتألف في الغالب من الجمال .

المراجع :

- (١) نقي الدياغ ، الثروة الزراعية والقرى الأولى ، حضارة الرافق ، ج ١ ، (بغداد : ١٩٨٥) .
- (٢) سامي سعيد الأحمد ، المستعمرة الآشورية في آسيا الصغرى ، سوبر ، مجلد ٣٣ (١٩٧٧) ص ٧٠ - ٩٦ .
- (٣) فاضل عبد الواحد وعامر سليمان ، عادات وتقاليد الشعوب القديمة (الموصل : ١٩٧٩) .
- (٤) مارتن ليني ، ترجمة : محمود فياض المياحي وآخرون ، الكيمياء والتكنولوجيا الكيميائية في وادي الرافدين (بغداد : ١٩٨٠) .
- (٥) I.E.S. Edwards and others, Cambridge Ancient History, Vols 1 - 3, (Cambridge, 1970-)
- (٦) Paul Garelli, Les assyriens en Cappadoce, (Paris, 1963)
- (٧) N.B.Jankowska, Some problems of the economy of the Assyrian Empire M. Diankonoff, ed., Ancient Mesopotamia, (Moscow, 1969).
- (٨) M.T. Larsen, Early Ashur and internal trade, Sumer, Vol.35 (1979) pp. 349 - 347.
- (٩) A.T. Olmstead, History of Assyria, (Chicago, 1923).
- (١٠) Louis L.Orlin, Assyrian Colonies in Cappadocia, (The Hague - Paris, 1970).
- (١١) Georg E' Rawlinson, Seven Great Monarchies of the Ancient Eastern World, (New York, 1885), Vol. 2.
- (١٢) H: W.F. Saggs, The Greatness that was Babylon, (New York, 1963).
- (١٣) H.W.F. Saggs, The Might that was Assyria, (London, 1984).
- (١٤) K.R.Veenhof, Aspects of Old Assyrian Trade and its terminology, (Leiden, 1972).

صف من المجاذيف من كل جانب . كما شيدت السفن الكبيرة التي يديرها ثلاثون جذافا يجلسون في صفين الواحد فوق الآخر على جانبي السفينة في حين نجد في الوسط هناك ٨ - ١٠ اشخاص ولم يتبن الآشوريون الشراع او الصواري لسفنهم ، ربما بسبب سرعة تيار الأنهار العراقية . وان قوة الجذافين مطلوبة لمواجهة قوة تيار الماء . وفي السفن الكبيرة فان مجاذيف الصف الأول تعمل بواسطة ثقبوب جوانب القارب . وليس للقوارب الآشورية مسند للمجذاف وصورة المجاذيف موضوعة دون سند على الحافة العليا من جانب السفينة . وفي منحوتة ثبتت المجاذيف القليلة بواسطة وتدين ثبنا في قبة جانب السفينة .



من وسائل النقل المائية (عن منحوتة جدارية)

ظلت الحمير لفترة طويلة هي واسطة النقل المهمة في الطرق البرية ، وعلى الرغم من دخول الخيل فيها بعد فان استخدامها ظل قليلا جدا ، وكذلك البغال . كما استخدموا العربات التي تجرها الثيران او الحمير في الغالب ذات عجلتين . وقد

الصناعة

د. وليد الجادر

الضرورية لادامة حياته المستقرة ، وكان لمنطقة الموصل دور رئيس في نشوء تلك الصناعات وتطورها طالما احتضنت العديد من القرى الزراعية الاولى التي استقر فيها الانسان ، ويتطور الحياة وتقدم أساليبها نشطت صناعات مختلفة وتطورت وشهدت أوج ازدهارها في العصور الآشورية المتأخرة ، ومع ذلك ، اتسمت جميع الصناعات بالبساطة وبأنها كانت يدوية ، وتصح تسميتها بالحرف اليدوية .

وسنحاول في الصفحات التالية التطرق الى أهم الصناعات والحرف التي عرفت في منطقة الموصل مركزين في ذلك على العصور الآشورية الحديثة (القرون الثلاثة الأخيرة من حياة الآشوريين) .

١ - صناعة المواد الغذائية :

تعد عمليات تحضير المواد الغذائية من العمليات التقنية المهمة سواء في منطقة الموصل او غيرها من المناطق قديما وحديثا ، وتشمل هذه العمليات تجهيز واعداد المأكولات والمشروبات من المواد الأولية المتيسرة وتخميم بعضها وأساليب حفظ الأطعمة بواسطة التقديد والتخليج واستخدام البهارات والمطيبات وتخيز بعضها الآخر ، واستخدام المواقد والتنانير والأفران .

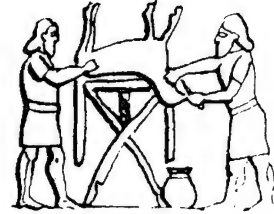
ويأتي الخبز ، بطبيعة الحال ، في مقدمة الأطعمة في العالم القديم ولأسيا في مناطق البحر المتوسط ، وكان يعد من الحبوب المختلفة ، وكانت صناعته تستلزم معرفة كاملة بأسلوب التخميم التي أفادت في صناعة المشروبات الكحولية ايضا .

واستلزمت صناعة الخبز معرفة صناعات أخرى متممة ، كصناعة الأواني الفخارية والتنانير ،

الصناعة أحد الأركان الثلاثة التي قامت عليها الحياة الاقتصادية في العراق القديم بعد الزراعة والتجارة . ومع أن نشاط العراقيين القدماء في الزراعة والتجارة كان يفوق نشاطهم في الصناعة ، إلا أنهم مع ذلك ، برزوا في الصناعة ووضعوا الأسس العلمية الرصينة للعديد من الصناعات واستغلوا ما كان متيسرا لديهم من مواد لصناعة مختلف الآلات والأدوات والحاجيات . ونظرا لافتقار المنطقة الى بعض المواد الخام ، كالأحجار الجيدة والأخشاب والمعادن المختلفة الضرورية لتطور الصناعة ، فقد عملوا منذ فترة مبكرة جدا لجلبها من المناطق المجاورة والبعيدة كما سبق أن أشر الى ذلك في الفصل السابق . وكان لبلاد آشور مكانة متميزة في مجال الصناعة ، سيما وان اتساع حدود الامبراطورية الآشورية قد يّسر الطريق لجلب الكثير من مواد الخام من أرجاء الامبراطورية المختلفة ، ومن البلدان والأقاليم التي كانت على علاقة مع الدولة الآشورية ، وفضلا عن ذلك ، فقد قام العديد من الملوك الآشوريين بجلب الصناع والحرفيين المهرة من أرجاء الامبراطورية للمشاركة في بناء القصور والمعابد ونحت التماثيل وصناعة الأثاث من الخشب وتطعيمها بالعاج والى غير ذلك . كما كان تتوفر بعض المواد الخام في منطقة الموصل أثره في ازدهار بعض الصناعات ولأسيا صناعة التماثيل والمنحوتات الجدارية .

وقد بدأ الانسان منذ استقراره في المستوطنات والقرى الزراعية بتشيد الدور وصناعة العديد من الآلات والأدوات والحاجيات

وكانت صناعة التانير سابقة على صناعة الفخار، ولا حقة بالتأكيد لمراحل كانت فيها صناعة الخبز على الحجر مباشرة في مواقد مفتوحة كما استخدمت الحبوب المشوية والمطحونة التي كان يتم تناولها على شكل عصيدة من فترة الألف السادس قبل الميلاد في جرمو^(١).



نفايل طبخ وغضير اطعمة (مس محريت جـ رية)

وقد عرف الخبز بالسومرية بكلمة ninda التي يقابلها بالأكدية كلمة أَكْلُ aklu، وقد استخدمت كلمة اخرى مشتقة من الجذر نفسه للدلالة على الطعام مما يشير الى أهمية الخبز باعتباره الطعام الرئيس عند العراقيين القدماء.

وكان هناك انواع متعددة من الزيوت، كما اختلفت أساليب استخدامها ومصادرها. فكان زيت الزيتون يستخرج بواسطة الرحى الكبيرة بأسلوب مشابه الى ما هو معروف في الموصل والقرى المحيطة بها حتى اليوم^(٢).

وعرف سكان العراق القدماء استخدام الملح منذ أقدم العصور التي وردت الينا منها نصوص مدونة، وقد استخدم مصطلح طابت tabtu للدلالة على الاطعمة المطيبة بالملح كما ذكر انه يساعد على حفظ الاطعمة^(٣).

وكان الملح الصحراوي من أحسن انواع الملح كما عرف ملح الأنهر غير النقي، وكان الحصول عليه يتم بعد تحفيف المياه او تبخيرها، وعرف الملح من وسط النهر بأنه الملح البشري الذي يستخدم لتطبيب المأكولات. وكان الملح يعد واحدا من الحاجات الضرورية في حياة الانسان حتى انه عدّ مشوبا بنوع من القدسية.

والى جانب الملح، كان الاهتمام كبيرا بالتوابل والبهار والمطيبات الأخرى، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر، بعضا منها:

الخل:

وكان يطلق عليها باللغة الأكديّة التسمية نفسها المستخدمة بالعربية وكان يعرف بأن الخل ينتج عن تحول النبيذ الى حامض، وقد عرف منه النوع القوي الذي خصص لاستخدامات المطابخ، كما استخدم في مجالات متنوعة منها الصيدلة وصناعة الدواء، وكان يذكر في الغالب مع الزيت في النصوص الطبية.

بتجهيز مواد التجميل وذكرت شحوم الحيوانات المقدمة كقرايين في النصوص الطبية بشكل خاص^(٤). ومن المعطرات الطبيعية التي كانت تستخدم ، بذور نبات اليانسون ، ورحيق قطن الطب ، وزهور نبات الشيشم الأسود وخشب السدر وجذور الزنجبيل وورد عباد الشمس وأوراق وأزهار النعناع وأزهار الورد وأوراق ونبات الليل الجبل وأزهار الحلفاء وخشب الصندل^(٥).

أن اساليب استخراج رحيق النبات وعصاراته من الجذور والأزهار والأوراق وحتى أغصان النبات وسيقانه كانت تتم بدون ادنى شك بالوسائل المألوفة اليوم حيث يتم استخلاص السوائل المعطرة من هذه النباتات بالتقطير. وتعرف عملية استحضر العطر من الورد بتقنيق الأزهار في طبقات او شرائح من السمن وبعد ان يتشرب الدهن بعطر الأزهار ويستخدم لذلك السمن الحيواني ويتم حفظ السمن المشيع بعطر الزهر على شكل كرات او مخاريط صغيرة تستخدمها النساء بشدها على شعر الرأس.

ومن الأساليب الاخرى الخاصة بالحصول على العطر بتقنيق الأزهار في الزيت او السمن الساخن ودرجة حوالي ٦٥ ٪، ثم يتم عصر الخليط وهو ساخن. وتعرف طريقة ثالثة وهي عصر الأزهار او البذور بواسطة الخشب او الحجر او بواسطة القماش ويستخدم لذلك عيدان في كل طرف من طرفي القماش. ومن الجدير ذكره عن الاساليب العلمية الخاصة بحفظ الاطعمة ، ومنها اللحوم كلحم البقر والاعنام والخنازير والغزلان والارانب والطيور والاسماك والدجاج..... ، اضافة الى استخدام الاملاح والمواد المطيبة والمعطرة هي اساليب الحفظ بالتقديد والتدخين المعروفتين.

وبعض الاثمار والفواكه كانت تحفظ في العسل ويمكن ان تكون هذه مانعته " بالمرليات". وكان العسل معروفا بانواعه ومناطق شهرته كما هي اليوم ،

ويلاحظ بهذه المناسبة ذكر اعداد وأنواع كثيرة من المواد التي ترد في النصوص الطبية وتستخدم في الوقت عينه في تطيب المأكولات ، ومنها التوم والبصل:

وعرف الكركم والكمون ومنه الكون الأبيض والكمون الحلو وكمون الصحراء والكمون الجلي والكراث والسماك او السماق ، وعرفت للأخير استخدامات متنوعة منها استخدام بذوره للتوابل وأوراقه للدباغة^١.

اما الخردل فكان ذا أهمية وانتشار واسعين سواء في مجال تحسين نكهة الطعام او في الخلطات الطبية ، وذكر منه النوع الأسود الذي يساوي الفلفل الأسود المعروف عندنا اليوم والذي يقارب في أهميته الملح ، وذكر ايضا من انواعه الملكي.

كذلك عرفت الكزبرة ولفظها هو نفسه في الأكديّة ، وكذلك النعناع. اما الطعام الرئيسي المعروف في العراق ومعظم مناطق العالم اليوم وهو الرز، فكان يسمى في البابلية الحديثة "مناي" وهو الرز غير المقشور ويقرب كثيرا من تسمية الشلب في العراق ولا يبدو انه كان من المأكولات الرئيسية او المفضلة قبل هذه الفترة ، ولهذا فان ذكره جاء متأخرا في النصوص المدونة من القرون العشرة قبل الميلاد ، وبعبكسه كانت معرفة العراقيين القدماء بالسهم الذي كان من الوجبات الغذائية المعروفة وخاصة زيت الراشي واسمه في البابلية مركبا ويعني زيت النبات ، وجاء بلفظة شمن او سمن النبات.

ومن الاصول التي استخدمت فيها المطيبات والاعطور وأنواع عديدة من الزيوت النباتية ، منها زيت اللوز وزيت ثمرة البان وزيت الخروع والحفظل وزيت الخس والكتان وزيت الزيتون وزيت الفجل ، في حين عرفت الزيوت الحيوانية من قبل المتخصصين بصناعة العطور، فذكر شحم الثور والخراف والأوز في النصوص القديمة الخاصة

فكان غسل الجبل معروفا في اللغة الاكدية ويعرف من أنواعه الأسود والأحمر والأبيض. اما الدبس وهو عصير التمر والعنب فكان معروفا ويسمونه "دشبو".

ومن اجل اعداد المأكولات حسب المواصفات المدونة على بعض رقم الطين التي وصلت الى ايدي المنقبين ومن التي تمت دراسة تفاصيلها المشوقة وجد ان هنالك انواعا عديدة من الأواني اللازمة لانجاز عمليات متنوعة ، وقد استخدمت وسائل عديدة للطبخ ، منها التناير والافران المقامة على شكل القباب ، والقذور المتنوعة ، ومنها المخلقة والأخرى المفتوحة والمزودة بعري . ومن مضامين اربعة وعشرين رقيا طينيا وجد انها تحتوي على اربعمائة موضوع ، بينها رقيمان متميزان يحتويان على قوائم خاصة بالطعام مدونة باللغتين السومرية والأكدية . وتذكر هذه القوائم مابين ثمانية عشر وعشرين نوعا من الوجبات واكثر من مائة نوع من الحساء وحوالي الثلاثمائة نوع من الخبز . وميزة كل نوع بما يحتويه من مواد كالحليب والزبدة والزيت والبيرة والبهارات والمواد السكرية ... ومن أشكاله يعرف النوع الكبير جدا والصغير ومنه ما كان يصنع على شكل القلب او اليد ، وحتى ما يصنع على شكل المرأة . ولقد تم اكتشاف حوالي خمسين قالبا لصنع مثل هذه الانواع من الخبز من خلال مكتشفات مدينة مارى (تل الحريري) وحدها وذلك من فترة معاصرة لفترة حكم حمورابي ، اي في حدود القرن الثامن عشر قبل الميلاد . ومن هذه النوعيات من الخبز ما كان محشوا بالجبن او غيره من المواد التي ذكرناها . ويحتوي رقم طيني على مائتي سطر تضم وصفا متكاملا لعشر "طبختات" لانواع من الطيور الاليفة ومعها اخرى من الطرائد (طيور برية) .

وفي نص آخر نقف على خمس وعشرين وصفا لأنواع من الأطعمة التي عرفت بأنها تحضر مع الماء والسمن ووصفت بأنها تطهى في اوان مغلقة . وبين

هذه الأصناف واحد وعشرون صنفا تطهى باللحم والأربعة الأخرى تطهى بالخضر ، ويضاف اليها ما يناسبها من البهارات والفلافل والمطيبات الأخرى ، فضلا عن انواع من الحشائش وقطع من الأغصان النباتية المعطرة والمطية . ونرصد من بين المأكولات هذه ما يوصف حرفيا بـ "فخد حمل مسلووق بالماء" و "بخني معلق" وغير ذلك مما هو قريب من أصناف الطعام المعروفة حاليا في العراق . وكانت الأطعمة والمأكولات المتميزة تستعد اسماءها من الأقوام الذين عرفوا باجادة صنعها او من نوعية الخضر المستخدمة في طبخها .

وتشير المعطيات التي بين ايدينا الى ما يسميه أهل العراق بـ "المعلق" وهو الكبد والرتان والقلب ، كان يطبخ كاملا بدون ان يقطع ، كما تشير الى طبخ فخد حمل وأعضاء أخرى معه بما في ذلك الطحال .

وأكثر الوصفات الخاصة بالطعام اختصارا هي تلك التي ترد في رقم يتكون من أحد عشر سطرا ، ويبدو خاصا بوصف اسلوب عمل "الكبة" وما جاء في النص ما يأتي :

- تنظف المادة ثم تشطف بالماء البارد ويضاف اليها القليل من الخل . يسحق النعناع مع الملح وتفرك "الكبة" بهذا الخليط .
- رشح السائل في قدر مع اضافة نعناع الى السائل المرشح .
- ضغ الكبة فيه مع اضافة قليل من الماء البارد ثم حرك الخليط .

وترد تفاصيل وصفة أخرى بتحضير انواع من الطيور في تسعة وأربعين سطرا مدونة على رقم طيني ، وفيما يأتي تفصيل ذلك :

"اقطع الرأس والأرجل ثم افتح الجسم وارفع الحواصل والمعلق ، شق الحوصلة واسلخها (قشرها) ، أغسل الطيور بالماء النقي ثم حضّر اناء وضع فيه الطيور والحواصل والمعلق جميعا ."

والمطيبات والوصفات العديدة الى الحد الذي أوحى الى العديد من الباحثين المتخصصين بأن الوصفات التي ترد في هذه المجموعة من رقم الطين هي وجبات خاصة بتأدية طقوس دينية قبل ان تكون خاصة بمطابخ فردية او عامة .

ولعل الأقرب الى الواقع ان مثل هذه الوصفات كانت على الأغلب معدة لارشاد طباطخي القصور والمعابد وبيوت الذوات المتميزين في المجتمع العراقي القديم ، حول كيفية اعداد طبخات يبدو انها كانت وطنية او محلية ، وقد تكون حتى أكالات شعبية مع اختلاف معقول في نوعية المواد الأولية المستخدمة وكمياتها بطبيعة الحال .

وكان الشعير يستخدم ايضا في صناعة تخمير الحبوب ، ويستلزم ذلك تخمير حبات الشعير في الماء في مكان دافئ، وبعد التخمير تتحول المحتويات من النشويات الى مادة تبث في النفس نشوة . وبعد عملية التحول هذه يتم دق حبوب الشعير وهرسها ، ثم يتم عجنها وتكويرها على شكل اقراص الخبز بحيث يمكن بوضعيتها الأخيرة نقلها وحفظها ثم يمكن تفتيتها ثانية واذابتها في الماء لتتخمّر بالحرارة .

وتشير الوثائق المدونة بالمسارية ايضا الى ان الشعير كان يربط ويوضع في الشمس ليجف ، وكان هذا من عمل المتخصص بصناعة البيرة ، ثم تتم عملية الجرش والغرلة . وتوضح لنا الكتابات المسارية تفاصيل وافية عن مراحل الصناعة هذه ، ومع ذلك فان تفاصيل دقيقة أخرى مازالت غير مفهومة ولكنها مدونة عندهم منذ مراحل كتابتهم التصويرية المبكرة ومن هذه التفاصيل ما يضاف الى المحلول من مواد معطرة او ما يمكن تسميته بالمطيبات ، ثم فترة بقاء المحلول المتغيرة وذلك من أجل الحصول على درجات مختلفة من الصناعة التي تحدد فيها نوعية المحلول من حيث قوة التأثير . ومن ذلك انواع من البهار على شكل فطائر .

وبآتي وصف المرحلة التالية من تحضير هذه الطبخة كالآتي :

”أغسل بالماء النقي اناء وضع فيه حليباً مخلوطاً وضع الاناء على النار . اسكب ”وشل“ الاناء الذي يحتوي على الطيور والحواصل والمعلق وأضف الملح ثم ضع الجميع في الاناء الذي يحتوي على الحليب . ضع بعض السمن وعندما تصل حرارة الاناء على النار الى درجة الغليان ضع كمية من الكراث والثوم والبصل ومادة أخرى (يسمى النص ساميدو، samidu) اسحق حبوباً... وليتها بالحليب وضع عند الحاجة بهارات مملحة وزيتاً بحيث يصبح أشبه بالعجينة اللينة . وضعها على النار لفترة ثم اقطعها نصفين .

(وهناك نقص في تفاصيل أخرى بسبب كسور في الرقيم الطيني ومع ذلك امكن استخلاص بعض التفاصيل ومنها ان العجينة التي توصف في الأسطر الأخيرة هي بدون أدنى شك من أنواع الخبز وتصبح بعد ذلك متباعدة النص بالتفاصيل الآتية :

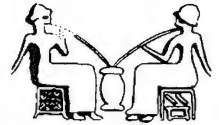
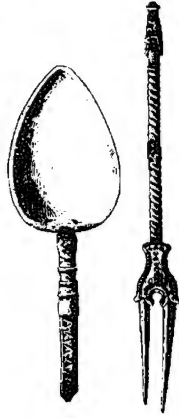
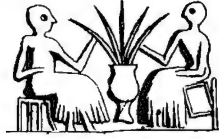
خذ اناء كبيراً يكفي كل الطيور .
ضع العجينة (قطع من الخبز) في قعر الاناء الكبير .

وأخرى وضعها فوق النار .
حتى تنضج .

ضع قطعاً من الطيور على العجائن (قطع الخبز) .

«شرب» الحواصل والكبد الباقية مع بعضها .
(رطبها) جميعاً واجعل عليها غطاء وارسلها الى المائدة .

وتعتبر التفاصيل الدقيقة النادرة في مثل هذه النصوص عن الاهتمام الذي كان يوليهِ العراقيون آنذاك بل وحتى خلال الفترات اللاحقة بالأطعمة والمأكولات المتميزة ، ولاسيما المشهيات والمقبلات من الخضراوات الطازجة وأنواع البهار والفلافل



نماذج لصور أدوات وطرق تحضير الأطعمة ومشروبات

يسمي ثلاثة أنواع أخرى يدعوها بالبيرة الخليفة .
والأخيرة يمكن ان تكون خليفة ايضا باضافة مواد
من حشائش وعطور خاصة لتمييزها .

ويجدر بالاشارة ان الشعير المخمر والمجروش مع
البهاركان معروفا بوصفه خلطة توضع في دنان خاصة
بالتخمير ثم ينقل السائل المخمر وينقى في اوان
خاصة ترسب فيها كل الشوائب المتبقية . وأخيرا
تنقل البيرة الخالصة الى اوان تكون معدة للشرب
منها .

لم تكن صناعة البيرة معروفة فقط ، بل كان
النبذ هو الآخر معروفا ، من حدود الألف الثالث
قبل الميلاد ، وتذكر النصوص ان مجالس الشراب
كانت واسطة لتعميق الألفة والعلاقات الطيبة بين
الأفراد .

وكان استخدام النبذ في العلاجات الطبية
واردا وبشبه العلاج بالزيت ، وكذلك كان النبذ
يستعمل ، وبصورة أساسية ، لتذويب العقاقير
والأدوية وخلطها . وكانت عادة تقديم القرابين من
النبذ الى الآلهة شائعة ومألوفة ، وتمازس يوميا
كذلك كان استخدامه في الاحتفالات الخاصة
بتقديم القرابين من الحيوانات .

وكانت تفاصيل عمل النبذ معروفة ولكنها غير
مدونة ، كعادة العراقيين القدماء في عدم ذكر
تفاصيل العديد من الحرف والمهن ، ومع ذلك فاننا
نتزود ببعض التفاصيل عن ذلك من خلال الحكم
والأمثال اومن خلال المدونات الكيميائية والطبية
وأحيانا من النصوص المتعلقة بتجارته . وفي الحقيقة
كانت تجارة النبذ والكحول بشكل عام معروفة
وشائعة ، وهذا ما نلاحظه من خلال الكلمات
والاصطلاحات الخاصة بها .

واشتهر النبذ المستخرج من كروم المناطق
الجبليّة ، ويرد من التعابير في اللغة الأكديّة
ما يوضح ذلك ، فن ذلك مثلا ان شيكار شادى

وما تذكره التعابير والاصطلاحات عن مثل
هذه النوعيات يقارب ما يعرف اليوم في مثل هذه
الصناعة . وتذكر النصوص نوعيات مميزة من
المشروب ، منها السوداء (التي توصف بكونها
قوية التأثير) ومنها البنية وذات اللون الفاتح
والحمراء وتلك التي من الدرجة الاولى والمصفاة
والثيرة ... او تلك المعروفة بأمر "الدوخة" .

ومن أوصافها التي تخص جودة صنعها
ونوعيتها وصف بعضها بالجيدة والأخرى من الصنف
الحسن والخفيفة جدا والنقية وذات المذاق الحسن
والمحسنة والحادة والتي تستخرج من الجريش . وترد
نوعيتها البيضاء والبيرة المقطوعة على ٥٥٪ والأخرى
المقطوعة على ٣٣٪ وعلى ٢٥٪ .

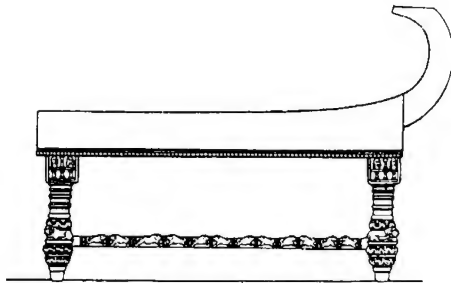
ومن بعض تفاصيل هذه الصناعة ما توضحه
ايضا الكتابة السامرية التي تذكر مثلا انه كان يكفي
لإنتاج (٨٠) لترا من نوعيتها السوداء تحضير
(١٨) لترا من القمح المنقى من القش و(١٨) لترا
من القمح الأبيض و (٢٤) لترا من الشعير
المخصص لهذه الصناعة و (٣٦) لترا (من نوعية
أخرى من الشعير) ، وقد اصطلح السومريون على
تسمية هذه النوعية بالتعبير وتعد هذه النوعية من
النوعيات المعروفة بالمشروب الشعبي ومنها نوعية
اخرى معروفة بالسوداء التي سبق ذكرها .

اما في ما يخص انتاج البيرة السوداء من النوع
الجيد جدا فان المواصفات لا تذكر الحنطة في
التحضير ، ويكتفى بذكر الشعير الخاص لذلك ، ويذكر
الباحث هوبر قائمة بتسعة عشر نوعا من البيرة
السومرية ، يشخص منها ثمانية انواع من الصنف
الجيد الذي يستخدم في صناعته الشعير المخصص
لذلك بدون اضافة اية انواع من الحبوب الأخرى .

ثم يشخص الباحث نفسه ثمانية انواع أخرى
يسميا بيرة الحنطة ، وهي المعدة من كمية من
الشعير مضافا اليها نسبة معينة من الحنطة . ثم

عبارة عن عملية قريبة من عملية اجراء التقيب في كل مقطعة من الخشب ، هذا علما ان معظم الأثاث المصنوع في العراق كان يركب بطريقة الفجوة واللسان ، كذلك توضح مصطلحات أخرى عديدة أساليب صناعة وتركيب قطع الخشب ، فضلا عن اسماء بعض الأدوات المستخدمة . التي تبدو واضحة على المنحوتات او الاختام ومنها القووس والبطات والمناشير والزوايا والمثاقب .

والمعروف عن انواع من الأشجار المألوفة الاستخدام في صناعة الأثاث أنها كانت معروفة في العراق وأنواع أخرى كانت تستورد خصيصا لذلك من جبال لبنان وتركيا . ومن تلك الأشجار المذكورة في الكتابات المسارية اشجار التين (تين) والصفصاف (سارباتو) وأنواع متعددة من أشجار التوت والحمضيات إضافة الى خشب الساج وأشجار الصنوبر والسرو وأنواع أخرى لم تشخص بعد على الرغم من ورود ذكرها في الكتابات المسارية .



ومن الجدير بالملاحظة ان طبيعة الشكل المعاري لقطعة الأثاث ترتبط كما في الشكل المعاري للبناء بطبيعة المواد الأولية المتوفرة والممكن توفيرها . حيث عرف التجار العراقي تليس القطع الخشبية الرئيسية بقطع من العاج والأحجار الكريمة

تعني « الشراب المسكر » من مناطق الجبال . ولكثرة الاصطلاحات التي ترد في اللغة الأكديّة عن انواع النبيذ ودرجاته يمكن التكهن بتعدد اساليب استخراجها وصناعاته وتنوع مصادره ايضا .

ومن الواضح ان العراق القديم له تقليده في تصفية النبيذ وصناعاته وهي قريبة حتى من أساليب صناعاته في العراق اليوم ، ومن هذه التقاليد عادة اضافة كميات مناسبة من المطيبات مثل العسل وغيره في المراحل الدقيقة من صناعة النبيذ وتغصيره وتكون من اختصاص المحترفين من الصناع .

ومن الطبيعي ان يكون المتخصصون بصناعة النبيذ في العراق القديم قد عرفوا النبيذ المستخرج من العنب اليبس الذي يترك مع اغصانه لتجف ثم يتم طحنه . وتساعد عملية الطبخ او الغلي على تحسين حتى النوعيات غير الجيدة من العنب .

ومن المعروف عن التقطير انه عملية غلي السائل المقصود عدة مرات واستخلاص بخاره ، وكان ذلك بأساليب متنوعة وعديدة وبالعناية نفسها كانت تتم عملية صناعة العطور .

٢ - صناعة الأثاث :

تمدنا المنحوتات الحجرية ، ولا سيما تلك التي كانت تزين جدران قصور الملوك الآشوريين ، والمشاهد المحفورة على الأختام او المسلات ، فضلا عن ما ذكرته النصوص المسارية الكثيرة بمعلومات وافية عن اشكال وزخارف وأساليب صناعة ومعرفة الأثاث من الخشب والعاج ، واحيانا من المعادن .

وقد أشير في الكتابة المسارية الى المادة الأولية الرئيسية في صناعة الأثاث الخشبية بكلمة جش GIS ويسمى الأكديون إص . وأشاروا الى المتخصص بصناعة الخشب بمصطلح (naggaru) وهو عند السومريين (NAGAR) وتشير الكلمة الى أول مرحلة تخضع لها مادة الخشب الى الصناعة . وتبدو في الكتابة المسارية في مرحلتها الصورية الاولى

والمعادن ، فضلاً عن الفرش الملونة لمقاعد البعوض من قطع الأثاث . وكانت انواع من الأقمشة المزخرفة تستخدم لزينة وإكمال قطع الأثاث هذه والتي تبدو انها كانت ذات أثمان غالية وكانت عادة تصليح الأثاث المزود بالقماش "الدوشمة" معروفة .

وكان مستوى التأثيث المنزلي يختلف بطبيعة الحال ، فالبيت الاعتيادي البسيط كان يحتوي على مقاعد هي عبارة عن اكتاف من اللين وحتى الطين ، وتكون عبارة عن دكاك او مقاعد جدارية ، فضلاً عن مقاعد على الأرض من الحصر والبسط .

وكان استخدام الديوان majsltu والفرش ershu مزدوجا للجلوس والنوم ، ويمكن صنعها من الخشب او من اللين المزود بفرش منسوج ويكون عند الاغنياء مزينا وملبسا بقطع وصفائح المعدن او مزينا بتراكيب ومنحوتات ووحدات زخرفية او قطع من الأقمشة .

وعلى ان نشيد بمهارة الحرفيين العراقيين القدماء وقابلياتهم للخلق والابداع في انتاج نماذج من قطع الأثاث التي تعد قطعاً فنية ذات أهمية كبيرة تشير الى تطور الجانب الفني الى جانب التطور التقني الكبير .

والملاحظ ان التجارين البابليين والآشوريين خاصة أدركوا خلال تجاربهم العريقة ، وخاصة في انتاج قطع الأثاث للقصور والمعابد عوامل تقلص الأخشاب والشقوق والاعوجاجات ومواسم قطع الخشب وأنواعه وميزاته ومصادره .

٣- صناعة النسيج والسجاد :

تعد صناعة النسيج من أقدم الصناعات التي ابتكرها الانسان لتوفير ما يحتاجه من الملابس منذ فترات مبكرة جدا من حياته .

وكانت ايدى الانسان الأدوات الاولى الرئيسة لهذه الصناعة التي تطورت على مر العصور ، فمن

أجل الحصول على الخيوط اللازمة كانت يدا الانسان المديرتان كافيتين لانجاز عملية قتل الخيوط . ثم كانت الأدوات المصنعة من قبل الانسان ، وهي المغزل الذي كان ولا يزال عبارة عن عود من الخشب في أول أمره ثم زود بقرص من نفس المادة ، ثم صنع من الطين ومن مواد أخرى فيما بعد . ويكتشف المنقبون من الآثاريين اعدادا كبيرة من أقراص المغازل هذه ، وهي مصنوعة في الغالب من الطين المجفف بالشمس ومن الطين المفخور ، وتعود هذه الى فترات معيشة واستقرار التجمعات السكانية في شمال العراق من الألف السابع قبل الميلاد ، ومن الفترات اللاحقة وصولا الى الفترات التاريخية ومرحلة الكتابة وشكل المغازل في مرحلة الكتابة الصورية ، ثم الفترات القريبة من فترتنا وحتى اليوم ، حيث مازال المغزل بنفس شكل مغزل الأمس ووظيفته ^(١) .

وكان الصوف من اولى المواد الأولية المستخدمة في صناعة النسيج ، وقد ظل يؤلف المادة الرئيسية لصناعة النسيج حتى العصور المتأخرة ، وتوضح الكتابات المسارية المختلفة أنواع الأصواف المستخلصة من الحيوانات ، وكانت عملية جز الصوف من العمليات الاحتفالية القومية الكبيرة حيث كانت تتم تحت اشراف المعبد ، ثم أصبحت باشراف الحاكم والملك ، وكانت التنظيمات الخاصة بادارة قطاع الأغنام والمواشي والعاملين في هذا القطاع وغيره قد تطورت بشكل كبير وارتبط هذا التطور بالتدوين والتقنية الزراعية ووسائل الري وشيوع استخدام المعادن وتطور نظام المؤسسات ^(٢) . وتمخضت مثل هذه التنظيمات عن نشوء ما يعرف بدار الجرمتانية حسب الأعمار والحالة الصحية

، وتميزت في الصناعة النوعيات من الدرجة الاولى والثانية والثالثة والرابعة ^(٣) ، واستمرت شهرة العراق من سومريين وبابليين وآشوريين وغيرهم بانتاج هذه النوعيات المتميزة ، وكانت من أهم الصادرات الى

بعض دول الخليج وآسيا الصغرى ، سواء كانت على شكل منسوجات او قطع ملابس عرفت شهرتها ايضا الشعوب المتاخمة للبحر المتوسط ^(٩) .

اما المراحل الخاصة بانجاز عملية غسل الأصواف فانها في الواقع من المراحل المهمة والنتائج منها يتراوح بين ١٥ - ٧٠٪ من أصل وزنها . ومثل هذه النسبة توضح كثرة المواد العالقة ودرجة التخلص منها ، يعتمد على الأساليب الواجب اعتمادها ، علما بأن حوالي نصف وزن المواد العالقة يمكن تحليلها بالماء ، وهناك عوالق أخرى تستلزم تقنيات خاصة لها .

وتعد مرحلة غسل النسيج او الصوف هنا عملية تسبق عملية النولين او الصباغة ويعني احيانا تبيض النسيج ، وذكر عن استخدام نوع من النباتات التي تستخلص من اجزائها مساحيق كانت معروفة بفعاليتها على المساعدة في مثل هذه العمليات ، وكانت هذه المرحلة وهذا التخصص الحرفي لازما ، وتذكر مواد زيتية وكاربونات الصودا والبولواسيوم وانواع من الاملاح تستخدم على شكل مساحيق متنوعة لتنظيف الأصواف . كذلك عرفت انواع من الزيوت النباتية التي كانت تستخدم لقصر وتنظيف خيوط النسيج بشكل عام سواء أكانت من مصادر نباتية كالكتان وغيره او من الصوف ، واستخدم الصابون على نطاق واسع في مراحل التنظيف الخاص بالأنسجة المعدة للصناعات المختلفة ^(١٠) .

وكانت صناعة الأنسجة من نبات الكتان من أكثر صناعات الأنسجة أهمية ، وعرفت منذ عهود مبكرة .

ويرد ذكر مراحل صناعة الكتان في الكتابات السومرية ومن خلال مضمون قصيدة طويلة تأتي على ذكر النبات وهو يتلاعب في الفضاء ويمتد عاليا ، وكيف كانت عمليات صناعته التالية لمرحلة الحني ، حيث يذكر النص تنشيط خيوط النبات

وغزله وتقويته بالبرم ، ثم مددها وتوتيرها وأخيرا نسجها وبعد العملية الأخيرة تأتي مرحلة تقطيعه حسب الأطوال المنشودة ^(١١) .

ويرتبط اسم الكتان بالسومرية (GADA) المشير الى الكتان واستخدامه في الأكديّة بنفس المفهوم بالمعاني الدالة على القدسية والطهارة والنقاء والجمال ايضا واعتبر لبسه في احيان خاصة رمزا من رموز الملكية ، هذا فضلا عن اتخاذه رمزا للآلهة .

وتمكن العراقيون القدماء من التوصل الى معرفة نسيج جديد مستخلص من النبات وهو القطن ، والمعروف عن شجرة القطن انها أولا من عائلة النباتات المسماة بالخمازيات ، وثمر الشجرة عبارة عن غلاف يفتح عند النضج ويترك البذور المحاطة بكومة من الياق القطن ، اما ارتفاع الشجيرة هذه فيكون حوالي المتر الواحد وتكون جذورها عميقة بشكل بالغ .

اما مراحل تصنيع خيط القطن فكانت تلتخص من جني الثمر وتنظيفه ، وتم عملية فصل الألياف عن البذور ، ثم تم بعد ذلك عمليات تسوية خيوطه ، وتسمى هذه المرحلة بالتصحيح والتسوية ، وفي الحقيقة فان عملية التسوية هذه توفر خيوطا مستقيمة ونقية بفعل التمشيط المتكرر الذي يخلص الخيوط من الشوائب والشعيرات المتناثرة والحال نفسه يكون بالنسبة لخيوط نبات الكتان ، كذلك يتم التخلص بواسطة عملية التمشيط هذه من شمع القطن الذي يكون مغلفا في العادة للخيوط المعدة للنسيج .

ولقد كانت عملية صناعة النسيج من القطن في العراق معروفة بوضوح عند الآشوريين ، ويذكر الملك الآشوري سنحاريب (٧٠٥ - ٦٨١ ق. م) عن جلبه للشجيرة التي تحمل الصوف وانه كان قد نسج نتاجها من أجل عمل الملابس ^(١٢) .

وكانت الهند والسودان ومصر قد عرفت صناعة الأنسجة من القطن قبل هذه الفترة، ويحتمل ان يكون الملك الآشوري سنحاريب قد حصل عليها من السودان عن طريق مصر او من الأخيرة مباشرة^(١٣).

وتتبع عملية التنظيف هذه صناعة المنسوجات التي تعد من العمليات التقنية المهمة ايضا، وذلك لما تتضمنه من معارف خاصة بالكيمياء وبعض العناصر الخاصة بعلم الأرض والفيزياء، وخاصة الفيزياء الضوئية ومنها تلك المرتبطة بالألوان، ثم الدراسات الدينية والنفسية، ومنها المفاهيم المرتبطة بهذه الألوان وتأثيراتها النفسية والاجتماعية.

كان اللون الأزرق بأطيافه المتنوعة أكثر الألوان شيوعاً، كما استخدم اللون الأحمر بأطيافه المختلفة، وكان لكل من هذه الألوان مفاهيم خاصة مازال الاعتقاد ببعضها قائماً لحد الآن. كما استخدمت ألوان أخرى لتزيين الأنسجة منها الأصفر والأخضر.

اصناف المنسوجات :

من أهم اصناف المنسوجات تلك المخصصة لصناعة الملابس ثم الأنسجة المستخدمة للأثاث والطنافس، وأكثرها شيوعاً القباء او الجبة او المعطف والشال، وكل ما يوضع فوق القميص، ويكون الملبوس الشائع الاستخدام بالدرجة الثانية^(١٤). وكانت تعرف قطع عديدة أخرى من الملابس المستخدمة من المنسوجات المتنوعة والمصنفة حسب نوعيات موادها الأولية وحسب أسماء وردت في اللغتين السومرية والأكادية وبعض من هذه الأسماء مازال مشيراً الى نفس المعاني والمفردات الخاصة بقطع الملابس وحتى اليوم.

اما ما يخص المنسوجات المستخدمة في الاثاث فانها ترد في مناسبات عديدة في الكتابات المسارية، ومنها تلك المغطاة للارائك وفرش النوم

وقطع الأثاث ومنها الستائر. ويرد ذكر النسيج المصنوع من الكتان في مقدمة الانسجة المستخدمة في تأثيث مرافق الآلهة بما في ذلك البياضات والاعطية، وترد في مناسبات عديدة كيفية تنظيفها وذكر المظللين المتخصصين بأسمائهم^(١٥).

وتشير الكتابات المسارية ايضا الى تخصيص كميات من الذهب لزينة فرش مخصصة لآلهة أخرى، فضلاً عن ذكر فرش عديدة للملوك بأنها مزينة بالذهب ويراد بذلك زينة أقمشة ومنسوجات عدة الفراش، وقد تكون ايضا لزينة الأجزاء الخشبية وبعض قطع المعادن المزينة لهذه الأجزاء بما في ذلك صبغة لون التذهيب المفضلة عندهم، وذكر في نص واحد تذهيب كمية من الفضة تتراوح بأوزاننا الحالية ما بين كيلو واحد وكيلو غرام واحد ونصف لاصلاح مجموعة من الكراسي المستخدمة في معبدى آلهين آشوريين^(١٦). ومن الملاحظ استعمال الفعل خاطو khatu القريب من العربية اشارة في الأكادية الى الغطاء المصنوع من القماش والمستخدم لاصلاح هذه المجموعة من الكراسي الآتفة الذكر ويأتي من معانيه تثبيت وخياطة الحلي الذهبية ومنها القطع على شكل الزهرات والمستخدم للمعبودة زوجة إله الشمس شمش^(١٧).

وتعد الخيام واحدة من المصنوعات المنسوجة من أنواع مختلفة من خيوط النسيج.. والخيام تعتبر واحدة من نماذج المساكن شبه الثابتة والمتنقلة والتي تستخدم في حالات عديدة في معظم مناطق الوطن العربي والعراق بشكل خاص. وتبدو أنواع من هذه الخيام المنسوجة وبعضها بزخارف جميلة تشابه تلك المعروفة على سروج الخيول ومظلات العربات الآشورية وزخارف الطابوق المزجج الزين لبوابات بعض المدن الآشورية ومداخلها وزخارف مانسجته من المنسوجات المعروفة بالطنافس، فضلاً عن زخارف التطريز على ملابس الملوك والخاصة.

ومن نماذج الخيام المنحوتة على منحوتات عليها مشاهد الحياة اليومية الآشورية في حالات السلم والحرب تبدو سميكة ومشدودة على عمد، وتبدو من نماذجها هذه المنظورة والجيدة الصناعة اذا ما قورنت بنماذج الخيم المصنوعة والمستخدمة من قبل أغراب الجزيرة وحتى اليوم. وترد مفردات عديدة في النصوص المدونة بالمسمارية وهي تشير الى الخيمة وصناعتها من النسيج وترد اشارات اخرى الى الحبال والشرايط المعدة لربط قطع او شقق النسيج الى بعضها وخاصة في حالات نصبها بمجم كبير حيث قربوا الشقق الى بعضها بمحلات تستخدم ككلايات من المعدن او تحيط الى بعضها او تشد بحبال وشرايط.

وتمثل صناعة الطنافس والسجاجيد بأنواعها واحدة من أهم صناعات النسيج في المنطقة وفي العراق ايضا. وكانت هذه الصناعة مكلمة ومتطورة بنفس اتجاه التطور الاقتصادي والعمراني، وكذلك الحال بالنسبة لتطور صناعة الستائر والمنسوجات المعدة والمكلمة لصناعة الاثاث. وكانت هذه الصناعة قد تطورت عند الآشوريين والبابليين المتأخرين بشكل خاص قبل ان تتطور وتنمو صناعتها لدى الايرانيين الذين اشتبهوا في هذا الجانب من الصناعة في الفترات اللاحقة، وبعد تأثرهم الواسع بهذا الفن العراقي القديم المعروف، فضلا عن تأثرهم بالفنون الأخرى^(١٩).

وكانت دقة نسيج الطنافس العراقية القديمة وبالذات الآشورية منها لا تنفصل عن تلك الدقة والحلق اللذان تميز بهما الحرفيون المتخصصون بصناعة الزخارف وتطريزها على الأنسجة، وكانت هنالك موضوعات وعناصر زخرفية مألوقة في العمارة وفي زينة الفخار وعلى المعادن وعلى الألبسة وعلى الطنافس، ومن هذه الوحدات الزخرفية زهرات اللوس وزهرة الربيع اللؤلؤية وهي زهرة البابونك المألوفة النمو وحتى اليوم وبغزارة في كل المناطق المحيطة ببنوى وفي منطقة الجزيرة.

ومن غير المحتمل ولا من الواقع في شيء ان نعتري على نماذج حية من الطنافس العراقية القديمة، ولكن تتوفر لدينا نطقية، اضافة الى وثائق أخرى مكتوبة ومادية غير مباشرة عن تطور وشيوع هذه الصناعة عند الآشوريين بشكل خاص. فقد تم العثور على قطع من المرمر بنقشة الطنافس مزينة أرضيات ومداخل بعض المدن الآشورية ومنها خرصباد (دور شروكين) ومساحة واحدة من هذه القطع المرمرية تبلغ حوالي الثمانية امتار مربعة، وتبدو نماذج أخرى من هذه القطع المزخرفة بوحداث قريبة من زخرفة هذه القطعة المرمرية.

ويبدو ان الاصطلاح مارداو mardatu والذي يرد في اللغة الأكديّة ليدل على الهدب المزينة لأغراض الأنسجة بشكل عام وللطنافس بشكل خاص ما يشير الى أسلوب عمل الطنافس، حيث يتم عقد الخيوط والألوان والتي تستلزم دقة متناهية خاصة حين تنفيذ وحدات زخرفية دقيقة كالأزهار مثلا^(٢٠).

كذلك نعرف الاصطلاح مشاكو mashaku الذي يشير الى نوعية الطنافس التي تستخدم في المعابد^(٢١).

ولقد انتقل العديد من الحرفيين المتخصصين بجياكة الطنافس والمنسوجات الأخرى الى خارج العراق، ومنهم من رحل جبرا الى بلاد فارس، وبالذات الى سوسة عاصمة العيلاميين وذلك بعد مجئ الأخمينيين الى العراق، ولقد ذكر عن بلييني اشاداته بالسجاجيد البابلية التي ورد ذكرها في كتابات المؤلفين والمؤرخين الرومان. كذلك ذكر عن منسوجات معبد جوبيتر في مدينة اومبي انها كانت منسوجة على طريقة النسيج الآشورية^(٢٢).

ويذكر عن الصوف وخاصة الأنواع الجيدة منه بكونها ملائمة لصناعة الطنافس فضلا عن وير الجمل الصغير السن، وكان تحضير الصوف لصناعة الطنافس معروفا في العراق وبشكل مستمر، وتنامت هذه الصناعة اليدوية في شمال

الملايس :

هناك دراسات وتصانيف مختلفة لأنواع الملايس وأساليب ارتداؤها وصناعتها وزخرفتها، أمكن وضعها استنادا الى ما هو متوفر من معلومات مدونة او مشاهد منحوتة على المنحوتات والأختام وغيرها. فهناك مثلا ملايس الحياة اليومية والملايس الخاصة بالاحتفالات والأعياد الدينية والقومية، ثم هنالك الملايس الخاصة التي يرتديها الفرد لطرد الأرواح الشريرة او لكشف فآل معين وتلك التي يلبسها البعض عند اصابتهم بأمراض معينة. ثم هنالك ملايس الأبهة والعظمة (٢٥). وهي الملايس الباذخة والثينة التي اقصر ارتداؤها على الملوك والمعبودين وبعض الخواص وتتميز بالزخرفة المبالغ فيها والمنفذة بالتطريز بخيوط الذهب والفضة والمزدانة بالأزهار المصنوعة من الذهب ويقطع الأحجار الكريمة والمليئة بالمعان والضياء والنور والاشعاع ... الخ.

وكان مفهوم الأبهة والعظمة موازيا للنفوذ السياسي والعسكري الذي بلغته الدولة في العراق على توالي العصور سواء ايام السومريين والأكديين والبابليين أو أيام الآشوريين. كذلك كانت الملايس الخاصة بالجيش، وتبين هذه الأخيرة المراتب والمناصب العسكرية من شارات ورموز على الرأس والمكملات من الزينة سواء اكانت من الأسلحة أم الحللي. والمعروف ان ازدهار صناعة الملايس والأزياء ومكملاتها يرتبط بالوضع العام والاقتصادي منه بشكل خاص. وكانت حرفة الخياط ومركزه الاجتماعي مرموقين، فقد نص قانون أشنونا (٢٦) وهو أول قانون مدون باللغة الاكدية وثالث قانون من ناحية التسلسل التاريخي ويسبق في زمنه قانون حمورابي الشهير) في مادته الرابعة عشر على اجرة الخياط وتساوي حوالي ٢٠٪ من قيمة الملبوس. والأجرة ايضا كانت تختلف حسب المكان والزمان

العراق بشكل متميز، وتتوفر في مثل هذه المناطق امكانية جيدة للرعي والحصول على الأصواف الجيدة، اضافة الى خيوط أخرى بما في ذلك خيوط الحرير. وتتوفر عناصر الألوان وخاصة النباتية منها والملائمة للحصول على صبغات ثابتة للخيوط، ظلت معروفة ايضا حتى اليوم، وفي صناعات خاصة للطنافس ادخلت خيوط الذهب والفضة في نسيج اللحمة أو السداة. ومثلا هو الحال عند الآشوريين فقد أجاد الحرفيون من العراقيين في تنفيذ اشكال وصور آدمية وحيوانية ونباتية في نسيج الطنافس هذه (٢٣).

كذلك كانت الوحدات الزخرفية واحدة من المعالم الدالة على أماكن صناعة الطنافس والسجاجيد وأصبحت هذه من الرموز المميزة للمدرسة تطورت من صناعة محلية لتصبح واحدة من السهات الفنية والحرفية البارزة. وكانت صناعة الطنافس ووحداتها الزخرفية والألوان المستخدمة لكل منها في بلاد وادي الرافدين وعلى مر العهود دلالات كبيرة، ولكل من هذه مفاهيم ذات علاقة بالطبيعة والسحر والمقدسات، كذلك لها علاقات أخرى ترتبط بنفسية وروح الانسان في هذه المنطقة. ومن أبرز العناصر الزخرفية الشجرة. وكانت الشجرة ومنذ اولى عصور العراق التاريخية رمزا للحياة والخصوبة وعنوانا لموضوعات لها علاقة بالخلود. وبسبب من الغلالة في استخدامها كموضوع وكعنصر زخرفي، فقد التجأ الحرفيون الى تموير شكل الشجرة والرمز بها بأكثر من نوع واحد. وكانت النخلة وشجرة الرمان من انواعها المألوفة في العراق القديم (٢٤). وتداول الفنانون المسلمون مفاهيم مشابهة وقريبة لتلك التي كانت مألوفة في العراق القديم والمناطق المجاورة، ومنها وادي النيل. وأصبحت الشجرة عندهم رمزا للحياة الدنيا والحياة في الآخرة: فتحت ظلها للاستريح المخلصون في الجنة وبأكلون من طيب ثمارها.

وتصل أحيانا الى وزن كمية من الفضة تعد ضمن الأسعار المعروفة في العراق القديم عالية جدا وخاصة في الفترة الآشورية المتأخرة^(٢٧).



أسفله الخارصني لامع الملوك الآشوريين .

وكان هنالك تنظيم للحرف في العراق القديم ومن ذلك تنظيم حرفة الخياطة والنساجة والعاملين فيها وذلك على شكل نقابات^(٢٨). كذلك كان هناك رئيس للخياطين ومنهم المشهورين باسمائهم ، وكانت المعودة عشتار التي تمتلك اختصاصات متعددة ، كأن تكون ربة اوالهة الخياطين ، ويراد بها هنا النموذج المثالي والرائد في هذا القطاع الصناعي والفني المهم .

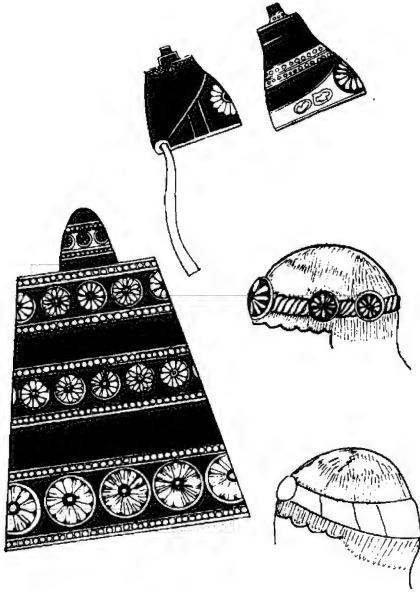
وكان الثوب او القميص اهم قطعة من الملابس ، وأصبح الزي العام لكل العراقيين رجالا ونساء ، ولكنه اختلف في طوله ، ويكون فوق الركبتين او دونها قليلا عند الرجال وطويلا عند النساء ويتميز بأردان قصيرة في الغالب ويكون مدورا عند الرقبة وفصاله عريضا ففضاضا يسمح بحرية الحركة والعمل .

وكانت القطعة الرئيسة الأخرى من الملابس هي المعطف ، وكانت توضع في العادة فوق القميص ، ويمكن تسميتها ايضا بالقباء او الزبون . ويكون في العادة من ملابس الأغنياء والموسرين ورجال الدين والحكام .. ويكون القباء في العادة مفتوحا من الامام ومن الاعلى الى أسفل ويشد طرفاه على طول الجسد والملاحظ استمرار هذا الملبوس في العراق منذ عهود الأكديين والبابليين والآشوريين ، ويمكن أن نجد بقاياها حتى يومنا هذا .

والى جانب هاتين القطعتين الرئيسيتين كانت هنالك ملابس الاحتفالات والأعياد والملابس المستخدمة خلال اجراء الطقوس الدينية . ولثل هذه الأزياء او قطع الملابس الاحتفالية اسماء معروفة ، وهي في العادة مزينة بتطريزات متنوعة مستنبطة من المعالم الطبيعية من حيوان ونبات ومن

رموز وأشكال اسطورية ، وتكون هذه التطريزات بأشكال متنوعة بعضها بارز وبعضها ضمن خطوط النسيج في السدى او اللحمة ، وتكون من خيوط المعدن او الخيوط الملونة ، ومن الملابس المزينة بقطع حقيقية من الذهب والأحجار الثمينة^(٢٩) . وهذه الاحجار مسميات وصفات خاصة ، ولها لمعان اريد به ان يكون على علاقة بالنجوم والكواكب ، وفي هذه الاحجار امكانيات سحرية اريد بها اطالة الحياة وعمر الانسان وتبديد الخوف وباطال تأثير أذى الحسد والعين الشريرة ... وكان لثل هذه القطع من الملابس دور معنوي كبير في

وهكذا كان الرمزان اي صورة القمر في شكل
اللال ونوره وقرون الثور من علامات الآلهية في
العراق القديم . اما لباس الرأس الآخر والذي لا يزال
معروفا حتى اليوم فهو العمامة او العمة ،

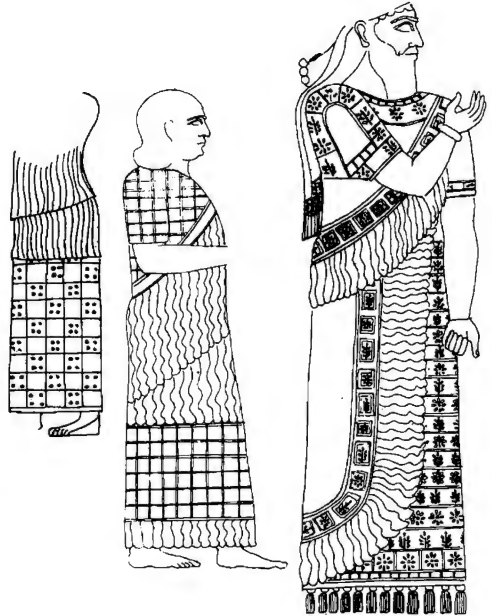


وتبدو مثلا على رأس جوديا ملفوفة بعناية ، وتبدو
مزخرفة بوحدات وقريبة حتى من تلك المعروفة اليوم .
وهناك لباس الرأس الآخر المعروف بدوره خلال
كل العصور وهو العقال (العگال) .

وهناك انواع من العصابات تحيط بالرأس
وتتلى منها شرائط هي بمثابة رموز وشارات لحاملها
من المرموقين وبعض المسؤولين ، وتبدو أحيانا مزينة
برموز وشارات تكون عبارة عن تطريزات او قطع من
الحلي وأحيانا تبدو مزينة النهايات بهذب (٣١) .

وكانت مثل هذه العصابات المزودة بوردة
واحدة او أكثر من الشارات الدالة على المراتب
العسكرية وتبدو واضحة على رؤوس كبار الضباط
وقادة الفرسان . وتشير ازياؤهم الخاصة الى

عمليات اجراء الطقوس الدينية فتتوب احيانا
ملايس الملك عن حضوره الشخصي لاحتفال
معين، وتمتلك الحلي المزينة هذه الملايس تأثيرا شديد
الفعالية على الأعداء وتفقد الأخيرة تأثيرها حين
ارتدائها من قبل الآخرين (٣٠) .



ان قطع الملايس المترفة كانت رمزا من رموز
العلاقة بين السلطان او الحاكم والمعبود ، وفي
الوقت نفسه كانت رمزا من رموز الملكية والوراثة .
ونفهم فلسفة اهداء ملبوس كخلعة وشيوع هذا
التقليد خلال العصور اللاحقة .

وكانت زينة الرأس من أهم عناصر المظهر
الخارجي للفرد والتاج، وهو رمز الأبهة، كان في أول
أمره تاج المعبود اله القمر وهو على شكل هلال ،
وما يصدر منه من ضياء ولمعان له علاقة برمز القوة
والبأس وعن هذه القوة كان يرمز بقرون الثور،

تخصصاتهم الحربية ، وتشير ايضا الى تطور وتنظيم كبيرين .

وتعد ملابس القدم مكتملة للمظهر المترف واستكالا للأبهة ، وخاصة بالنسبة للأفراد من القوات المسلحة وتبدو ذات تفاصيل مهمة وخاصة انها موضحة بتفاصيلها الدقيقة سواء في النصوص المدونة او على المنحوتات او في الرسوم الجدارية المنقذة بالألوان . وتبدو ملابس القدم من الأحذية والصنادل المختلفة الأنواع وتدل صناعتها على استخدام مواد أولية عديدة منها اضافة الى الجلود والقماش قطع المعدن والحجارة الثينة ، وتذكر الأحذية المبطنة وتلك المزودة باشربة (٣٢) .



ومن المظاهر المتممة والمكملة للمظهر الخارجي للأفراد عموما كانت الأحزمة وكانت تعرف قديما بنفس الاسم . وللحزام دور نفعي وآخر جمالي، وكان في البداية يستخدم لحمل العدد والأسلحة ، ثم استخدم لشد الملابس الى وسط الجسم وأخيرا

استخدم كقطعة ملابس جالية مضافة عليها لوحات هي عبارة عن تفريزات من عناصر زخرفية (٣٣) . واستخدمه بأبهة عظيمة الأغنياء وذوو النفوذ ، ومن قماش ثمين يبدو عريضا على نحو مبالغ فيه احيانا وهو عند غيرهم مثل اليوم عبارة عن قطعة آشية بسيطة وقد يكون خيطا او حبلا يشد القمص الى وسط الجسم .

واستخدم الشال في نطاق واسع ، وهو عبارة عن قطعة قماشية كانت توضع على الجسم وفوق القميص وبأساليب متنوعة تقرب احيانا من صورة وشكل المعطف وقد تكون في الأصل بداية لتفصيله وشكله المنتظم في آخر هيئته وبالشكل المسمى بالقباء او المعطف .

وحركة وأساليب استخدام الشال ذات مرونة كبيرة تتبع وتعلق بالظروف الطقسية والحاجة ثم الشكل ، ومازال يستخدم بصورة ظاهرة اليوم بنفس المرونة وتسميات عديدة معاصرة . وكان يتميز بألوانه المنسجمة مع لون القميص وللألوان بطبيعة الحال والمواد الأولية المستخدمة في صناعة الملابس أهمية ودور معروف يكون بحثها مكلا بشكل طبيعي للمظهر الخارجي .

وكان يتم اختيار ألوان الملابس وفق مفاهيم ومعايير معينة ، فكان اللون الأبيض يدل على النقاء والطهارة ، لذا كان لون أزياء الكهنة . ومن الألوان المفضلة الأخرى اللون الأحمر باطيافه المتعددة ومنه الأحمر المائل الى الوردي والأحمر الناري . وكان البعض من رجال الدين وبعض طبقات الجيش يتخذونه لملابسهم وذلك لاعتقادهم بأنه يجلب الخسوف ويطرده الأرواح الشريرة وبعض الأمراض كالخصبة كذلك كان يتخذ غطاء لدفن الأموات وذلك اعتقادا بكونه يبعد الأذى عنهم ، فضلا عن كل مايسىء ، ويوصف اللعاب من القماش الأحمر لذلك بصورة خاصة .

على الأنسجة، كذلك استخدمت أنواع من الأملح لنفس الغرض ومنها أملح الحديد والنحاس وأنواع من الحوامض والأكسيدات (٣٥).

٤ - صناعة الجلود:

لم يقتصر اهتمام اقتصادي وادي الرافدين القدماء على تربية الأغنام والماشية فقط، وإنما نلمس اهتماما خاصاً بتربية الماعز بأنواعه المختلفة، فقد كرس السكان جهودهم وبشكل مستمر وعميق للرعي وتربية الحيوانات ولا عجب في ذلك، فالمنطقة كانت زراعية بالدرجة الأولى، وقد عرف هؤلاء استغلال الماشية معرفة جيدة فاتخذوا من أصوافها مادة أولية في صناعة الملابس وغيرها، كما وفرت جلودها مادة أولية مهمة للعديد من الصناعات واستخدمت هذه المادة الجلدية في صناعة قطع من الملابس لإكمال المظهر الخارجي. وقد استخدمت جلود الحيوانات في صناعة الملابس والاحذية والعدد الحربية من خوذ وحللات اسلحة وجعاب سهام، كذلك استخدمت هذه الجلود في صناعة وعمل أجزاء غير قليلة من عدة النوم وكفلاف وقافي وجالي لبعض العربات سواء الحربية منها أو المعدة للتنقلات الملكية في حالات السلم، كذلك استخدمت مادة الجلد غلافا وزينة لبوابات الدور وسجاجيد، فضلا عن استخدامها أواني لأنواع عديدة من الأطعمة والمشروبات مثل القرب والأمكياس وحتى العلب المستخدمة في حفظ المواد الثمينة وغيرها، كذلك كانت مادة الجلد تعد المادة الأولية الرئيسية في صناعة وعمل عدة الخيول (٣٦) والحمير والبغال من أعنقة وسروج وسياط، إضافة الى استخدام المادة هذه في صناعة اجزاء من القوارب والعربات وتدخل نفس المادة في صناعة الآلات الموسيقية كأوتار القيثارات والأجزاء الرئيسية في صنع (الدمامات) والطبول والدفوف (٣٧) .. واستخدم الصاغة هذه المادة في عمل المنافع الخاصة لرفع درجة وقوة النار المستخدمة في التصهير.

ومن الألوان الشائعة في العراق القديم كان اللون الأزرق وأنواعه العديدة، ومنه الأزرق الغامق والأزرق البنفسجي والأرجواني، ومصادره المعروفة كانت من المعادن والأحجار وخاصة حجر اللازورد. ومن مصادره النباتية صبغة النيلج أو النيلة اوصبغ النيل، حيث كان يتم استخلاص عصارة النبات الطبيعية، وهي ذات لون أخضر في أول الأمر وبعملية التأكسد تصبح زرقاء غامقة (٣٨).

وعرف اللون الأرجواني بأطيافه العديدة وكانت من مصادره الرئيسية القواقع البحرية، وتكون العصارة المستخرجة منها جيدة جدا وتثبت لمدة طويلة على الملابس. ولقد عرف العراقيون القدماء مصادر أخرى معدنية لهذا اللون وذلك لندرة الحصول عليه دائما من القواقع. والمعروف ان استخدامه كان مقتصرًا تقريبًا على الشخصيات الكبيرة واعتبر لذلك لونا مقدسا ورمزا للقوة والسلطان ورمزا للألوهية ورمزا للعوائل المتسلسلة من أصول نبيلة ولازال حتى اليوم واحدا من الألوان المستخدمة من قبل الطبقات الكهنوتية العليا.

واستخدم اللون الأصفر ايضا، ولكن على نطاق ضيق واستخرج اللون من نبات الزعفران والكركم وثمار شجر الرمان.

ولصبغ الشعر استخدمت صبغة اللون الأصفر وبأطياف واستخدم لذلك نبات البابونك المخلوط مع ماء الورد والشب مادة مثبته، وكان اللون الأصفر رمزا للحكمة وهو لون الذهب، وأحب العرب الملابس الصفراء للمرأة.

استخدمت أيضا ألوان أخرى كالأصفر والأخضر ولم يكن اللون الأسود رمزا للحزن كما هو معروف عند الناس اليوم، وكان اللون البنفسجي هو الذي يرمز للحزن والموت، والحال نفسه عند اليونان، واستخدمت ألوان أخرى كانت مصادرها معدنية وحيوانية ونباتية، وكانت مادة الشب مستخدمة على نطاق واسع لثبيت هذه الألوان

ومن القوائم اللغوية التي ثبتها علماء
المساريات ذكر لانواع الحيوانات التي استخدمت
جلودها في صناعات مختلفة، ومن هذه، جلود
الخنازير والجمال والاسود وحتى جلود القطط
والكلاب والحمر والبغال^(٣٨).

ان معاملة واشتغال جلود الحيوانات المذكورة
أنواعها في وادي الرافدين القديم وفي مرحلتها الاولى
بالذات كانت تتم بتزج الجلد عن الحيوان، ويظهر
ان عملية نزج جلد الحيوان كانت تتم بطريقتين:
الاولى: نزج الجلد مع غطائه سواء كان من الصوف
او الشعر، والثانية: كانت تتم بتزج الصوف او
الشعر من جلد الحيوان قبل فصل الجلد عنه ولكلتا
الطريقتين استعمالها الخاصة.

طريقة معالجة جلود الحيوانات:

الدباغة والصباغة:

يراد بالدباغة هنا تحويل جلد الحيوان المتزوع الى
مادة غير متعفنة ومتناسكة وقليلة المسامات
وبالتبعية تحصل على مادة نسميها الجلد. ومن
طرق الدباغة المذكورة في النصوص المسارية ترك
الجلد المسلوخ في حوض من الماء للسماح للبكتريا
المتوفرة ان تمارس فعاليتها اما طبيعياً او بنوعية الماء
والمواد الموضوعة فيه فتختلف حسب نوعية الجلد
الذي يرغب في الحصول عليه^(٣٩).

وبالنسبة لدباغة الجلود غير المتزوعة الصوف او
الشعر بعد فانها كانت تشبع بمحلول دهني، ثم
تضرب بالعصي او بواسطة أخرى ليتم ادخال
الأجزاء الدهنية في اجزاء الجلد ومساماته، ثم تنزع
كل الشوائب من الجلد: الشعر او الصوف ويقايا
اللحم....

تشير النصوص المسارية ايضا الى الأشخاص
المتخصصين في كل مرحلة من مراحل العمليات
السابقة، اما المتخصصون في صناعة الجلود على

اختلاف مراحلها في اللغة الأكديّة فهم ashkappe
واللفظ مأخوذ من اللغة السومرية ASHGAB وقد
انتقلت الكلمة الى لغتنا على هيئة اسكافي،
ويعرف هؤلاء المتخصصون حسب نصوص
الكتابات المسارية منذ منتصف الألف الثالث ق م.

ان هؤلاء المتخصصين اي ال ashkappe،
فضلا عن قيامهم غالباً بانجاز كافة مراحل تحضير
الجلد، من دباغة وتلوين كانت توكل اليهم ايضا
مهمة صناعته، وخاصة في عمل الأحذية^(٤٠).
نفهم ان عملية الدبغ المعروفة والمدونة في أحد
النصوص الآشورية كانت تستلزم استعمالاً لمادة
العفص والجلد منه المستورد من تركيا، من مناطق
الحثيين، والواقع ان الحثيين اشتهروا بهذه المادة
التي استخدمها الآشوريون في الدباغة على نطاق
واسع، كذلك اشتهروا بتصديرهم لمادة الشب
المستخدم كذلك في الدباغة، وما تذكره النصوص
الآشورية في كيفية استخدام العفص مادة دابغة،
وتعرف من هذه النصوص ان بقرة ذبحت لاكمال
طقس ديني ولاستخدام جلدها بعد ذلك لعمل
طبل خاص يستخدم في الاحتفالات الدينية^(٤١).

لقد استخدمت مادة الشب gabū على نطاق
واسع من قبل المتخصصين بالدباغة في وادي
الرافدين القديم، اما فائدة هذه المادة في هذا
الحقل من الصناعة فكانت للحيلولة دون تعفن
الجلد وفساده، وهكذا يلعب الشب دوراً لا يقل
اهمية عن دور مادة العفص في دباغة الجلد. وتؤكد
دباغتي وادي الرافدين القدماء على استخدامهم
لمادة الشب يستلزم معرفتهم لعملية ضمن مراحل
الدباغة ينتج عنها الحصول على جلد رقيق وناعم
ولين، ويتم ذلك بمعاملة الجلد بمسحوق الشب
المحلول بالماء بعد تنظيفه وينتج عن ذلك تلوين
المحلول بلون خفيف ويحصل على جلد جيد، ناعم
ورقيق ولين طالما يبقى الشب متداخلاً في
مساماته^(٤٢).

تجلا تيليزر الاول - آشور ناصر بال الثاني وشيلمصر
الثالث « جلود حيوانات منفوخة تستخدم في
صناعة الأكلاك للنقل البحري »^(٤٨).

الحرفيون المختصون بالدباغة :

كُون الدباغون فيما بينهم نوعا من التجمع يشبه
مانسمية اليوم نقابة ، وكانوا يعيشون في تجمعات
سكنية خاصة بهم ، كذلك الحال بالنسبة لمحات
شغلهم^(٤٨) ، وعدنا التعبير في الأكديّة المشير الى
المكان المخصص لسكنى الدباغين وهو al (bit) sha
amêl) ashkappé^(٤٩).

والمعروف ان هناك سببين رئيسيين أدّى الى ان
يتجمع هؤلاء الدباغون في محل واحد : الأول :
طبيعة عملهم التي تستلزم الاشتغال في امكنة
مقاربة ، والثاني : هو التقليد المتبع في تجمع
اصحاب حرفة واحدة وممارستها في محلة واحدة او
اكثر في نفس المدينة ، وهو تقليد معروف في عالم
الحضارات القديمة ، وبشكل خاص في وادي
الرافدين ومصر وفلسطين وآسيا الصغرى وايران ،
ومازال جاريا بوضوح بشكل نسبي حتى يومنا هذا .

اما عن مكانة الدباغين من الناحية
الاجتماعية ، فيبدو أنهم والاسكافيين أو الخفافين
كانوا من المميزين في المجتمع البابلي ومثلهم
اصحاب حرف اخرى معروفة كالنساجين ، ونعرف
ان حمورابي نفسه ثبت في قانونه الشهير اجور
الدباغين والنساجين^(٥٠).

٥ - صناعة الأحذية :

تتوفر لدينا العديد من الرقم الطينية التي تذكر
بشكل واضح استعمال الأحذية (الصنادل) ،
كذلك تتوفر لدينا مجموعة كبيرة من
المنحوتات^(٥١) التي تعرض تفاصيلها أحذية
متنوعة في أرجل الأشخاص الممثلين على هذه
المنحوتات ، وتعكس تفاصيل الأحذية ونوعيتها

بعد عرضنا لما هو متوفر من طرق مختلفة ومواد
متعددة استلزم استخدامها لدبغ الجلود على أنواعها
في وادي الرافدين القديم تأتي على ذكر الطرق
المختلفة المستخدمة في تلوين الجلد ، والمعروف أنه
حتى اليوم في مناطق الشرق الأوسط يستخدم لحاء
بعض ثمار الأشجار وأوراق نبات السماق وبشكل
خاص في مناطق شمال العراق وسوريا في تلوين
الجلد ، وعرف "السماق" من قبل الآشوريين تحت
كلمة spiru ، ويمكن تقريب هذه الكلمة من
الكلمة العربية صَفَر الشيء أى جعله أصفر
اللون^(٥٢).

ان الصبغة المستحضرة من نبات السماق
تستخدم في تلوين جلود الحيوانات المدبوغة ،
وكذلك استخدمت لتلوين الأقمشة ، ونؤكد لنا
النصوص المسارية من الفترة الآشورية ان
الآشوريين استخدموا هذه المادة في تلوين الجلود
والأقمشة ، ومازال استخدام هذه المادة حتى اليوم
لنفس الغرض في شمال العراق وتركيا بشكل
خاص^(٥٣).

وقد بحث أحد النصوص ، وهو عبارة عن
عقد عثر عليه في مدينة كركميش في سوريا
تجهيز الآشوريين بمادة السماق والعفص ، وذلك
لاستخدامها في صناعة الدباغة ، وكان طرف العقد
الآخرهم جماعة من الأرمن من منطقة ميتاني^(٥٤).

لقد اشتهر الآشوريون والبابليون في الواقع
بإنتاجهم للجلود ذات الألوان الباقية التي انجزت
لشغلها في مواضع عديدة ، ولقد اشتهر بشكل
خاص نوع سمي دوشو dushu ، وهو يرمز للمعان
الشمس ووجهها^(٥٥) ، ومعنى الكلمة في الأصل
هو "البلور الصخري"^(٥٦) . وتعني الكلمة ايضا
أحد ألوان الجلد المأخوذ من العترة Parutu ، ويراد
به لون الرخام الأبيض وهو نوع من الجلود المدبوغة
والمصبوغة ، وتعني الكلمة ايضا dushu حسب
ورودها في النصوص الخاصة بالملوك الآشوريين

والطبقة التي ينتمي اليها ذلك الفرد سواء كان من الالهة او الملوك او الجنود او الأجانب او العبيد^(٥٢) .

ومن ناحية صناعة الأحذية نعرف انها كانت احدى الدعامات الرئيسية في الصناعة الجلدية ليس فقط في وادي الرافدين وانما في كل حضارات الشرق الأوسط القديم^(٥٣) .

ونعرف ان جل الاهتمام المكروس في صنعها كان لاستخدامها من قبل الطبقة البرجوازية، ومنهم قادة الجيوش وأصحاب المراتب العليا وكذلك الكهنة الكبار.

استخدم سكان وادي الرافدين كعبا اضافيا اضيف الى النعل الرئيسي المسطح، وميّز هؤلاء عن اليهود ذوي الأحذية المغلوقة على كل القدم، وتصل الى مافوق الكاحل ايضا، ونرى نماذج احذيتهم واضحة في مسلة الملك الآشوري شيلمنصر الثالث والمحفظة اليوم في المتحف البريطاني^(٥٤) .

إن أحذية الآشوريين التي نراها على الكثير من المنحوتات البارزة منحوتة بشكل جانبي بطريقة نرى بها بوضوح النعل والأجزاء الجانبية والكعب وحتى الأشرطة التي تكون على شكل حلقة يمر بها أصبع القدم الكبير وتمر بمحاذاة كعب القدم وتشد بعد ذلك من الخلف او الجانب على شكل عقدة .

والواقع ان الحلقة الجلدية التي يمرر بها أصبع القدم الكبير ظهرت في عصر متأخر كذلك الثقب المعمولة لمرور الأشرطة وتوضع فوق كعب القدم على هيئة حلقتين لامرار الأشرطة ، والحلقة الجلدية التي يمرر فيها اصبع القدم الكبيرة تكون أحيانا مزينة بقطعة من المعدن الثمين^(٥٥) .

وفضلا عن الأحذية (والصنادل) عرف سكان وادي الرافدين القدماء الحذاء الطويل العالي الذي يصل الى أسفل الركبتين وهو مانسميه اليوم (بالبوتين) القصير منه والذي انتشر

استخدامه بنحو خاص من قبل الفرسان المحاربين من الآشوريين وتحت هذا النوع من (البوتين) كان هؤلاء الفرسان يلبسون الجوارب المشدودة الى اعلى الساق بشریط^(٥٦) . إن الجزء الامامي من البوتين مربوط الى القدم والساق بواسطة شرائط دقيقة وغير سميكة . ان انتشار هذا النوع من الأحذية عند الآشوريين بشكل خاص - كان لسهولة السير به - في المناطق الجبلية .

كذلك نعرف عن تقليعة جديدة ظهرت في عصر آشور بانيبال (٦٦٨ - ٦٢٦ ق. م) الملك المثقف والمحارب الجيد، والتقليعة هذه تلتخص في عمل حذاء ذي نعل رقيق وخاصة في الجانب الخلفي من القدم، ويغطي جلد الحذاء من خلف القدم وجانبيه الخلفيين ايضا، وتمرر الأشرطة التي تشد الحذاء الى القدم من ثقب نفس الجلد ويجعل لها حلقات معدنية للثقب وتشد على شكل عقدة على جانب القدم .

اما الحذاء الآشوري الاعتيادي فهو عبارة عن (صندل) (يسمى باللغة الاكدية نعل naul المشابهة للفظ العربي المستعمل لنفس الشيء) ذي نعل رقيق وكعب واظمي مصنوع من عدة طبقات من أشرطة جلدية عريضة^(٥٧) .

اما الأحذية بأنواعها المختلفة فقد كانت في زمن الملك الآشوري سنحاريب (٧٠٥ - ٦٨١ ق. م) أقل دقة ورشاقة ومثانة مما اصبحت عليه في زمن الملك آشور بانيبال على الرغم من كون العناصر المكملة والمزينة لها أكثر وأغزر وخاصة الزينة المعمولة على شكل وردات والأشرطة الجملة للأحذية من الأمام^(٥٨) .

اما عن تلوين الأحذية بشكل عام فقد ابدع الآشوريون والبابليون في ذلك وخاصة في استخدامهم للألوان البراقة في تلوين جلود الأحذية وتزيينها بالقطع المعدنية الثينة والاحجار

الكرمة وتطريزها بخيوط مصنوعة من جلد الماعز المدبوغ^(٥٩).

كذلك استخدموا الأشرطة الملونة في تزيين العدة الحربية المصنوعة من الجلد وخاصة اشرطة الأحذية الحربية الطويلة.

ان الألوان المتبقية على اجزاء المنحوتات البارزة الآشورية تؤكد لنا أن أحذية الملوك الآشوريين كانت تصنع من الجلد الملون بالألوان المتعددة والمنسقة لاختراج الحذاء الواحد بشكل منسجم، ومنحوتات مدينة خرسباد (دور-شروكين) تثبت لنا هذه التقيلة^(٦٠) وبعض الأحيان وجد ان جلد الصندل الواحد والأشرطة المكحلة له ملونة بلون واحد وهو اللون الأحمر.

وفضلاً عن مصادرها في هذا الموضوع من الوثائق الشاخصة، من المنحوتات وغيرها من الياقيا الاثرية، فاننا نجد في النصوص المكتوبة بالكتابات المسمارية مفردات عديدة تعني ملحقات مكحلة منها ضرورة لشد الحذاء الى القدم، ومنها ملحقات كمالية جعلت للزينة والقصد منها الظهور بمظهر العظمة والبذخ.

وأخيراً نقول بأن دبغ الجلود في وادي الرافدين واستغلاله بشكل واسع يؤكد لنا وحدة وتكامل الصناعة الواحدة مما يميز هذه الصناعة بالذات، وكذلك الصناعات والمهن الأخرى عما نجده في بقية الحضارات المعاصرة.

هذه الوحدة والتكامل جاءت نتيجة الحاجة الى تبديل وتطوير المواد الأولية منذ وجود الجلد على الحيوان وهو حي الى استغلاله في صناعة كاملة. وهذا التطور حدث ايضا نتيجة لتوفر النوعية الجيدة والمتنوعة من الحيوانات ومن الجلود.

٦ - صناعة المعادن :

كان توصل العراقيين القدماء واهتدائهم الى

تصنيع معدن النحاس واحدا من المعالم الصناعية والفكرية الكبيرة، ويتضمن تصنيعه مالا يقل عن اربعة معارف تصنيعية هي عملية طرقه وعملية اذابته وعملية استخلاصه من المعدن الخام، ثم معرفة مزجه بمعدن آخر، والعملية الأخيرة تعد بمجد ذاتها طفرة نوعية في تصنيع المعادن بشكل عام. وتصنيع معدن النحاس بشكل خاص ومرونة النحاس وليونته في الصناعة كانت خطوة كبيرة في استخدامه بديلا عن الأدوات الحربية في كل العالم، وأصبح استخدام النحاس في صناعة الأدوات شائعا، وظهرت طبقة صناعية تتمتع بمستويات تقنية وفنية وأصبحت اشكال الآلات والأدوات متنوعة وتزداد بازدياد الحاجة ويتوسع الاقتصاديات الزراعية، وكان هذا التطور الصناعي والعلمي الجديد واحدا من العوامل الرئيسية لانتقال التجمعات السكانية في العراق والعالم من مجتمع القرية الى مجتمع المدينة^(٦١).

وكان اهتمام الانسان الى هذا المعدن قد جعل المتخصصين يسمونه بعصر النحاس ثم تلاه عصر آخر سمي عصر البرونز.

وتتوضح أهمية توفير المعادن لدى العراقيين من زيادة الاتجار به على نطاق واسع جدا.

ومن اجل الحصول على معدن اقوى من النحاس عرف خلطه مع معادن أخرى فنصهر بدرجات أدنى كثيرا من درجة انصهار النحاس، ومن ذلك الرصاص ٣٢٥ درجة مئوية والقصدير ٢٣٢ درجة مئوية.

والبرونز هو خليط من نسبة عالية من النحاس ومعادن أخرى من الرصاص والانتيموان او الزرنيخ^(٦٢) الا ان خليط النحاس مع القصدير يعد اجود الأنواع. وفي حالات فقد مزجوا ٩٨٪ من النحاس وحوالي ١٪ من القصدير وحبات قليلة من النيكل او الحديد يمكن ان تكون مصنوعة من

والمصدر الآخر للحديد هو من النيازك التي تهوى
أحيانا على الارض وتتألف في معظمها من الحديد .

ولقد عرف العراقيون الحديد وأولوه اهتماما كبيرا،
وذكره باللغة السومرية دليل واضح على عمق
معرفتهم به منذ فترة حوالي الألف الثالث قبل
الميلاد وذكره بالاصطلاح آن - بار (AN -
BAR) وتعني كلمة آن السماء وبار تعني الحديد
ويترجم الاصطلاح معدن السماء او المعدن - النيزك
وسموا ايضا بالمعدن المعظم ، كان قد عرف من
مصادره الطبيعية في جبال طوروس وفي ارمينيا منذ
الألف الثالث قبل الميلاد وعرفت تجارتها منذ الألف
الثاني قبل الميلاد . درجة انصهار الحديد ١٥٣٠
درجة مئوية (ستغراد) وتزيد على درجة انصهار
النحاس بحوالي ٥٠٠ درجة ، فهل كان من الممكن
ايصال الحرارة عند السومريين قبل خمسة آلاف
سنة من الآن وهل كان شيوخ استخدام الحديد
المتأخر نسبيا راجعا الى هذا السبب ام بسبب ندرة
حصوله في العراق ،
وقد يكون السببان هما الأكثر قبولاً ، والمعروف انه
كان يكفي لصهر طن واحد من الحديد الخام ثمانية
اطنان من الفحم . ويثبت ماتذهب اليه تأخر شيوخ
استخدام الحديد الى فترة حوالي بداية القرن الثالث
عشر قبل الميلاد اتجاه معظم البحوث العلمية
للمتخصصين في الآثار واللغات القديمة الى ان
شيوخ استخدام الحديد في الصناعة كانت بدايته من
فترة النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد ،
وكان الآشوريون قد استخدموه على نطاق واسع
ابتداءً من القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، ومن
ثم نأج قطع الحديد المصنع والتي تم العثور عليها في
مناطق الآشوريين في شمال العراق رؤوس سهام
ومطارق ومعاول وقطع مصنعة أخرى من هذا المعدن
تدخل في صناعات أخرى مكملة بما في ذلك
الأثاث اضافة الى العثور على مناشير تصل اطوالها
الى ١,٦٥ و ١,٨٠م (١٥) .

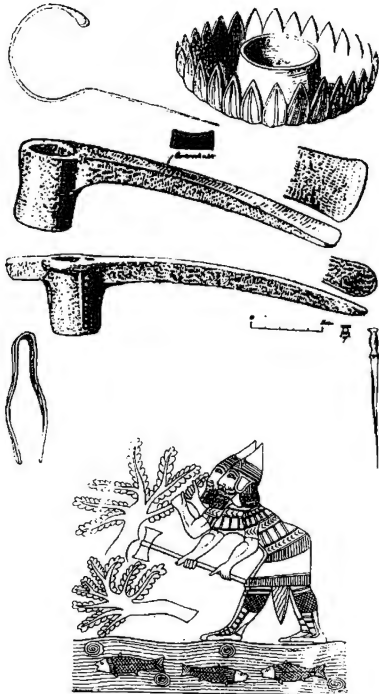
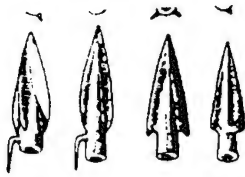
البرونز كليا . ويرى البعض في نسبة القصدير والنيكل
والحديد بأنها شوائب بينما يرى بعض آخر بأن خلو
مايقبل عن ٢٪ طبعيا ، وكان العراقيون يسمون
القصدير والرصاص تحت لفظة أناكو anaku
ولكن تميز الرصاص في معظم النصوص تحت
الاصطلاح ابارو abâru و ashgiku .

والجدير بالملاحظة ان نسبة خلط القصدير
مع معدن النحاس لجعله قويا ظلت متقاربة ولا
تتجاوز في متوسط الحد الأعلى العشرة بالمائة (١٣) ،
على الرغم من تحليل قطع عديدة من المصنوعات
البرونزية من فترة النصف الثاني من الألف الثالث
قبل الميلاد ، وجد ان نسبة القصدير فيها كان حوالي
٢٪ (١٤) .

وتعد عملية خلط النحاس مع القصدير هي
المفضلة ، وبالتجربة العملية توصلت الجماعات
المتخصصة الى عصر جديد اطلق عليه عصر
البرونز .

اما بالنسبة لمعدن الحديد وتاريخه ومصادره ، فن
المعروف ان سطح الكرة الأرضية يتشكل من
٤٪ - ٥٪ من الحديد ، وهو هذه النسبة التي تبدو
كبيرة جدا على شكل خليط مع الصخور ، ويكون
على شكل فلزات ، ومنها أكاسيد الحديد والمهاتيت
وهو خام الحديد الأحمر والمغنيت ، وهو اوكسيد
الحديد المائي الاصفر والمغنيت وهو اوكسيد الحديد
المغناطيسي وفحات الحديد الطبيعية .

ويستخلص الحديد من مادته الخام بنفس
الأسلوب الكيميائي الذي يستخلص به النحاس
وغیره من المعادن وذلك بالتعرض للحرارة بواسطة
الحطب والفحم . وعملية الاستخلاص هذه ترك
الحديد كتلة غير متراصة يستلزم اجراء عملية تنقيتها
بالطرق المتواصل ، وليس صب الحديد من
العمليات السهلة مثل تلك التي تحدث للنحاس
والبرونز بواسطة القالب وعلى الصنّاع المهرة صهر
الحديد وقولته بالطرق . وتلك عملية تستلزم قدرة
ومهارة كبيرتين .



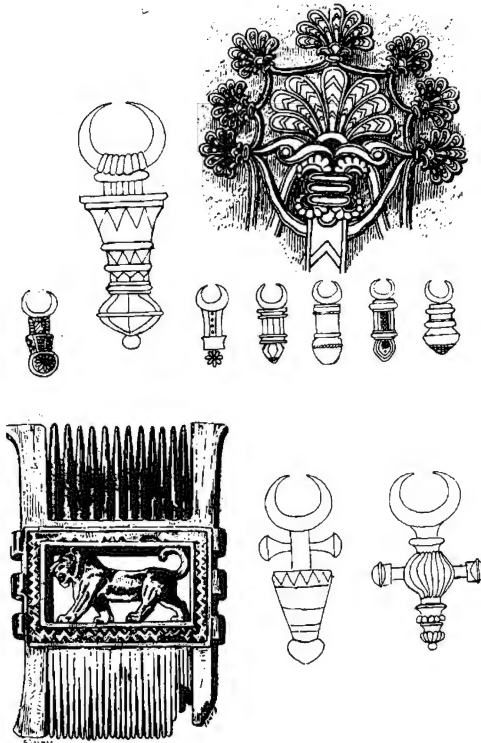
وكانت الورشات الخاصة بصناعة الاسلحة عند الآشوريين معروفة ، ويشار اليها احيانا بوضوح وتحت تعابير مباشرة أحيانا مثل : bit kutali وفي أحيان أخرى بصورة غير مباشرة ، ومن ذلك ذكر عمليات صب المعادن وخاصة الحديد لعمل الأسلحة ، ويعرف العاملون من المتخصصين في صناعة الأسلحة sha hallupti – shunu وأماكن ورشاتهم المحددة في مكانين في مدينة نمرود مثلاً (٦٦) .

وتشير الأدلة المادية والمدونة الى ان الحديد كان مألوفاً في صناعات بعض الاسلحة الخفيفة والحلي خلال فترة القرن الرابع عشر قبل الميلاد في معظم المناطق الكائنة من مصر وسوريا من جهة والعراق وآسيا الصغرى من جهة أخرى (٦٧) . هذا فضلاً عن استيراد الآشوريين لبعض الأسلحة المصنوعة من الحديد من بعض مناطق آسيا الصغرى ، ومنها الخناجر وذلك مقابل عدد وصناعات برونزية (٦٨) ، ويبدو واضحاً ان الحديد المستورد من آسيا الصغرى كان من نوعية جيدة ويصفه الآشوريون بالحديد الجيد او الطيب . Parzillu damqu وتصف رسائل الملوك المتبادلة بين الآشوريين والحثيين خلال القرنين الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد بأنه كان يستخرج في مناسبات ووفق ظروف خاصة .

ويبدو كذلك ان كميات الحديد المتوفرة قريباً من منطقة دهوك الحالية لم تكن كافية للصناعة الآشورية ، وكانت عملية تسهيل حصول الآشوريين على كميات كبيرة من خلال الاورارتين مألوفة (٦٩) ، فضلاً عما كانوا يحصلون عليه من كميات كبيرة أخرى من منطقة ديار بكر (خانيكليبات) (٧٠) كمعدن خاص من هذه المنطقة والمناطق المجاورة التي كانوا يسيطرون عليها .

اما المعدنان النيبلان الذهب والفضة فقد عرفهما العراقيون القدماء منذ العصر الحجري

وعن تفاصيل ومراحل التنقيبات الخاصة بأنجاز أعمال الصب لصناعة الزينة من الذهب في العقود الآشورية من الفترات الحديثة تتوفر رسائل عديدة عن ذلك مع ذكر المتخصصين لأنجاز العمليات أيضاً، ومن ذلك مايرد في رسائل نورية عديدة^(٧٤).



نماذج من الحلي الآشورية منها مشط خشبي

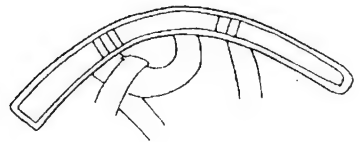
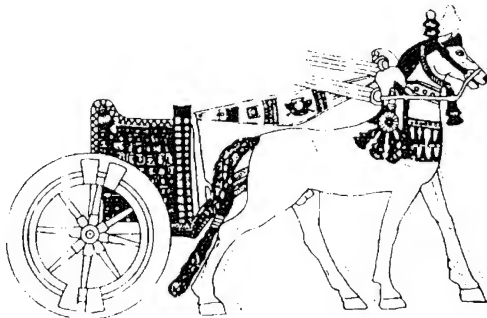
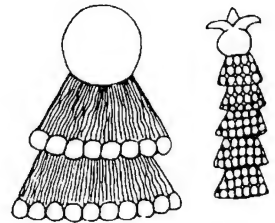
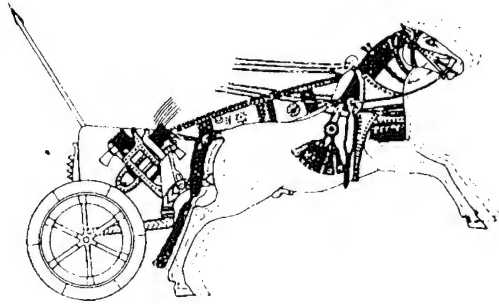
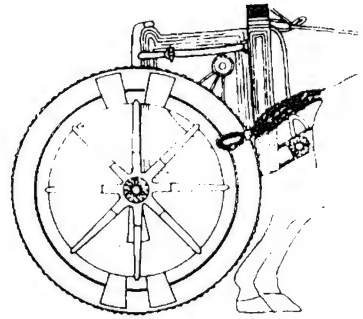
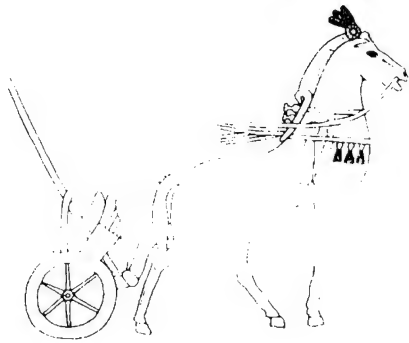
الحديث ، ولكنها لم يتوازيا بما يوازي أهميتها الأ من بداية شيوع استخدام المعادن والتطور الحضاري الكبير في بداية العصور التاريخية^(٧١) . ويمكن استخدام المعدنين مقياساً لتقويم الأشياء وذلك من خلال تحديد الكمية بوحدة الوزن التي اوجدوها ومنها الشئيل الذي يساوي حوالي ثمانية غرامات ونصف (من اوزاننا الحالية) ولقد ظلت وحدة القياس من الفضة بهذا الوزن لفترة تزيد على الثلاثة آلاف عام وعرفت لفظة مثقال في العربية لتشير الى نفس الاشتقاق اللغوي .

وفي الحقيقة فقد كان استخدام الفضة والذهب في العراق القديم والعصور اللاحقة شائعاً بصورة مبالغ فيها ايضاً ، فضلاً عن استخدامها في صناعة بعض الأسلحة الخاصة من استخدامات الملوك وبعض افراد الطبقة الحاكمة فقد كانا يستخدمان في صناعات عديدة منها الآلات والادوات الموسيقية ، وأكثر من ذلك كله في صناعة التماثيل الخاصة بالالهة والملوك ، وكانت تخصص لمثل هذه الصناعة كميات كبيرة من الذهب والفضة ، وتشير الكتابات المدونة من قبل السومريين والبابليين والآشوريين الى اهتمام الملوك بعمل نماذج من صورههم من الذهب والفضة ومحتويات من هذه الرسائل توضح مدى الاهتمام الظاهر بمتابعة العمليات المتخصصة بالصهر والخلط وصب القوالب وحفظ المواد المعدة لاجراء العمليات هذه .

وفي الحقيقة كانت كميات الذهب والفضة تدخل في عمليات أخرى خاصة بزينة القصور والمعابد والأثاث المزينة في داخلها سواء كانت بعض الكراسي والفرش او الاعمدة وبعض الواجهاات وخاصة اجزاء في مداخلها . وتشير الى تفاصيل ذلك رسائل عديدة مع ذكر المتخصصين اللازمين لأنجاز مثل هذه الأعمال وذكر اسمائهم^(٧٢) ومن هؤلاء الفنان Ashur beltakkin و Arad Nabu^(٧٣) مثلاً .

الأحياء والأموات ، وكان الأخيرون يتزينون بها قبل
اجراء عملية الدفن وتغرّ باستمرار خلال التنقيبات
على نماذج من المصوغات الذهبية على شكل اوراق
نباتية ومعاضد وأساور وقلائد بعضها تزين الجبين
والرأس .

كذلك كانت انتاجات الصناعة من العراقيين
القدماء معروفة في تصنيع الذهب والفضة لانتاج
الحلي بأنواعها المختلفة ، سواء تلك المزينة لرؤوس
الرجال والنساء او عبيدهم ومعاصمهم وملابسهم .
وكانت صناعة هذه الحلي مألوفة وشائعة بين



نماذج من العجلات المصنوعة من المادن ومكلائها .

- (١٠) الحرف والصناعات ص ١٤٨ .
Van Dijk, J.J. A. La Sagesse Sumero – accadienne
Leiden, 1953, p.65
- (١١) وليد الجادر، الحرف والصناعات البدوية في العصر الآشوري
المتأخر، بغداد مطبعة الأديب ١٩٧٢. ص ٩٨-٩٩ .
- (١٢) المصدر نفسه، ص ١٠١ .
- (١٣) المصدر نفسه، ص ١٠٦-١٠٩ .
- (١٤) وليد الجادر، الحرف والصناعات البدوية في العصر
الآشوري المتأخر، ص ٢٣٢، الملابس الشعبية في العراق،
بغداد، وزارة الإعلام، ١٩٧٠ .
- (١٥) Eiko Matsushima – Toyama "Le Lit de shamash et
le Rituel du Mariage à L' Ebarab in: Acta
Sumerologica No.7 1985
- (١٦) Journal of Cuniform Studies, New Haven IV
(1950) p. 191
- Vorder Asia ische Schrittdenkmäler (= VAS) 61:
4
- (١٧) CAD, A, p.152.
- (١٨) من الاصطلاحات هذه (Za – rat – زارات) ، وزارته ورد في
نصوص كثيرة في العراق القديم ، انظر للتوسع :
CAD Jcs xxl
p. 66.
- (١٩) انظر في مجالات التأثير العراقي القديم على فنون الأرواح الأخرى
وما صاحب ذلك في تأثيرات فكرية وحضارية أخرى :
Ghirshman, R., Parthes et Sassenides, Paris 1962,
—, Les Achéménides, Paris 1963
- وليد الجادر، الحرف والصناعات، ص ١٢-١٣ .
- (٢٠) CAD ... VIII, p. 255. IV, 346a
Revue d' Assyriologie et d' Arch. xxxvi p. 204
- ساكر. ه. عظمة بابل، ترجمة : عامر سليمان إبراهيم، ط
٢، لندن ١٩٦٢، الترجمة العربية، الموصل ١٩٧٩، ص
٥٤٤٣ .
- (٢١) الحرف والصناعات، ص ٣٢٥ .
- (٢٢) Pausanias, Liv V ch.xll
- (٢٣) Griffin, G. Lewis. The Practical Book of Oriental
Rugs. 5 edition 1920, p. 75..
- (٢٤) انظر في أحدث الدراسات المتخصصة عن أشكال الشجرة
القدسة ومغايبها في العراق القديم :
- Christine Kepinski: L' Arbre Stylise en Asie
occidentale au 2 Millenaire avant J. C. edit.
Recherche Sur Les Civilisations Paris 1982
- Tariq Madhloom "Types of Trees". In Sumer
Vol. xxvi (1970) p 137 – 42

وأشتهرت الملابس المزينة بقطع من الذهب
على شكل وردات ودوائر وقطع عديدة
متنوعة تبدو أشكالها على المنحوتات ، وقسم منها تم
العثور عليه خلال التنقيبات وتفصيل صناعة معظم
مثل هذه الحلبي يرد وصفه وصناعته في الكتابات
المسمارية ، وما يرد في الأخيرة تكريس ٧٠٠ وردة
من الذهب بلغ وزنها على الثوب حوالي أحد عشر
كيلو غراما ونصف (٧٥) ، كذلك استخدمت الخيوط
المعدنية سداة ولحمة النسيج ، وتعمل أحيانا هذب
الملابس من الذهب او تعمل نهاياتها على أشكال
تزيينية مختلفة من المعادن الثمينة وبالذات من
الذهب (٧٦) ، ولقد انتشرت صناعة هذه الحلبي
والملابس المساة أحيانا بالملابس الذهبية او المذهبة
في العصور اللاحقة وعرفت بين أهل الحضرة وسكان
الحواضر الاسلامية والعربية ، ولا زلنا نتفاخر نحن
المعاصرين بها ونتخذ من الذهب والفضة رموزا للبر
الاقتصادي والأبهة الاجتماعية .

الهوامش :

- (١) ه. ساكر، عظمة بابل، لندن ١٩٦٤، ترجمة : عامر
سليمان، ص ٢٩ .
- (٢) Forbes, R.J., Studies in Ancient Technology,
Leiden – Brill, Vol. III 1955, pp. 146 – 48
- (٣) CAD, Vol.6, pp. 137 – 38
- (٤) Forbes, Op. cit, p.7
- (٥) Ibid, p.8
- (٦) Speiser, E.A. Excavations at Tepe Gowra, Vol. I,
Levels 1 – VIII University of pennsylvania Press
Philadelphie 1935
- (٧) العراق القديم ، تأليف جماعة من علماء الآثار السوفييت ، ترجمة
وتعليق سليم طه التكريتي ، بغداد ، سلسلة الكتب المترجمة
(٢٨) ١٩٧٦ ، ص ٦٦ .
- (٨) وليد الجادر، الحرف والصناعات البدوية في العصر الآشوري
المتأخر بغداد، مطبعة الأديب البغدادية، ١٩٧٢، ص
١٣٣ ، ١٤٠ .
- (٩) Garell, p. Les Assyriens En Cappadoce, Biblioth-
èque archéologique et historique de L'Institut
Francais d'Archeologie d'Istanbul – Paris 1963

Gosse, H. Assyria, p. 234 ملونة باللون الأحمر: انظر كذلك كانت مادة الجلد المادية الرئيسية في صناعة سروج الخيول، إضافة الى الاقشة وكان السرج بدوره يزين بتحليبات على أشكال زهرات بأحجام وبفروع متعددة.

(٣٧) Grawford: Sumerian Economic Texts from the First Dynasty of Esin, 1954, text no. 206

(٣٨) انظر المصادر التي تذكر عن استخدام جلود هذه الحيوانات من قبل حرفي وادي الرافدين المخصصين بصناعة الجلود وذلك في أسفل ص ١٩٤، من نفس العدد من سومر.

(٣٩) انظر: سومر، ص ١٩٥، ملاحظة ٢٠.

(٤٠) سومر، ص ١٩٥، ملاحظة ٢٢.

(٤١) Thureau— Dangin: Rituels acadiens. Paris, 1921, p.21

(٤٢) عرف دياغو سكان وادي الرافدين القدماء انواعا عديدة من الشب كانت غالبيتها تستورد من وادي النيل بشكل خاص. انظر تسميات الشب في اللغة السومرية والأكدية واستيراده من مصر القديمة في سومر: نفس العدد، ص ١٩٦، ملاحظة ٢٥.

(٤٣) انظر مرادفات الكلمة واستخدامها في الملاحظات المذكورة في مجلة سومر، نفس العدد، ص ١٩٦، ملاحظة ٢٦.

(٤٤) Post, G. E. Flor of Syria and Palestine I. 285

(٤٥) Olmstead, A. T. History of Assyria, Chicago 1925, p. 560.

(٤٦) انظر المصدر في نفس العدد من سومر، ص ١٩٧، ملاحظة ٣٠.

(٤٧) انظر المصدر في نفس العدد من سومر، ص ١٩٧، ملاحظة ٣١.

(٤٨) نفس المصدر، ص ١٩٧، ملاحظة ٣٧، ٣٨، ٣٩.

(٤٩) نفس المصدر، ص ١٩٧، ملاحظة ٤٠.

(٥٠) Driver and Miles. The Babylonian Laws. p. 274

(٥١) Layard, H. Nineveh and its remains. II, Vols.

(٥٢) Layard, H. Monuments of Nineveh; Genouillac (H.de) "La chaussure chez Les Assyriens" in RA. VII, 4 1910, p. 157 "La chaussure Sumerienne" in RA xxxvi, 1939. p. 43— 45

(٥٣) انظر مجلة سومر، نفس العدد، ص ١٩٨، ملاحظة ٤٩.

(٥٤) سومر، نفس العدد، ص ١٩٩، ملاحظة ٥٧.

(٥٥) سومر، نفس العدد، ص ١٩٩، ملاحظة ٥٨.

(٥٦) سومر، نفس العدد، ص ١٩٩، ملاحظة ٥٩.

(٥٧) نجد بقايا الوان مزينة لبعض المنحوتات الآشورية البارزة، ومن هذه الألوان ما هو لألوان الخيول المنحوتة كذلك نجد بقايا الوان مكونة من اللون الأحمر واللون الأبيض كزينة لأحذية الآشوريين، انظر سومر، نفس العدد ص ١٩٩، ملاحظة ٦٠.

(٥٨) سومر، نفس العدد، ص ٢٠٠، ملاحظة ٦١. كذلك انظر حذاء الملك آشور بانيبال المستخدم بصورة خاصة هنا مع

Cassin, E. La Splendeur divine. Introduction à l'étude de la mentalité mésopotamienne. Paris. Lahaye 1968

ايضا مجلة سومر، مجلد ٢٤ (١٩٦٨).

(٢٦) رضا جواد الهاشمي، "القانون والأحوال الشخصية" في موسوعة حضارة العراق، الجزء الثاني، بغداد، ١٩٨٥، ص ٦٣-١٠٨.

(٢٧) وليد الجادر، الحرف والصناعات اليدوية في العصر الآشوري المتأخر، بغداد، مطبعة الأدب، ١٩٧٢.

(٢٨) الحرف والصناعات اليدوية....

(٢٩) وليد الجادر وضياء الزاوي، الملابس والحلي عند الآشوريين، بغداد ١٩٧٠.

(٣٠) Cassin, E. La Splendeur

ومجلة سومر، العدد ٢٤ (١٩٦٨) ص ٢٣١-٢٣٤.

Oppenheim, L. "The Golden Garments of the Gods" In Journal of Near Eastern Studies. VIII. (1949).

(٣١) وليد الجادر وضياء الزاوي، الملابس والحلي عند الآشوريين، كذلك انظر:

(٣٢) "الأزياء والأثاث" في موسوعة حضارة العراق، ج ٤، بغداد، ١٩٨٥، ص ٣٦٢-٣٦٣.

(٣٣) كان الحزام ولازال رمزاً للستر وحل الحزام يعني اشارة ودعوة وتمييز لعلاقات خاصة.

(٣٤) عن المزيد من التفاصيل الخاصة باستخراج هذا اللون. الحرف والصناعات اليدوية في العصر الآشوري المتأخر، ص ١٧١.

(٣٥) Forbes, R.J. Studies in Ancient Technology. III. Leiden 1956.

(٣٦) من المنحوتات الآشورية البارزة نرى بوضوح العديد من الخيول الملكية وتخيول القواد الآشوريين من الفرسان وتلمس. بنحو جيد الاهتمام الكبير في اظهار هذه الخيول بشكل مترف وغير ومن ذلك اعنة الخيول بتفاصيلها والقطع المعدنية والصدفية المزينة للارسللة الجلدية المكونة لجزء كبير من زينة الخيول هذه. ان ما يمكن رؤيته من هذه التفاصيل يشهد بأن صناعة الجلود عند الآشوريين قد بلغت مرحلة متقدمة في التطور فالتنان والنير ومقبضه كانت تقوى بشرط جلدي ايضا او بشرط معدني. ونعرف من بقايا الوان المنحوتات الآشورية البارزة ان الشرائط المصنوعة من الجلد لأعنة بعض الخيول الملكية كانت

- (٦٦) سوبر، نفس العدد، ص ٢٠٠، ملاحظة ٦٢.
 (٦٧) سوبر، نفس العدد، ص ٢٠٠، ملاحظة ٦٣.
 (٦٨) وليد الجادر، "صناعة التعدين"، حفارة العراق، ج ٢، (١٩٨٥) ص ٢٣٩.
 (٦٩) Garelli, p. Les Assyriens En Cappadoce Paris. 1963, p. 271
 (٦٣) Limert, H. Les travail du métal au Pays de Sumer au temps de La 3e dynastie d' Ur, Paris 1960, p. 64
 (٦٤) Ibid
 (٦٥) Bottéro. J. "Métallurgie" In = Dictionnaire archéologique des techniques. II Paris 1964. p. 654- 55.
 و وليد الجادر، صناعة التعدين، حفارة العراق، ج ٢ (١٩٨٥)، ص ٢٣٩...
 Maxwell- Hyslop. "Assyrian sources of Iron, Survey of the Historical and Geographical L'Age du fer Evidence In. Iraq. xxxvi. 1974. p. 143 Au Caucase Nord. Estratto Attidel VI Congresso internazionale delle Scienze Preistoriche eprotos- toriche- Sezioni V-VIII, 1966, p. 88- 89 Perrot
 (٧٠) وتعرف خناكيات في المصادر الآشورية
 طه باقر، ص ٢٦، وانهارينا في الآرامية، ودولة ميتاني في مصادر أخرى.
 (٧١) وليد الجادر، "صناعة التعدين"، في حفارة العراق، ج ٢، (١٩٨٥)، ص ٢٣٩- ٢٦٨.
 (٧٢)
 (٧٣)
 (٧٤) وعن اهداء الملوك الآشوريين بركات من الذهب الى ابنائهم، انظر: المصدر نفسه، الرسائل المرققة:
 ومن الرسائل الأخرى التي كانت تخص موضوع صناعة المادن، وبخاصة الذهب والفضة من هذه الفترة المعروفة السرجونية:
 (٧٥) . وليد الجادر، الحرف والصناعات اليدوية في العصر الآشوري المتأخر، بغداد ١٩٧٢، ص ٢٨٤.
 (٧٦) للمصدر نفسه، ص ٢٨٢.

نظام الحكم

د. علي ياسين الجبوري

مقدمة:

ثم كان ظهور المعبد الذي نهض بدوره مهم في وضع أسس النظام الذي أصبح فيما بعد، وكما سنرى، المركز الأساس لتنظيم الشؤون الدينية والدينية لدول المدن التي تطورت أساساً من القرية الزراعية.

الملكية: Sarrutu

كان الاعتقاد السائد بين سكان بلاد وادي الرافدين أن الملكية مقرها في السماء، هبطت قبل الطوفان في مدينة اريدو ثم صعدت الى السماء في

كان للحياة الاجتماعية في بلاد وادي الرافدين في مراحلها الأولى أثر كبير في تطور مفهوم الملكية ونظام الحكم فيما بعد، فالصراع الذي خاضه الانسان في عصوره المبكرة عندما عاش في المستوطنات المكشوفة، ثم في القرى الزراعية وما تحتاج اليه من ادارة وتنظيم لشؤون ابناء القرية، لابد ان ينتج عنه تنظيم اجتماعي واداري قادر على تسيير امور الجماعة التي عاشت في تلك المستوطنة او القرية، ولوانا نجمل طرق ممارستها لتلك النظم.

وكانت طبيعة نظام المجتمع آنذاك قروية ، وكان الأشخاص المسنون الذين يختارون للمجلس هم ليس فقط من المتفذين بل من رؤساء العوائل ، ومن المحتمل فان هذا النظام من الادارة قد اصبح قيد الوجود في فترة ما قبل السلالات ، والدليل على وجود هذا المجلس ورود علامات صورية من فترة العصر النشيبه بالكتابي خاصة بالمستين (šebutu) والمجلس (Puḫru) وقد كان هذا النظام خاصا بكل مقاطعة او دولة مدينة .

كان الحاكم في الحقبة المبكرة من دولة المدينة السومرية يدعى بعلا $EN = bēlu(m)$ أي سيدا ، ويقوم بالاعمال الدينية ممثلا للاله على الأرض ، ويمارس الاعمال الدنيوية ومقره في المعبد الخاص باله تلك المدينة . ولكن ، على ما يبدو حدث انقسام بين اعماله الدينية والدنيوية ، حيث تجده في فترة لاحقة يقم في مقر خاص به ، وبطبيعة الحال فقد اصبحت له حاشية من الموظفين والخدم . ورافق مصطلح بعلا كلمة أخرى وهي $ENSI = Iṣṣaḫku$ الذي كان يحكم دولة مدينة صغيرة ، او مناطق أكبر منها مساحة في احيان أخرى . واستخدم هذا المصطلح منذ عصر فجر السلالات الأول واستمر لقباً وظيفياً ليعني الحاكم على مدينة واحدة او دولة مدينة تحت نفوذ اله تلك المدينة ، وفي حالات أخرى يعين هذا الحاكم موظفا مدنيا من قبل الملوك الأقوياء من ذوي السلطة المركزية وينقل من مدينة الى أخرى حسب رغبة سيده ، كما تجده مواطنا من بين الذين اصبحوا تابعين للملوك سلالة اور الثالثة⁽⁴⁾ . استمر لقب $ENSI$ في الاستخدام في كل من سلالة آيسن ، ولارسا وبابل ، وكذلك استخدمه الملوك الآشوريون للدلالة على أنهم حكام الآله آشور $ENSI$ (Aššur) .

اثناء الطوفان ، ونزلت مرة ثانية الى مدينة كيش ، كما يرد هذا في جداول الملوك السومريين⁽¹⁾ . لقد جسّد العراقيون القدامى الملكية برموز خاصة يطلق عليها عادة «شارات الملك» وكان الاعتقاد ان مقر هذه الشارات في السماء وهي مقدسة وموجودة قبل وجود الانسان على الأرض ، حيث تذكر اسطورة انا ان «الآلهة لم تعين ملكا بعد لشعبه المجهول ، وفي ذلك الوقت لم يكن قد لبس رباط الرأس والتاج ، والصولجان لم يكن قد رصع بالالزورد وكان الصولجان ورباط الرأس والتاج والعصا مودعة في السماء امام آنو ، ولم يكن هناك توجيه (ملكي) (ثم) هبطت الملكية من السماء⁽²⁾ . وبعد أن هبطت الملكية بحث الاله انليل وانا (عشتار) عن (راع للناس) ولكن ليس هناك ملك في الأرض ، وفكر انليل مع نفسه لتعيين ملك⁽³⁾ . فالملكية اذن اسبق من صنع البشر ، واما اضيفت الى المجتمع الانساني بواسطة الآلهة ، وكان على الملك ان يكون عند حسن الاختيار بالنسبة لمختاره ، والآ فانها ، اي الآلهة ، تستطيع تحويل الملكية الى شخص آخر ترتبه وفي أي زمان ومكان .

الملك : Šarru(m)

نشأة الملكية وتطورها

يكتنف نشأة النظام الملكي في بلاد وادي الرافدين كثير من الغموض والتعقيدات والمشكلات ، ويبدو ان الملكية ظهرت تحت ظروف قاهرة في مجتمع لا يعترف أساسا بالملكية ، ثم أصبح بعدها تحت سلطة واحدة . كما يبدو ان أساس نظام الحكم كان يقوم على ماعرف لدى بعض الباحثين بالنظام الديمقراطي البدائي الذي كان أساسه وجود مجلس في كل مدينة يتكون من الأحرار كافة .

حاكما على بلاد سومر، اما في العصر الاكدي فقد أضاف سرجون مصطلحا آخر وهو «وملك الجهات الأربعة»^(١). ولما كان اللقب مخصصا للآلهة الثلاثة: آنو، وانليل، وشمش، فقد تكون إشارة الى ان سرجون قد وحد دول المدن السومرية تحت حكمه. واستخدم هذا اللقب، اي لوجال الملوك المتأخرون حتى نهاية العصر الآشوري الحديث.

ان انتقال مركز الحكم من الجنوب الى الشمال ونشوء مراكز حضارية جديدة في كل من بابل ومارى وآشور كان من المتوقع ان يحدث تغييرا في المصطلحات السياسية السابقة. ولكن الملاحظ هو الاستمرار في التقاليد القديمة التي ظهرت في الجنوب، فمثلا المجالس الآشورية Puḫru والى جانبها كلمة الأمراء rubu الذين كانت واجباتهم مشابهة الى حد ما لواجبات ال ENSI في بلاد سومر وأكد، وفي الحقيقة فإن الأمير rubu كان يحمل اللقب نفسه بما يخص علاقته بالآلهة المدينة الآشورية اي Iššaku حاكم. ولكن التغير حدث منذ زمن شمشي ادد الأول (١٨١٤ - ١٧٨٢ ق. م) حيث أشار هذا الملك الى اسلافه بلقب ملك "لوجال - LUGAL" بدلا من "رُب" "rubu" و «أمير» هذا بالإضافة الى استحداثه لقباً جديداً هو «ملك العالم» «شَرَكْشَتِ» (šar kiššati) وهذا المصطلح يشابه المصطلح الاكدي «ملك الجهات الاربع»، فضلا عن استخدامه للألقاب السومرية، مثل SANGA أي كاهن، وكذلك (GAR^dEnlil) أي حاكم الآلهة الانليل، ومن هذا نلاحظ أن شمشي ادد الأول ابقى على الألقاب السومرية التقليدية في سبيل اضافة الشرعية على مدينة آشور، وخاصة بالنسبة الى اللقب الأخير باعتبار الآلهة انليل هو الذي غيّن الملكية على الأرض، كما كان الاعتقاد سائدا، طبقا لأمر الآلهة الذي أصدرته في مجلس الآلهة، كما يمكن ايضا حلاقة بين الآلهة القومي

وسبب الخلافات والصراعات المستمرة بين دول المدن السومرية كان على الرجال المسنين في مجلس المدينة ان يختاروا قائدا كفئا لدوره الأخطار ويصبح مسؤولا عن المدينة وقت الطوارئ والأزمات، ولقب هذا الشخص المختار بـ «الرجل العظيم» (LUGAL). ان اصل الكلمة مكون من مقطعين سومريين هما رجل = LU = awiLu(m)، وعظيم (الكبير) GAL = rabū(m) ومن مثل هؤلاء القادة المنتخبين من الذين مارسوا نفوذا سياسيا لفترة مؤقتة استمر بعضهم في مراكزهم القيادية. وقد كان هذا الرجل العظيم اما من المسنين او من ذوى الحكمة والرأى والمؤهلين لهذا المنصب او من الشباب الأقوياء.

وعلى الرغم من انفراد مثل هؤلاء بالحكم فاننا نجد دور مجلس دولة المدينة السومرية واضحا ومؤثرا في اتخاذ القرارات المصيرية والحاسمة يسانده في ذلك ابناء المدينة الآخرون رجالا ونساء والذين يشكلون ما يسمى بمجلس العموم (الشباب). ان معلوماتنا عن دور هذين المجلسين متأنية من قصة الصراع الذي كان قائما بين جلجامش ملك الوركاء وآجا حاكم مدينة كيش والمناقشات التي دارت بين جلجامش ومجلس مدينة الوركاء بخصوص. امكان دخول الحرب ضد آجا. واستنادا الى هذه القصة افترض ياكبسون نظريته المسماة «بالديمقراطية» البدائية في بلاد وادي الرافدين^(٥).

اصبح المصطلح لوجال LUGAL، اي حاكم، يشير الى ان السلطة واسعة قد تمتد الى اكثر من دولة مدينة واحدة، ونجد من بين دول المدن السومرية مثل كيش أن حاكمها كان دائما يلقب بلوجال، واستخدم هذا اللقب ايضا ملك اور مسانيبادا (Mesannipadda) بعد ان اخضع مدينة كيش لحكمه. أما لوجال زاجيزي فقد اطلق على نفسه لقباً جديداً وهو ملك البلاد (LUGAL) KALAMA والذي يشير بوضوح الى انه اصبح

بالآله شمش : « انا السامي كالاله شمش علي ذوي
الرووس السود أنانور البلاد . انا حموراني الراعي»^(١١)

اما ادد نيراري الثالث (٨١٠ - ٧٨٣ ق. م)
فقد شبه حكمه بشجرة الحياة المقدسة للشعب
الآشوري^(١٢) واستخدمت الألفاظ نفسها لوصف
أسرحدون من قبل احد رعاته ، حيث يخاطبه
”الملك سيدنا منحننا الحياة ، وقد زرع نبات (عطر)
الحياة في انوفنا“^(١٣) . فالملك هنا ايضا وصف
بشكل مجازي وكأنه مانح الحياة لابنائه .

ولاية العهد :

كان الاعتقاد هو أن الملك يستمد سلطته من
الاختيار الآلهي ، وهذا ما تؤكد النصص الملكية
الآشورية ، وبصورة خاصة النصص الخاصة بولاية
العهد . ومن الملاحظ ان الملوك الآشوريين من السلالة
السرحدونية حاولوا تجنب المشكلات وافتتحت عند نقل
ولاية العهد الى ابنائهم ، وذلك بأن وضعوا
الترتيبات اللازمة لذلك سلفا ، فكان الملك
يستفسر من الآلهة عن رغبتها في اختيار أحد
أبنائه خليفة له بالطرق المعتادة لديهم . ومن خلال
الكهنة ، وليس من الضروري ان يكون الابن البكر .

وبالرغم من قسم الأخوة الآخرين باسم الاله
عند تعيين احد الأخوة وليا للعهد وإعلان تأييدهم
له ، إلا أن هذا لا يمنع بعضهم من المعارضة بعد
وفاة الأب .

وبعد ان يعلن عن اختيار ولي العهد ، في
احتفال كبير يحضره عادة كبار القادة والحكام
والأمراء ، يرسل ولي العهد الى قصر ولاية العهد
(بيت ريدوتي)^(١٤) لكي يتلقى التدريب والتثقيف
لللازمين لاعداده للملكية . فأسرحدون يوضح لنا
بالتفصيل مجريات الأحداث التي رافقت توليه
العرش قائلا : ”لقد كنت أصغر اخوتي البالغين
الآن أن أبي الذي انجني (رفع) اسمي بين

آشور والاله انليل من خلال زواجهم ، فزوجة الاله
آشور هي Ninlil والتي استخدمها الآشوريون
بصيغة Mulisi وهي في الأصل زوجة الاله انليل
الذي مقره مدينة نيبور (نفر) مما يشير الى ان عبادة
الاله انليل كانت موجودة منذ نشوء السلطة
الآشورية على أساس انه الاله الخاص بتعيين
الملوك ، اولاً لأنه الاله القومي لبلاد سومر ، وقد ابقي
ملوك الأمباطورية الآشورية الحديثة انصاهم
بالحضارة السومرية والبابلية من خلال استخدامهم
للألقاب الملكية الخاصة بها .

يتضح من النصص الملكية الآشورية ان الآلهة
هي التي تختار الملك في مجالسها ، ولهذا يقول
أسرحدون (٦٨٠ - ٦٦٩ ق. م) ، ”..... عندما
رفع الآلهة رأسي بخصوص أحقيتي بالعرش والحكم
فقد استفسروا من الآلهة شمش وأدد آلهة الفأل ،
فأجابوهم بالإيجاب : ”نعم انه خليفتك“^(١٥) . وفي
مكان آخر يقول ”أنا (الملك) المختار من قبل الآلهة
آشور“^(١٦) .

أما آشور بانيبال (٦٦٨ - ٦٢٦ ق. م) فيقول
عن نفسه : ”الآلهة آشور والآلهة سين ، اعلنوا عن
اسمي للملكية منذ الأزل“^(١٧) . اما تسويغ هؤلاء
الملوك لاختيار الآلهة لهم ففي احيان كثيرة يشار اليها
على أساس انها من أجل رفاهية الناس الذين
خلقتهم الآلهة خدما لها ، ولهذا السبب فلديه الخيار
في تقرير مصيرهم ، ولكن رحمة الآلهة لابنائها
تجعلها تختار هذا الملك من أجل ان يتمتعوا بالرفاهية
تحت حكمه او بكلمة أخرى فان التعبير عن شعور
المواطنين مرتبط أساسا برغبة الآلهة .

ولم يقف الملوك الآشوريون عند هذا الحد وانما
تجاوزوه الى الادعاء بأنهم خلقوا من قبل الاله من
دون أب او ام كما يقول آشور بانيبال عن نفسه :
”أنا عبدك آشور بانيبال الذي خلقتني (ببنتي) من
دون أب أو أم“^(١٨) ، في حين شبه حموراني نفسه

الأشورية طبعاً. ان مثل هذه المعلومات تفيد الملك الآشوري لرسم الخطط المناسبة واتباع أفضل الطرق واختيار الاجراءات الصحيحة عندما تكون لديه فكرة لدوره مثل هذه الأخطار. ان وجود ولي العهد في المناطق الحدودية على جبهات القتال فيه خطوة الى درجة كبيرة، ولكن حرص الملوك الآشورية دفعهم الى ارسال اولادهم لممارسة مثل هذه المهام الصعبة في سبيل ان تكون لدى ولي العهد صورة كاملة عن مجريات الأحداث في مواقعها والاطلاع على تحركات الأعداء والأحلاف التي تعقد بينهم مما سيزيد الخبرة والكفاءة السياسية والعسكرية لدى ولي العهد.

أما اسرحدون بن سنحاريب فقد عينه ابوه حاكماً على المقاطعة الجنوبية من العراق عندما كان ولياً للعهد^(١٨)، هذا فضلاً عن قيادته لحملة عسكرية في شمال سوريا عندما اغتال اخوته والده، فاضطر للعودة بأصعب الظروف من أجل القضاء على الفتنة واعتلاء العرش الآشوري^(١٩). ومن المحتمل أن أسرحدون حاول في سنواته الأخيرة تجنب وقوع مثل هذه الفتنة على ولاية العهد بين اولاده، فقام بتقسيم الأباطورية بين ولديه، على ان يكون آشور بانيبال ملكاً على آشور وشمش-شوم - اوكن ملكاً على بابل. "اذا مات أسرحدون وابناؤه صغار، فعليكم مساعدة آشور بانيبال ولي العهد المرشح، على عرش بلاد آشور، وعليكم ان تنصبا أخاه العزيز، شمش-شوم - اوكن، ولي العهد المرشح لبلاد بابل، على عرش بلاد بابل"^(٢٠).

ويدوان هذه الخطة نجحت الى حد ما، فقد اعتليا عرشها بعد اربع سنوات من تعيينهم لها. وعاشا بسلام لمدة (١٧) سبع عشرة سنة، ثم بدأ الخلاف بين الأخوين واستغلت مملكة عيلام ذلك وغذت الخلاف بينها الى ان تمكنت من اشعال نار الحرب بين الأخوين كما سبق أن أشرنا.

اخوتي بأمر من الآلهة، آشور، شمش، مردوخ، نابو، وعشتار نينوى، عشتار اربيل قائلا "هذا هو خليفتي" واستفسر من الآلهة شمش وادد عن طريق الفأل، وأجابوه مؤكدين: "انه هو الذي يجب ان يخلفك". وبهذه المناسبة المهمة والكريمة دعوت الآشوريين كبيراً وصغيراً، فضلاً عن اخوتي الذين ولدوا في بيت الأبوة وامام الآلهة و آشور و سين، وشمش و نابو و مردوخ و والآلهة الآشورية، وآلهة السماء والأرض، جعلتهم يقسمون ويلتحضرون اولويتي (مزلتي الاولى)، وفي يوم جميل من شهر نيسان وطبقاً للإرادة الالهية دخلت الى بيت (قصر) ولاية العهد "bit redūti"^(٢١).

من هذا يتضح لنا ان ولي العهد كان يرسل الى بيت ولاية العهد حيث يتدرب على شؤون الحياة الثقافية والسياسية والعسكرية فتتلا يقول آشور بانيبال "أنا آشور بانيبال الذي تعلم الحكمة من نابو وكافة فنون الكتابة، كما يمارسها جميع النساخين (الكتاب) تعلمت الرماية بالفؤوس وركب الخيول والعربات"^(٢٢) وبعد انتهاء فترة التدريب كان ولي العهد يكلف عادة ببعض الاعمال نيابة عن والده. ولقد امدتنا الرسائل الآشورية بمعلومات مفصلة عن الدور الذي لعبه سنحاريب عندما كان ولياً للعهد في منطقة الأناضول (Urartu) حيث لدينا حالياً ثلاث رسائل مرسلة منه الى والده سرجون^(٢٣) وكل رسالة من هذه الرسائل عبارة عن تقرير مفصل يتضمن مجموعة معلومات كان قد ارسلها له موظفون آخرون، وهذه المعلومات تخص الاستخبارات العسكرية الآشورية في بلاد الأناضول وما جاورها. ومن دراسة هذه التقارير يمكن القول بأن سنحاريب كان يرأس مركزاً لجمع الأخبار العسكرية الخاصة بالتحشدات المعادية وتحركات الجيوش، وطبوغرافية المنطقة والمناخ، فضلاً عن نتائج المعارك السابقة والتحقق من صحتها ان كانت سلباً او ايجاباً من وجهة النظر

وقد بادرت الجدة a (Zakuiti (Naqi) زاكية =
نقية امرأة سحاريب ، لتلافي الموقف فعقدت معاهدة
ثانية بين الأخوين فقط ، حيث تؤكد هذه المعاهدة
شرعية آشور بانيبال ملكا على بلاد آشور ، وشمش
شوم-اوكن ملكا على بلاد بابل^(٢١) ، وعلى الرغم من
هذه الاحتياطات التي اتخذها أسرحدون ووالدته
لولاية العرش فان الفتنة أدت الى القضاء على شمش
شوم - اوكن^(٢٢) .

التتويج :

بعد ان يتختم ولي العهد المراسم والطقوس
الخاصة بالدفن ينتجه الى معبد الاله آشور ليتسلم
الشارات الملكية (التاج والصولجان) حيث
انها كانت تودع هناك بعد وفاة الملك ، وتوضع امام
تمثال الاله آشور ، ولدينا حاليا نص آشوري يبين لنا
بالتفصيل مراسيم التتويج : يحمل ولي العهد على
الامتكاف في حين يسبقهم أحد الكهنة يدق على
الطبل ويصبح "آشور الملك ، آشور الملك" باعتبار
الاله آشور هو المانع للملكية في آشور ثم يدخل ولي
العهد الى معبد الاله آشور ، ويقبل الأرض ،
ويشعل البخور المثبت على المنصة في نهاية
الصالة حيث يقف التمثال ، وهنا يلمس الأرض
بجبهته ويضع الهدايا التي جلبها للاله ، وينظم
المنضدة الخاصة بقربان الاله آشور بيننا ينظم
الكهنة مناضد الآلهة الأخرى ويتبع ذلك المراحل
الأخيرة من متطلبات التتويج ، فيمسح الملك
بزيت خاص يحمل باناء ذهبي وعندها يجلب تاج
الاله آشور وأسلحة الآلهة نليل زوجة الاله آشور ،
وتوضع على منضدة عند اقدم منصة الاله ، ويحمل
الكاهن التاج والصولجان على وسادة مصنوعة من
القماش يتقدمه الكاهن الاعلى ، وبينما يتوج الكاهن
الاعلى الملك يردد العبارات التالية :

" التاج لرأسك ، عسى الآلهة آشور ونليل ، سادة
تاجك

يضعونه عليك لمئة سنة

قدماك في ايكور ، ويداك بمدتان

الى آشور الهك ، وعسى ان يفضلائك

امام آشور الهك ، عسى كهنتك وكهنة
بلادك

يجدان العطف

بصولجائك المستقيم وسع بلادك

عسى الاله آشور ان يمنحك القناعة والعدل
والسلام^(٢٣)

بعد هذا الدعاء الذي يقدمه الكاهن الاعلى
تقام صلوات الاحتفال ثم يجتمع موظفو الدولة امام
منصة العرش ، لتقديم ولاء الطاعة للملك ، حيث
يقدمون هداياهم وينزعون شاراتهم الوظيفية
ويضعونها امام الملك ، ويقفون وقفا غير منظم اي
دون اعتبار للسلسلة الاداري ، مما يسهل على
الملك المتوج ان يختار مستشاريه من بينهم ، او انه
مجرد أن يقول "كل واحد يستمر في وظيفته".

واجبات الملك :

ان الأوامر الملكية تكون عادة متصلة
بالأحداث المهمة ، فالملك شخصيا يستفسر عن
مدى تنفيذها ، فهناك العديد من القضايا التي
يصدر فيها الملك قراره الشخصي ، ويمكن ملاحظة
هذا الاهتمام الملكي بجلاء من خلال الرسائل
الملكية الآشورية . وقد تنوعت واجبات الملك بتنوع
المسائل التي يعالجها ، ولكثرة هذه الواجبات نجد
الملك احيانا يعين من ينوب عنه لمتابعتها والتأكد
عن مدى تنفيذها ، فلهذا كثرت الوظائف
والواجبات المنوطة بالموظفين في أغلب الأحيان
وكانت لهم علاقة مباشرة بالملك شخصيا او القصر
باعتباره المركز الاداري ، ويمكن ان ندرج هنا
الاعمال التي كان الملك يقوم بها شخصيا .

١ - ترجمة رغبات الآلهة :

على الرغم من ان الملك مسؤول عن ترجمة

وسوف أبعث بتقرير مفصل الى الملك سيدى، الملك يجب ان لا يهمل تعويذة التطهير الخاصة بالكسوف والتي يجب أن تنجز للتكفير عن أي الآلهة العظمى التي تسكن في مدينة الملك سيدى (العاصمة) غطت السماء بالغيوم ولم تسمح لرؤية الكسوف قائلة: دع الملك يعلم بأن هذا الكسوف لم يكن موجها ضد الملك او بلاده، دع الملك يفرج“ (٢٦).

توضح الرسالة خوف الملك من الكسوف الذي حدث، ولكن ييل اوشيزب طمأنه بأن الحدث لم يكن موجها ضده، ولكنه أكد للملك بأن الكسوف الذي ذكره الملك في التعويذة السابقة قد حدث متزامنا مع هذا الكسوف، وهذا في الحقيقة دعم لموقف الكاهن وقدرته على التفسير والتنبؤ عند الملك وتوضح الرسالة ايضا فكرة نشر وتوزيع مثل هؤلاء الكهنة والمنجمين في المدن الآشورية الأخرى، هذا فضلا عن تأكيد الكاهن على الملك باستخدام الطهر الخاص بالتكفير عن الذنوب التي من المحتمل قد ارتكبها الملك حتى لا يصاب بأذى من جراء هذا الكسوف.

أما نابواخي - اربيا (Nabû - ahhe - eriba) فيكتب الى أسرحدون أيضا بأن اختفاء المشتري والزهرة بسبب كسوف الشمس هي اشارة حسنة للملك (٢٧). ولم يتوقف تدخل الكهنة والمنجمين في حياة الملك الشخصية بل تعداه الى ادارة شؤون دولته واستقبال الوفود، وحتى في علاقته مع أقرب الناس اليه، وهو ابنه وولي العهد كما تشير إحدى الرسائل (٢٨) التي بعث بها بلاسي الى أسرحدون.

٢ - تمثيل الشعب امام الآله :

كانت نظرة العراقيين القدماء للملك بأن الآلهة قد اختارته لكي ينوب عنها في حكم شعوبها، فهو اذن مسؤول أمامها عن تصرفات شعبه، وهو

رغبات الآله، ولكنه ليس من المفروض ان ينتظر حتى يتصل به الآله عن طريق الحلم او التغبد في المعبد، فالظواهر الطبيعية ككسوف الشمس، وكسوف القمر والهزات الأرضية او الفيضانات، هي ايضا اشارات خاصة من الآلهة يفسرها الملك بأنها اذار من الآلهة وعلى الملك ان ينفذ رغبات الآلهة بهذا الخصوص. فقد وزع الملوك الآشوريون مهمة تفسير هذه الرغبات وتنفيذها على مجموعة من الكهنة من أجل تسهيل المهمة على الملك، وعليهم ان يرسلوا تقاريرهم الى سيدهم لكي يطمئنوه عند حدوث مثل هذه الظواهر، فثلا بعث الكاهن بلاسي (٢٩) الى الملك الآشوري أسرحدون بتقرير يخص كسوف الشمس قائلا ”بخصوص كسوف الشمس الذي تحدث عنه الملك، الكسوف لم يحدث، سوف انظر مرة ثانية في السابح والعشرين وابعث بالتقرير. اما بخصوص سوء الطالع الذي يخاف منه الملك سيدى، فأنا لأهملك اية معلومات نهائيا“ (٣٠). هذه الرسالة تشير الى ان الملك قد سمع عن الكسوف من مصدر آخر، ومن أجل ان يتأكد طلب من بلاسي ان يطمئنه عن صحة المعلومات، فالرسالة في مقدمتها اعتذار من الكاتب للملك، ثم اشعار الملك بأنه قد راقب السماء مرتين في السادس والعشرين من الشهرين المنصرمين ولم يلاحظ اي شيء.

وفي رسالة أخرى من ييل أشرزيب (Bēl - Ušēzib) الى أسرحدون تتحدث عن كسوف آخر يقول: ”لقد حدث كسوف ولكن لم يكن مرثيا في العاصمة، لقد مرّ بجانب العاصمة، مدينة الملك، مقر سكناى، غطتها الغيوم، ولم نكن نعلم فيما اذا حدث الكسوف ام لا. عسى ان يبعث سيدي الملك الى مدينة آشور والى كافة المدن الأخرى، بابل، نينوى واوروك ووبرسيا، حتا لقد كان مرثيا في واحدة من هذه المدن.... الفأل الذي رافق الكسوف في شهري آذار ونيسان اصبح حقيقة

٣- المشاركة في الاحتفالات الرسمية :

كان على الملك الآشوري ان يمضي الليلة الاولى من الشهر القمري في السعد ، ويقدم الضحايا للآله ، هذا فضلا عن وجود اشارات عديدة على ان الملوك الآشوريين قد دعوا الآلهة لتحل محلهم في بعض المناسبات مثلا ادد نيرارى الأول (١٣٠٧ - ١٢٧٥ ق. م) يقول بأن الآلهة يحل محله سنوياً^(٣٢) . اما سرجون الآشوري الثاني (٧٢١ - ٧٠٥ ق. م) ، فعند انتهاء العمل في عاصمته دور شروكين (خرصباد حاليا) فقد دعا الآلهة العظام التي تقيم في بلاد آشور لحضور الاحتفال بهذه المناسبة^(٣٣) ، وهذا دليل على مدى أهمية تلك المناسبة لدى الملوك الآشوريين والتأكيد على ان الحكم في الأصل للآلهة وانه نائب عنها .

يمكن تقسيم الممارسات التي يشارك فيها الملك شخصيا او من ينوب عنه في بعض الأحيان الى :
بأنى :

أ- بناء المعابد :

ان علاقة الملك بالآله توضح من خلال الاحتفالات التي يحضرها الملك شخصيا عند بناء او ترميم المعبد الخاص به ، وهذا يعد من الاعمال العظمى والتي يفضلها الآلهة على اية خدمات أخرى ، فمثلا أسرحدون يتفاخر باعادة بناء معبد الآلهة آشور الذي بناه اجداده قائلا : " ذلك المعبد لم أغير موقعه ، ولكني زيتته بالذهب والفضة والأحجار الكريمة والتوابل وأخشاب الارز وضعت أسس جدرانه وبنيت لبنة وأكملته " ^(٣٤) . ولم تكن اعمال أسرحدون العمرانية الدينية وقفا على بلاد آشور ، بل امتدت الى بلاد بابل ايضا ^(٣٥) .

يتضح من خلال النصوص الآشورية أن الملوك الآشوريين ادعوا بأنهم كانوا يستلمون اشارات من الآلهة لبناء او ترميم معبده ، فعند ذلك

الوحيد الذي يستطيع ان يتقدم اليها باسمهم ، ففي العصر الآشوري كان الملك أول من يحاسب امام الآلهة عن كافة الذنوب التي يرتكبها الآشوريون ، فقد كان يمضي بعض الوقت كالتائب للذنوب المجتمع المخطئ ، وهذا واضح جدا في الرسائل الآشورية ايضا ، فهذا بلاسي ونابوأخي اربيا ، يكتبان الى أسرحدون قائلين : " هذا يوم مضى منذ بدأ الملك بالصيام ، ولم يأكل كسرة ، الى متى ؟ ، هل هذا هو السؤال يجب ان لا يأكل الملك طعاما اليوم ، الملك الآن شحاذ " ^(٣٦) .

إن الرسالة لاتشير اشارة واضحة الى السبب الرئيسي الذي من أجله اضطر الملك للصيام ، ولكن على الأغلب فانه قام بمثل هذه الممارسة من أجل التكفير عن الذنوب التي ارتكبها الملك نفسه او المجتمع الذي يمثله ، وكانت الآلهة تشعر الكهنة بغضبها عن طريق تفسير هؤلاء الكهنة للكوارث الطبيعية او عن طريق الفأل والتنجيم ، فاذا العمل الوقائي الذي يقوم به الملك ضد كل حالة خطر يتعرض لها المجتمع او الدولة يعد جزء من واجباته الرئيسية ، ولهذا نراه يستفسر من بلاسي فيما اذا حدثت هزة أرضية في شهر معين ، وهل هذه اشارة نذر سيئة ، وهل سيكون هناك خطر كبير وأي الآلهة التي سببت هذه الهزة وكيفية تجنبها فيجيبه الكاهن ان الآلهة اياها هو الذي أحدث الهزة ، ويؤكد له أنه ليس ثمة خطر كبير ، ولكن على الملك ان يمد ذراعيه بالدعاء والصلاة وان يعمل تعويذة التطهير ^(٣٧) . ولا يقتصر قيام الملك على عمل التعاويذ والمطهرات والزيت من أجل التكفير عن الذنوب او تجنب الأخطار ، وانما نجد في رسالة أخرى بأن الملك بقي سبعة أيام في كوخ من القصب كالذي أصابه مرض ويجب عزله عن المجتمع ، وان دل هذا على شيء فانما يدل على ان الملك يجب ان يطهر جسده من الأرواح الشريرة التي قد اصابته ^(٣٨) .

ب- احتفالات اعياد رأس السنة Akitu :

يعد الاحتفال بعيد رأس السنة من المناسبات الرئيسية في ديانة وادي الرافدين ، وكان حضور الملك في هذه المناسبة شرطاً أساسياً .

يقع عيد رأس السنة في الأول من نيسان من كل سنة ، وفي الايام الخمسة الاولى يكون الاحتفال في معبد ايساكلا ، معبد الاله مردوخ في بابل ، وفي كل صباح يدخل الكاهن الاعلى الى المعبد بعد التطهير ويصلي للاله مردوخ وللآلهة الأخرى في حين يمارس بقية الكهنة واجباتهم اليومية في هذه المناسبة ، وفي اليوم الخامس ، وهو يوم التكفير ، يكون الملك هو الممثل الرئيسي في الاحتفال ، ففي هذا اليوم يقوم الكاهن الاعلى شخصياً بتطهير المعبد ويقدم الصلاة للاله مردوخ ، وفي هذه الأثناء يدخل الملك بصحبته احد الكهنة الى المعبد ، حيث دكة المذبح ويتركه الكاهن المرافق هناك ، ثم يظهر له الكاهن الاعلى من قدس الأقداس الخاص بالمعبد ويتزعم من الملك جميع الشارات الملكية ، كالتاج والصولجان ... ويضعهن على منضدة امام تمثال الاله وعند ذلك يتقدم نحو الملك المخلوع من الشارات الملكية ، ويصفعه على وجهه ويجعله يركع قائلاً :

انا لم ارتكب خطيئة ياسيد البلاد

انا لم اهلل قدسيته

انا لم أذمر بابل

ويجيئ الكاهن نيابة عن تمثال الاله قائلاً :

لاتخف .. ماقاله مردوخ

سوف يسمع صلواتك وسوف يزيد سيطرتك ومملكته (٣٨) .

وبعد ذلك يعيد الكاهن الشارات الملكية الى الملك ويصفع وجهه ثانية آملاً أن تنزل دموع الملك والتي تعد من الاشارات المستحسنة لدى الآلهة ، كل هذه الممارسات والاهاونات التي تقع على الملك من الكاهن امام تمثال الاله لها دلالة على مدى

تجربى العديد من الاستعدادات الأولية من تنبؤات وقراءة الطالع ، فعندما تكون الاجابات طبيعية عند ذلك ينظف الموقع من الألقاض ، وتسكب عليه الزيوت لتطهيره ، وهنا لايد من الاشارة الى ان بعض الملوك الآشوريين يتأسفون على المعبد القديم الذي بناه اجدادهم ، فهذا آشور بانينال يقول : " بشديد من الأسى والحزن وضعت يداى (لإعادة بناء) ماهدمه الأعداء وبالأفراح اكملته " (٣٦) .

وبعد التطهير تجرى مراسم عمل أول لبنة ونجاح عملها بعد أيضاً من الاشارات الضرورية على قناعة ورضى الاله المعني على عبده ، ولهذا يجب ان تكون المواد الخاصة جيدة والقياسات صحيحة بحيث لاتكون هناك أية اشارة الى ردايتها وفشل عملها لأن هذا باعتقاد الملوك الآشوريين اشارة الى عدم الرضا عند الآلهة . ولقد ترك الملوك الآشوريون الكثير من الاشارات التي تبين مشاركتهم الفعلية في بناء المعابد كالتماثيل الفخارية والبرونزية والتي تحمل على رأسها سلال الطين والتي كانت تودع في زوايا أسس المعبد .

واحتفالاً بمناسبة انجاز بناء المعبد فان الملك يوصفه وكيلاً للاله على الأرض عليه ان يرفع تقرير مفصل للاله بهذا الخصوص ، وقد كانت الفكرة الأساسية هي كتابة مخاريط فخارية يذكر فيها اسم الملك والعمل الذي قام به لانجاز بناء المعبد ، ولكنها تطورت في العصر الآشوري الحديث حيث اصبحت جزءاً من النصوص التأريخية المهمة للدولة الآشورية ، حيث تغير شكلها الى المنشور ، ويذكر فيها الملك مجمل اعماله الأخرى حتى العسكرية منها وتودع في زوايا المعبد ، وهذه العملية لاتزال تمارس حتى الوقت الحاضر عند وضع حجر الأساس لأي مشروع او بناء رسمي . وقد اصبحت التقارير الآشورية لاقتصر على الاعمال الدينية او العمرانية بل تجاوزتها الى الحملات العسكرية . ويخير مثال على ذلك رسالة سرجون الآشوري الثاني الى الاله آشور والتي يسرد فيها اخبار حملته الثامنة ضد أعداء الدولة الآشورية (٣٧) .

العلاقة بين الملك والاله من ناحية ، وكذلك فان الملك قد كفّر عن ذنوبه وأخطائه التي ارتكبها في السنة الماضية .

لقد مرّ بنا سابقا كيف ان ولي العهد عبّر بنفسه الخطوات قبيل تسلمه للشارات الملكية ، وبعد هذه الممارسات يخرج الملك مرتديا شارات الملك ، ثم تقدم الضحايا والقربابين ، حيث يخرج ابناء المدينة للمشاركة بهذه المناسبة ، وفي اليومين الثامن والحادي عشر تجرى المراسم في مدينة نيبور ، حيث يجمع الآلهة ، والتي توضع حسب مراكزها في المجلس ويقوم الملك بدور رئيسي في المجلس والاحتفال .

لقد دَوّن الملوك الآشوريون المتأخرون زياراتهم السنوية الى بابل وأعطوا مبررات لتلك الزيارة ، فسرحدون الثاني يقول : لقد دخلت فرحا الى بابل ، مدينة الاله سيدي ، بقلب مسرور وبكل رزاة ووقار مسكت يدي مردوخ السيد العظيم وزرت بيت أكيثو^(٣٩) . وهذا ليعني ان كافة الملوك الآشوريين كانوا يذهبون الى بابل للاحتفال باعياد رأس السنة ، وذلك لأن هذا الاحتفال كان يقام في مدينة آشور ايضا ، وكان الاله آشور يقوم مقام الاله مردوخ ، ونجد ان النصوص التعاصرية اشارت الى مثل هذا الجفاء بالنسبة لبابل من قبل الآشوريين ، ”في تلك السنة ، الملك لم يأت الى بابل ، الاله نابو لم يأت ، الاله مردوخ لم يخرج ، ولم يحدث الاحتفال باكيثو^(٤٠) .“ ولقد عثر على بيت أكيثو في مدينة آشور من قبل اندريه ويصفه بأنه يقع على مسافة ٢٠٠ م خارج أسوار المدينة ، والذي تميزه كثرة الحدائق المحيطة به ، وكذلك الساحة الوسطية والمعبد ذي الهيكل الكبير^(٤١) .

٤- الواجبات الادارية :

بعد الملك الآشوري رأس الدولة ، وان القرارات الخاصة بالدولة تصدر عنه شخصيا ، فالخبرات والرسائل الملكية الآشورية خير دليل على

هذه الممارسات الادارية ، كالقيام بحملة عسكرية ، او تعيين كبار الموظفين . لقد عثر على عدد من الرقم الطينية التي تبين الطريقة التي كان يتبعها الملك لاتخاذ قرار حاسم ، حيث انه يأمر بكتابة القرار على رقم طيني ويضعه امام تمثال الاله شمش - باعتباره اله العدالة - للموافقة عليه ، وفي هذه المناسبة يقدم نذرا حيوانيا ثم يخرج كبده او الغدة الصفراء لفحصها من قبل الكهنة المختصين والتأكد من صحة الممارسة التي سيقوم بها الملك . ولدينا رسالة من أد- شم أوصر الى أسرحدون يقول فيها ”بخصوص الغدة الصفراء التي كتب لي الملك عنها ، أهى منحنية؟. الفصل (الشق) الثابت من الكبد انحنى والغدة الصفراء قد تدلت تحت ، هذا الوضع غير عجب ، ماهو فوق اصبح تحت ، وخلال يومين جرى منه السائل (القيح) . انها اشارة جيدة على ان يكون الملك سعيد جدا“^(٤٢) .

كان على الملك قيادة الجيش بنفسه في اثناء الحملات العسكرية ، وهذا موثق بالحوليات الملكية الآشورية ، كذلك كان ينظر في شؤون المقاطعات الآشورية شخصيا والرسائل الملكية الآشورية المكتشفة في كل من نينوى ، وكلخو ، ومارى تبين مدى اهتمام الملوك الآشوريين وللاطلاع على كل صغيرة وكبيرة ، هذا فضلا عن وجود رسائل شخصية بعث بها مواطنون آشوريون يستجرون بالملك لحل مشاكلهم ضد حاكم المقاطعة التي يتنمون اليها ، وهذا ان دلّ على شيء فانما يدل على مدى حرص الملوك الآشوريين على متابعة قضايا المواطنين^(٤٣) . لقد اوعز العديد من الملوك الآشوريين الى حكامهم بالكتابة اليهم باستمرار حتى وان لم يكن ثمة مشكلة تذكر وهذا مايفسر العثور على عشرات الرسائل من هذا النوع بعث بها حكام المقاطعات الى سيدهم قائلين بعد الدعاء لحياة الملك ”أنا بخير والمقاطعة بخير“ وهذا تأكيد على مدى حرص الملوك الآشوريين للاستماع الى اخبار المقاطعات .

المناسبة او ان يبعث بشيء ما يتعلق به شخصيا كتمثاله او رداؤه. الا ان فكرة الملك البديل تطورت كثيرا في العصر الآشوري الحديث، وهذا التطور قد يرجع اساسا الى بعض الممارسات السرية الخاصة بفكرة الأساطير مادام وجود رداء الملك بديلا عنه ويمكن ان تحدث نفس التأثير في نفوس الناس. كما لو كان موجودا شخصيا، ومن ناحية أخرى قد تكن متطورة من فكرة استخدام حماية للملك، وخاصة في المعارك الحربية، فقد كان يعمل بعض السحر والذي يجب القاءه على جيش الاعداء، فالملك هنا يجب ان لا يشارك في هذا السحر او غيره من الممارسات حتى لا يعرض نفسه للخطر الذي قد يحدثه هذا النوع من السحر. ففي هذه الحالة فان اختيار احد الموظفين او القادة العسكريين لكي يمثل الملك في هذه الممارسة ضروريا بل حاجة ملحة لكي يتجنب الملك الخطر، فاذا مر كل شيء بخير، وعلى الرغم من تعريض الملك البديل نفسه للمخاطر فهذه اشارة حسنة واحتمال النصر في المعركة كبير، فضلا عن رفع معنويات الجند الاشوريين، ومن المحتمل فان هذه الممارسة تطورت اكثر فاكثرت حتى أصبحت تمارس على نحو رسمي من قبل الملوك الآشوريين المتأخرين، وخاصة عند ظهور العواض الطبيعية، والتي تفسر بأنها خطر على حياة الملك. فكان تعيين ملك بديل واجب وأصبح يحكم مائة يوم ثم يقتل على أمل انه سيأخذ معه كافة المخاطر التي كانت تخيف الملك الحقيقي، كما يشير الى ذلك مار-عشتار في رسالة الى أسرحدون قائلا: "الملك البديل الذي وصل في اليوم الرابع عشر عند مغيب الشمس، امضى ليلة الخامس عشر في القصر الملكي، لقد حدث الكسوف بحضوره. دخل مدينة أكد في اليوم العشرين بدون اية حادثة (مشكلة) وبقي هناك. جعلته يتلو الابتهالات وكما هي في النص الملكي امام الاله شمش. لقد أخذ على عاتقه كافة توعيدات السماء والارض، ثم حكم كافة البلاد. عسى ان يكون

من الأعمال الأخرى التي اهتم بها الملوك الآشوريون حفر القنوات ومشاريع الارواء، والتي تعد من الأعمال الرئيسية التي تفاخر بها ملوك بلاد وادي الرافدين عامة والآشوريون بشكل خاص، حيث قام آشور ناصر بال الثاني بحفر قناة لا يصلح الماء الى مدينة كلكو (نمرود) اما سنحاريب فقد حفر قناة لا يصلح الماء الى مدينة نينوى^(٤٤). هذا بالاضافة الى الاشارات المستمرة في حولياتهم ونصوصهم التذكارية حول هذه المشاريع.

الملك البديل: (Sar pūhi)^(٤٥)

من وجهة النظر الدينية لسكان بلاد وادي الرافدين كان الملك الواسطة بين الاله والشعب، والآلهة هي التي منحتها الشارات الملكية المقدسة، وقد اعطى هذا الاعتقاد الملوك الآشوريين مركزا مرموقا ومقدسا واحتراما كبيرا من قبل الآشوريين حتى أنهم ربطوا سلامة البلاد ورفاهيتها بسلامة الملك نفسه، لذا ففي الحالة التي يشير فيها الطالع بأن البلاد ستعرض الى كارثة، وان الملك شخصيا في خطر، فقد يكون السبب ان الملك لم يخدم الاله على نحو صحيح، وعليه فان استمراره في الادارة ملكا لبلاد آشور يعني جلب الدمار لها. ومن ناحية اخرى، مادامت الآلهة هي التي اختارت الملك لحكم بلاد آشور وشعبها، فيجب على الآشوريين ان يحموا الملك من أي خطر واجتاد الوسيلة للابقاء على حياته المرتبطة بمستقبل البلاد. لذا ففي حالة التنبؤ بوجود خطر على حياته كان لابد من ارسال بديل عنه أملين بأن الملك نفسه سينجو من الخطر المحقق به او ببلاد.

ولابد ان يكون لظهور مثل هذه الممارسات جذور في تاريخ العراق القديم، ففي بعض المناسبات التي يكون حضور الملك فيها وجوبا، ولكنه لا يستطيع الحضور بسبب سوء الطالع فانه كان ينيب شخصا عنه ليحل محله والحضور الى تلك

ذلك بعلم الملك سيدى“^(٤٦) وهذه الرسالة تبين بوضوح واجبات الملك البديل، وكذلك محل اقامته في القصر الملكي واستعداده لتحمل تبعات الطالع والكسوف.

وبعد انتهاء مهمة الملك البديل وزوال الخطر كان يقتل، ولو اننا لانعلم الطريقة التي يتم فيها قتل الملك البديل، إلا ان هناك رسالة من العصر الآشوري الحديث فيها تأكيد على مقتل الملك البديل مع سيدة من القصر وافقت ان تتحمل المسؤولية معه، وعلى الأغلب فانها مثلت دور الملكة، فالضحية هنا شخص يدعى دامي وهذه مقتطفات من الرسالة: ”دامتي وسيدته من البلاط، وكما هو مناسب، قد أخذوا على عاتقهم مسؤولية الملك البديل، بدلا من الملك (آشور-بانيال) سيدى، وبدلا من شمش-شوم-اوكن اتخذوا قرارهم (كمملك وسيدته)، لقد لقي حتفه، فبيننا له قبرا، هو وسيدته من البلاط، جهزوا للدفن وسجوا في نقش مكشوف، ثم دفنوا وتذبوا“^(٤٧) اذا فالملك الأصيل كان آشور-بانيال، اما بالنسبة الى دامي فهو ابن ناظر بلاد أكد وحاكم مقاطعة آشور وبابل، وهذا مما يدل على المكانة المرموقة للملك البديل، وكذلك تأكيد على مشاركة امرأة من البلاط لهذه المهمة، ولم يكونا من الطبقة العامة، وكذلك فان الرسالة تشير بوضوح الى مصيرهم ونعيمهم رسميا.

فالسؤال الذي يتبادر الى الذهن هو كيف يوافق مثل هؤلاء الأشخاص على قبول هذه المجازفة؟ هناك احتمالان يمكن ان يفسرا مثل هذه الممارسات: أولا، قد تكون محاولة ذكية يقوم بها الكهنة للتخلص من بعض الملوك الذين تتضارب مصالحهم مع مصالح الكهنة والذين باستطاعتهم التأثير على العرافة باعطاء النذر المطلوب ايجابا او سلبا. وبهذا سوف يتنحى الملك الأصيل عن

العرش وعندها ينفذون مآربهم معتمدين على سوء الطالع، فاذا مات الملك الأصيل فسيبرر بأنها ارادة الآفة، وقد نفذت رغباتها في معاقبة الملك المذنب على الرغم من تنحيه عن العرش كما حدث لملك آيسن الأمورى^(٤٨).

ثانيا، يمكن اعتبارها وسيلة أخرى من وسائل الملوك للتخلص من بعض الشخصيات التي تظهر لها مطامع على العرش، فيتم الاتفاق سرا بين الملك والكهنة لاختيار الشخص المقصود عن طريق العرافة ليكون الملك البديل، ثم يقتل للتخلص منه بطريقة ذكية، وبهذا استطاع تحقيق ما يصبو اليه من دون اثاره الشكوك، والدليل على ذلك ان الملك الاصيل، وعلى الرغم من تنحيه عن العرش إلا ان الرسائل تبين بأنه كان يمارس سلطانه ملكا، حيث اشارت الى ذلك الرسائلتين السابقتين.

الوفاة والدفن:

ليس هناك علاقة بين مراسيم دفن الملك وتوحيج ولي العهد ملكا وان كان ولي العهد يشارك في هذه المراسيم، حيث يبين لنا نص من العصر الآشوري الحديث، مراسيم الدفن والطقوس التي ترافقه والأشياء التي يفترض انها كانت تدفن معه:

”في القبر، المكان الخفي

وفي المرح الملكي

جعلته يرقد بسلام

التابوت الحجري والفتحة لغطاءه

غطيت الفتحة، بنحاس قوي

وثبت رقبته الخاصة (ضد السراق، والأرواح

الشريرة)

التجهيزات من الذهب والفضة

والتي تناسب القبر

والشارات الملكية التي يحبها والتي

عرضتها على ضوء الشمس
ثم وضعت كل هذا في القبر
مع أبي الذي انجبني
وقدمت الضحايا
للسلطات الالهية ، الانوناكي
والى الآلهة التي تسكن الأرض
وشقت القنوات
فأجابتها الجداول
واسود وجه الأشجار والفواكه

وبكت البساتين وكل شيء
أنخضر.....“ (٤٩) .

وعلى الرغم من وجود اشارات في هذا النص
تدل على الحزن . فاننا لانعلم فيما اذا دخلت البلاد
في حداد أم لا ، رغم ان الحداد هو المتوقع استناداً
الى رسالة من العصر الآشوري الحديث تبين ردود
الفعل لدى سكان مدينة آشور عندما علموا بوفاة
الملك وكيف خرجوا لتشييعه باكين ناديين على
الصدور فضلاً عن الاحتياطات التي اتخذها حاكم
المدينة لتفادي المشكلات التي قد تقع حيث تقول
الرسالة ”لقد خرجنا للطم على الصدور والبكاء على
الميت ... في اليوم الذي سمعنا بأن الملك قد مات ،
سكان مدينة آشور خرجوا للنحيب عليه“ (٥٠) ،
وهذا دليل لايقبل الشك من أن مراسم الحداد
كانت تقام على الملك المتوفى .

وعلى الرغم من أن بعض الملوك الآشوريين
التأخرين بنوا عواصم لهم أمثال آشور ناصر بال
الثاني كلخو ، (نمرود) وسرجون دور شروكين
(خرصباد) وجدد سنحاريب بناء (نينوى) ، إلا
اننا نجد انهم دفنوا في مدينة آشور، وهذا دليل على
أهمية المدينة وقدميتها من الناحية الدينية باعتبارها
مركز عبادة المهدم القومي آشور. ولهذا وجهوا
اهتمامهم اليها بالاغمار والصيانة وحتى اغفاء سكانها
من الضرائب كما يذكر سرجون ذلك ”مدينة آشور“

التي لم يعرف سكانها اعمال السخرة منذ القدم
” شيلمنصر“ والذي لم يهب ملوك العالم ،
رفع يديه لعمل الشر ضد المدينة وفرض على سكانها
اعمال السخرة بالقوة واعتبرهم اتباعه ولغضب سيد
الآلهة قضى على حكمه . أنا سرجون.... اعدت لها
حريتها“ (٥١) .

الهوامش :

- The Chicago Assyrian Dictionary
Th. Jacobson, The Sumerian king Lists (Chicago, (١)
1973) 71; i. 1 — 3; 77: 40 — 43
A. T. Clay, Babylonian records in the Library (٢)
of J. Pierpont Morgan, Vol. IV, No. 2, i; 6 — 14.
Cf. S. H. Langdon, "The Old Babylonian
Version of the Myth of Etana," *Babylonica* XII,
10 — 11, I. Engnell, *Studies in the Divine Kingship
in the Ancient Near East* (Oxford, 1971).
انظر: باقر، طه ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة
(بغداد: ١٩٧٣) ، ص ٢٨٤ .
Langdon. Op. cit. g. (٣)
CAH. I. 504 (٤)
Th. Jacobson "The Primitive Democracy in
Ancient Mesopotamia", *JNES* II (1943) 159 —
172; "Early political Development in
Mesopotamia" *Z A xviii* (1956) 91 — 140. See also
H. Frankfort, *Kingship and Gods* (Chicago 1965).
215 — 410.
Tohrü Mocda, "King of the Four Regions in the
Dynasty of Akkad, *Orient* xx (1984) 67 — 82.
III R. 15 — 16, i: 1 — 16; ARAB II 500 (٧)
vs. I, No. 78; ARAB II. 577 (٨)
III R. 35, No. 5, ARAB II. (٩)
K. 3515, 15ff. *OECT.* 6.73. i: 15 (١٠)
CH. V: 4ff; Cf. I: 40ff. (١١)
IR. 35, i: 2. Cf. L. Oppenheim, *BASOR*, 107; 10. (١٢)
ABL. 771: 5ff Cf. ABL 831. (١٣)
سليمان ، عامر ، "اكتشاف مدينة تريبصر الاشورية" آداب
الرائدين ، ١١ (١٩٧١) ، ص ١٥ — ١٠ ، ٥٢ .
See also. J.E. Curtis. and A.K. Grayson, "Some
Inscribed Objects from Sherif Khan in the British

ARAB II. 982. (٣٦)

Thuearu. Danguin, Une relation de la huitieme (٣٧)
Compagne de Sargon (Paris, 1912).

انظر كذلك: الأمين، محمود "تعلقات تاريخية على حملة
سرجون الثانية" سور ١ (١٩٤٩)، ص ٢١٥ - ٢٤٥.

H. Zimmern, AO xxv (1926) 12. (٣٨)

ARAB II 70. (٣٩)

ABC. Chr. 7; ii: 1 - 24. (٤٠)

W. Andrae, Das Wiedererstandene Assur (Leipzig, (٤١)
1938) 151 - 154.

ABL. 363 CF. LAs 152; SLA. 337. (٤٢)

(٤٣) هذه الرسالة بالذات مرسله من امرأة اسمها سارا ومعنونه الى
سكرتير القصر، وذلك لعرض قضيتها على الملك، بخصوص
مواشي أخذها حاكم المقاطعة.

J.E. Reade, "Studies in Assyrian Geography, part (٤٤)

I. Sennacherib and the water of Nineveh", RA
LXIII (1978) 47 - 72; part II. 150 - 180.

انظر: سفر، فؤاد، اعيال الارواء التي قام بها منحاريب (في
نينوى وأربيل) سور ٣ (١٩٧٤)، ص ٧٧ - ٨٦. وكذلك
سور ٢ (١٩٤٦) ص ٥٠ - ٥٢. (باللغة الانكليزية).

(٤٥) تشير النصوص المسبارية الى ان أقدم حادثة معروفة عن مثل

هذه المراسلات يرجع تأريخها الى العهد البابلي القديم، عندما
اختير ملك بديل للحكم بدلا من ملك آيسن ووقع الاختيار
على بستاني، وحدث ان مات الملك الاصيل في اثناء تناوله
الطعام. وعلى الأغلب مات مسموما.

ساكنر، عطمة بابل، لندن، ١٩٦٢. ترجمة عامر سليمان.
ص ٤١٦.

ABL. 629: r. 14. Cf. SLA. 323. (٤٦)

ABL 437: 5 - 14 LAS. 280 see also ANET. 3625f. (٤٧)

(٤٨) انظر الملاحظة ٤٥ اعلاه.

E. Ebeling, Tod und Leben nach der verstellungen (٤٩)

der Babylonier (Leipzig, 1931) 57, No. 12 See also.

W. Von Soden, ZA XLIII, 254ff.

ABL. 473. See R. Campell Thompson, "An (٥٠)

Assyrian parallel to an Incident in the Story of

Samiramis", Iraq IV (1937) 35 - 43.

K. 134g, Winckler, Sammlung II, No. 1; ARAB II (٥١)

69. See also R. Campell Thompson, ibid. 42.

Museum", Iraq XLIV. (1982) 87 - 94.

IIIR. 15 - 16, i: 1 - 16 + VAT 3458, ii: 1 - 15, (١٥)

ARAB. II. 500. See also 835 - 840.

III R. 35. No. 5. i (Rassam Cylinder). ARAB II. (١٦)
767.

وقد حظي بيت ريديتي بمكانة كبيرة لدى آشور بانيال فقام
بإعادة بناءه.

انظر: III R.35, No. 5. x: 15 - 20

ABL 197 - 198, Cf. SLA, 11 - 12; se also ABL (١٧)
1079.

D.J. Wiseman, "The Vassal Treaty of Esarhad- (١٨)
don", Iraq xx (1952) 7.

انظر ترجمة هذه المعاهدة في فرحان، وليد محمد صالح،
العلاقات السياسية للدولة الآشورية، اطروحة ماجستير، غير
منشورة (جامعة بغداد: ١٩٧٦) ص ١٤٨ - ١٧٣.

III R. 15 - 16 + VAT: 3458i: 1 - 15 (١٩)

ARAB II' 502 - 06.

Wiseman. Loc. - cit. 1.83. (٢٠)

(٢١) زاكوتي (Zakuti) وبالأرامية تكب Naqia زوجة منحاريب،

ABL. 1239, والدة أسرحدون، جدة آشور بانيال، لعبت

دورا كبيرا في سياسة الدولة الآشورية الحديثة، ويبدو أنها كانت

ذات سلطة كبيرة في شرق دجلة، حيث تشير الكثير من عقود

البيع والشراء الآشورية الى ممتلكاتها في تلك المنطقة. انظر:

ADD 301: 1 - 3 = ARU.535: 447: 1 - 4 = 61. See
also. H. Lewy, JNES xl (1952) 264 - 286. Cf. J.
Nougatrol, Syria, xxxiii (1956) 156 - 160.

(٢٢) هنا لابد من الإشارة الى نفس الفترة التي حدثت بين الأخوين
الأمين والأمنون بعد وفاة والدهم هازون الرشيد.

K. F. Müller, "Das Assyrische Ritu", MVAG xli (٢٣)
(1937).

(٢٤) بلاسي (Balasi) احد الكهنة والمنجمين للملك الآشوري

اسرحدون ولدينا عدد من الرسائل التي بعث بها هذا الكاهن الى

اسرسيده، وهي: ABL. 74 - 79, 351 - 356, 413, 687, 694.

ABL. 687: r. 12 - 19 Cf. LAS 41; SLA 315. (٢٥)

ABL. 895: 1 - 10, r.1 - g. Cf. SLA 276. (٢٦)

ABL. 407: 1 - 17; Cf. LAS 61: SLA.325. (٢٧)

Cf LAS 45; SLA 328. (٢٨)

ABL 78: 9 - 15 Cf. SLA 265. (٢٩)

ABL 355: 9 - 15 LAS 35. (٣٠)

ABL. 370 9 - 15 LAS 203. (٣١)

ARAB I. 94. (٣٢)

ARAB II. 699. (٣٣)

ARAB II. 702. (٣٤)

ARAB II. 670. (٣٥)

مقدمة :

«حاكم الاله» الذي تقب به الملوك الاشوريون. وقد اضيفت هذه العلاقة مع الاله نوعاً من الشرعية على حكم الملك واكسبته الاحترام. وبتوسع حدود الدولة الاشورية، انتشرت عبادة الاله اشور على الرغم من ان عبادة الاله اشور لم تكن اجبارية على رعايا الدولة، وهكذا نجد الملك الآشوري يلقب نفسه «ملك العالم».

ولأن الملك كان يمثل الاله على الارض، لذا كان الوسيط بين الاله والشعب. ولهذا فقد اصبحت له شخصية مهمة جداً في الديانة الاشورية، ومن خلال النصوص المتوفرة حالياً نستطيع ان نقول بان حضور الملك في الطقوس والمراسم الدينية هو من اجل سلامة البلاد. وظلت هذه العلاقة بين الملك الاشوري والاله اشور معترف بها خلال العصور الاشورية التالية الوسيطة والحديثة، الا ان سلطات الملك توسعت وغدا الملك صاحب السلطة المطلقة في البلاد وتقلصت تبعاً لذلك سلطات مجلس المدينة وموظفو اللّمو وامتيازاتهم السياسية فالسياسة العسكرية للدولة الآشورية الحديثة جعلت الملك في حالة حرب دائمية حيث يتوجب عليه ان يكون ذا قرار حاسم من اجل النجاح والتوفيق بين حكمه كملك وكقائد للجيش الاشوري.

اما بالنسبة للموظفين الاداريين فاننا نعرف اسماء اعداد كبيرة منهم ويمكن ترتيبهم حسب اهمية التسلسل الاداري والوظيفي علماً بان الادارة الآشورية لم تنظم على اساس التخصص او ان

تعد النصوص المسهارة المكتشفة في نهاية القرن التاسع عشر من اهم الوثائق التي نعتد عليها في دراسة حضارة وادي الرافدين وقد ترجم قسم من هذه النصوص في بداية القرن العشرين. وركز العلماء والمؤرخون اهتمامهم على العصور الاولى من تاريخ بلاد وادي الرافدين، الا انه في الفترة المتأخرة بدأ الاهتمام بالعصر الآشوري الحديث^(١). ويرجع الفضل في هذا الى الاكتشافات الجديدة في مدينة كلخو (نمرود)^(٢)، والنصوص التي عثر عليها تشكل انواعاً من الرسائل والعقود التجارية والنصوص الادارية التي وسعت معرفتنا بخصوص الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للامبراطورية الاشورية الحديثة بالإضافة الى ادارتها التي ستكون موضع البحث هذا.

منذ بداية ظهور الدولة الاشورية في مطلع القرن الثامن عشر ق. م استطاع الآشوريون من نشر ادارتهم الى البلدان المجاورة^(٣) وكانت الادارة الاشورية في بداية تكوينها تشبه الى حد ما نظام الادارة في العصور السابقة في حضارة وادي الرافدين والتي محورها الاساس القصر الملكي في العاصمة، ويقدر توسع حدود الدولة يزداد تعقيد النظام الاداري وان ظل يرسم ويخطط من قبل القصر الملكي، والذي ظل المركز الرئيسي للدولة من الناحيتين السياسية والاقتصادية.

كان الملك في العصر الآشوري القديم مثلاً حسب اعتقاد الاشوريين للاله اشور على الارض، وهذا ما يعكسه لقب إشاكو išaku بمعنى

يكون هناك فرق بين الوظائف العسكرية والوظائف المدنية.

ولو انها كانت مشخصة بما يتعلق بالوظائف المركزية للتعليم الاداري للموظفين بل كان الموظف يزود بكتاب اداري لمساعدته في قضايا المراسلات والتدوين. الا انه هناك مرسوم ملكي من القرن الثالث عشرين. م والذي يخص فرض اختبارات على موظفي البلاط قبل ان يدخلوا الى القصر، ولكن طبيعة هذا الامتحان غير واضحة، وهل كان يجري لأول مرة عندما يعين الموظف داخل القصر ام انه نوع من الاساليب الضرورية لمعرفة العاملين في البلاط.

ان ماهو معروف قليل جداً عن طريقة اختيار الموظفين كما اننا لانعلم الى متى تبقى هذه الوظيفة مشغولة من قبل موظفيها وهل هي وراثية في عوائل معينة ام لا. فقد سبقت الاشارة في الفصل السابق الى ان الملك الجديد حينما يتوج فان كافة الموظفين يتزعمون شاراتهم الوظيفية عند قدميه كجزء من طقوس التتويج، ولكننا لانعلم بالضبط هل ان هذا مجرد ممارسة ام ان الملك الجديد كان يقوم فعلاً بتعيين موظفين جدد للوظائف العليا ولو ان هناك اشارات الى وجود عدد من الموظفين الكبار الذين عاصروا اكثر من ملك اشوري⁽⁴⁾.

هناك اربعة جوانب رئيسية لنظام الادارة في العصر الاشوري متصلة مع بعضها البعض.

الادارة المركزية (ادارة القصر)

المركز الحقيقي للامبراطورية الآشورية هو القصر الملكي *ekāl mašarrāti* في العاصمة، ولم يكن مجرد رمز بل كان يعد المسيطر المباشر على كافة التراكيب الادارية والتي كانت جميعها بيد الملك. وبالرغم من المركزية التي يمتلكها الملك الاشوري فان القائمين على ادارة القصر فعلياً مجموعة من الموظفين الاداريين خمسة من الموظفين الكبار وهم :-

- ١- تُرتَانُ *turtanu*
- ٢- رَب شاقِي *rab šaqi*
- ٣- تَانْجَرُ اِيْكَالِي *nagir ekalli*
- ٤- آتْرُكُ زَبُو *abaraku*
- ٥- سُكُلُ زَبُو *sukallū*

كان الاشخاص الذين يحتلون هذه الوظائف ينحدرون اصلاً من طبقة النبلاء *rabānu* التي تتكون من اعضاء العائلة المالكة والطبقة الارستقراطية وان هذه الوظائف كانت تورث للابناء او تبقى على الاقل في نفس العائلة، وتشير المسلات التذكارية التي تركها حكام المقاطعات من العصر الاشوري الوسيط والحديث عن مثل هذه الممارسات⁽⁵⁾. وقد كشفت نصوص مدينة نوزي من القرن الرابع عشرين. م عن وجود عوائل آشورية ذات نفوذ وتأثير كبيرين وبيدها وظائف عالية. كما كانت لديها املاك متعلقة بوظائفها، وهذه العوائل ذات علاقة قرى فيما بينها، فهي بهذا تحاول احتكار الوظائف العليا والامتيازات لنفسها. ومثل هذه العوائل استمرت في العصر الآشوري الحديث ولدينا امثلة عديدة عنها ومحاولة البعض منها الاستقلال ذاتياً عن السلطة المركزية.

وكانت قوة هذه العوائل السياسية والعسكرية تشكل خطراً مباشراً على سلطة الملك، وهناك العديد من الاشارات في الكتابات الملكية الاشورية عن محاولات هذه العوائل للاطاحة بالملك الاشوري، ولهذا اضطر الملك الآشوري تيجلاتليزر الثالث من اعادة تنظيم المقاطعات ويجاد طبقة جديدة في النظام الاداري للمقاطعات حتى يقلل من قوة هؤلاء السياسية والعسكرية.

الترتانو *turtanu*

اعلى وظيفة آشورية في القصر وهو قائد للجيش بالاضافة الى كونه حاكم مقاطعة تمثل اسم وظيفة *turtanu*^{١٥} *pahut ša*. بحيث يشير تيجلاتليزر

كاتب التقرير يتهم حاكم المقاطعة بعدم اخبارهم بخصوص هجوم الاناضوليين على اراضيهم -فالكاتب في تقريره يحاول ايضا ان يوضح اللبس بان الحاكم بريء من هذا الاتهام راجعاً الى الملك الاستفسار من السفير الثاني لانه كان حاضراً عندما قدم الزكريون تقريرهم الى الترتانو^(١٤). وهذا يشير الى دوره مثلاً عن الحكومة المركزية يتلقى المعلومات العسكرية عن البلاد المجاورة، ومن المحتمل أن تقديم الترتانو مجموعة من الخيول الى القصر الملكي سنوياً لها علاقة باعماله العسكرية او كضريبة من مقاطعته^(١٥).

يظهر الترتانو في النقوش الجدارية بالزي الرسمي لابساً الى الركبة مع اوبدون الشال القصير وقد يتقلد السيف ولكنه لا يحمل الصولجان، فثلاً نقش تل بارسب العائد الى شمش ايلي يظهر ملتحياً ولا بساً شريط الرأس وهو عرض نسبياً من الخلف عنه في الامام، اما في نقوش مدينة دور شروكين (خرصباد) فان شريط الرأس يظهر اعرض نسبياً، ويتكرر استخدام هذا الشريط في المشاهد الحديثة لاشور بانينال، وهذا مما يدل على ان شريط الرأس كان يستخدم من قبل الموظفين الكبار في الدولة الاشورية^(١٦). ان المركز المرموق الذي يتمتع به الترتانو الاشوري يمكن تشخيصه من خلال التكرار والامتيازات الممنوحة له على سبيل المثال في احدى الرسائل التي تشير الى توزيع الجزية على الموظفين الكبار نجد ان الترتانو يتسلم نفس الكمية من الفضة والحاجيات الاخرى التي منحت الى ولي العهد^(١٧). وهناك وثيقة تؤكد هذا المركز المهم حيث يظهر بعض الموظفين التابعين للترتانو وهم الطباخ والمزارع والخباز^(١٨). كما يتضح ان زوجة احد الترتانو كان لديها املاك خاصة بها^(١٩).

رب شاقى Šāqī - rab^{١٠}

المعنى الحرفي للوظيفة «كبير السقاء»، ان طبيعة هذه الوظيفة في العصر الاشوري الحديث لا تطبق

الثالث الى توسيعها على حساب بلاد الاناضول^(٢٠)، ويأتي الترتانو الاول في تسلسل اللمو الاشوري بعد الملك مباشرة^(٢١) حتى ان معظمهم احتل منصب اللمو لاكثر من مرة دليلاً على اهميته الادارية فثلاً شمسي ايلو (šamsi - ilu) اصبح لثو سنة ٧٨٠ و ٧٧٠ و ٧٥٢ ق. م وكان حاكماً في تل بارسب. فقد ترك هذا الحاكم نقوشا وكتابات تخلد نشاطاته العسكرية ضد بلاد الاناضول، حتى انه لم يذكر اسم الملك الاشوري الذي عاصره^(٢٢) ولهذا فقد كان قادراً على تمثيل نفسه ركباً على عربة ملكية، وهذا دليل على محاولته الاستقلال عن السلطة المركزية الاشورية. ومن المحتمل ان مثل هذا الاجراء لم يرض عنه الملك الاشوري نجل تيليزر الثالث (٧٤٥ - ٧٢٧ ق. م) مما اضطره لمحاولة ازالة هذه النقوش والكتابات عندما اصبح ملكاً على بلاد اشور وكذلك على اعمال الترتانو العسكرية نجد ان أد نيراري الثاني قد امر آشور- ديني - آمر (Aššur - dini - amur) والذي يحمل لقب ترتانو بالبقاء خارج حدود بلاد آشور "ابقيت في مدينة نصيين آشور- ديني - آمر الترتانو"^(٢٣) وكذلك بعث شلمنصر الثالث ديان- اشور (Dayan - Aššur) الترتانو ضد بيت زماني في سنة ٨٣١ ق. م، كما امره ثانية بالتقدم ضد خويشكيا و ماراشي وبارسا^(٢٤) ولاهمية هذا الترتانو فقد اصبح لثو لمرتين ٨٥٣ و ٨٢٦ ق. م وتأكيداً على دوره العسكري فلدينا رسالة موجهة الى حاكم مقاطعة القرمود بخصوص ٤٠ اربعين اسيراً من بلاد بابل، فالكاتب يرجي الحاكم بان يتكلم مع الترتانو عن عشرة اسرى من مدينة رايق وعلى مايتضح من الرسالة بان الترتانو لم يكن مرتاحاً من ناحيتهم^(٢٥) اما عن دوره السياسي الى جانب اعماله العسكرية فواضح من خلال التقرير المقدم من قبل عشتار شم - إقيشا الى الملك الاشوري بخصوص حاكم المقاطعة المجاورة الى قبائل الزكرو حيث أن سفيرهم الذي حضر لدى

الرب شاقى وقد زدوتنا قوائم اللمو الاشوري
والرسائل باسماء بعضاً منهم رقم (٢)

ناگرایکالی ¹⁰hagir ekalli "منادي القصر"

من الوظائف القديمة في وادي الرافدين ، وهي
متصلة بالقصر مباشرة وهو الذي يقدم الوفود
والزائرين الى الملك بالاضافة الى تصريحاته نيابة عن
الملك كاستدعاء الجند او مجلس المدينة للحرب
مثلا ، وهو المسؤول عن كل مايجب ان يسمعه
العامه من الناس ، اما في العصر الاشوري الحديث
فنجده ان كان يكلف للقيام باعمال اخرى كقيادة الجيش
مثلا للدفاع عن البلاد مما جعل لديه صلاحيات
واسعة حتى ان قسماً منهم أصبحت لديه مقاطعات
تحمل اسمه الشخصي مما حدا بهم الى محاولة
الاستقلال الذاتي وخاصة خلال القسم الاول من
فترة العصر الاشوري الحديث الاول ٩١١ - ٧٤٥
ق. م. وفي فترات ضعف السلطة المركزية ، وقد عثر
على كتابات ونقوش بعضهم امثال بيل خران -
بيل - اوصر (bēl-harran-bēl-usur) والذي عاصر
كل من شيلمنصر الرابع وتجلا تيليزر الثالث ٧٨٢ -
٧٢٧ ق. م. وقد أصبح لَمُو في سنة ٧٤٨ ، ٧٢٧
ق. م. وقد ترك لنا مسلة تسجل اعماله العمرانية في
مدينة (Dūr-Bēl-harran-bel-usur) دور
بيلي - خران - بيل اوصر (تل عبطة حالياً) ^(٢١) .

إن الرسائل الآشورية الحديثة تبين بان الناگرایکالی
كان يدير كثير من الاعمال التي تخص
القضايا العسكرية نيابة عن الملك فتلاً ، في فترة
حكم سرجون الاشوري الثاني نلاحظ بان زير-
ابني الذي أصبح لَمُو سنة ٧١٨ ق. م. يقوم بجمع
المعلومات العسكرية واعطاء اوامر الى حكام
المقاطعات المحليين في بلاد الاناضول كما هو موضح
الرسالة المرقمة ٤٠٩ والمرسلة من اوزرانا حاكم مدينة
موصاصر ^(٢٧) اجابة على الاستفسار الموجه اليه من

على المعنى الحرفي لها . ومن المحتمل فانه في السابق
كان يشرف اداريا على الاعمال الخاصة بالري
والقنوات ، ولكن مركزه الاداري ضمن القصر
الاشوري بدأ بالتدرج حتى أصبحت ثاني اهم
وظيفة في القصر وفي اللَمُو ايضاً ، كما انه حاكم
مقاطعة خاصة بوظيفته (¹⁰rab šaqi . pahut)
مقاطعة الرب شاقى كما يرد ذلك في حوليات تجلا
تيليزر الثالث ^(٢٠) . كما ان هذا الملك بالذات امر
الرب شاقى التابع له بتجهيز حملة ضد بلاد تاهال
(فرجيا) ومرة ثانية ضد مدينة صور ^(٢١) . اما شمشتي
ادد الخامس فقد امر موتاقن - اشور الرب شاقى
بالتوجه الى بلاد نائيري اثناء حملة الملك الثانية الى
تلك البلاد ^(٢٢) . وهذه الشواهد تؤكد دوره
العسكري للدفاع عن الامبراطورية الآشورية .
وتأكيداً على مرافقته للحملات الملكية يذكر.
ان سنحاريب بعث مع رب شاقى برسالة للتفاوض
مع اهالي القدس اثناء حملته على مملكة يهوذا
حيث يطلب منهم الاستسلام كما يرد ذلك في
التوراة ^(٢٣) . وهذا يبين دوره السياسي والعسكري في
آن واحد ومن نقوش سرجون الثاني هناك منظر
لنقش يظهر منه رأس وكفت وقبعة رجل في مشهد
حصار مدينة ومن المحتمل انها تمثل الرب
شاقى ^(٢٤) . والرسائل الاشورية من نينوى تبين
السلطة الادارية ضمن المقاطعات لبعض منهم كما
هو الحال بالنسبة الى نائد - ايلو الرب شاقى من
خلال رسائله العديدة والموجهة الى القصر ^(٢٥) .

وتأكيداً على سلطته الادارية نرى الكاهن بلاسي
في احدى رسائله يشكو الرب شاقى الى اسرحدون
بخصوص مصادرة هذا الموظف الحقول والبساتين
العائدة للكاهن نفسه . نحن نعلم اهمية هذا الكاهن
لدى اسرحدون من عدد الرسائل البالغ (١٧)
الا ان الرب شاقى لم يتوقف من اتخاذ قراره ومن
المحتمل فان املاك هذا الكاهن تقع ضمن مقاطعة

حدود الدولة الاشورية او يرسل كمنسوب عن الملك للتفاوض مع سكان البلاد الحدودية والخلاصة فان سلطة الناصر ايجالي لا تقتصر على القصر فقط وانما خارجة ، ولديه موظفون تابعون ، بإمكانه الكتابة الى الملك مباشرة وهو ايضا يستلم الرسائل من المقاطعات وخاصة التابعة او المجاورة لمقاطعته الخاصة كما كان يبيت في بعض القضايا الادارية فثلا زير ابني المذكور آنفاً . يتهم من قبل مردوخ اربا بأنه سجنه ووضع الاغلال في يديه ففي الرسائل المرقمة ١٥٤ يدافع زير ابني عن هذا الاتهام .

الاباركو abarkku^{١٥}

يترجم المصطلح «وكيل» ولكن الافضل مسؤول المالية^(٢٩) وزير المالية رابع اكبر الوظائف بالنسبة للدولة الاشورية حسب مايرد ذلك من قوائم اللّمو الاشورية وعلى ما يبدو فان abarakku^{١٥}

(rabu هو المسؤول عن هذه الوظيفة يتبعه عدة موظفين موزعين في المقاطعات نيابة عنه . من الاعمال الرئيسة التي يقوم بها هو القضايا الاقتصادية ويشرف بشكل خاص على توزيع الجزية والضرائب التي تصل الى العاصمة ، وكانت لهذه الوظيفة مقاطعة خاصة بها تصبح تحت تصرف الشخص الذي يشغل هذا المنصب الاباركو . قد يقود الجيش في اوقات الازمات (انظر الرسالة ١٠٠) .

احسن من نعرف من الموظفين الآشوريين خلال الفترة السرجونية هو (طاب - شار - آشور)^(٣٠) والذي شغل وظيفة rabu - abarakku^{١٥}

واصبح لمرسنة ٧١٧ ق. م^(٣١) وهناك العديد من الرسائل التي توضح مركز طاب - شار - آشور المالي فثلا نجده يكتب الى سرجون عن استلامه لكمية من الفضة (الرسالة ١٧٣) . كذلك أوكلت اليه مهمتان الاولى بخصوص معبد الاله آشور (الرسالة ٤٣٣) والثانية تتعلق بمعبد الاله سين في حران (الرسالة ٤٨٩) . هذا بالإضافة الى اشرافه الشخصي على تقسيم الاعمال المناطة بكل من

الناصر ايجالي عن مكان ملك بلاد الاناضول فكانت الاجابة بأنه في مدينة أوبس الاناضولية . وقد حصل اورزانا على هذه المعلومات من الحكام المحليين لكل من مدينة اوبسي ومن بلاد الاوكيين اثناء زيارتهم له عندما قدما للمشاركة بالاحتفالات الدينية في مدينة موصاصرطبعاً هذه المعلومات قدمت الى سرجون للاطلاع عليها واتخذ مايلزم ، فالرسالة تستمر باعطائنا صورة اوضح عن صلاحيات الناصر ايجالي الادارية نيابة عن سرجون حيث نجد بأنه يصدر أمراً الى اورزانا يحذره قائلاً "من دون امر الملك ولا واحد منكم يجب ان يضع يده في هذه الاحتفالات" وهذه تبين فعلاً ان الحكام المحليين في بلاد الاناضول لم تكن لديهم حرية التصرف في الامور التي لها علاقة بملك الاناضول نفسه ، هذا بالإضافة الى العديد من الرسائل الاخرى المشابهة والتي تخص المنطقة ذاتها . وفي رسائل اخرى نجد الناصر ايجالي يبعث بتقرير الى الملك الاشوري بخصوص المهمة التي كلف بها . وهي مفاتيح اهالي بلاد قوي (Que) حيث يصفهم بالعناد والرفض بالزول من الجبال للتحديث معهم كما انه يحاول تذكير الملك بتصرفهم المشابه عندما كانوا في نينوى في حضرة الملك قائلا "عندما كنت في نينوى قلت : انه من غير المفيد التحديث معهم انهم لا يطيعون ويرفضون تقديم المقاتلين ، في حينها الملك أمر قائلاً "خذ اثنين او ثلاثة من مدنهم والتي اعطيتها الى بيل دور Bel - dūr^(٢٨) الان وضعتها تحت تصرفك " سوف اذهب واتصل بهم وان لم يستمعوا لي سأكتب الى الملك سيدي" اما الرسائل المرقمة ٥٧٩ فعلى ما يبدو تتعلق باعمال نفس الحاكم في بلاد قوي (Que) وهي ايضا اجابة لاستفسار صادر من الملك بخصوص جنود من تلك البلاد . ومن هذه الرسائل ورسائل اخرى يمكن الاستدلال على ان الناصر ايجالي خلال العصر الاشوري الحديث وبالرغم من اقامته في القصر الملكي الا أنه كان يكلف ببعض الاعمال وخاصة العسكرية خارج

حاكم مقاطعة كلخو (نمرود) وحاكم مقاطعة أراغنا (كركوك) بخصوص بناء سور مدينة دور شروكين وتحديد مسؤولية كل منها (الرسالة ٤٨٦).

أما إباراكو مدينة دور شروكين (خرصباد) والمدمو (ina šar – beli – allak) (٢٢) إينا- شاربيلي - آلاك - فيعطينا صورة اوضح بخصوص واجباته المالية في رسالته ١٦٧ والموجهة الى سرجون وهي تنص ذهابه الى مدينة شابارشو لاستقبال الاشخاص والثيران التي بحوزتهم من كوزانا (تل حلف) ولقاءهم بهم ثم اعطاهم تقرير عن المفقودات وكيف ارسل شخصياً الى كوزانا للبحث عنها ثم يعطينا موقفاً عن المأكولات والمشروبات التي قدمها الى معبد الاله نابو.

مما تقدم يتضح ان الوظائف الأربع (الترتانو- رب شافي- ناغر- ايتكالي والاباراكو) تعتبر اعلى اربعة وظائف في النظام الاداري الآشوري وكانوا يشغلون اللمو بعد الملك، وبالرغم من اقامتهم في العاصمة وعلى الاغلب في القصر الملكي بدليل الرسالة ٤٣٣ والخاصة بالاباراكو طاب- شار- آشور حيث يقول فيها- عندما اوكلت الي مهمة خاصة بمعبد الاله آشور في مدينة آشور "في اليوم الاول عندما خرجنا من القصر"- ويبدو ان المناصب الثلاثة الاولى السالفة الذكر كان اصحابها قادة للجيش وحكام مقاطعات في آن واحد، وعلى الاغلب يمكن اعتبارهم مستشارين للملك الآشوري.

السوكالو Sukallu^{١٨}

خلال حكم اسرجدون استحدثت وظيفة جديدة مكملة للوظائف الأربع السابقة وهي السوكالو وأول من اصبح لَمُو في هذا المنصب هو أُمي - رام حاكم مقاطعة خانيكغلات عام ٦٧٦ ق.م.

لقد كانت هذه الوظيفة معروفة في بلاد وادي الرافدين قبل الآشوريين وكان شاغلها يعتبر ثاني اهم شخصية بعد الملك وقد اعادها اسرجدون الى النظام الاداري الآشوري. وباعتقاد كينبير ولسون^(٢٣) فان هؤلاء الموظفين كانوا يشكلون نوع من المستشارين للملك الآشوري وهم يشرفون على تنفيذ القضايا القانونية وفي شكوى من مواطن اكدي ضد احد الموظفين الآشوريين مدعياً بأنه اخذ بعض الافراد التابعين لعائلة والده وبعض من اراضيهم، عين الملك الآشوري قضاة لهذه المسألة وهم سوكالو وسارتنو وامرهم بما يلي "احكموا في القضية بعدالة وحتى في بلادتي بنص".^(٢٤)

وفعلاً قضى السوكالو والسارتنو في شكواه واخرجوا عن اتباع والده المدعي ولكن على ما يبدو فان نفس الموظف الآشوري المشتكى عليه قام بالاستيلاء عليهم مرة ثانية فهذا المثال خير دليل على عمل السوكالو كما تم في القضايا القانونية وهناك العديد من الرسائل المعنونة الى دائرة السوكالو.

يساعد هؤلاء الموظفين الكبار مساعدون يدعون (Sanu) "الثاني" ينبون عنهم في حالة غياب اسيادهم، فكلما وردت كلمة Sanu بعد اي لقب اداري آشوري فانها تعني نائب فثلاً تورتانو شانو (trurtanu sanu^{١٩}) "الترتانو الثاني"، في الختام لابد من ذكر ان ولي العهد يأتي على رأس قائمة هؤلاء الموظفين الكبار حيث كانت توكل اليه مهام ادارية تاهيلية للعرش (بهذا الخصوص انظر المبحث السابق).

حيث نراه يتسلم العديد من الرسائل الادارية المهمة كما هناك العديد من الرسائل الادارية التي بعث بها ولي العهد كوامر ادارية صادرة منه الى حكام المقاطعات او الموظفين التابعين .

لها علاقة بالادارة الملكية والاوامر الصادرة عنها وفهرست الرسائل الواردة وترتيبها بعد الاستعمال وكذلك استنساخ الحوليات الملكية . ولهذا فقد كان له مركز مرموق جداً بين موظفي البلاط الاشوري ، وقد عثر على غرفة خاصة لمثل هذا الكتاب في الجناح الشمالي الغربي لقصر اشور ناصر بابا ، الثاني في كلخو . ولدينا الرسالة المرقمة ٢٢٠ والمعنونة الى كاتب القصر وهي شكوى ا.رأة اسمها سارا بخصوص اشخاص اعتدى عليهم حاكم المقاطعة ولهذا فهي ترجو كاتب القصر باشعار الملك بذلك . من هذا يستدل على العلاقة المباشرة بين الملك وكاتب القصر والاملا لجأت هذه الامراة اليه مباشرة .

اما كاتب البلاد فله دور واضح في الادارة وخاصة فيما يتعلق بالقضايا الخاصة بالمدن الاشورية والمقاطعات فمثلا هناك رسالتان معنوتان اليه الاولى برقم ٦٢ والكاتب هو نابو - شم - إدنا بطمش كاتب البلاد عن احوال مقاطعته اما الثانية ٢٢١ فهي من تابني^(٣٧) بخصوص زيارته الى نينوى ومقابلته للملك كما انه يطمنه عن شخصية ثانية وبامكان كاتب البلاد الاعتماد عليه ويمكن ملاحظة اهمية وظيفته الادارية من نصيبه في الغنائم التي وزعت على القصر الملكي وموظفيه الكبار فكاتب البلاد يقف الى جانب الترتان والرَب - ريشي والساترتو والسوكالو والشاپان ايكالي^(٣٨) عمل الكاتب يتطلب فترة طويلة من التدريب والخبرة والمهارة فقد كانت هناك عوائل آشورية متخصصة في هذه الوظيفة والتي اصبحت وراثية فيها ومن تواقع هؤلاء الكتبة على النصوص التي دونوها تنضج لنا اهمية هذه الشخصيات . لقد استطلعنا لحد الان احصاء عائلة آشورية عملت في كل من كلخو ونينوى وهي نابو - زقوب - كينو الذي ورث هذه الوظيفة عن ابيه مردوك - شم - اقشا والذي كان يحمل لقب رئيس الكتبة GAL A.BA^{١٥} حفيد كاني - ايلاني ايرش الذي كان يعمل في بلاط

كان هؤلاء دور مهم في ادارة بلاد اشور وذلك لانهم القلة التي تجيد القراءة والكتابة ولهذا فان مساعدتهم في الادارة كانت ضرورية لكافة الموظفين . كان الكتبة في البلاط الاشوري يجيدون اكثر من لغة في آن واحد كالارامية والمصرية القديمة (الهيروغليفية) . ويظهر قسم من هؤلاء الكتبة في النقوش الجدارية امام الملك الاشوري ، وكأنهم يدونون احاديثه واقواله حيث ان احدهم يحمل لوحاً طينياً بينما الثاني يحمل ورقة قد تكون من البردي او اية مادة اخرى^(٣٥) هذا بالإضافة الى ورود اشارات في الرسائل الملكية بخصوص توثيق بعض القضايا الادارية باللغتين الارامية والاشورية فمثلا هناك رسالة من كوزانا (تل حلف) والكاتب يحاول تبيان الاتهامات والجرائم التي ارتكبتها ستة موظفين من كوزانا ، واحدى ذنوبهم بخصوص دفع مقدار من الفضة كضريبة فانه يبين بانه قد سكب لهم عقدين بالاشورية والارامية^(٣٦) الى جانب الكتابة فان هؤلاء الموظفين كانوا يجيدون ادارة مكاتب اسيادهم (السكرتارية) حيث هناك العديد من الاشارات التي توضح دورهم في استلام الرسائل او حتى اعطاء بعض التعليمات الادارية نيابة عن اسيادهم ويقسمون الكتبة الى :

- ١ - كاتب البلاد tupsar matati^{١٥}
- ٢ - كاتب القصر tupsar ekalli^{١٥}
- ٣ - كاتب الملك tupsar sarri^{١٥}

لكل واحد من هؤلاء واجباته الخاصة ، فمثلا الحوليات الملكية من اختصاص كاتب الملك والذي يرافقه في كافة اسفاره الادارية والعسكرية والترفيهية (كالصيد) لتدوين اعماله واقواله . اما المكتبة فهي على الاغلب من واجبات كاتب القصر وعليه تقع واجبات الاستنساخ والبحث عن النصوص التي قد يطلبها الملك احيانا هذا بالإضافة الى المحافظة على الوثائق المكتوبة وكل مايتعلق بالحوادث اليومية التي

الشايان ايگالي- وبالرغم من اقامته في القصر الملكي الا ان الملك قد يكلفه بمهام خارج القصر.

وكان من واجباته الاخرى داخل القصر تنظيم الاشخاص والوفود التي تقابل الملك وكان المسؤول عن الوثائق والامامر الخاصة بهذا الجانب حيث نجد في اجابة اشور بانيبال لسكان نيبور بخصوص مقابلته لنصف وفد نيبلاهم (Sibutu) كضيوف فيقول "انها ليست غلطته (اي الملك) فالضيوف قد نظموا (لمقابلتي) من قبل حاكم نيبور بالتعاون مع الشايان- ايگالي"^(٣٠) والدليل على عمله هذا داخل القصر يظهر من حوار له لشخص محرراً يده وكأنه يقدم الناس الى الملك وفي بعض الرسوم الاخرى يظهر وهو يحمل الشارة الخاصة بوظيفته وهي عصاتين مربوطتين سوية وفي الرسالة ٥٦٨ الواردة اعلاه الخاصة بتوزيع الغنائم نرى ان نصيب الشايان- ايگالي هو ٥ من الفضة وخمسة ارواب، بينما كان نصيب الترانو نصف هذه الكمية مما يدل على اهمية مركزه الاداري، كما كان لديه مساعد يدعى Sanû.

رئيس رجال البلاط Gal-Sa-SAG
رجال البلاط الاشوري Sa-reši يشكلون اكبر مجموعة من موظفي القصر وعملهم داخل القصر يكون مقتصرًا على خدمة الملك ويكون مقر تواجدهم في القاعة الداخلية bitanu والتي تضم الجناح الخاص بالملك وفيها موظف مسؤول وهو LU rab bitani او يلقب احياناً sa muhhi bitani وهو المسؤول عن خدمة جناح المعيشة في القصر وتعتبر من الوظائف الادارية المهمة داخل القصر كما تبين ذلك رسالة توزيع الغنائم ٥٦٨. وكذلك يتواجد Sa-reši في القاعة الخارجية babanu والتي تضم مجلس القصر ومن بين مجموعة رجال البلاط العاملين في هذه القاعة تأتي وظيفة LU rab reši "رئيس رجال البلاط" وهي ثاني اهم الوظائف بعد مجموعة الامراء والنبلاء

اشور ناصر بال الثاني ووالده توكلتي نورتا الثاني. كما انه (اي نابو زقوب كينو) والد عشتار- شم ايرش الذي اصبح رئيس كتبة لاسرحدون واشور بانيبال والاخير قد جمع اعمال والده الهائلة وخاصة المستنسخات الدينية والادبية ومختلف النصوص الاخرى والتي تتعلق بارشيف المعبد الاشوري من طقوس وادعية عامة وخاصة وصلوات ومن المحتمل بانه استنسخ احدى الواح ملحمة جلجامش و اضافها الى مكتبة اشور بانيبال في نينوى والتي كان يعمل فيها^(٣١).

رئيس تشريفات القصر Sa pān ekalli

الترجمة الحرفية تعني "الذي (يقف) امام القصر"، الا ان الادلة المتوفرة لدينا توضح انه يقابل رئيس التشريفات وخاصة من طبعة الاعمال التي يناط بها. فقد كان يحضر مع الوفود والشخصيات او حكام المدن والمقاطعات عندما يأتون الى العاصمة لاداء القسم الملكي (adu sa Sarri). تقع على هذا الموظف مسؤولية تدوين هذا المرسوم وبصورة غير مباشرة يكون مسؤولاً عن الكتبة ايضاً بحكم علاقتهم في كتابة المراسم. طاب صلي ابشارا حاكم مقاطعة اشور، وكانت الرسالة ٩٠ الى سرجون يخبره بخصوص وثيقة اداء القسم وان الموظفين التابعين الى الشا- إن- ايگالي وحجابه قد جاءوا الى آشور لآخذ الوثيقة وبصحبته النبلاء وفي ساحة معبد الاله آشور طلب رسول الشايان ايگالي الذي حضر معهم من الكاتب ان يسلمه الوثيقة الخاصة بالقسم وفعلاً سلمها له. اما الرسالة ٢٠٢ فهي ايضاً توضح دوره في اداء القسم الخاص باهالي بابل ولكن بيل- ابني (Bel- ibni) حاكم ارض البحر فانه حضر مع الشايان ايگالي الى مدينة كسك (Kisik) حيث مكان تجمع ابنا هذه المنطقة واقسموا ولاء الطاعة للملك الاشوري. مما تقدم يتضح ان

الآشوريين^(١٢) يظهر (sa reši) رجال البلاط في النقوش الجدارية والمنحوتات وهم غير ملتحمين فثلاً هناك ختم لحاكم مدينة كلخوبيل - تارصي - ايلوما. وكذلك ختم آخر لزرغال ايرش وهم غير ملتحمين علماً بأن الاول كان يحمل لقب sa reši بالإضافة الى كونه حاكم المدينة^(١٣) ومن هذه المجموعة الادارية يعين حكام المقاطعات خاصة منذ عصر نجل تيليزر الثالث ٧٤٥ ق.م حيث بدأ الملوك يذكرون الفقرة التالية عند تعيينهم للحكام "عُينت عليهم احد موظفي البلاط كحاكم مقاطعة وهؤلاء الحكام من وجهة نظر الملك ليس من الضروري ان يكونوا من عوائل معينة او غنية بقدر ولائهم وطاعتهم له. ومن المحتمل فان نجل تيليزر الثالث استخدمهم كاداة لتقليص نفوذ طبقة (abānu) الامراء والنبلاء حيث ان معظم الثورات التي هزت الامبراطورية الاشورية الحديثة كانت نتيجة تأمر مثل هذه العوائل وخاصة المقربين للملك شخصياً وورغبتهم بالاستحواذ على السلطة. احسن مثال لدينا في الوقت الحاضر عن وظيفة rab reši رئيس رجال البلاط هو سن - شم - أشر الذي كان رئيس رجال البلاط للملك آشور ابطل - ايلاني حيث يظهر من خلال النصوص الملكية التي تركها هذا الملك ان هذا الموظف كانت لديه قوات عسكرية خاصة به^(١٤). اما النصوص الاخرى التي اعطتنا صورة اوضح عن سن - شم - أشر فهي بالدرجة الاولى نصوص الهدايا والاملاك والامتيازات الممنوحة له من الملك الاشوري آشور - ابطل ايلاني. تقديراً لجهوده الخاصة التي قدمها للملك، نذكر على سبيل المثال واحداً من النصوص والتي ترجمها بوستكيك^(١٥) نرى انه بعد وفاة الملك آشور بانينال، كانت هناك ثورة داخلية بزعامة نابو - رختو - اوصر في بابل ضد الوريث آشور - ابطل - ايلاني، الا ان سن - شم - أشر سحق

هذه الثورة يساعده عدد من قواته الخاصة وتقديراً لهذا العمل اهداه الملك الاشوري كل هذه الاملاك والامتيازات ولو ان هذه ليست الحالة العامة، حيث ان سن - شم - أشر عاش في السنوات الاخيرة من الامبراطورية وخاصة عندما انهارت السلطة المركزية تماماً هذا بالإضافة الى اننا لانعلم الا القليل عن الاوضاع الداخلية لتلك الفترة حتى نعطي صورة كاملة عن قوة مثل هذه الشخصيات، ولكن ومن المحتمل فان الملك آشور ابطل - ايلاني حاول الموازنة بين rabānu^{١٦} الذين لايزالون يؤثرون على العرش الاشوري وبين مجموعة رجال البلاط الذين اصبح قسم كبير منهم حكاماً لمقاطعات وعليه فانه افراطه في المنح والامتيازات الخاصة لرئيس البلاط وذلك لكي يقف هو ورجاله الى جانب الملك في محاولة هؤلاء النبلاء للاطاحة به وفعلاً حدث ما كان متوقفاً

المقربون qarbutu

وهي المجموعة الاخرى التي تعمل ضمن القصر وكانوا يشكلون مجموعتين الاولى الحرس الملكي، وهؤلاء يختارهم الملك من بين مجموعة رجال البلاط Sa resi والذين يراهم اكثر ولاءً وطاعة ويمكن اعتبارهم الحرس الخاص بالملك - اما المجموعة الثانية من هؤلاء فهم الذين يعتبرون حلقة الاتصال ما بين الملك والمدن والمقاطعات فهم وظيفياً يكونون تحت امره الملك مباشرة وينفذون الاعمال التي يوكلها اليهم، فثلاً كانوا يمثلون الحكومة المركزية عند جمع الضرائب وكان عليهم جمع وارسل الجنود المنقولين من سلطة حاكم مقاطعة الى مقاطعة اخرى^(١٦).

إن الاشارات الكثيرة من المقربين من الرسائل الملكية في كل من نينوى وكلخو تعطينا صورة جزئية عن نشاط هؤلاء الموظفين فثلاً يظهرهم كممثلين عن الملك ويرسلون الى مكان فيه مشكلات

القول بان واجبات القربوتو الادارية غير محدودة بوظيفة معينة وانما كان تواجده ضمن القصر الى جانب الملك الذي يحتاجهم باستمرار لتمثله في مختلف القضايا .

الى جانب المقربين هناك مجموعة اخرى يمكن تسميتها " باللذين يقفون امام الملك " -man zāz pān šarri. ولقد وردت قائمة باسماء هؤلاء في نص من نينوى (K4393) وعلى الاغلب فان هؤلاء ليس لديهم عمل ثابت وانما كانوا يلبون طلبات الملك ، وخلال فترة حكم سرجون الاشوري الثاني واشور بانيبال نرى بان واجباتهم بدأت تتركز على القضايا المنزلية والصيد .

الاطباء والمنجمون والعرفان

ولا يحتل هؤلاء مناصب ادارية مهمة او خطرة او واضحة للعيان الا انهم كانوا يؤثرون على سياسة الملك شخصيا وكما بينا في المبحث السابق كان الملك هو الشخصية الرئيسية في الديانة الاشورية من خلال تواجده في العديد من الطقوس والاحتفالات . وان مثل هذه الممارسات تكون بارشاد ونصح هؤلاء الموظفين ، فمن الطبيعي ، ومن خلال هذه الممارسات الملكية كانوا يؤثرون عليه . ويمكننا تقديم الكثير من الادلة لتوضيح هذا التأثير خاصة من الرسائل الملكية التي ترجمها باربولا^(٥٦) . ومن خلال تراجهم للطوالع فانهم كانوا يؤثرون على الملك بخصوص القضايا المهمة كالحملات العسكرية او ترشيح الموظفين الكبار وكما بينا في المبحث السابق فانهم كانوا يتدخلون في الايام الفضلة لحضور ولي العهد الى والده^(٥٧) . وكانت هذه الطبقة من الموظفين تتمتع بامتيازات مهمة وخاصة وكان الملك يدافع عنهم ضد النبلاء وحكام المقاطعات فهذا بلاسي الكاهن يشتكي الى اسرحدون من الرب شافي الذي صادر حقله واحد رجاله (الرسالة ٣٥٣) . ومن الطبيعي فان هذه المجموعة من الموظفين تعتمد

تستوجب تدخل الملك شخصياً فكاتب الرسالة ٢٢٨ يطلب من الملك ان يرسل احد المقربين (qurbūtu) من اجل ان يضع حدا لمشاكله مع اخيه الذي استولى على اراضيه ، بينا مار- عشتار كاتب الرسالة ٣٣٩^(٥٨) يستنجد لارسال بالملك قربوتو من اجل الاستفسار من حاكم المقاطعة -^{lu}bel pahete الذي فتح خزانة المعبد عنوة واخذ منها ذهباً . في حالة مشابهة نجد ان موظفين من مقاطعة اراجا (كركوك) يستنجدان بالملك لارسال قربوتو بخصوص بيت سيدهم-هدية الملك-التي اخذها حاكم المقاطعة .

من الاعمال الرئيسة التي يناط بها هؤلاء المقربين هم اسرى الحرب فهناك رسالتان بحث بها بيل - ابني حاكم ارض البحر بخصوص اسرى ولاجئين من بلاد عيلام حيث يطلب من الملك ارسال قربوتو للاهتمام باطعام ١٠٠٠ الف اسير منهم اثناء نقلهم الى نينوى^(٥٩) . وكذلك هناك رسالة اخرى برقم ٦٠٠ تخص طلب مشابه للاهتمام بخمسين اسير^(٦٠) .

من الاعمال الاخرى التي يكلف بها القربوتو هو التفتيش فهناك طلب الى الملك مقدم من مار- عشتار الى الملك لارسال قربوتوا بخصوص الاعمال العمرانية في معبد مدينة دير والتي تسير ببطء^(٦١) . ولكن دور القربوتوا في رسالة اخرى فهو تفتيش المواشي التي ارسلت الى معبد الاله نابو في مدينة سيبا كقرايين ملكية^(٦٢) . هناك اشارات الى قيام القربوتو بنقل معلومات سرية بخصوص مدينة اوروك والعيلامين^(٦٣) . او قد يمثل الملك في الاحتفالات الدينية^(٦٤) تشير الرسائل الملكية الى قيام القربوتو بنقل البضائع الثينة حيث ان نابو- ليو القربوتو جلب ذهب واحجار كريمة الى الخزينة الملكية^(٦٥) . ومن واجباته الاخرى هو القضايا العسكرية فقد ارسل احدهم للاستفسار عن اوضاع قبائل البقودو puqudu على الحدود العيلامية^(٦٦) مما تقدم يمكن

في استمراريته على التدريب والخبرة والممارسة وتصبح وراثية في بعض العوائل وعلى سبيل المثال فان ابن أدد - شم - اوصر المعروف لدينا من ارشيف نينوى كان عراًفاً وورث وظيفة والده .

الإعاشة والخدمات :

القصر في العاصمة يعدّ المركز الرئيسي لاعادة توزيع الواردات والضرائب من المقاطعات والجزية من الحكام التابعين ، ويؤكد النصوص المسارية بان الضرائب في بلاد آشور نفسها ومن مقاطعاتها تعتبر المصدر الرئيسي للدخل القومي والذي هو بالتالي مصدر تزويد الجيش بالموثّن والارزاق ، ودفع نفقات الموظفين الاخرين اما الغنائم التي يحصلون عليها من الحملات فكانت على الاغلب من المعادن الثمينة والنادرة والاشياء الكالية والتي اما تدخل كهدايا الى المعبد او القصر او قد تبقى في الخزينة الملكية ، في حين كانت الجزية من ضرائب المقاطعات توضع جانباً للحكومة المركزية وتخزن ثم توزع من قبل اقسام خاصة بها ولهذا فقد كانت هناك اقسام متعددة في القصر تتعامل مع المدخولات باختلاف انواعها . والجنّاح الخاص بها هو "القصر المسؤول عن تجهيزات البلاد" (ekal paqidat kalama). في نينوى عندما كانت العاصمة وهو المسؤول عن هذه الدوائر المتعددة .

من الاقسام الرئيسية المعروفة لدينا في نمرود هو قسم (دائرة) الخيول والمسؤول عنها urab^{١٥٨} . الا ان ارشيف نينوى يلقي الضوء على اعمال هذا القسم وخاصة الرسائل التي كتبت من قبل نابو- إدنا وشخصية اخرى هو نادينو وهي عبارة عن تقارير يومية عن اعداد الخيول التي يستلموها^{١٥٩} . ومن الاقسام الاخرى هو قسم استلام الاختشاب ، وقسم الاغانم ، والابقار ، والحبوب ، والنتين ، والمنتجات النباتية ، والحويانية ، وتجهيز الجيش ، ومن الطبيعي فان القوى البشرية العاملة ضمن هذه الاقسام تنسحب الى اقسام

اخرى كتسجيل الوصولات الخ^{١٦٠} . وكل قسم من هذه الاقسام يرأسه موظف اداري ولديه وكيل (Sanû) وكاتب . ويمكن اضافة الخبازين والطباخين والقصابين والسقاة الى هؤلاء ايضاً^{١٦١} وكافة هؤلاء العاملين في القصر يكون المسؤول عنهم هو ال rab ekalli^{١٦٢} اشرف على القصر^{١٦٣} وللمزيد من المعلومات على هذا الموظف واعماله فيمكن النظر في ارشيفات القصر الملكي في كلخو^{١٦٤} .

ولايفوتنا ان نذكر الجنّاح الخاص بالحريم ، وقد لقيت الشاكتو šakintu^{١٦٥} دوراً مهماً في ادارة هذا الجنّاح وعلى الاغلب فانه يضم :

والدة الملك Ummi ša šarri
الملكة Mī sinnišat ekalli
اولاد الملك māṛ/ marāt šarri

كان لبعض الملكات الاشوريات دور سياسي واداري مهم في بلاد آشور وتعد sammuramat (سمير أميس) والدة ادد نيراري الثالث خير مثال على ذلك حيث انها اصبحت وصية على ولدها القاصر^{١٦٦} . ولكن زاكوتي (ناقيته) Zak- uti/ Naqia^{١٦٧} ارملة سنحاريب ، فقد كان دورها واضحا ومؤثراً ليس في ادارة الدولة نفسها فحسب بل تدخلها في شؤون القصر نفسه فنجدها ترفض تنفيذ الاتفاقية الخاصة بولاية العهد التي ابرمها اسرحدون بين اولاده لكي يكون اشوربانيبال ملكاً على آشور واخيه شوم - اوكن ملكاً على بابل^{١٦٨} وذلك بعقد اتفاقية ثنائية بين الاخوين مرة ثانية بعد وفاة والدهم^{١٦٩} . هذا بالاضافة الى سلطاتها واملاكها الواسعة في مقاطعة لاجيرو^{١٧٠}

ادارة المدينة :

تتركز ادارة المدن الاشورية على مجموعة من الموظفين الادارين وهم :

معبد الاله نابو في كلخو^(٧٠) ولكن في رسالة من اهالي آشور والتي تتعلق بموت الملك الاشوري فانها تشير الى ان حاكم المقاطعة نفسها قد امر رجاله ان يبقوا امام مبنى الخزانو وقد البسهم اروباً حمراء وقلدهم بحلقات ذهبية ليصطفوا امام الخزانو وعلى ما يبدو فان هذه اشارة الى اقامة مراسيم تشييع الملك ومشاركة الخزانو رسمياً وباللباس الرسمية لها^(٧١).

ولكن عشثار نائد - خزانو مدينة آشور فانه يكتب الى الملك عن عدم امكانيته من طرد حاكم (امير) قبائل الاتوء (Itu'a) والذين يتجولون في ضواحي (qannu) مدينة آشور ويعرقلون الحياة اليومية ويقطعون الطرق والبوابات^(٧٢). وهذا مما يفسر تحديد مسؤولية الخزانو في العصر الاشوري الحديث الى داخل اسوار المدن فقط بعكس زميله في العصر الاشوري الوسيط^(٧٣).

كان تعيين الخزانو يصدر مباشرة من الملك الآشوري كما يشير الى ذلك سن - نائد خزانو مدينة اشور (سن نائد، خزانو مدينة اشور الذي عيني، الملك سيدي)^(٧٤) ويبرز دور الخزانو الاداري في العقود التجارية ضمن الفقرة الخاصة بالاشخاص الذين يمكن ان يطالبوا في المستقبل بالاضافة الى ظهوره شاهداً على كثير منها.

شا - موخي آلي sa muhhi ali^{lu}
”المشرف على المدينة“

هذه الوظيفة الادارية لها علاقة مباشرة بوظيفة الخزانو حيث يظهران سوية في الرسائل الاشورية^(٧٥). ويكون تعيينه من قبل الملك شخصياً. ومن المحتمل فان وجوده الى جانب الخزانو في ادارة المدينة وذلك من اجل تقليص صلاحيات الخزانو الواسعة في العصر الاشوري الوسيط وخلق نوع من الموازنة بينه وبين الخزانو.

لهذا الموظف الاداري تاريخ طويل في بلاد وادي الرافدين حيث يرد ذكره في النصوص السومرية من مدينة الوركاء والعصر الاكدي والبابلي القديم في نصوص ماري ثم انتقل الى بلاد آشور في المدن الاشورية الرئيسة مثل اشور، نينوى كلخو وفي عواصم بعض المقاطعات هناك اكثر من خازانو^(٧٦). اما في المدن الصغيرة فهناك خزانو واحد. خلال العصر الاشوري الوسيط وخاصة في نصوص نوزي كان واجبه تطبيق القانون والتعليقات الملكية الصادرة اليه بالتعاون في الوحدات الادارية الاخرى والموجودة ضمن مسؤوليته^(٧٧). اما في العصر الاشوري الحديث فانه استمر بنفس المسؤولية ولكنها اصبحت لاتتعدى اسوار المدينة. فثلاً نرى خزانوا مدينة كلخو سجن احد الكهنة بتهمة سرقة ذهب وقصة من معبد الاله نورتا (الرسالة ٤٩٣) وحسب المعلومات التي زودتنا بها هذه الرسالة بخصوص السجين فان الخزانو اعتمد على معلومات ادلى بها كاهن اخر. اما التعاون بين الخزانو والموظفين الادارين الاخرين ضمن المدينة فيتضح من خلال الرسالة المرققة ٩١ والمرسلة من حاكم مقاطعة اشور طاب - صلي - ايشارا والتي تنص اصلاح التصديق الذي حدث في بيت القرن الحديدي التابع للقصر في اشور والتي حدد مسؤوليتها الكاتب على كل من الخزانو والاوراسوا ومجلس المسنين في آشور.

اما في عواصم المقاطعات الاشورية فان وظيفة الخزانو اقل وضوحاً عنها في المدن الاشورية الرئيسة (العواصم) وخاصة فيما يتعلق بتحديد المسؤوليات لكل منها لدينا اشارة في احدى الرسائل الاشورية الحديثة من نينوى بخصوص مشاركة الخزانو في الاحتفالات الدينية التي تقام في

والى جانب ماذكر من موظفين فيجب ان نذكر
مجموعة اخرى من الموظفين الخاصين بمجاسة
بوابات المدينة abullate وبراأسهم ¹¹ rab
abullati حيث يظهر بدور مفتش .

ادارة المعابد :

بالرغم من ان المعابد الاشورية كانت ثاني اكبر
مؤسسة اجتماعية ، اقتصادية الا اننا لانعرف الا
القليل عن تنظيماتها الادارية والاقتصادية في بلاد
اشور اصبح المعبد تابعاً وشكل عام الى الحكومة
المركزية على اساس ان الملك الاشوري يعتبر
الشخصية الرئيسية في الديانة الاشورية وحضور
الملك في المناسبات الدينية له اهمية كبرى في هذه
الديانة هذا بالإضافة الى اتخاذ الملوك الآشوريين
القاب الكهنة انفسهم ¹² Sangû من الالقاب الدينية
الرئيسية للملوك الاشوريين مثال ¹³ Sangû Assur أو
Sangû Enlil وفي العصر الاشوري القديم
والوسيط هناك اشارات الى ان كلمة ¹⁴ Sangûtu
(كهانة) كانت تستعمل كمرادف ¹⁵ šarrûtu ملكية
من قبل الملوك الآشوريين ^(٧٦) .

النصوص المسارية تبين ان ما يحتاجه المعبد من
ناحية الابنية اوالموارد المالية كانت من مسؤوليات
الحكومة المركزية والتي تستخدم عدة طرق من
اجل تخطيطها :

- ١- الهدايا المباشرة من الرجال والاراضي المعفوة
من الضرائب من قبل الملك .
- ٢- هدايا الاراضي لموظفي المعبد .
- ٣- اصدارات الملك بالمعفو عن ضرائب الاراضي
لبعض الناس وبالمقابل كان عليهم بتقديم
الخدمة بأنواعها لديمومة المعبد .
- ٤- اية هبة من أراضي ورجال الى المعبد يعتبر من
واجبات الحكومة المركزية .
- ٥- كان على حكام المقاطعات وموظفي الدولة
الكبار تقديم قرايين الى المعبد باستمرار .

كاتب المدينة ، وهو ثالث اهم وظيفة في ادارة
المدينة الاشورية حيث يظهر الى جانب شا-
موخي - آلي كمسؤول اداري في الرسالة ٥٣٠
والتي هي عبارة عن شكوى الى الملك الاشوري ،
فالمشتكي قد عوقب بالسجن بسبب عدم تقديمه
المساعدة لاعادة بناء احدى المدن الاشورية الا ان
تبريره لعدم المساعدة بانه في حينها اخبر المفتشين
¹⁶ dayalu وكاتب المدينة طوب - شار - آلي -
وكذلك شا موخي آلي . ولهذا فانه يرجو الملك
بالافراج عنه لكونه غير مذنب باعطاء المعلومات
اليهم . ومن المحتمل فان الديالوكمفتش اشوري
قام بدور مهم في ادارة البلاد من خلال
الواجبات التي يكلف بها وعلى ما يبدو فانه كان
هناك مفتشين خاصين بالمدن الرئيسية فثلا هناك
ديالو مدينة نينوى وديالو مدينة كلخو (الرسالة
١٥٢) .

مجلس المدينة : ¹⁷ Sibutu (الشباب)

ان ادارة المدينة الاشورية تكون مسنولة عن
اوائل الناس الذين هم جزء منها والتي هي القصر ،
والمعبد ، وهؤلاء هم اصحاب الحقوق والبساتين
المجاورة للمدينة نفسها ويمثلهم ادارياً في الدولة
الشباب (šibutu) وهؤلاء على اغلب الظن
ينتخبون من بين اغنياء المدينة وهم ال
¹⁸ qaqqadati . واجبات هذا المجلس هو حل
المشكلات القانونية والمالية والدفاع عن المصالح
والامتيازات الممنوحة لابناء تلك المدينة كالاغفاء
من الضرائب واعمال السخرة ويتعامل هؤلاء
الشباب مع الملك مباشرة . هناك العديد من
الرسائل من نينوى وكلخوتوضح اهمية هذه المؤسسة
ادارياً كما تبرز اهميتها وقوتها السياسية خاصة في
اوقات الازمات .

٦- الملاحظ في الحوليات الملكية الآشورية بان التجهيز المستمر من القرايين الى المعبد يشكل جزء من الجزية التي تجلب من البلاد المفتوحة او من الحكام التابعين للدولة الآشورية (٧٧).

يقوم على خدمة المعبد ادارياً اعداد كبيرة من الموظفين ولكننا لانعرف الا القليل عن طبيعة اعمالهم ، الادارية او الاقتصادية وحتى حياتهم الدينية ، الا ان اشهر الوظائف الادارية للمعبد يشغلها ال *Sangû* ففي نص من غرود برقم ٥٥٤٥ فيرد ذكر أيا - مودامق يحمل لقب *Sangû mahhu* للملك الآشوري اشور ناصر بال الثاني . الا انه لم يرد ذكره ثانية بالرغم من انه يعتبر اعلى مرتبة دينية للمعبد الآشوري (٧٨) . ويأتي الى جانب هذا اللقب *Sangû rabû* (الشانكو، الكبير) و *Saugû Sanû* (الشانكو الثاني) . يظهر ال *Sangû* كمسؤول عن مفاتيح مخزن الاله اشور (الرسالة ٤٩٨) اما شانكو الاله نورتا في كلخو فيظهر كمشتري لعبد للمعبد (٧٩) . وهذا مما قد يفسر دوره الاداري في المعبد.

الى جانب هؤلاء الكهنة فهناك ال *Satammu* واحسن مثال لدينا هو ان والد وجد أيا - مودامق الوارد اعلاه كانا يحملانه هذا اللقب :

كما ان بعض الموظفين الاداريين الكبار كالترتانو كانوا يتلقبون به ايضاً. فتلا بيل - اباطل وشمشي ايلو كانوا يلقبون بـ *Satamekurrate* وعلى الاغلب فانه لقب فخري فقط لهؤلاء الموظفين الكبار هانك وظيفة اخرى تدعى *erib bi'ti* اي "الذي يدخل المعبد" يعني المسؤول عن بيت الكهنة داخل المعبد (٨٠) . وضمن هذه المجموعة نجد شخصية احد الكهنة المهمين لاسرحدون وهو أكوأتو والذي كان *erib bi'ti* لمعبد الاله اشور في آشور نفسها ، وهو صاحب (١٨) ثماني عشرة رسالة موجهة منه الى اسرحدون (٨١) . هذه الرسائل تخص قضايا دينية

ترجمة للظواهر الطبيعية كالكسوف والخسوف والزلازل ، كذلك مشكلات الموظفين الادارين بخصوص المعابد الآشورية ويظهر أكوأتو نفسه هو الذي اشتكى على حكام المقاطعات الذين تأخروا عن ارسال القرايين الرسمية لمعبد الاله آشور (٨٢) وضمن مجموعة ال *erib bi'ti* هناك الكهنة الخاصين بتطهير وتلبس وتطعيم الالهة وكذلك الفنانين والنحاتين هذا بالإضافة الى الكهنة الذين يشاركون في المراسم الدينية ، اما الكآو *kalû* ومشدي التعاويذ العرافة (*mašmašu*) والمغنين فترجع الى نفس المجموعة (٨٣) .

ومن الاشخاص الاخرين المرتبطين بالمعبد اداريا العاملين في أراضي المعبد (الفلاحين . الرعاة) . او الذين يقومون على اعمال المعبد التجارية كالتجار (*tamkaru*) وقد ظهرت نصوص كثيرة من معبد الاله نابون من غرود تبين النشاط الاقتصادي لتجار هذا المعبد فتلا نراه قد قدم قرض من الحبوب بفائدة معينة على انه يسترجع القرض عند الحصاد . اما القرض الثاني فهو كبير نسبياً (٨٤) .

ادارة المقاطعات :-

كانت بلاد اشور نفسها بالإضافة الى البلاد التابعة مقسمة الى مقاطعات تدعى كل منها *pahutu* وهذه بدورها مقسمة الى وحدات ادارية اصغر *nagû* وكل منها يتكون من وحدات ادارية اصغر *qannu* او *URU.ŠE* قرية زراعية (مزرعة) او *kapru* (كف) قرية ايضا .

خلال فترة العصر الآشوري الحديث اصبح هناك موظفون متخصصون لكل وحدة من هذه الوحدات وعليه تقع مسؤوليات معينة . وقبل الحديث عن هؤلاء الموظفين لابد من اعطاء صورة تقريبية عن الاساليب التي اتبعها الآشوريون في ادارة المقاطعات ضمن بلاد اشور او في البلاد

التابعة. فيعد أول اتصال عسكري بين الآشوريين والبلدان المجاورة تكون هناك محاولة من الملوك الآشوريين باتتبع اساليب ادارية غير مباشرة وذلك بالابقاء على الملوك والحكام المحليين انفسهم. الا ان هؤلاء في الوقت الذي يشعرون باي ضعف في داخل الدولة الآشورية او عندما يحصلون على مساعدات عن طريق التحالف مع الملوك والحكام الذين تنسجم مصالحهم معهم او تخريص من ابناء البلد نفسه نجدهم يثرون ضد الملك الآشوري. ففي هذه الحالة نجد ان الملك الآشوري اما يقدم على خلع الملك والحاكم المتمرد او في بعض الاحيان يعيده الى عرشه مدعيا بأنه كان رجيماً معه ومع عائلته وفي معظم هذه الحالات كان من شروط ذلك القسم بالاله آشور، او ان تضاعف الجزية والضرائب المفروضة سابقا على الملك او الحاكم. التابع او أن يقوم بتعين احد ابنائه او اخوته كحاكم محلي بدلا من الحاكم المخلوع وهناك العديد من الاشارات في النصوص الملكية بان الملوك الآشوريين كانوا يجلبون ابناء هؤلاء الحكام الى العاصمة الآشورية، وذلك لكي يترى في كنف الملك وعند الحاجة كما في الحالات السابقة اي موت الاب او ثورته فيعين الملك الآشوري هذا الابن على عرش والده وبالتالي فانه سيخدم سيده بامانة واخلاص كرد للجميل. وهكذا ادعى سنحاريب بأنه ربي بيل ابني البابلي في قصره وعينه فيما بعد حاكما على سلاله القطر البحري^(٨٥). وهذه الممارسة على تدريب ابناء الملوك ترجع باصولها الى آشور ناصر بال الثاني^(٨٦).

من الاساليب الادارية الاخرى التي اتبعها الملوك الآشوريين المتأخرين مع الحكام والملوك التابعين هو تعيين مندوب آشوري في بلاط ذلك الحاكم يدعى قيبو (qēpu) بقصد جمع المعلومات السياسية والاقتصادية والعسكرية عن

تلك البلاد والبلدان المجاورة وخير دليل على ذلك هو قيبو اسرحدون في مدينة صور^(٨٧)، اما قيبو آشور بانيال في مصر فقد تمكن من كشف مؤامرة ضد خليفة تارقوا ملك مصر وذلك بتعاون رؤساء القبائل المصرية فيما بينهم ورفضهم ان يكونوا تابعين لاي شخص وتقسيم بلاد مصر الى قسمين الا ان قيبو آشور بانيال تمكن من القبض على هذه الرسالة والمتآمرين وارسالهم الى بنبوى^(٨٨).

هناك اشارات عديدة في العصر الآشوري الحديث الى قيام الملوك الآشوريين بعقد معاهدات مع ملوك دول اخرى، فمثلا آشور نيراري الخامس عقد معاهدة مع ماتع - Matī-īlu^(٨٩). كذلك اسرحدون مع بعل ملك صور^(٩٠) وأخيراً اسرحدون مع رماتايا والحكام التابعين وابناء بلاد آشور بخصوص ولاية العهد على ان يكون آشور بانيال ملكاً على بلاد آشور وشمش - شم - اوكن ملك على بلاد بابل^(٩١). هذا بالإضافة الى ورود كلمة معاهدة adu في الرسائل الملكية والتي تخص حكاماً تابعين في اقاليم صغيرة. والاسلوب الاخر لادارة البلاد التابعة هو الزواج السياسي، وتشير النصوص الى هذا النوع من الزواج بين ابنة الملك الآشوري آشور او بالط وابين الملك الكشي خلال العصر الآشوري الوسيط^(٩٢). كما ان آشور بيسل كالأ تزوج ابنة ادد ايل - ادا^(٩٣) اما سرجون الآشوري الثاني فقد زوج ابنته الى ملك تابال^(٩٤). ان الهدف من هذا الزواج هو تقريب وجهات النظر ومن المتوقع فان الاولاد والاحفاد بالتالي ان لم يكونوا الى جانب اجدادهم الآشوريين فانه من المستبعد ان يكونوا اعداء لهم.

وفي المناطق الحدودية والمضطربة نجد ان الملوك الآشوريين يحاولون استخدام أكثر من اسلوب لادارة هذه المنطقة فاذا فشل الاسلوب الاول حاولوا الاسلوب الثاني

وهكذا. ولكن بالنسبة للمناطق التي يفشل فيها استخدام اسلوب او أكثر نجد ان الملك الاشوري يكون مضطراً لتغيير سياسة الادارة غير المباشرة الى الاسلوب المباشر وهو تعين حاكم آشوري من رجال البلاط على تلك المنطقة ويعتبرها جزءاً من بلاد آشور.

توضح الرسائل الملكية في ارسيفات نينوى وكلخو الواجبات المهمة المناطة بالبليل - باخيني في الشؤون العامة والخاصة لمواطني المقاطعة فثلا نرى الرسالة ٩٢٠ وهي شكوى ضد حاكم مقاطعة في جنوب العراق بخصوص اسرى من ارض البحر وفي حالة مشابهة اخرى الكاتب يترجى البليل باخيني بالتحدث مع الترانو بخصوص اسرى بابلين (٩٦). ولكن بيل - إقيي كاتب الرسالة ٧٧١ فانه يكتب الى الملك نيابة عن قبائل الكامبولو بخصوص احد المجرمين الذي قتل احد ابناء عشيرتهم ، وجلبوه الى بيل ياخيني للمحاكمة او لسجنه لحين المحاكمة وعلى ما يبدو فان البليل ياخيني لم يقدر المسؤولية مما اضطرهم الى الشكوى الى الملك وهذه تؤكد عمله الاداري وتدخله في الشؤون الاجتماعية كممثل للملك في المقاطعة وكانت تقع عليه مسؤولية توقيع المعاهدات مع ابناء المقاطعة او المقاطعات المجاورة (٩٧). كما ان وجود لقبه الاداري في المعاملات التجارية في الفقرات الخاصة بالمطالبة والشكوى المؤقتة وأيضاً استلامه للتعويض ،

المتفق عليه في الصفقة في حالة فشل الصفقة فهذه ادلة اخرى على دوره الاداري مبنياً للحكومة المركزية ، من ضمن اعماله في المقاطعة هو جمع الضرائب فالرسالة ٤١٣ ND توضح هذا العمل بينما في رسالة اخرى نجده يتدخل في جمع الضرائب المترتبة على التين والطعام من بلاد دأناني Daunanni (٩٨). وهناك اشارة تؤكد ارسال اطعمة الى القصر (٩٩) كذلك فان جمع الخيول وارسلها الى العاصمة من الواجبات الرئيسية التي

يقوم بها حاكم المقاطعة (١٠٠). هذا بالإضافة الى الانواع الاخرى من الضرائب (١٠١).

ان عملية جمع الضرائب تحتاج الى كادر وظيفي يكون متصل ادارياً بحاكم المقاطعة مباشرة أو قد يكلف لهذه المهمة اشخاص من القصر لمساعدته اثناء الجمع ومن الموظفين المتخصصين هم الماكيسو LU makisu وكذلك LU rab karani اما الموظفين الذين يبعث بهم القصر فهم القربوتو LUqurbūtu والقيبو LUqepu وعلى الاغلب مهمتهم الاشراف والتوجيه اما (LUMusarkisu) موشاركسو فقد كان واجبه الرئيسي الاشراف على جمع الضرائب الخاصة بالخيول (١٠٢) والكتابة الى الملك مباشرة عنها (١٠٣). وكان قسم من هذه الضرائب يرسل مباشرة الى العاصمة وقسم آخر يبقى في عاصمة المقاطعة لكي يستفاد منها الحاكم في تنمية اموره المالية او قد يستفاد منها لتجهيز الجيش الاشوري في حالة مروره في تلك المقاطعة (١٠٤).

من الاعمال الاخرى المهمة التي يشرف عليها حاكم المقاطعة (بيل ياخيني) هي الاعمال العمرانية الملكية والرفعية التي تقع ضمن مقاطعته هذا بالإضافة الى تقديم العمال لمثل هذه المشاريع ، مثلاً حاكم مقاطعة كلخو اشرف بنفسه على العمل الجاري في بوابة خالزي Halzi (١٠٥). نتيجة لهذه المسؤولية فقد يحدث سوء فهم من قبل بعض الحكام بخصوص تحديد العمل الاعاري المطلوب ففي الرسالة ٤٨٦ نرى ان الملك يوكل احد موظفيه بخصوص تحديد مسؤولية العمل المطلوب لكل من حاكم مقاطعة ازانجا وحاكم مقاطعة كلخو بخصوص بناء سور مدينة دورشوكين. كما ان تقديم العمال من حاكم المقاطعة لاعمال السخرة الخاصة لحفر قنوات الري يوضحها لنا طاب - شار - آشور حاكم مقاطعة تل موسى حيث انه يعتذر الى الملك

عن اخفاقه بتجهيز المهندس المشرف على حفر القناة بالعمال الاضافين (الرسالة ١٠٢).

بالرغم من الصلاحيات الواسعة التي يتمتع بها ال بيل باختي، الا انه ليس مخول للتدخل في شؤون وتمتلكات المعابد التي تقع ضمن مسؤولياته الا ان بعضهم تجاوز على هذه الصلاحيات فثلا ماو عشتار (الكاهن) يكتب الى اسرحدون بخصوص القضية التي اخرجها حاكم مقاطعة دور شروكين من دون تصريح ملكي^(١٠٦).

وكممثل للملك الاشوري في المقاطعة التي يديرها كان عليه المشاركة في الاحتفالات الدينية الرسمية نيابة عن الملك - فاوزرانا حاكم مدينة موصاصر يشير في الرسالة ٤٠٩ الى حضور حكام المقاطعات البيلي باختي الى مدينة أوسي للمشاركة في الاحتفالات المدنية. اما اكوآني فكتب الى اسرحدون بخصوص حالة مشابهة هذا بالاضافة الى مسؤولية حاكم المقاطعة لارسال القرابين الخاصة بالمعابد الاشورية في تقرير ثان من نفس الشخص الى اسرحدون فيه شكوى ضد كل من حاكم مقاطعة بارخالزا، رصابا كيليزي، إيسانا، كولاآنيا أرياد^(١٠٧).

كان على حكام المقاطعات الحدودية الدفاع عسكرياً عنها بالاضافة الى جمع وارسال المقاتلين في حملات الملوك الاشوريين. وقد يرسل قسم منهم بجملات عسكرية ضمن مناطق معينة فثلا سرجون بعث احدهم الى مدينة موصاصر خلال حملته الثانية^(١٠٨) وفي ٧١٠ ق. م أمر حاكم اخر للتوجه الى بابل^(١٠٩) اما حكام المقاطعات الشرقية لبلاد آشور فالبعض منهم ذهبوا الى بلاد عيلام^(١١٠) اما سنحاريب فيذكر بانه ذهب لتجدة حكام المقاطعات الذين اتجهوا ضد مردوخ ابلا ادنا في مدينة كيش^(١١١). كما ان الرسائل الملكية الاشورية تشير الى مقتل العديد منهم اثناء هجوم الاعداء عليه^(١١٢). كان على حاكم المقاطعة تجهيز الجيش

الاشوري بالمؤن في حالة مرور الحملة عبر مقاطعته^(١١٣).

اما دور حاكم المقاطعة في العلاقات السياسية وعقد المعاهدات تجده واضحا من خلال الدور الذي لعبه بخصوص استقبال الوفود والسفراء التابعين الى الدول المجاورة لمقاطعة فثلا عشتار - شم - اقيشاشا يكسب الى سرجون بان البيل - باختي برئى من الاتهام الذي وجهه له سكان الزكروتو بسبب اهمال وعدم ارسال المعلومات عنهم الى الملك (الرسالة ٢٠٥) وقد ارسل بيل باختي آخر للتفاوض مع سكان بلاد الاناضول (الرسالة ٥٤٨).

من المواطنين الاداريين الرئيسين الى جانب حاكم المقاطعة الشاكن - ماني (kusakin - māti)^(١١٤) وهو المسؤول المباشر امام الملك ويمثل السلطة المركزية كما يتمتع بمركز مرموق ضمن الادارة الاشورية. فثلا يشار الى وظيفته حاكماً لمقاطعة اشور في قوائم اللّمو الاشورية ويأتي مباشرة بعد موظفو القصر الخمسة السالف ذكرهم^(١١٥). لقد كان دوره الاساسي في المقاطعات مشابه الى حد كبير الى البيل - باختي. ولوانه على ما يبدو من خلال الرسائل الملكية والمرسلة منه الى الملك كانوا يمثلون نطاقا اداريا سياسيا وعسكريا اوسع من البيل - باختي فقد كان تعيينه من الملك نفسه ولهذا ومنذ العصر الاشوري الوسيط والحديث نجد ان بعض المقاطعات الاشورية يكون فيها شاكن - ماني - باختي في آن واحد ماعدا مقاطعة آشور فانها مخصصة للشاكن ماني، حتى ان قسما من حكام المقاطعات الاشورية كان يتمتع بصلاحيات هذين الموظفين بأن واحد^(١١٦). من الملاحظ بان الشاكن ماني وحده بين حكام المقاطعات ترك لنا مسلات تذكارية باسمهم تودع في معبد الاله آشور^(١١٧)، والرسائل الملكية تشير الى ان صلاحيات الشاكن - ماني في المقاطعة اكثر من زميله - البيل - باختي.

يضعون تحت إمرة احد القربوتو (u qurbūtu) والذي سينفذ الاوامر الملكية بخصوص التصرف بهم (١٢١).

ومن اجل ضمان قيام الحكام الادارين باعمالهم بشكل كامل ودقيق وخاصة فيما يتعلق بمصير الامبراطورية (الناحية العسكرية) لهذا فقد كان على الملك الاشوري ان يمارس سيطرة مباشرة على ادارة المقاطعات والتي تاخذ اشكالا متعددة.

١- كان على الحكام ان يرسلوا تقارير مباشرة الى الملك. وهذا مؤكد من خلال ارسيفات نينوى وكلخو.

٢- للتأكد من مدى انجاز هؤلاء الحكام لاعمالهم الخاصة يجمع الضرائب فان الملك يوكل الى موظفين اداريين في داخل القصر تدقيقها، وفي الحالات المشكوك فيها فان هؤلاء الحكام حق الاعتراض الى الملك كما يتضح هذا جليا في العديد من الرسائل الملكية مثلا الرسالة ٤٢١ نجد انه مردوك- شم - اوصر يرفع شكوى ضد حاكم مقاطعة بارخانزا الى والد المشتكي حيث انه كان جزء من دائرته، ولهذا فانه يلتمس الملك حمايته واعادة الحقل المذكور (قانون الرسالة ٤١٥) والشكوى هنا ضد حاكم مقاطعة اراختيا وفي هذه الحالات فان قرار الحكم يكون بيد الملك نفسه والذي يتدخل ايضا في القضايا الاخرى في المقاطعات.

الهوامش

المختصات انظر The Chicago Assyrian Dictionary.

1. D.D. Luckenbell, Ancient Record of Assyria and Babylonia (Chicago, 1926) Waterman Assyrian Babylonian Letters, Johns, Assyrian Deeds and Documents, E. Forrer, Die provinzeinteilung des

من البديهي فان الاعمال الادارية التي يكلف بها حاكم المقاطعة والتي اوردنا سابقا لابد ان تنفيذها يعتمد على عدد من الموظفين التابعين له (١٢٨). ومن اهم هؤلاء هوراب الآتي (u rab alan) مسؤول (مشرف) القرى، يقابل حاليا مدير ناحية وبدوره يكون مسؤولا عن وحدات ادارية اصغر وهي ناغو (nagu) وقنو (qannu) وان واجباته هو الاشراف على جمع الضرائب والتي في الغالب تدفق من قبل حاكم المقاطعة قبل ارسالها الى العاصمة. وهوايضا مسؤول عن تطبيق القانون ضمن وحدته الادارية وهناك العديد من الحالات المسجلة بخصوص دوره في الدفاع عن حدود البلاد فمثلا في احدى الرسائل الكاتب يلوم الرب الآتي لانه لم يساعده في مهمته العسكرية (١٢٩). كما ان ناسخر- بيل - كاتب الرسالة 424 يؤكد دور الرب الآتي في تجهيز الجيش بالمؤن، وكذلك فانه كلف الرب ايلاني في مهمته عسكرية ونتيجة لهذا المهمة فقد طعن الرب - الآتي ثلاث من رجاله بسهام الاعداء (١٣٠).

ولا كان على حاكم المقاطعة تزويد الجيش الاشوري بالرجال اثناء الحملة العسكرية من ابناء مقاطعته، فلا بد من وجود موظف متخصص باستدعاء وجمع هؤلاء المقاتلين وتقديمهم الى حاكم المقاطعة والذي بدوره يرسلهم الى العاصمة. فان مثل هذه المهمة كانت توكل الى رب كصر (u rab kisir) وعلى الاغلب تكون لديه احصائية عن اولئك الاشخاص المؤهلين للخدمة العسكرية وعليه تقع مسؤولية تقدير الاشخاص الذين سيؤدون الخدمة العسكرية الفعلية ومن الذي سيكون احتياط. ومن الذي سيكلف باعمال السخرة. فمثلا في الرسالة ١٤٣٢ نجد ان حاكم المقاطعة أمر شخصا من قبل الملك للقيام بجمع الرجال بدلا من الرب كصر والسبب هو اهمال الاخير في اداء واجبه - وبعد ان يجمع هؤلاء المقاتلين فانهم

25. ABL. 192— 195, 24+ 729, 1018, CT. 53, 7; 74+ 125; *Iraq VII*, 99.
26. E. Unger, "Stele des bel— harran— bel— usur in PKOM III (1917) 5f.
- ٢٧— اورزانا، اصلا ملك مدينة موصل (مودجيسر قرب راولنوز حاليا) اصبح حاكما تابعا لسرجون الاشوري الثاني في سنة ٧١٤ ق. م.
- (F. Thureau— Dangin, Une Relation de la Huitieme Compagne de Sargon, (Paris, 1972) 309, 346, 350, 403.
- ثم اضيفت موصل الى حدود الدولة الاشورية ووضعت تحت امرة الحاكم ايكالي، والذي على الاغلب زير ابني نفسه.
- (H. Winckler, Die Keilschrifttexte Sargon II (Leipzig, 1889) II. 36: 3— 4 = I. 26: 137— 138).
- ٢٨— بيل— دوري، معروف في النصوص الاشورية بانه يشغل وظيفة LU rab biti (JADD 467: 7) وانظر كذلك R.H. Pfeifer, state Letters of Assyria (New— Haven, 1935) No. 101, 113.
29. Cf. TCAE. 23, NWL 36.
- ٣٠— كتاب الرسائل التالية:
- ABL. 160— 162, 103+ 104— 107; 173, 180, 433, 452 485+ 486— 489 [1635, 1049] 1458; CT 53.82 [144], 628 K. 19147.
31. Sg. II. 8: 427; ADD 391: r. 18 = ARU 394.
- ٣٢— كما كان لديه رسائل اخرى مرسله الى سرجون
- ABL. 990. [1081].
33. NWL. 36.
34. ABL 716 = Pfeifer. ibid 199.
35. D.J. Wiseman "Assyrian Writing— Boards", *Iraq XVII*. (1955) 3— 13; see also NWL. 62— 63.
36. CT 53: 46. (ABL 633+ unpublished). See F. M. Fales, "New Assyrian Letters from the koynjik Collection" *AFO xxvii* (1980) 142— 146.
37. ABL 62 = Pfeifer. ibid. 190; ABL. 221 = Pfeifer 138.
- بخصوص تابني. انظر
- APN. 227
38. ABL 568 = Pfeifer. 99.
39. APN 164— 165; 133, 78, 107.
40. ABL 238 = Pfeifer. 89.
41. JADD. 1936, See also E. klouber ibid. 26.
42. NWL. 46
43. GPA.
44. See Van. Dreil, "Land and People in Assyria: Some Remarks", *Bior XXvii* (1970) 169.

- Assyrischen Reiches (Leipzig, 1920), E. klouber, *Assyrisches Beamtentum*, (Leipzig, 1910).
2. ND, D. J. Wiseman, *Iraq*. (1950), XIII (1951) xiv (1952), xx (1958), H. W. F. Saggs, *iraq XVII* (1955) xviii (1956), XX (1958), XXI (1959) XXv (1963) XXvii (1965) XXviii (1966), XXv (1963) XXvii (1965) XXvii (1966), NWL, GPA.
3. L.L. Orlin, The Assyrian Colonies in kapadokia (Paris, 1970).
- ٤— انظر ص ٦— ١٢.
5. W. Andrae, Die Stelenreihe in Assur (Leipzig, 1913), C. Saporetti, "Some considerations on the Stelae of Assur", *Assur* 1/2 (1974) 1— 12.
6. P. Machinist, "Provincial Governors in Middle Assyrian and Some New Texts from Yale", *Assur III* (1982). J.N. postgate, "Administrative Archives from the city of Assur in the Middle Assyrian period", *Sumer XLII* (1986) 100— 105.
7. P. Rost, Die keilschrifttexte Tiglat— pileser III (Leipzig, 1893).
8. Ep.
9. F. Thureau— Dangin, et M. and, Til— Barsip (Paris, 1936) 141— 151.
10. KAH. II 84, 64 = ARI. II 429.
11. Layard, 95: 141— 146, E. Michel, Wo II (1954— 59) 224— 226.
12. Layard 96: 156— 174. E. Michel Ibid. 24.
13. ND 424— GPA. 194.
14. ABL 205.
15. TCAE. 16.
16. J. E. Reade, "The Neo— Assyrian Court and Army: Evidence from the Sculptures", *Iraq XXXV* (1972) 89, 94.
17. ABL 568.
18. ND 455 = GPA. 199.
19. ND 2605, see *Iraq XX III* (1961) 36.
20. P. Rost, Op. cit II, 32. 30— 31; I. 46.
21. P. Rost, ibid II. 14— 16; I. 72.
22. IR. 30, ii; 16— 21.
- ٢٣— الجبوري. علي ياسين و التوراة مصدرًا للتأريخ الاشوري دراسة نقدية، بحث مقدم الى ندوة الدراسات التاريخية في العراق، جامعة الموصل، آذار ١٩٩٠.
24. Read. Loc— cit, 94.

77. Van. Dreil. *ibid* 189 – 191; *BiOr*. XXVII (1970) 169
NARGD 5 – 7; 27 – 41, J.N. Postgate, "Some
Remarks on CONDitions in the Assyrian Coun-
tryside". *JESHO* XVII (1974) 225 – 243; "The
Economic Strudure of the Assyrian Empire" in
M.T. Larson. (ed.) *Power and Propaganda: A
Symposium on Ancient Empires (Copenhagen,
1979) 193 – 223.*
78. Van. Dreil, *ibid*, 179 – 180. *NWL*. 21 – 23.
79. *JADD* 642.
80. *NWL*. 23.
81. *LAS*. 298 – 316.
82. *ABL* 43 = *LAS* 308.
83. *NWL*. 23 – 24.
84. B.Barker, "Ecomomic and Legal Texts from
Nabu Temple at Nimrud". *Iraq* XIX (1957) 125 –
136.
85. D.D.Luckenbell, *The Annales of Sennacherib*, 54:
54; 57: 13; Cf. 158: 22, 23; 27; 28.
86. *AKA*. 231: 16 – 17; *ARI* 569.
87. *ASrah*. 108: 6 – 14.
88. *Abp. II*. 12; 121 – 126, 128 – 131.
89. E.Weidner, *AFOVIII* (1932) 17 – 34.
90. *Asarh*. 107 – 108; i: 1 – 2, r. iii: 15 – 22, iv: 20 E.
Weidrer, *ibid*. 29 – 34.
91. D.J.Wiseman, *Iraq* xx (1952) 29, i:2 – 5; 31, i: 43 –
45.
92. *ABC* 156, i: 8 – 17 = *ARI.I* 321 – 323.
93. *ABC* 156, ii, 23 – 37 = *ARI.II*. 285; See *PKB*.
137 – 144.
وفي حالة مشابهة تزوج ادد – نيراري الثاني ملك بلاد آشور
ونابو – شم – اوكن ملك بلاد بابل
(*ABC*. 166, ii: 10 – 11 = *ARI* 459)
94. *Sg.II*. 65: 29 – 32; *Sg.II.I*. 102. J. N. Postgate, *Iraq*
xxxv (1973) 31.
95. A.Y.Ahmad, *Some Neo – Assyrian provincial
Aduinistrators*. Unpublished Ph.D. Thesis
University of London. (1984) pp.93 – 150.
96. *ND* 424 = *GPA*. 794.
97. *ABL*. 129.
98. *ND*. 462 = *GPA*. 195.
99. *CT*. 53, 1, 19 – 21.
100. *TCAE*. P. 7.
101. A.Y.Ahmad *ibid* pp. 114 – 115, Fig. 3.
45. NARGD 38 – 46.
انظر كذلك الهدايا والاملاك المنوحة ل نابو – شم – اوصر. رئيس رجال
البلاط من قبل آشور بانينال (NARGD 30 – 31)
46. *LAS*. 293 = Pfeifer 353.
47. *LAS*. 415 = Pfeifer 171.
48. *ABL*. 79 = Pfeifer. 46; 794 = Pfeifer. 45.
49. Pfeifer 107
للتزيد من المعلومات بخصوص هذا انظر
(*ABL* 306; 336. 964)
50. *ABL* 476 = *LAS*. 277.
51. *ABL*. 1202 = *LAS* 281 = Pfeifer 350.
52. *ABL* 266 = Pfeifer 194. Cf. *ABL* 90 = Pfeife 213
53. *ABL* 956 = *LAS* 190.
54. *ABL* 340 = *LAS* 76.
55. *ABL*. 267. Cf. *ABL* 685.
56. *LAS*.
57. *ABL* 356 = *LAS* 45. Cf *ABL* 354 = *LAS* 46.
58. *NWL*. 53 – 54. Cf J.N. Postgate. *S. Dally*....
59. *TCAE*. 7. Cf. pp. 8 – 9.
60. *ibid*. 230.
61. *NWL*. 78 – 89.
62. E. Klauber. *ibid*.; *NWL*. 46, 78.
63. D. Oates, *Iraq* XXI(1959) 109 – 110. See also
NWL. 78.
64. R – C. Thompson, An "Assyrian Parallel to qu
Incident in the Story of Samiromes", *Iraq* IV(1937)
35 – 43.
65. D.J.Wisemon, "The vassal Treaty of Esarhaddon,
Iraq xx (1958).
66. *ABL*. 1239.
67. H. Lewy, "Nitokris = Naqia, *JNES* XI(1952)
264 – 286, J. Nougayral", *Asarhaddon et NoqiCa
sur un Bronze du Louver* "(AOZO)" *Syria* XXXIII
(1956) 156 – 160.
68. *ADD* 61.
69. *HSS*. xv. 1: 7 – 14. «وظيفة»، علي ياسين، انظر الجبوري،
الخزانة في المصوّر الاشورية بحث مقبول للنشر في مجلة سومر.
Haser
70. *ABL* 65 = Pfeifer. 217.
71. *ABL* 473. Sec. A. Y. Ahmad, *Some New – Assyrian
Provinual Admimistrators*. Upnblish, Ph.D. University
of london, 1984..
72. *ABL* 419; See also *CTWB*.
73. *HSS*. XV.1: 15;22
74. *ABL*. 150. Cf. *ABL*. 91; 419; 716; 812.
75. *ABL*. 150; 710; 1034. *ND*.
76. Van. Dreil, *The Cult of Assur* 70; 73.

113. GPA. 185 = TCAE. 231; 381; Saggs, *Iraq* xxviii (1966).
114. Ahmad. *ibid.* 151 – 197.; Saggs' *Iraq* xxv (1963) 148.
115. اللّسر
116. Ahmad. *ibid.* 167; Fig. g.
117. W.Andrae, *Die Stelenreihe in Assur* (Leipzig, 1913)
118. Ahmad *ibid.* 112 – 143; Fig 7.
119. Nd 403 = GPA 209.
120. Cf. ABL 1295.
121. See ABL 127, 564, 660, 721' 760, 791, 860'888' 1012, 1019.
102. ND. 2386 + 2730, B.Borker, *Iraq* XXI.23, TCAE 374F.
103. ABL. 122, 127, 153, 630.
104. H.W.F. Saggs. *Iraq* xxv (1963) 148.
105. Nd. 425 = GPA 193.
106. ABL 339 = LAS 293.
107. ABL 43 = LAS 309 See TCAE 247 – 248.
108. Sa. II. 8. 333.
109. Lie. Sg. II. 56: 382.
110. Lie Sa.II. 74:2
111. D.D.Luckenbell, *The Annals of Sennacherib* 50: 20 – 22.
112. ABL. 101, 144 – 146; 148; 197 – 198.
- وانظر كذلك
ABL. 380 – 381, 490 – 491; 619; 1079.

الأوضاع الاجتماعية

أ.د. فاروق ناصر الراوي

تمهيد:

حضارة خالصة خاصة بسكان تلك المنطقة في الفترة المعنية، وهذا ما ينطبق على حضارة منطقة الموصل في الفترة الآشورية، وهي فترة الازدهار الحضاري في العصور القديمة، حيث أنها لم تكن حضارة آشورية خالصة، بل كانت خلاصة ما توصل اليه الانسان العراقي القديم خلال عصوره المتتابعة من تقدم وتطور حضاري. وقد عرف الآشوريون بمحاولاتهم احياء التراث القديم والحفاظ على العادات والتقاليد والنظم والقوانين التي نظمت الحياة، ولاسيما الحياة الاجتماعية التي لا تتغير وتتبدل بسهولة كتغير غيرها من المظاهر الحضارية، ومع ذلك، ظلت المنطقة تحتفظ بسماتها الخاصة وصفاتها المميزة.

تعد دراسة الأوضاع الاجتماعية لمنطقة الموصل من الدراسات المعقدة والغامضة نسبيا، وذلك لقلة المعلومات المتوافرة عنها وغياها كليا بالنسبة لبعض الفترات الزمنية التي مرت على المنطقة، وفضلا عن ذلك فلقد تابعت على سكنى المنطقة أقوام متعددة، كما احتك سكانها بأقوام مختلفة. لذا فإن ما سنقدمه في الصفحات التالية عن الأوضاع الاجتماعية في المنطقة سيركز على الفترة الآشورية، ولاسيما في عصرها الوسيط والحديث، وهي الفترة التي زودتنا التنقيبات الأثرية عنها ببعض النصوص المسارية، وفي مقدمتها بعض النصوص القانونية والوثائق الأخرى.

ومن الجدير بالإشارة هنا ان حضارة اية منطقة مهما كانت متقدمة ومتطورة، في فترة معينة، لا تمثل

التكوين الاجتماعي وطبقات المجتمع الآشوري :

كان المجتمع الآشوري كغيره من المجتمعات القديمة او الحديثة يتألف من عدة فئات من الناس ، كان على رأسها الفئة الحاكمة المنتفذة ولتمتكنة ماديا والسيطرة على الأمور الدينية والدينية ، والأخرى الفئة المحكومة الخاضعة لما تمليه عليها مصالح الفئة الحاكمة ، وأخيرا الطبقة المملوكة .

وكان غالب سكان بلاد آشور من الفلاحين والمزارعين الذين يملكون الأراضي او يستأجرونها للزراعة ، ويرتبطون عبر سلسلة ادارية متصلة مرورا بالقرى والقصبات والمدن حتى العاصمة التي كانوا يدفعون اليها الضرائب ويؤدون فروض العبادة لأنهم المشتركة ويشاركون في الاحتفالات والأعياد ، فضلا عن ولائهم المطلق الى الملك الذي كان يمثل الآلهة على الارض "وراعي ذوى الرؤوس السود" دون تمييز من أعلى موظف حكومي الى العبيد ، اذ لم تؤد التغيرات السياسية في يوم من الأيام الى تغيير اجتماعي جذري على الرغم من وجود الطبقات الاجتماعية المتباينة ، بل اقتصر الأمر على تبدل الملك او العائلة المالكة وحدها .

وقد دخل بلاد آشور العديد من الأقوام المختلفة القوميات، لكنها كانت موحدة في ظل الدولة الآشورية ، ولم يكن هنالك تمييز فها بينها حتى ان بعض الأفراد من غير الآشوريين كانوا من كبار الاداريين كالحوريين والفيثقيين وأحدهم انحدر من أصل بابلي . كما أن بعضا منهم عمل في الصناعات الحرفية او في الجيش . بل ان كلمة "اشوراي" Assuraia الواردة في القوانين الآشورية الرسيطة ، وكذلك في العصر الآشوري الحديث، كانت تدل على طبقة العامة وهم كل من سكن بلاد آشور ووقع تحت لواء الأمبراطورية الآشورية .

لقد كان الدين من العناصر التي وحدت المجتمع الآشوري ، فوجود معابد مخصصة لآلهة مختلفة ، على الرغم من وجود الآله القومي آشور ، ربما يشير الى حرية العبادة التي تمتع بها المجتمع الآشوري في وقت تعددت فيه القوميات ، خاصة بعد منتصف الالف الثاني ق. م ، وكثرت الهجرات المتعددة للأقوام الهندو اوروبية ، وخاصة الحثية والاورارتية ، والميدية ، والهجرات الامورية ، والآرامية وغيرها . فضلا عن الأقوام التي اتصل بها الآشوريون عن طريق الحرب او السلم كشعوب بلاد ايران -الفريجين ، وقبائل بلاد الشام ومصر وأثيوبيا وليبيا وغيرها . ولقد دأب الملوك الآشوريون الى اسكان الأقوام والقبائل التي اخضعوها تحت سيطرتهم في المدن الآشورية كما فعل الملك آشور ناصر بال الثاني في مدينة كلخو (نمرود) او سرجون الثاني في مدينة دور شروكين (خرصباد) .

ولعل اللهجة الآشورية التي استخدمت كانت من اكثر العناصر التي وحدت المجتمع الآشوري والتي لم تكن تختلف الا قليلا عن اللهجة البابلية ، فضلا عن دخول اللغة الآرامية جنبا الى جنب مع الآشورية في الفترات المتأخرة ، حيث كانت لغة رسمية . ولدينا منحوتة تصور كنية آشوريين وأراميين يقومون باحصاء غنائم الملك تيجلا تيليزر الثالث (٧٤٥ - ٧٢٧ ق. م) . ان وجود هذا العدد الكبير من الأجانب في الأمبراطورية الآشورية ، فضلا عن تربية عدد مائل من أمراء الدول الخليفة في البلاط الآشوري يمكن ان يقودنا الى الاستنتاج بوجود لغات عديدة كانت معروفة آنذاك ، فضلا عن وجود مترجمين للغات بلدانهم يعملون في البلاط الملكي ^(١) .

الطبقات الاجتماعية :

على الرغم من ان معرفتنا عن الحياة الاجتماعية الآشورية ، مازالت غير متكاملة ، لأننا لانملك

والسلطة لها ، حتى بات الابن يرث وظيفة أبيه ووصلت ملكيات بعض منهم من الأراضي الى الف هكتار^(١) .

اما الفئة المحكومة او المشكينُ *muškenu* فكانت ايضا من الأحرار وكانت تتألف من جمهور المواطنين وكافة الرعايا العاملين في الحقول والمزارع والحرفيين غير المهرة . وقد راعت القوانين هذه الفئة من خلال الأحكام اللينة نسبيا عليها^(٢) .

ان هذا التمييز بين أفراد الطبقة الواحدة والاعتراف بوجود أكثر من فئة كان موجودا منذ أقدم العصور السومرية ، ألا انه لم يعتمد اساسا على انحدار الفرد الاجتماعي ومركزه ، بل على حالته الاقتصادية . وعلى الرغم من الآراء العديدة حول معنى مصطلحي *Awelu* و *muškenu* فان الغموض مازال يكتنفها . فالاولى ترجحت (رجل او سيد او رجل حر) ، ولعل الكلمة الاكادية ترتبط في معناها بالكلمة العربية الواردة في القرآن الكريم "اولى الأمر منكم" او بكلمة (أول) وكلتاها تدل على المركز القيادي للفرد . كما ان هذا المصطلح ورد في النصوص غير القانونية للدلالة على الموظفين ذوى المركز العالي او على اشخاص عاديين وأحيانا حتى على النساء . اما مصطلح *muškenu* الذي يقابله في العربية كلمة (مسكين) التي تدل على الخضوع وقلة المال وفقر الحال فعناه مازال غامضا في النصوص القانونية ، اذ ان كافة المواد القانونية الخاصة به في قانون حمورابي مثلا قد نصت على مبدأ التعويض في حالات الاعتداء على أحد افراده في حين نصت على القصاص اذا كان المجني عليه من فئة الآويلو^(٣) .

اما الطبقة المملوكة وهي طبقة الارقاء فعلمواتنا عنها أكثر غزارة ، فالذكر في هذه الطبقة كان يسمى بالأكادية *Ardu* (اردو) والأثني أمتو *Amtu* التي تقابل كلمة (امة) في اللغة العربية . ولكن في الوقت نفسه ربما عنت كلمة *Ardu*

سوى القليل من الوثائق التي لاتعكس لنا بوضوح طبيعة التدرج الطبقي ، فالمعروف ان المجتمع الآشوري ، ككل المجتمعات القديمة ، مرّ بمراحل عديدة حتى وصل الى ما هو عليه في العصر الآشوري الحديث ، ألا ان عملية التطور اختلفت من عصر لآخر . وما يمكن ان نستخلصه من أحسن الفترات التي يمكن ان نتعرف من خلالها على طبيعة هذا المجتمع ، وهي الفترة الآشورية الوسيطة ، من القوانين التي عثر عليها في آشور) يمكننا القول بأن المجتمع كان يتألف من طبقتين رئيسيتين الأولى طبقة الأحرار التي أطلق عليها بالآشورية آويلُ *awēlu* أي (الأحرار) ، والثانية طبقة العبيد والتي تعرف بالآشورية آردُ *ardū* أي (العبيد) ، فضلا عن طبقة أخرى تعرف باسم آشورايا *Aššuraia* (الآشوريون) . ويبدو ان الطبقة الأخيرة كانت هي الأخرى طبقة حرّة على ان بعض الفقرات القانونية قد ميّزت بين *Awēlu* و *Aššuraia* وجعلت الأخيرة أقل منزلة .

ويعتقد بعض الباحثين بوجود ثلاث طبقات في المجتمع الآشوري : الاولى ، وهي طبقة الأحرار المتنفذة ، والثانية *Aššuraia* أو *muškenu* وهم جماعة الآشوريين من مختلف الدول الخاضعة او المتحالفة مع آشور ، والثالثة *Ardū* وهي طبقة العبيد المسيطر عليها ، ألا أن الصعوبة تكمن في تساوي الآويلو والآشورايا في بعض فقرات القانون^(٤) .

كانت طبقة الأحرار او *Awelu* تمثل الفئة الغنية والحاكمة ، وعلى رأسها الأسرة الحاكمة ، ومنها الملك الذي اكتسب على مرّ العصور قدسية خاصة باعتباره يمثل الاله في الأرض ، ويليا فئة النبلاء وأصحاب الاقطاعات الكبيرة وكبار الكهنة والموظفين العسكريين والمدنيين ، وكذلك المتنفذون اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا^(٥) . وقد وصلت هذه الفئة الى تلك المنزلة بفضل اغداق الملوك المال

عبيدا بكل مافي الكلمة من معنى، اذ غالبا ما أشار ملوك آشور الى ذلك قائلين ” جعلتهم كأشوريين “ أي أنهم ربما كانوا كالأشوريين الفقراء فاذا ما وطفوا في الأرض وبيعت بعدئذ فسيباعون معها ، ولكن لا يمكن بيعهم افرادا كما أنهم كانوا يدخلون جنودا في الجيش الآشوري دون الاشارة الى كونهم عبيدا ، ولا يوجد ما يدل على وجود تمايز بينهم وبين أقرانهم من الآشوريين^(١١) .

وكان الرقيق من الأسرى يعيش في اماكن معينة اذ ورد ذكر (بيت الأسرى) وبالأكدية Bit asiri مما يؤكد أنهم كانوا تحت اشراف موظفين مختصين يقومون بتسجيل كافة المعلومات عنهم والحرف التي يتقونها ويوزعون عليهم الأرزاق شهريا .

اما المصدر الخارجي الثاني فكان عن طريق التجارة ، وعلى الرغم من انه لم تكن هنالك تجارة متخصصة في هذا المجال فان التاجر كان يقوم بهذه العملية باعتبارها جزءا من اعماله الاخرى ويقوم بالاتفاق مع الأفراد او الأسر بغية السفر الى مناطق معينة لجلب اعدادا منهم ، ولا سيما الاناث^(١٢) .

وكان داخل البلاد مصدرا من المصادر الأخرى للرقيق ، فثمة احتمال ان يتحول الفرد الحر الى عبد وذلك نتيجة للعوز والحاجة . فقد يبيع الأب اولاده وبناته او زوجته وحتى نفسه لحاجته الى المال لتسديد دين او عدم تمكنه من تربية اولاده او لأي سبب آخر . وقد يخطف الأطفال او يولد أطفال غير شرعيين يلتق بهم في الطرقات او على أبواب المعابد تخلصا من العار الذي سيلحق امهاتهم منهم ، وفي أغلب هذه الحالات يصبح الأطفال ملكا لمن يشتريهم او من يثر عليهم . كما ان هذا المصدر يشمل ايضا الرقيق المولودين لأبوين من الرقيق ، وكذلك بعض الأحرار الذين أدت جرائمهم ، كإنكار الابن لأبيه المتبني او إنكار الزوجة لزوجها ،

(الخادم) ، فغالبا ما يكتب الحكام او الملوك المواليين لبلاد آشور الى ملكهم قائلين ” عبدك فلان “ وحتى الملك نفسه يمكن ان يقول عن نفسه ” عبد الآله فلان “ ولكن العبد من طبقة الأرقاء كان شخصا اعتياديا دون حقوق قانونية، يمتلكه شخص آخر وله الحق في التصرف به كيفما شاء^(١٣) .

ولا يعرف بالضبط متى بدأ نظام الرق في المجتمع العراقي القديم ، ولابد أن ذلك ارتبط بأولى الحملات العسكرية او الرحلات التجارية . فأقدم النصوص المسارية التي ذكرت الرقيق تعود الى النصف الأول من الألف الثالث ق. م ، حيث أشارت علاماتها الصورية الى ان مصدرهم كان من المناطق الجبلية الواقعة في الجهات الشرقية من العراق ، حيث ازدادت اعدادهم بعد ذلك في الفترات اللاحقة^(١٤) ، حتي وصل معدل عددهم في كل بيت آشوري في الألف الأول ق. م الى اربعة عبيد^(١٥) .

وكان هنالك مصدران للرقيق ، الأول خارجي والثاني داخلي . فالمصدر الخارجي كان من أسرى الحروب ، ويظهر أن الملوك قاموا بجلب الأسرى معهم الى بلادهم ، عوضا عن قتلهم ، لكي يقدموا الدليل القاطع على انتصارهم في سوح المعارك واستخدموهم في الأعمال المختلفة ، لاسيما ان بعضهم كان من ذوى الحرف والمهن حتى أصبح عددهم بعد العودة من الحملات العسكرية مدعاة للفخر لدى الملوك الآشوريين ، واكتسبوا أهمية كبيرة حتى أنهم كانوا من ضمن مافرض من الجزية على الأقاليم المغلوبة .

وتشير النصوص الآشورية المتأخرة الى ان الملوك المنتصرين كانوا يحتفظون بقسم من الأسرى داخل قصورهم ، في حين يوزع القسم الباقي على الموظفين العسكريين والمدنيين ، وكذلك المعابد في المدن الآشورية كلها^(١٦) . إلا أنهم مع ذلك لم يكونوا

الى الحكم عليهم بالعبودية^(١٣). كما شمل ايضا بعض الأحرار المنذورين الى المعابد والمقدمين الى آلهة معينة لأغراض خاصة.

اما عمل الرقيق فقد اختلف بالنسبة الى جنسهم اذا كانوا ذكورا ام اناثا. فالذكور عملوا في البناء والزراعة والخدمة في القصور والمعابد وأصحاب الحرف منهم عملوا في بعض الصناعات والمشاغل. اما الاناث فكان يعملن في بعض الصناعات اليدوية وفي البيوت الموسرة خادمات وجواري للذكور من اعضاء الأسرة^(١٤).

لم يتمتع الأرقاء بشخصية كاملة طالما كانوا ملكا لأصحابهم، اذ انهم كانوا يمثلون قيمة مادية ويعدون من ضمن الممتلكات المنقولة، لذا أشير اليهم بالعدد وليس بالاسم، فيقال مثلا «كذا رأس من العبية»، وكان للمالكهم كل الحق في التصرف بهم كفيما شاء، يبيعهم، او تأجيرهم، او مبادلتهم او اهدائهم، او تشغيلهم والاستفادة منهم، فضلا عن حق التمتع بهم، لذلك لم ينسب الرقيق الى أبيه بل الى مالكه وربما كان يعلم بعلامة خاصة تميزه عن غيره من الرقيق، وتعرف بصاحبه حيث يكتب على رصغ الرقيق اسم مالكه بوساطة الوشم، فاذا انتقلت ملكيته الى شخص آخر كتب اسمه ايضا جنب اسم المالك الأول وهكذا^(١٥). ولانعرف بالضبط ماهية هذه العلامات المميزة التي تدل على الرق، فقد يكون الوشم او الكمي بالنار او بكتابة اسم المالك على قطعة من الطين او المعدن مربوطة بسلسلة لا يمكن فكها بسهولة تعلق في رقبة الرقيق^(١٦). كما ميّز الرقيق ايضا اذا كانوا خارج بيوت مالكيهم بطريقة قص شعورهم او بوساطة القيود^(١٧).

ولما للرقيق من قيمة مادية، فان اسعارهم كانت تتغير من فترة لأخرى ومن مكان لآخر تبعا للتغيرات والازمات الاقتصادية التي تمر بها البلاد،

وكذلك تبعا لجنس الرقيق وعمره وقابلياته الجسمية والعقلية والفنية وسلوكه وحتى أصله وعموما وصل معدل سعر الذكر في العهود الآشورية المتأخرة بين ٥٠ - ٦٠ شقل فضة، فيما كان سعر الاناث ٥٠ شقل بحدود ٤٠ شقل^(١٨).

لقد عدّ التشريع والعرف الآشوريين، العائلة التي ينتمي ربا الى طبقة الرقيق وحدة متكاملة يسري عليها جميع مايسر، على ربا من بيع وشراء من قبل المالك ولأي سبب كان، ويشمل فضلا عن رب الأسرة زوجته وأطفاله وأقرباءه. وكان البيع او الشراء يتم بموجب عقد محرر ومشهد عليه يضمن فيه البائع للمشتري عدم خضوع الرقيق للخدمة لدى الدولة وحسن سلوكه وعدم تمرده او هربه وسلامته من الأمراض^(١٩).

لقد عدّ القانون الرقيق جميعا من القاصرين ومنع التعامل التجاري معهم الا اننا نجد ان مركزهم قد تحسن كثيرا في العهد الآشوري الحديث، كما ان القوانين اعترفت بحقهم في تكوين أسر شرعية، غير ان الاطفال المولودين من ذلك يرثون العبودية من أبيهم الا اذا تزوجوا من امرأة او رجل من الأحرار فيكون الأولاد أحرارا في هذه الحالة. او قد يتزوج المالك من أمته فاذا ولدت له أطفالا واعترف بهم غدت الأمة حرة بعد وفاته ويحق لأولادها اقتسام تركة أبيهم. كما أصبح لهم الحق بالسكن في بيوت مستقلة. وجاز للفرق منهم ان يعمل لحسابه الخاص، بعد ان يتفق مع مالكه، في مهنة يختارها لنفسه ويقدم له مبلغا شهريا متفقا عليه يدفع بأقساط ثابتة وبغدها يكسب حريته، حتى ان قسما منهم نال مركزا يفوق مركز بعض الأحرار وتقلد مناصب حكومية عالية وامتلك الأموال المنقولة وغير المنقولة، وضممنها الرقيق، وقام بعمليات البيع والشراء والاقتراض واداء الشهادة وختم الوثائق والعقود، حتى أن بعض النصوص أطلقت عليهم صفة Awēlu^(٢٠).

للظروف، ولكن عند فسخ الخطبة من قبل والد الفتاة تعاد الهدايا التي قدمت اليها مضاعفة. اما اذا فسخ الفتى الخطبة فانه سيخسر كل ماقدمه من هدايا، كما نصّت على ذلك المادة (٤٢) من القوانين الآشورية الوسيطة، واذا توفي الفتى حتى لوالده ان يزوج خطيبة المتوفي الى احد اولاده البالغين، فاذا لم يكن لديه جازله ان يتزوجها هو او يسترد هدايا الخطبة. وفي حالة موت الفتاة كان يحق للخطيب ان يتزوج احدى اخواتها او ان يسترد هداياه (٢٣).

وبعد اجراء مراسيم الخطوبة يتم الزواج ويثبت ذلك بعقد مكتوب، ويشهد عليه الشهود ويرم بين الرجل وولي أمر الزوجة تماما كما يحدث في الوقت الحاضر وفي بعض الحالات كان من الممكن ان ينوب عن الفتى والفتاة في عقد الزواج أبواهما او اخوانها ويضمن هذا العقد حقوقا اجتماعية وقانونية للمرأة زوجة وأما وعضوا في المجتمع وواجبا توفير

المسكن الهادي لزوجها وأطفالها ورعايتهم، وفي المقابل كان على الزوج ان يوفر مستلزمات المعيشة لافراد أسرته واحترامه واجب وسلطته في منزله هي العليا (٢٤). وبعد انتهاء ذلك كانت هنالك مأدبة العرس يليها مايعرف اليوم باسم (الزفة) (٢٥).

لقد كان الزواج يتضمن ثلاثة انواع من المبالغ المنقولة او غير المنقولة او كليهما، الأولى بقدمة الزوج الى عائلة زوجته المقبلة (ترخاتوم) لكنه يستردها اذا ماتت الزوجة بدون مولود ذكر. والثاني هو مبلغ او هدية تقدمها عائلة الفتاة عند الزواج (شيريقوم) حيث يكون وديعة عند الرجل له الحق بالتصرف به مؤقتا فاذا توفي الرجل ولم يكن له ابناء يرثونه فان زوجته ستسعيده. اما الثالث فكان هدية الزوج لزوجته (نودونوم) بعد اتمام الزواج او بما يعرف اليوم باسم (الصبيحة) (٢٦).

وكان الزواج بالنسبة للمرأة هو أن تترك عائلتها التي ولدت فيها وتدخل بيت زوجها اوتبقى في بيت

وبسبب من هذا الوضع والمركز الاجتماعي للزريق فقد ألزمت القوانين الآشورية المالكين تحسين معاملتهم للزريق فيما حددت العقوبات الواجب اتخاذها بحق كل من يعتدى عليهم حيث اعتمد مبدأ التعويض المادي الباهظ في تقدير عقوبة الجاني ان كان من الأحرار. اما اذا ارتكب زريق جريمة ضد زريق آخر، فالعقوبات تبدو سهلة جدا بالمقارنة مع نفس العقوبات المفروضة على الأحرار.

وقد أشارت هذه القوانين ايضا الى محاولات الزريق للهروب من أسيادهم الا انها لم تنشر الى العقوبات الواجب اتخاذها بحقهم بل نصت على معاقبة كل من يساعد على هربهم او ايوائهم او احتجازهم او مساعدتهم على ازالة علامة العبودية من أجسادهم بعقوبات قاسية وصلت حد قطع اليد والاعدام وأحيانا التعويض الباهظ (٢٧).

الأسرة والأحوال الشخصية وقوانينها

الزواج :

ان التغيرات السياسية والتأثيرات الأجنبية، لاسميا ابان الغزو الأجنبي للعراق لم تؤثر على طابع الحياة الاجتماعية العراقية الأصلية بعاداتها وتقاليدها وتقاليده الزواج، ولاسميا عند الأوساط الشعبية، فظلت الى يومنا هذا تحمل نفحة من نفحات الماضي. فقد كانت العادة ان يتم اختيار الفتى لفتاته من خلال ذويه، وليس ثمة اشارات حول خطوبة تمت بين فتى وفتاة دون علم ذويهما، بل ان القوانين عدّت ذلك غير شرعي (٢٨)، وكان الزواج يسبقه عادة فترة الخطوبة والتي لم تكن لتتم الا بموافقة والدي الفتاة حيث تقدم الهدايا اليها في احتفالات وطقوس خاصة. وقد تضمنت هذه الهدايا الحلوى والمواد الغذائية وكان الفتى يقوم بصبب العطور والزيت على رأس خطيبته وزوجته المقبلة.

وحالما ينتهي ذلك تصبح الفتاة مرتبطة بخطيبها وأسرته، وقد تطول فترة الخطوبة او تقصر تبعا

ابنها ، والحالة الأخيرة قد قادت بعض الباحثين الى الاعتقاد بأنها ذات صلة بالزواج المبكر استنادا الى اشارات وردت في القوانين الآشورية عن زواج الأولاد بعمر عشر سنين ، فيفترض ان الزوجة الحداث كانت تبقى في بيت ابها حتى تكون بالغة بما يكفي لكي تذهب الى بيت زوجها^(٢٧) .

وكان يحق للزوجة الزواج ثانية اذا غاب زوجها لفترة جاوزت خمس سنوات كما حددت ذلك المادة (٤٥) من القانون ودون ان يترك لها معيلا ولم يكن لها اولاد بالغين^(٢٨) . ولكن اذا كان غياب الزوج لأسباب خارجة عن ارادته كالقبض عليه من قبل قطاع الطرق فرما استطاع الادعاء على زوجته حتى بعد خمس سنوات ولكن ذلك متوقف على موقف الزوج الثاني من ذلك . اما اذا كانت أسباب غيابه قاهرة كالخدمة لدى البلاط الملكي فليس لدى الزوجة الحق بالزواج ثانية حتى بعد مرور خمس سنوات .

أما الزوج فيحق له الزواج ثانية اذا كانت زوجته عاقرا او مريضة بحيث يتعذر عليها القيام بواجباتها الزوجية او لسوء أخلاقها . وفي الحالة الاولى كان يحق للزوج في بعض الاحيان اتخاذ أمة لهذا الغرض وحينما تلد أطفالا فانهم سيعدون ابناءا للزوجة^(٢٩) . اما في الحالة الثانية فاذا ثبتت خيانة المرأة لزوجها دون ان تثبت انها اغتصب بالاكراه فكان يحق لزوجها انزال عقوبة الموت بها وبعشيقها مما يدل على حرص المجتمع الآشوري على سلامة العائلة وترباطها . كذلك اذا سرت المرأة متاعا من بيت زوجها وأعطته لرجل غريب فمقومتها الموت ولكن الزوج قد يكون رحيمًا فيقطع اذنبا فقط ، اما اذا سرت متاع اناس غرباء فعلى الزوج ان يعيد المسروقات الى صاحبها ويقطع اذن زوجته^(٣٠) . وفضلا عن ذلك فقد أشارت القوانين الآشورية الوسيطة الى حق الزوج ضرب زوجته وسحب شعرها في حالات معينة^(٣١) .

ورما اتخذ الزوج زوجة ثانية ذات منزلة أقل من الزوجة الاولى ، وهذا ماجاءنا من وثائق قليلة من العصر الآشوري الحديث^(٣٢) ، ولدبتنا عقد زواج من العصر الآشوري القديم (بداية الألف الثاني ق . م) نص على منع الرجل من اتخاذ زوجة ثانية اوية خليلات، وكان الزواج من ارملة لا يصبح شرعيا الا بعد معاشرتها لمدة سنتين ، أما الزواج من الخليفة فكان يمنحها مرتبة صورية مع الحجاب وكان الرجل اذا أراد ذلك فعليه ان يحجبها امام خمسة او ستة من جيرانه ويعلن ذلك أمامهم^(٣٣) . كما ان القوانين حددت المحارم بالنسبة للرجل فلا يجوز له الزواج من امرأة متروكة او الاتصال بالابنة وزوجة الابن والابنة وعاقبت كل من يتصل بأمة بعد وفاة أبيه بالموت حرقا هو وأمه^(٣٤) .

الطلاق :

كانت العلاقة بين الزوج وزوجته مشابهة للعصر الحديث فهناك الحب والانسجام بين الشريكين مثلا تكون المنازعات بينها والتي ربما أدت الى الطلاق . وحينما يحدث ذلك كان يثبت بعقد مكتوب بحضور الشهود وقد يستلزم ذلك قطعه لحاشية ثوب مطلقة أمامهم . ولم يكن الزوج ملزما لاعطاء مطلقة تعويضا ، على الرغم من انه في بابل كان هنالك ذكر لنقود دفعت بعد الطلاق للمرأة المطلقة ، لذا فانها كانت تعيد الهدايا التي اعطيت لها عند الزواج^(٣٥) . اما في حالة مرض الزوجة العضال وكان لديها اولاد فلا يحق لزوجها تطليقها وانما الزامه باعالتها مدى الحياة ولكن اذا لم يكن لها اولاد حق له طلاقها وهذا يعرف بـ (الطلاق العادل)^(٣٦) .

ولم تكن للمرأة حقوق مماثلة للطلاق كما للرجل ، فاذا جازفت بالاعلان عن مثل هذه الرغبة فانها ستواجه عقوبة شديدة^(٣٧) . ولكن في حالات معينة كاختلال الزوج بالتزاماته الزوجية مثلا او

بسبب عشيقته كان يحق للمرأة طلب الطلاق (٣٨).

التبني :

عرفت الأسرة الآشورية نظام التبني وكان للابن المتبني حقوق تساوي حقوق الابن الشرعي . وكان يحق لأي شخص تبني واحد أو أكثر من الأطفال الذكور أو الإناث، ويتم ذلك بموجب عقد مكتوب أمام الشهود، وكان على الأب ان يعلمه ويتقفه وبالمقابل فإن الابن المتبني عليه احترام والده (٣٩) . وكانت دوافع التبني عدم قدرة الزوجة على الانجاب او اذا لم يكن للزوج من يرثه او يقوم بمراسم دفنه بعد وفاته او لغرض تكريس الابن أو الابنة للخدمة في أحد المعابد عندما يكبر او لغرض بيع وشراء الأراضي التي لا يمكن نقل ملكيتها ، وأخيرا لتعلم مهنة الأب المتبني (٤٠) ، حيث ان نظام الوراثة كان متاصلا في المجتمع الآشوري، فالابن يتعلم صناعة أبيه ويشركه العمل حالما يكون بمقدوره المشي وكان الحرفيون المهرة يتعهدون الأولاد ، كما تشير الى ذلك النصوص الكثيرة التي ألزمت التعهدات على كلا الطرفين (٤١) .

الأرث :

وكان على نوعين :

أ - توزيع ممتلكات الشخص في اثناء حياته او (الهبة) كهبة الأب لابنه او الزوج لزوجته . وفي هذه الحالة ربما اقتطع الزوج قسما من عقاره ليكون لزوجته بعد وفاته ولكن قانونا سيبقى قسم من عقاره طالما هو على قيد الحياة .

ب - توزيع ممتلكات الشخص بعد وفاته (التركة) مثل حصة الاولاد والبنات من تركة الأب وحصة الزوجة من تركة زوجها ، وكان الابن والزوجة يأخذ كل منها نصيبا واحدا ، وللابن

الاكبر الحق في أخذ النصيب الأول (الأكثر)، اما البنات فكن يأخذن جهازهن من تركة الأب فيما خصصت حصة تساوي ثلث حصة الذكر الى البنت من صنف الكاهنات التي لم تحصل على هدية زواج قبل وفاة أبيها .

وفي حالة وفاة الزوج وتركه صبية صغارا تكون الزوجة وصية عليهم، وإذا تزوجت ثانية فسيقتلون مع امهم الى بيت الزوج الثاني ، وتقع على كليها مسؤولية المحافظة على تركتهم ويثبت ذلك في وثيقة محررة . وإذا كان للأب اولاد من امته واعترف بهم فسيصبحون أحرارا بعد وفاته ويأخذون نصيبهم من التركة ، أما اذا لم يعترف بهم فسيصبحون أحرارا بعد وفاته دون أخذ اي شيء .

اما اذا توفيت الزوجة فان تعيين حصص الورثة لم يختلف كثيرا ، ولكن اذا كان الابناء من اثنتين من الزوجات فسيرث كل من الابناء تركة الأم على انفراد في حين يتقاسمون تركة الأب بالتساوي (٤٢) . وعلى اية حال فان كل ماتملكه المرأة حتى لو انها استرجعته معها الى اسرتها سيكون لأولادها ويستطيع الزوج في الوقت نفسه ان يحرم احد ابناؤه من الارث (٤٣) .

مركز المرأة :

لقد تمتعت المرأة الآشورية بحرية القيام بالاعمال المختلفة، وخاصة في العصر الآشوري القديم ، ولكن في العصر الآشوري الوسيط تدهورت مكانتها وأصبحت تباع مع اطفالها في حالة عدم قدرة زوجها على دفع مابذته من دين او قد يضعها زوجها تحت عبودية الدائن ، وعند الطلاق لا يدفع لها زوجها شيئا ، وإذا أخذت حاجة من بيت زوجها دون موافقته فستتهم بالسرقة وتعاقب عليها . لكن

الأولاد :

ربما كان الأطفال الذين يصلون مرحلة البلوغ يشكّلون نسبة ضئيلة من ضمن المواليد، فالنصوص السحرية المعدة للحماية ضد خطر الشياطين التي تهاجم المولود وأمّه في بداية حياة الطفل تتحدث عن البكاء على "أطفال صغار ماتوا قبل أوانهم" وكان هذا مقدرا على العائلة المالكة وبقية عوائل الشعب على حد سواء، وليس أبلغ من ذلك ان اسم الملك الآشوري سنحاريب يعني "الاله سين مكثّر الأخوة". وحتى عند ولادة الطفل بسلام كان يبق تحت الخطر اذا ماجف ثدى الأم عن ادراار الحليب، وعلى الرغم من ان ذلك كان سهلا بالنسبة للموسرين باستخدام الرضعات فانه كان بالنسبة للفقراء يعني في أغلب الأحيان موت الطفل.

ولم يولد كل الأطفال اصحاء البنية، فلوو العاهات قد ذكرتهم النصوص ايضا فوجد مثلا طفلا ولد بقدم واحدة او خشي او توأمين سيامين، وفي المقابل نجد اشارات حول ولادة اربعة توأمين أصحاء. والطفل الصحيح الحديث الولادة كان يوضع في سلة كسريه له، وحينما يكبر قليلا فان امه او مربيته كانت تضعه في حاملة تشدها على ظهرها لكي تتمكن من التنقل به، وهو تقليد مازال موجودا في الشرق.

وكان الميل الى الأولاد الذكور أكثر من الاناث، لاسيما ان الذكور كانوا يعملون مع والدهم منذ الصغر ويتعلمون حرفته او مهنته. اما أولاد الموسرين فكان يخصص لهم مدرسون لقاء أجور معينة او يرسلون الى مدارس خاصة لتعلم حرفة الكتابة او تعلم الرماية وركوب الخيل. ويخبرنا آشور بانيبال (القرن السابع ق. م) كيف انه "درس حكمة نابو واستكشف فن الكتبة الخفي، وتعلم الرماية بالقوس وركوب العربات والخيل وكبح جاجها" (٤٩).

المرأة استعادت مكانتها في العصر الآشوري الحديث فمارست شتى الاعمال فظهر بعضهن تاجرة وشاهدة وكاتبة وقاضية واشترى بعضهن الأراضي والعبيد ورهن الدور وشاركن الرجل في المناصب الحكومية العالية (٤٤).

اما النساء الآشوريات الحوامل فكُنَّ يخضعن لعناية دقيقة، على الرغم من أن ذلك كان قضية سحرية بحتة تضمنت الالتزام بالتقائم والطقوس والتعاويد، فهناك احجار تربط حول خصر المرأة لتساعد في الولادة ووصفت لها بعض الأدوية مخلوطة بالزيت والنبذ، كما ان المسح بالمرهم كان شائعا. واستعملت ايضا الادوية النباتية كالحناء اية شجرة تمضغه المرأة في اثناء آلام المخاض ليساعدها على الولادة، وهنالك ذكر لنوع من الأوتاد الخشبية يدحرج فوق بطنها، وكل ذلك كان يتم بمساعدة القابلات ذوات الخبرة وضمن حدود معينة فرضها الساحر الديني (المعزم)، فاذا لم تلتمز المرأة بها فستعرض نفسها ووليدها لخطر الشيطان المفزع الذي كان يزهب روح الأم ووليدها (٤٥).

الحجاب :

بعد الحجاب عند الآشوريات من أعلى المراتب شرقا. فالمرأة المتزوجة يجب ان تتحجب بين العامة، وكان ذلك يعدّ من العلامات المميزة لها في القوانين الآشورية الوسيطة، كما نصت بذلك المادة (٤٠) منها فيما حرم التحجب على الاماء والجواري، الا اذا تزوجن من رجل حر وأعلن ذلك امام شهود (٤٦). واذا ضبطت احدى الاماء او الجواري مرتدية الحجاب فانها ستعرض لعقوبة قاسية تصل الى خمس عشرة ضربة عصا، ويوضع على رأسها القار (٤٧).

ولا نعرف طبيعة التحجب اكان بوضع الخمار على الوجه فقط ام ارتداء العباءة التي تغطي الرأس والوجه والجسم، اذ لم يعثر على منحوتات او نصوص مسبارية تخص الحجاب (٤٨).

ولم يكن للأولاد شخصية قانونية مالم يبلغوا السن القانونية ، فإذا تم ذلك كان على الوالد ان يبحث لهم عن الزوجة المناسبة ويجهزهم بما يحتاجون اليه من أثاث وهدايا وأموال ، اما البنات فكان على الأب ان يجهزهن للزواج ويخصص لهن مالا يتناسب وثروته كهدية لهن^(٥٠) .

الحياة اليومية والتقاليد الاجتماعية

السكن :

كشفت التنقيبات التي أجريت في أنحاء مختلفة من العراق عن العديد من الأحياء السكنية الخاصة بعامة الناس . ويبدو أن هنالك طرازين من البيوت شاعا في العراق ! الأول يضم عددا من الغرف المتلاصقة يكون سقفها مائلا الى أحد الجوانب او الى الجانبين بهيئة ”الجملون“ وهي معروفة في شمال العراق حتى الوقت الحاضر باسم (دام) . اما الطراز الثاني فكان يتألف من ساحة وسطية مربعة او مستطيلة مكشوفة يحيط بها عدد من الغرف المتلاصقة تراوح عددها بين واحدة وعشر غرف تطل مداخلها على الساحة ، وقد تتصل بمداخل صغيرة بعضها ببعض ، وينفذ الى داخل البيت عبر مدخل ضيق منخفض يليه ممر ضيق ، ومدخل البيت يطل مباشرة على الطريق او الشوارع الفرعية الضيقة .

وكان مخطط البناء ومواده وتأثيث البيت مرتبطا بالمستوى الاقتصادي والاجتماعي ، وربما الحرفي للملكه ، وبعدد افراد الأسرة والخدم والعبيد ، ولذلك ربما ضمّ المنزل الواحد طابقين .

وقد حددت القوانين أجرة بناء الدار استنادا لمساحته والعقوبة لمن شيّد دارا وسقطت وقتلت احد سكانه كما جاء في المادتين (٢٢٨ و ٢٣٣) من قانون حمورابي .

لقد جعل العراقيون القدماء بيوتهم بسيطة تقوى على مواجهة التقلبات المناخية لذا استعاضوا عن الشبائيك الواسعة بفتحات صغيرة مربعة او دائرية للتهوية والانارة كانت تغلق في الغالب بقطعة منقبة من الآجر تسمح بدخول الهواء والضوء وتمنع دخول الحيوانات . وجعلوا جدران البيت سميكه واستخدموا الرمل الجاف في أسس الابنية والأخشاب والحصران للتسقيف وطلوا الأوجه الداخلية السفلى من الجدران بالجير لمنع تسرب الرطوبة اليها فيما طليت الجدران من الخارج في الغالب باللون الأبيض لكي يعكس وهج الشمس الحارة في الصيف . وكانت أرضية الساحات والغرف تبلط بالآجر احيانا ، وغالبا بطبقة من الطين المزوج بالقش او التبن (تبن)^(٥١) . وقد بنيت البيوت من اللبن او الطابوق ، وأحيانا من القصب واستعملت الدعامات الخشبية والأبواب وعضاداتها واقفاها في البيوت المورسة^(٥٢) .

اما الانارة فكانت تتم بوساطة المشاعل المكونة من حزمة من القصب غطيت بالزيت او القير او بوساطة المسارج على شكل الخداه والتي كانت ترمز لآله النار (نسكو) . والمسرجة تتكون من اناء صغير للزيت مع فتيلة صنعت من القصب او الصوف تبرز للأعلى من خلال ثقب صغير . والوقود المستخدم هنا هو زيت السمسم اوزيت الزيتون ، اضافة الى وجود اشارات عن استخدام النفط الخام الذي كان يسمى (زيت الحجر) . وكانت تدفئة المنازل شتاء تتم بحرق اغصان الأشجار او فضلات الحيوانات داخل مواقد صنعت من الفخار^(٥٣) .

أثاث المنزل :

على الرغم من أن النصوص المسارية قد زودتنا بقوائم مفصلة ومفهرسة لكل شيء تقريبا وبضمها

اثاث المنزل ، فان معظمها بقي غير معروف لحد الآن . ولم تكن كل عائلة في آشور القديمة تمتلك قطعاً من الأثاث المتنوع ، فالفرد العادي ربما عاش حياته دون أثاث عدا حصراً قليلة كانت لأغراض الجلوس او النوم وفي نهاية حياته للدفن .

من القطع الأساسية في تأثيث البيت الآشوري المقعد المصنوع من القصب على هيكل خشبي ، ولكن أثرياء المجتمع الآشوري كانت لديهم مقاعد صنعت من أخشاب قوية وطعمت بالعاج او الذهب . اما المقاعد الطويلة المعملة من اللبن او الطابوق ونادراً ماتصنع من الخشب والتي كانت تثبت على طول الجدران ، وظهرت دلائلها الأثرية منذ عصور مبكرة في المعابد والمنازل ، فان مصادرنا عنها في الفترة الآشورية الحديثة قليلة قياساً الى الفترات السابقة^(٥٤) . ويبدو ان افراد أسر العوائل الفقيرة كانوا يجتمعون قعوداً على الأرض بعد فرشها بالحصران^(٥٥) .

وهناك ادلة آشورية غزيرة عن الكراسي ذات الهياكل المصنوعة من أخشاب مختلفة زينت في بعض الاحيان بتطعيم من البرونز او العاج المنقوش او الفضة او الذهب ، وربما غطي مقعدها بالحصران او ليف النخيل وحشي باللباد ، وأحياناً كانت تزود بأغطية كتانية سائبة على جوانبها ، وكذلك مساند او اعمدة يرفع عليها قطعة قماش تقي الجالس عليها من وهج الشمس ، حيث كان لدى الملك الآشوري سنحاريب مايمثلها .

اما المناضد فقد صوّرت على المنحوتات ، وكانت تصنع عادة من الخشب وربما طعمت بالمعادن الثمينة ، وفي بعض الاحيان صيّت المنضدة من البرونز . وكان هنالك نموذج شائع للمناضد في آشور في الألف الأول ق. م بشكل مربع صغير متناسق ذي اربع أرجل مزخرفة قد تنتهي بشكل ظلف الثور . كذلك استخدمت الملاءات المعملة

من الكتان لتغطية المناضد ، فضلاً عن المناديل التي كانت تقدم الى تناول الطعام ليجفف بها يديه بعد غسلها عند الانتهاء من تناول الطعام . ومن مستلزمات المناضد الملاعق التي صنعت عادة من الخشب او المعدن ، وأحياناً من العاج وكانت الملاعق في عصور مبكرة تصنع من القار ، على الرغم من أن طريقة الأكل الشائعة كانت بوساطة اليد ، ووجد ما يشابه الشوكات ذات أصبع واحد مصنوعة من العظم . وهناك أيضاً السكاكين والشفرات (المدى) المصنوعة من البرونز والحديد ، وكذلك الصوان الذي استمر استعماله منذ العصر الحجري الحديث ، وقد عرفت أيضاً السكاكين الصغيرة او (المطواة) .

اما الأسرة فكان استعمالها محدوداً ، وفي الأسر المترفة كان استعمال السرير مقتصرًا على رب الأسرة ، أما بقية افراد العائلة فكانوا ينامون على الأرض ويلتحفون بالجلود او "البطانيات" كما أشارت النصوص المسامرية لذلك ، وربما استخدمت الدكاك لغرض النوم اضافة للجلوس^(٥٦) . وقد صورت الأسرة الخشبية على المنحوتات الآشورية وذكّرت كثيراً في النصوص الطبية حيث ان المريض كان يمدد على السرير^(٥٧) .

صنعت الأسرة عادة من هيكل خشبي شد بالحبال او النسيج الداخلي للقصب او بشرائط معدنية ، وبعضها جهز بجوانب خشبية . وكان السرير يستند على ارجل خشبية ربما كانت بأشكال مزخرفة او نحتت نهاياتها بشكل ظلف الثور او بشكل الخلب . اما أسرة الملوك فرمما صنعت من الذهب او الفضة او كُتفت بالعاج المنقوش . وكان هنالك الفراش الذي حشّي بالصوف او شعر الماعز او ليف النخيل وكانت اغطيته من الكتان او الصوف ، ويحتمل بأن تكون هنالك وسائد ، وقد استعملت كذلك مكملات للأسرة ، وحصران

وضعت على الأرض من جانب واحد من السرير او من كلا جانبيه^(٥٨).

وكان المطبخ يشغل احدى الغرف الصغيرة او زوايا الساحة الوسطية حيث ضم موقدا للطبخ وتنورا للخبز، وقد ضم المطبخ بعض الخزانات التي تراوحت بين علب صغيرة من الخشب او الجلد الى الخزانات الكبيرة المصنوعة من الخشب والتي امكن تمييز نوعين منها استخدما لحفظ الخضروات. وربما استخدم القصب ايضا لصنع الخزانات الكبيرة والتي اذا ما طليت بالقار من الداخل كان بإمكانها حفظ الأوعية ذات السوائل. واستخدم العاج ايضا، إلا انه اقتصر على بضع علب صغيرة نظرا لارتفاع ثمنه^(٥٩).

ومن الأدوات الأخرى أوان كبيرة من الفخار لحفظ الماء، وطاسات من الخشب او النحاس لحفظ الطعام والسوائل، وجرار خزفية وقدر، وقوارير شرب خزفية او معدنية، وقناني زجاجية، وكؤوس، وأطباق، وصحون، وحباب، وطاوات، ومدقات، وهاونات، ومطاحن، ومجارش، وطاسات، ومغارف طينية، وامثلة نادرة من الأدوات المنزلية من الفضة او الذهب، فضلا عن جرار خاصة لتخزين النبيذ تتسع الواحدة منها لعدة غالونات عثر على امثلة لها في نمرود^(٦٠).

الأزياء :

ان معظم مصادرها عن الملابس في آشور تتركز على نوعين رئيسيين: الأول هو المعاجم اللغوية، على الرغم من ان معظم الصيغ الواردة فيها والخاصة بالملابس بقيت غير معروفة لحد الآن، والثاني هو الاعمال الفنية كالمحتوات، والنقوش البارزة، والصفائح المعدنية، والنقوش العاجية، وأخيرا الاختام الاسطوانية^(٦١).

كانت الملابس في الغالب تخدم مفاهيم سحرية حيث لعبت الألوان دورا في هذه المفاهيم، وبخاصة

اللونان الأبيض والأحمر^(٦٢). فالملابس الاحتفالية للملوك وكبار الكهنة كانت تعد رمزا للوراثة على العرش^(٦٣)، فيما تألفت رداء الملك الاعتيادي والذي نراه مثلا في المحتوات البارزة من قطعة تلف حول الجسم كالساري بحيث يشكل احد طرفيها قميصا والآخر غطاء للرأس والكف، وكان يزين بوفرة بالحلي والمجوهرات على شكل ورود مزخرفة بمشاهد دينية، وقد صنعت هذه الحلي من الذهب، والفضة، او البرونز^(٦٤). وتراوح هذا القميص بين الطول والقصر وحيثما ينزل الى أسف، الركبة يكون الجزء الامامي منه او من جانبيه مفتوحا وينتهي بشراشيب^(٦٥). وفي حالات الصيد والحروب ارتدى الملك ملابس بسيطة الشكل مشابهة لما هو معروف اليوم باسم (الدشداشة).

اما الرجال من الموظفين العسكريين او المدنيين فقد ارتدوا قميصا يصل حتى الركبة وفوقه عباءة صنعت عادة من الصوف وأحيانا من الكتان او القطن وتادروا من الجلد وألوانها تضمنت الأزرق، والأحمر، والأرجواني، والأبيض. وقد نصت المراسم الملكية على أنه اذا اقترف احد رجال الحاشية ذنبا فان عباءته ستخلع عنه، وفوق العباءة مباشرة كان هنالك رداء يشد على الرقبة يشبه رداء الكاهن الكنسي.

أما ملابس العامة والجنود المشاة فكانت قميصا فضفاضاً لا يتجاوز الركبة قصير الأكمام يشده حزام على الخصر والقسم أسفل الحزام كان متساوي الطول في الشراشيب العمودية، اما الجزء العلوي منه فنشاهد في بعض الأحيان اربطة جلدية تتحدر مائلة من كلتا الكتفين وتتقاطع عند الصدر.

وملابس النساء مكونة من قطعة قماش تمر بين ساق المرأة لتغطي عورتها وتربط حول وسطها وفوقها وزرة فضفاضة من الكتفين حتى الكاحل قصيرة الأكمام ويشد على الوسط زنار^(٦٦). فيما كانت ملابس الملكات تتألف من ثوب يصل حتى

الحلي ومتطلبات الزينة :

ارتدى الرجال والنساء على حد سواء المجوهرات ، رغم انها كانت غير متشابهة ، فساء العامة ارتدين الخلاخل وهو تقليد استمر بين النسوة الريفيات في العراق حتى الوقت الحاضر. اما نساء الأثرياء فقد ارتدين حلياً زينت صدورهن صنعت من مواد نفيسة واحجار كريمة ، وبعضها تضمن قلائد من العقيق الأبيض وسلسلة ذهبية وجد ما يماثلها في القبور وارتدى الرجال ما يشابهها وقد عرف ذلك من عقيقة حملت كتابة مسمارية تذكر «جوهرة رقبة تعود الى توكليتي - نورتا الثاني» العاهل الآشوري الذي حكم بين ٨٩٠ - ٨٤٤ ق. م.

ورما ارتدى الرجل ايضا تعويذة سحرية في رقبته بشكل رأس غفريت كتب عليها عبارات سحرية لابعاد الشياطين. وارتدى الرجال والنساء من الأغنياء الأساور في معاصمهم والتي مثلت في المنحوتات ، وكثيرا ما كان بها زينات بشكل ورود تجعلها تبدو وكأنها ساعات الرسغ . وارتداء الاقراط للرجال والنساء كان ايضا شائعا وهي ذات شكل هلامي صنعت من الذهب او الفضة ولحمت بها اشكال متدللة وقد صوّر توكليتي - نورتا الأول ١٢٤٤ - ١٢٠٨ ق. م على منحوتة مرتديا الاقراط.

استعمل الآشوريون مرايا ذهبية ، وفضية ، او برونزية كانت تصقل بنوع خاص من الجلد ، وكذلك الأمشاط التي صنعت من الخشب او العاج ، فضلا عن شفرات الخلاقة ، وعلى الرغم من أنه ليس لدينا تفاصيل عنها ، فانها كانت على ما يبدو حادة جدا بدليل حافات الشوارب والحي المحددة بدقة. وكما في كل العصور كانت هنالك مشكلة الشعر الأشيب التي عولجت باحد المحاليل وبالتعاون السحرية.

القدمين وعلى الكتف شال عريض مزين بحلي دائرية صغيرة الحجم وينتهي الثوب والشال بشراشيب كثيفة وأروع نموذج هو ملابس الملكة آشور - شرأت زوجة الملك آشور - بانيبال (١٧) .

اما لباس الرأس فكانت العمامة لرجال الدين وتزين بشرط واحد، والتاج بالنسبة للملوك والذي زين بعدة شرائط مدلاة على شكل زهرة وأفضل مثال لدينا هو تاج آشور بانيبال. اما العامة من الرجال والنساء فقد ارتدوا ما يشبه عصابة الرأس لكي يبقوا شعور رأسهم مشدودة (١٨) وقد تميز الملوك الآشوريون بلحي كتة وشوارب طويلة وشعر مموج طويل لا يغطي الآذان لكنه يتدل بالنسياب على الكتفين (١٩) . وحلق الكهنة والاطباء شعر رؤوسهم تماما اشارة الى انتابهم الى تلك الوظائف، اما الذين ظهروا على المنحوتات وغيرها بدون شعر الوجه فيحتمل أنهم كانوا اما فتيانا او مخصيين. وكان شعر النساء طويلا يساعده في بعض الأحيان ، كما ذكرت النصوص ، شعر مستعار يشد باحكام بعدة ظفائر ، أما الجواربي والاماء فقد ميّزت بالشعر المفقوص .

واستخدم الآشوريون الاحذية ، وكان الشكل الشائع منها هو الخف بكعب ربط بسير جلدي يمر فوق القدم وحول أصبعها الكبير، وهنالك ايضا حذاء يغطي كامل القدم له جزء فوق تقوسها صنع من مادة مختلفة ربما كانت قاشا طرّز بالجلد اضافة الى الجزم الطويلة التي ارتداها الصيادون عادة والرجال اثناء الحروب وكانت تلبس على جوارب طويلة ومقدمتها كانت من القماش ، اما البقية فن الجلد. أما معلوماتنا عن أحذية السيدات فهي أقل غزارة ، ولكن لدينا لوحة لزوجة آشور - بانيبال ترتدى نوعا من الشباشب تغطي واجهة القدم (٢٠) .

والدجاج ، والأسماك ، والحليب ومشتقاته ، ووردت العديد من المأكولات في المصادر المسارية ومنها (الكبة) وهنالك اشارات عن اكل الجراد ، لكنه لم يكن غذاء رئيسا بل نوعا من انواع الترف . وصنع من دقيق بعض الحبوب انواع من الكعك والحلويات بعد خلطه بالعسل والحليب وزيت السمسم وبعض الفواكه (٧٣) . اما الشراب فكان يوزع بمعدل يزيد على الفالون للفرد الواحد ، وكان يتألف من الحبة المستخلصة من الشعير وعصير التمر او نبيذ العنب ، حيث يخمر المزيج لمدة يومين او ثلاثة ثم يقدم (٧٤) .

وخزن الآشوريون الحبوب والسوائل مؤثا لهم وقت الحاجة في مخازن البيوت الخاصة والمخازن الكبيرة الخاصة بالقصر او المعبد ، فضلا عن مخازن الغلة التابعة للجيش للاستفادة منها وقت الحروب (٧٥) . وخزنوا بعض انواع اللحوم وذلك بتعليقها وتجفيفها مع أن أكل اللحم كان محظورا بصورة عامة لكنه يزداد ايام الاحتفالات والاعياد (٧٦) .

وسائل النقل اليومية :

استخدم الآشوريون وسائل نقل برية ونهرية ، فوسائل النقل البرية كانت مرتفعة النفقات ، حيث استخدمت عدة أنواع من العربات الصغيرة (٧٧) في حين استخدم الجيش عربات خفيفة صوّرت على المنحوتات الآشورية تعقبها عربات صغيرة ذات عجلتين تنقل الأسرى من النساء والأطفال ، واستخدمت الحمير لجر مثل هذه العربات (٧٨) . اما الخيول التي استخدمت لسحب العربات الاحتفالية وكذلك لصنف المركبات والفرسان فقد دخلت العراق من الشمال او الجزء الشمالي الشرقي منه في الألف الثالث ق. م ، واصبحت ذات اهمية كبرى في آشور في الألف الأول ق. م واستخدمت للذكور منها بصورة خاصة

اما النساء فقد استعملن الكلابات او الدبابيس وكعكات الشعر المصنوع بعضها من العاج او الخشب وكذلك المستحضرات التجميلية للعيون والبشرة . وقد عرف الكحل منذ الألف الثالث ق. م ، فالآلهة السومرية اينانا عندما كانت تستعد للزول الى العالم الأسفل وضعت على عينيها مرهما يدعى "ليته يائي ، ليته يائي" وكانت هذه المستحضرات في آشور تصنع من عجينة الأثمد وتوضع على العين ، بوساطة دبوس من العاج المنقوش .

اما الدلائل على استعمال احمر الشفاه فهي غير مؤكدة ماعدا ورود إحدى الصيغ السومرية في احد النصوص المعجمية والتي تعني "عجينة الذهب" وبالأكدية "خضاب الوجه الأحمر" (٧٩) .

المأكولات والمشروبات والمؤن :

كانت الغلة الرئيسة لدى الآشوريين هي الشعير ، تليها الحنطة بالدرجة الثانية ، والحبوب الشائعة الأخرى كانت الدخن ، وهنالك احتمال في أن الرز دخل بلاد آشور في الألف الأول ق. م . ومن النباتات الأخرى العدس والحمص ، والبصل ، والثوم ، واللفت ، والكراث ، والخيار ، والأعشاب ، والتين ، والزيتون ، والرمان ، والتمور ، والكهون ، والكثبان ، والقطن الذي أدخله سنجاريب عام ٧٠٠ ق. م واستخدم في صنع الأقمشة (٨٠) .

وقد احتوت المائدة الآشورية على انواع مختلفة من المأكولات ، وكانت وجبات الطعام تتألف من الخبز المصنوع من الحبوب التي كانت تطحن وتعجن بدون تخمير ثم تخبز اقرصا رقيقة وبأحجام مختلفة ، فضلا عن البقوليات والفواكه والخضروات ولحوم البقر ، والأغنام ، والماعز ، والخنازير ، والبط البري ، والوز ، والحمام ،

للأغراض الحربية. وكان هنالك جنسان شائعان من الخيول وبعده اللون ماعدا البيضاء التي استخدمت للمناسبات الدينية. وقد تلت الخيول نفس العناية التي لاتزال تلقاها حتى اليوم.

اما الحمير والبغال والجمال فقد استخدمت لنقل البضائع للأغراض التجارية، فالحمير، فضلا عن سحب العربات الصغيرة، كانت تستخدم للتجارة مع وسط الأناضول، كما استخدمت كحيوانات ركوب ضمن وسائل الاتصال الملكية في آشور في الألف الأول ق. م اذ كانت أكثر أمنا من الخيول في الأراضي الصخرية في حين استخدمت البغال لأغراض الحمل والسحب أكثر من الركوب^(٧٩)، ماعدا الجمال التي استخدمت للنقل التجاري عبر الصحراء العربية^(٨٠).

وازاء ذلك كانت وسائل النقل النهرية ارنحصر ثمتا وتضمنت السفن والمراكب الشراعية والقوارب التي صُورت بكثرة على المنحوتات الآشورية واستخدمت لنقل البضائع مقابل اجرة معينة للملاح^(٨١). وللأهمية الكبيرة للنقل النهرية عند الآشوريين جهزت مدينة كلخو (نرود) بمسناة عرضها ثلاثون قدما مؤلفة من صخور منحوتة^(٨٢).

اما الطوافات فقد استخدمت لعبور الانهار سياحة، وكانت تصنع من جلود الماعز والأغنام، ويستعملها الى يومنا هذا صبيان الموصل، وظهرت كثيرا على المنحوتات الآشورية التي صُورت الحملات العسكرية. وعند ربط مجموعة منها بعضها مع بعض تصبح لديها القدرة على تعويم نموذج من الاطواف يدعى (كلك) استعمل للنقل المائي على الزاب ودجلة منذ الفترات الآشورية حتى الخمسينيات من هذا القرن^(٨٣).

تجهيز وتصريف المياه :

كانت القنوات والأنهر المصدر الرئيس لتجهيز المياه، ولم تكن هناك شحة فيها، إلا ان تباين

مستوى نهرى دجلة والفرات جعل الأمر صعبا بالنسبة للرّي، لذا قام الملوك الآشوريون بأعمال هندسية ضخمة لجلب المياه الى عواصمهم بقنوات أرضية او معلقة من الجبال. فستحارب قام بجلب المياه للحدائق التي أنشأها حول نينوى بحفر قناة من (جروانة) على بعد خمسين ميلا، وعمل السداد على نهر الخوصر لرفع مستوى مياهه حيث ذكر في احدى كتاباته "لقد حفرت قناة : الى مروج نينوى وأقيمت جسرا من الصخر عبر الوادي العميق وتركت المياه تعبر فوقه" وقد فعل الشيء نفسه بالنسبة الى مدينة اربيل^(٨٤).

اما المنازل فكانت تزود بالمياه من مصادرها بالدلاء المصنوعة من النحاس والبرونز، وأحيانا من الخشب او بالقرب الجلدية، حيث كان الصبية والفتيات يقومون بنقلها الى منازلهم بأيديهم او على ظهور الحيوانات. ومن مصادر المياه الأخرى الآبار التي كانت توجد عادة اما في البيوت او الحدائق والبئر الجيدة منها كانت تبني بالطابوق وبأعماق مختلفة^(٨٥) وصل بعضها الى تسعون قدما، كما في كلخو، وذلك لتجهيز المدينة بالمياه في حالات الحصار. وكان الماء يرفع من الآبار بواسطة قدور فخارية بحجم نصف غالون تربط رقاها بالحبال لتشكّل سلسلة متصلة وتدار الى الأعلى او الأسفل بواسطة رافعة وضعت فوق وسط فوهة البئر.

وكانت هنالك نظم دقيقة لتصريف المياه القدرة في القصور الآشورية تألفت من أنابيب فخارية يتصل بعضها ببعض مدفونة تحت مستوى أرضية الغرف وتنتهي لتصب في النهر او الوادي القريب، وبهاياتها سدت بمشابك فخارية لمنع دخول الحيوانات اليها. كما ضمت البيوت ايضا مرافق صحية مشابهة لما هو موجود حاليا في معظم مدن العراق، وقد عثر في بعضها على اوان فخارية لحفظ المياه النظيفة، وفي احداها وجدت مغرفة صغيرة تشير الى استخدام المياه للتنظيف^(٨٦). اما في بيوت عامة الشعب فكان تصريف المياه القدرة يتم

الموسيقى احتفالاً بالنصر الساحق الذي حققه الجيش الآشوري على العيلاميين^(٩١).

اما العطل . فان الأعياد الدينية في الواقع كانت عطلا رسمية تتوقف خلالها جميع الأعمال والأنشطة وقد يستغرق ذلك بضعة ايام من كل شهر وليس على أساس وجود عطلة في نهاية الأسبوع كما في الوقت الحاضر^(٩٢).

الالعاب الرياضية والالعاب التسلية :

كان الآشوريون مغرمين جدا بالالعاب التي يمارسها لاعب واحد او اكثر وكان أشهرها الرماية والصيد، حيث كانوا في بعض الأحيان يصوبون سهامهم على أهداف ثابتة وأحيانا أخرى نحو الدراج . وهناك منحوتة آشورية في متحف اللوفر يبارس تبين اثنين من الصيادين يمارسان هوايتهما في احدى الغابات كما ان الملك مارس الصيد وصيد الحيوانات الوحشية وبالأخص الأسود الذي كان بالنسبة له واجبا دينيا مقدسا ، ويخبرنا تجلاتبليزر مثلا أنه قتل في اقليم غربي آشور ألف أسد تقريباً "تفيذاً لأمر الآله نورتا الذي يحبني".

ومع أن الملوك الآشوريين المتأخرين لم يمارسوا صيد الحيوانات الوحشية فإن رياضتهم المفضلة كانت صيد الاسود، حيث استوردوا أسودا من افريقيا كانوا يضعونها في اقفاص وراء اعمدة خشبية سمكة وفوق القفص خادم مهمته رفع باب القفص واطلاق الطريدة حيث يكون الملك بانتظارها في عربته وبجانبه حارسه الخاص وساقه^(٩٣).

الأمهات الشائعة ودلالاتها الدينية والاجتماعية :

كان اختيار الاسم لدى العراقيين القدماء من الامور المهمة حيث شددوا على معناه الحسن الذي

بصبا في بلاليع صغيرة في وسط ساحة المنزل اعدت لهذا الغرض ولم تكن هناك مرافق صحية فيها، اذ كانوا يقضون حاجتهم في العراء خارج منازلهم^(٩٤).

الاحتفالات والأعياد :

كانت الأعياد تقام في ايام محددة من السنة ويشارك فيها عامة الناس ومنها أعراس تميز والزواج المقدس الذي كان يهدف أساسا الى زيادة الخصب والرخاء وتكاثر الحيوانات، وكذلك تقرير المصير للملك والبلاد حيث كانت مراسمه الخاصة تقام في المعبد في الجناح المعروف باسم (كيارو)^(٩٥). ومن الأعياد الأخرى عيد رأس السنة الجديدة الذي كان يستمر أحد عشر يوما حافلة بالاحتفالات والطقوس الدينية^(٩٦).

وكان يرافق الاحتفالات والأعياد تقديم الطعام والشراب، حيث ذكر أسرحدون انه احتفل بالعيد لثلاثة ايام متوالية في ساحة معبد اي- شارا. ولاشك في أن الهدف من الاحتفال كان للاجتماع بالرعية لابرار عدالته واهتمامه بهم ومن ناحية أخرى لضمان أخلاص شعبه وجهه وولائه له. وهناك العيد الذي اقامه الملك آشور ناصر بال الثاني بعد اتمام قصره واستمر لعشرة ايام، فضلا عن حفلة تتويج الملك التي كانت تجرى في آشور في معبد الآله آشور الذي يمنح الملكية للملك الجديد^(٩٧).

وكان الانتصار على الأعداء مناسبة عزيزة وجديرة بالاحتفال عند الملوك حيث تشهد ايام الاحتفال تكريم الأبطال من القواد والمقاتلين. وقد خلّد الملوك الآشوريون هذه المناسبة على المسلات والنصب والمنحوتات كما في منحوتة الملك آشور- بانبيال التي صوّره جالسا في حديقة قصره في نينوى مع زوجته مستمتعين بتناول المشروبات وسماع

- (٩) هاري ساكر، عظمة بابل، لندن، ١٩٦٢، ترجمة عامر سليمان، ص ١٩٥.
- (١٠) عامر سليمان، المصدر السابق، ص ٤٥-٤٦.
- (١١) Saggs, Op. cit, p. 134.
- (١٢) عامر سليمان، المصدر السابق، ص ٤٥-٤٦.
- (١٣) فاضل عبد الواحد، عامر سليمان، المصدر السابق، ص ٦١.
- (١٤) عامر سليمان، المصدر السابق، ص ٤٨ و ٥٤-٥٥.
- (١٥) عامر سليمان، المصدر السابق، ص ٥٠-٥١. فاضل عبد الواحد، عامر سليمان، المصدر السابق، ص ٦٢.
- (١٦) عامر سليمان، المصدر السابق، ص ٥٤.
- (١٧) ليوا ونهايم، بلاد ما بين النهرين، ص ٩٤.
- (١٨) عامر سليمان، المصدر السابق، ص ٤٩.
- (١٩) عامر سليمان، المصدر السابق، ص ٥٢. فاضل عبد الواحد، عامر سليمان، المصدر السابق، ص ٥٩.
- (٢٠) عامر سليمان، المصدر السابق، ص ٥٠ و ٥٥ و ٦٢. فاضل عبد الواحد، عامر سليمان، المصدر السابق، ص ٥٨.
- (٢١) عامر سليمان، المصدر السابق، ص ٦٠-٦٢.
- (٢٢) عامر سليمان، المدينة والحياة المدنية، ج ١، ص ١٤.
- (٢٣) فاضل عبد الواحد، عامر سليمان، عادات وتقاليد الشعوب القديمة، ص ٨٠.
- (٢٤) فاروق الراوي، حضارة العراق، ج ٢، ص ٨٧. عامر سليمان، المصدر السابق، ص ١٥٦. فاضل عبد الواحد، عامر سليمان، المصدر السابق، ص ٦٧.
- (٢٥) Saggs, Op. cit., p. 142.
- (٢٦) فاضل عبد الواحد، عامر سليمان، المصدر السابق، ص ٧١.
- (٢٧) Saggs, Op. cit., p. 141.
- (٢٨) فاضل عبد الواحد، عامر سليمان، المصدر السابق، ص ٦٦.
- (٢٩) Saggs, Op. cit., p. 140, 143.
- (٣٠) نور الدين حاطوم، موجز تاريخ الحضارة، ج ١، ص ٢١٩.
- (٣١) فاضل عبد الواحد، عامر سليمان، المصدر السابق، ص ٧٤.
- (٣٢) ليوا ونهايم، بلاد ما بين النهرين، ص ٩٦.
- (٣٣) Saggs, Op. cit., p. 140.
- (٣٤) عامر سليمان، المصدر السابق، ص ١٥٦.
- (٣٥) Saggs, Op. cit., p. 143.
- (٣٦) ثابستيان عقراوي، المرأة: دورها ومكانتها في حضارة وادي الرافدين ص ٤٥.
- (٣٧) Saggs, Op. cit., p. 143.
- (٣٨) عامر سليمان، المصدر السابق، ص ١٦٢.
- (٣٩) فاضل عبد الواحد، عامر سليمان، المصدر السابق، ص ٧٤.
- (٤٠) ثابستيان عقراوي، المصدر السابق، ص ١٣٧.
- (٤١) Saggs, Op. cit., p. 147.
- (٤٢) طه باقر، تاريخ العراق القديم، ج ٢، ص ٨٤.

يدل على البركة او النعم الآلهية. وقد تألف الاسم من جملة كاملة لها معنى او قد يكون مركبا من اسم او صفة لأحد الآلهة الرئيسة^(٩٤). وبعض الأشخاص أطلقوا على ابنائهم اسما من اسماء شجرة النخيل العزيزة عندهم^(٩٥). أن ممارسة التسمية تلك قد انتقلت الى الشعب من الاسماء التي اطلقت على الشوارع والأبواب والأسوار وغيرها، ولذلك كان اسم سرجون يعني "الملك الشرعي" وأسرحدون "اعطى آشور أختا" وآشور بانينال "آشور خالق الابن الورث" وغيرها^(٩٦).

الحمامات العامة :

لم تكن هنالك حمامات في بيوت عامة الشعب، فقد كان أهل المنزل يستحمون في الأنهار او الجداول، ولذلك اقتصر وجود الحمامات على القصور الملكية وبيوت الطبقة المترفة. وكان الحمام يشغل إحدى الغرف الصغيرة او زوايا الساحة الوسطية حيث زود بالمياه النظيفة والمجاري لتصريف المياه القدرة^(٩٧) واستخدمت لتنظيف الأجسام بعض المواد النباتية المستحضرة المخلوطة بالزيت والطين التي بدلا من الصابون^(٩٨) وحرص القوم عند الانتهاء من الاستحمام على مسح أجسامهم بالزيت لتنعيم البشرة^(٩٩).

الهوامش :

- (١) Saggs, H. W. F., The Might that was Assyria, London, 1984, pp. 128-131.
- (٢) Ibid. p. 131 f.
- (٣) فاضل عبد الواحد، عامر سليمان، عادات وتقاليد الشعوب القديمة، ص ٥٩.
- (٤) Saggs, Op. cit., p 132, 134.
- (٥) فاضل عبد الواحد، عامر سليمان، المصدر السابق، ص ٦٠.
- (٦) عامر سليمان، القانون في العراق القديم، ص ٦٣-٧٢.
- (٧) Saggs., Op. cit., p. 133.
- (٨) عامر سليمان، المصدر السابق، ص ٤٤.

- (٦٣) وليد الجادر، الملايس والحلي عند الآشوريين، ص ٧.
- (٦٤) وليد الجادر، حضارة العراق، ج ٤، ص ٢٧٤.
- (٦٥) وليد الجادر، الملايس والحلي عند الآشوريين، ص ٧.
- (٦٦) Saggs, Op. cit., p. 164.
- (٦٧) وليد الجادر، الملايس والحلي عند الآشوريين، ص ٧.
- (٦٨) Saggs, Op. cit., p. 153 – 154.
- (٦٩) هاري ساكرز، المصدر السابق، ص ٢٠٩.
- (٧٠) saggs, Op. cit., p. 156.
- (٧١) فاضل عبد الواحد، عامر سليمان، المصدر السابق، ص ٨٧.
- (٧٢) Saggs, Op. cit., p. 154 – 163.
- (٧٣) فاضل عبد الواحد، عامر سليمان، المصدر السابق، ص ٨٨.
- عامر سليمان، المصدر السابق، ص ١٧٠.
- (٧٤) جورج كوتيتاو، الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور، ص ١٣٣.
- (٧٥) Saggs, Op. cit., p. 164.
- (٧٦) عامر سليمان، المصدر السابق، ص ١٧٠.
- (٧٧) Lacheman, E.R., Op. cit. p. 538.
- (٧٨) جورج كوتيتاو، المصدر السابق، ص ١٠٦.
- (٧٩) Saggs, Op. cit., pp. 168 – 170.
- (٨٠) فاروق الراوي، المصدر السابق، ص ٢٢٤.
- (٨١) طه باقر، تاريخ العراق القديم، ج ٢، ص ١٤٧.
- (٨٢) هاري ساكرز، المصدر السابق، ص ٢٠٦.
- (٨٣) saggs Op. cit., p. 167.
- (٨٤) عامر سليمان، المصدر السابق، ص ١٨١ و ١٩٠.
- (٨٥) Saggs, Op. cit. p. 161.
- (٨٦) عامر سليمان، المصدر السابق، ص ١٦٧ و ١٩٠.
- (٨٧) فاضل عبد الواحد، عامر سليمان، المصدر السابق، ص ٨٣.
- (٨٨) فاضل عبد الواحد، الأعياد والاحتفالات، حضارة العراق، ج ١، ص ١٨٩ – ١٩٦.
- (٨٩) عامر سليمان، المصدر السابق، ص ١٧٦ – ١٧٧.
- (٩٠) راجحة العنسي، الأعياد في حضارة وادي الرافدين، ص ٣١.
- (٩١) فاضل عبد الواحد، المصدر السابق، ص ١٩٢.
- (٩٢) هاري ساكرز، المصدر السابق، ص ١٩٨.
- (٩٣) جورج كوتيتاو، المصدر السابق، ص ٢٣٢.
- (٩٤) عامر سليمان، المصدر السابق، ص ١٧.
- (٩٥) فاروق الراوي، الحبران والنبات، حضارة العراق، ج ١، ص ٦٤٢.
- (٩٦) جورج كوتيتاو، المصدر السابق، ص ٢٧٧.
- (٩٧) عامر سليمان، المصدر السابق، ص ١٦٦.
- (٩٨) هاري ساكرز، المصدر السابق، ص ٢٠٦.
- (٩٩) فاروق الراوي، جوانب من الحياة اليومية، حضارة العراق، ج ١، ص ٦٩١.
- عامر سليمان، المصدر السابق، ص ١٦٣ – ١٦٤.
- (٤٣) موريس كروزيه، تاريخ الحضارات العامة، ج ١، ص ١٥٣.
- (٤٤) ثلامتيان عقراوي، المصدر السابق، ص ٤٤.
- (٤٥) saggs, Op. cit., p. 138 H.
- (٤٦) عامر سليمان، المصدر السابق، ص ١٦١.
- (٤٧) Saggs, Op. cit., p. 141.
- (٤٨) فاضل عبد الواحد، عامر سليمان، المصدر السابق، ص ٧٦.
- (٤٩) Saggs, Op. cit., pp. 138 – 140, 147.
- (٥٠) طه باقر، المصدر السابق، ص ٨١.
- (٥١) عامر سليمان، المدينة والحياة المدنية، ج ١، ص ١٦٤ – ١٦٦. فاضل عبد الواحد، عامر سليمان، عادات وتقاليد الشعوب القديمة، ص ٨١. فاروق الراوي، حضارة العراق، ج ٢، ص ٦٨٩.
- (٥٢) E.R. Lacheman, p. 530.
- (٥٣) عامر سليمان، المصدر السابق، ص ١٦٨، فاضل عبد الواحد، عامر سليمان، عبد الواحد، المصدر السابق، ص ٨١ و ٨٤.
- (٥٤) Saggs, Op. cit., p. 159.
- (٥٥) عامر سليمان، المصدر السابق، ص ١٦٨.
- (٥٦) Saggs, Op. cit., p. 157.
- عامر سليمان، المصدر السابق، ص ١٦٨ – ١٦٩.
- (٥٧) هاري ساكرز، عظمة بابل، ص ٢٠٢.
- (٥٨) Saggs, Op. cit., pp. 157 – 160.
- (٥٩) عامر سليمان، المصدر السابق، ص ١٦٩.
- (٦٠) فاضل عبد الواحد، عامر سليمان، المصدر السابق، ص ٨١.
- عامر سليمان، المصدر السابق، ص ١٦٩. فاروق الراوي، المصدر السابق، ص ٦٩٠.
- (٦١) Saggs, Op. cit., p. 152.
- (٦٢) وليد الجادر، الحرف والصناعات اليدوية في العصر الآشوري المتأخر، ص ٨.

الجيش في العصر الآشوري

د. بهيجة خليل اسماعيل

تمهيد:

فما بعد. وفي الوقت نفسه، جندت بعض القطعات العسكرية لحماية النقاط والمدن الحدودية من الاعتداءات الخارجية المتوقعة ووضعت تحت أمرة قادة مرتبطين بالملك مباشرة، إلا أن اتساع حدود الدولة الآشورية وامتداد نفوذها تطلب بناء قطعات عسكرية دائمة يمكن إرسالها عند الحاجة إلى تلك الحدود البعيدة لحمايتها من غارات الأعداء وهجاتهم، وكان على المقاطعات الآشورية المختلفة تقديم أعداد مناسبة من الرجال القادرين على حمل السلاح للمساهمة في حملة الملك العسكرية التي كان يعلن عنها. وهكذا ازداد تدريجياً عدد أفراد القوات المسلحة. وربما وصل في أواخر العصر الآشوري الوسيط (القرن العاشر قبل الميلاد) إلى عشرات الألوف.

ومع ذلك، تظل معلوماتنا عن تنظيم الجيش وتسليحه وتدريبه في العصور السابقة للعصر الآشوري الحديث قليلة ولا تتناسب وأهمية المنجزات التي حققها. وتزداد معلوماتنا بتقدم الزمن حتى تصبح في غاية الدقة والغزارة في العصر الآشوري الحديث، حيث زودتنا التنقيبات الأثرية في منطقة الموصل بآثار كثيرة ومتنوعة انطوت على معلومات وافية عن الجيش وتنظيمه. وفضلاً عن المنحوتات الآشورية التي حملت البنا مشاهد عسكرية متنوعة هناك النصوص السامرية الكثيرة التي حدثتنا عن الحملات العسكرية التي كان يقوم بها الملوك الآشوريون إلى الجبهات المختلفة.

ولقد كان للحملات العسكرية الكثيرة التي خاضها الجيش في بيئات مختلفة وظروف مناخية

وصلت منطقة الموصل في العصور القديمة أوج ازدهارها الحضاري وذرورة قوتها العسكرية في الفترة التي حكم فيها الآشوريون المنطقة، ولاسيما في عصرهم الحديث الذي استمر ثلاثة قرون كاملة (من حدود ٩١١ - ٦١٢ ق. م) وطبيعي أن الآشوريين لم يحققوا ذلك الازدهار الحضاري ويمتلكوا تلك القوة العسكرية التي ذاع صيتها على مر العصور في غفلة من الزمن ومن دون أسباب وعوامل عدة، بل إن المعلومات المتوافرة عن تاريخ الآشوريين تؤكد، كما سبق وأسلمنا، أن ذلك كان نتيجة حتمية لتطور الآشوريين الحضاري في مختلف الميادين، وفي مقدمتها التقدم الذي حققوه في فنون الحرب وتنظيم الجيش وتدريبه وتسليحه حتى أصبح أقوى قوة ضاربة في الشرق القديم في العصر الآشوري الحديث.

وإذاً متجاوزنا الفترات الموعلة في القدم والتي سبقت مجئ الآشوريين إلى المنطقة، ثم تتبعنا بدايات تشكيل وبناء القوات العسكرية الآشورية لاحظنا أنه لم يكن للآشوريين في عصرهم المبكر، الذي يعرف عادة بالعصر الآشوري القديم، قوات نظامية دائمة بل إن ظهور الجيش النظامي جاء في فترة متأخرة نسبياً. ومع ذلك ومع قلة المصادر المتوفرة، يبدو أنه لا بد أن كانت هناك في العصر الآشوري القديم بعض القوات المدربة المستخدمة بصورة دائمة لحماية الملك وأفراد أسرته المالكة. ثم تطورت هذه القوات وغدت تعرف باسم الحرس الملكي الذي كان نواة للجيش النظامي الآشوري

التي كانت تغلف جدران القصور الآشورية
والمسلات والتماثيل والبوابات والأسوار.

صنوف الجيش :

لما كان الطابع العسكري هو السمة الغالبة على
الدولة الآشورية منذ استقلالها فقد كان من
الطبيعي ان تغطي القوات العسكرية باهتمام
خاص من لدن السلطة الآشورية الحاكمة .

لقد تكونت القوات الآشورية في عهدها المبكر
من مجموعة من الجند كان يتم تدريبها وتسليحها
على نحو خاص ، وكانت تستخدم لحماية الملك
والبلاط الآشوري ، وتقوم أحيانا بتنفيذ واجبات
معينة ، وقد أطلق عليها اسم "الحرس الملكي"
الذي أصبح فيما بعد نواة الجيش الدائم^(١) ، وإلى
جانب ذلك كانت هناك من القوات العسكرية في
بعض المناطق الحدودية والمدن الرئيسة مايقوم
بمحاربتها من خطر الأعداء ، ثم أضيفت إليها جماعات
أخرى من الرجال القادرين على حمل السلاح من
الآشوريين ، ونتيجة للمعارك الكثيرة التي خاضتها
القوات الآشورية كانت الدولة تقوم باستنفار قوات
الأقاليم التابعة لها . وهذا الاجراء بقي متبعا الى آخر
الفرات التاريخية من حكم الدولة الآشورية .

وحدث التطور الكبير للجيش الآشوري في
الالف الأول ق. م عندما اتسعت رقعة الدولة
الآشورية مما دعا الى وجود التخصص في المهام
العسكرية فظهرت صنوف أساسية للجيش منها :

١ - الصنوف المقاتلة .

٢ - الصنوف الثانوية او الملحقه ، وتقوم بمساعدة
الصنوف المقاتلة وتبثية المستلزمات الضرورية
بحسب ما تقتضيه ظروف المعارك وطبيعتها .

ثم الحق بهذين الصنفين صنف ثالث يقوم
بالخدمات الادارية .

متباينة مع أقوام مختلفة أكبر الاثر في زيادة خبره
قادة الجيش وضباطه وجنوده واكتسابهم قدرة قتالية
عالية وتدريباً عملياً جيداً ، فضلاً عن تعرفهم على
أساليب القتال وقنون الحرب التي تميزت بها الأقوام
المختلفة التي دخلوا الحرب معها . ثم انه قد كان
لصلابة الفرد الآشوري وصبره وقدرته على تحمل
الصعاب وشعوره بأنه في محاربه الاقوام التي تهدد
حدود بلده انما يقوم بحماية وطنه تنفيذاً لرغبة اهله
القومية التي اعتقد بأنها اوحث الى الملك بالقيام
بتلك الحملات ، اكبر الأثر في زيادة قوة الجيش
ومعنوياته وقدرته على التفوق والانتصار .

وإذا استعرضنا تاريخ الآشوريين خلال الألفين
الثاني والأول قبل الميلاد وجدنا أن الآشوريين قد
تعرضوا خلال ذلك الى كثير من الأخطار
والتحديات التي اضطرتهم الى شن الحروب واقتحام
المخاطر باتجاه الشرق والغرب والشمال والجنوب
وتأديب الطامعين في أراضيهم ومياهمهم ، وان
ماحققته القوات المسلحة الآشورية في ضرب
الأعداء في أقوى تحصيناتهم العسكرية ازال خطر
الأعداء والطامعين ، وبخاصة العيلاميون ، في
السيطرة على بلاد آشور والحد من نشاطها .

وهكذا فشلت كل المحاولات لتفويض الدولة
الآشورية بل أصبحت دولة الآشوريين تنصدر
القوى المعروفة انذاك وتتبوأ مركزاً قيادياً في الشرق
القديم وانحصر زمام المبادرة في يدها على الصعيدين
العسكري والدبلوماسي في العصر الآشوري
الحديث .

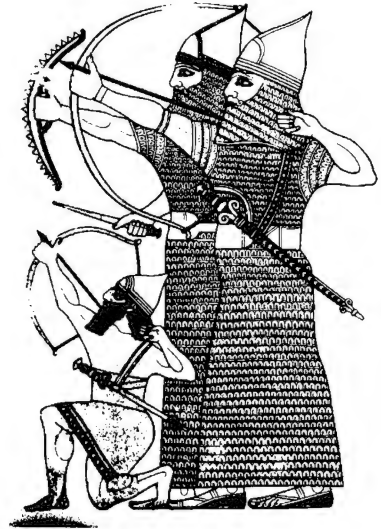
وفي الصفحات التالية محاولة لالقاء الضوء على
الجيش الآشوري واعطاء صورة موجزة عن تنظيماته
وصنوفه وقادته وأمره وكيفية تجنيد افراده وتسليحهم
وعن الخطط والأساليب القتالية التي اتبعها
والحملات العسكرية التي قام بها مستندين في كل
ذلك على ما هو مقتبس من مصادر مسيارية ومشاهد
عسكرية حملتها لنا المنحوتات الآشورية البارزة

الصفوف المقاتلة :

وهي الصفوف التي يقع عليها العبء الأكبر في القتال ، وتشمل :

صنف المشاة :

وهو من الصفوف المقاتلة المهمة ، ويؤلف القسم الأعظم من القوات ، كما هو الحال في اغلب الجيوش ، ومهمته الأساسية في القتال الاصطدام المباشر مع العدو وتحطيم قوته الرئيسية . وكان من صفات هذا الصنف الصمود والثبات والسيطرة والحركة السريعة في القتال ، ويتألف هذا الصنف من العيارين ، اي حملة القلاع ، والرامي ، ورماة السهام ، وكانوا يلاقون الأعداء تحت كل الظروف في المناطق الوعرة والمنبسطة ، وكثيرا ما كانوا يجتازون الوديان ويصعدون الى قمم الجبال ويجتازون البطائح حتى يتمكنوا من القضاء على



مقاتلون آشوريون

الأعداء ، كما يترتب على المشاة ، ولاسيما رماة السهام وحملة المقاليح ، توفير الحماية للقوات المهاجمة في اثناء الاشتباك والاختراق وذلك باستمرار القذف المكثف على العدو لمشاغلته وشل فاعليته ويكلف المشاة (الرجال) بواجبات أخرى كالحراسات واشعال النار في معدات العدو وآلاته وتأمين الحماية اللازمة للقطعات المتقدمة نحو العدو.

وكان المشاة يخضعون الى قيادات فرعية وعليا وكان يرأس كل مجموعة من المجموع المذكورة أمر. وكان لهذا الصنف من القوات تأثير بالغ على نتائج المعارك وبخاصة في مقاتلة دروع العدو وتدمير اعداد كبيرة منه وكسب المعركة .

صنف المركبات :

ترجع اغلب المصادر ان استخدام العربات في المعارك على نطاق واسع كان في العهد الآشوري الحديث (الألف الأول ق. م). وقد اثبت هذا الصنف فاعليته في حسم الكثير من المعارك ، اذ انه يشكل عنصر الاسناد القوي للصفوف الأخرى في ميادين المعارك وحصار المدن وقد استخدمت العربات بقله في المناطق الوعرة وبخاصة الجبلية منها ، وذلك لصعوبة الحركة في هذه المناطق . وكان للمركبات أهمية خاصة لانها تستخدم سلاحا هجوميا ، اذ هي في طبيعة القطعات العسكرية وتقوم بالهجوم المفاجئ والخاطف على جبهة الخصوم . وقد اختلف عدد المركبات المستخدمة من معركة لأخرى ، وبخبرنا الملك الآشوري سرجون (٧٢١ - ٧٠٥ ق. م) "بانه جهز خمسين مركبة ، ومائتي خيال ، وثلثائة جندي مشاة" واستخدمها في احدى حملاته التآديبية . كما اختلف عدد عجلات العربات من فترة لآخرى ايضا . ففي زمن الملك آشور ناصر بال الثاني (٨٨٤ - ٨٥٨ ق. م) كانت العربة ذات



عربة آشور ناصر يال الثاني تخترق صفوف الاعداء

المسيرة الى ساحة القتال، كما ان بعض المركبات كانت تحمل العتاد والذخيرة الخاصة بالمقاتلين وتكون قريبة من الجبهة.

المجتلين التي يجرها زوج من الخيول وتعمل شخصين او ثلاثة هي الشائعة وهؤلاء الأشخاص هم سائق العربة والرامي وحامل الترس.

صنف الخيالة (الفرسان) :

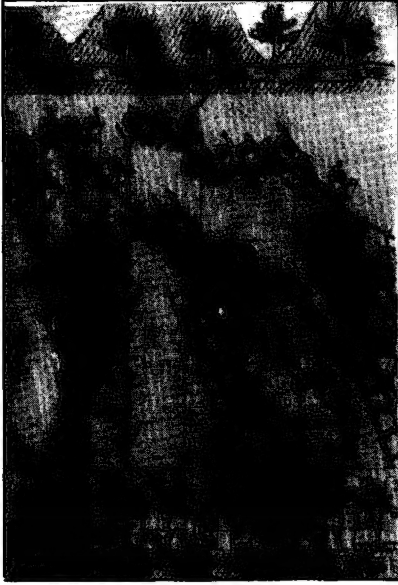
لتي هذا الصنف اهتماما بالغا من لدن الملك، حيث عتوا بترويض الخيول وترسيقها لتكون شديدة التحمل وسريعة الحركة، وقد صورت المنحوتات الجدارية جانباً من العناية بها وإطعامها وتنظيفها. ان الواجب الأساس لهذا الصنف هو الهجوم المفاجئ وبسرعة فائقة ثم القتال في أكثر من مكان واحد وتمشيط المنطقة من جيوب الأعداء، وكان يرافق الفارس أو الخيال شخص يركب جواداً أيضاً ومهمته قيادة جواد المقاتل في أثناء القتال.

وعندما استخدمت السروج انتفت الحاجة إلى الشخص الذي كان يرافق الفارس. وقد شاع استخدام هذا الصنف ويكثر في الألف الأول ق. م أيضاً، أي العصر الآشوري الحديث، لأن الخيول لم تكن شائعة الاستخدام قبل هذه الفترة على الرغم من ذكر الحصان في النصوص المسماة (العقود الاقتصادية) منذ عصر سلالة أور الثالثة (٢١١١-٢٠٠٣ ق. م) حيث ورد اسمه بالصيغة



اشور ناصر يال الثاني يقود حملة عسكرية .

وللمركبات فوائد أخرى عدا الاشتباك، منها نقل المقاتلين إلى جبهة القتال ومطاردة الهاربين من الأعداء، فضلاً عن حماية صنف المشاة في أثناء



حصار جيش سحاريب لاجدى المدن

وبخاصة الدبابات وكان مقاتلو الدبابات يقتربون من الأسوار لهدمها أو فتح ثغرة فيها ، لذلك عدّ هذا الصنف من الصنوف المهمة في الجيش ، لأنه اول من يقترب من مواقع العدو وحصونه حيث كان رجاله يسبقون المشاة لتأمين الحماية لهم والوصول الى أقرب نقطة في السور للقيام بواجبهم ، ومن واجباتهم ايضا تسلق الأسوار أو رمي النبال وكرات النار المشتعلة من داخل الدبابة على الأعداء .

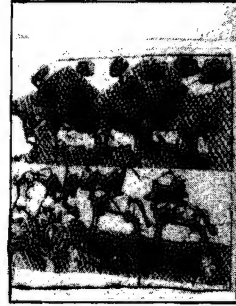
واستخدمت الأكباش فضلاً عن الدبابات ، فيذكر الملك آشور ناصر بال الثاني ما يأتي :

”تقدمت واقتحمت المدينة وبمساعدة الاتفاق وآلات الحصار والمقاليع والأكباش واستوليت عليها“.

كانت الاكباش تضم برجين أحدهما مفتوح وعليه جنديان من رماة السهام والآخر مغطى بواقية للرأس يحتوي من الأعلى على عدد من المزاغل ،

السومرية بالمصطلح ANSE. KUR.RA “حمار الجبل” وباللغة الأكديّة اطلق عليه لفظة (سيّس) “sisu” وهذا يعني ان الخيول كانت معروفة منذ عصر السلالة المذكورة ، وربما منذ فترة أقدم .

ومن الواجبات الأخرى التي تقع على الفرسان الالتفاف على العدو من الخلف وشل حركته أو مطاردة العدو بعد ايقاع الهزيمة به لمنعه من اعادة تنظيم صفوفه (٢) .

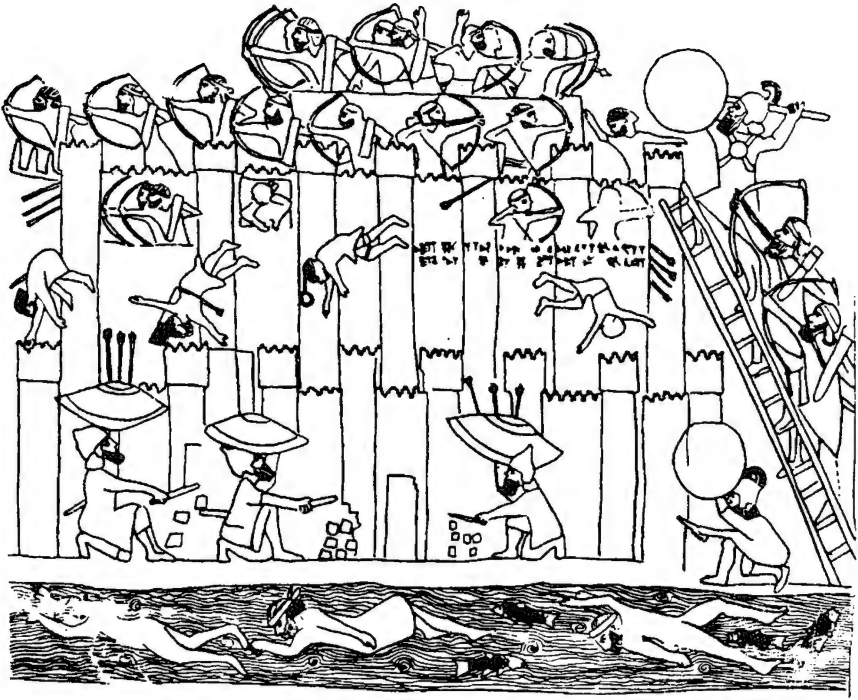


خيالة ومقاتلون اشوريون

صنف المهاجمين بآلات الحصار:

ويضم المهاجمين الذين استخدموا اسلحة الحصار للهدم والتسلق ، وكان لهم دور فعال في تحقيق النصر والسيطرة على المدن ، وكانت أهم آلات الحصار الكباش والدبابات والأبراج والزحافات ومواد أخرى مساعدة كالسلام والحبال التي تستخدم للتسلق وأدوات تستخدم للهدم وإحداث ثغرات في الاسوار لكي يتمكن الجنود المهاجمون من الدخول الى المدن المحصنة .

كان القادة عند محاصرتهم للمدن والقلاع يسارعون الى تهيئة اعداد كافية من آلات الحصار

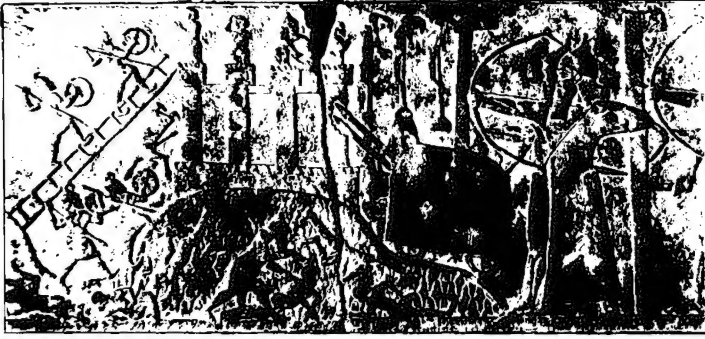


منظر بين اساليب الحصار الآشورية

ولا يفوتنا ان نذكر أن الآشوريين استخدموا
الاكلاك والقرب والتقف في عبور الأنهار. كما
استخدموا الزوارق الصغيرة والكبيرة الحجم ، وقد
نقلت الينا بعض الألواح الجدارية مشاهد خاصة
بوسائط النقل النهرية والبحرية تعود الى زمن
سنحاريب وآشور بانيبال. وهذه الألواح معروضة
حاليا في المتحف البريطاني في لندن ، كما ورد ذكر
لها في كتابات الملوك نذكر منهم على سبيل المثال لا
الحصر الملك شيلمنصر الثالث (٨٥٨ - ٨٢٤ ق.م.)
حيث يقول :

”لحقت فلول الأعداء في القوارب المصنوعة
من الجلد واشتبكنا في نزال عنيف فألحقت الهزيمة
بهم وصبغت البحر بدمائهم“^(١).

ويعتقد انه استخدم للمراقبة وكان يدفع الأكباش
عدد من الجند من الخلف. ويرافق آلات الحصار
عدد من المهندسين والعمال يقومون بأحداث
الثغرات في جدران معقل الأعداء وحصونهم
ويزودون بآلات للثقب ، وكانوا على اتصال دائم
بقواد الجيش لكي يتلقوا منهم الأوامر والتعليمات
اللازمة. ونشاهد على إحدى المنحوتات الآشورية
التي تعود بزمنها الى عهد سرجون الآشوري ممثلة
عليها صورة لأحد الجنود الأبطال وهو يتسلق
الأسوار العائدة لمدينة موصاصير في اورارتو بواسطة
الحبال ومنحوتة أخرى ترينا الجنود يتسلقون الحصون
بوساطة السلام اما آلات الهدم فكانت عبارة عن
قضيب من الحديد يثبت على العجلة من الجزء
الانامي لغرض أحداث الثغرات في الأسوار^(٢).



الآلات حصار آشورية

كانت هذه المجموعة من الجند على اتصال دائم بقواد الجيش لتلقي الأوامر والتعليقات منهم مباشرة والاياعاز بتنفيذها دون تأخير، ومهمتهم جمع المعلومات من حكام المقاطعات الحدودية والحلفاء والتجار والمراسلين والدبلوماسيين ومن المارة وغيرهم، وكانوا ينتقلون من منطقة لأخرى ويتوزعون على الطرق والمرتفعات والمسالك والمرتات الجبلية وغيرها، ومن واجباتهم ايضا مرافقة الجيش كأدلاء ليدلوهم على الطرق، فضلا عن قيامهم بحراسة الطرق والمنافذ الأخرى. وقد ورد ذكر الجنود الأدلاء والعيون في الكثير من كتابات الملوك نقتطف بعض العبارات التي وردت في كتابات الملك آشور ناصر بال الثاني (٨٨٤ - ٨٥٨ ق. م) حيث يقول :

”كنت أنتقل من مدينة لأخرى واقضي في كل مدينة مابين يوم اوليلة ثم استأنف السير بعد التأكد من سلامة الطريق“^(١). وهذا يعني انه كان يأمر بارسال العيون والعسس للاستطلاع قبل ان يغادر المنطقة والسبب في ذلك يعود الى طبيعة الأراضي التي كان يمر بها الجيش، فالأراضي الجبلية احيانا كانت تحجب الرؤية، فضلا عن كثرة الوديان العميقة والمسالك الضيقة التي تتخللها، كانت تستوجب ارسال الاستخبارات والعيون للاستطلاع.

هذه هي الأصناف الرئيسة التي يتألف منها الجيش الآشوري، وإلى جانبها صنف ملحقة او مساعدة، والتي كانت تهيئ للصنوف المقاتلة كل ما يحتاج اليه من امور ادارية بعضها فني كالقيام باقامة الجسور وحفر الآبار والخنادق، وشق الطرق وتهيشة الأطباء لاسعاف الجرحى ونقلهم والاستطلاع عن العدو، ومنها :

المهندسون :

كان لهم دور فعال في سوح المعارك، وبخاصة في المناطق الجبلية، حيث كان المهندسون يقومون باصلاح الطرق التي تعوق تقدم الجيش وقطع الأشجار، وغلق المسالك الخطيرة، واقامة التحصينات ومد الجسور واحداث الثغرات في حصون الأعداء والمعازل وأسوار المدن وغيرها من الأمور التي تتطلبها العمليات العسكرية.

الاستخبارات :

تقوم باستطلاع أمر العدو وتحركاته وقوة جيشه وخططه، ويختار لهذه المهمة العسكرية مجموعة من الجند الشجعان وذوى الخبرة والممارسة. وكان الشخص الذي يقوم بهذا الواجب يعرف باللغة الأكديّة باسم (ديال) (d yalu) ولهذه المجموعة آمر او رئيس يعرف باسم (رب ديال) (rab dayali) وربما يقابل في الوقت الحاضر رئيس الاستخبارات العسكرية^(٥).

الآشورية كان هدفها اشاعة الأمن والقضاء على الفتن والمؤامرات في ارجاء امبراطورية مترامية الأطراف احدثت بها الأخطار والتحديات من كل جانب.

وثمة أصناف أخرى تعد ايضا من الصنوف المساعدة، وهي صنف الشرطة او جهاز الشرطة الذي كان يقوم بحفظ النظام والأمن داخل الامبراطورية مثل حراسة أسوار المدن وبواباتها ومراقبة الوافدين. أي ان واجبه الرئيس هو الاهتمام بشؤون الأمن والاستقرار في الامبراطورية الآشورية ومتابعة السارقين والهاربين، وغيرهم ممن يخلون بالأمن الداخلي للدولة. ويتولى مهمة الاشراف على جهاز الشرطة شخص برتبة "راب-ريدى-كبس rab redi kibsi ولربما يقابل هذا المنصب في الوقت الحاضر مدير الشرطة العام^(٨).

وهناك بعض الصنوف الأخرى التي كانت ترافق الحملات العسكرية، منها مجموعة تقوم بالخدمات الادارية وهي توفير كافة المستلزمات التي يحتاج اليها الجيش في أثناء المعارك ومجموعة أخرى هم الفرقة الموسيقية العسكرية التي تضم مجموعة من العازفين على الآلات الموسيقية، ولربما كان يصاحبهم ايضا المغنون لانشاد الأغاني الحساسة. كما كان يرافق الحملات الحرية الأدباء الذين كانوا يلقون القصائد الحساسة ويلذكرون الأعمال المجيدة التي قام بها اسلافهم، وذلك لاتارة الجند وحثهم على القتال في سبيل الدفاع عن أرض الوطن وكرامته، وكذلك المختصون بالنبؤات ومعرفة الغيب والفنانون الذين كانوا يرسمون المسودات الأولية لمشاهد المعارك ومجموعة أخرى كانت تقوم بالخدمات الصحية، اذ كان الجيش يصطحب معه وحدة أو وحدات طبية تضم مجموعة من الاطباء والمساعدين. فالدولة أدركت الحاجة الملحة الى وجود الأطباء وتوفر العلاج اللازم للمجرحى، وكان

ومن الواجبات المهمة الملقاة على عاتق هذا الصنف كشف الكائنات والدوريات وتعقبها، ومواقع العدو وتقدير قوته واقتفاء آثاره وتحركاته.

وكان صنف الاستخبارات العسكرية يعمل بصورة متواصلة وبسرية وحذرو نقطة، ومن المرجح انهم كانوا ينقلون الأخبار الى الوحدات العسكرية او الى أمر الوحدة او الى رئيس الاستخبارات ليقوم بدوره بأخبار الملك بذلك.

فالملك سرجون الثاني (٧٢١-٧٠٥ ق. م) كان له شخص خاص يرتبط به مباشرة وهو "آشور-ريشو Assur-resu" كان يزود الملك بجميع الأخبار والمعلومات عن حكام المقاطعات والولايات التابعة له، وعن الخطط العسكرية للجيوش المعادية وقطعات الجيش من حيث النوع والكم وذلك لدرة الأخطار قبل وقوعها وضرب العصاة داخل الامبراطورية الآشورية وخارجها^(٧).

وقد استخدم هذا الصنف بكثرة في حالة السلم والحرب، ويعتقد أنه كانت هناك اشارات معينة او كلمة سر تستخدم بينهم وبين مسؤوليهم لفهم مضمون الأخبار، وبعضهم كان يحمل الرسائل السرية الخاصة، او مانسميه اليوم (سري وشخصي) سواء التي يبعثها الملك او التي يتسلمها من الملوك والحكام والمسؤولين، وقد ورد ذكر مثل هذه الرسائل بالمصطلح الأكدي "tuppum sa tuppi niširtim" ومن خلال دراسة بعض النصوص المسامرية الخاصة بالملوك اتضح لنا أن الملوك الآشوريين كانوا حريصين أشد الحرص على توفير الأمن لقطعاتهم العسكرية، وذلك من خلال احاطة حركتها بالكتمان والعمل على حجب حقيقة توجهاتها عن الأعداء، كما كانوا يقومون بجمع اكبر المعلومات الممكنة عن الأعداء لكي تساعدكم المعلومات على تجنب المخاطر ورسم أدق الخطط العسكرية، ولاعجب في ذلك إذ أن السلطة

الاطباء يوزعون على طول الجبهة ويقومون بمعالجة المرضى واسعاف الجرحى واختلاهم من ساحة المعركة ونقلهم الى المخيمات الوقتية والمعسكرات القريبة او الثكنات لمعالجتهم ومداوتهم، ويحتمل انه كان يتم نقل المصابين اما على ظهور المقاتلين او بواسطة من وسائل النقل كالعربات والخيول او على ظهور الدواب وغيرها. وقد زودتنا النصوص السامرية بقوائم تذكر عدد الجرحى من القوات المقاتلة كما وصلت اليها بعض المنحوتات يظهر فيها جندي يساعد زميله الجريح على الانسحاب من ساحة القتال ويحمي ظهر الجريح بترس وينقله الى الأماكن المعدة للاسعاف لمعالجته، وجندي آخر يحاول انقاذ زميله المصاب في المعركة.

وأخيرا لا بد من الإشارة الى دور الكاتب والمترجم في ساحات المعارك وضرورة وجودهم ضمن الوحدات المقاتلة.

اتخذت وظيفة الكاتب والمترجم صفتها الرسمية خلال العهد الآشوري شأنها شأن الوظائف الأخرى التي الحقت بالجيش فكان الكتبة (النساخ) يقومون بتدوين أخبار المعارك بصورة مفصلة ابتداء من مسيرة الجيش والمواقع والمدن التي يمر بها ثم الصعاب التي يواجهها الجيش خلال مسيرته وبخاصة فيما يتعلق بشدة الحرارة او البرودة وقلة مياه الشرب والمشكلات التي تواجه الجند عند عبورهم الموانع الطبيعية كالنحدرات الحادة والجبال الشاهقة وعبور القنوات والأنهار، وأخيرا وصف الواقعة الحربية وبطولات الجيش والانتصار على الخصوم، لأن الكاتب عاش في المنطقة الجغرافية التي دارت رحى الحرب فيها. ثم يقوم الكاتب بمجرد النتائج فيذكر عدد القتلى من الأعداء وعدد الأسرى والغنائم، فضلا عن أنه كان يقوم بتحرير الرسائل الضرورية والمستعجلة للملك وكبار المسؤولين حيث ورد في النصوص السامرية ذكر للكاتب الخاص

بالمالك باسم "tupšar šarri" وتعني حرفيا "كاتب الملك" مع العلم ان الكاتب الاعتيادي كان يعرف باسم tupšarru وكان الملك يصطحب الكاتب الخاص به في الرتل العسكري، وخير دليل على ذلك المنحوتة التي تم اكتشافها في مشروع سد القادسية (سد حديثة سابقا) في الموقع الأثري عنه، وتدل الصور الممثلة عليها الملك في عرته الحربية وهو يهاجم الأعداء ومعه الكاتب يمسك بيده رقيم طبني وقلم الكتابة، وهذه المنحوتة تعود بتاريخها الى حوالي ٧٥٠ ق. م، وهي معروضة في المتحف العراقي، وهناك منحوتة أخرى تعود بتاريخها الى زمن الملك نبختا نبليزر الثالث (٧٤٥-٧٢٧ ق. م) عليها بالنحت البارز صورة كاتبان يدونان أخبار المعارك والحروب وأخرى نشاهد عليها كاتبان يقومان بعملية جرد لرؤوس القتلى من الأعداء التي يحملها الجنود^(٩)

وكان المترجم الذي يطلق عليه باللغة الأكديّة لفظة Turgumanu المضاهية للمصطلح العربي "ترجمان" يجيد التحدث بلغات أخرى غير لغته المحلية، وكان من بين المترجمين الرابشاقة، وهو أحد القادة العسكريين الآشوريين الذي كان يجيد التخاطب باللغتين العبرية والآرامية ودليلنا على ذلك هو الحوار الذي تم بينه وبين ممثل حزقيا، عندما أرسل الملك الآشوري سنحاريب الرابشاقة الى حزقيا ليتفاوض معه بشأن المدينة التي حاصرها الجيش الآشوري وهي مدينة (اورشليم) القدس، فقد تحدث الرابشاقة الآشوري باللغة العبرية فوسل اليه ممثل حزقيا ان يتكلم بالآرامية لكي لا يفهمه الناس الذين كانوا واقفين بالقرب من سور المدينة وهذا يؤصح لنا ان الرابشاقة كان يتكلم بلغتين غير لغته الأصلية.

صاحب الفنان الآشوري الحملات العسكرية وكان يقوم برسم مسودات لتفاصيل المعارك وعند عودته الى بلاده يبدأ بنحت تلك المشاهد على

المنحوتات او الألواح الجدارية في القصور الملكية ، وقد وجدت مجاميع منها في مواقع آشورية مختلفة نذكر منها الألواح البرونزية التي تم العثور عليها في موقع بلوات من عصر الملك شيلمنصر الثالث يظهر فيها أحد النحاتين وهونيحت على كتف جبل عند منابع نهر دجلة في الأناضول^(١٠) .

اما بخصوص نقل البريد العسكري فقد قام به صنف السعاة الذي يتألف من مجموعة من الموظفين العسكريين كانوا تحت أمره مسؤول او مشرف عليهم ، وهذا المسؤول يقوم بإرشاد السعاة ومراقبتهم وتوزيعهم في محطات البريد ، وقد استخدموا الحصان والعربة والدواب لنقل البريد .

القادة :

ان المتبع لتاريخ العراق القديم يجد في خضم مسيرته وأحداثه عددا من القادة العسكريين الذين تركوا آثار سيرهم وبطولتهم التي كانت ماثار إعجاب واعتزاز تفخر وتحتذى به الأجيال على مر العصور ، فقد امتازوا بشجاعتهم ، وفروسياتهم ، وعظائمهم ، وتضحياتهم من أجل الحفاظ على أرض الوطن ورفعته مكانته وإدامة تواصل عطائه الحضاري ويأتي في مقدمة هؤلاء القادة الملك الذي كان يقود القطعات العسكرية الى ساحة القتال بصفته القائد الأعلى للجيش ، وقد ينبع عنه أحد أبنائه او كبار قواده .

ان معلوماتنا عن القادة العسكريين تبدأ بالوضوح منذ منتصف الألف الثاني ق. م وما بعده حيث ضمت المنحوتات الجدارية والقطع الآثرية مشاهد من المعارك ، فضلا عن النصوص المسارية التي تحكي لنا قصة المعارك الحربية المصورة على المنحوتات . وقد حظيت هذه المكتشفات الفريدة والنادرة والمهمة بالدراسات المختلفة سواء من الناحية الفنية او الاجتماعية او اللغوية وأمدتنا بمعلومات يستطيع الباحث ان يستنتج منها أموراً كثيرة عن قيادة الجيش وبخاصة في الألف الأول ق. م .

يأتي الملك على رأس القادة العسكريين بصفته القائد العام للقوات المسلحة ويسير في طليعة القطعات العسكرية ويقود الجيش بنفسه ، ان وجود القائد في المقدمة كان لهذين أولها توجيه القوات المقاتلة حسب اوامره بواسطة مركبته ، حيث يصعب عليه توجيهها بغير هذه الطريقة ، ويعتقد ان عريته كانت تتميز عن بقية العربات ، وربما كانت عليها اشارة معينة او راية خاصة هذا فضلا عن ان العربة الملكية كانت لها مواصفات معينة تختلف عن باقي العربات . والهدف الثاني اثاره حماس المقاتلين ورفع معنوياتهم وحثهم على القتال بوجوده على رأس الجند .

كان الملك يتابع بنفسه تنظيم الجيش وحسن استعداده للمعركة ووضع الخطط العسكرية



الملك الآشوري بعريته الحربية

وتوزيع قطعات الجيش والأسلحة المتوفرة بصورة تؤمن الاستفادة منها الى أقصى حد ممكن لكسب المعركة وكان يحشد جميع الطاقات المادية والمعنوية لتحقيق النصر، وكان يعمل على سيادة روح النظام والانضباط في جيشه لأنه كان يعلم ان ذلك من مستلزمات النجاح والنصر، واعتمد في اتخاذ القرارات ومتابعة تنفيذها المقاتلين لها على دور القيادة .

وكان الملك يظهر في مقدمة الجيش حتى في الاستعراضات العسكرية لانه رأى نفسه بالدرجة الاولى قائد الجيش الآشوري وانه يقاتل من أجل نشر الحق الالهي . وقد وصلت البنا مجموعة من الملاحم الآشورية وهي قطع أدبية تنطرق الى موضوعات سياسية وتاريخية، اذ تصور لنا الملك الآشوري بطلا ، وهو في مقدمة رجاله نكتطف من هذه القطعة الأدبية بعض المقاطع :

”لقد قبل جنود آشور دعوة الملك الى الحرب ، وتبعوا الملك القائد ليقاتلوا وهم يرون الموت في الأعين ، انهم يطلعون الى عشتار راجين رحمتها ، ويمجدون السيدة في معمة القتال ، انهم يندفعون بضراوة في حومة الوغى ، يلوحون بالحراب رقص الرجال الأشداء الأقوياء في لعبة السلاح الفتاك ، أمام القائد البطل انه الملك “.

كان يحيط الملك عندما يخطب الحملة مجموعة من الحراس الراكبين والراجلين ومهمتهم الدفاع عنه حتى الموت لأنه كان يقوم برعايتهم والسهر عليهم ، وقد كان لحب الجند للملك أبلغ الأثر في احراز النصر على العدو.

ولكثرة واجبات الملك وتنوعها فقد اضطر احيانا للاستعانة بالقادة في قيادة بعض السرايا العسكرية، لذلك اختار بعض القادة لمساعدته في قيادة الحملات وتحقيق أهدافها . وفي بعض الأحيان كان ينوب عن الملك في قيادة الجيش ابنه وولي عهده

وذلك في حالة غياب الملك او عندما يكون الملك كبير السن او في حالة عجزه او اصابته بمرض او عندما يكون مشغولا بادارة دفة الحكم وتسيير أمور المملكة في الداخل ، فعندئذ تناط مسؤولية قيادة الجيش بولي العهد لتدريبه على تحمل المسؤولية^(١١) . فالملك أسرحدون أمر بتلقين ابنه آشوربانيبال فنون الحرب والقتال وعهد اليه مهمات عسكرية وكذلك فعل الملك الآشوري سرجون عندما عين ابنه سنحاريب قائدا عاما للقوات المرابطة على الحدود الشمالية وكان يرافق ولي العهد في حملاته ضابط برتبة ضابط ركن ومجموعة من الجنود الحراسته .

وللتطور الذي أصاب الجيش فقد اهتمت الدولة باختيار القادة الذين تناط بهم مسؤولية العمليات العسكرية وهم ”الترتانو“ Turtanu وكان هذا المنصب يمثل أعلى رتبة في الجيش الآشوري ويأتي بعد الملك وربما يقابل منصب رئيس اركان الجيش او رئيس اركان حرب القوات المسلحة الآن .

وكان يقود الحرب نيابة عن الملك او بدلا عنه وأحيانا كان ينوب عن الملك في ادارة شؤون الدولة ، وهو المستشار الخاص للملك ايضا .

ورد في النصوص المسامرية ذكر ”ترتان ثان sanu turtanu وهذا المنصب يمثل مرتبة أدنى من مرتبة الترتان ، ولكنه من المناصب العسكرية المهمة ، ولربما كان بمثابة نائب رئيس اركان الجيش او معاون رئيس اركان الجيش وربما يكون المستشار الثاني للملك في الأمور العسكرية ، وكان يقود العمليات العسكرية ويشرف عليها .

ثم يليه منصب الرباشقة ”rab šaqe“ الذي كان ايضا يصاحب الحملات العسكرية ويقوم بقيادتها ويكلف ايضا بمهام عسكرية خاصة . وقد تولى الرباشقة ادارة احدى الولايات الآشورية في زمن الملك تحلا تيليزر الثالث .

الآشوريين، وكان هؤلاء يستخدمون لحماية الملك وتتخب تلك المجموعة من بين المقربين والذين يدينون بالولاء المطلق للملك، وقد أطلق عليهم اسم الحرس الملكي، وورد ذكرهم في النصوص المسبارية بصيغة (قربوت) qurbuti المضاهية للكلمة العربية القرى "أو" المقربون "ومرور الزمن انضم اليهم افراد من غير الآشوريين من المعروفين بولائهم للملك ايضا، وكانوا يكلفون بمهام خاصة عند الضرورة بالاضافة الى الحماية الدائمة للملك وللبلاط الآشوري.

ولما اتسع مسرح العمليات العسكرية باتساع رقعة الامبراطورية الآشورية أصبح القوام العددي للجيش لايني بالمرام، لذلك تم تأليف جيش نظامي دائمى قوى من حيث الكم والنوع وكان مركز اقامته في العاصمة والمدن الرئيسة

للالامبراطورية الآشورية، وفضلا عن ذلك فان الدولة غالبا ماتلجأ الى عملية تجنيد اعداد أخرى من الجند اذا مادعت الحاجة الى ارسال قوات كبيرة العدد حيث يفرض العدد المطلوب من الجند على كل مدينة او ولاية وهؤلاء يجندهم الحكام المحليون للمقاطعات الحدودية للامبراطورية، ويظهر أن الحكام الذين يعينهم الملك كانوا مسؤولين عن استدعاء المقاتلين وتجهيزهم عند الضرورة بعد ان يتم تدريبهم في مناطقهم وتجهيزهم للحرب ووضعهم في حالة استعداد تام للقتال، ثم ارسالهم الى الجهة التي يوصى بها الملك، وقد ورد في رسالة وجهها أحد الأمراء الى الملك أسرحدون العبارات الآتية :

"انخني اليك اجلالا، ياسيدي الملك، قت بواجبي وفي ما أمرتني به من اليوم السابع والعشرين الى اليوم الثامن والعشرين جمعت الجند في المدينة وأنبأتهم بأوامركم وسوف نرسل لكم العدد المطلوب" (١٣).

وكانت الدولة تستعين بفئات أخرى عند الحاجة، وقد أطلق عليهم اسم "دكوت" dikutu

ومن المناصب العسكرية الأخرى "رب موجي" rab mugl وهو مبعوث الملك للشؤون العسكرية الى البلدان الخارجية ولربما تقابل في الوقت الحاضر وظيفة ملحق عسكري ورتبة عسكرية أخرى عرفت باسم "رب ش ريش" rab sa reši ويقابلها بالمصطلح العربي كبير الضباط، وكانت مهمته الأشرف على الشؤون الادارية والمالية لضباط الجيش وربما تقابل وظيفة المدير العام للشؤون العسكرية. ثم يلي هؤلاء ضابط برتبة رب كيسير rab kisir التي تعني كبير او رئيس او أمر المجموعة وتضاهي منصب أمر السرية الآن.

وهناك ضابط من ذوى الرتب الصغيرة مثل رئيس الخمسين "رب خمشي" rab hamsi أى أمر فضيل تحت أمرته فضيل يتألف من خمسين جنديا ورئيس السبعين اي أمر فضيل يتكون من سبعين جنديا ورئيس العشرة اي أمر العشرة اي فضيل يضم عشرة جنود ثم أمر البوابات الذي يقوم بحراسة بوابات المدينة (١٤).

كان معظم القادة العسكريين البارزين من الطبقات العليا، وكان النظام العسكري يعتمد على وحدات من الجند يتبع حكام الأقاليم، ثم ادججت هذه الوحدات في جيش منظم يخضع الى قيادات فرعية وعليا.

كان قادة الجيش الآشوري وعلى رأسهم الملك مخططين عسكريين ممتازين ولهذا فقد تأكد تفوق خططهم العسكرية على خطط الأعداء، هذا فضلا عن جودة معارفهم الحربية على معرفة الأعداء قادمهم من نصر الى آخر، كما أفادوا من معرفتهم بطبيعة أرض العدو فاختراروا بأنفسهم الموضع الملائم للمعركة.

تجنيد وتدريب الجند :

كان الجيش الآشوري في عهده المبكر يجند من الرجال الاشداء القادرين على حمل السلاح من

كما كان القادة يعملون على اعداد المقاتلين اعدادا معنويا عاليا ويغرسون روح التضحية والبطولة والشجاعة في نفوسهم.

ولا بد لنا من الاشارة الى ان بعض الأشخاص كانوا يحصلون على عفو خاص من الخدمة العسكرية، لأسباب تتعلق بحاجة الدولة الى خدماتهم، وكان يوسع المطلوب للخدمة العسكرية بتقديم شخص آخر يتخدم عوضا عنه (البدل الشخصي) او دفع البدل بالمواد العينية كالزيت والحبوب والمعادن، وربما يقابل الآن (البدل النقدي) وكانت عملية التطوع معروفة ايضا وتشكل رافدا آخر لعملية تجنيد المقاتلين وتهيئة القوات اللازمة للدفاع عن الدولة وحماية أمنها، وكان ينضم الى الجيش عند مسيرته الى ساحة القتال الكثير من المتطوعين وأغلبهم من أهل القرى والأرياف الذين تركوا قراهم وأرضهم وعرضوا خدماتهم على الجيش.

لم نتحدثنا المصادر عن حدود عمر المقاتلين الدنيا وعن سن الالتحاق بالخدمة العسكرية، ولكن يبدو ان الالتحاق بالخدمة العسكرية ربما كان يبدأ من سن الخامسة عشرة وتنتهي بانتهاء قابلية الجند على حمل السلاح والقتال دون التقيد بعمر معين وسن محدودة، اما عن عدد الجند فليس هناك ارقام واحصاءات ثابتة، غير ان هناك بعض الاشارات ترد في النصوص الخاصة بكتابات الملوك يمكن من خلالها التعرف على عدد الجند لفترة من الفترات، فيذكر الملك آشور ناصر بال الثاني (٨٨٤ - ٨٥٨ ق. م) مثلا ان عدد الجنود المشاركين في معركة القرقار بلغ خمسين الف مقاتل، ويذكر شيلمنصر الثالث (٨٥٨ - ٨٢٤ ق. م) بأن عدد المقاتلين المشاركين في حملته العسكرية بلغ مائة وعشرين الف جندي. وكان يتم تدريب الشباب في مراكز تدريب خاصة وربما في المعسكرات او الشكتات

التي تعني "النفير" وفي نصوص أخرى dikūt māti أي "جيش البلاد" وكانت عملية اعداد المقاتلين واستنفارهم تعلن في كل سنة تقريبا حتى اذا لم تكن هناك حملات عسكرية وانما للاستعراض العسكري. وعند قيام الحملات العسكرية كانوا يخرجون الى القتال تلبية لواجب مقدس، فلم يتخلف عنهم الا من له عذر مشروع، واذا ما نودي للحملات وتخلف عنهم احد تعرض الى عقاب شديد. فقد جاء في احدى الرسائل الموجهة من الملك الى احد الحكام "انذر المتخلفين من الجند بالتعرض للعقوبة الشديدة وأمرهم بالالتحاق بالجيش" وربما كانت العقوبة المترتبة عليهم تصل الى الاعدام.

كان الملك يقوم بالحملات عادة في شهر تموز او بعده، واحيانا في الشتاء ويعود في ذلك الى انتهاء موسم الحصاد طالما كان الجيش يتألف بشكل رئيس من المزارعين القادرين على حمل السلاح، الذين كانوا يستنفرون في المدن والقرى والأرياف للمشاركة في الحملات العسكرية حين تقتضي الحاجة ذلك. اما في حالات السلم فكان الرجال يعودون الى مزاولة اعمالهم الاعتيادية.

وفي زمن الملك الآشوري سرجون أصبح التجنيد الزاميا بالنسبة لسكان المدن الخاضعة للآشوريين، وأصبح التجنيد الازامي من أبرز التنظيمات العسكرية للجيش الآشوري، فقد تم تجنيد فرق عسكرية من القبائل والأقاليم التابعة لها من الجنود المحترفين، فأصبح الجيش يتألف من الآشوريين، فضلا عن العناصر الأخرى، وأصبحت لهؤلاء مكانة لا تقل عن مكانة الجيش الآشوري حتى ان بعضا منهم انخرط في خدمة الجيش الملكي النظامي، وبهذه الطريقة تمكن الآشوريون من تجميع اكبر عدد من المقاتلين وتدريبهم وتسليحهم لمواجهة العدو والتغلب عليه.

البعيدة عن أهلهم. وكان عليهم ان يلبسوا ملابس لم يعتادوا عليها ويلتزموا بالأوامر والتعليمات كما هو الحال في وقتنا الحاضر. حيث كان يوفد الشباب الى تلك المعسكرات لكي يتعلموا فنون القتال. او كان يتم تدريبهم في مناطق سكنهم على يد الضباط المسؤولين في الجيش ويشرف عليهم ضابط برتبة آمر.

لم يقتصر تدريب الجند على الشباب الآشوريين فقط بل شمل سكان المدن الحدودية التابعة للإمبراطورية الآشورية وأسرى الحرب.

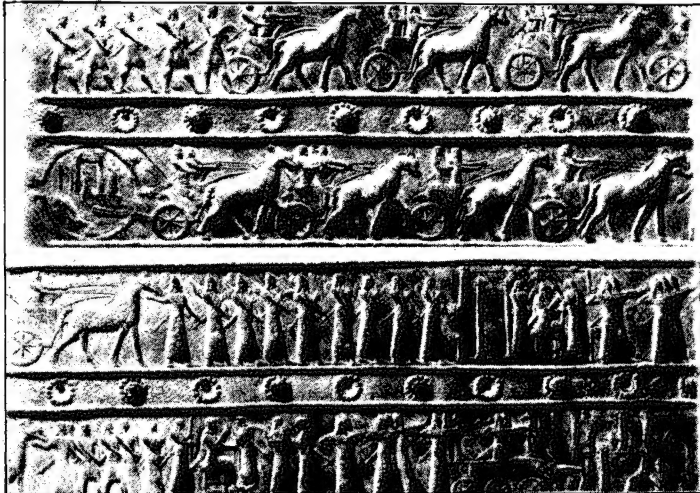
وبعد الانتهاء من الفترة المحددة للتدريب كان يتم توزيعهم على صفوف الجيش ويختار المسؤول المتميزين منهم للانضمام الى صنف الخيالة (الفرسان).

أساليب القتال :

ليس لدينا معلومات وافية عن أساليب القتال التي عرفها الآشوريون، ولكن من خلال قراءة النصوص المسماة ودراسة المنحوتات الجدارية

المثلة عليها مشاهد عسكرية مختلفة اتضح لنا ان الآشوريين اهتموا اهتماما بالغاً ببناء جيش قوي يدرأ عنهم اطماع القوى الخارجية والحد من توسعها، فقد ساهم الجيش الآشوري مساهمة فعالة في ترسيخ وحدة العراق وحمايته من التجاوزات التي قام بها بعض من الأقوام والدول الأجنبية المجاورة خلال بعض الفترات التاريخية الضعيفة حينما كان العراق يتناهبه ضعف سياسي وتفكك نتيجة لتعدد السلالات الحاكمة وبخاصة في اواخر الألف الثاني ق. م، ولكن من مطلع الألف الأول ق. م قام الآشوريون بتشييد صرح اكبر امبراطورية معروفة في تاريخ الشرق القديم، وكان من أهدافها الأساسية تحرير الأجزاء التي تجاوزت عليها الأقوام الأجنبية ومنهم العيلاميون في الشرق وفي القسم الجنوبي، وكذلك الأقوام الغربية الأخرى التي حاولت أن تأخذ رقعا من الارض لتضمها الى حدودها مما اضطر الآشوريين الى الدفاع عن بلدهم وشن الحملات الحربية عليهم.

امتاز الآشوريون باستخدام أساليب متنوعة في القتال، وبرعوا فيها براعة أدهشت أعداءهم،



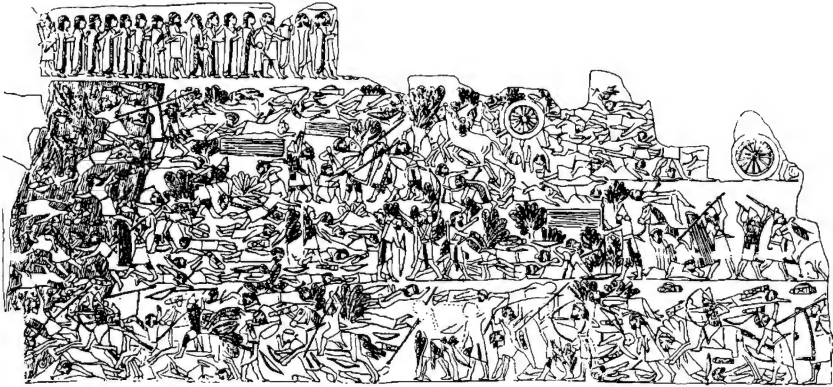
مشاهد حربية منقوشة على صفائح من البرونز كانت تغلف باب قصر آشوري في بون

الأعلى او من ينوب عنها وذلك لضرورة احكام القيادة وتحقيق مبدأ السيطرة على المقاتلين مما يساعد على سهولة الاتصال بالجند وتوجيههم ومراقبتهم عن كثب ، يضعون وراء صفوفهم عند القتال الحيوانات والمؤن وبعض التجهيزات الضرورية بغية تأمين الحماية وإعاقة العدو من الالتفاف على مؤخرة الجيش .

ومن أساليب القتال الأخرى إيهام العدو بوجاهة الحملة العسكرية ، فكان القائد حريصا على توفير الحماية لقواته والعمل على حجب حقيقة توجه الحملة عن أعدائه ، فاذا أراد ان يقوم بمعركة وري بغيرها من أجل ان يفاجئ العدو. ان هذا التكتيك

ودلت على عبقريتهم وامكاناتهم القتالية العالية . وكان القادة عندما يهيئون للحملة الحربية يؤكدون على التمسك بالحذر وكتبان أمر الحملات ليفوتوا على العدو فرصة التهيؤ ويرسلوا مجموعة من الجند تستكشف الطريق وتتحقق من عدم وجود كائنات او ارصاء للعدو وذلك لتأمين الحماية الضرورية للقطعات العسكرية اثناء سيرها .

واعتمد الجيش الآشوري في قتاله على مبدأ المباغتة لتوجيه ضربة قوية الى العدو قبل ان يكون قد استعد الاستعداد الكافي لذلك ، وكانوا ينفذون اعلمهم القتالية بهجمات سريعة ، فكانت مفاجأة للعدو وكان ذلك من أسباب انتصارهم وبأقل التضحيات ، واستخدموا الكائنات للانقضاض على



مشهد معركة انتصار آشور بانيبال على تيرمان العيلامي

العسكري الرائع استخدمه الملك الآشوري سرجون وآشور بانيبال في حملاتهم على العيلاميين .

وفي بعض الأحيان كانوا يسلكون طرقا وعرة وغير مطروقة سابقا للتموهية وحماية قطعاتهم ، كما عرف الآشوريون أسلوب الهجوم الليلي الذي يعتمد على الخفة وسرعة الحركة والمباغتة مستغلين بذلك غفلة الأعداء كما كانوا يقومون بالاغارة الى جهات مختلفة حتى لا يتمكن العدو من اكتشافهم^(١١)

جنود العدو المتقدمين وإعاقتهم ، كما قاموا باستدراج العدو ومهاجمته ، وجعلوا من أرضه مسرحا لعملياتهم العسكرية لكي يبعدهم الأذى عن أرضهم فيفاجئ الخصم خصمه في عقر داره من غير انذار او اخبار .

كان الجيش الآشوري يتألف من القوات الآشورية المختارة في الوسط وحولها القوات الخاصة والحرس الملكي وفي مقدمة المسيرة الملك والقائد

والأراضي. وقد تميزت الدولة الآشورية بمجدها واتخاذ الاحتياطات اللازمة، فقامت ببناء أسوار منيعة لمدنها مثل مدينة آشور التي كانت محصنة بسورين داخلي وخارجي وتلك الأسوار كانت مدعمة بأبراج دفاعية، كما قامت بحفر خنادق مائية دفاعية، فضلاً عن الأسوار، ونذكر منها على سبيل المثال مدينة خرصباد (دور شروكين) وكار توكلي نينورتا (تلول العقر)^(١٥).

كما اهتمت الدولة بتأمين المواضع الدفاعية داخل الأمبراطورية وخارجها، سواء أكان منها المواقع الثابتة أو المتحركة. وقد زدتنا أعمال المسح والتقيب التي قامت بها الهيئات الآثارية بمعلومات عن بعض المباني كالقلاع والخنادق والقواعد العسكرية والشبكات التي كانت تستخدم لحماية الجيش ولغرض تخزين المعدات والأسلحة لأغراض التجهيز عند الضرورة، كما كانت تستخدم أيضاً قواعد لانطلاق الحملة العسكرية والعودة إليها في أثناء الليل لراحة الجيش، ودليلاً على ذلك هو النص المكتسب من كتابات الملك آشور ناصر بال الثاني في إحدى حملاته الحربية حيث يذكر:

”استوليت على المدن التي تقع في جبل نصير وأخذت ممتلكاتها وغنائمها وعدت إلى معسكري وبقيت فيه طول الليل، وفي الصباح الباكر تابعت سيرى من معسكري وزحفت على الأعداء“^(١٦).

هذا فضلاً عن أن التحريات الآثارية في مشروع سد القادسية (مشروع سد حديثة سابقاً) أمدتنا بمعلومات عن بعض الأبنية التي كانت الصفة العسكرية هي الغالبة عليها واستخدمت قلاع وتحصينات عسكرية ودفاعية أو قواعد عسكرية. وفي ضوء نتائج التنقيبات التي جرت في مواقع هذا السد يمكننا أن نحدد نوعين من الأبنية، المجموعة الأولى: وهي المباني التي وجدت في مواقع

ومن الأعمال السوقية التي استخدمها العراقيون القدماء التعبئة في الهجوم حيث برعوا في وضع الخطط الحربية الهجومية إذ كان لديهم مناطق تجمع للجيش في مختلف أرجاء الإمبراطورية الآشورية، وهذه المناطق تعد مناطق دفاعية وهجومية في الوقت ذاته فكانوا يهجمون على العدو ثم يعودون للاحتواء بها.

ومما زاد في قدرة الآشوريين الدفاعية التحصينات العسكرية والاستحكامات المنيعة التي امتازت بها أسوار مدنها واتخاذ الخنادق في كل الظروف تحسباً لكل أمر مفاجئ، وكانوا مستعدين أيضاً لحصار مدن الأعداء المحصنة حيث استخدموا آلات حصار مختلفة وقاموا بتهيئة الوسائل الكفيلة بذلك وبنوا تحصينات دفاعية على طريق العدو لاعتاقه عن التحرك السريع وكسب الوقت لصالحهم.

هذه أهم مبادئ الحرب التي طبقها الآشوريون لحماية أرضهم من الاعتداءات، فضلاً عن الروح المعنوية العالية التي كان يتحلى بها المقاتلون، والاستبسال في الدفاع عن الوطن والذي يعد من أهم العوامل في حسم الحرب لصالحهم، مع اعتقاد الآشوريين بأن نصرهم على الأعداء كان بأمر الآلهة وكان لهذا الاعتقاد تأثير كبير على رفع معنوياتهم، لأن روح المقاتلين تشبعت بهذه الروحانية الدينية جعلت المواطن العراقي القديم يشعر بأن الآلهة معه وأنه على حق في رد المعتدين والطامعين في أرضه.

المعسكرات:

مثلاً برعت القوات العسكرية الآشورية في أساليب الهجوم المنظم فقد برعت في الأساليب الدفاعية في صد هجمات الأعداء على الإمبراطورية الآشورية والمناطق التابعة لها والدفاع عن المدن

المواقع . وجميعها محاطة بخندق عميق او وادي ولها أسوار مدعمة بأبراج .

اما اللقى الأثرية التي تم العثور عليها في بعض من هذه المواقع فتشتمل على مجموعة من الأسلحة منها رؤوس سهام من الحديد ومجموعة من الحلقات البرونزية ورؤوس حراب^(١٧) ، وهذا دليل أكيد على انها كانت تستخدم لأغراض عسكرية دفاعية .

هناك صور لعدد من المعسكرات مثلة على المنحوتات الجدارية ، اعطينا بعض المعلومات عن تلك المعسكرات منها الدائري والبيضوي والمستطيل ، وهي عبارة عن معسكرات وقتية استخدمت للراحة وكانت مثل هذه المعسكرات تحاط بأسوار فوقها أبراج وفي داخلها خيام ، جلس في داخلها الملك سنحاريب يستقبل الوفود . أما الجند فكانوا يقومون بنهية الأسرة واعداد الطعام وغيرها من المستلزمات الضرورية للراحة^(١٨) .

كليعة وجزيرة وسور تليس وجزيرة بيجان وقلعة عنة وموقع الزاوية وسور جرة . اما المجموعة الثانية : فهي ابنة تمثل معسكرات وقتية مثل موقع الرياش والنفيلي والولادية والمردادية .

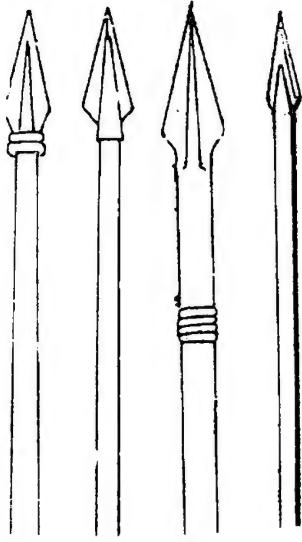
أما سور تليس فيضم سورا مشيدا بالحجارة واللبن بطول ٢٤١ م تتصل بجبهته الغربية قلعة مربعة الشكل مدعمة بثلاثة أبراج ، مبنية بالحجارة ، اثنان في الوسط ولربما يكون مدخل القلعة من هذا الجانب والقلعة مربعة الشكل وتتكون من ساحة وسطية مربعة الشكل ايضا تحيط بها مجموعة من الغرف تعود بتاريخها الى العصر الآشوري الحديث .

وجدت في مشروع سد القادسية مجموعة من الجزر محاطة بأسوار منها جزيرة عنة وبيجان وتليس ، هذه المواقع كانت محصنة ايضا ومحاطة بأسوار دفاعية وتعود بتاريخها الى العصر الآشوري الوسيط وقسم منها الى العصر الآشوري الحديث بدلالة اللقى الأثرية التي تم الكشف عنها في هذه



الملك مجلاتيليز في زيه الرسمي وامامه اعداء يعلنون التسليم

او مثلة ، وقسم منها مزين بزخارف ورأس حيوان كالأسد والبطة بدلا من العقدة .



استخدم العيارون المقلع ، وأظهرت لنا التنقيبات الأثرية كثيرا من الكرات البيضاء الشكل مصنوع قسم منها من الفخار والآخر من الحجر من فترات زمنية مختلفة ابتداء من الألف الخامس ق. م وظلت مستخدمة قذائف للمقلع الى آخر الحقب الزمنية من تاريخ العراق القديم ، ولم يقتصر استخدامها على بلاد وادي الرافدين ، بل انتشرت الى الاقطار المجاورة شأنها شأن بقية الأسلحة ويضم التحف العراقي مجاميع كبيرة منها عرضت مجموعة منها في بعض قاعاته ، ومن الأسلحة الخفيفة الأخرى هي المدك والمطرقة (القرمة) والكلاليب التي استعملت لثقب جدران الأسوار والمدن ، والهاوة لتهدم حوز العدو وكانت تعمل من الحديد ورؤسها ذات أشكال مختلفة يحمل القسم منها كتابة مسارية للدلالة على منصب حاملها اورتبه .

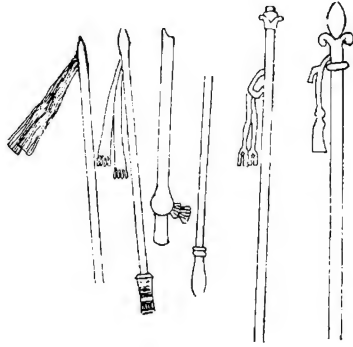
الأسلحة والأزياء :

تحقق الانجاز السياسي والعسكري للدولة الآشورية في الألف الأول ق. م بعد استخدام معدن الحديد في تصنيع قطع السلاح اللازمة للحرب وبخاصة آلات الحصار فتطورت الأسلحة وتنوعت ، لذلك يعزى نجاح الجيوش الآشورية في الحروب الى استخدامهم الأسلحة المتنوعة والمتطورة واتقانهم فنون الحرب في تلك الفترة .

استعمل الآشوريون انواعا مختلفة من الأسلحة ، ويمكننا ان نصنفها الى نوعين رئيسيين هما : الاسلحة الخفيفة والأسلحة الثقيلة .

فالأسلحة الخفيفة هي : الرمح ، والحرية ، والفأس ، والبلطة ، والقوس ، والمقلع . ومن الاسلحة الخفيفة الأخرى الهاوة ، والمدية ، والخنجر ، والسيوف . فقد استخدم الرمح للطنع في الاشتباك القريب وقد آلت الينا بعض الرماح القصار والطوال ، ونشاهد أن بعضا منها كان مزينا بالذهب والفضة وبأشكال بشرية او اسطورية ، واختلفت أسنة الرماح من فترة لأخرى فتوجد أسنة أشبه بالورقة النباتية وأخرى شكلها معيني وغيرها مثلث الشكل ، وقد استخدمت هذه الرماح في الحروب صنوف المشاة والخيالة وجنود المركبات . اما الحرية فكانت من الأسلحة التي ترمى باليد ، وأما الفأس فقد استخدمها الجند المشاة لشق الطرق والمسالك في المناطق الوعرة وكسلاح أيضاً وهناك فؤوس مزدوجة وذات نصل مثلث الشكل وأشكال أخرى مختلفة ، والبلطة كانت للضرب والقطع والرمي وتمشيط الأرض من الادغال وكانت تصنع من المعادن القوية وسميت في النصوص المسارية بصيغة بالطو paltu المضاهية للتسمية العربية ، واستخدام صنف الخيالة (الفرسان) القوس ، اذ يعد من الأسلحة المهمة وكان القوس يتألف من البدن والوتر ، والأقواس اما ان تكون منحنية الشكل

والحبال للتسلق على أسوار المدن والقلاع
لاقتحامها .



نماذج من الأسلحة الآشورية

ومن الأسلحة الدفاعية التي اهتم بها الآشوريون
الدروع والترس وألبسة الرأس والواقيات لحاية
الذراع والرقبة وكذلك الأسوار والخنادق والقلاع
وغيرها^(١٩) .

تظهر المنحوتات التذكارية والأختام
والمسلات ، وكذلك الاشارات الكثيرة التي وردت
في الكتابات التي خلفها لنا سكان العراق
القدماء ، أن للملك القائد ولجندة المحاربين ،
أزياء عسكرية خاصة خضعت لمواصفات تملها
طبيعة عملهم ورتبهم العسكرية .

ارتدى الملك زيا خاصاً في اثناء الحرب وهو
عبارة عن ثوب طويل ينتهي بحاشية وله كان
قصيران يتوسطه حزام عريض وأحياناً حزامان ،
وتتدلى من الحزام قطعة قماش تنتهي بحافة مشرّبة
ويعتمر بالتاج ويختدى نعلًا ذا واقية للكعب ترتفع
قليلا في الخلف ويتمنطق بسيف وأحياناً كان
سلاحه القوس ايضاً .

وهناك أسلحة أخرى مثل الخنجر والسيف ،
فقد استخدموا للطنن في الاشتباك القريب ، وقد
حصلنا على مجاميع منها ، قسم منها مؤطر ومزوق
بالذهب والفضة والأحجار الكريمة ، وأشكال
السيوف كانت تختلف من فترة لأخرى ، فضلا عن
ان السيوف التي يحملها الملك وذوو الرتب العالية في
الجيش تختلف من حيث الشكل عن ما يحمله
الضباط والجنود .

وفضلا عن الأسلحة الخفيفة فان الجيش
الآشوري استخدم انواعا أخرى من الأسلحة
عرفت بالثقيلة ومنها العربة ، وتعد من الأسلحة
المهجومة المهمة ، وكانت في بداية ظهورها بسيطة
الشكل ثم طرأ عليها تحسن كبير في الحقبة الآشورية
وبخاصة الحديثة منها . وتتميز العربات بسرعتها
وخفتها في المناورة والحركة وبخاصة العربات الحربية
التي كانت خفيفة الشكل وتسحب بواسطة زوج
من الخيول يركب عليها جنديان هما المقاتل
والسائق ، وأصبحت في الفترة الأخيرة من عمر
الدولة الآشورية أكبر ثقلا وحجما وتضم ثلاثة ركاب
فأكثر وجُهزت بمعدات كبيرة، ومثل هذه العربات
كان لها دور فعال في حسم المعارك لانها كانت تسير
في طليعة صفوف المقاتلين وتحترق صفوف العدو
وتتوغل بين افراد جندته . ولا بد لنا من الاشارة الى
ان العربة استخدمت ايضا في حالات السلم ، مثل
الاستعراضات العسكرية والاحتفالات والأعياد
والصيد .

لم يقتصر الآشوريون على اعتماد هذه الأسلحة
فقط ، وانما استعملوا اسلحة أخرى وهي الزحافة
والكبش المسلح والبرج المتحرك في حصار المدن
والقلاع وحلّت محلها بمرور الزمن الدبابات التي
كانت تتولى عملية أحداث ثغرات في الأسوار لكي
ينفذ منها الجنود داخل المدن المحاصرة ، وتصنع
الدبابة من مادة الخشب وتغطي بصفائح من
المعدن او الجلد ، واستخدم الآشوريون السلام

لم يقتصر الآشوريون على اعتياد هذه الملابس فقط ، وإنما استخدموا لباسا عسكريا وقيا بأشكال وأحجام مختلفة تبعا للغرض الذي استخدم من أجله ، وارتدوا فوق رؤوسهم الخوذ المختلفة ايضا .

ويتضح لنا من مجمل ماذكرناه اهتمام الآشوريين بالمعدات الحربية الضخمة والأسلحة الدفاعية لكونها ضرورة حتمية ، والسبب يعود في ذلك الى طبيعة المهام التي اضطلع بها الجيش الآشوري وهي اعداد وتجهيز الحملات العسكرية المتتالية الى مناطق وجبهات مختلفة لواجه اعداء من مناطق اجنبية مختلفة . وطبيعي ان تلك الحروب قد أملت على الآشوريين أساليب خاصة في القتال وأنواعا متعددة من الأسلحة لتحقيق الانتصارات في مختلف الجبهات .

الرواتب والأجور:

لنتذكر المصادر المكتوبة شيئا وافيا عن رواتب القوات المسلحة ومقدار ما كان يتقاضاه كل جندي منهم ، فالملومات عن ذلك قليلة جدا ، ولكن من خلال دراسة بعض النصوص والقوائم يمكننا ان نعطي لمحة وجيزة عن مجمل الرواتب والأجور التي كان يتقاضاها الجند .

يبدو أن القوات المجندة من الأقاليم والمقاطعات كانت تقاضى الجرايات من الأرزاق مقابل خدمتها العسكرية ، وكان يعطى للمقاتل من المواد العينية كالحبوب وقد كانت المادة الرئيسة التي يعتمد عليها الناس في حياتهم المعيشية بالإضافة الى المواد الأخرى كالسمن والتمر والفاكهة ، وكذلك بعض المواد الأخرى . وتدفع بعض الرواتب الى الجند المتطوعين الى جانب ذلك ، اضافة الى ما يحصل عليه المقاتلون من غنائم ، ويوسعهم شراء المواد الغذائية من عطاياهم ومن الغنائم التي يحصل عليها الجيش في معاركه العسكرية .

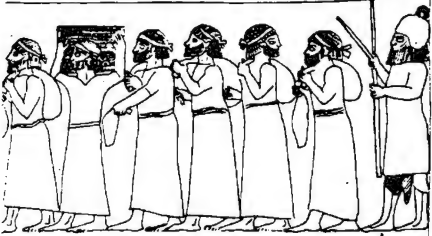
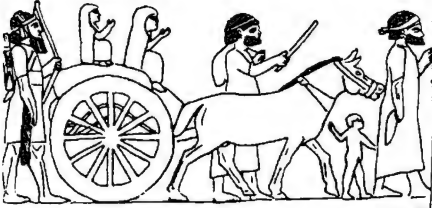
وهناك أسلوب آخر وهو اقطاع أراضٍ زراعية للجند عوضا عن الرواتب ، وقد عالج قانون

وما كان يلبسه ولي العهد فهو مشابه للباس الملك . ويرتدى رئيس اركان الجيش بدلة طويلة نهايتها السفلى مطرزة وذات شرائب وفي وسطها حزام عريض ويلبس ايضا شالا مزخرفا يتألف من صفائح طويلة اما كتفه اليسرى فكانت عارية وفوق رأسه عصاية مزخرفة من الامام ، ويتدلى منها شريطان من الخلف ويلبس في قدمه حذاء مثل حذاء الملك ، اما الرابشاقة فكان يرتدي لباسا مشابها للترتانو ويمكن تمييزه عن الترتانو بكونه غير ملتحي لأنه من المخصبين الذين يعملون في البلاط الآشوري ، ولباس كبير الضباط (الريشاريش) الذي يقابل الأمر في الوقت الحاضر كان يتألف من ثوب قصير في وسطه حزام وعصاية على الرأس ، اما سلاحه فكان السيف . ومنادى القصر او المنذر بالحرب كان يرتدي زيا فيه بعض الاختلاف وهو الوردية البيضاء المطرزة على الكف الثني .

يختلف لباس الضباط بعض الاختلاف عن لباس المراتب العسكرية التي أشرنا اليها ، ويعزى الاختلاف الى طبيعة المهنة التي تفرض لباسا خاصا . فقد ارتدى الفارس زيا خاصاً وهو عبارة عن ثوب قصير مفتوح من الامام ليسهل عليه ركوب الخيل وتوفر له حرية الحركة فوق ظهر جواده ويضع الفارس فوق رأسه الخوذة المدببة وكان حافي القدمين ، اما لباس المشاة فكان عبارة عن ثوب قصير يصل الى الركبتين ، وهو ذو أكمام قصيرة ضيقة ويضعون فوق رؤوسهم البيضة ويلبسون الحزم الطويلة وظهر بعض المشاة على المنحوتات وهم حفاة الأقدام .

والجند الذين يقومون باقتحام الأسوار كانوا يرتدون ثوبا قصيرا يصل الى الركبتين في وسطه شال مزخرف يمتد بين الساقين . ولباس رماة النبال كان عبارة عن درع أو زرد طويل يغطي معظم الجسم . ويرتدي العيارون ثوبا مشرف الحافة وله أكمام ويعتَمرون خوذاً مخروطية الشكل ذات واقيات للاذن (٢٠) .

حمورابي بعض الرتب الخاصة وهم القناص والجندي اللذين كانا يمتحانان اجرة عينية تتمثل بالأراضي عند تأدية الواجب العسكري^(٢١).



مشاهد لاسرى الحرب

اما الرواتب فكانت تعطى لذوى المناصب العالية في الجيش الآشوري اسبوعيا او شهريا او سنويا ولم تعط لهم نقود وإنما قطع معدنية ، لأن النقود كانت غير معروفة آنذاك . وتعطى القطع المعدنية ايضا للجنود الذين يلتحقون بالحملات العسكرية عند النفي العام او دعوة الملك اليهم ولربما كانت تمنح للفرسان ايضا .

اما بالنسبة للتجهيزات العسكرية كالملابس والذخيرة والمؤونة فكانت الدولة مسؤولة عن توفيرها للقطعات العسكرية .

الأسرى :

زودتنا التسجيلات الكتابية وكذلك المشاهد الحربية المصورة على الألواح الجدارية والمسلات ببعض المعلومات عن كيفية معاملة الآشوريين لحكام الشعوب المغلوبة والأسرى ، فاذا عدنا الى حوليات الملوك والكتابات الملكية فاننا نجد تسامح الآشوريين في كثير من الأحيان مع بعض الشعوب الخاضعة ، وليس أدل على ذلك من إعادة تعيين الحكام الثائرين على عروشهم ، كما حدث في زمن الملك سرجون الآشوري عندما أعاد مردوخ ابلأ أدينا الى الحكم ، وهكذا الحال بالنسبة الى الملك سنحاريب وتسامحه مع حكام مدن الساحل الفلسطيني ويحدثنا الملك آشور ناصر بال الثاني عن حملته ضد بلاد نائيري ما يلي :

”أسرت كل ملوك بلاد نائيري ، وبحضور سيدي الآله آشور جلبتهم أسرى ومقيدين ، ولكني اطلقت سراحهم مقابل الولاء لسلطة الآلهة“^(٢٢) .

فصيرهم الموت، وهذا أمر مألوف في الحروب عند جميع الشعوب في مختلف العهود والازمنة قديما وحديثا .

ومن هذا يتضح لنا ان الأسرى الذين دانوا بالولاء للآشوريين كانوا يعفون من العقوبات ، اما الذين يعصون ويتمردون ويتعاملون مع الأعداء

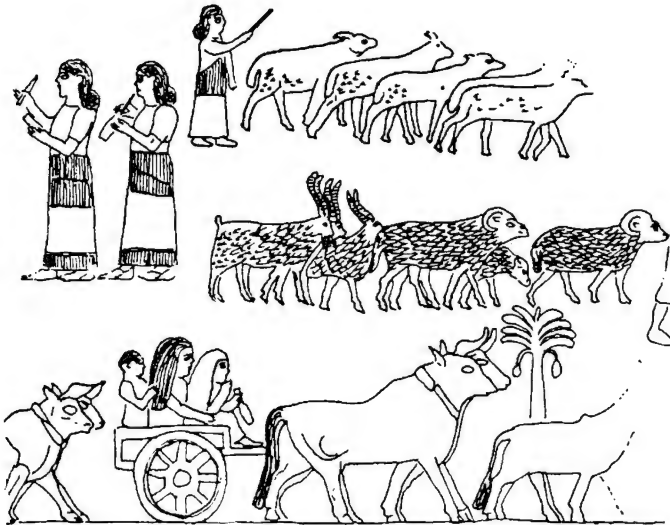
واستخدم الأسرى أيضا في بعض الأعمال في البلاط الملكي الآشوري ، وكذلك الأعمال الحرفية وذلك لتوفير مستلزمات الحياة لهم (٢٣) .

لقد أوضحت بعض المشاهد الممنلة على المنحوتات التي عثر عليها المنقبون في المواقع الآشورية اسلوب معاملة الآشوريين للأسرى، حيث صوّرت بعض المشاهد للأسرى وهم في حالة استراحة (نساء جالسات يرضعن أطفالهن ، أسير يشرب ماء من جرة ، أسرى جالسون بالقرب من النار للتدفئة ، ومنظر آخر نشاهد فيه نساء واطفالا وشيوخ راكبين على العربات مع أمتعتهم او على ظهور الدواب غير مكبلة أيديهم بالسلاسل في حين نجد الرجال الأسرى يسرون خلفهم وأيديهم مكبلة بالسلاسل والأغلال) (٢٤) .

أما الأسرى من المقاتلين الآشوريين الذين تم أسرهم في اثناء الحروب من قبل العدو فكانت الدولة تدفع الفدية عنهم لفكهم من الأسر وقد ورد

يذكر الملك الآشوري سرجون في أحد انتصاراته بأنه ترك ماتبق من سكان الخصوم دون أن يأسرهم بل تركهم أحرارا لكي يهربوا وينفذوا أنفسهم تمجيذا لتعزيسه الآله آشور. ويتحدث لنا الملك المذكور عن حملته التأديبية على بلاد اورارتو عندما تحالفت مع القبائل الجبلية وأخذت تضرب الحاميات العسكرية الموجودة على الحدود فيقول :
” تركت الأسرى يهربون الى مخيمات الأعداء وإلى أهاليهم ليقصوا عليهم ما حل بهم من ويلات الحرب “.

كان لسياسة هؤلاء الملوك وحسن معاملتهم للأسرى اكبر الأثر في استمالة اعداد كبيرة منهم الى الجيش الآشوري ، فكان كثير من الأسرى وقوات الدول المنحدرة المواليين للسلطة الآشورية يدخلون في صفوف القوات المسلحة وبخاصة في القرنين الثامن والسابع ق. م وكانت حقوقهم وواجباتهم مماثلة للجيش الآشوري.



· مشهد احصاء الغنائم من عهد نيلايز الثالث

بمفصوص الأسرى الآشوريين الذين أسرهم
العيلايون في إحدى الرسائل ما يأتي :

”دفعنا عنهم القدية وتمت تهيئة ملابس جديدة
لهم ليكونوا على استعداد للمثول أمام حضرة
الملك“. كما حفظ القانون العراقي القديم للأسير
حقوقه، منها استرجاع الأرض المقطوعة له عند
إطلاق سراحه، ان كانت قد اعطيت لغيره لأي
سبب من الأسباب. وإذا كان للأسير ابن قادر على
الإيفاء بالخدمات والأعمال التي يجب أداؤها للدولة
مقابل التمتع بأرض مقطوعة له، عندئذ يحق له
الاحتفاظ بها نيابة عن أبيه. وأعطى القانون لزوجة
الأسير حق الاحتفاظ بالأرض المقطوعة لزوجها،
وكذلك وجوب اقتداء الأسير من مال المعبد أو
القصر إذا لم يكن لديه ما يدفع من ماله الخاص.
إذا صادف ان تزوجت امرأة الغائب أو الأسير بآخر
فبعد عودة الغائب أو الأسير ان يعيدها (٢٥).

الهوامش

- (١) عامر سليمان، ”الجيش وال سلاح في العصر الآشوري“ الجيش
وال سلاح، ج ١، بغداد ١٩٨٧، ص ٢٥٩ - ٢٦٠.
- (٢) يوسف خلف عبد الله، ”الجيش وال سلاح في العصر
الآشوري“ الجيش وال سلاح، ج ١، بغداد ١٩٨٧، ص
٢٦٥ - ٢٨٠، وكذلك، ”الجيش وال سلاح في العهد
الآشوري الحديث“ بغداد ١٩٧٧، ص ٥١ - ٥٣.
- (٣) طارق مظلم، ”الأسلحة الآشورية الثقيلة ج، الجيش
وال سلاح، ج ١، ص ٢٧٧ - ٢٨٢.
- (٤) ANET, p. 279
- (٥) يوسف خلف عبد الله، المصدر السابق، ص ٢٨٢ - ٢٨٥.
- (٦) A. K. Grayson, Assyrian Royal inscriptions, Vol.
II, W. Germany, 1976, p. 129.
- (٧) يوسف خلف عبد الله، الجيش وال سلاح في العصر الآشوري،
بغداد ١٩٧٧ ص ٦٠ - ٦٢.

- (٨) نفس المصدر السابق، ص ٦٦ - ٦٧.
- (٩) Or. 35 p. 194.
- (١٠) طارق مظلم، ”الفن الآشوري يرافق الحملات
المصرية“، بحث آثار حوض سد صدام ويحث أخرى،
بغداد ١٩٨٧، ص ٢٤٨.
- (١١) طه باقر، ”مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة“، بغداد
١٩٧٣ ص ٥٣١.
- (١٢) يوسف خلف عبد الله، نفس المصدر، ص ١٥ - ٢٦.
- (١٣) Waterman, Royal Correspondence of the
Assyrian Empire University of Michigan Press,
1930, 35, 434.
- (١٤) محمود الأمين، سومر، المجلد الثامن، بغداد ١٩٥٢، ص ٧٠
وما بعدها.
- (١٥) مؤيد سعيد، ”العارة العسكرية في العراق القديم“، القلاع
والأسوار وأنواع المعسكرات، الجيش وال سلاح، ج ٢، بغداد
١٩٨٧، ص ٧٣ - ٧٤.
- (١٦) A.K. Krayson, (2), pp. 130 - 133 and Arab I p.
149.
- (١٧) ريمية رشيد، سومر، المجلد ٤٢، بغداد ١٩٨٦، ص ١٥ -
١٩.
- (١٨) د. مؤيد سعيد، المصدر السابق، ص ٨٦.
- (١٩) يوسف خلف عبد الله، ”الجيش وال سلاح في العصر
الآشوري“ رسالة ماجستير، جامعة بغداد، ١٩٧٥، ص
٢٥٨ - ٢٦٤، وكذلك ص ٢٨٠ - ٢٨٥.
- (٢٠) نفس المصدر السابق، ص ٩ - ٢٦، وكذلك وليد الجادر،
”الأنقبا والأزياء العسكرية الآشورية“، الجيش وال سلاح،
ج ٢، بغداد ١٩٨٧، ص ١٠٤ - ١٠٦.
- (٢١) محمود الأمين، ”قوانين حمورابي والقوانين البابلية الاخيرة“،
مجلة كلية الآداب (٣)، بغداد ١٩٦١، ص ٢٠١ - ٢٠٤.
- (٢٢) E. Michel, Die Texte Assurnasirpalis II Die Welt
der Orient II, 1954, pp. 313 - 321 Iraq, Vol. 32,
1940, pp. 177 - 197.
- (٢٣) فاروق الراوي، ”التعبئة وأساليب القتال في الجيش الآشوري“
الجيش وال سلاح، ج ٢، بغداد ١٩٨٧، ص ١٦.
- (٢٤) J.D.Hall, An Analysis of Power in Assyrian palace
Relief Sculptures, Unpublished thesis, Australia.
- (٢٥) فوزي رشيد، ”الشرائع العراقية القديمة“، بغداد ١٩٧٩،
ص ١٢٣ - ١٢٤، وكذلك هبيجة خليل اسماعيل، ”مسلة
حمورابي“، بغداد ١٩٨٠، ص ٢٤.

المعتقدات الدينية

أ.د. فاضل عبد الواحد علي

مقدمة :

لذلك وفي مرحلة معينة من مراحل تطور الانسان الفكري التي يصعب تحديد زمنها بدأ الانسان يتصور أن في مقدوره تفادي تلك النتائج السلبية التي تؤدي اليها تلك التقلبات، وذلك بمحاكاة قوى الطبيعة ذاتها من خلال تأدية طقوس معينة. لقد كان ذلك بداية الاعتقاد بقوة السحر القائم على مبدأ التشبيه اى الاعتقاد بإمكان استحداث الشيء عن طريق تقليد عملية حدوثه من خلال الطقوس. ولهذا السبب كان الانسان يقيم طقوسا سحرية يتقصد من خلالها ظاهرة طبيعية معينة اوشيثا معينا مما أصبحت الحاجة ملحة لوجوده مثل نزول المطر وزيادة المحاصيل وتكاثر الحيوانات.

لقد كانت هذه المعتقدات السحرية وراء الرسوم التي تركها الانسان على جدران الكهوف ظنا منه ان وجود صورها على جدران الكهف سيجعل الحيوانات ذاتها تحت سيطرته ايمانا منه بالاعتقاد السحري القائم على مبدأ التشبيه. وجدير بالذكر ان هذه الرسوم ترجع الى العصر الحجري القديم والى الدور الأخير منه على وجه التحديد والذي يعرف بالدور المجدليني (٣٠-١٢ الف سنة قبل الالف). واستنادا الى هذا المبدأ فقد صنع انسان العصر الحجري منحوتات صغيرة من الحجارة والطين والعاج والظمام يمثل قسم منها نساءا حبالى ذات أرداف وأندية ممتلئة، والراجع ان مثل هذه الدمي كانت تهدف الى محاكاة القوى الخلاقة في الطبيعة والتي كانت الأم احد مظاهرها البارزة

لاشك في ان المعتقدات الدينية قديمة قدم الانسان نفسه. فنجد ان وجد الانسان على هذه الارض قبل دهور طويلة كانت الطبيعة بمجموعتها الشمسية وانهارها واشجارها وتقلبات ظواهرها تشكل لغزا وتحديا كبيرين له. ولا شك ايضا في ان بعضا من الظواهر الطبيعية العنيفة كدوى الرعد ولعان البرق وعصف الرياح ووقع المطر كان لها أثرها المفزع في نفس الانسان وانها سببت له احساسا بالرهبة وشعورا بالضعف امام تلك القوى. لذلك كان من الطبيعي ان يتصور الانسان وجود قوى خفية وحية في تلك الظواهر التي كان يتعرض لها في حياته اليومية وان يتعامل مع كل واحدة منها باعتبارها كائناً حياً وليس مجرد ظاهرة غير "عاقلة". ومن جهة أخرى لاحظ الانسان عن كثب ان في الطبيعة قوى حية أخرى ليس لها صفة القوة والعنف لكنها تعمل على نشر مظاهر الخصب والانماء مثل نمو الزرع والأشجار والثمار وتكاثر الانسان والحيوان. كما لاحظ ايضا ان الطبيعة بمخصبها ووفرة مياهها وكثرة حيواناتها كثيرا ما تتغير وتتقلب فتحل فيها مواسم تقل فيها الأمطار والمياه وتختفي فيها مظاهر الخصب ويتناقص عدد الحيوانات التي كان يعتمد عليها الانسان في غذائه. ان مثل تلك التغيرات الطبيعية كان لها أثر خطير على حياة الانسان لانها كانت تهدد وجوده بالذات وخاصة في الأزمان التي سبقت معرفته للزراعة وتوصله الى تدجين الحيوانات.

في المجتمع الانساني والتي عرفت فيما بعد "بالآلهة الأم".

ومن الطبيعي ان تلك الممارسات السحرية التي قام بها انسان العصور الحجرية كانت تنتهي بالفشل والاحباط في معظم الأحيان ، وعدم تحقيق اي من النتائج المعقودة عليها . ويرجح الباحثون ان ذلك كان سببا مهما دفع الانسان الى اتباع اسلوب آخر للتعامل مع الظواهر الطبيعية وذلك باسترضائها واستعطافها فكان ذلك بداية لعبادة القوى العليا وظهور المعتقدات الدينية . ومن الطبيعي ان يحسد الانسان عندئذ كل ظاهرة في هيئة اله تصوره قياسا على البشر في جنسين مؤنث ومذكر . وكان منطقيا بالنسبة له ان يعزو كل مظاهر الخصب والتماء والتكاثر بما في ذلك تكاثر الانسان والحيوان والنبات الى قوى عليا هي اله والهة الخصب والتكاثر . ولما كانت الظواهر الطبيعية كثيرة ومتعددة لذلك تعددت الآلهة وكثرت ، فكان هناك اله لكل من السماء والارض والقمر والبرق والرياح والماء وغير ذلك كثير .

المعتقدات الدينية : أهم سماتها :

احتلت المعتقدات الدينية حيزا بارزا في مجتمع بلاد وادي الرافدين بعامة ، وكانت ممارسة العبادة وتأدية الطقوس من الأمور التي أولاهها الناس أهمية بالغة . لذلك اهتم الاقدمون اهتماما كبيرا ببناء بيوت الآلهة اي معابدها حيث كانوا يقدمون فيها الصلوات والقرابين للآلهة . وكان يشرف على ادارة تلك المعابد وتأدية الشعائر الدينية فيها كهنة مختصون يحملون القابا معينة . ويمكن القول بصورة عامة ان المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين اتصفت بمحضاخص رئيسية :

١- مبدأ الحيوية : (او ما يسميه بعض الباحثين بمبدأ الارواحية) اي الاعتقاد بوجود حياة او روح في

الظواهر الطبيعية المحيطة بالانسان . فكل ظاهرة مهما كانت صغيرة ام كبيرة كان يعتقد ان فيها قوة حية تحركها وتجعلها فاعلة ، ولذلك كان الانسان القديم يتعامل مع قوى الطبيعة على انها آلهة تحمل صفات البيئة الطبيعية للبلاد وخصائصها ، ولا سيما العنف والتقلب .

٢- مبدأ التشبيه : لقد خلع القدماء على الآلهة التي اعتقدوا وجودها صفات البشر كافة ، كالصفات المادية كالصورة والاعضاء والفكر والرأى والعواطف ، كما عند الانسان ، فالآلهة تأكل وتشرب ، لذلك كان من الضروري تزويدها بالأكل والشراب وهي ايضا تتزوج وتنجب على غرار البشر ، ولذلك فقد نظم الاقدمون قوائم للآلهة وازواجه وابنائها . ثم ان الآلهة يمكن ان تحب وتكره وأن تدخل في صراعات وحروب طاحنة مثلا يحدث في المجتمع الانساني ، كما تصوروا ان هناك دولة سماوية يأتي على رأسها اله السماء آتو وأن هناك مجلسا للآلهة يضم فضلا عن الاله آتو كبار الآلهة الأخرى حيث كانت تجتمع وتتخذ القرارات التي بموجبها تنظم شؤون الكون . ولعل الفارق الأساسي بين الآلهة والبشر في تصورهم ان الآلهة خالدة لامتوت (وان كان بعضها يموت احيانا) في حين كتب الموت على الانسان وصار حقيقة لا بد ان ينتهي اليها كل مخلوق حي .

٣- ثم ان الديانة في العراق القديم كانت تقوم على مبدأ الشرك : اي تعدد الآلهة وكثرتها . اذ كان لكل دويلة مدينة اله خاص بها تنحصر بالعبادة مع تقديس واحترام آلهة المدن الأخرى . وقد وصلت الينا قوائم مطولة تتضمن اسماء مئات من الآلهة السومرية والبابلية . ويمكن القول بصورة عامة ان الآلهة في بلاد وادي الرافدين كانت من حيث الشهرة والنفوذ على صنفين :

الأول ثانوي كانت عبادته محدودة في حدود دولة المدينة التي كانت تحت حمايته. والثاني كانت عبادته معروفة على صعيد البلاد كلها وهي الآلهة الرئيسية التي كان يتألف منها مجلس الآلهة والتي يأتي على رأسها أنوالة السماء. وجدير بالذكر في هذا الصدد ان مراكز الآلهة كانت تتغير احيانا بتغير الظروف السياسية فيرتفع شأن بعضها وينال حظوة كبيرة بين الناس مثلما حدث للاله مردوخ عندما أصبح اله الامبراطورية البابلية في سيادة الاموريين والكلدانيين، ومثلما حدث ايضا للاله آشور ابان السيادة الآشورية.

وفيا يلي ذكر لابرز الآلهة التي تصور العراقيون القدماء أنها تحكم الكون وجسدها بأشكال مختلفة :

آنو:

كان الاله آنو في تصور العراقيين القدماء هو اله السماء واعظم الآلهة مرتبة وشأنا. يكتب اسمه بالنجمة وهي العلامة الدالة على الألوهية في الخط المساري. ويدوان المنزلة الرفيعة التي كان يحتلها الاله آنو باعتباره "أبو الآلهة" قد جعلته في متأنى عن مشكلات الآلهة والبشر فأصبح مبرور الزمن مجرد رئيس رمزي للآلهة. وكان مركز عبادته في مدينة الوركاء حيث شيد له معبد مبني على مصطبة ترتفع الى مايزيد عن خمسين قدما، ويعرف معبده بين المختصين بالآثار باسم "المعبد الأبيض" نسبة الى طلاء الجص الأبيض على جدرانه. وفي هذه المدينة ايضا معبد آخر لابنته الآلهة انا (عشتار).

انليل:

حسب التصور العراقي القديم بأن الاله انليل، اله الجوي يأتي بعد الاله آنو في الاهمية. ويتكون اسمه في السومرية من مقطعين " en بمعنى "السيد" و " lil بمعنى "ريح، هواء"، وعلى الرغم

من أن الاله آنو كان كبير الآلهة ورئيس مجلسها، فان انليل كان يتمتع بسلطة ونفوذ واسعين في مجلس الآلهة، كما ان انليل استحوذ، وفي وقت مبكر من تاريخ وادي الرافدين، على بعض الألقاب الخاصة بالاله آنو مثل "ابو الآلهة" و "ملك الآلهة". وهناك شواهد عديدة تشير الى أن الاله أنليل كان وراء العديد من القرارات الخطيرة التي اتخذتها الآلهة بخصوص الانسان. ومن ذلك ارسال المرض ثم القحط ثم الطوفان لانقاص عدد البشر بعد ان تكاثروا وعلا صخبهم وضجيجهم في الأرض. وقد اشتهرت مدينة نمر بكونها مركزا لعبادة الاله انليل، وجدير بالذكر انها تكتب بالعلامات التي يكتب بها اسمه.

انكي (ريا) :

يأتي الاله انكي في المرتبة الثالثة بعد آنو وأنليل. ويعني اسمه في السومرية سيد الأرض (سيد، أرض) وهو اله المياه ايضا. وقد عبده الأكديون تحت اسم ايا. وقد اشتهر هذا الاله في بلاد وادي الرافدين بكونه اله الحكمة ايضا، وقد صورته الأساطير السومرية والبابلية بكونه الها رحباً بالناس والآلهة على حد سواء، ففي قصة الطوفان البابلية "اتراخاسيس" نجد الاله ايا يستجيب لاستغاثة الناس فيدلهم على الطريقة التي يتخلصون بها من القحط والمرض اللذين ازلها الاله انليل لمعاينة الناس. واليه يعود الفضل ايضا في الاعاز الى رجل الطوفان بوجوب بناء سفينة للنجاة من خطر الطوفان الذي قررت الآلهة ارساله لاهلاك البشر. وللاله انكي (ايا) دور بارز في عملية خلق الانسان في كل من قصة الخليفة البابلية وقصة الطوفان التي بطلها اتراخاسيس وذلك من أجل ايجاد بديل عن الآلهة يقوم باعمار الأرض ويقدم لها الطعام والشراب. وكان مركز عبادة الاله انكي (ايا) في مدينة اريدو (ابو شهرين).

تنا (سين) :

اله العدل ومصدر القانون في بلاد وادي الرافدين .
لذلك فانه صور في اعلى مسلة حمورابي وهو يسلم
شارات العدل الى الملك حمورابي .
مردوخ :

احتل الاله مردوخ مركز الصدارة بين الآلهة في
العصرين البابلي القديم والحديث على حد سواء ،
وكان مركز عبادته في العاصمة بابل ، حيث شيد له
معبد ضخم اسمه "إيساكلا" ويبرز الاله مردوخ
في قصة الخليفة البابلية باعتباره اعظم الآلهة البابلية
شأنًا حيث أنه قام بدور الاله المنقذ لبقية الآلهة من
شرور "تيامة وجيوشها . وللاله مردوخ زوجة هي
الآلهة "صربانيتم" وله ابن هو "نبو" اله الخنط
الذي كان يعبد في مدينة بورتسا القريبة من بابل .
نيو :

ابن الاله مردوخ والذي كان مركز عبادته في
بورتسا (برس نمرود) حيث شيد له معبد ضخم
اسمه اى- زيدا "البيت المكين" ، كما شيدت له
زقورة مازالت بقاياها شاخصة لحد الآن . وكان الاله
نيو يشارك اباه الاله مردوخ في احتفالات رأس
السنة البابلية . كما أنه اشتهر بكونه الها للخط وفن
الكتابة . وكان للاله نيو زوجة اسمها "تشميم"
بمعنى "السامعة" وهو لقب يجسد في الحقيقة
أحدى صفات هذا الآلهة الرحيم الذي تصفه
النصوص المسبارية بأنه "ذو الاذن الواسعة" .

وكبقية المظاهر الحضارية العراقية القديمة ، فقد
استمرت عبادة الآلهة العراقية القديمة هذه والتي
عرفت في العهود السومرية والأكدية والبابلية في
الفترات الآشورية التالية ، ولم يطرأ عليها تغير
جوهري ، الا أنه برزت في مجمع الآلهة الآشورية
بعض الآلهة التي لم يكن لها شأن كبير فيما سبق
نتيجة حتمية لظهور الآشوريين على المسرح
السياسي وارتفاع شأنهم وسيادتهم على المنطقة .

عبد السومريون اله القمر تحت اسم ننا اوننار ،
في حين سماه الأكديون والآشوريون (سين) . وتعد
مدينة اور من ابرز المراكز الدينية لعبادة الآلهة ننا
(سين) . وقد أولى ملوك بلاد وادي الرافدين أهمية
كبيرة لمعبد هذا الاله في اور ، اذ كرس الملك
سرجون الأكدي ابنته (انجيدواناة) للخدمة في معبد
الاله القمر بصفة كاهنة عظمى وفعل الملك البابلي
نبونائيد الشيء نفسه عندما نصب ابنته كاهنة في
معبد اله القمر في مدينة جران والتي تعد من المراكز
الدينية في منطقة الخابور ومازالت الزقورة الخاصة
بمعبد اله القمر ، المكونة من ثلاثة طوابق ، قائمة
في مدينة اور الى يومنا الحاضر . ولأن الهلال يشبه
القارب في شكله ، فقد اعتقد الاقدمون ان الاله
سين يتنقل في قارب عبر السماء . كما أنهم نسبوا له
زوجة هي الالهة ننجال (السيدة العظيمة) وابنته
هي الالهة انانا (عشتار) . وجدير بالملاحظة انهم
جعلوا اله القمر ابا لاله الشمس . وقد تبدو هذه
الفكرة غريبة بعض الغرابة لأول وهلة ، لكنها
سرعان ماتصبح مقبولة عندما نعرف الأهمية البالغة
التي احتلها القمر في حياة الأقدمين ذلك لأنهم
لاحظوا تغير منازل واعتمدوا ذلك في حساب الأيام
والأسابيع والأشهر للسنة وفي تحديد المواسم الزراعية
في حين كان شروق الشمس وغروبها ظاهرة يومية
متكررة لانقيدهم في معرفة التقويم .

اله الشمس اولو (شمش) :

كان اله الشمس من الآلهة الشهيرة في بلاد
وادي الرافدين ، وفي مناطق الجزيرة العربية والهلال
الخصيب . وكان رمزه على المنحوتات قرصاً دائرياً
ينبعث منه شعاع . وكانت مدينة سبارقرب اليوسفية
من المراكز الشهيرة لعبادة اله الشمس ، حيث كان
له معبد ضخم وزقورة شاهقة ومجموعة كبيرة من
الكهنة والكاهنات . واقرن اسم اله الشمس بكونه

معابد ضخمة للآله آشور في العاصمة القديمة آشور وفي غيرها من المدن المهمة، وسمي معبده في العاصمة آشور "أى - شارا". وكانت له زوجة هي الالهة نليل التي كانت في الأصل لاله الريح أنليل. اذ يظهر ان بعضا من صفات هذا الآله الأخير قد اضفاها الآشوريون على المهم، كما أنهم لقبوه بلقب كور- كال "الجليل العظيم" وهو من ألقاب الاله أنليل ايضا.

انانا (عشتار):

هي آلهة الخصب والحب والحرب، ويعني اسمها في السومرية "سيدة السماء"، في حين يدل اسمها في الأكديّة (أي عشتار) على "الربة" بصورة عامة وعلى الآلهة الشخصية التي يتخذها الفرد وسيلة للشفاعة عند الآلهة الكبرى. ويتضح من القصائد الشعرية والنصوص الأدبية ان الأقدمين جسّدوها بنجمة الزهرة التي هي من أجمل الكواكب السباوية على الاطلاق، وبما يدعو الى التساؤل حقا كيف اعتقد القوم ان الالهة انانا (عشتار) كانت تجمع في شخصها صفتين متناقضتين فتكون مرة الهة للحب ومرة الهة للحرب. وعلى اية حال فقد حفظت الأساطير السومرية والبابلية تفاصيل وافية عن قصة حب الآلهة انانا (عشتار) للاله الراعي دوموزى (تموز) الذي فضله في النهاية على الفلاح وتزوجت منه، كما وصلت اليها معلومات وافية عن المأساة التي حلت بالآله دوموزى (تموز) على يد حبيبته وزوجته أنانا وكيف انها سلمته الى شياطين العالم الأسفل ليكون بدلا عنها مقابل خروجها من هناك وذلك من خلال التفاصيل الواردة في التأليف الأدبي السومري المعروف بقصة نزول أنانا (عشتار) الى العالم الأسفل. وباعتبارها الهة للحرب ايضا فانها كثيرا ماظهر على الأختام الاسطوانية والمنحوتات وهي تحمل اسلحتها المكونة من السيف والقرص والصولجان وتقف على أسد وأحيانا على أسدين.

بدأ شأن الاله آشوريزداد أهمية حتى أصبح اله الامبراطورية الأعظم والحقيقة ان كلمة آشور استخدمت للدلالة على ثلاثة أشياء: (١) الاله الذي عبده الآشوريون (٢) العاصمة القديمة التي تقع اطلالها قرب الشرايط (٣) البلاد التي سكنها الآشوريون، ولا يعرف على وجه التحديد اي من هذه المعاني الثلاثة كان الأصل الذي استمد منه الآشوريون تسميتهم، وعلى اية حال فقد رفع الآشوريون من شأن المهم آشور فجعلوه في مقدمة الآلهة الاخرى. وفي قصة الخليقة البابلية التي اكتشفت نسخة منها في العاصمة آشور جاءت تفاصيل القصة كما رويت في الأصل البابلي باستثناء شئ واحد وهو أن اسم الاله آشور خل محل الاله مردوخ وصار البطل المنفذ للآلهة. وجدير بالملاحظة أن اسم الاله آشور في كل الكتابات التاريخية الآشورية. يأتي في مقدمة أسماء الآلهة الاخرى حتى أنه يسبق اسم الاله آنو وأنليل وايا. ويعزو الملوك الآشوريون الانتصارات التي حققوها الى المهم آشور. والحقيقة هي أن ايمان الآشوريين كان راسخا وقويا بالاله آشور وبقدرته على تحقيق النصر، وكانت هذه الثقة عاملا أساسيا في تبني سياسة الفتوحات العسكرية التي نتج عنها اقامة امبراطورية واسعة الأرجاء. ويظهر واضحا من الكتابات التاريخية ان الآشوريين كانوا يصورون أنهم انما يحاربون بأسلحة الاله آشور وانهم كانوا يخوضون المعارك بأمره. ويظهر على المنحوتات كيف ان الملك الآشوري كان يرافقه الاله آشور اثناء المعركة ويحوم فوقه بقرصه الذي ينبعث منه جناحين. وجدير بالذكر هنا ايضا ان الاله آشور يمثل على المنحوتات بهيئة انسان يطير بجناحين ويده القوس والسهم، والجناحان ينبعثان من قرص الشمس. وقد أخذ الأحمينيون هذا الرمز عن الآشوريين واستعملوه لالههم. وقد شيد الآشوريون

كان الاشراف على خدمة الآلهة في معابدها وعلى اقامة الصلوات والطقوس من واجب مجموعة مختصة من الكهان والكاهنات ، وكان لكل من هؤلاء لقب حسب المهنة التي يزاو لها في المعبد ، ولم تكن مهنة الكهنة مقصورة على الأمور الدينية فقط بل كانت لهم مهام ثقافية وهي الاستزادة من المعرفة واستنساخ التأليف الدينية والأدبية من النصوص الأصلية ، وكانت لهم مهام تعليمية وهي تعليم الآخرين فنون الخط المسماري وقواعد اللغة . ومن المعروف أنه كان للمعبد ممتلكات واسعة تشمل الأراضي الزراعية وانها كانت تدر عليه مدخولات كبيرة . ولنا أن نفترض من دون شك أنه كان من بين الكهنة جماعة موكول اليها الاشراف على الشؤون الاقتصادية للمعبد وما يحصل عليه من موارد وفوائد على القروض الممنوحة للمواطنين وكذلك الاشراف على النفقات والمصروفات والأجور المدفوعة للعالم من يؤدون الخدمات للمعبد .

يأتي في مقدمة الكهنة في المعبد كبير الكهان الذي يحمل لقب " en " وتوازيه في المرتبة الكاهنة العظمى التي تعرف بـ " entu "

ويبدو ان منصب الكاهن الاعظم كان في العصر الشيبية بالكتاني (دور الوركاء ودور جمدة نصر) مزيجاً من السلطتين الدينية والدنيوية ، وان السلطة الدينية انفصلت فيما بعد بظهور لقب enci الذي صار يحكم دويلة المدينة . وكان للكهان الأعظم جناح في المعبد يعرف بأسم "كيبار" . وقد قام ملوك بلاد وادي الرافدين بتكريس بناتهم لمنصب الكاهنة العظمى ليعملن في معابد الآلهة مثلاً فعل سرجون الأكدي ونبونايدي . وجدير بالذكر أن ام سرجون الأكدي نفسها كانت كاهنة عظمى . وكان ينظر الى الكاهنة العظمى

كان من الآلهة المهمة التي عبدت في بلاد وادي الرافدين ، وهو إله الرعد ولذلك كان يرمز اليه في المنحوتات بشراة البرق المتشعبة . وكان ادد ضمن الآلهة التي صورت في مشهد بالنحت البارز في معلشيا قرب دهوك حيث يأتي في المقدمة الإله أنو وزوجته ومن خلفها الآلهة انليل وإيا وسين وشمش ثم أدد وأخيرا عشتار . وكانت عبادة هذا الإله شائعة عند الأموريين في بلاد الشام تحت اسم حدد كما ان اسمه دخل في تركيب كثير من أسماء الأشخاص ، وكذلك الملوك الآشوريون مثل شمشي ادد وادد نراري .

نرجال و ايرشكيجال :

ونغتنم حديثنا عن أبرز الآلهة في بلاد وادي الرافدين بذكر إله العالم الأسفل نرجال وزوجته ايرشكيجال . فالإله نرجال كان بعيد في مدينة كوثي (تل ابراهيم) التي ذكرتها التوراة بصيغة كوث . ومن المعروف عن الآلهة ايرشكيجال ، حسب الاساطير السومرية والبابلية ، انها كانت ملكة العالم الأسفل اي عالم الأموات والأخت الكبرى للآلهة انا (عشتار) ، وهناك اسطورة بابلية توضح كيف اصبح الإله نرجال زوجاً للآلهة ايرشكيجال ثم ملكاً في العالم الأسفل . فيموجب هذه الأسطورة أقامت الآلهة دعوة لملكة العالم الأسفل ، لكنها لسبب او لآخر لم تستطع الحضور فأرسلت من ينوب عنها في تلك الدعوة فوقفت الآلهة اجلالاً لملندوها باستثناء نرجال ، لذلك أمرته الآلهة أن يذهب بنفسه الى العالم الأسفل ويعتذر من ايرشكيجال . وعندما ذهب نرجال الى هناك تكونت بينه وبين ملكة العالم الأسفل علاقة حميمة فتزوجها وأصبح ملكاً على العالم الأسفل .

ما تقدره الآلهة من أسباب النجاح او الفشل والتي سنأتي على ذكرها عند الكلام على العرافة في موضع لاحق من هذا البحث. وهناك صنف آخر من العرافين يذكر أحيانا الى جانب العراف "بارو" هو ما يعرف بلقب شاعيلو (والمؤنث منه شاعيلتو). ويظهر من النصوص المسارية ان هذا الصنف الأخير كان أقل درجة من صنف "بارو" وان الكاهن "شاعيلو" والكاهنة "شاعيلتو" كانا مختصين في تفسير الأحلام بالدرجة الأولى، وقد كان لتفسير الاحلام أهمية كبيرة عند الأقدمين ذلك لأنهم اعتقدوا انها من الوسائل التي يمكن للآلهة من خلالها ان تفصح عن رغباتها للحكام ولعامة الناس. وقد وصلت الينا مجموعة من الرؤى. من عصور مختلفة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر حلم جوديا، حاكم سلالة لجش الثانية، الذي أمره الاله ننجرسو من خلاله بناء معبد الشهير المعروف بمعبد اى-نوفي مدينة لجش، وقد وصلت الينا تفاصيل وافية عن هذا الحلم وتفسيره مدونة على احدى الاسطوانتين الكبيرتين لهذا الحاكم.

وكان المعبد يضم أصنافا من الكهنة يمارسون التعزيم لطرد الأرواح الشريرة، وكان هؤلاء يمارسون مهنتهم في المعبد وفي بيوت المرضى من الناس. ومن هؤلاء العزام كالو "kalu" الذي كانت مهنته الأساسية استرضاء الآلهة من خلال الموسيقى. وترد في بعض النصوص المسارية اشارات الى عملية تحضير الطبل المقدس من قبل هذا الصنف من الكهنة، من العزامين من كان يطلق عليه نارو "naru" بمعنى "المنشد او المرتل" والذي كان يقوم بقراءة التعاويذ لطرد الأرواح الشريرة من جسم المريض ويبدو ان مهنته هذه كانت ذات علاقة وثيقة بالعزام من صنف "كالو". وتذكر النصوص المسارية صنفين آخرين من العزامين هما

على أنها زوجة للآله، ولذلك يفترض أنه لا يحق لها أن تتزوج، ولكن يبدو من بعض مواد حمورابي أنه كان يسمح لها بالزواج بشرط عدم انجاب الأطفال. ويفسر بعض الباحثين ذلك بأنه كان يحق للكاهنة العظمى الزواج بعد بلوغها سن اليأس وانتهاء خدمتها في المعبد. وما تجدر ملاحظته بخصوص منصب الكاهن الأعظم والكاهنة العظمى أنه جرت العادة عندما يكون المعبود الخاص بالمعبد الها ذكرا ان تكرس له كاهنة عظمى لتكون زوجة له من الوجهة الدينية. والعكس صحيح فعندما يكون المعبود اهة انثى يكرس لها كاهن أعظم.

وفضلا عن الكاهن الأعظم والكاهنة العظمى فقد كان المعبد يضم اصنافا أخرى عديدة منها كاهن شنكو (كلمة سومرية الأصل من sanga) والذي كان يتولى الاشراف على ما يقدم من الأضاحي الى الالهة وكان يرأس هذا الصنف كاهن يسمى شنكو-مخوأي (شنكو-العظيم)، ويظهر أن عملية نحر الأضاحي كان يقوم بها فعليا كاهن يحمل لقب ناش-بطرى "حامل المدينة".

وهناك ايضا كاهن آخر من صنف "بارو" الذي هو "العراف او البصار" والذي كان يقدم خبرته في استنباط العرافة للقصر الملكي حيث كان يستشير الملك لمعرفة القائل في الحالات المهمة قبل القيام بحملة عسكرية او عند استناد مهمة ولاية العهد لأحد الأبناء. وكان العراف "بارو" يصاحب الحملات العسكرية ولنا ان تصور مقدار الحظوة التي ينالها عند الملك عندما يصيب في تنبؤاته ومقدار خيبته فيما لو أخطأ في توقعاته. وكان العراف يمارس مهنته على صعيد المجتمع ايضا اى انه يتنبأ بالفأل للأشخاص الذين يطلبون منه ذلك، وهناك طرق عديدة يمارسها العرافون لمعرفة

آشيبو "ashipu" ومشمشو "Mashmashu" كانا يمارسان التعزيم في المعبد وبيوت المرضى ايضا. اما شؤون الاغتسال والتطهير فكانت من واجبات كاهن يحمل لقب رمكو "Ramku" في حين كانت مهمة القيام بالدهان المقدس من واجب كاهن آخر هو باشيشو "Pashishu".

لقد وجد المعبد قبل كل شيء للعبادة واقامة الصلوات والطقوس وقراءة التراتيل الدينية ، وكان الطعام والشراب يقدم للاله على دكة خاصة في المحراب كما كانت الصلوات امام ترفع بخشوع امام الاله واليد مرفوعة امام الفم ، كما يظهر ذلك من مشاهد التعبد التي وصلتنا على المنحوتات .

الأعياد :

يعد عيد "أكيتو" ابرز المناسبات الدينية السنوية التي كان يحتفل بها سكان وادي الرافدين . وكان هذا العيد يقام بمناسبة حلول رأس السنة لذلك فهو يعرف في السومرية بأسم وفي البابلية sag.mug-resh shatti . ويظهر ان عيد أكيتو كان معروفاً في عصر دويلات المدن السومرية تحت نفس التسمية تقريباً (Akiti) ، ولكن عيد أكيتو اصبح في الألف الأول قبل الميلاد واسع الانتشار وصار يدور حول نقطتين رئيسيتين :

قصة الخليفة البابلية التي تتضمن صراع الآلهة القتية مع الآلهة القديمة وهو الصراع الذي نتج عنه قتل ايسو ومن بعده تيامة وخلق السماء والأرض من جسدها على يد مردوخ اله بابل . اما النقطة الثانية فكانت تتعلق بالاحتفال بالزواج المقدس الذي يجري من خلاله محاكاة زواج اله الخصب دموزي (تموز) من حبيبته الهة الحب والخصب انانا (عشتار) وسنحاول في ادناه أن نعطي ملخصاً مركزاً لكل من هذين الاحتفالين :

كان احتفال أكيتو يبدأ في اليوم الأول من شهر نيسان الذي يصادف في بداية السنة ويستمر لمدة

احد عشر يوماً . ويظهر من التفاصيل التي أوردتها النصوص المسارية حول الأيام الأربعة الأولى منه انها كانت مخصصة لاقامة الصلوات وقراءة التراتيل والأناشيد الدينية . وفي مساء اليوم الرابع يقوم الكاهن بقراءة قصة الخليفة التي تحتوى على تفاصيل خلق الآلهة والكون بما فيه من سماء وشمس وكواكب وأرض ومياه . وبموجب هذه القصة يكون خلق الكون قد جاء نتيجة لصراع رهيب بين قوى الخير وقوى الشر التي كانت تتزعمها الآلهة تيامة وانه نتيجة لاندحار تيامة فقد قام الاله مردوخ في القصة البابلية وآشور في القصة الآشورية بشطر جسمها الى شطرين خلق من أحدهما السماء ومن الآخر الأرض . وقد تبع ذلك خلق الانسان من دم قائد قوات الآلهة تيامة المسمى كينكو وذلك من اجل ان يقوم الانسان باعمار الأرض وزراعتها وتقديم القرابين للالهة لكي تنعم بالراحة .

وكان اليوم الذي يلي، اي اليوم الخامس ، مخصصاً لتطهير المعبد بالماء والبخور، ثم تمسح جدرانه بدم كبش ذبيح اعتقاداً منهم أن ذلك سوف يزيل ذنوب السنة كلها . ثم يقوم الكاهن المختص بعد ذلك بالقاء جثة الكبش في النهر تخلصاً من الشرور والآثام ، وكان عليه ان يبقى في العراء خارج المعبد لحين الانتهاء من الاحتفال على اعتبار انه أصبح نجساً من خلال دوره في عملية التطهير . وفي اليوم الخامس ايضا يصل موكب الملك الى المعبد فيستقبله كبير الكهنة الذي يصحبه الى محراب الاله ثم يخلع عنه تاجه وشارات الحكم ويضعها امام الاله . وعندئذ يبدأ الملك بقراءة اعتراف يؤكد فيه أنه لم يذنب ولم يهمل ، وأنه أقام الطقوس والشعائر الدينية على الوجه الاكمل . وعندما ينتهي الملك من ذلك يتقدم اليه الكاهن ويصفعه على وجهه ثم يعرك اذنه ، والراجع أن مثل هذا التصرف من الكاهن كان يهدف الى تذكير الملك بطبيعته البشرية وبأنه مجرد انسان يحكم بتفويض من الاله وأن

به الكاهنة من اجل (زوجها) الملك شولجي وهي
تقرر له المصير فتقول :

أنت ايها الراعي المختار في البيت المقدس

انت ياموازر العبد العظيم لآنو،

في كل الاحوال انت كفؤ:

لأن ترفع رأسك على العرش العالي - أنت كفء

لأن تجلس على عرش من اللازورد - أنت كفء

لأن تضع التاج على رأسك - أنت كفء

لأن تلبس ثيابا فضفاضة - أنت كفء

لأن ترتدي لباس الملوكية - أنت كفء

لأن تحمل الصولجان والسلاح - أنت كفء..

فمسي أن تطول أيام قلبك المحبوب

هكذا قرر المصير لك الآله آنو فمسي ألا يتغير

والاله أنليل ، مقرر المصير ، فمسي ألا يتغير...

السحر والتعاويد ، العرافة والتنجيم :

بعد السحر من الممارسات القديمة التي عرفها
الانسان منذ قديم الأزمان والتي مازالت معروفة في
المجتمعات البشرية الى الوقت الحاضر. والسحريقوم
على مبدئين بدائيين ! أولهما الاعتقاد بإمكان
استحداث الشيء بتقليد عملية حدوثه وهو ما يعرف
بمبدأ التشابه. وينعكس هذا المبدأ في الكثير من
الدمى التي صنعها الانسان لتمثل قوى الخصب في
الطبيعة وخاصة الآلهة الأم ، كما ينعكس ايضا في
الرسومات التي نفذها الانسان على جدران
الكهوف والتي اعتقد بأنها سوف تجعل في متناول
يده صيد تلك الحيوانات أمرا سهلا ، وعلى هذا
الاساس ايضا فان صنع دمية تمثل شخصا معنا ثم
اتلاف عينا او كسر أحد اعضائها سوف يلحق
بالرجل الحقيقي نفس الأضرار التي حلت بالشبيه
(الدمية) ، اما المبدأ السحري الثاني فانه يقوم على
الاعتقاد بأن الأشياء التي كانت في وقت ما جزءا
من جسم الانسان فانها تبقى على صلة به حتى بعد

حصوله على رضا الاله أمر واجب في كل الأحوال .
وفي مساء اليوم الخامس يشارك الملك الكهنة في
تقديم ثور أبيض ضحية نلاله ويتم ترتيل أدعية
خاصة بهذه المناسبة . اما اليوم السادس فكان
مخصصا لوصول مواكب الآلهة من المدن المختلفة
 للمشاركة في الاحتفال .

اما الفعاليات المتبقية من أعياد اكيثو في الأيام
الخمسة الأخرى فانها مازالت غير معروفة لدينا لعدم
عثورنا على النصوص المسارية الخاصة بها . وعلى
اية حال فالراجح ان احتفال اكيثو كان يتضمن
مسيرة الى "بيت اكيثو" الذي ربما كان معبدا يقع
على مقربة من قناة خارج اسوار المدينة . ومعروف ان
هذه القصة تعتبر مصدرا اساسيا للفكر الديني ، اذ
انها تذكر تفاصيل الصراع الالهي الرهيب الذي
جرى بين قوى الخير وقوى الشر المتمثلة بالآلهة تيامة
وكيف ان ذلك الصراع انتهى بمقتل الأخيرة وشطر
جسدها الى شطرين خلق منها السماء والارض ،
والراجع ايضا ان الايام المتبقية من اعياد راس
السنة كانت تتضمن ما يعرف بين المختصين باحتفال
"الزواج المقدس" الذي كان يجري خلاله محاكاة
لزواج اله الخصب دموزي (تموز) من الهة
الخصب والحب انانا (عشتار) وذلك من أجل
ضمان اسباب السماء والخصب والكثرة بين بني
البشر وكذلك بين الحيوانات والنباتات وكان الملك
او الكاهن الأعظم يقوم بدور الزوج الالهي تموز في
حين تقوم إحدى الكاهنات بدور الزوجة الالهية انانا
(عشتار) ، ولعل من أهم ما يتضمنه الزواج المقدس
هو ما يعرف بتقرير المصير للملك والبلاد ولدة سنة
أخرى ، اي ضمان حصول رضا الآلهة لأن تجديد
الحكم للملك وتجديد منح الخيرات وزيادة المحاصيل
وكافة أسباب الرخاء للناس خلال السنة القادمة ،
وكمثال على "تقرير المصير" من خلال الزواج
المقدس نفتس في ادناه مقطعا من دعاء توجهت

انفصالها عنه ، وهذا ما يعرف بمبدأ المصاحبة .
ولذلك فقد كان يعتقد بأنه في مقدور الساحر أن
يسبب الأذى لشخص معين من خلال تأثيره
السحري في خصلة من شعر ذلك الرجل اوفي قلامة
من ظفروه او من جزء من رداءه .

ويمكن تصنيف السحر الى نوعين : الأول ضار
لأن الغرض منه أساسا هو إلحاق الأذى بشخص
آخر، وقد حرمت القوانين العراقية القديمة هذا النوع
من السحر وفرضت عقوبة الموت على من ثبت
تعاطيه . اما النوع الثاني فهو يهدف الى تحقيق
الفائدة للناس عن طريق شفايتهم من الأمراض
وخاصة تلك التي تسببها الأرواح الشريرة . ولذلك
فقد كان الساحر يقوم بعمل حرز يحمله المريض .
وكان الحرز يتضمن عادة دعاء للالهة لأن نغمي
حامله من شرور تلك الأرواح ، وقد وصلت إلينا
حروز منها ما هو معمول ضد الشيطان ” بازوزو “
الموكل برياح الصيف اللافيحة ، ويحمل احد تلك
الحروز المصنوعة من الحجر صورة بالنتحت البارز
تمثل هذا الشيطان بوجهه المكفهر وإنيابه الحادة
والذي له صدر كصدر طائر ويدان كيدي انسان
لكنهما تنتهيان بمخالب ، كما أن له ذيلًا طويلًا
معقوفًا وأربعة اجنحة ، ويظهر فوق صورة
الشيطان (بازوزو) كهة عزامون بلبسون في رؤوسهم
اقنعة لحيوانات مختلفة . وهناك شيطانة سماها البابليون
” المشتو “ صورت على حرز حجري برأس
أسد وجسم امرأة وهي تقف على حمار وتضع
حيوانين . وكان يعتقد انها تصيب النسوة المرضعات
بالامراض كما وتصيب الرجال ايضا ، ولهذا تورد
النصوص المسامرية تفاصيل عن الطقوس التي كان
يتوجب على كاهن التعزيم القيام بها لمعالجة المريض
المصاب بفعل هذه الشيطانة .

ويذكر أحد النصوص المسامرية الخاصة بالتعزيم
في هذا الصدد التوصيات الآتية : ” عليك بتطهير

المكان أولاً ثم خذ شيئاً من الطين واصنع دمية
” للمشتو “ وضعها عند رأس الرجل المريض ثم
املأ المبخرة بالرماد ودس فيها خنجراً ثم اتركها عند
رأس المريض ثلاثة ايام . وفي اليوم الثالث ، عند
انتهاء النهار ، خذ الدمية واطعنها بالخنجر ثم ادفنها
في الزاوية عند الجدار .

كان العزام يقوم بفحص المريض لمعرفة نوع
الارواح الشريرة التي اصابته واختيار التعويذة
المناسبة لقراءتها مع اداء طقوس معينة . وكانت
عملية التعزيم تجري في العبد وفي بيت المريض .
ويظهر من النصوص المسامرية أن استعمال النار في
اثاء التعزيم كان واحداً من الطقوس الفعالة لطرد
الأرواح الشريرة من جسم المريض . فبعد اشعال
النار يقيم العزام بدعوة واستشارة الهة النار الثلاثة
(كبرا ، وكيل ، ونسكو) للانقضاض على تلك
الأرواح وطردها . وهناك طرق سحرية أخرى يلجأ
اليها العزامون لشفاء المريض كأن يضع العزام دمية
تشبه المريض ثم يدفنها في المقبرة مع دمية أخرى
تمثل الروح الشريرة التي تسبب له المرض ، وكان
غرض العزامين من هذه العملية هو تحقيق هدفين ،
الأول القيام بدفن رمزي للروح الشريرة لاعادتها الى
مقر الأموات في العالم الأسفل ، والثاني ايهامها بأن
المريض قد مات ولا جدوى من البقاء في جسده ،
وفي أحيان أخرى يلجأ السحرة الى طريقة توفير
” البديل “ اي توفير شيء آخر تحل فيه الروح
الشريرة بدلا من جسم المريض ، ويكون هذا
البديل في الغالب حيوانا كالجلدي مثلا ، فخلال
قراءة التعاويذ واداء طقوس سحرية معينة يخرج
الشيطان من جسم المريض ليحل في الجلدي
وبذلك يشفى المريض .

هذا موجز عن السحر وما يرتبط به من
ممارسات خاصة بالتعاويذ وللتعزيم ، اما العرافة فن
المعلوم أنها ترتبط ارتباطا وثيقا بالمعتقدات الدينية

القدماء العرافة من كبد الحيوان ، فبعد ان يذبح العراف الكيش يبدأ بفحص احشائه بحثا عن عرافة يستنبطها من الوضع العام لعضو الكبد ومن شكله ولونه او تضخمه وضموره مع ملاحظة ماعليه من أعراض غير اعتيادية او تشوهات وخاصة الفقاقيع والتشققات ووضع الغدة الصفراء والقنوات. وقد استنبط العرافون من كل واحدة من تلك الظواهر فألا معيناً ونظّموا في ذلك قوائم خاصة تعرف بين الباحثين بالعرافة المستمدة من الكبد.

وقد عرف العراقيون القدماء التنجيم اي رصد الأجرام السماوية وملاحظتها للاستدلال من ذلك عما سوف يحل بالملك او المملكة او البلاد بصورة عامة ، ومن الفأل المستنبط في رصد الكواكب انهم عرفوا بأن الهلال لا يرى منذ اليوم السابع

والعشرين ولكن اذا ما حدث وان شاهده في ذلك اليوم فإنه يعد نذير شؤم لهم . ثم انهم تطيروا ايضا من رؤية الشمس والقمر في اليوم الثاني عشر من الشهر وعدوا ذلك نذيرا بزوال الحكم وفناء السكان . كما انهم تطيروا من خسوف القمر وكسوف الشمس وعزوا ذلك الى فعل الشياطين وصراعها مع الآلهة ، ومن الكواكب التي اهتموا برصدها كوكب الزهرة التي جسدوها في الآلهة عشتار والتي كانت تتميز بشدة لمعانها بين الكواكب الاخرى .

أساطير الخليفة :

يجد الباحث في النصوص المسارية ، السومرية منها والبابلية ، جملة من الأفكار والمعتقدات التي حاول الأقدمون من خلالها اعطاء تصور للحقائق الكونية والطبيعية ولعرض الكثير من القيم والمفاهيم التي كانت سائدة في مجتمعهم فنحن نقرأ ، على سبيل المثال ، عن صراع رهيب حدث في البدء بين قوى الخير المتمثلة بالآلهة الحديثة وقوى الشر المتمثلة بالآلهة القديمة والذي تمخض في النهاية عن انتصار الآلهة الحديثة وعن خلق الكون بما فيه من سماء

والتقاليد الاجتماعية وهي تهدف أساسا الى الاتصال بالقوى العليا (الآلهة) لمعرفة ماقدوره للفرد من خير او شر . ولقد كان العراف يمارس مهنته على الصعيد الرسمي اي للملك والدولة وعلى الصعيد الشعبي لعامة الناس ، كما كانت مهنة العرافة وثيقة الصلة بالمعبد لأن العراف (في السومرية bapu كان كاهنا شأنه في ذلك شأن العزام ومفسر الأحلام وغيرهما من كهنة المعبد . وترد اشارات كثيرة في النصوص المسارية تدل على ارتباط العراف بالقصر وهو امر ناتج عن ان الملك كان يستشيريه قبل اتخاذ القرارات المهمة لمعرفة مشيئة الآلهة بخصوصها مثل ولاية العهد او القيام بمشروع بناء او صيانة . وأهم من هذا وذاك ، قبل القيام بالعمليات العسكرية للتعرف على مقدار احتمالات النصر او الفشل .

ويقسم الباحثون العرافة الى قسمين استنادا الى الطريقة التي تجرى بها . فهناك العرافة العملية ، أي تلك التي يستعمل فيها العراف وسائل عملية من أجل الاتصال بالقوى العليا ومعرفة مشيئتها . ومن تلك الطرق :

- ١ - ضرب القداح وهي سهام صغيرة محززة كانوا يستعملونها لاستطلاع رأى الآلهة في مناسبات وقضايا معينة .
- ٢ - سكب الزيت بالماء ومراقبة حركة الزيت وما يتكون من حلقات طافية على سطح الماء واستنباط الفأل من ذلك .
- ٣ - حرق البخور ومراقبة حركة الدخان .

اما النوع الثاني من العرافة فهو مايسمى بالعرافة السحرية لانها تعتمد على قوى ومظاهر خفية لا دخل للانسان فيها حددت تغييرات في الظواهر الكونية والطبيعية كالخسوف والكسوف وحركة الرياح ، كما انها تعتمد على رصد تغييرات تحدث في سلوك الطير او الحيوانات وفي احشائها الداخلية وخاصة عضو الكبد . وقد استمد العرافون

وأرض ونجوم وكواكب وأنهار، ونقرأ أيضا عن خلق الانسان ليكون بديلا عن الآلهة في اعمار الأرض . وهناك نصوص أخرى تدور حول الحياة والموت وعالم ما بعد الموت وحول الثواب والعقاب والعدل الآلهي . ان هذه الموضوعات وغيرها كثير كانت من الامور التي وقف عندها الأقدمون وبينوا وجهة نظرهم فيها .

وبقدر مايتعلق الأمر بمعتقدات سكان وادي الرافدين حول خلق الكون فتعتبر اسطورة الخليفة البابلية من أهم المراجع الأساسية في هذا الصدد . اذ بموجب هذه الأسطورة فانه لم يكن في البدء سوى المياه المكونة من عنصرين أوليا مذكر (المياه العذبة) وتسمى "ايسو" وثانيا مؤنث (المياه السطحية) وتسمى تيامة وانه نتيجة لامتزاج هذه المياه مع بعضها ولدت أجيال متعاقبة من الآلهة كان منها الاله أنو الذي صارالها للساء . وسرعان ماتكاثر عدد الأحفاد وأصبح صخبهم وضجيجهم يزعجان جدهم الاعلى "ابسو" مما دفعه الى التفكير في وضع خطة للقضاء عليهم على الرغم من تحذير زوجته تيامة من مغبة عمله ، لكن الالهة الحديثة اكتشفت المؤامرة المدبرة ضدها وانتقمت لنفسها في الوقت المناسب وذلك بقتل "ايسو" ولما علمت "تيامة" بذلك ثارت ثائرتها وعقدت العزم على الانتقام لزوجها من الآلهة الحديثة . وقد وقف عدد من الآلهة الموالين "لايسو" الى جانب زوجته وكونوا بذلك جماعة منشقة عن بقية الآلهة وراحوا يعدون العدة ويهيئون اسلحتهم الرهيبة لشن حرب على الآلهة الحديثة ، كما أن "تيامة" اختارت الاله "كينكو" ليكون قائدا لقواتها كما انها اتخذت منه قائدا يتولى زعامتها وقيادتها لخوض معركة المصير . ولكن كبار الآلهة تراجعوا مذعورين الواحد بعد الآخر عندما رأوا الأسلحة الرهيبة التي أعدها "تيامة" وأخيرا وبعد الأخذ والرد وقع الاختيار على "مردوخ" حسب القصة البابلية وقد حل الآله

آشور في قصة الخليفة الآشورية محل الاله مردوخ ليكون القائد والبطل المنقذ للآلهة الحديثة .

تذكر أسطورة الخليفة البابلية أن "تيامة" وجدت ماعندها من وحوش مركبة وأن مردوخ جند من جانبه كل مالمديه من رياح وعواصف عاتية ، ثم تقدم مردوخ وجنده من خلفه حتى صار على مقربة من "تيامة" فاطلق في وجهها كل الرياح الشريرة فاستقرت في جوفها وثلث حركتها ، وعندئذ باغتها مردوخ بطعنة قاتلة ثم شطر جسمها الى شطرين خلق منها السماء والارض ، وعلى هذا النحو يكون البطل مردوخ قد انتصر على قوى الشر المتمثلة بتيامة وجيوشها وانقذ الآلهة الحديثة من شرورها .

وخلاصة القول ان البابليين عدوا المياه أصل الوجود وان السماء والارض تكونتا نتيجة عملية انشطار جسم تيامة على يد مردوخ ، اما بالنسبة للأساطير السومرية ذات العلاقة بخلق الكون والتي هي أقدم من قصة الخليفة البابلية ، فانها وان اختلفت عنها في التفاصيل فانها تتفق معها في الجوهر ، فهي الأخرى تعد المياه أصل الوجود ، وتعد خلق الكون قد تم نتيجة عملية انشطار ايضا .

وقصة الخليفة البابلية وكذلك قصة الطوفان البابلية التي يطلها "اتراخاسيس" من المراجع الأساسية عن خلق الانسان . فنحن نقرأ في الرقيم الأول من قصة الطوفان ان الآلهة العظام (أنو، انليل، ايا) اجتمعوا ليتدبروا الامر في شأن التردد الذي قامت به الالهة الحديثة التي أوكل اليها مهمة اصلاح الأرض وفلاحها فبعد أربعين عاما من العمل الشاق المتواصل أصاب هذه الالهة التعب فأعلنت عصيانها مطالبة بخلق بديل عنها يحمل "النير" على حد تعبير النص البابلي . وبعد الأخذ والرد وافقت الآلهة على خلق الانسان الأول من

الطين بعد مزجه بدم احد الآلهة ، وإذا ما صرفنا النظر عن التفاصيل الجزئية يمكننا القول أن المآثر السومرية والبابلية تتفق على تفاصيل جوهرية بخصوص خلق الانسان يمكن تلخيصها بالنقاط التالية :

- ١- ان الانسان خلق من طين ممزوج بدم أحد الآلهة .
- ٢- ان خلق الانسان لم يكن غاية في حد ذاتها او نتيجة مكملة لبقية مراحل خلق الكون ، وإنما كان مسألة طارئة من أجل توفير بديل يحمل عمل الآلهة من أجل اعمار الأرض .
- ٣- انه خلق من أجل أن يكذب ويكذب في الأرض ليربح الآلهة من عناء العمل ويقدم لها الطعام والشراب وانه كتب عليه الموت في حين احتفظت الآلهة لنفسها بالخلود .

الموت وعالم الأموات :

كان الموت وعالم الأموات من المعتقدات التي شغلت حيزا كبيرا في الفكر الديني عند القدماء في بلاد وادي الرافدين . من جهة اخرى كانت الحياة ونيل السعادة فيها من الغايات العزيرة التي تشبث بها القدماء ايضا ، وكان من اعز الأمنيات التي يمكن ان يطمحها الانسان القديم لنفسه أن تمنحه الآلهة عمرا طويلا . وعلى النقيض من المصريين القدماء ، فان سكان وادي الرافدين ، على الرغم من أنهم شغلوا ايضا بمسألة الموت وعالم الأموات ، إلا أن نيل السعادة ورضا الآلهة في هذه الحياة كان ، كما قلنا ، هدفهم الأول . وقد أكد العراقيون القدماء على ضرورة التمسك بالقيم والأخلاق الفاضلة وفي مقدمتها طاعة الآلهة واحترام الابوين والالتزام بالصدق والأمانة والقانون وحقوق الآخرين .

والموت في نظر العراقيين القدماء كان امراً حتميا فرضته الآلهة على الانسان منذ البدء في حين احتفظت

لنفسها بالخلود . وإذا كان هناك من خلود يستطيع الانسان تحقيقه في هذه الحياة . فان ذلك يكن في امكان خلود الذكر من خلال الاعمال والمنجزات المفيدة على غرار تجربة جلجامش المعروفة . ولم يكن الموت في نظرهم يشكل فناء مطلقا ، وإنما هو عبارة عن انفصال الروح عن الجسد . ولهذا أكد السومريون والبابليون على ضرورة الاهتمام بشعائر الدفن وعدم ترك الجثة في العراء لأن ذلك مدعاة لعدم راحة واستقرار الروح في عالم الأموات ولخروجها احيانا على شكل اشياء- تخيف الأحياء من الناس وتسبب لهم مختلف الأمراض الجسمية والعقلية .

كما ان تقديم ابناء الميت للقرابين كان من الأسباب التي تجلب الراحة الى الروح في مستقرها الأخير .

وعالم الاموات مكان مخيف تصوره الأقدمون تحت الأرض وله سبع بوابات يحرسها مرده أشداء . وتصوروه ايضا مكانا مظلم لا يجد الموتى فيه غير التراب 'مؤنا لهم' وعلى الرغم من أن فكرة الحساب في الآخرة غير واضحة في معتقدات القوم ، فيبدو من أحدى الأساطير السومرية ان كثرة الابناء كان سببا في انزال الموتى من الآباء منزلة حسنة في عالم الأموات ربما لما يقدمه ابناءهم من قرابين .

المعبد :

بعد المعبد المكان الرئيسي المقدس لاقامة الصلوات وتقديم القرابين للآلهة . ولقد كان المعبد (في الأكديّة "بيت") في بدايته عبارة عن غرفة صغيرة لا يتجاوز طول ضلعها ٢,٥ م كما يظهر ذلك من الآثار المكتشفة في الطبقة السابعة عشر في تل العبيد . ولكن سرعان ما تطور بناء المعبد وازدادت مساحته وتعددت مراقفه وتوسعت مهامه . ويمكن القول بصورة عامة أن للمعبد في بلاد وادي

والأناشيد والقصص الخاصة بالخليقة والتكوين
إضافة الى وثائق أخرى تمثل اتهامات الكهنة
الخاصة.

اما القسم الرئيسي الثاني من المعبد الذي يعرف
بالزقورة (البرج المدرج) فهي كلمة أكديّة تعني
العلو والسمو وهي صفة معمارية ملازمة للمعبد في
معظم المدن الرئيسية في بلاد وادي الرافدين.
والراجح ان فكرة بناء الزقورة قد نشأت في الأصل
من اقامة المعابد فوق دكاك (مصاطب اصطناعية)
منذ اطوارها الاولى ابتداء من دور العبيد. وتكون
الزقورة من ثلاث او سبع طبقات وهي اما ان
تكون مربعة او مستطيلة الشكل، وقد جرت العادة
ان يبنى غلافها الخارجي بالآجر في حين يبنى هيكلها
باللبن تتخلله طبقات من الحصى والقيمر، وكان
يشيد فوق الزقورة معبد صغير، يعرف بالمعبد
العلوي ربما كان يحتوي على تمثال للاله. وهناك من
الباحثين من يعتقد بأن الزقورة بمعبدها العلوي
كانت تمثل محلا لاستراحة الاله وهو في طريقه من
معبده الأرضي الى السماء. ومعنى ذلك أن
مدرجات الزقورة انما ترمز الى سلم يمتد بين الارض
والسما. وجدير بالذكر ان مثل هذه الفكرة عن
الزقورة لها ما يشبهها في التوراة (سفر التكوين: ٩
٣-٥): "وقال بعضهم لهم نصنع لنا ونشويه
شيئا فكان لهم اللبن مكان الحجر وقالوا لهم نبني
لأنفسنا مدينة وبرجا رأسه بالسماء". ونقرأ في السفر
نفسه (٢٨: ١٢) عن حلم يعقوب: "ورأى حلما
واذا سلم منصوبة على الأرض رأسها بمس السماء
وهو ذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليها".

المراجع :

يجب علينا الاشارة هنا بدافع من الأمانة
العلمية الى ان هذا البحث عن المعتقدات الدينية
في بلاد وادي الرافدين قد استمد مادته من مراجع

الرافدين خصائص معمارية رئيسية يمكن ايجازها
بالقاط الآتية :

- ١- اتجاه زواياه نحو الجهات الأربع .
- ٢- وجود ما يعرف بالطلعات والدخلات في
جدرانه وخاصة في الواجهة .
- ٣- احتوائه على حجرة الهيكل التي يوضع فيها
تمثال الآله والتي تعد أقدس مكان في المعبد
وفي الغالب يوجد المذبح في هذه الحجرة
ايضا .
- ٤- وجود دكة القرايين .

ويمكن القول بصورة عامة ايضا ان المعبد في
وادي الرافدين يتكون من قسمين رئيسيين (الأول
هو المعبد الأرضي ، والثاني هو المعبد العلوي اي
البرج المدرج (الزقورة) . ويتميز المعبد الأرضي ، كما
قلنا قبل قليل ، بكون جدرانه ، وخاصة الواجهة
منها ، مزينة بالطلعات والدخلات وهي ظاهرة
معمارية قديمة عرفت في معابد عصر العبيد وظلت
ملازمة للمعبد في مختلف الادوار الحضارية
واللاحقة . وكان مدخل المعبد يؤدي الى غرفة
صغيرة يوصل من خلالها الى صحن المعبد ، وهو
فناء واسع كان الناس يجتمعون فيه لاقامة
الاحتفالات الدينية . وكان المرء يدخل من هذه
الساحة الى غرفة تؤدي هي الأخرى الى حجرة
الهيكل (Cella) التي تعد أقدس اجزاء المعبد حيث
يوجد فيها المحراب (Niche) وتمثال الآله الذي
جرت العادة على وضعه على دكة في المحراب . وفي
حجرة الهيكل هذه يوجد ايضا دكة المذبح
(Alter) التي تقدم عليها الاضاحي والقرايين

للآله وفي المعبد اجنحة وغرف ومرافق اخرى
تستعمل لاقامة الكهان والكاهنات والمشرفين على
ادارة المعبد ولخزن الادوات والأثاث الخاص به
مثل الطعام والشراب وأدوات الموسيقى وغير ذلك
من المعدات الضرورية الأخرى . كما كان المعبد يضم
مكتبة خاصة به تحتوي على وثائق دينية كالصلوات

عديدة ومن بينها عدة أبحاث للكاتب عن الفكر والمعتقدات الدينية في العراق القديم كانت قد نشرت في مناسبات عديدة وفي مجلات علمية متخصصة. ولذلك فقد لجأنا في بعض الأحيان الى الاقتباس من أبحاثنا تلك عندما لانجد جديدا نضيفه الى ماسبق وأن كتبناه عن موضوع من المواضيع التي تقع ضمن اطار هذا البحث.

فاضل عبد الواحد علي، عشتار ومأساة تموز (الطبعة الثانية) ١٩٨٦.

— "بين الواح سومر وسفر التكوين"، مجلة كلية الآداب ٢٣ / ١٩.

— "الموت والعالم السفلي بين النصوص المسماة والتوراة" مجلة بين

النهرين ٢٧ / ١٩٧٩.

— "أناشيد الزواج المقدس لتموز ونشيد الانشاد لسليمان" سومر ٣٤ / ١٩٧٩.

— "مقدمة في معتقدات سكان وادي الرافدين"، آفاق عربية، دوريات ٢ / ١٩٨٥.

الاستاذ طه باقر، عامر سليمان، فاضل عبد الواحد علي، تاريخ العراق القديم، الجزء الاول (الحياة الدينية) ١٩٨٢.

Saggs H.W.F., The Greatmen that was Balyon, 1966.

Kramer, S.N., The Sumerians, 1963.

Ksumer, S.N., (editor) Mythologies of the Anlient World 1961.

ب. المَعْتَدَاتُ الدِّينِيَّةُ فِي فَتْرَةِ الْاِحْتِلَالِ الْاَحْمِيْنِيِّ وَالسَّلُوْقِيِّ وَالْفِرْتِيِّ

أ.د. واثق اسماعيل الصالحى

القديم. وأن المعتقدات الدينية للأحيمييين المحتلين أنفسهم كانت متأثرة تأثراً واضحاً بمعتقدات وادي الرافدين في الفترات السومرية والبابلية والآشورية^(١). وإن الغزاة الأحميين قدموا القرايين والنذور في معابد العراق تقرباً من آلهته العظام مثل مردوخ ونابو. اما في الفترة الهلنستية فقد استمرت المعتقدات العراقية القديمة، ولكنها تأثرت بمعتقدات الأغريق الدينية والتي هي نفسها قد طرأت عليها تغييرات جوهرية في بلاد اليونان منذ بداية القرن الخامس ق. م. ويعزو الباحثون هذه

ان المعلومات التي وصلت الينا عن المعتقدات الدينية في بلاد آشور خلال فترة الاحتلال الأحميني لانكفي لرسم صورة واضحة عنها لافتقارنا الوثائق المكتوبة والتمائيل والألواح الفنية الأخرى ذات العلاقة، وعلى الرغم من ندرة المعلومات وقلتها فاننا نستطيع أن نحدد بعض السمات لتلك المعتقدات، وهي انها لاتتعدى ان تكون استمراراً وتوصلاً للمعتقدات الدينية في الفترات الأقدم عهداً، أي الفترة الآشورية الحديثة، حيث فضجت فيها مفردات الحياة الدينية في العراق

التغيرات الى حركة السفسطائيين الفلسفية التي احدثت حالة من التشكك في معظم المعتقدات المعروفة وخاصة تلك المتعلقة بعبادة الآلهة الاولوية والتي اكتنفها بعض الغموض خلال الفترة اللاحقة ، فضلا عن تأثير الديانات الشرقية التي بدأت تصبح واقعا حقيقيا في معظم مدن الاغريق على الرغم من بعض المظاهر الخارجية التي تتضمن انبعاث آلهة جديدة وتنبؤات جديدة وما يرافقها من احتفالات من شأنها ان تقوى من محاولات البعث الديني في بلاد اليونان^(٢) . فالشخص الاغريقي اتبع تقاليد العبادة لأنها موروثه له من اسلافه ، ولكنه افتقد الحماس في معتقده الديني . فعلى سبيل المثال ان معبد أبولو- اله الحكمة والمعرفة لدى الاغريق - في ديدما في آسيا الصغرى لم يكتمل بناؤه خلال أربعة قرون متعاقبة ، ليس بسبب نقص في الأموال اللازمة لاكمال عمارته ، وانما بسبب افتقار الحماس في تكريس المعتقدات الدينية الراسخة التي مكنت مدن الاغريق في فترات سابقة من اكمال معابدها الضخمة والجميلة خلال جيل واحد فقط^(٣) . وأصبحت عبادة الآلهة الاغريقية التقليدية ترافق بعض الأفكار الفلسفية التجريدية مثل الصداقة والثروة والسلام والديمقراطية ، فضلا عن انتشار بعض الأفكار التي تدعو الى الغاء التمييز بين الآلهة والبشر ورافقها اقامة محلات لتقديس الرجال البارزين الى الحد الذي دعى بعض الفلاسفة الى القول أن بمساعدة الرجال العقلاء نستطيع العيش مثل الآلهة^(٤) .

تلك هي معتقدات الاغريق في الفترة التي سبقت غزو الاسكندر المقدوني للشرق في الثلث الاخير من القرن الرابع ق. م ، وكانت من نتائجه سيطرته على بلدان العالم القديم في آسيا وأفريقيا . وقد برزت عنده المعتقدات الدينية بروزا واضحا ، ويدت في مظاهرها متناقضة في بعض الأحيان ، وذلك لأسباب عديدة منها انه خلال تلك الفترة القصيرة تأسست دول جديدة ملكية في نظام حكمها وصاحبها اقامة سلسلة من المدن الجديدة لتوطن الاغريق والمقدونيين فيها ، فضلا عن استيطانهم المدن الحاضرة آنذاك في بلاد اليونان وحوض البحر الابيحي . وقد أخذت الدول الجديدة تشر بتأثير الموقف الديني الجديد وتبنى اعرافا جديدة لمعتقداتها الدينية . وبطبيعة الحكم السياسية تم الاتصال بشعوب غير اغريقية كانت لها تقاليد دينية خاصة وعبدت آلهة تختلف عن آلهة الاغريق . وقد شجعت حكومة الولاية او المدينة معتمدة على اقامة بعض الطقوس الدينية الخاصة لأسباب سياسية بحتة ، وأخذت تتبنى عبادة طقوسية معينة من شأنها تأليه الحكام وزيادة الوعي عند الأفراد للحاجات العاطفية الشخصية في خضم الفصل الاجتماعي للسكان استجابة للحقائق غير المستقرة في ذلك العالم والتي انتجت تغيرات سريعة متناقضة مع "الحظ" . ولهذا فان آلهة الحظ نفسها قد استجبرت كآلهة قوية . تجمعت هذه المعتقدات ، والتحركات التي صاحبها ، لتخلق او

تغيرت الى حركة السفسطائيين الفلسفية التي احدثت حالة من التشكك في معظم المعتقدات المعروفة وخاصة تلك المتعلقة بعبادة الآلهة الاولوية والتي اكتنفها بعض الغموض خلال الفترة اللاحقة ، فضلا عن تأثير الديانات الشرقية التي بدأت تصبح واقعا حقيقيا في معظم مدن الاغريق على الرغم من بعض المظاهر الخارجية التي تتضمن انبعاث آلهة جديدة وتنبؤات جديدة وما يرافقها من احتفالات من شأنها ان تقوى من محاولات البعث الديني في بلاد اليونان^(٢) . فالشخص الاغريقي اتبع تقاليد العبادة لأنها موروثه له من اسلافه ، ولكنه افتقد الحماس في معتقده الديني . فعلى سبيل المثال ان معبد أبولو- اله الحكمة والمعرفة لدى الاغريق - في ديدما في آسيا الصغرى لم يكتمل بناؤه خلال أربعة قرون متعاقبة ، ليس بسبب نقص في الأموال اللازمة لاكمال عمارته ، وانما بسبب افتقار الحماس في تكريس المعتقدات الدينية الراسخة التي مكنت مدن الاغريق في فترات سابقة من اكمال معابدها الضخمة والجميلة خلال جيل واحد فقط^(٣) . وأصبحت عبادة الآلهة الاغريقية التقليدية ترافق بعض الأفكار الفلسفية التجريدية مثل الصداقة والثروة والسلام والديمقراطية ، فضلا عن انتشار بعض الأفكار التي تدعو الى الغاء التمييز بين الآلهة والبشر ورافقها اقامة محلات لتقديس الرجال البارزين الى الحد الذي دعى بعض الفلاسفة الى القول أن بمساعدة الرجال العقلاء نستطيع العيش مثل الآلهة^(٤) .

خلال هذه الفترة أخذت الثوابت التي تستند الى المعتقدات الدينية تنح نحو الزوال ، على الرغم من أن الطقوس الدينية القديمة مازال الافراد يقيمونها اعتقادا منهم ، عن ايمان راسخ ، بأن مفرداتها يجب ان يحافظ عليها . وفي ذات الحين كان الشك في وجود تلك الآلهة يخزن في اعماق البعض الآخر حتى أنهم اقتربوا من الالحاد الديني . ولم تكن اقامة

تؤلف صورة مشوشة لتلك التغييرات وهي صورة متغيرة الألوان ومن الصعوبة توضيحها. إلا أنه من الملائم، ولغرض فهم تلك التغييرات، أن نحدد الفروقات ما بين التطورات الدينية التي حدثت بدوافع سياسية وبترخيص من السلطة والملك أو الحكومة وبين الطقوس والعبادات الدينية التي تنبأها الأفراد برغبتهم المطلقة وبحرية تامة لأنها بدت لهم أنها تلي حاجة متأصلة فيهم، ولغرض شخصي وثيق الصلة بحياتهم وشخصيتهم الفردية^(٦). فالملوك الجدد الذين اعقبوا الاسكندر المقدوني كانوا الى حد ما معتصبي سلطة، لهذا اخذوا يبحثون عن سند وأساس ديني في جعل سلطاتهم قانونية ولتعزير ادعاءتهم بالحكم، لذلك ظهرت بعض السمات الخاصة المتعلقة بالمعتقدات الدينية للأمر الحاكم الجديدة من ضمنها تبني عبادة اله مهم معين، وكان من الضروري جدا ان يكون هذا الاله من ضمن مجموعة الآلهة الاولوية لأنهم ما برحوا يعتقدون بقدرسية آلهتهم التي نشأوا على عبادتها وتقديسها وأقامة شعائرها التقليدية العريقة. فعلى سبيل المثال ادعت الأسرة الحاكمة في مقدونيا اتحادها من الآله هرقل، ونقشوا صورته وبعض معطياته، وخاصة الهراوة، على نقودهم الرسمية لتصبح رمزا لحكمهم^(٧). في حين وجد الحكام السلوقيون في العراق والشام ضالهم المنشودة في أبولو، آله الحكمة والمعرفة، واعتبروه المهم الخاص الحامي. واشتهر سلوقس نفسه بنسبه اليه وانه كان ابنه وحمل بنفسه رمزه وهو المرساة، التي كانت منقوشة على فخذه على انها علامة ولادة. وقد قبل السكان الأغريق بذلك الادعاء حيث نصت كتابة تذكارية مهمة، نقشت على شرف سلوقس نفسه، على منح الحاكم الجديد امتيازات عديدة من ضمنها الاشراف على مذهب يقوم الرياضيون المتنافسون بتقديم القرابين الجسدية فيه في كل سنة، فضلا عن تسمية أحد أشهر السنة باسمه وأقامة احتفالات

ملكية كل اربع سنوات تتضمن مسابقات في الموسيقى والفروسية والرياضة، وجميعها تكون تحت رعاية الآله أبولو "الجد الأعلى للسلسلة الحاكمة"^(٨). وارتبط ادعاء الحكام الهلنستيين بآلهة خاصة مع التقاليد الشرقية الموروثة بتقديس الحاكم وهي في الاصل تدعو الى عبادة السلف ثم تطورت الى عبادة الملك وتقديسه في حياته واعتباره الها. وقد وجدت هذه الممارسة الطقوسية والعبادة ارضا ملائمة خصبة في معظم مدن الأغريق واستغل الحكام الهلنستيين هذه الظاهرة وما تقدمه من فوائد ومكاسب شخصية سياسية واقتصادية. وكان تطور هذه الممارسة بطيئا وغير منظم في البلاط السلوقي حيث استغرق فترة طويلة كانت المدن الأغريقية خلالها تجد المحفز والدافع المبرر لأعمال التكريس والتقديس للحكام. وقد أخذت مراحل عدة طريقها في عملية التطور لهذا المفهوم الديني الجديد وسبق أن ذكرنا الادعاء الخاص بسلوقس. فالقانون الذي صدر في عام ٢٨١ ق.م والذي تم به الاعتراف بسلوقس حفيداً للاله أبولو، يقترب في نصوصه ومفرداته ومضامينه من معطيات سمو الشرف الالهي. حيث تم تأسيس مبنى ديني ومذبح لتلقي التضحيات، وكذلك اقامة مواكب رسمية وألعاب وتراويل دينية ومنح أكاليل ذهبية للرياضيين المتنافسين واقامة النصب والتماثيل، فضلا عن استعمال الاسم الملكي لتسميه قبيلة أو شهر في تقويم محلي. وقد أعلن انطيوخوس الأول ابن سلوقس ان والده اصبح في مصاف الآلهة وأضفى عليه لقب سلوقس "المنتصر" وهو أحد ألقاب الآلهة في حين يعد انطيوخوس الثالث ٢٢٣ - ١٨٧ ق.م أول ملك سلوقي يؤسس معبدا رسميا لتقديس نفسه ولأسلافه، كما تشير بذلك رسالة يعود تأريخها الى عام ١٩٣ / ١٩٢ ق.م كتبت بخط يده الى حاكم اقليم كاريا ويعين بموجبها كاهنة لمعبد زوجته^(٩).

ان الدلائل التاريخية والدينية لاتلقي الضوء الكافي على معرفة الأهمية الحقيقية لظاهرة تقديس الحاكم او حتى تحديد جوهرها بتلك السهولة لأنها تطوى على جوانب سياسية ذات اعتبارات متعددة. كما أن لها عبادة وطقوسا خاصة غالبا ما كانت تميز الحالة الملكية، وتدعم في نفس الوقت قوة وشرعية حكم ذلك الملك وسلالته. ان معظم التطورات الدينية الجديدة كانت استجابة للتغيرات في المواقف الشخصية وللتحولات الاجتماعية الجديدة. ومع اضمحلال قوة دولة المدينة بدأ يطرأ على ثقة الأفراد تدهور واضح في عباداتهم التقليدية واهتمام متزايد في الديانات الصوفية التي تضمنت القيام بمحافل سرية من شأنها التعهد بانقاذ الأشخاص، ونجد في المراسم الاحتفالية في اليونسس وفي جزيرة ثامورثريس ابرز أمثلة لتلك الممارسات التي بقيت اغريقية في جوهرها خلال العصر الهلنستي وتزايدت شعبية بعض منها (مثل طقوس دايونيسوس)^(١٠). وتطورت الحرية الشخصية للفرد الاغريقي في تلك المحافل او الجمعيات الخاصة بعد عام ٣٠٠ ق. م، ومن خلالها، اي من خلال القنوات الاعتيادية، دخلت العبادة الشرقية الى كل مدينة اغريقية اوجالية اجنية صغيرة كانت قد استوطنت، وتجمعت في نادي اوجمعية لعبادة المهم الخاص، ومن المحتمل جدا ان الاغريق أنفسهم انضموا الى تلك الجمعيات^(١١). ان الميل الى الالهام الصوفي والمبادئ غير المنطقية كانت صفة ملازمة لممارسات تلك الجمعيات التي تأثرت الى حد ما ببعض الطقوس الاغريقية المعروفة، ومن الممكن ان تتوضح، على سبيل المثال، في معبد اسكليبيوس في ابيداريوس حيث يسعى الفرد الى الشفاء الاعجازي والخالق من الأمراض، وحيث أثرت تلك المعتقدات في أفكار المتعبدين الذين قضوا الليالي نائمين في المعبد سعيًا وراء الشفاء.

وتؤكد الدلائل الكتابية التي وجدت منقوشة على الجدران، وكذلك الكتابات الدعائية التذكارية الأخرى، على ان هذه الممارسات قدوصلت الى ذروتها خلال الفترة الهلنستية، فضلا عما تقدمه انواع القرايين والنذور من دلائل من شأنها تعزيز تلك الاستنتاجات^(١٢).

تبنت بلاد الاغريق نفسها عبادة الآلهة الشرقية، في حين قلما عبدت الشعوب الشرقية آلهة اغريقية. فشلا تقبلت مدينة دورايوريس (الصالحية) عبادة آلهة عراقية قديمة، وخاصة البابلية منها، في حين لم تدخل عبادة اله اغريقي واحد الى مدينة الوركاء مثلا^(١٣). وأخذت الآلهة الشرقية في بعض الأحيان أسماء الآلهة الاغريقية، ولكن دون معطياتها لأنها كانت، في معتقداتهم، الأقوى. لقد أدت هذه الظاهرة من بعد الى فشل الغزو الاغريقي لآسيا، لأن البلدان الشرقية قد وضعت في مجالها الديني مقياسا واضحا عبر الاغريقي عن ضعفه في مواجهته. ان ما قدمه الاغريق الى البلدان الشرقية يتمثل في جوانب معينة من العلم والفلسفة وحتى هذه كانت مقتصرة في حد ذاتها على القلة القليلة من الافراد وليس الى الجماهير الواسعة. وقد مثلت الالهية بواسطة نمو الفكر التجريدي وهو ميل يمكن ان يتتبع خلال القرن الرابع، وان "الهة الحظ" Fortune كانت تمثل نوعا بارزا من الفكر التجريدي، وقد انتشرت عبادتها في العالم الهلنستي ولعبت دورا مهما في ديانة ومعتقدات هذه المنطقة وخاصة في حياة البشر الذين اهتموا بها بشكل خاص وكانت في الواقع تعبر عن مبدأ هلنستي بحث^(١٤). انها لم تكن الحظ الأسمى ولكنها كانت تمثل بعض العلاقات التي لا يمكن للبشر ان يفهمها، فان الهة الحظ نفسها هي التي جعلت من بعض قواد الاسكندر حكاما ناجحين مسيطرين على أقاليم واسعة وانها قادت

السلوقي انطيوخوس زواجا واصبحت الهة معظم ذات قوة ونفوذ كبيرين . ولكن العطاء البابلي كان في عبادة الكواكب والتي يطلق عليها "علم الفلك" اذ ان جذورها تمتد بعيدا في وادي الرافدين ، ثم تطورت الى أسلوب ناضج حيث اتضح لهم أن النجوم والكواكب انما كانت تتحرك في قيو السماء حسب قوانين ثابتة .

بعد هذا الاستعراض عن الجوانب العامة للمعتقدات الدينية في العصر الهلنستي يتضح لنا ان لبلاد وادي الرافدين تأثيرا كبيرا على تشكيلها بهذه الصورة . ولكن الأدلة الآثارية والكتابية في بلاد آشور ، عن هذه الفترة قليلة، وأهمها هي العثور في تل النبي يونس في مدينة نينوى على معبد صغير يعود تأريخه الى العصر الهلنستي . وقد تألف هذا المعبد من خلوة ، ارضيتها مرتفعة يوصل اليها من خلال درجات قليلة من مقدمة خلوة تقع أمامها^(١٧) . وعلى أحد جانبي الخلوة باب تؤدي الى غرفة جانبية صغيرة ذات جيوب شديدة من اللبن، وقد عثر فوق أرضيتها على آثار تزخرف الى العصر الهلنستي استنادا الى مقارنتها بآثار مماثلة عثر عليها في الأدوار الاولى في مدينة سلوقية على نهر دجلة . ويشبه المعبد الصغير في تخطيطه المعابد الآشورية والبابلية الأقدم عهدا . واحتوت خلوة المعبد على دكة ، خصص قسم منها لوضع تماثيل الاله هرمز الذي عثر عليه خلال التنقيبات، والجزء الآخر منها احتوى على بقايا آثار حرق مما يدل على انه استخدم لحرق البخور . وهناك منصة أخرى من المحتمل انها استخدمت لوضع الهدايا والتذویر المقدمة الى اله المعبد^(١٨) . واعتبر هرمز رسول كبير آلهة الاغريق زوس، ولذلك يظهر وهو يحمل زوجا من الأجنحة فوق رأسه وزوجا آخر فوق نعله ، وفي بعض الأحيان يظهر جناحان فوق عصاه السحرية . ومن صفاته التي اشتهر بها في الشرق الهلنستي انه كان حاميا التجارة والهها وهو الذي يسبغ حمايته على

البعض الآخر الى القبر ، ولكنها لم تكن الهة قاسية غير عطوف او بدون رحمة او شفقة ولم تحرم الرجال من الأمل في الاعتقاد بأن "اليوم لك ولكن الغد لي" . وكان لكل رجل حظه ، اذ انها كانت تمثل روحه الفردية وفي كثير من الأحيان كانت تجسد شخصيته الفردية^(١٩) .

اهتمت الطبقة المثقفة بالعلم والفلسفة والثقافة بدلا عن المعتقدات الدينية ، ولكن ذلك لم يؤثر على عقلية الفرد الاعتيادي الذي ايقن ان عليه أن يعبد شيئا ما . وبما ان الآلهة الاولية بدأت تضمحل ، فقد بدأ شعور ديني حقيقي بالتطور ، وأصبحت العبادة الشرقية تسيطر تدريجيا على نفسية المواطن ، ولهذا يعتقد بعض الباحثين ، وكما ذكرنا سابقا ، بأن غزاة الشرق أنفسهم قد وقعوا فعلا أسرى الديانة الشرقية^(٢٠) . وعلى الرغم من أن تأثير الديانات الشرقية لم يصل الى ذروته إلا بعد الفترة المسيحية ، لكنها كانت تجمع قواها خلال هذا العصر بتأثيرات جاءت من بلاد وادي الرافدين وبلاد وادي النيل ، وكان لتفديس الآلهة البابلية تأثيرا محليا ، فضلا عن انها غزت بلاد اليونان نفسها وبأسمائها الحقيقية او قريبة منها . لقد ازدهرت تلك الديانات بقوة على الرغم من انها ، في بعض الأحيان ، أخذت مظهرا أغريقيا . فعلى سبيل المثال تكشف لنا النقوش التي ضربت على النقود ، وخاصة تلك التي يعود تاريخها الى العصر الروماني ، عن خليط او مزيج من العبادات والديانات المعاصرة ، وكان أهم الآلهة وأعظمها هو حداد او أدد ، اله العواصف والأمطار في معتقدات وادي الرافدين ، والذي استوعب عددا من الآلهة المحلية التي عبدت تحت اسم بعل ، كما انه تطابق مع زوس ، كبير آلهة الاغريق وكانت رفيقته أتركانس التي هي ، في أصولها ومعطياتها وصفاتها ،

الالهة عشتار البابلية التي تطورت وأصبحت في بعض الأحيان حامية المدينة . وقد عقد عليها الملك

استطاعت خلالها شعوب المنطقة وأقوامها من ممارسة معتقداتها الدينية على الرغم من الاحتلال السياسي، وهذا ما أدى بالتالي الى ازدهار تلك المعتقدات بعيدا عن القيود السياسية التي فرضها الحكام^(٢١).

وقد عثر على العديد من الدمى الفخارية التي عملت حسب الأسلوب الاغريقي والشرقي، وهي تمثل مجموعة متنوعة من الآلهة، وكانت قد قدمت للمعابد على هيئة نذور دينية رخيصة تعبيرا عن المعتقد الديني. ومن ابرز أمثلة الازدهار الديني للمعتقدات العراقية القديمة هي الاستمرار في تدريس التراتيل الدينية السومرية في مراكز العبادة، فضلاً عن ان الديانة والطقوس البابلية والآشورية قد استمرت وكان لها تأثير في معتقدات سكان مناطق واسعة بعيدة عن مناطقها الأصلية، وعلى الرغم من الانحسار السياسي للبابليين والآشوريين فان طبقة الكهنة حافظت على سيطرتها الثقافية^(٢٢).

وخلال هذه الفترة ايضا شمل تطابق وتعريف الآلهة الغريبة بنظيراتها الشرقية مجالات أوسع من العصر الهلنستي حيث تطابق مردوخ مع بيل، وأصبح الها عظميا لمجتمعات أخرى. واستمرت عبادة الالهة عشتار حتى أزمنة متأخرة، وكذلك عبادة ناناي ذات الأصل السومري وكلتاها كانتا الهتي خصوة، واستمرت طقوس عبادتهما الى فترات متأخرة من هذا العصر. وامتد التأثير البابلي والآشوري ليشمل تشكيل مجاميع الآلهة الى ازواج اوتثليت، وفي بعض الاحيان، يدخل اله واحد في اكثر من تثليث واحد، كما حدث في تدمر^(٢٣). ويتواصل التأثير البابلي المهم في علم الفلك، فكان طلاب العلم يقصدون مراكز التعليم من اماكن بعيدة لدراسة هذا الخزين الغني من المعلومات التي تراكمت خلال آلاف السنين ليستطيع البشر بواسطتها معرفة طرق الأقدار. وبرزت عبادة الآلهة

التجار ايضا. وتشير الدلائل الآتارية والكتابية الى انه، في بعض الأحيان أخذ بعض صفات ابولو، اله الحكمة والمعرفة في الأساطير الاغريقية وأهمها كونه مخترع الكتابة، وهي صفة مهمة لأبولو تطابق بها مع نابو نظيره العراقي القديم الذي عبده العراقيون القدماء بصفته مخترع الكتابة وهو الذي يمسك بالقلم. وهذا التطابق هو نتيجة طبيعية، كما أوضحنا سابقا، لتأثير الديانات الشرقية على المعتقدات الدينية الاغريقية. وفي مدينة كلخو (نمرود) احدى العواصم الآشورية، عثر المنقبون على مستوطن يعود تأريخه الى العصر الهلنستي ويؤرخ الى حدود ٢٤٠ - ١٤٠ ق. م، بدليل العثور على مسكوكات منقوشة ببعض اسماء الملوك السلوقيين، وكذلك فخار يعود تأريخه الى تلك الفترة الزمنية. ولابد أن هذا المستوطن قد تأثر بالمعتقدات الدينية للعصر وما صاحبها من التحام في مفرداتها المتشعبة^(٢٤).

ومن الأدلة الأخرى التي يعود تأريخها الى هذه الحقبة الزمنية بعض المزارات الصغيرة التي عثر عليها خارج المعبد الكبير في مدينة الحضر والتي مرّت بأدوار زمنية يعتقد أن الاولى منها تعود في تأريخها الى الفترة الهلنستية، حيث كانت تتألف من مقدمة خلوة او مصلى مستطيل الشكل وخلوة هي عبارة عن كوة في الجدار المقابل للمدخل وضع فيها تمثال لاله المعبد الصغير أو المزار. ومن أهم هذه المعابد الصغيرة هو الدور الاول للمعبد الثامن الذي من المحتمل انه كان مخصصا لعبادة الكواكب السيارة، حيث عثر فيه على تماثيل صغيرة تمثل الشمس والقمر والكواكب الخمسة الأخرى، وهي المريخ والمشتري وزحل والزهرة وعطارد، وكلها تدل على التأثيرات الدينية العراقية القديمة وخاصة تلك التي تتعلق بدراسة علم الفلك^(٢٥).

لقد فضحت هذه المعتقدات الدينية والمبادئ الفكرية المعقدة خلال فترة الاحتلال الفرثي التي

العربية والآرامية خلال هذه الفترة ومعها العقائد الخاصة بها والتي تركز حول الخصب والأمطار والمحاصيل الجيدة. وفي شمال وادي الرافدين حافظت المعابد على تقاليدها الآشورية العريقة وأقيمت الطقوس الدينية التي تضمنت اقامة الشعائر والمواكب الدينية، وكان من أبسط طرق التقديس التي وصلت اليها منقوشة على ألواح عديدة، هي حرق البخور ورمي الحمرل في المبخار او المحارق الخاصة التي أعدت لهذا الغرض، وفي بعض الأحيان نرى ان جدران المعابد قد نقشت بصورة جدارية منظمة في صفوف الواحدة فوق الأخرى. وتميزت عبادة الآلهة العربية بسمه خاصة وهي اسباغ صفات محلية للعديد من الآلهة، فمثلا كان لكل منطقة «بعل» اله اوسيد «وبعلت» سيدة او الهة، وكان لهم صفات خاصة بهم تتضمن شمول متعديهم بالحماية او في بعض الأحيان يتم تخصيص آلهة معينة للحماية. وفي مجتمعات الجاليات الأغريقية اقتصرت اقامة الطقوس والمعتقدات الدينية الاغريقية على أفرادها. وان عبادة الآلهة التي يتوسل اليها اويناشدها المتعبد ربما كانت آلهة شرقية لأن تأثير الحضارة الهلنستية، وكما بينا سابقا، اوجد حركة دينية جديدة امتدت الى مناطق واسعة وشملت العديد من الشعوب، فازداد تطابق الآلهة الاغريقية مع آلهة شرقية متعددة الأصول والممارسات، وشكلت الآلهة العربية أهمية مضافة في التطابق، فمثلا تطابق بيل مع شمش وعشتار مع ناناى مع أترعنا مع اتركاتس، وتطابق ابولو مع نابو، وتطابق هرقل الاله والبطل مع رجال اله العالم الأسفل في الأساطير العراقية القديمة منذ العصر السومري وتطابقت الالهة العربية اللات مع اثينا ابنة زوس العذراء وتطابقت ايضا مع الالهة لينمسس/ الهة العدالة والانتقام في الأساطير اليونانية^(٢٤). وتوضحت معظم صيغ تطابق الآلهة في كتابات نقشت على قواعد التماثيل بلغات وخطوط مختلفة، فمثلا كتابة واحدة باللغة الآرامية

ثم تعقبها ترجمة باللغة الأغريقية، وعندما دخل الرومان المنطقة أضيفت اللغة اللاتينية وقد عثر على بعض النصوص الكتابية منقوشة بثلاث لغات.

وازدهرت مدينة آشور- العاصمة الاولى للآشوريين خلال هذه الفترة مرة أخرى واعيد بناء معظم معابدها القديمة وحمل بعض منها صفات هذه الفترة، فمثلاً بُني معبد آشور القديم حسب مواصفات جديدة، حيث دخل الايوان عنصرا مهما في عمارته. وهناك معبد آخر يعتمد العمود عنصراً أساسياً في العماره، في حين استمرت المعابد الأخرى بتخطيطها السابق الذي يستند الى المخططات الآشورية^(٢٥). وفي داخل هذه المعابد عثر على العديد من الدمى الفخارية التي تحمل بعض صفات العصر الا أنها تعد استمرارا للتراث القديم. ومن أهم انواع الدمى تلك التي تصور المرأة العارية وقد أصبحت موضوعاً للمناقشة، وأبدى العديد من المختصين آراءهم فيها. وحصلتها انها اما تمثل الالهة عشتار نفسها بصفاتها الهة الخصب او كاهناتها، اي انها لا تبعد عن المغزى الديني وانها كانت هدايا نذرية للمعبد وقطع دينية للمتعبد في البيوت كان لها قيمة رمزية وطمسسية لما لكها^(٢٦). وتطابقت عشتار مع افروديت الهة الحب الاغريقية وانتشرت عبادتها انتشارا كبيرا حيث عثر على نماذج لتمثيلها في وادي الرافدين والصحراء السورية وهي تشير الى شعبيتها خلال هذا العصر^(٢٧). وقد عثر على العديد من نماذجها في مدينة آشور، كما وضعنا سابقا، فضلا عن العثور على دمي عديدة في سلوقية وهي على نوعين: النوع الأول انجز وهو يحمل تأثيرا واضحا للأسلوب الاغريقي، في حين يتميز النوع الثاني بصفات شرقية ولكن معظمها يرجع الى أصناف اغريقية معروفة وقسم منها يمثل أفروديت، كما عثر على بعض دمي عملت نفاصيلها بشكل رمزي تحيطي لنساء عاريات او نصف عاريات وهي

نظهر تأثيرا شرقيا قديما ، وهذا ما يدعوا الى الدهشة والاستغراب الى وجود هذه الدمى في مدينة تأسست في العصر الهلنستي^(٢٨) .

وتميزت مدينة الحضر بمكانة دينية بارزة في تاريخ المعتقدات الدينية حيث عدت بودقة انصارها للعديد من الديانات القديمة ، وأهمها الديانة العراقية القديمة / البابلية والآشورية بوجه خاص ، فضلا عن التأثيرات الهلنستية التي سبق أن أوضحنا معالمها الأساسية ، ثم ديانة ومعتقدات القبائل العربية التي استوطنت منطقة الجزيرة واتخذت من مدينة الحضر مركزا مهما لها ، وقد ورد ذكرها في الكتابات الآرامية باسم عرابيا اي بلاد العرب^(٢٩) ، وقد استمر استعمال هذا المصطلح بعدئذ لفترة طويلة . وتشير الدلائل الآثارية الى ان الاستيطان في أرض الحضر قد بدأ في حدود القرن الثاني ق. م . وهناك افراض بأنها قامت في موضع قرية كانت موجودة في زمن الآشوريين ، ولكن هذا الافتراض يفتقر الى الأدلة الآثارية التي تسنده .

احتوت المدينة في القرن الثاني ق. م على معالمها الرئيسية التي اتصفت بها بعد نموها وازدهارها وأهمها معبدها الكبير ، الذي ورد ذكره في الكتابات الحضرية باسم ”هيكلا ربا “ أو ”بيت الها“ اي بيت الاله^(٣٠) ، وقد اتخذ شكل مستطيل كبير ضم العديد من المعابد المنفصلة والمتناثرة والتي خصصت لعبادة آلهة مختلفة . وفي المدينة ايضا ، بعض من معابدها الصغيرة شيدت حسب التخطيط البابلي - الآشوري للمعابد وكرس لتقديس آلهة وادي الرافدين القديمة وآلهة العرب الرئيسية . واهتمت القبائل العربية في تشييد ابنيتهما ومعابدها وتدفقت الأموال والهدايا من أجل جعل الحضر اغنى وابهى المدن خاصة بعد ان صمدت بوجه العدوان الروماني وتعدت جيوشهم ببسالة أهلها الشجعان ومن حالقهم من القبائل العربية ، وازدادت معابدها فخامة وروعة واحتلت المكانة

العظمى في ديانة العرب قبل الاسلام . لقد كان للعامل الديني موقع بارز في ازدهار مدينة الحضر ، فضلا عن عوامل أخرى قامت بدور مهم ايضا وبخاصة العاملان العسكري والتجاري .

من أهم آلهة المدينة الاله شمش الذي خصص له أهم ابنيتهما وأفخمها ، وقد تطابق مع زوس كبير آلهة الأغريق ومع بيل ايضا ، وقد صور في منحوتات المدينة بهيئة رجل يظهر على جبينه قرنان وخلف رأسه الهالة المشعة التي هي رمزه ، وقد نقشت صورته على مسكوكات المدينة حيث يظهر بشكله التقليدي الذي تحيط به هالة من أشعة الشمس ونقش اسمه ايضا عليها في عبارة تذكر ”حطرا دى شمش“ أى ان مدينة الحضر بأجمعها قد كُرس لعبادته ووصف بالاله العظيم وخالق الكائنات وسيد الأرض واله العدل . ويبدو أنه دخل في تليث الهي مع الهين آخرين اطلق عليهم مرن (سيدنا) ومرتين (سيدتنا) وبرمرين (ابن سيدنا) . واستنادا الى الدلائل الكتابية والآثارية الفنية المستوحاة من دراسة تماثيل الاله شمش ومنحوتاته ، فان الاله قد نعت باسم مرن حيث تذكر كتابة مهمة ان برمرين قد شيد معبدا لوالده شمش ، وهي اشارة واضحة الى تطابق مرن مع شمش وان مرن (سيدنا) اصبح نعتا لشمس^(٣١) ، اما مرن (سيدتنا) فيعتقد ، استنادا الى دلائل فنية تفصيلية مقارنة ، أنها صفة من صفات اللات ، الالهة العربية العظمى والتي خصص الحصريون لها معبدا ضخما يقع داخل المعبد الكبير . وتشير الدراسات الخاصة بالمنحوتات التي عثر عليها داخل معبد هذه الالهة بأنها قد تطابقت مع نيمسيس ، الهة العدل والانتقام في الأساطير اليونانية القديمة ، حيث يظهر في احداها وهي تجلس على عصا ميزان تخرج من كفتيه ذراعان تتشابك أيديهما في مصافحة تحالف وعقد ميثاق وهي اشارة واضحة الى الالهة نيمسس لأنها الالهة التي تحافظ على المعاهدات

ووظيفته الأساسية هي حماية المزروعات من خطر الكوارث وحزمة البرق هذه ترافق مطر الخصوبة التي تحول الصحراء الى مزارع وتحافظ على حياة الانسان والحايوان وتبرز عبادته في الصحراء وقد عبد في ساحل فينيقيا، وذكر في اتفاقية الملك الآشوري أسرحدون انه كان من بين الآلهة الكبار التي عبدت في صور ثم انتقلت عبادته الى سورية الداخلية حيث عبد في تدمر و دورايوريس بين عرب الانباط في البتراء وفي خربة التنور، ووصلت عبادته الى مدينة الحضر عن طريق القبائل العربية. وقد خصص الحضريون لهذا الاله معبدا كبيرا ضمن الأواوين المتسقة حيث يبرز من أحد جدرانها نحت لمقدمة عجل ترمز اليه، وتشاركه في المعبد الآلهة اترعتا - اتركتاس بصفتها رفيقته او زوجته، وقد خصص له المعبد الثالث من سلسلة المعابد الصغيرة وخصص المعبد الرابع المجاور له الى زوجته اترعتا، وكلا المعبدان يتبع في عبارته تخطيط المعابد البابلية الآشورية (٣٣).

ومن آلهة الحضر الرئيسية نرجول اونرجل الذي اقتبس الحضريون عبادته من الآشوريين بصفة اله العالم الأسفل "نرجال" وقد تطابق مع هرقل الاله الأغريقي في المعبد العاشر، وفي الباب الشمالية عثر على منحوتاته وتمائيله وأدلة كتابية تؤيد هذا التطابق، وقد عبد كاله وكبطل ونعت «رئيس الحرس» وعثر على تمثال مشابه في الباب الشرقية ايضا مما يدل على انه كان يحرس ابواب المدينة وانه كان معبود الجنود ويظهر هرقل - نرجول مصورا مع عدد من آلهة الحضر الرئيسية على منحوتات متعددة وهو عاري الجسم ويحمل هراوته المعتادة، ويضع جلد الأسد النيمي على ذراعه ويحمل كاسا (٣٤).

كما عبد الحضريون "سميا" او اله السماء ورمزوا له بالشمس والقمر والكواكب الخمسة الأخرى على شكل اقراص مزخرفة وبهيات مختلفة تثبت

والمواثيق ويستشهد بها ويقف أمامها الملك سنطروق بن نصر و مريا في حالة تعبد وخشوع، وهو الملك الذي شيّد لها معبدها الضخم وخصصه لعبادتها بعد أن زينه بشتى الزخارف والألواح الفنية كان من أبرزها النحت الذي يمثل المشهد الموسيقي حيث يظهر عازفون على مختلف آلات النفخ الموسيقية في وضعيات وأشكال مختلفة، ويظهر آخرون يصفقون وقسم منهم يحتسي من كأس، وتبدو بينهم مغنية او راقصة. وفي المنحوتة الوسيطة لهذا المشهد تبدو الآلهة جالسة على ظهر ناقة تتقدمها كاهنة تضرب على الدف ترحيبا بها وامامها تظهر حورية البحر وهي تمسك بميزان ذي كفتين، وهو رمز للآلهة نيمسيس، وهذه اللوحة الوسيطة تروى إحدى أساطير الآلهة التي اشتهرت بها في بلاد اليونان والتي تخص قصة الحورية "ايكو" مع "نرجس" ابن اله النهر (٣٢). اما برمرين (ابن سيدينا) فيعتقد بأنه نعت للاله سين، اله القمر في معتقدات وادي الرافدين، حيث يظهر الهلال بازغا من كنفه وتحيط به ايضا هالة ولكنها في هذه المرة هالة القمر وليس هالة الشمس. وقد عثر على ثلاث منحوتات تمثل آلهة التثليث خلف معبد أطلق عليه المنقبون اسم "معبد التثليث" بسببها، وهو بناء يتألف من ايوان وسطي كبير وعلى جانبيه ايوانان صغيران بطابقين وخلفها سلسلة من الغرف. ووردت أسماء آلهة التثليث في كتابات الحضر وتكررت على نحو كبير في ادعية الحضريين وكتاباتهم التذكارية.

وعبد الحضريون الاله بعلمشمين (سيد السماوات)، بدليل العثور على عدد من منحوتاته، وورد اسمه في كتابات المدينة وذكر في كتابات الذكرى والدعاء لآلهة الحضر الرئيسية، وقد نعت بالملك وبلاله الخالق للأرض وبلاله العظيم، ويظهر في نماذج النحت التي وصلتنا جالسا بين عجلين ويمسك بيده حزمة البرق التي أصبحت رمزه وهي دليل على انه اله الرعد والبرق والأمطار،

وخصص مبنى لعبادته وتقديسه على جانب كبير من الأهمية^(٣٧). وخص الحضريون النسر بالعبادة ونعتوه "سيدنا النسر" أو "النسر سيدنا" واعتنوا بنحت تماثيله وزينوها بالقلائد المطعمة بالأحجار الكريمة وصوّروه بطريقتين، حيث يظهر في الأولى ناشرا جناحيه وهو بذلك يرمز على وجه الاحتمال، الى شمس، وقد ظهر بهذا الشكل ايضا على المسكوكات الحضرية، وفي الطريقة الثانية يبدو غير ناشر الجناحين، وعلى الأرجح أنه يرمز بهذه الوضعية لمرن.

وعثر في المدينة ومن خلال التنقيبات الأثرية على تماثيل لآلهة هلنستية اورومانية. فثلا عثر على وجه من البرونز يمثل دابونيوسوس، وعثر على جدران الأواوين المنسقة على وجه مدوسا / كوركون، ومهتما طرد الأرواح الشريرة، فضلا عن تماثيل لبوسايدون اله البحر عند اليونان وابولو وايروس رسول الحب وهرمز ايضا، وجميعها تعود الى فترة متأخرة من تاريخ المدينة عندما تحالفت الحضريون مع الرومان.

شيدت معابد الحضرة الكبيرة من حجر الحلان المهندم وزينت بأنواع من التخليلات والزينات المعارية، وتميزت واجهاتها بالأعمدة المندمجة وبالأقواس المزخرفة بأشكال آدمية تمثل آلهتها وملوكها وحكامها ونبلأها، فضلا عن عناصر حيوانية كالخيول والأنتة وما شابه ذلك. وخططت المعابد المهمة لتضم عددا من الأواوين الواسعة وهي صفة ابتكرها المعمار العربي الحضري وشاع استعمالها منذ هذه الفترة. اما المعابد الصغيرة او المزارات فقد شيدت باللبن على أسس من حجر حلان مهندم وتابعت التخطيط العراقي القديم - البابلي والآشوري في بنائها. وقد اشتمل المبد على مقدمة خلوة او مصلى، كما يسميه البعض، وخلوة تحتوي على عدد من تماثيل ومنحوتات الاله الخاص بذلك المبد، فضلا عن عدد آخر من منحدرات

على عمود بشكل راية او علم يعلوها نسر، وهذه الراية ليست راية حرية وانما عبدها الحضريون رمزا لاله السماء، وتظهر على بعض المنحوتات بأقل من رموزها السبع، ومن المحتمل ان لكل قبيلة او بيت (سما) خاصا به تألفت من الشمس والقمر والكواكب ذات الفأل الحسن والتي تتجسد في الاعمال الجيدة ازاء القبيلة او البيت. وقد ورد ذكر الاله سما في العديد من كتابات الحضرة، وعثر على "الراية" منقوشة على عدد كبير من المنحوتات او مصورة بالألوان او الحبر على جدران الجص او بشكل حروز دقيقة^(٣٨).

وخصص معبد كبير لعبادة شحيرو او نجمة السحر، وقد ورد الاسم في كتابتين مهمتين ولا يعرف الكثير عن طبيعته. كما وخصص معبد لعبادة الاله نبو او نابو، اله الحكمة والمعرفة في الأساطير العراقية القديمة وهو مخترع الكتابة وماسك القلم وقد عثر على تماثيله ومنحوتاته، وورد ذكره في الكتابات ودخل في العديد من أسماء الأعلام المركبة. وقد تطابق نبومع أبولو في المعتقدات الدينية منذ العصر الهلنستي بدليل أن سترابون الجغرافي عند اشارته الى الايزدا "معبد نابو في بورسبا" ذكر أنه مخصص لعبادة نابو/ ابولو، وان العراقيين عبده باسم نابو والاغريق تحت اسم ابولو. ومن صفاته في الحضرة انه كان "كاتب" الاله مرن، كبير آلهة الحضرة^(٣٩).

وعبد الحضريون اله الحظ "Fortune" الذي برزت عبادته خلال هذه الفترة ونضجت المعتقدات الدينية المتعلقة به، وقد صور اله الحظ في الحضرة "جندا" او "جدا" هيئة الاله هرقل الأغرقي حاملا جلد الأسد والحرارة، ولكنه لم يظهر عاريا وانما مرتديا الملابس الحضرية كاملة. وقد ورد ذكر هذا الاله في العديد من الكتابات، وعثر على منحوتات عديدة تمثله ونعت في بعض الأحيان بالحظ العائد للعرب او بالحظ العائد للباب

آلهة أخرى اعتبرت آلهة مساعدة أو ثانوية. وضم المعبد في تجهيزاته صندوقا للصدقات وضع بالقرب من خطوة المعبد لرمي الدراهم والنقود المتبرع بها ، وقد عثر على معظم هذه الصناديق خالية من الزخرفة ، إلا أن بعضا منها كان مزخرفا بمناظر دينية مختلفة ، وقد جاء معظمها بشكل اسطواني تملوها أغشية بأشكال أنصاف قباب مثبتة بكلايب لمنع سرقة النقود من داخلها ، وعثر على احد الصناديق وهو بشكل مكعب وآخر ثماني الشكل حيث نقش على أوجهه النحات نقوش لآلهة ولكهنة ولتعبدين . ويعتقد ان وضع النقود في تلك الصناديق المعدة يعد جزءا مكلا ومهما لاعمال التقديس التي مارسها المتعبدون تجاه آلهتهم ، وتعد تقليدا دينيا متواصلا من حقب. اقدم (٣٨).

جاء في كتابات الحضرة بعض أسماء الوظائف الدينية المهمة منها " اوكلاربا " (الكاهن الأعظم) وهو لقب أطلق فقط على نشرهب مربا ونصرو مربا ، وتعتبر من المناصب الرفيعة بين طبقة رجال الدين . وورد لقب " رب - بيتا " (السادن) أو رب المعبد ووظيفته دينية ومدنية تتضمن الاشراف على المعبد وصيانته ورعاية زواره ، وكان لبعض المعابد المهمة سدة معينة لادارته . كما ورد ايضا سادن للمدينة ، وكذلك سادن العرب . ومن الرتب الدينية الأخرى " كمرا " (الكاهن) و " كمربا " (الكاهنة) ، وتظهر على منحوتات الحضرة وآثارها صور كهنة يرمون الحمرل او البخور الى مياخرو أنصاف (٣٩) . ومن الواضح ان لبعض المعابد المهمة فرقة خاصة من المزميرين او المزمرات والناغين او الناعحات ، وكان عليهم رئيس اوشيخ . كما ورد في كتابة مهمة تذكر "شيخ جميع المزمرات والناعحات التابعات لمعبد مرن" كما ورد لقب " رب قيتا " الذي يدل على أنه كبير الناعحين او الناعحات .

اما مقابر المدينة فيقع معظمها في الجهة الشرقية منها . وقسم منها داخل المعبد الكبير . ومدافن ٣٢٨

الحضرة بنيت من الحجر المهتمد على اشكال متعددة أبسطها ذات طابق واحد مربع الشكل يتألف من غرفتين يربط بينها ممر ومدخل منحدر من الخارج الى الداخل . ومن الأبنية التي شملتها الحفائر الأثرية مدفن لقبطي تيمو وبلعقب ، يتألف من طابقين ، الطابق الأرضي تكون من ثلاث غرف وممر يوصل اليه من خلال مدخل ينحدر نحو الداخل بدرجات قليلة وهناك وفي احدى الغرف سلام تؤدي الى الطابق الثاني الذي تألف من غرفتين ، وتأخذ الأبنية الشكل المربع وتحتوي على غرفة مربعة واحدة زودت جدرانها برقوق او قواعد ، ربما لوضع تماثيل الاموات الذين دفنوا في الأبنية المجاورة . لقد زخرفت بعض المدافن بتحليات وأعمدة نصف دائرية مندجة بالواجهة وسقفت بالأقبية ، وكانت تضاء عن طريق نوافذ ضيقة ترتفع عاليا في الجدران ومدخلها سدت بأبواب حجرية ثقيلة تدور على صنارات حفرت في العتبات السفلى للمدخل (٤٠) .

الهوامش :

- (١) A. T. Olmstead, History of the Persian Empire, Chicago, 1966, p. 460.
- (٢) F. W. Walbank, The Hellenistic World, Glasgow 1981, p. 208.
- (٣) W. W. Tarn, Hellenistic Civilization, Cleveland, 1963, p. 357.
- (٤) Walbank, p. 208.
- (٥) Tarn, p. 338.
- (٦) Walbank, p. 210.
- (٧) ibid, p. 210.
- (٨) ibid, p. 211.
- (٩) ibid, p. 216.
- (١٠) ibid, p. 218.
- (١١) Tran, p. 338.
- (١٢) Walbank p. 218.
- (١٣) Tarn, p. 337.

- (٢٨) المصدر السابق ، ص ٦٧ .
 (٢٩) واثق الصالحى ، حضارة العراق ، الجزء الثالث ، ص ٢٢٤ .
 (٣٠) Jabir k. Ibrahim, Pre-Islamic Settlement in Jazirah, Mosul, 1986, p. 123.
 (٣١) واثق الصالحى "النحت في الحضرة" حضارة العراق- الجزء الرابع ، ص ٢٠٦-٢٠٩ .
 (٣٢) W. Al. salihi; "Allat - Nemesis", p. 131 - 146.
 (٣٣) واثق الصالحى "بعلشسين- اله البرق والمطر في الحضرة" مجلة كلية الآداب ، العدد ٢٠ (١٩٧٩) ، ص ٤٥٠-٢٦٤ .
 (٣٤) واثق الصالحى ، حضارة العراق ، الجزء الرابع ، ص ١٩٩-٢٠٠ .
 (٣٥) Susan Downey "A Preliminary Corpus of the Standards of Hatra, Sumer 26, (1970), p. 195 - 225.
 (٣٦) AL- Salihi, "The Shrine of Nebo at Hatra" Iraq, 45 (1983) pp. 140 - 145.
 (٣٧) W. AL- Salihi, "Further Notes on Heracles - Gnda at Hatra", Sumer, 38 (1982) pp. 137 - 140.
 (٣٨) واثق الصالحى "صندوق الصدقات ، ممارسة في تقديس آلهة الحضرة" بحوث آثار حوض سد صدام وبحوث أخرى ، عدد خاص ، المؤسسة العامة للآثار ١٩٨٧ ، ص ٢١٤-٢٢٣ .
 (٣٩) سفر مصطفى ، ص ٤٧ .
 (٤٠) واثق الصالحى "الحضرة- النقب في مجموعة من المقابر" ، سومر ٢٨ ، (١٩٧٢) ، ص ١٩-٣٠ .

- (١٤) Walbank, p. 220.
 (١٥) Tran, p. 240.
 (١٦) ibid, p. 241.
 (١٧) محمد علي مصطفى "اكتشاف تماثيل الآلهة هرز في نينوى ، سومر ١٠ (١٩٥٤) ، ص ٢٨٠-٢٨٣ .
 (١٨) المصدر السابق ، ص ٢٨١ .
 David Oates, Studies in the ancient History of Northern Iraq, London, 1968, p. 61.
 (١٩) ibid, p.p. 63 - 66.
 (٢٠) فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى ، الحضرة- مدينة الشمس ، بغداد ١٩٧٤ ، ص ٣٦٠ .
 (٢١) Malcolm Colledge, The Parthians, London 1967, p. 104.
 (٢٢) ibid, p. 104
 (٢٣) ibid, p. 105.
 (٢٤) Wathiq Al- Salihi, "Alat - Nemesis - Iconographical Analysis of two Religious Reliefs from Hatra, Mesopotamia, 25 (1985), pp. 131 - 146.
 (٢٥) واثق الصالحى "العارة في العصر السلوقي والفرسي" حضارة العراق ، الجزء الثالث ، ص ٢١٢-٢١٤ .
 (٢٦) صبحي أنور رشيد "كتب جديدة- دمي من آشور في متحف الشرق الأدنى في برلين" سومر ٣٧ (١٩٨١) ، ص ٢٥٣-٢٥٨ .
 (٢٧) واثق الصالحى "أفروديت عبر التاريخ" مجلة آفاق عربية ، السنة العاشرة ، كانون الأول ١٩٨٥ ، ص ٦٦ .

ج . المعتقدات الدينية في فترة الاحتلال الساساني

أ.د. عبد المنعم رشاد محمد

ويسبب سقوط مدينة الحضرة وتدمير الفرس لها فقدت هذه الديانة مركزا بارزا من مراكز عبادتها . كما ان بعض المعتقدات الفارسية أخذت بالظهور بسبب رعاية الدولة الساسانية لها ، فالدين الزردشتي- الدين الرسمي للدولة الساسانية- أخذ بالانتشار بسبب دعم الدولة له ورعايتها لدور عبادته ولرجال دينه ، ويتسامح الدولة الساسانية

كانت العقائد الدينية في فترة الاحتلال الساساني التي دامت أكثر من أربعة قرون هي في الأساس نفس العقائد الدينية التي كانت سائدة في الفترة السابقة ، فالديانة العراقية القديمة استمرت بالوجود ، إلا أنها بدأت بالاضمحلال التدريجي ولكنها مع ذلك ظلت هي الديانة الأكثر انتشارا في بلاد آشور ، ولكن لعدم وجود دولة ترعاها

مع اليهود أبقت ديانتهم حية في هذا الاقليم . فضلا عن أن سيطرة الدولة الرومانية على أقلية الجزيرة جعلها ترعى المسيحية في هذا الاقليم وتحاول نشرها بين سكانه . ولما احتل الساسانيون هذا الاقليم اضطهدوا المسيحيين على اعتبار أنهم رعايا دولة أجنبية عدوة لهم ، ولكن بعد الانشقاق النسطوري أخذت الدولة الساسانية ترعى النساطرة وتساعدتهم على نشر عقيدتهم بين مسيحي المشرق . كل هذا أدى الى تنوع المعتقدات الدينية وتعددها في بلاد آشور في هذه الحقبة المهمة من التاريخ .

١ - المعتقدات الدينية العراقية القديمة :

كانت هذه المعتقدات منتشرة في بلاد آشور وبين القبائل العربية الموجودة في هذا الاقليم ، وكانت آخر معاقل هذه الديانة هي مدينة الحضر التي كانت القبائل العربية تقصدها لأداء مراسيم عقائدها الدينية وطقوسها^(١) وقد استقت هذه الديانة معتقداتها وطقوسها أساسا من الديانة الآشورية - البابلية ، وديانة القبائل العربية التي قوامها المظاهر الطبيعية والعوامل المؤثرة على الرعي والتنقل وطابعها الميل الى التوحيد في المعتقد والعبادة ، كما اختلطت بعض المعبودات الأغريقية التي جاء بها الاسكندر المقدوني مع العبادات المحلية في شمال العراق .

وكان للفرد أهمية كبيرة في الدين على الرغم من أن الديانة العربية القديمة ديانة جماعية تتعلق بالقبيلة ، وعلاقتها وثيقة بالآلهة حيث يرث المرء هذه العلاقات ويتأثر بها باعتباره عضوا في المجتمع ، وكان الدين نظاما للحياة ، وكان للأعمال الاجتماعية العامة علاقة بالبشر والآلهة ، وكان الاعتقاد ان هناك علاقة متبادلة ، فالاله يحمي القبيلة ويدافع عنها ، وقد يضطر الى محاربة آلهة أخرى اذا اشتبكت قبيلته مع القبائل الأخرى ، وبالمقابل على القبيلة تقديم فروض

الطاعة والأصاحي والابتهالات للاله ، لهذا لم يكن من اليسير على الفرد ان يغير ديانته - أي معبوده - الا اذا غير قبيلته او خرج عنها ، وعند اختلاط القبائل او الشعوب ذات الآلهة المختلفة يؤدي اختلاطها الى اختلاف الآلهة ، وقد يقتصر هذا على تغيير صفات الآلهة الأصلية أو أن تضاف اليه صفات أخرى او يصبح لها عدد من الأسماء وهذا ما حصل في الديانة الحضورية وديانة العراقيين في هذه الفترة^(٢) .

ولكن ضربة قوية وجهت الى هذه الديانة نتيجة قضاء الفرس على مدينة الحضر وتدميرها بعد حصار دام حوالي سنتين ، ومع ذلك فان ديانة الحضر والعبادات العراقية القديمة استمرت بالوجود وانتقلت الى مراكز جديدة ، فقد انتقلت الى مدينتي حران وأنطاكية وبقيت هاتان المدينتان مراكز دينية واضحة المعالم الى الفترة العباسية ، حتى أن المدرسة الفلسفية الوثنية انتقلت في العهد الأموي من الاسكندرية الى انطاكية ثم الى حران في أيام المتوكل (٢٣٢ - ٢٤٧ هـ)^(٣) .

وكان من أبرز الآلهة التي عبدها العراقيون القدماء في هذه الفترة في بلاد آشور الآلهة الشمس والقمر وزحل وقد استمرت عبادة الآلهة السبعة التي كان الحضريون يمارسونها^(٤) ، وهذه الآلهة السبعة هي على عدد أيام الأسبوع ، حيث تقدم اليها القرابين والنذور "يوم الأحد للشمس واسمها ابليس ، يوم الاثنين للقمر واسمه سين ، يوم الثلاثاء للمريخ واسمه اريس ، يوم الاربعاء لعطارد واسمه نابق ، يوم الخميس للمشتري واسمه بال - بعل ؟ يوم الجمعة للزهرة واسمها بلثي ، ويوم السبت لزحل واسمه قرنس"^(٥) ، وكان هناك أعياد ومواسم في كل شهر من أشهر السنة يقدم فيها اتباع هذا الدين القرابين والنذور لآلهتهم الكثيرة التي لا يحصيا عدد نتيجة لخلط الكثير من العقائد والعبادات المحلية بغيرها^(٦) ، ويقوم باداء الطقوس والاشراف عليها رجال دين يسمى أحدهم الكمر^(٧) .

واستمرت عبادة التثليث (الشمس والقمر وزحل) المأخوذة عن العراقيين القدماء، وعن عقائد الحضرة^(٨).

والتثليث يختلف أساسا عن الثالوث لأن الثلاثة لم يرقوا الى درجة الاندماج الكلي في اله واحد، إلا ان عبادة الآلهة الثلاثة ساعدت كثيرا على التمهيد لتقبل الديانة المسيحية بثالوثها المقدس - الأب والابن وروح القدس - وذلك بالنسبة لسكان بلاد آشور الذين خسروا بذهاب الحضرة مركزا دينيا على جانب كبير من الأهمية لم تستطع حرّان أن تعوضهم عنه مما جعلهم ولا شك يبحثون عن عقائد دينية أخرى تضمن لهم احتياجاتهم الروحية فوجد قسم منهم ذلك في الديانة المسيحية. ومع كل ذلك فقد بقيت الديانة العربية القديمة منتشرة بين الكثيرين من القبائل العربية الموجودة في العراق التي اقبلت أثر حروب التحرير العربية لبلاد العراق للدخول في الدين الاسلامي وبشكل جماعي وسريع.

٢- الدين الزردشتي :

الدين الزردشتي هو أحد الأديان التي كان لها وجود محدود في بلاد آشور في الفترة الساسانية، وكان معتقوه بالدرجة الأولى من الجاليات الفارسية التي جاءت الى المنطقة بعد احتلال الفرس لها^(٩).

وقد رعت الدولة الساسانية الدين الزردشتي واتخذته دينا رسميا لها ولهذا كان من مصلحتها نشره بين السكان بمختلف الأساليب والطرق. ورعاية رجال دينه حتى أصبحت الدولة الساسانية والدين الزردشتي منسجمين لا تعارض بينهما، وبذلك استطاعت الدولة ان تعتمد على رجال الدين في تثبيت اركانها ونشر الأمن فيها^(١٠).

ونسب هذه الديانة الى زراوشث الذي ظهر في القرن السابع قبل الميلاد في إقليم أذربيجان، إلا ان تعاليمه لم تنتشر إلا في الأقاليم الشرقية من بلاد

ايران في أفغانستان، وجاء زرادشت بديانة مزدية معدلة، والمزدية هي الديانة الايرانية القديمة التي تؤمن بآلوهية مزدا (الحكيم) وهو الآله الأكبر للقبائل الآرية المستقرة^(١١).

وتؤمن هذه الديانة بأن العالم تسيره قوتان هما الخير والشر، مصدر الأولى اله الخير (اهوارمزدا) والثانية مصدرها اله الشر (أهريمن) والصراع بين الآلهين مستمر حتى نهاية العالم، ونتيجة الصراع هو انتصار اله الخير على الشر. وقد اعترفت هذه الديانة بالآلهة الشعبية للايرانيين: ميترأ - مهر (اله النور ورب الميثاق) وبالآلهة أناهيتا (الهة الماء والخصب) وبالنجم تشتريا (اله الجد) ولوثر غنا (اله الحرب والخص) وغيرها من الآلهة^(١٢). كالشمس التي سميت (ميترأ - مهر) وعبادة الآله شمش منقول عن البابليين والذي جعله الزرادشتيون (الشمس التي لا تموت)^(١٣).

وكان للنار مكانة كبيرة في الدين الزرادشتي فهي رمز اله الخير واعتبرت (ابن الاله اهوارمزدا)^(١٤).

وكانت النار المعبودة متعددة الأنواع فمنها نار البيت ونار القبيلة ونار القرية ونار مثل كورة او اقليم. وفي معبد النار يقف الهزبد وقد اخفى فيه بلثام لكي لا تلوث أنفاسه النار ليغذيها بقطع من الخشب ظهرت تطهيرا دينيا، وهي في الغالب من نبات خاص مرتلا بالأدعية الدينية المقررة ثم يقومون بكل الطقوس المتعلقة بذلك وهذه تأخذ اشكالا أخاذا في الأعياد السنوية، وكانت الترانيل لا تنقطع بلحان جميلة واصوات مرتفعة تارة ومنخفضة أخرى، وهم يرددون الأدعية والصلوات في أوقاتها المحددة وحسب التقاليد المزعومة^(١٥).

والكتاب الديني للزرادشتيين هو الافست (الافست، الاستباق)^(١٦) ويحوى هذا الكتاب

الاعلى هو هريذان هريذ، ولهم مكانة ادارية كبيرة، فقد كان حاكم دارا مجرد عند فتح العرب لها من الهراينة (٢٠).

كان للزردشتيين الكثير من الأعياد والمناسبات الدينية كانت في الأصل مما يحتفل بها الفلاحون واصطبغت بعد ذلك بصبغة رسمية، وأصبح لها طابع ديني يقوم رجال الدين بطقوسها ويصاحبها الكثير من المرح والملاهي الشعبية، وأصبحت هذه الأعياد متصلة بالتاريخ الأسطوري للآيرانيين.

وأهم الأعياد عيد النوروز، وهو يوم رأس السنة، ويحتفل به رسمياً فتسلك به التقود الجديدة وتجي الضرائب وتقدم الهدايا الى الملك ويدوم هذا العيد ستة ايام (٢١). وعيد المهرجان من الأعياد المهمة وهو عيد (متراً) يحتفل به يوم مهر (١٦) من شهر مهر) وهو عيد خلق الانسان والأرض، ومن رسوم الملوك في هذا العيد لبس التاج الذي عليه صورة الشمس وعجلتها الدائرة (٢٢). وهناك اعياد اخرى كعيد الربيع وعيد أكل الثوم وعيد التبخير (السدق) وعيد النساء وغيرها يحتفل بها في ايام الربيع والخريف. وكان في كل شهر من الأشهر الفارسية أعياد ترتبط ببعض الاساطير والمناسبات البطولية (٢٣).

٣- اليهودية :

كانت اليهودية من الديانات التي كان لها بعض الجاليات في العراق، وكانت بلاد آشور تحتوي على عدد منها، وكانت لليهود محلة في الموصل (٢٤). كما كان لهم بعض الوجود في اربيل وكرخا بيت سلوخ - كركوك الحالية - وقد اشتغلوا بالتجارة والزراعة ومختلف الحرف. وفي عهد الدولة البارثية كثر عددهم في العراق بسبب استمرار الحماية التي اسبغها عليهم الدولة. ونظمت جماعات اليهود منذ القرن الأول الميلادي تحت رئاسة "رأس الجالوت - ريش كالوتا" واعترف الملك البارثي بهم

على العظاات المنسوبة لزرادشت مع التاريخ الخرافي لبلاد ايران وكانت مقسمة الى ٢١ نسقا دمر الاسكندر النسخ المكتوبة منها ثم جمعت في العهد البارثي، وفي العهد الساساني تم جمع اجزاء منها، وكانت مقسمة الى ثلاث مجموعات: دينية وفلسفية وعلمية، ضاعت الأخيرة منها، وبقيت بعض اجزاء المجموعتين الاولى والثانية، ويعود سبب ضياع معظم اجزاء الانست الى ان الزردشتيين أنفسهم أهملوا نسخ هذا الكتاب الضخم وبخاصة الأجزاء الفقهية والقانونية لأنها أصبحت عديمة الجدوى بالنسبة لهم في العصور الاسلامية لعدم وجود دولة مجوسية تطبق هذا الفقه.

كان لرجال الدين الزردشتيين مكانة مرموقة في المجتمع والدولة الساسانية، فالدولة تساندتهم وتحميهم ويدورهم كانوا يدعمون الدولة ويحافظون على أنظمتها ويدفعون الناس الى طاعتها والالتفاف حولها، وكان رجال الدين يتدخلون في الشؤون الشخصية لكل فرد وفي مختلف أدوار حياته، ويعدون أنفسهم من طبقة الملوك، وكانت لهم أملاك واسعة واقطاعات يستغلونها تشكل قوة اقتصادية مهمة تدعم مركزهم (٢٥). وكان لهم تنظيم دقيق ومناصب متدرجة اوطؤها هي الموجان (الموغان او المجوس) الذين يديرون المعابد ويرأسهم موجان موج، والطبقة العليا من رجال الدين هي طبقة الموابذة ورئيسهم موبدان يصفه الخوارزمي بأنه "قاضي القضاة" (٢٦) وكان يرأس رجال الدين في مقاطعته واليه حل المشكلات الدينية والعقائدية، وقد يتولى ادارة بعض المقاطعات، وهو مستشار الملك في الشؤون الدينية والمرشد الروحي له (٢٧) والطبقة الوسطى من رجال الدين هي طبقة الهراينة "الهريذ هو خادم النار" (٢٨) وكانوا يديرون المراسم الدينية في المعابد مما يتطلب منهم معرفة خاصة ودقيقة بالطقوس الدينية ورئيسهم

كجماعة لها قدر من الاستقلال وعهد الى رأس الجالوت بتسلم الضرائب وتعيين القضاة لهم . وقد نشأت لهم بعض المدارس التي اهتمت بدراسة التلمود وكان يقوم بذلك الامورام وهم جماعة من علماء اليهود .

كان الفرس على علاقة طيبة باليهود وأعطوهم الكثير من الامتيازات ، وقد قابل اليهود هذا الموقف المؤيد لهم بالامتنان والتأثر بالعقائد الدينية الابرانية وكانوا طابورا خامسا للفرس في العراق ، حيث درسوا الدين الزردشتي وأخذوا عنه الكثير من الأمور ، تعلموا منه أن هناك قوتين في الوجود قوة الخير وقوة الشر وان يهوه يمثل قوة الخير . كما تأثر اليهود بالعقائد البابلية وأخذوا الكثير من القواعد الفقهية من القوانين العراقية القديمة ، وفي بابل حيث كتب التلمود البابلي - وهو الشريعة الشفوية التي جاء بها موسى كما اعتقد الفريسيون - ادخلت هذه العقائد والتعاليم والتلمود بالنسبة لليهود أهم من التوراة على اعتبار انها كانت من التعاليم الشفوية التي باح بها يهوه لموسى ولم يعرفوها خوفا عليها من الانكشاف واطلاع الاغراب عليها^(٢٥) . وهكذا فان الديانة اليهودية تغيرت تغيرا كاملا بتأثير العقائد البابلية والزرداشتية .

وكان من نتيجة الرعاية الكبيرة التي اسبغها الساسانيون الفرس على اليهود ان احتكر هؤلاء الكثير من الموارد الاقتصادية ، مما أدى بالعرب في العراق خاصة ، الى كرههم وأصبحت اليهودية مقترنة بالنفوذ الأجنبي ، واستمر الساسانيون بدعم اليهود ورعايتهم حتى أن الملك يزيد جرد اتخذ له زوجة يهودية هي (شوشين دخت) ابنة رأس الجالوت^(٢٦) .

بهذه الصورة نمت اليهودية بنمو اليهود ، ولم يكن لها مؤسس واحد بل نمت على ايدي الأنبياء والكهان ورجال الدين الذين وضعوا اللمسات الأخيرة لهذا الدين في بلاد بابل^(٢٧) .

وقد حافظ اليهود على الكثير من عاداتهم وتقاليدهم الدينية القديمة وعلى اعيادهم المرتبطة بمناسبات دينية ، وكانوا يصومون اياما معدودة في كل شهر من أشهر سنتهم القمرية المكونة من اثني عشر شهرا ، وفي كل ثلاث سنوات يكبسون شهرا هو شهر - آذار الأول - وعدد ايامه ثلاثون يوما ليس فيه عيد او صوم وكان لا يحل لهم العمل يوم السبت وكانوا يتشددون مع من يعمل يوم السبت حتى تصل عقوبته القبر^(٢٨) . وعلى الرغم من وجود العديد من الفرق الدينية اليهودية فانها من ناحية اساسية متفقة على الأعياد وأيام الصيام .

٤ - المسيحية :

نشأت المسيحية في فلسطين حيث بدأ السيد المسيح يبث دعوته بين اليهود ، فاستطاع أن يجلب له عددا من الحواريين والأنبياء ، فلما أدرك اليهود أن النبي الجديد يدعو الى ما يخالف اتجاهاتهم قاوموه وألبوا عليه السلطة الرومانية وعلى أثر اختفاء المسيح من ميدان العمل اودع نشر الدين المسيحي الى تلامذته وحوارييه الذين انتشروا في الارض وأخذوا يبثون الدعوة بحماس للدين الجديد .

وقد ذهب بولس وبطرس الى روما لنشر الدعوة هناك وظفرا ببعض النجاح ويقال ان توماس (توما) ذهب الى باريثا مبشرا بالمسيحية^(٢٩) . وتقول بعض الروايات أن مار أدنى احد تلاميذ المسيح الاثنى عشر والسبعين وتلميذه ماري بشرا "في نصيبين والحزيرة والموصل وأرض بابل والسود وبلاد العرب وأرض المشرق في المائة الأولى للميلاد^(٣٠) . الا أن هذا الانتشار المبكر - اذا صح - لا بد أن يكون محدودا جدا وبعدد ضئيل من الأفراد ، لأن الأخبار الموثوق بها تؤكد ان المسيحية أخذت بالانتشار التدريجي في هذه المناطق اعتبارا من القرن الرابع الميلادي^(٣١) .

وقف الساسانيون من المسيحيين موقف عدم المبالاة في بداية الأمر ، ولكن هذا الموقف أصبح

متشددا بعد أن أصبح الدين المسيحي الدين الرسمي للدولة البيزنطية في عهد الامبراطور قسطنطين (٣٠٥-٣٣٧ م) وقد رعت الدولة البيزنطية هذا الدين في المناطق التي تحتلها من أقليم الجزيرة وبلاد آشور، ولكن بعد انتقال هذا الأقليم الى السيادة الساسانية تعرض المسيحيون الى اضطهاد ومعاملة قاسية من الفرس الذين عدوهم مواليين للدولة أجنبية، ولكن بعد حدوث الخلافات الدينية وانشقاق النساطرة أخذ الفرس بمساعدة النساطرة ورعايتهم (٣٢).

وجاءت الرهبة الى هذا الأقليم بمحدود عام ٣٢٥ م من بلاد مصر على يد القديس اوجانيوس الذي جاء مع ٢٨ من رفاقه من صعيد مصر فسكنوا في جبل ماردن ونصيبين وجبل سنجار، وتعلمذ على ايديهم عدد من أهل المنطقة، وقد تفرق هؤلاء وينوا الأديرة في مختلف مناطق الدولة الساسانية، وكان من جعلتهم مارميخائيل الذي أسس ديريه على نهر دجلة فوق الموصل، ولا زال قائما الى الآن (٣٣). وقد قام الرهبان بدور بارز في نشر تعاليم الدين المسيحي بين الناس وحفظوا العلوم الدينية والدنيوية (٣٤).

وكان لبلاد المشرق اسقف تابع لبطريك انطاكية يسمى الجاثليق كرسيه في مدينة طيسفون- عاصمة الدولة الساسانية (٣٥)، وقد أقامت المسيحية الشرقية دستورها الروحي في مجمع سنتي ٤١٠ و ٤٢٠ م المنعقدة في طيسفون تحت أنظار الدولة الساسانية، وتم هذا بمساعدة رسولين من قبل امبراطور بيزنطة هما الأسقفين ماروثا اسقف ميافارقين واكاس اسقف آمد (٣٦).

وقد حدث شقاق ديني في الدولة البيزنطية نتيجة الاختلاف حول طبيعة السيد المسيح، فان مجمع نيقية قرر أن المسيح آله بطبيعته انسان بصورته فهو اله وانسان، غير أن هذا المجمع لم يبحث

العلاقة بين الطبعيتين، فظل الناس يختلفون فيها. وكان بعضهم يرى ان الطبعيتين متصلتان متحدتان وآخرون يرون أنها منفصلتان، ومن هؤلاء نسطوريس الذي كان اسقفا لأنطاكية، ثم عين بطريركا على القسطنطينية، فأخذ يث عقيدته التي ترى ان المسيح له طبيعتان منفصلتان احدهما لاهوتية والأخرى ناسوتية، كما تؤكد عقيدته ايضا على ان السيدة مريم هي أم المسيح الانسان وليس أم الاله وبذلك انزل من مكانتها وقيمتها وأصبحت مجرد سيدة ولدت انسانا حلت به روح المسيح. وحاول نسطوريوس نشر هذه الآراء، إلا انه لقي مقاومة عنيفة باعتباره ينقص من قدر المسيح وأمه. وحسباً للزراع عقد مجمع أنسوس سنة ٤٣١ م تقرر فيه أن عقيدة نسطوريوس هرطقة وكذب فعزل عن منصبه.

واضطهد انصاره في الامبراطورية البيزنطية، فاضطروا الى الهجرة الى الدولة الساسانية حيث رحبت بهم وعاملتهم معاملة حسنة ومنحتهم حرية واسعة في الاقامة وفي نشر مذهبهم باعتبارهم اعداء للامبراطورية البيزنطية وعقيدتها الرسمية (٣٧). وكان لبرصوما- مطران نصيبين- دور كبير في نشر هذا المذهب وفي اضطهاد اعدائه، كما أخذ بتطبيق بعض من تعاليمه كزواج القسس والكهنة خلافا للعادة القديمة. ويبدو أن بعضا من مسيحي نينوى ومنطقة الموصل قد نالهم الاضطهاد على يد برصوما (٣٨).

وفي سنة ٤٩٧ م انتخب بالي جاثليق المدائن بطريركا للنساطرة (٣٩). وعقد مجمعا لتدبير شؤون كنيسته حضره العديد من الأساقفة، وقد ثبت هذا المجمع تعاليم برصوما بزواج الأساقفة والرهبان، وكان من نتيجة مجيئ نسطوريوس الى كرسي المدائن البطريكي أن اصبحت الوظائف الدينية حكرا على النساطرة فأخذ البطريك لا يسمي مطرانا ولا أسقفا إلا من نخلته، كما أخذ المطارنة والأساقفة يقرّبون

رجال الدين والقميس النساطرة، مما شجع على نشر هذا المذهب بين مسيحي المشرق^(١٠).

وفي مجمع سنة ٥٤٤ م منع زواج رجال الدين حيث أصر المجمع على عدم سياسة المتزوجين من الأساقفة والبطاركة^(١١).

وكان من نتيجة طاعة ومخالفة الجاثقة للملوك الساسانيين أن أصبح الجاثليق ملزماً على مرافقة الملك الساساني في حروبه ضد البيزنطيين حيث تعد هذه المرافقة تشریفاً وتكريماً لرؤساء المسيحيين^(١٢). إلا أن الهدف الحقيقي من هذه المصاحبة هو، أظهار مدى طاعة المسيحيين للحاكم الساساني ومساعدتهم له في حروبه مع البيزنطيين المسيحيين.

لقد كان لعلاقة كسرى ابرويز (٥٩١ - ٦٢٨ م) الجيدة بالامبراطور البيزنطي موريس وزواجه من ابنته ماريا وأثر عشيقته المسيحية شيرين - التي بنى لها قصر شيرين - أثره حملته ولا شك على رعاية المسيحيين وحسن علاقته بهم.

وقد اختار الأساقفة سنة ٥٩٦ م سير يشوع بطريركا جاثليقا تنفيذاً لرغبة الملك الساساني، وكان هذا نسطوريا منشدداً وكان في حظوة لدى ابرويز، وكانت الوفود البيزنطية تؤدي له الزيارة، وبقي محترم المكانة حتى وفاته^(١٣).

واستمرت العلاقة الجيدة بين الدولتين حتى عام ٦٠٢ م عندما نجح نوكاس باعلاء العرش البيزنطي وقضى على موريس وأسرته ونشبت الحرب بين الدولتين حيث هاجم ابرويز بلاد الشام وآسيا الصغرى وفلسطين ومصر وكانت الانتصارات الفارسية نكسة كبيرة للبيزنطيين وللمسيحيين، فقد استباح الفرس هذه البلاد وقتلوا الكثير من المسيحيين وأخذوا بطريرك القدس أسيراً مع غيره الى المدائن، كما هددوا العاصمة البيزنطية وقطعوا القمع عنها من مصر، وبذلك أصبحت الدولة

البيزنطية بأمس الحاجة الى بطل ينقذها من هذه الظروف الحرجة، وقد وجدت هذا البطل بشخص هرقل ابن حاكم قوطاجنة^(١٤). الذي استطاع ان يخلص دولته من الاحتلال الفارسي سنة ٦٢٧ م ويستعيد ماخسرته من أراضي، كما أعيد الى بيت المقدس الصليب الذي أسره الفرس، وكان من نتيجة انتصار هرقل أن عزل ابرويز عن العرش وقتل وجاء بدلا منه ابنه شيرويه - ابن ماريا - البيزنطية الذي قام بعقد صلح مع هرقل وبمقتضى هذا الصلح عادت العلاقات الطبيعية بين الدولتين وعاد السلام^(١٥)، وانشغلت الدولة الساسانية بمشكلاتها الداخلية وعلى الأخص مشكلة الصراع على السلطة

الهوامش :

- (١) مزاد سفر، محمد علي مصطفي، الحضرمدينة الشمس، بغداد ١٩٧٤، ص ٤١ وما بعدها.
- (٢) صالح احمد العلي، محاضرات في تاريخ العرب، ج ١، الطبعة الثالثة، بغداد ١٩٦٤، ص ١٦٦ - ١٦٧.
- (٣) المسمودي، التنبيه والاعراف، تحقيق: عبد الله اسماعيل الصاوي، القاهرة ١٩٣٨، ص ١٠٥.
- (٤) الحضرمدينة الشمس، ص ٤٥.
- (٥) ابن النديم، الفهرست، مطبعة الاستقامة، القاهرة (دون تاريخ)، ص ٤٦١ وكذلك البيروني، الآثار الباقية من القرون الخالية، تحقيق: ساخاو: ليزيك ١٩٢٣، ص ٣١٨ وما بعدها.
- (٦) ابن النديم، ص ٤٦١.
- (٧) نفس المصدر، ص ٤٦٣، قارن الحضرمدينة الشمس، ص ٤٧.
- (٨) الحضرمدينة الشمس، ص ٤١.
- (٩) ابن القتيبة، مختصر كتاب البلدان، تحقيق: دى كويه، لبنان، ١٨٨٥، ص ١٢٩، سعيد الدويهي، جى، الموصل في العهد الاتيكي، بغداد ١٩٥٨، ص ٦ - ٧.
- (١٠) كريستنسن، آثر، ايران في عهد الساسانيين، ترجمة: يحيى الخشاب، القاهرة ١٩٥٧، ص ١٣٠.
- (١١) نفس المصدر، ص ١٩.
- (١٢) نفس المصدر، ص ٢٠ - ٢١، انظر: ويد جري، المذاهب الكبرى في التاريخ، بيروت ١٩٧٩، ص ١١٢ - ١١٣.
- (١٣) Langlois, collections des historiens anciens et moderens des L'Armenie, Paris 1867-9, vol. II

- (٣٣) نفس المصدر، ص ١٤٦، انظر كذلك، بطرس نصري للكلداني، كتاب ذخيرة الأذهان في تواريخ المشاركة والمعارفة السريان، مطبعة الآباء الدومنيكيين، الموصل ١٩٠٥، ج ١، ص ٦٤.
- (٣٤) لويون، ص ١٤٩.
- (٣٥) نفس المصدر، ص ١٧٨.
- (٣٦) كريستنسن، ص ٢٨٤، بطرس نصري الكلداني، ج ١، ص ١٠٩.
- (٣٧) عن النسطورية، انظر: ابن حزم، الفصل في الملك والأهواء والنحل، بيروت ١٩٧٥، ج ١، ص ٤٩، ومطهر بن طاهر المقدسي، البدء والتاريخ، باريس ١٩٠٣، ج ٤، ص ٤٤-٤٥.
- (٣٨) بطرس نصري، ج ١، ص ١٢٥-١٢٦.
- (٣٩) جاثليق نغني (الرئيس العام) واللقبان جاثليق وبطريك استملا منذ جمع سنة ٤٢٤ م بصورة مترادفة للإشارة الى الأسقف المتقدم في كنيسة المشرق، وفي تقرير عن مؤتمر تحرير صوبا النصبي المتقدم سنة ٤٨٤م، بلقب رئيس الكنيسة مارافان "جاثليقا- بطريكا"، انظر: ولم دى فريس ترجمة: د. سرهد جمو، "نشأة بطريركية كرسي المشرق"، مجلة بين النهرين، ج ٩-١٠، سنة ١٩٧٥، ص ٢٤-٢٥.
- (٤٠) بطرس نصري، ج ١، ص ١٦٢-١٦٣.
- (٤١) نفس المصدر، ج ١، ص ١٧٢.
- (٤٢) نفس المصدر، ج ١، ص ١٧٩.
- (٤٣) المسعودي، التنبيه والاشراف، ص ١٣٣، د. سرهد جمو، "إيشوعيا الكبير وعهده" مجلة بين النهرين، العدد ٦، ١٩٧٤، ص ٢٠-٢١، وكذلك: رافائيل بابو اسحق، ص ١٦-١٨.
- (٤٤) سرهد جمعة، "إيشوعيا الكبير وعهده"، ص ٢٤.
- (٤٥) Hussey, J.M. The Byzantine world, London, 1957, PP. 24-5.

- (١٤) كريستنسن، ص ١٣٥.
- (١٥) نفس المصدر، ص ١٥٢-١٥٣.
- (١٦) كريستنسن، ص ١٠٤-١٠٦.
- (١٧) الخوارزمي، مفاتيح العلوم، القاهرة ١٣٤٢، ص ٧١.
- (١٨) كريستنسن، ص ١٠٥-١٠٦.
- (١٩) الخوارزمي، ص ٧١.
- (٢٠) البلاذري، فتوح البلدان، القاهرة ١٩٣٢، ص ٣٨٠.
- (٢١) كريستنسن، ص ١٦٢.
- (٢٢) البيروني، الآثار الباقية، ص ٢٢٢-٢٢٣.
- (٢٣) نفس المصدر، ص ٢٢٥-٢٢٧، كريستنسن، ص ١٦٢-١٦٨.
- (٢٤) ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص ١٢٨-١٢٩.
- (٢٥) ابراهيم خليل أحمد، أسرائيل والتلمود، القاهرة، ١٩٦٧، ص ٦٩، غوستاف لويون، اليهود في تواريخ الحضارات الاولى، ترجمة: عادل زعبيتر، القاهرة، ١٩٥٠، ص ٦٢-٦٣.
- (٢٦) كريستنسن، ص ٢٥٨.
- (٢٧) اسماعيل مظهر، ص ٣٣٠.
- (٢٨) البيروني، ص ٢٧٥، ٢٨٥.
- (٢٩) كريستنسن، ص ٢٥.
- (٣٠) رافائيل بابو اسحق، تاريخ نصارى العراق، بغداد ١٩٤٨، ص ٢، انظر كذلك: المسعودي، التنبيه والاشراف، ص ١٢٨.
- (٣١) مارأغناطيوس افرايم الأول برصوم، تاريخ طوير عابدين، ترجمة: غوريغوريوس بولس بهنام، بغداد ١٩٦٣، ص ٢٠٠-٢٠١.
- (٣٢) لويون، مختصر تواريخ الكنيسة، ترجمة: يوسف داود، مطبعة الآباء الدومنيكيين، الموصل ١٨٧٣، ص ١٦٩ وما بعدها.

اللغة والكتابة

د. عامر سليمان

لغة منطقة الموصل في عصور ما قبل التاريخ :

ان من أهم ما يميز الانسان عن غيره من الكائنات الحية قدرته على التعبير عن نفسه بطرق ووسائل ارادية سمعية وبصرية^(١) تمكنه من الاتصال بأخيه الانسان ، وهكذا استخدم الانسان الاشارات والحركات ثم اللغة ، كما استخدم الرسوم والعلامات والرموز المنقوشة ، واخيرا الكتابة . وظلت جميع هذه الوسائل وغيرها مستخدمة جنبا الى جنب حتى يومنا هذا ، غير أن أهمية كل منها وفائدته كانت تزداد او تنقص تبعا للظروف التي يتعرض لها الانسان .

وتعد اللغة من أهم وسائل التعبير الارادية السمعية التي استخدمها الانسان منذ أقدم العصور ، ولا يمكن تصور مجتمع مها كان بدايا وفي أي زمان او مكان دون ان تكون له لغة يتفاهم بها أفرادها فيما بينهم . ومع ذلك فان معرفتنا بلغة الانسان القديم محدودة ولا تتجاوز في معظم الأحيان تاريخ ابتداء الكتابة .

وفي شمال العراق ، ومنه منطقة الموصل ، عاش الانسان منذ فترة سحيقة في القدم تتجاوز تاريخ ابتداء الكتابة بعشرات الألوف من السنين حسبما هو متوفر لدينا من معلومات وأدلة أثرية ، وبديهي ان الانسان استخدم خلال تلك العصور الطويلة لغة او لغات تفاهم بها مع أخيه الانسان ، الا اننا لانمتلك معلومات عن تلك اللغة او اللغات ، وذلك لأن الكتابة وسيلة لتدوين وحفظ ونقل اللغة الى الأجيال التالية لم تكن معروفة خلال القسم الأعظم من تلك العصور ، وقد يمكن تخمين

الفصيلة او العائلة اللغوية التي تنتمي اليها لغة السكان القدماء من خلال دراسة وتحليل آثارهم المادية وهياكلهم العظيمة الباقية ومعركة انتمائهم او موطنهم الأصلي ، إلا ان الباحثين في تاريخ العراق القديم لم يتمكنوا بعد من تحديد فصيلة اللغات التي كانت سائدة في شمال العراق في العصور الحجرية القديمة والعصور التالية لها حتى انتشار استخدام الكتابة في بلاد آشور، وان جل مانعرفه عن تلك اللغات وجود بعض التسميات الجغرافية الغربية عن اللغات التي انتشرت فيما بعد في المنطقة مما يدفع الى الظن بأن تلك التسميات تنتمي الى اللغات القديمة التي كانت سائدة في المنطقة ، إلا انها لم تحفظ بالتدوين . ولعل من ابرز تلك التسميات اسم مدينة آشور ، الذي جاء في العديد من النصوص المسارية على هيئة بال - تل ، Bal til ، وربما اسم بابل Babil وأربيل Erbil^(٢) وغيرها من الأسماء الجغرافية المشابهة من حيث الصياغة .

لغة المنطقة في العصور التاريخية :

بدأنا نتعرف على اللغات التي كانت مستخدمة في مختلف اجزاء العراق منذ أن بدأت الكتابة تستخدم للتدوين . وكان أول ابتداء الكتابة في القسم الجنوبي من العراق في اواسط الألف الرابع قبل الميلاد . وتشير الدراسات الأثرية واللغوية التي تمت عن أقدم ما اكتشف من الواح طينية تحمل علامات كتابية صورية يمكن فهم لغتها ، وهي الألواح التي ترقى بتاريخها الى اواخر الألف الرابع قبل الميلاد . الى ان لغتها كانت اللغة السومرية ، وهي لغة السومريين الذين كانوا يؤلفون النص الرئيس

السومرية هي لغة مفردة بخواصها ولا تشبه ايا من اللغات المعروفة لا في العراق ولا في غيره من البلدان شبيها يصل الى درجة القرابة ، اي انه لا يمكن نسبتها الى اي من العائلات اللغوية المعروفة لدينا . وقد كان من نتائج عدم معرفة انتهاء اللغة السومرية ان ذهب الباحثون مذاهب شتى في تحديد الاصول التي انحدر عنها السومريون أنفسهم . ويبدو ، مع هذا الغموض ، ان اللغة السومرية تنتمي الى عائلة لغوية قديمة كانت فروعها منتشرة في المنطقة ، ربما في شمال العراق ايضا ، ثم انقرضت تلك الفروع قبل ابتداء الكتابة وسيلة للتدوين في حين حالف اللغة السومرية الحظ ، فظلت مستخدمة الى ما بعد ابتداء الكتابة فدونت وحفظت ووصلت الينا من خلال الألواح الطينية الكثيرة المكتشفة في مدن جنوبي العراق ، وظلت اللغة السومرية لغة التخاطب والكتابة فترة طويلة امتدت الى الألف الثاني قبل الميلاد ثم انحسر استخدامها للتخاطب تدريجيا بزوال قوة السومريين السياسية واندماج

السومريين مع الاقوام الأكديّة والبابليّة . ومع ذلك فقد ظلت اللغة السومرية تستخدم لتدوين بعض النصوص لفترة أطول حيث وصلت الينا نصوص سومرية مدونة في الألفين الثاني والأول قبل الميلاد ، وكان معظمها من النصوص الدينية او العلمية ذات الأهمية الخاصة . كما ظل الكتبة من العهود الآشورية المختلفة يعكفون على استنساخ النصوص القديمة ، ومنها بعض النصوص السومرية ، لأهميتها الدينية او العلمية وألفت القوائم والجداول الثنائية اللغة لتسهيل مهمة قراءة تلك النصوص وفهم محتواها . ومُرت اللغة السومرية خلال عمرها الطويل بعدة مراحل ميّزها الباحثون كما تمكنوا من تمييز عدد من اللهجات السومرية المدونة التي ظهرت تحت تأثيرات وظروف خاصة وفي فترات زمنية معينة⁽⁵⁾ . الآن الآشوريين ، وهم سكان القسم الشمالي من العراق ، لم يستخدموا اللغة

الذي عاش في القسم الجنوبي من العراق خلال الألف الثالث قبل الميلاد . وقد دفعت هذه الحقيقة معظم الباحثين الى الاعتقاد ، الذي تبين خطئه فيما بعد ، بأن السومريين كانوا أول من استقر في ارض جنوبي العراق . الآن ان الباحث اللغوي لاندزبركر Landsberger قام بتفنيد هذا الرأي معتمدا في ذلك على دراسة وتحليل أقدم الآثار المادية المكتشفة في مدن جنوبي العراق وعلى دراسة أقدم النصوص السومرية والأكديّة التي وصلت الينا وما فيها من تراث لغوي خلفه سكان تلك المدن الأوائل⁽³⁾ . فقد أشار لاندزبركر الى ان هناك العديد من المفردات اللغوية الدخيلة ، كأسماء المهن والحرف الرئيسة ، والتسميات الجغرافية ، ولاسيما اسماء المدن والأنهار ، التي وردت في اقدم النصوص السومرية والأكديّة وهي لانتمى الى اي من هاتين اللغتين . لذا افترض أن هذه المفردات والتسميات لابد ان تعود الى لغة كانت سائدة في المنطقة قبل استخدام اللغة السومرية واللغة الأكديّة ، غير انها لم تحفظ للأجيال التالية لأن الكتابة لم تكن معروفة وقتئذ ، لذا لم تجد طريقها للتدوين باستثناء بعض المفردات والتسميات المشار اليها . وقد اطلق لاندزبركر على الاقوام التي تكلمت تلك اللغة مصطلح (الفرايين الأوائل) — Proto — Euphrates في حين سميت آثارهم المادية المكتشفة في مدن جنوبي العراق ، ولاسيما في اريدو وتل العبيد التي ترقى بتاريخها الى الألفين الخامس والرابع قبل الميلاد بآثار سكان طور العبيد⁽⁴⁾ .

ومع الأخذ برأي لاندزبركر ، تبقى اللغة السومرية تمثل أقدم اللغات العراقية القديمة ، بل وأقدم اللغات العالمية المعروفة ، من حيث تاريخ التدوين طالما كانت الألواح المكتشفة في جنوبي العراق في الطبقة الثالثة من مدينة الوركاء وفي جمدة نصر تمثل أقدم الكتابات المفهومة اللغة حتى الآن . وقد بينت الدراسات اللغوية ان اللغة

السومرية لغة للتخاطب بل اقتصر استخدامها في عهود ازدهار اللغة السومرية على تدوين بعض النصوص الدينية والملكية فحسب بعد ان وقعت بلاد آشور تحت نفوذ دول وممالك القسم الجنوبي من العراق الحضاري ، والسبب احيانا ، ولاسيما في العصر الأكدي وعصر سلالة او الثالثة .

اما بالنسبة للقسم الشمالي من العراق ، ومن ضمنه منطقة الموصل ، والذي عرف في النصوص المسارية باسم بلاد آشور، فيبدو ان الكتابة لم تستخدم فيه الا في النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد ، اي بعد اختراعها في القسم الجنوبي من العراق بأكثر من الف سنة . اي اننا لانمتلك نصوصا مدونة من بلاد آشور تعرفنا بلغة سكان المنطقة في الفترة المصطلح على تسميتها بالعهد الشيبه بالكتاني (حدود ٣٥٠٠ - ٢٨٠٠ ق. م) وعصور فجر السلالات (حدود ٢٨٠٠ - ٢٤٠٠ ق. م) ومع ذلك فان الدراسات الآثارية عن هوية سكان المنطقة في هذه الفترة تشير الى وجود الآشوريين في المنطقة منذ مطلع الألف الثالث قبل الميلاد على أقل تقدير. لذا لا بد أن كانت لغة الآشوريين هي السائدة في المنطقة الى جانب بعض اللغات المحلية الأخرى التي لانعرف عنها شيئا مهماً حتى الآن: وبما ان الاقوام الاشورية تنتمي الى مجموعة الاقوام التي انتشرت في بلاد الشام والعراق منذ فجر التاريخ والتي تعرف عادة بالاقوام العربية القديمة (الجزرية او السامية) لذا فلا بد أن اللغة التي تستخدمها تنتمي هي كذلك الى مجموعة اللغات المتفرعة عن اللغات العربية القديمة (السامية) ، وهذا ما تؤكد النصوص المسارية في العصور التالية .

أما اقدم النصوص المكتشفة في بلاد آشور فترقى بتاريخها الى النصف الثاني من الألف الثالث

قبل الميلاد، وتمثل بعدد محدود من النصوص الملكية والنصوص الخاصة ببناء وتعمير المعابد، وذلك لأن الكتابة لم تستخدم في بلاد آشور على نطاق واسع كما كانت عليه الحالة في بلاد سومر وأكد. وربما كان من أسباب محدودة انتشار استخدام الكتابة في بلاد آشور ذلك الاختلاف في طبيعة الحياة في المدن والقرى الآشورية التي اعتمدت الزراعة أساسا في حياتها الاقتصادية ، عن مدن بلاد سومر وأكد بمعابدها الكثيرة والتي طغت على حياتها الاقتصادية التجارة التي استلزم تنظيمها استخدام المكتابات ، الى جانب الزراعة. وتشير هذه النصوص الى ان لغتها كانت من اللغات العربية القديمة (الجزرية) وانها تشبه اللغة المعروفة من النصوص المسارية والمكتشفة في مدن جنوبي العراق والتي سميت باللغة الأكديّة الى درجة أن عدّها الباحثون لهجة من اللهجات الأكديّة .

إن ومصطلح اللغة الاكديّة - Akkadian Lan- guage مصطلح حديث استخدمه الباحثون منذ الخمسينيات من هذا القرن للدلالة على جميع اللهجات (اللغات) الأكديّة والبابليّة والآشوريّة التي استخدمتها الاقوام الأكديّة والاقوام البابليّة (الأمورية والكلدية) والاقوام الآشورية منذ اواسط الألف الثالث قبل الميلاد وحتى اختفاء آخر اللهجات البابليّة المتأخرة في النصف الثاني من الألف الأول قبل الميلاد. وبما يلاحظ ان الباحثين الأوائل في لغة النصوص المسارية والذين كتبوا بحوثهم في القرن الماضي ومطلع القرن الحالي استخدموا ، خطأ ، مصطلح اللغة الآشورية Assyrian Language للدلالة على لغة جميع النصوص المسارية المكتشفة في المدن الآشورية والبابليّة سواء أكانت آشورية ام بابليّة، ويرجع سبب ذلك الى حقيقة ان أقدم النصوص المسارية المكتشفة التي أثارت اهتمام العلماء الغربيين هي التي وجدت في

المدن الآشورية ، ولاسيما في العواصم الآشورية
نينوى وآشور وخرسباد^(٧) .

وقد تبع ذلك ان سمي العلم الخاص بدراسة
هذه اللغة ، ولا زال يسمى ، بعلم الآشوريات
Assyriology^(٨) وبعد ان تم الكشف عن
نصوص مشابهة في بلاد بابل تبين عدم دقة
التسمية الاولى . فبدأ الباحثون بتسمية لغة
النصوص المسارية باللغة البابلية او اللغة البابلية -
الآشورية او الآشورية - البابلية .

ومن خلال الدراسات اللغوية المستفيضة
للنصوص المسارية المكتشفة اتضح للباحثين أن لغة
جميع تلك النصوص ، ماعدا النصوص
السومرية ، مدونة بلغة واحدة اصطلح على تسميتها
بـ (اللغة الأكديّة) وان الاختلافات الموجودة بين
لغة مجموعة النصوص المكتشفة في بلاد آشور عن
تلك الموجودة في بلاد بابل او النصوص التي ترقى
بتاريخها الى الألف الثاني . والألف الأول ماهي
الاختلافات تعكس لهجات أكديّة متعددة في
الأزمنة والمناطق المختلفة .

وقد استخدمنا مصطلح (لهجات أكديّة) هنا
للدلالة على لغة جميع النصوص الأكديّة والبابليّة
والآشوريّة من مختلف العصور وان كان المصطلح
لا يعتبر تعبيراً دقيقاً عما يقصد به . لأن اللهجة عادة
تمثل لسان فريق من الناس روعيت فيه قيود صوتيّة
خاصة تلاحظ عند الاداء ، كتدقيق الحروف
وتفخيمه ، همزه او تسهيله ، سرعته او ابطائه ،
امالته او عدم امالته . لذا فإن أكثر ما نظهر فيه
اللهجة وتلمس من افواه الناطقين وألسنة المتكلمين
بها . وهذا ما لا يتوفر لدينا في حالة اللغة
الأكديّة ولهجاتها التي نعرفنا اليها من خلال
النصوص المدونة فقط ولم نسمع المتكلمين بها
مباشرة بل اننا ميّزنا بين لغة مجموعة من النصوص
الأكديّة ، وأخرى استنادا الى الفترة الزمنية التي
تتبع اليها واستنادا الى المنطقة التي استخدمت فيها

أهي بلاد بابل ام بلاد آشور . وما لاشك فيه انه
كان هناك لهجات أكديّة متعددة بالمعنى الدقيق
لهذا المصطلح تحدثت بها الأقوام العراقية القديمة في
العصور والمناطق المختلفة حيث تدلنا القوانين التي
تخضع لها اللغات في حياتها وتطورها الى انه متى
انتشرت اللغة في مناطق وأقاليم واسعة وتكلمت بها
أقوام وجماعات متعددة في فترات زمنية مختلفة ،
كما حدث ذلك في اللغة الأكديّة ، فانه يستحيل
عليها الاحتفاظ بوحدتها الاولى أمدا طويلا بل انها
لاتلبث تحت تأثير هذه الاختلافات ان تتشعب الى
لهجات مختلفة تسلك كل منها في سبيل تطورها
منهجاً يختلف عن منهج غيرها^(٩) .

وكان للظروف السياسية والاجتماعية التي
تعرضت لها بلاد آشور بصورة خاصة آثارها
الواضحة على لغة السكان ولهجاتهم . فال معروف ان
الآشوريين اتبعوا سياسة تقضي بترحيل سكان
بعض المناطق المتمردة الى مناطق أخرى من الدولة
الآشورية ومن الطبيعي ان الاقوام التي تم ترحيلها
لا بد انها حافظت ، ولو لفترة زمنية محدودة ، على
أصولها العرقية ولغتها المحلية الى ان اندمجت مع
السكان المحليين ، وكان لها تأثيرها الواضح على
لغتهم . كما كان لتعرض الآشوريين الى الاحتكاك
المستمر بالقبائل الآرامية خلال الألف الأول قبل
الميلاد آثاره في لغة الآشوريين حيث دخلت العديد
من المصطلحات والفردات الآرامية في لغة
السكان . ومن جهة أخرى كان البلاط الآشوري
يضم العديد من الأمراء والشخصيات الأجنبية من
الذين جيئ بهم الى البلاط الآشوري ليرتّبوا ويشفقوا
ثقافة خاصة تجعل منهم تابعين مطيعين للملك
الآشوري متى نصبوا ملوكا وامراء على رأس الدول
التابعة . وكان البلاط الآشوري يضم ايضا عددا
كبيرا من الاداريين من ذوي الخبرات الأجنبية
والمعرفة باللغات الأجنبية الى جانب المترجمين^(١٠) .
وأخيرا كانت الأعداد الكبيرة من أسرى الحروب

أولاً : اللهجة الآشورية القديمة Old Assyrian :

وهي المتمثلة بلغة نصوص الفترة ٢٠٠٠-١٧٥٠ ق. م ، وعدد هذه النصوص قليل ، ومعظمها ملكية اكتشفت في بلاد آشور الأصلية ، فضلا عن الرسائل والوثائق الرسمية التي تجاوز عددها العشرة آلاف المكتشفة في المراكز التجارية الآشورية في أقليم كبدوكيا في آسيا الصغرى . ومن الطبيعي ان هناك اختلافات واضحة بين لغة النصوص المكتشفة في بلاد آشور نفسها عن لغة نصوص كبدوكيا .

ثانياً : اللهجة الآشورية الوسيطة Middle Assyrian :

وتتمثل هذه اللهجة بلغة النصوص التي ترقى بتاريخها الى النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد اي التي تعود الى العصر المعروف باسم العصر الآشوري الوسيط . ومن أهم هذه النصوص القوانين الآشورية الوسيطة ، وهي مجموعة من ألواح الطين التي تضم بعض القوانين الآشورية وجدت في مدينة آشور والعديد من النصوص والوثائق القانونية الأخرى وبعض الرسائل والنصوص الأدبية والملكية ومعظم النصوص الأدبية والملكية هذه تحمل تأثيرات بابلية .

ثالثاً : اللهجة الآشورية الحديثة New Assyrian :

تعد هذه اللهجة أهم لغة آشورية لأنها ممثلة بمجموعة كبيرة جداً من النصوص ، منها ما هو غاية في الأهمية التاريخية ، كالمراسلات الملكية والمعاهدات والاتفاقات والرسائل الشخصية المكتشفة في العواصم الآشورية ، ومنها الوثائق الاقتصادية والقانونية .

وهناك لغة رابعة استخدمت في تدوين بعض النصوص الأدبية والحوليات الملكية في كل

الذين يؤتى بهم من البلدان الأجنبية المختلفة تؤثر دون شك في لغة السكان الذين احتكوا بهم او استخدموهم للقيام ببعض الأعمال .

وهكذا خضعت اللغة الأكديّة الى هذه القوانين والتأثيرات والظروف فتشعبت الى لهجات محادثة يختلف بعضها عن بعض وتختلف مجموعها عن لغة التدوين التي وصلت اليها من خلال النصوص المدونة . واذا كان الباحثون قد ميزوا لغة بعض النصوص المسارية عن غيرها وعدوها لهجة مختلفة عن الأخرى فانه يصعب التعرف على لهجات المحادثة التي كانت سائدة في بلاد آشور في المناطق المختلفة عبر العصور .

وعلى الرغم من اختلاف اللهجات الأكديّة التي تمكن الباحثون من تمييزها في النصوص المسارية واختلاف أزمنة تدوين تلك النصوص فان المتخصص في دراسة اللغة الأكديّة بصورة عامة يتمكن من قراءة النصوص المدونة بالمسارية بأية لهجة أكديّة ان هو الماماً بسيطاً بخصائص تلك اللهجة وتعرف على أسلوب الكتابة في الفترة الزمنية المعنية . فالاختلاف الموجود بين لغة النصوص الأكديّة في الفترات المختلفة والمناطق المختلفة هو أقل بكثير من الاختلاف الموجود ، مثلاً ، بين اللهجات العربية ، وذلك لأن المساحة التي انتشرت فيها اللغة العربية وتشعبت الى لهجات مختلفة هي أوسع بكثير من المساحة التي انتشرت فيها اللغة الأكديّة ، وان لذلك أثره في زيادة او نقصان اوجه الاختلاف بين لهجات اللغة الواحدة .

اما اللهجات الأكديّة التي تعارف الباحثون على تمييزها في النصوص المسارية فتشمل اللهجة الأكديّة القديمة ثم اللهجات البابلية ، القديمة والوسيطيّة والحديثة والمتأخرة واللهجات الآشورية . اما اللهجات الآشورية فيمكن تمييز لهجات رئيسية حسب المراحل الزمنية المختلفة وهي : (١٠) .

من بلاد بابل وآشور في الفترة الواقعة بين ١٤٠٠ و ٦٠٠ قبل الميلاد. ويبدو ان لغة هذه النصوص لم تكن تستخدم للتخاطب او لتدوين النصوص الاعتيادية بل انها استخدمت فقط لتدوين نصوص من هذا النوع فحسب، وقد حوت أساليب وصيغا نحوية لا تستخدم عادة في اللهجات الأكديّة الاعتيادية المشار اليها^(١١).

وفضلا عن اللهجات الرئيسة هذه تميزت نصوص بعض المناطق، كمناطق نوزي (كركوك حاليا) ونصوص العمارة المكتشفة في مصر ونصوص منطقة مارى على نهر الفرات وغيرها بمخائص معينة نتيجة تأثيرات لغوية وظروف خاصة بكل منطقة. فمناطق نوزي، مثلا، كانت خاضعة لنفوذ الأقوام الحورية في أواسط الألف الثاني قبل الميلاد، فدخلت لغتها الأكديّة العديد من المفردات والمصطلحات الحورية كما تميزت أساليبها اللغوية عن غيرها من الأساليب نتيجة هذه التأثيرات. وما يقال عن اللهجة الأكديّة في نوزي ينطبق على اللهجة التي استخدمت في مارى التي وقعت تحت تأثير الأقوام الأمورية في سوريا، وظهرت تلك التأثيرات واضحة ولاسيما في صياغة اسماء الأشخاص وصياغة الفعل وغير ذلك من الخصائص اللغوية.

وما تجدر الاشارة اليه في هذا المجال ان مايسمى حاليا باللغة الآشورية التي يتكلم بها سكان بعض القرى في شمال العراق في محافظة نينوى هي ليست لهجة آشورية تنتمي بأصولها الى اللغة الأكديّة بل انها لهجة آراميّة شرقية دخلتها كثير من المفردات العربية والفارسية والتركية مما جعلها تبتعد عن اللغة الفصحى^(١٢).

تدوين اللغة الأكديّة :

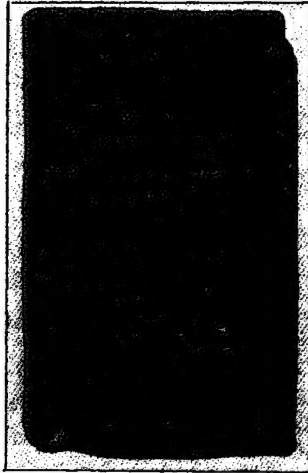
استخدمت الكتابة المسارية لتدوين اللغة الأكديّة. ومن المعروف ان الكتابة المسارية

ابتدعت أصلا لتدوين اللغة السومرية وللتعبير عن اسلوب نطقها تعبيرا دقيقا، لذا جاءت العلامات الصورية والرمزية والمقاطع الصوتية مطابقة الى حد كبير لاسلوب نطق اللغة السومرية. ومن المعروف ايضا ان اللغة السومرية تكاد تخلو من الأصوات الحلقية (ع، غ، ح، ق) والمفخمة (ط، ص، ض، ظ) وبعض الاصوات الأخرى (ث، ذ)، لذا كانت الكتابة التي وضعت لتدوينها خالية من العلامات المعبرة عن هذه الأصوات. وعندما بدأت محاولات تدوين اللغة الأكديّة، وهي من عائلة اللغات العربية القديمة (الجزرية) التي تزخر بالأصوات الحلقية والمفخمة، اضطر الكتبة الأوائل الى اهمال او تخوير بعض هذه الأصوات عند التدوين والتعبير عنها بوساطة علامات مسارية تضم أصواتا قريبة منها، كاستبدال بعض الحروف الحلقية بالعلامات التي تعبر عن حروف العلة او استخدام العلامات التي تعبر عن صوت (د)، (ث) للتعبير عن صوت ط الأكدي وهكذا، وأحيانا خصص الكتبة علامات معينة استخدموها للتعبير عن أصوات أكديّة معينة تعارفوا عليها او انهم ابتدعوا أحيانا علامات جديدة لسد النقص الموجود في العلامات المسارية، وبذلك تمكنوا من تدوين اللغة الأكديّة، إلا ان اللغة الأكديّة فقدت نتيجة ذلك كثيرا من خصائص نطقها، في حالة التدوين على أقل تقدير. اما كيف قرأ الكتبة الأكديون والبابليون والآشوريون لغتهم المدونة بالكتابة المسارية وهل قرأوها بأسلوب نطقها ولفظها الأصلي أم أنهم اعتادوا على قراءة النصوص كما كانت تكتب بالعلامات المسارية المحوّرة فهذا سؤال وارد. غير انه من الصعب الاجابة عليه بثقة تامة. ويبدو لنا ان الكتبة حاولوا المحافظة على أسلوب نطق لغتهم الأكديّة الى درجة كبيرة، ولاسيما في الفترات المبكرة من تدوينها، وتجاوزوا: عند النطق: القصص الموجود في الكتابة المستخدمة

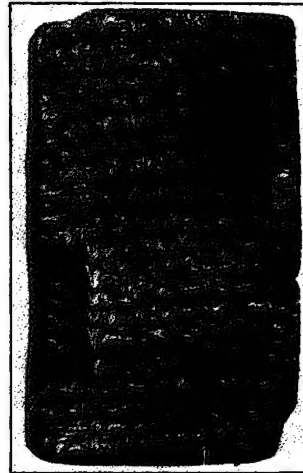
حالة تدوينها. ومع التأثيرات السلبية التي نتجت عن استخدام الكتابة المسمارية في تدوين اللغة الأكديّة الآخر، أن إيجابيات استخدامها كانت مهمة جدا، ولعل في مقدمتها من حيث الأهمية أن أسلوب الكتابة المسمارية على الواح الطين أو الحجر أو المعدن قد حفظ لنا اللغة الأكديّة لآلاف من السنين وقدّم لنا أقدم النصوص المدونة بأية لغة من اللغات العربيّة القديمة.

لتدوين اللغة خاصة وإن الكتابة لم تكن منتشرة انتشارا واسعا لتؤثر كثيرا على أسلوب نطق اللغة بل اقتصر التأثير على أسلوب الكتابة فحسب (١٣).

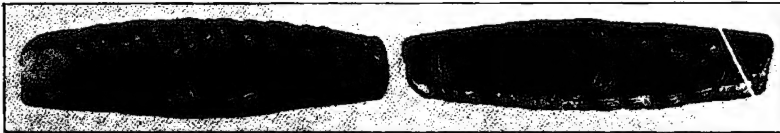
وإذا كانت الكتابة المسمارية قاصرة عن التعبير بشكل دقيق عن أصوات اللغة الأكديّة الفصحى فمن المؤكد أنها كانت قاصرة أيضا عن التعبير عن بعض الاختلافات التي لا بد أن كانت موجودة بين اللهجات الأكديّة المختلفة، البابليّة والآشوريّة، في



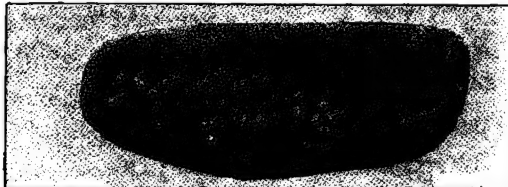
Obverse



Reverse



Edges



الكتابة المسمارية على وجه وقفا وحافات الرقم الطيني

مثلا ، الرموز التالية للتعبير عن الأصوات الأكديّة
المشار إليها الى جانبها .

ط = ٤ ح = ٥ ق = q, k
ص = ٦ ع = ٧
ش = ٨ س = ٩

اما اذا أريد الإشارة الى أصول وجذور
المفردات الأكديّة الأصلية وما يقابلها في اللغات
العربيّة القديمة الأخرى ، فقد كان عليهم استخدام
الرموز الآتية : (١٤)

ح = ١٥ د = ١٦
غ = ١٧ ض = ١٨
ظ = ١٩ ث = ٢٠

وبهذه الطريقة تمكن الأوربيون من تقديم اللغة
الأكديّة الى القارئ المعاصر دون ان يستخدموا
لذلك الكتابة المسماة، وغدت طريقتهم هذه هي
الطريقة الشائعة والوحيدة بين جميع الباحثين
المتخصصين حتى العرب منهم ، وبدت النصوص
الأكديّة المدونة بالخط اللاتيني برموزه وعلاماته
المستحدثة غريبة تماما على القارئ العربي والعراقي
بوجه خاص على الرغم من ان اللغة الأكديّة هي
لغة قريبة جدا من اللغة العربيّة ، كما انها لغة عراقية
قديمة ، لذا بات من الضروري إيجاد طريقة جديدة
أخرى لتقديم اللغة الأكديّة الى القارئ العربي .
وحيث ان الخط العربي برموزه الكثيرة التي تعبر
عن الأصوات الحلقية والمفخمة الموجودة في كلتا
اللغتين العربيّة والأكديّة ، هو أكثر الحروف ملائمة
لنقل أصوات اللغة الأكديّة ، لذا فانتا نرى ان
استخدامه لهذا الغرض سيقتضي على العديد من
المشكلات والصعوبات التي تواجه الباحث عند
نقله أصوات وألفاظ النصوص الأكديّة بواسطة
الحرف اللاتيني ، كما انه سيعبر بصدق ودقة عن
أصوات اللغة الأكديّة بأصواتها المشابهة لأصوات

وظلت اللغة الأكديّة تدون بواسطة الكتابة
المسمارية حتى أواخر الألف الأول قبل الميلاد ،
ويرقى تاريخ آخر النصوص الأكديّة التي وصلت
اليها الى القرن الأول الميلادي ، ثم بطل استخدام
الكتابة المسماة ومعها اللغة الأكديّة ، وغابت عن
الأنظار الواح الطين والحجر بعد ان هجرت المدن
والقرى التي كانت عامرة بالسكان ايام الآشوريين
ومن جاء بعدهم وانهارت عليها سقف وجدران
الأيّنة المهتمة وغطتها الأثرية ، وغدت في بطون
التلول الكثيرة التي تتوزع في انحاء العراق ، وظلّت
كذلك لمئات من السنين حتى تنبه العلماء الاوربيون
الى ذلك ، وبدأوا محاولاتهم الجادة في حل رموز
الكتابة المنقوشة على الطين والآجر والحجر وذلك في
القرن التاسع عشر الميلادي . وبعد ان تمكن العلماء
من فك رموز الكتابة المسماة تعرفوا على لغة
النصوص المكتشفة . وحيث أن اولى النصوص
المكتشفة كانت من بلاد آشور فقد سميت لغتها
باللغة الآشورية ، كما سبق أن ألقينا ، وكان على
العلماء الاوربيين بعد ان حلوا رموز الكتابة المسماة
وتعرفوا على لغتها ان يجدوا طريقة مناسبة لنقل
أصوات لغة تلك النصوص الى القارئ المعاصر
بدلا من الكتابة المسماة المعقدة التي لا يستطيع
قراءتها الا عدد محدود من المتخصصين . وكان
طبيعيّا انهم اختاروا لذلك رموز الخط اللاتيني
المعروف لديهم على الرغم من عدم ملائمة هذا
الخط لنقل أصوات اللغة الأكديّة ، اذ اية لغة
أخرى من عائلة اللغات العربيّة القديمة ، لخلوه من
الرموز التي تعبر عن الأصوات الحلقية والمفخمة .
وهكذا قاست اللغة الأكديّة وللمرة الثانية من
اهمال وتخوير بعض أصواتها الباقية بعد ان عانت
من ذلك أول مرة عند كتابتها بالكتابة المسماة ، كما
اضطر الأوربيون الى ابتداء بعض الرموز الجديدة
للتعبير عن بعض الأصوات الأكديّة فاستخدموا ،

اللغة العربية. فضلاً عن ذلك، فإنه سيظهر للقارئ، ولاسيما القارئ العربي، الشبه الكبير الموجود بين اللغتين الأكديّة والعربية، ويفسح المجال أمام الباحثين لدراسة أوجه الشبه هذه. ولعل في الأمثلة التالية ما يوضح هذه الناحية.

الكلمة الأكديّة	جذر الكلمة	المعنى	الكلمة الأكديّة
بالحرف العربي	أخ	أخ	بالحرف اللاتيني
طاب	طيب	طيب	abu
طباخ	طبخ	طبخ	ābu
نطاش	نطر	نظر (نظّح)	tabāhu
نطاش	نطر	كتب (نظر)	šataru
سلم	سلم	أسود، غلام	salmu
قلو	قل	بحرق، بقل	qalu

أما الأصوات الأكديّة التي ليس ثمة ما يعبر عنها بواسطة الحرف العربي فهي صوت الباء المخففة P وصوت الكاف الثقيلة g إذ يمكن التعويض عنها بالفاء الخفيفة والكاف الثقيلة (پ وگ).

قواعد اللغة الأكديّة العامة وخصائصها :

تمثل اللغة الأكديّة بلهجاتها البابليّة والآشوريّة المختلفة الفرع الشرقي من عائلة اللغات العربيّة القديمة (الجزيريّة) في حين تنتمي اللغة العربيّة إلى الفرع الجنوبي حسب التقسيم الأكثر شيوعاً، والذي يعتمد التوزيع الجغرافي لهذه المجموعة من اللغات^(١٥)، وقد تميّزت اللغة الأكديّة ببعض الخصائص نتيجة الظروف التي عايشتها في بلاد وادي الرافدين ودخولها في صراع لغوي مع عدد من اللغات البعيدة عنها، كاللغة السومريّة، والقريبة منها من حيث الأصل، كاللغة الآراميّة. وكان للصراع اللغوي الذي دخلته الأكديّة مع اللغة السومريّة في مراحلها الأولى آثاره في دخول العديد من المصطلحات والمفردات اللغويّة السومريّة إلى اللغة الأكديّة، وقد انتقلت بعض تلك المفردات من خلال الأكديّة إلى لغات أخرى كالعربيّة والعبريّة. فكلمة هبكل التي ترد بالعربيّة وغيرها من اللغات

العربيّة القديمة ذات أصل سومري وهي مؤلفة من كلمتين بمعنى (بيت) وگال بمعنى (كبير) أو (عظيم) ودمج الكلمتين تتكون الكلمة egal بمعنى (البيت العظيم) أو (القصر) التي أصبحت بالأكديّة ekallu(m) وحملت المعنى نفسه. كما كان للسومريين ولغتهم تأثير على أسلوب نطق اللغة الأكديّة مما حرّف أسلوب نطق بعض الأصوات، ولاسيما الحلقية والمفخمة، التي لا توجد أصلاً في اللغة السومريّة وإن كنّا لا نستطيع بيان مدى هذا التأثير فهو ناتج عن تأثير السومريين أنفسهم أم نتيجة استخدام الكتابة المساريّة السومريّة في تدوين اللغة الأكديّة، كما سبق أن أشرنا إلى ذلك. وقد يكون من التأثيرات السومريّة على اللغة الأكديّة استخدام الفعل في نهاية الجملة خلافاً لجميع اللغات العربيّة القديمة التي تميل إلى استخدامه في مقدمة الجملة، علماً بأن الوحدة الفعلية في اللغة السومريّة تأتي في نهاية الجملة. وكان من صفات الفعل الأكديّ أيضاً أن له ثلاثة أزمنة أصليّة، اثنان منها شبيهان لما هو موجود في بقية اللغات العربيّة القديمة، وهما زمن الفعل الماضي والفعل المضارع. أما الزمن الثالث فيعبر عنه بالحالة المستمرة أو زمن الاستمرار stative كما تميّزت اللغة الأكديّة بصيغتها المدونة على أقل تقدير، بسقوط الأصوات الحلقية والمفخمة وبعض الأصوات التي لم يتمكن الكتبة من التعبير عنها بشكل دقيق بواسطة الكتابة المساريّة، فضلاً عن بعض الخصائص النحويّة الأخرى^(١٦). ومع الاختلافات التفصيلية بين اللغة الأكديّة وبقية اللغات العربيّة القديمة (الجزيريّة)، ومنها اللغة العربيّة، فإن هناك أوجه شبه كثيرة تشير إلى الأصل المشترك لهذه اللغات وتؤكد على الرغم من أنها تنتمي إلى فروع مختلفة، وفيما يأتي استعراض سريع جداً لأهم سمات قواعد اللغة الأكديّة توضح علاقتها الوثيقة ببقية اللغات العربيّة القديمة ومنها اللغة العربيّة.

اما التميم فهو ما يعبر عنه بصوت الميم الذي يلحق الاسم والصفة في حالة المفرد وحالات جمع المؤنث وذلك بعد حركة الاعراب مباشرة. وكان التميم يستخدم في العصور الاولى بشكل منتظم، ولاسيما في العهد البابلي القديم، كما تشير الى ذلك لغة قانون حمورابي، ثم بدأ استخدامه يتناقص تدريجيا حتى اختفى وتلاشى في العصور الآشورية المتأخرة. وعلى الرغم من الشبه الكبير من حيث اللفظ والاستخدام بين التميم والتونين في اللغة العربية إلا أنها يختلفان تماما من حيث الغرض من استخدامها. ويبدو التميم من أهم خصائص اللغة الأكديّة المميزة.

اما الصفة فتضم اللغة الأكديّة اربعة انواع منها، وهي الصفة النوعية واسم الفاعل والمفعول والعدد وضائر الإشارة. وليس في الأكديّة صفة الوصل (الأسماء الموصولة) ولا صفة التملك، بل يعبر عن كليهما بالاضافة. وتتبع الصفة الاسم الموصوف من حيث التذكير والتأنيث وتتفق معه من حيث العدد وحالة الاعراب تماما كما في اللغة العربية.

وفي اللغة الأكديّة انواع عدة من الضمائر، فهناك الضمائر الشخصية المنفصلة والضمائر الشخصية المتصلة بالاسم او الفعل، وقد يكون الضمير في حالة الرفع او النصب او الجر كالاسم تماما. وهناك اوجه شبه كبيرة بين الضمائر في العربية والضمائر في الأكديّة من حيث اللفظ ايضا ولعل الجدول الآتي للضمائر الأكديّة الشخصية المنفصلة وما يقابلها في اللغة العربية ما يوضح هذا التشابه:

الجنس والشخص الضمير في حالة	الرفع	النصب	الجر
التكلم	أناك anāku	أنا ana	أنا anta
المخاطب المذكر	أنت atta	أنت anti	أنت anti
المخاطب المؤنث	أنت atti	أنت anti	أنت anti
الغائب المذكر	هو huwa	هو huwa	هو huwa
الغائب المؤنث	هي hiya	هي hiya	هي hiya

فمعنى الاسم في اللغة الأكديّة يحدد، كما في اللغة العربية، بأمر عدّة وهي الجنس والعدد وحالة الاعراب وحالة الاسم في الجملة. فن حيث الجنس يكون الاسم اما مذكرا او مؤنثا، وليس هناك جنس محايد كالألفي نجد في اللغات الأوربية، وليس للاسم المذكر علامة خاصة تلحق به. والأسماء المذكرة على نوعين حقيقي ومجازي، فأما الحقيقي فهو ما دل على المذكر من الناس والحيوان مثل أويلم awēlum بمعنى (رجل) وكيلم kalbum بمعنى (كلب)، وأما المجازي فيعامل معاملة المذكر وهو ليس منها مثل بيت bitum بمعنى (بيت) وصلم Salmum بمعنى (تمثال). اما الاسماء المؤنثة فتلحقها غالبا تاء التأنيث التي تضاف الى جذع الاسم المذكر مثل حركة الاعراب تماما كما هي الحال في اللغة العربية ومثال ذلك الاسم مارم mārūm بمعنى (أبن) حيث يصبح مارم martum بمعنى (ابنة).

ومن حيث العدد، يكون الاسم في حالة المفرد او المثنى او الجمع، ويصاغ الاسم المثنى بزيادة الف ونون او ياء ونون اما الجمع فيصاغ اما بمد حركة الاعراب لتصبح واوا في حالة الرفع، ويا في حالتي النصب والجر او باضافة ألف ونون الى الاسم المفرد قبل حركة الاعراب. وبالنسبة الى جمع المؤنث فالقاعدة الأساسية في ذلك مشابهة لجمع المؤنث السالم في اللغة العربية، حيث تتم باضافة الف وتاء الى جذع الاسم تلحقها حركة الاعراب المناسبة. وحركات الاعراب في الاسم ثلاث هي الضمة والفتحة والكسرة يلحقها التميم. وما يلاحظ ان صيغة المثنى كانت شائعة في اللهجة الأكديّة القديمة واللهجة الآشورية القديمة، ثم بدأت تختفي تدريجيا ولم تعد تستخدم في اللهجات الأحدث من ذلك إلا في حالات محددة. كما يلاحظ ان هناك أساليب جمع أخرى غير التي أشير اليها بالنسبة الى المذكر والمؤنث تعد من الأساليب الشاذة.

الحروف الحلقية في الأكديّة وإحلال حروف العلة المناسبة بدلا عنها .

كما يلاحظ تغيّر بسيط في المعنى العام للكلمة ، أما الأساس فهو واحد في كلتا اللغتين ، وفيما يلي بعض الأمثلة :

الكلمة العربية	الكلمة الأكديّة
أب	أبُ abu
أمة	أمةً amtu
بيت	بيتُ bī tu
قضى ، دان	دانُ dānu
طاب	طابُ tabu
لسان	لِشَانُ lišānu
مرض	مَرَاشُ maraṣu
صغير	صِخْرُ siḫru
قرب	قرب qirbu
كبر ، ربّي	ربو rabū
سلم	شَلَامُ salāmu (١٨)

وأخيرا لابد من الإشارة هنا الى انه كان للعمير الطويل الذي عاشته اللغة الأكديّة لغة تدوين وتخط ، ولانتشار الواسع الذي حققته والصراع العنيف الذي خاضته مع غيرها من اللغات المحلية والأجنبية ، أثره في دخول الكثير من المفردات اللغوية الأكديّة في تلك اللغات وبالعكس . فقد انتقل العديد من المفردات الأكديّة الى اللغات المحلية والأجنبية التي استخدمت في العراق منذ أواسط الألف الأول قبل الميلاد ، عندما بدأ استخدام اللغة الأكديّة يتقلص ويختفي تدريجيا . وهكذا دخلت تلك المفردات في اللغات الفارسية واليونانية والآرامية . وانتقلت بعض تلك المفردات من خلال هذه اللغات الى لغات أجنبية أخرى ولاسيما الى اللغات الأوربية في حين انتقل بعضها من خلال الآرامية الى العربية حين ظن بعضهم

اما الفعل في اللغة الأكديّة فينقسم من حيث قوة أحرفه الى صحيح ومعتل ، ومن حيث أصله الى ثلاثي ورباعي ، ومن حيث معناه الى متعد ولازم . ولل فعل في اللغة الأكديّة أربع صيغ رئيسة هي الصيغة البسيطة والصيغة المضغفة والصيغة السببة وصيغة المبني للمجهول . ويمكن اشتقاق صيغ جديدة من هذه الصيغ الأربع ، وذلك بإضافة تَ ta او تَن tan الداخلة بين أحرف الفعل لتحديد معنى الفعل . ويعد ذلك من خصائص اللغة الأكديّة وإن كانت الصيغة المؤلفة بإدخال المقطع تَ ta الى داخل الفعل معروفة في بعض اللغات العربية الأخرى ، كالعربية ، (وصيغته صيغة إِفْعَل) .

وللفعل في الأكديّة ثلاثة أزمنة اضافة الى صيغة الأمر ، هي زمن المضارع والزمن الماضي والحالة المستمرة ، كما سبق أن أشرنا الى ذلك ، وهناك من يميز زمنا آخر هو الزمن التام . ويصرف الفعل بإضافة الضائر الشخصية المتصلة الى بدايته ونهايته في حالتي الماضي والمضارع ، وبذلك تختلف الأكديّة عن غيرها من اللغات العربية القديمة في تصريف الفعل الماضي حيث تلحق الضائر في الأكديّة بأول الفعل وليس ، كما في العربية ، في نهايته (١٧) .

من هذا العرض السريع لأهم القواعد الأساسية في اللغة الأكديّة تتضح وجوه التشابه الكبيرة بين اللغة العربية واللغة الأكديّة ، ويضاف الى ذلك تشابه كبير في المفردات اللغوية . فأصول وجذور معظم الأفعال والمفردات اللغوية واحدة وإن اختلفت بعض الأصوات وفق قواعد لغوية معينة تنبئ اليها الباحثون كاستبدال الشين في الأكديّة بالسين في العربية والضاد بالعربية بالصاد الأكديّة وينطبق ذلك على الغين التي استبدلت بالخاء في الأكديّة والذال بالراء وسقوط أغلب

gassu	جَصْ	خطأ ان تلك المفردات هي مفردات آرامية أصلاً .
gisummāru	خَمَّار	وحيث ان اللغة الاكدية لم تكن معروفة للباحثين
Tuḥallu	خلال	اللغويين قبل القرن التاسع عشر الميلادي ، لذا
بنضج بعد		اكتفت المعاجم اللغوية ، ومنها المعاجم العربية
ḥamātu	خَمَط	باعتداد تلك المفردات الغريبة من الدخيل ، او
بسرعة		الأعجمي . او ارجاع أصولها في أحسن الأحوال
ḥamašu	خَمَش	الى احدى اللغات الوسيطة كالفارسية او الآرامية ،
disbu	دبس	وفضلاً عن ذلك ، فهناك الكثير من الرواسب
zabbilu	زَمِيل	للغة الاكدية التي يمكن ملاحظتها في اللهجات
sappātu	سَعَف	الحلية سواء في اسلوب لفظ الكلمات او معاني
samsammu	سَمَسَم	المفردات ، وتلاحظ هذه الرواسب بشكل خاص
siqlu	شَاقِل	في أسماء بعض النباتات والالات والأدوات الزراعية
edinu	عدن	وما له علاقة بالحرف اليدوية التي كانت ومازالت
Palāšu	فَلَش	شائعة في العراق . وقد قام المرحوم الاستاذ طه باقر
او نقض		بجهد مشكور في جمع بعض هذه المفردات ضمنها
quppu	قُقَّة	كتابه القِيم (من نثرنا اللغوي القديم) الذي جمع
kippatu	كَبَة	فيه عدداً من المفردات اللغوية السومرية والأكدية
kitinu, kitu	كَنان	التي دخلت لغتنا العربية وبعض اللغات الاوربية ،
guhlu	كَحْل	ومن هذه المفردات ما حاربها اللغويون العرب ولم
Kussu	كُرسِي	يتعرفوا على أصولها الى ان تبين أنها ذات أصول
kurkanu	كُركَم	أكديّة او سومرية . ونورد فيما يأتي قائمة بعدد محدود
kalakku	كَلَك	من المفردات الاكدية في اللغة العربية واللهجات
marru	مَر	العراقية العامية ^(١٩) .
muskeunu	مَسْكِين	الكلمة باللغة العربية
muštu	مَشَط	الكلمة باللغة الاكدية
mina	مِن	(لفظها)
naptu	نَفَط	agurru
niru	نِير	suppinu
		akū, makū
		buru (نوع من
		الحصير)
		tabalu (نوع من
		الزناجيل يرقى به الى اعلى
		النخلة)
		targumānu

وفضلاً عن ذلك فان معظم أسماء أشهر السنة المستخدمة في العراق ترجع بأصولها الى اللغات العراقية القديمة (مثل نيسان ، آيار ، تموز ، آب ، تشرين ، كانون ، شباط ، وآذار) ، كما يرجع الى التراث اللغوي العراقي القديم اسماء العديد من المدن

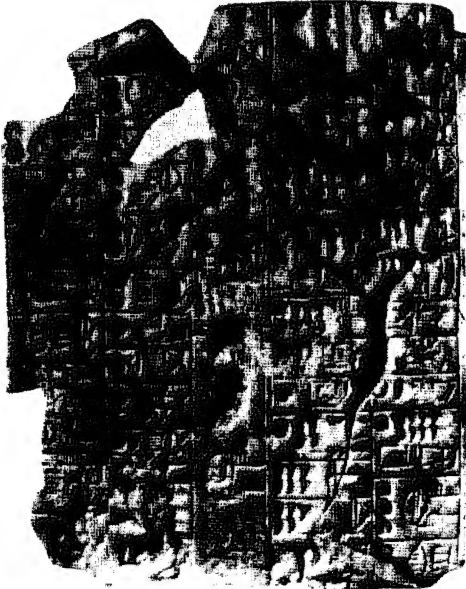
والمواقع والانهار، امثال، اربيل وبابل والخابور والبالخ والفرات والزاب ودجلة وتكريت ونيوى وعانة وهيت وغيرها كثير. في حين أن اية دراسة دقيقة الى اللهجات العامية، ولاسيما في مدينة الموصل وضواحيها ستظهر لنا العديد من المفردات العامية، ذات الأصول الآشورية مثل: ختن بمعنى زوج البنت ونكته بمعنى جبل لربط السروال، وغيرها.

الكتابة

تعد الكتابة من أهم المنجزات الحضارية التي حققها العراقيون القدماء في اواسط الألف الرابع قبل الميلاد، وأصبح تاريخ ابتداعها لدى الباحثين الحد الفاصل الذي يفرق بين عصور ما قبل التاريخ والعصور التاريخية. وقد انحنا في القسم الاول من هذا البحث الى ان السومريين، وهم سكان القسم الجنوبي من العراق، كانوا أول من ابتدع وسيلة تدوين لغتهم السومرية ثم اقتبسها منهم الأكديون ودوّنوا بوساطتها لغتهم الأكديّة. وأخذ الآشوريون، سكان القسم الشمالي من العراق، الكتابة عن السومريين والأكديين في النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد، اي بعد أن قطعت الكتابة مراحل تطورها حتى وصلت الى مرحلتها النهائية بالشكل الذي وصلت اليها اليوم به النصوص الآشورية، غير ان الكتابة لم تستخدم على نطاق واسع في بلاد آشور إلا منذ الألف الثاني قبل الميلاد.


وكانت الكتابة في اطوارها الاولى تضم مجموعة كبيرة من العلامات الصورية رسمت بوساطة قلم مذهب على الواح وقطع من الطين الطري تمثل الأشياء المادية التي أراد الكتبة الأوائل التعبير عنها. وطبيعي انه كان هناك اختلاف كبير بين الأشخاص في اسلوب رسم تلك العلامات ومدى مطابقتها للواقع، فكان ان أصبح هناك مجموعة كبيرة من العلامات الصورية التي تعبر عن الشيء،

المادي نفسه، كما كانت العلامات الاولى تضم جميع التفاصيل الدقيقة، وبمرور الوقت تعرّضت الكتابة الى عملية اختزال كبيرة في عدد العلامات وأشكالها وتفاصيلها فتقلّص عدد العلامات حتى أصبح لا يتجاوز ٥٠٠ - ٦٠٠ علامة في مطلع الألف الثاني قبل الميلاد بعد ان كان أكثر من ألفين علامة، كما اختزلت اشكال العلامات وسقطت تفاصيلها حتى فقدت العلامات تدريجيا علاقتها من حيث الشكل، بصورة الشيء المادي الذي تعبر عنه. ومنذ فترة مبكرة ايضا حدث تطور آخر مهم في أسلوب الكتابة، حيث بدأ الكتبة الأوائل يستخدمون أسلوب طبع العلامات على الطين الطري وذلك بضغط نهاية القلم، ذي المقطع المثلث او المستطيل، فينتج عن ذلك خطوط أفقية وعمودية ومائلة غائرة تنتهي بمثلث صغير، اي اصبحت العلامة الواحدة تتألف من مجموعة من هذه الخطوط التي يشبه كل منها المسمار او الوتد، ومن هنا جاءت التسمية (الكتابة المسارية) Cuneiform Writing.



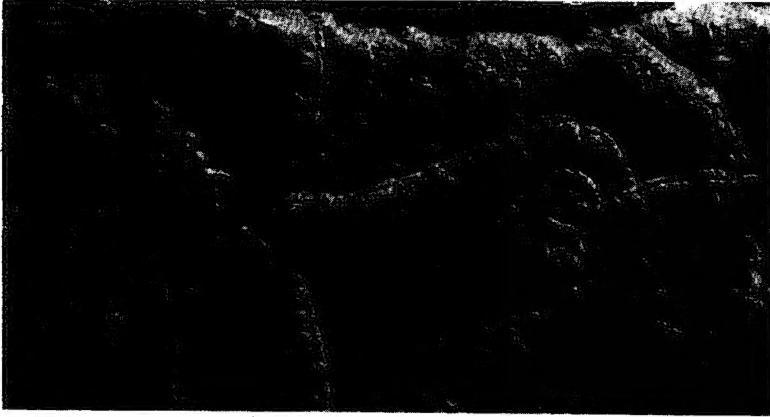
الكتابة في اطوارها الاولى

ومع هذا التطور في اختزال عِلْدِ العلامات وأشكالها وأسلوب كتابتها لم تكن الكتابة قادرة على التعبير عن الأفعال والمعاني الكثيرة التي لا يمكن رسمها، فمن اليسر على الكاتب ان يعبر عن القدم برسم شكل القدم او عن اليد برسم شكل اليد او الذراع وعن الشمس برسم قرص الشمس او أشعتها، ولكن كيف يمكن التعبير عن المشي والركض والوقوف والقوة والأخذ والعطاء، وكذلك عن النهار والحرارة والى غير ذلك؟ لقد تعارف الكتبة الأوائل على استخدام العلامات الصورية المبسطة، كالكدم مثلا، للرمز الى جميع الأفعال والمعاني ذات العلاقة بذلك الشيء المادي. فرسموا القدم ليرمزوا الى المشي والركض والوقوف ورسموا قرص الشمس للرمز الى اليوم والنهار والحرارة وذلك فضلا عن المعاني الأساسية لعضو القدم ولقرص الشمس، وليبان ماقصده الكاتب من رسم القدم اهو عضو القدم ام المشي ام الركض استخدموا علامات توضيحية أخرى الى جانبها. كما حاولوا اضافة بعض الخطوط او العلامات المكتملة الى العلامة الصورية للرمز الى معان وافكار جديدة ذات علاقة. فأضافوا بعض الخطوط الى العلامة التي تعبر عن الرأس (بالسومرية SAG) للدلالة على الأسنان للرمز الى الفم وأصبحت علامة الرأس مع الأسنان تقرأ (فم) (بالسومرية KA)، او انهم ادججوا علامتين وكونوا علامة جديدة، فكتبوا العلامة التي تدل على البيت E الى جانب العلامة التي تدل على صفة (العظمة) GAL فأصبحت العلامة الجديدة E.GAL تعني (البيت العظيم) أي (القصر) وهكذا، وبهذه الطريقة التي تسمى عادة بالرمزية Logogram تمكن الكتبة من التعبير عن أفعال وأفكار ومعان كثيرة، إلا انهم ظلوا عاجزين عن التعبير عن جمل كاملة تضم أسماء اعلام وادوات نحوية وحروف وعلامات استفهام وافعال بازمة وصيغ مختلفة والى غير ذلك. وكان

هذا النقص حافزا قويا دفع الكتبة الأوائل الى ابتداء طريقة جديدة في الكتابة عرفت بالطريقة الصوتية Phonetic تعتمد اساسا على استخدام القيم الصوتية للعلامات الصورية والرمزية في كتابة كلمات جديدة دون الالتفات الى معاني تلك العلامات. فالعلامة  كانت تقرأ TI وتمثل سهم، أصبحت تستخدم للدلالة على كلمة (حياة) التي تلفظ بالسومرية TI(L) ايضا كما استخدمت كمقطع صوتي لأى كلمة يدخل في تركيبها هذا المقطع سواء اكانت أصمًا أو فعلا او أداة نحوية، وينطبق ذلك على جميع العلامات الصورية والرمزية التي اصبحت تستخدم مقاطع صوتية الى جانب استخدامهما الأصلي كعلامات رمزية، أي بعبارة أخرى ان الكتبة استخدموا قيم العلامات الصوتية كما تستخدم الحروف الأبجدية تماما في كتابتنا، غير ان قيم تلك العلامات كانت مؤلفة من مقاطع صوتية، أي انها مؤلفة من أكثر من صوت حرف واحد، لذلك سميت هذه الطريقة في الكتابة بالطريقة المقطعية ايضا Syllabic. ولتوضيح هذه الطريقة نضرب مثلا فاذا أراد الكاتب ان يكتب اسم رجل معين، وهو اكورگال، فعليه أولا ان يجزئ الاسم الى عدة مقاطع، وبالنسبة لهذا الاسم فانه من الممكن تجزئته الى ثلاث مقاطع هي آ+كور+گال، ثم يبدأ بالبحث بين العلامات المسماة عن علامات تلفظ كما تلفظ هذه المقاطع بغض النظر عن معانيها الرمزية ثم يبدأ بكتابتها الواحدة بعد الاخرى حسب التسلسل. وفعلا هناك علامة تلفظ (آ) وتعني (ماء) وأخرى تلفظ (كور) وتعني (جبل) وثالثة تلفظ (كال) وتعني (عظيم)، فاذا ماوضعت هذه العلامات بعضها الى جانب بعض تكون عندنا اسم (آكورگال) وهو اسم شخص، وليس (ماء جبل عظيم) ولكي يعرف الكاتب بأن المقصود من هذه العلامات هو اسم شخص كان يضع امامها علامة

اما اسلوب الكتابة فقد تطور على مر العصور، فكان ان تم اختزال عدد العلامات وشكلها وأصبحت تكتب بوساطة طبع القلم على الطين بدلا من تحريك القلم وتغيرت اشكال العلامة التي اصبحت تتألف من خطوط أفقية وعمودية ومائلة فقط. وظل شكل العلامات يتطور ويتنزل حتى وصلت الى آخر مراحل التطور في العصر الآشوري الحديث الذي استخدمت فيه الكتابة المسماة في كثير من الأحيان على الواح الحجر والتماثيل اي بطريقة الحفر الدقيق، فاصبحت العلامات موحدة الأشكال ولا تختلف كثيرا من منحوتة الى أخرى او من رقيم الى آخر. وقد عدّ اسلوب الكتابة في العصر الآشوري الحديث من قبل الباحثين في الوقت الحاضر الأسلوب التودجي المتطور ونظمت معظم القواميس والكتب الخاصة

خاصة تعني (رجل) وتسمى هذه العلامة بالعلامة الدالة determinative وكان هناك علامات دالة كثيرة منها ما يوضع قبل الاسم ومنها ما يوضع بعد الاسم وكانت توضح ماهية اوجنس او فصيلة او نوع الاسم الذي تأتي قبله او بعده. فهناك علامة توضع قبل اسماء الأشخاص من الذكور وأخرى امام اسماء القبائل والشعوب وثالثة بعد اسماء المدن ورابعة بعد اسماء الطيور وأخرى امام اسماء كل شي مصنوع من الخشب او المعدن، وهكذا بقية الأشياء والكائنات. فضلا عن ذلك، وحيث ان طريقة الكتابة الرمزية ظلت تستخدم الى جانب الطريقة الصوتية، فكان من الممكن استخدام العلامة الرمزية الواحدة لكتابة اكثر من كلمة او معنى او استخدامها مقطعا صوتيا فحسب. ولكي يوضح الكاتب الكلمة او المعنى المقصود من العلامة كان يكتب بعد العلامة مباشرة مقطعا صوتيا يمثل نهاية الكلمة المقصودة. فثلا اذا



الكتابة المسماة محفورة على الحجر

بالعلامات المسماة استنادا الى ذلك، وكتب الى جانب كل علامة مسماة من العصر الآشوري الحديث اشكالها القديمة من الفترة التي كانت ترسم فيها بشكل صوري مروراً بالعصر البابلي، او الآشوري القديم فالوسط فالحديث مع بيان مختلف الأشكال التي وردت في النصوص المسماة المختلفة

استخدم العلامة التي تقرأ ka بمعنى الفم، او inim بمعنى (كلمة) وأراد المعنى الثاني منها، فانه كان يكتب العلامة ويضع بعدها علامة أخرى تقرأ nim فقط، مما يشير الى أن المقصود من العلامة هو لفظة تنتهي ب nim أي inim وهكذا.

وقد سميت هذه المقاطع الصوتية بالنهايات الصوتية او المتمم اللفظي Phonetic Com-

حل رموز الكتابة المسارية :

بعض النصوص المسارية المنقوشة على قطع الآجر او التماثيل اهتم عدد من العلماء الاوربيين ، فبدأت محاولاتهم الجادة من أجل فك رموزها ومعرفه أسرارها . وكان العالم الألماني نيبورن الزواد في هذا المجال حيث حقق نجاحا في قراءة بعض تلك النصوص ، ثم تابعت جهود ان علماء المصنعية من مختلف الدول الاوربية فعكف على دراسة النصوص المسارية تيكسن ومونتر وغيرهما .

اما الألماني كروتفند ، فكان دوره كبيرا في إيجاد مفتاح لفك رموز الكتابة ، وأعقبه لاسن ورولنسون ونوريس وهنكس وغيرهم . ان الحديث عن كيفية حل رموز الكتابة المسارية حديث طويل وشيق يظهر مدى جدية وصبر اولئك العلماء في الكشف عن اسرار النصوص المسارية والصعوبات الجمة التي واجهتهم في سبيل تحقيق ذلك ، وقد تناولت بعض البحوث هذه الجهود بشيء من التفصيل ، ويكفي ان نشير هنا الى ان تلك الجهود استغرقت مايقرب من مائة سنة الى ان وصلت الى حل كامل تقريبا لرموز الكتابة المسارية ، وان الأسلوب الذي اتبع في حلها شبيه الى درجة كبيرة بالأسلوب الذي اتبع في حل رموز الكتابة الهيروغليفية القديمة . فكما استعان العلماء بمجهر الرشيد المدون بثلاثة خطوط قديمة وثلاث لغات ، هو الخط الهيروغليفي والخط الديموطيقي والخط الأغرقي ، كذلك استعان العلماء في حل رموز الكتابة المسارية البابلية – الآشورية بعدد من النصوص المدونة بأكثر من خط واحد يمثل أكثر من لغة واحدة ، ويأتي في مقدمتها نقش بهستون الذي نقش على سفح جبل شاهق الى جانب بعض المشاهد المنحوتة ليحكمي بعض اعمال الملك الأخميني دارا الأول . وقد كتب هذا النص بثلاثة خطوط مسارية هي الخط العيلامي الأبجدي والخط الفارسي والخط البابلي .

ودون بثلاث لغات مختلفة هي اللغة العيلامية واللغة الفارسية القديمة واللغة العراقية القديمة

عاشت الكتابة المسارية حياة طويلة تجاوزت الثلاثة آلاف سنة وانتشر استخدامها في العراق وما جاوره من بلدان وأقاليم وخلّفت لنا مئات الألوف من النصوص المسارية المدونة على الطين والحجر وغيرهما من مواد وذلك باللغة السومرية والأكدية او بعض اللغات الأجنبية الأخرى . وقد تميزت الكتابة المسارية ، كما اشير الى ذلك ، بكثرة علاماتها التي تجاوز عددها الخمسمائة علامة بمراحلها المتطورة والمختزلة ، وتداخل طرق استعمال تلك العلامات ووجود العديد من العلامات الدالة والنهايات الصوتية التي كانت تكتب عادة ولا تقرأ ، لذا كان تعلم الكتابة المسارية وقراءة نصوصها من المهام الصعبة التي تحتاج الى خبرة طويلة . ومنذ اواسط الألف الأول قبل الميلاد ، بدأ استخدام الخط الآرامي الأبجدي ينتشر في بلاد الشام والعراق بانتشار القبائل الآرامية واحتكاكها مع الأقوام الأخرى ، ودخل في صراع عنيف مع الكتابة المسارية . وقد تميز الخط الآرامي بسهولة كتابة رموزه ومحدودية عددها ، حيث كان عددها أقل من ثلاثين رمزا . وكانت الغلبة في النهاية للخط الآرامي واللغة الآرامية في حين بدأ استخدام الكتابة المسارية بلغتها الأكدية يقلص تدريجيا الى ان توقف نهائيا في القرن الأول الميلادي حيث يرق تاريخ آخر النصوص المسارية المكتشفة الى حد الآن الى القرن الأول الميلادي . وبعد فترة وجيزة من توقف استخدام الكتابة المسارية ، دخلت تلك الكتابة في طي النسيان ومعها اللغة الأكدية وظلت نصوصها مطمورة تحت الانقاض وفي بطون التلال الأثرية لمئات من السنين ومعها تراث حضارة عريقة كان لها دور كبير في اغناء الحضارة الانسانية .

ومنذ القرن الثامن عشر الميلادي بدأت الكتابة المسارية تظهر الى النور ثانية ، حيث أثارت

(الأكدية). ويشير هذا النص الذي تبين أنه دُون من قبل أحد ملوك الأخمينيين الذين غزوا بابل وآشور عام ٥٣٩ ق.م وسيطروا على الحكم فيها الى ان الأخمينيين لم يتمكنوا من الاستغناء عن الحضارة العراقية القديمة الراسخة الجذور في المنطقة، لذا فانهم دونوا نصوصهم بلغة سكان العراق (الأكدية) الى جانب لغاتهم، كما يشير النص بما لايقبل الشك الى ان الأخمينيين كانوا قد اقتبسوا الكتابة المسارية من العراق وحوَّروها بما يتلاءم ولغاتهم الغربية عن لغات سكان العراق الاقدمين. وقد أفاد الباحثون من هذه النصوص ثلاثية الخط واللغة حيث تمكنوا من فك رموز الكتابة الفارسية القديمة بالاستعانة بمعرفتهم السابقة باللغة الفارسية القديمة من خلال كتاب زندا أفيستا وتعرفهم على أسلوب كتابة أسماء الملوك وألقابهم. ويغطي حثيثة أمكن في عام ١٨٤٦ م الاعلان عن حل رموز النص الفارسي. وكانت محاولات فك رموز الخط العيلامي مستمرة، غير ان قلّة النصوص العيلامية المكتشفة حالت دون الوصول الى حل كامل لرموز هذا الخط، وإن كان عدد علامات لايتجاوز ٤٢ علامة. وبالنسبة للكتابة الثالثة التي تمثل الكتابة المسارية البابلية بلغتها الأكدية، فقد استعان العلماء بما توصلوا اليه بشأن قراءة النص الفارسي، غير ان كثرة العلامات المسارية واختلاف طرق استخدامها ووجود علامات استخدمت لدقة التعبير وغيرها، اثار صعوبات كبيرة امام الباحثين، وقد زاد من اهتمام العلماء ورغبتهم في حل رموز الكتابة البابلية انه تبين لهم ان تلك الكتابة هي الكتابة نفسها المنقوشة على العديد من الواح الرخام والرقم الطينية المكتشفة في نينوى وخرصباد ونمرود وآشور. ومحاولات ناجحة وفرضيات علمية ومناقشات كثيرة توصلوا الى قراءة اسماء بعض الأخمينيين وألقابهم ورويدا رويدا تم لهم قراءة النص البابلي

بأكمله ثم بدأت المحاولات في قراءة نصوص اخرى مماثلة. وقد افاد الباحثون من حقيقة ان لغة تلك النصوص، التي أطلقوا عليها اسم اللغة الآشورية، وذلك لأنهم اكتشفوا نصوصها في بلاد آشور، شبيهة جدا بما كان يعرف باللغات السامية (العربية القديمة) كاللغات العربية والعبرية والآرامية. وعلى الرغم من النتائج التي توصل اليها الباحثون في حل رموز الكتابة المسارية فإن الشك ظل يساور عددا من المتشككين بصحة القراءات التي قدمها العلماء، فقامت الجمعية الملكية الآسيوية في لندن باجراء مايشبه الامتحان لمعرفة دقة ماتوصل اليه الباحثون فوزعت على الباحثين المعنيين في هذا الحقل من الذين ادعوا أنهم فكّوا رموز الكتابة المسارية، نسخا من كتابة مسارية مكتشفة في بلاد آشور وطلب اليهم قراءتها وارسال الترجمات الى الجمعية بشكل سري. وبعد شهرين وصلت الأجوبة الى الجمعية، وتبين أن النتائج التي توصلوا اليها كانت متقاربة، وان كانت هناك بعض الاختلافات البسيطة، وأعلن منذ ذلك الحين عن مولد علم قراءة النصوص الآشورية Assyriology أي (علم الآشوريات) (٢٢).

ومن الجدير بالتنويه هنا ان استخدام الكتابة المسارية لم يقتصر على بلاد بابل وآشور، بل ان شعوبا وأقواما مجاورة كثيرة اقتبست هذا الأسلوب من الكتابة وحوَّرتها بما يتلاءم ولغاتها المحلية، فأضافت بعض العلامات وغيرت من بعضها الآخر وهكذا. ومن هذه الشعوب والأقوام العيلاميون في جنوب غربي ايران والحثيين في آسيا الصغرى وشمال سوريا وبعض الأقوام التي استخدمت لغات عربية قديمة واستقرت في شمال سوريا وتركت نصوصا مسارية مثل سكان اوغاريت (قرب اللاذقية) وابلا (قرب حلب) والألاخ (عطشانة) وغيرها. كما استخدمت الكتابة المسارية واسطة للتفاهم بين ملوك وحكام الشرق الأدنى القديم في اواسط

الآلف الثاني قبل الميلاد، كما تؤيد ذلك رسائل
العمارة المكتشفة في مصر والمدونة بالكتابة
المسارية، واللغة الأكديّة والتي تمثل رسائل كان قد
ارسلها ملوك وحكام الدول والممالك القديمة الى
الملك المصري الذي لا بد ان كان لديه في بلاطه
من يقرأ تلك النصوص ويجاوب عليها بالأسلوب
نفسه (٢٣).

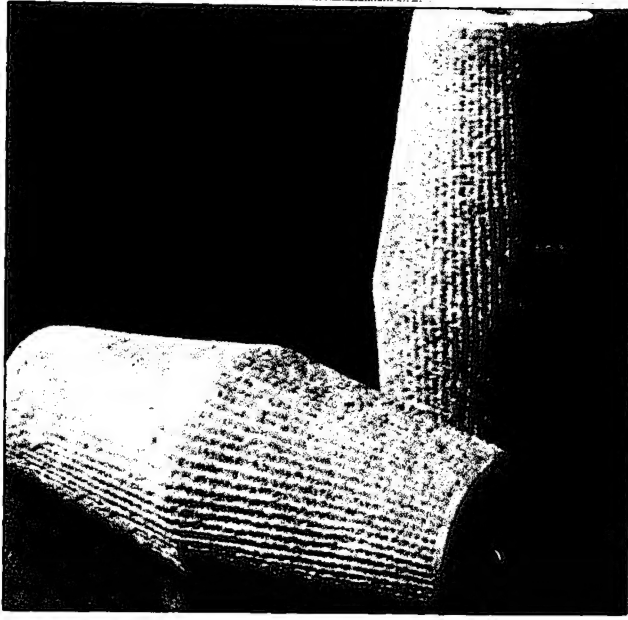
كتبوا على الطين :

لعل أهم ما يميز الكتابة المسارية عن غيرها من
الكتابات التي عرفت في العالم انها دونت على
الطين بالدرجة الأولى. فأقدم الألواح التي تحمل
علامات صورية مفهومة اللغة كانت من الطين
وظلّت الواح الطين بأشكالها المختلفة المادة الأساسية
التي دونت عليها النصوص المسارية عبر العصور
التي امتدت الى آخر العهود التي استخدمت فيها
الكتابة المسارية. وربما كان من دوافع استخدام
الطين للكتابة وفرته في القسم الجنوبي من العراق
وسهولة الرسم او النقش عليه وهو طري، كما تنبه
العراقيون القدماء الى بعض خصائص الطين التي
اذا تد في حفظ النصوص المدونة عليها، فهو سريع
الجفاف وقابل للفخر بالنار، فتزداد بذلك الألواح
قوة وصلابة ومقاومة للعوامل الخارجية من رطوبة
وحرارة، بحيث يمكن ان يبقى اللوح الطيني المفخور
لمئات بل آلاف السنين دون ان يتأثر بالأكسدة.
وبذلك حفظ لنا الطين مئات الآلاف من الألواح
المدونة بالكتابة المسارية ذات المضامين المختلفة،
ونقل اليها لغة العراقيين القدماء وتراثهم العلمي
والحضاري بصورة عامة فأمكننا رسم صورة تقريبية
واضحة ومتكاملة عن تاريخ العراق القديم عبر
العصور.

ومع الخصائص الإيجابية التي تميزت بها الواح
الطيني. فهناك بعض السلبيات منها وزنها الثقيل
وحجمها الكبير مقارنة مع مواد الكتابة الأخرى مما

حدد حجم النصوص المسارية المدونة واضطر
الكتبة الى الاختصار الشديد أحيانا. وإذا ما اضطر
الكاّتب ان يدون نصا طويلا كان عليه ان يستخدم
أكثر من لوح طيني واحد وابتدع من أجل ذلك وسائل
شتى للتعريف بتسلسل الألواح او الرقم الطينية. كما
كان من السلبيات سهولة تحطم الرقم الطينية، ثم
فقدان جميع او بعض مادّون عليها. ومع ذلك
انتشر استخدام الطين للكتابة انتشارا واسعا جدا
على مدى أكثر من ثلاثة آلاف سنة، ولم يقتصر
استخدامه على العراق فحسب بل امتد الى الأقطار
والبلدان المجاورة ايضا.

ولم تكن أشكال وأحجام الرقم الطينية واحدة
في جميع العصور ولجميع النصوص، بل تميزت
كل فترة زمنية بأشكال وأحجام معينة من الرقم، كما
كان يتحكم في شكل الرقم وحجمه ماهية النص
المدون عليه. وقد لا يتضمن النص اشارة ضمنية الى
مكان وتاريخ كتابته فيعتمد عند ذلك على شكله
وحجمه لمعرفة تاريخ ومكان تدوينه. وقد لا يعرف
ماهية النص المدون على الرقم بسبب تلف
العلامات المسارية او فقدان بعضها فيستعان عندئذ
بشكل الرقم الخارجي وأسلوب كتابة علاماته
لتخمين محتواه. وتشير الرقم الكثيرة المكتشفة في
العراق الى ان العراقيين استخدموا رقما بأحجام مختلفة
تتراوح بين حجم لا يتجاوز ٣ × ٣ سم، وتمثل هذه
الرقم وصلوات تحمل التاريخ الذي دون فيه الرقم
مع طبعة ختم (٢٤)، في حين يبلغ حجم أكبر رقم
من الطين مكتشف بحدود ٥٠ × ٥٠ سم. اما
أشكال الرقم المكتشفة فتنوع هي الأخرى،
فهناك الرقم المربعة والمستطيلة وبعضها مستدير او
غير منظم الزوايا ومنها البيضاوية. ومعظم هذه
الأشكال صغيرة وتعود الى فترة مبكرة من تاريخ
ابتداء الكتابة، وكان معظمها مسطح الوجه
محدب القفا، يتضمن معظمها وثائق اقتصادية
وادارية وقضائية، اي ما يسمى عادة بالوثائق

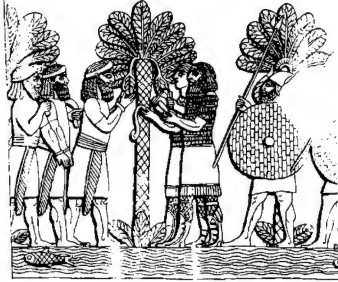


اسطوانتان من الفخار عثر عليهما في معبد نرجال في تريبس وقد دونت على كل منها اخبار حملة سنحاريب العسكرية الاولى وتجديده للمعبد

وكانت توضع في زوايا الأبنية وعليها نصوص سحرية او تعويذية^(٢٥). ومن الرقم ماهو اسطواني الشكل وبأحجام مختلفة وعليه أكثر من حقل من الكتابة، وقد عثر على العديد من هذه الرقم في زوايا وأسس الابنية العامة، وتضمنت موجزا للأعمال العمرانية والعسكرية الخاصة بالملوك، ولاسيما الملوك الآشوريين^(٢٦). وبعض الرقم من هذا النوع يأخذ أشكالا منشورية ذات ثمانية أضلاع او أكثر او أقل وتتضمن كذلك موجزا بالأعمال العمرانية والعسكرية للملك^(٢٧). وبعض الرقم ذات أشكال مخروطية دون عليها نصوص ملكية تذكر اسم الملك وألقابه واعماله العمرانية، كما ان هناك بعض الرقم الهرمية الشكل من الصنف نفسه، وأخيرا فانه من الممكن عدّ الآجر المفخور والمختوم ببعض الكتابات

اليومية، وتؤلف النسبة العظمى من الرقم المكتشفة حتى الآن. ومن الرقم ماهو قرصى الشكل وغالبا مايمثل هذا الصنف من الرقم النصوص المدرسية التي استخدمت لتدريب الطلبة والمتعلمين على القراءة والكتابة. اما الرقم الكروية والمثقوبة من الوسط فكانت تستخدم للتعليق، وتمثل غالبا وصلوات تسلم مواد معينة او انها عبارة عن مغازل دائرية الشكل مدون عليها بضعة أسطر من الكتابة. ومن الرقم ماهو مثلث الشكل وفيها ثقب لغرض التعليق ايضا مدونة ببضعة أسطر من الكتابة توضح مضمون الرقم المحفوظ على الرف او في الحجرة، أي ان هذا النوع من الرقم كان اشبه ببطاقة التعريف. وهناك رقم على هيئة مجسمات آدمية او حيوانية، وقد وجد معظمها داخل جدران من الفخار

التي تشير الى اسم الملك وألقابه وبعض اعماله
العمرائية من جملة الرقم الطينية ، كما ان هناك
اشكالا أخرى مختلفة تحمل انواعا مختلفة من
النصوص ، منها على هيئة رثة حيوان او كبد حيوان
او يد حيوان والى غير ذلك من الأشكال .



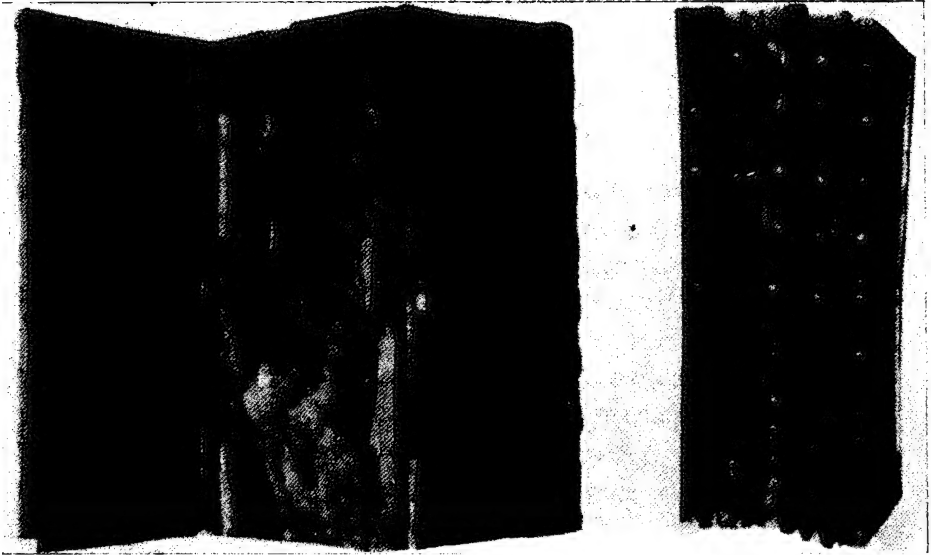
كتبة اشوريون



رقم من مكتبة اشور بانيبال

المستطيلة الشكل بواسطة احزمة جلدية او معدنية ،
فكانت بذلك أقرب ماتكون الى اسلوب الكتابة
على صفحات الكتاب . اما المعادن فقد
استخدمت على نطاق ضيق ، وقد وصلت اليها بعض
الكتابات مدونة على اسطوانات او الواح من
النحاس او البرونز والفضة والذهب ، كما نقشت
الكتابة على التماثيل والأدوات والآلات المصنوعة من
المعادن ايضا^(٢٨) . وربما استخدم العراقيون
القدماء ، ولاسيما الآشوريون ، مواد أخرى للكتابة
كألواح الخشب وجلود الحيوانات وورق البردي ،
كما تدل على ذلك بعض الاشارات الواردة في
النصوص الآشورية ، إلا ان طبيعة هذه المواد
العضوية وعدم مقاومتها للرطوبة وغيرها من العوامل
أدت الى تلفها وفقدانها ، ولعل من حسن حظ
الباحثين في الوقت الحاضر ان العراقيين القدماء لم
يتجهوا الى استخدام هذا النوع من المواد سريعة

ولم تقتصر الكتابة على الطين بل استخدمت
مواد أخرى كان أهمها في بلاد آشور الواح الحجر
والرخام التي غطت ارضيات وجدران القصور
الفخمة التي اقامها الملوك الآشوريون ، ثم المسلات
والتماثيل المصنوعة من مختلف انواع الحجر
الصلب ، كحجر الديوريد الأسود والبالزت ،
الذي لا يتوافر في العراق ، ومنها التيران المجنحة
الفخمة . كما دوت بعض الكتابات على الأحجار
الكرمة وشبه الكريمة كالعقيق واللآزورد وعلى
الأختام الاسطوانية والخرز . وفي بلاد آشور
استخدم العاج على نطاق واسع نسبيا لصنع بعض
اجزاء الأثاث وأدوات الزينة ، كما نقشت عليه
بعض الكتابات المسماة القصيرة ، وابتدع
الآشوريون طريقة جديدة في الكتابة على ألواح
العاج بأن غطوا العاج بطبقة من الشمع ثم طبعوا
الكتابة على الشمع ووصلوا بين الواح العاج



الواح من العاج مربوطة الى بعضها كانت منقطة بطبقة من الشمع ومدون عليها بالكتابة المسبارية

التلف للكتابة واستمروا على استخدام الطين والحجر
وغيرهما من المواد القوية للكتابة عليها.

تعلم الكتابة :

مع كثرة مالدنيا من نصوص مسبارية آشورية
متنوعة الاشكال والأحجام والمضامين فان
معلوماتنا عن أسلوب التعليم في بلاد آشور تظل
قليلة جدا ولا تقارن بما لدينا من معلومات عن
الموضوع نفسه من بلاد بابل في الفترات السابقة ،
ولاسيما في العهد البابلي القديم . فمن بلاد بابل
جاءتنا نصوص عديدة تتحدث عن المدرسة وادارتها
وعن الطالب ومعلميه وعن مناهج الدراسة
وأساليب التعليم ، كما جاءتنا نصوص تحمل
ذكريات الكتبة الخاصة ايام التلمذة ونصائح
وأمثلة ذات علاقة بالمدرسة والتعليم وأهمية ذلك في
حياة الفرد^(١٢٩) ، ولنا ان نقيس على مالدنيا من
معلومات عن بلاد بابل ونفترض وضعاً مشابهاً في
بلاد آشور ، ولاسيما في العصر الآشوري الحديث ،

عصر الازدهار والقوة . ومع هذا النقص في
المعلومات هناك بعض الاشارات الى أهمية التعليم
بالنسبة الى الأسرة المالكة فمن عهد آشور بانيبال من
القرن السابع قبل الميلاد يتفاخر آشور بانيبال بأنه
”درس حكمة نابو واستوعب فن الكتابة بأكمله
وكذلك معارف المتخصصين جميعهم ، وتعلم
الرياسة وركوب الخيل وقيادة العربات ومسك
اللجام“ . وفي مكان آخر يقول : ”لقد قرأت
نصوصا معقدة حيث كانت النسخة السومرية
غامضة والنسخة الأكديّة صعبة الفهم . وبحثت في
الكتابات على الأحجار التي ترقى بتاريخها الى ما قبل
الطوفان“^(١٣٠)

غير ان هذه المعلومات خاصة بأحد أفراد الأسرة
المالكة ، وهو الملك ، وان مائشيز اليه لا ينطبق على
غيره من عامة الناس . ويبدو ان الكتابة والتعليم كانا
مقصورين أحيانا على الكتبة والاداريين وأبنائهم
الذين كانوا يأخذون عنهم حرفتهم وقتهم في
الكتابة ، ولا بد أنه كان هناك مدارس مماثلة

به. وما عدا بعض الرقم فان غالبية نصوص هذه المكتبة لم تنشر بعد في حين نشرت نصوص موقع سلطان تبة بمجلدين وضمت نصوصا أدبية غاية في الأهمية^(٣٣).

اما الرقم التي اكتشفت في مدينة نينوى نفسها والتي تم اكتشافها في تل قوينجق في اواسط القرن الماضي والمعروفة برقم مكتبة آشور بانيبال ، فقد أثبتت الدراسات التي تمت حولها بأن معظمها يعود الى مكتبة آشور بانيبال الملكية في حين يعود بعضها الآخر الى معبد الآله نابو في مدينة نينوى ، كما ان هناك بعض الرقم تعود الى ملوك بابلين من القرن التالي لسقوط نينوى . ويدل مضمون بعض الرقم ، كالأرسائل او الوثائق الاقتصادية ، على أن مكان حفظها لم يكن بالتأكيد في المكتبة الملكية بل في اماكن خاصة غيرها . ويدل ان الالتباس في نسبة جميع الرقم المكتشفة في اواسط القرن الماضي في نينوى الى المكتبة الملكية ناتج عن عدم دقة التنقيبات التي أجريت آنذاك التي لم تهتم كثيراً في تثبيت معائر الأنواع الطينية في نينوى مما دفع المقيمين الأوائل الى عدّها كلها ضمن مجموعة واحدة ، وتشير بعض النصوص المسماة الى ان أصول المكتبات الملكية يرجع الى عهد تجلا نبليزر الأول. (القرن الثاني عشر ق. م) الذي أسس مكتبة في معبد آشور ، وعلى كل حال ، فقد نقلت جميع تلك الرقم الى المتحف البريطاني في لندن وتعد الآن من أهم ما يمتلكه المتحف المذكور من آثار ، وقد قام العالم الألماني كارل بتزولد Carl Bezold بفهرسة هذه الرقم بخمسة مجلدات ضخمة في الفترة ١٨٨٩ - ١٨٩٩^(٣٤) ، وأعقبه كنج L. W. King بأن اصدر ملحقا عام ١٩١٤ . وحسب هذه الفهارس فقد بلغ عدد الرقم والكسر المسجلة أكثر من ٢٥ الف رقم ، اضافة الى عدد كبير من الكسر الصغيرة التي لم تفهرس أصلا . الا أن الدراسات التفصيلية لمحتويات الرقم أثبتت أن بعضها يمثل

للمدارس التي أشير اليها في بلاد بابل ، فهناك مجموعة من الكتب اطلق عليها اسم (كتبه كاليز kalizi) (وهي مدينة في شرق بلاد آشور)^(٣٥) . مما يشير الى وجود مجموعات عدة من الكتب في بلاد آشور.

المكتبات وأسلوب حفظ الرقم :

تمثل النصوص المكتشفة في العاصمة الآشورية نينوى والتي تعود الى مكتبة آشور بانيبال من القرن السابع قبل الميلاد . اروع وأثمن ماتم الكشف عنه من الكنوز الآشورية خلال القرنين الماضي والحالي . وقد احتلت مكتبة آشور بانيبال مكان الصدارة في العديد من البحوث والدراسات وذاعت شهرتها حتى اصبح الحديث عنها يمثل الحديث عن المكتبات القديمة بصورة عامة ، ومع أهمية المكتبة القصوى فانها لم تكن المكتبة الوحيدة التي كانت موجودة قبل وفي عهد آشور بانيبال اوبعد في نينوى او خارجها ، فلقد دلت التنقيبات التي اجريت في مدن بلاد بابل على وجود مكتبات عدة ، فقد عثر على مجموعات كبيرة وصغيرة من الرقم الطينية في بابل وفي التل الأبيض في عرقوف وفي الوركاء ونفر وكيش وفارة وغيرها^(٣٦) من المدن وفي بلاد آشور لم يقتصر العثور على مجموعات من رقم الطين المسماة على ماتم العثور عليه في نينوى بل كشف في عدة مواقع آشورية على رقم تمثل بقايا مكتبة آشور بانيبال وذلك في مدينة آشور وفي كلخو (نمرود) وفي سلطان تبة قرب حران جنوبي شرق تركيا . وقد نشرت معظم نصوص آشور المحفوظة في متحف برلين وثبت أنها ذات أهمية كبيرة بالنسبة لمعرفةنا بالطقوس الدينية في آشور والى هذه المجموعة من الرقم الطينية تعود الألواح التي دُونت عليها القوانين الآشورية الوسيطة . اما الرقم المكتشفة في كلخو فتؤلف مكتبة الآله نابو ، اله الكتابة ، الذي كان معبده عادة يضم مكتبة خاصة

اجزاء من نصوص معينة وان بعضها يكمل بعضها الآخر، لذا فانها تمثل مجموعها حوالي خمس آلاف نص. ومن هذه النصوص ما هو نسخ مكررة قام باستنساخها الكتبة لأغراض التدريب والدراسة، وبذلك فان عدد النصوص المستقلة من حيث المواضيع يتراوح بين ١٠٠٠ و ١٢٠٠ نصاً^(٣٥).

وتوضح بعض النصوص المسماة المكتشفة مدى اهتمام الملك الآشوري آشوربانيال (٦٦٩-٦٢٦ ق. م) بجمع النصوص وضماها الى مكتبته الملكية التي وجدت في بعض اجنحة قصره وقصر والده في تل قوينجت مما يدفع الى الظن بأن آشوربانيال كان مثقفا ثقافة عالية ومحباً للعلم شغوفا بجمع النصوص خاصة وانه كان قد تدرب وتعلم على مختلف العلوم والفنون منذ ان كان ولدا للعهد في قصر ولاية العهد الذي تم اكتشاف بقاياه في مدينة تريبص الآشورية على مقربة من مدينة نينوى^(٣٦). وهكذا نجد آشوربانيال يتحدث عن نفسه في أحد النصوص قائلا:

”استقيت المعارف الخاصة بالكتابة وحذقت آيات السماء والأرض.... ودرست ظواهر السماء، وتمكنت من حل قضايا صعبة في القسمة والضرب واتقنت فن الكتابة السومرية والكتابة الأكديّة الصعبة جداً، وكنت أحب أن أقرأ الأحجار والانصاب المكتوبة من أزمان ما قبل الطوفان...“^(٣٧) وتأكيذا للوصول الى هذا المستوى العالي من العلم والمعرفة، فقد عمد الى جمع النصوص القديمة واستنساخها وحفظها في مكتبته الخاصة لقراءاته الملكية، وهكذا نقرأ في تذييلات بعض الرقم الطينية، (والتذييل في النصوص المسماة Colo-phone) يمثل العبارات التي تذكر في نهاية النص والتي تذكر تفاصيل معينة عن الرقم وأحيانا تسلسل الرقم بين الرقم الأخرى والسطر الأول من الرقم التالي، ما يؤكد ذلك:

”آشوربانيال، الملك العظيم، الملك القوي، ملك الجميع، ملك بلاد آشور، ابن أسرحدون، ملك بلاد آشور (الذي كان) ابن سنحارب، ملك بلاد آشور ايضا. كتبت هذا الرقم في مجلس المتخصصين استنادا الى كلمات الرقم والواح الكتابة (التي ترقى) أصولها الى بلاد آشور وبلاد سومر وأكد [اي بلاد بابل]. لقد دققتها وقابلتها ووضعتها داخل قصرى لطالعاتي الملكية. وكل من يحو أسمى ويكتب اسمه، عسى نابو، كاتب الكون، ان يحو اسمه“^(٣٨).

وبعث آشوربانيال برسائله الى موظفيه وتابعيه بأن يجمعوا له النصوص المهمة والمفيدة او يستنسخوها، وهناك رسالة وان كانت لاتحمل اسم مرسلها، كما هي العادة في مثل هذه الرسائل، إلا أن ذكر بلاد آشور وطبيعة مضمون الرسالة يشيران دون شك الى ان مرسلها كان آشوربانيال. وتقرأ في الرسالة:

”أمر ملكي الى كود وزانو، عسى ان تكون بخير وعسى ان يكون قلبك فرحا.

في يوم قراءتك رسالتي، استصحب معك [وهناك أسماء عدة أشخاص وكذلك المثقفين في بوريسا، وهي مدينة قرب بابل] وفتش عن جميع الرقم المحفوظة في بيوتهم والرقم المودعة في معبد ايزيدا“. وتستمر الرسالة لتحدد أسماء بعض النصوص والمسلسلات التي يريدها الملك بشكل خاص، ثم يقول:

”ابحثوا وارسلوا الى الرقم النادرة التي تعرفونها والتي تفتقدها بلاد آشور... وسوف لن يمنع احد عنكم النصوص. وإذا كان هناك اي رقم خاص بالطقوس لم اذكره لكم ووجدتموه جيدا لقصرى، فاحصلوا عليه وارسلوه الي“.

ويشير البروفسور ساكر^(٣٩) الى ان عناوين النصوص والمسلسلات التي طلب آشوربانيال

ورسام وغيره في تل قوينجق في نينوى ، تتبع الأساليب العلمية الدقيقة التي تطورت اليها في القرن الحالي فتسجل معائر اللقى الأثرية من رقم طينية وغيرها ، بشكل دقيق وترسم مخططات الأبنية والى غير ذلك ، وهكذا ضاع علينا الكثير من الأمور التي كنا نود معرفتها عن معائر الرقم الطينية الكثيرة التي ضمتها مجموعة مكتبة آشور بانيبال وأسلوب تنظيم وحفظ الرقم الذي وجدت عليه والى غير ذلك من المعلومات التي قد تلتقي الضوء على طبيعة هذه المكتبة الرائعة . ومع ذلك فانه من الممكن اعطاء فكرة عامة عن طبيعة مكتبة آشور بانيبال وأسلوب تنظيمها وغيرها من المكتبات الآشورية قياسا على ماهو معروف عن مكتبات أخرى وجدت في المدن العراقية القديمة ، آشورية وبابلية ، واستنادا الى بعض الاشارات الواردة في النصوص المسامرية .

فن المؤكد ان مجموعة الرقم الطينية التي ضمتها مكتبة آشور بانيبال كانت محفوظة في أحد اجنحة القصر الملكي الآشوري الذي اتخذ مكانا للمكتبة طالما ان آشور بانيبال نفسه ادعى بأنه اراد جمع الرقم لحفظها في قصره ، حيث جاء في تذييلات بعض الرقم العبارة : "لقد دققنا (يقصد الرقم) وقابلتها ووضعناها داخل قصرى لمطالعاني الملكية^(١٠) ، وكان بالقرب من المكتبة الملكية مكتبة معبد الآله نابو ، اله الكتابة ، التي ضمتها إحدى غرف المعبد ، وربما كانت المكتبة الملكية مزينة بعدد من التماثيل^(١١) . ولأهمية النصوص التي كانت تحفظ في المكتبة ، لابد ان كان المسؤول عنها من كبار الموظفين . كما كان جزءا منها من واجبات الكاتب يتمثل في العبارة الأكديّة التي يمكن ترجمتها كالآتي :

"الدخول وأخذ الرقم وتخزينها باستمرار في المكتبة"^(١٢) ولايعرف فيما اذا كانت البناية او القاعة المخصصة لحفظ الرقم الطينية تختلف في

جمعها او استنساخها تدل على ان معظمها كانت نصوص فأل او خاصة بالطقوس الدينية والتعاويذ والصلوات ، وان لذلك علاقة وثقى بالدوافع الدينية الكامنة التي دفعت آشور بانيبال الى جمع تلك النصوص وتأسيس المكتبة أصلا ، وذلك لكي يتمكن من الاستفادة منها في قراءة الطالع ومعرفة ماقد يحدث له او لمملكته من أخطار في المستقبل ، من خلال نصوص الفأل والتنجيم مما يدعو الى اتخاذ التدابير اللازمة لدفع الأخطار باجراء الطقوس الدينية وقراءة التعاويذ اللازمة . فضلا عن ذلك فان حفظ مثل هذه النصوص والحفاظة على نصوصها الدقيقة كان يجد ذاته يعد من الواجبات الدينية ، ولهذا يلاحظ التأكيد على ان النص المدون هو نسخة طبق الأصل عن النص الأصلي دون اي تغيير، وهذا مانجده في تذييل عدد كبير من النصوص "كتب ودقق استنادا الى كلمات الرقم ، الأصل في كوثا" . ومما كانت الدوافع الكامنة وراء جمع واستنساخ الرقم الموزعة في بلاد بابل وآشور ، فان آشور بانيبال لم يتوان عن ذلك وأرسل رسائله وموظفيه الى مختلف انحاء مملكته بجمع واستنساخ النصوص ، وهكذا نجد أحد كتبه يبعث اليه برسالة يقول فيها : "سنسير على تعليقاتكم الموجهة الينا بخصوص جمع الرقم المدونة باللغة السومرية" وفي أخرى يقول الكاتب "سوف أجلب الرقم الطيني الخاص بالملك حمورابي" في حين يقول الملك في رسالة أخرى موجها : "أجلب الرقم الذي فيه تعليقات رسمية من ملك بابل الى مدينة بورسبا" . وكل هذه الرسائل مضافا اليها ماورد في تذييلات النصوص ، كالتذييل المذكور آنفا ، تؤكد ان غالبية نصوص مكتبة آشور بانيبال كانت قد استنسخت من اجله او انها جمعت من المكتبات في القصور والمعابد الأخرى .

لم تكن التوقيعات التي قام بها المنقبون الأوائل في القرن الماضي ، ومنها تلك التي قام بها ليرد ٣٩٠

الى مجموعة واحدة ، فابتدع طريقة ذكر السطر الأول من الرقم التالي ، مثلا في نهاية الرقم الأول اي في التذييل Colophone ودون السطر الأول من الرقم الثالث في نهاية الرقم الثاني وهكذا^(٤٤) ، اي تماما كما كانت الطريقة المتبعة في العصور العربية الاسلامية ، عند الاشارة في نهاية كل صفحة من

صفحات القرآن الكريم ، كما ابتدع الآشوريون طريقة أخرى لتدوين النصوص الطويلة وذلك بأن استخدموا ، ولو كان ذلك في حالات قليلة ، الواحا مستطيلة من العاج مكسوة بطبقة من الشمع وربطوا بين تلك الألواح بأحزمة من الجلد او المعدن ، فكانت بذلك أشبه ماتكون بصفحات الكتاب . كما كانت وسائل حفظ الرقم توضح هي الأخرى عائدة عدد من الرقم الطينية الى مجموعة واحدة .

يبدو ان الرقم كانت تحفظ عادة في سلال مصنوعة من القصب ، ومطلية بالطين أحيانا ، او في صناديق من الخشب او الفخار او في جرار من الفخار . وكانت العادة ان يوضع الى جانب الرقم المحفوظة في السلة او الحجرة ، بطاقة تعريفية تشير الى المحتويات . وقد وجدت بعض نماذج السلال في كل من تل قوينجتق وتل حرميل قرب بغداد . ويبدو ان هذا النوع من السلال كان يستخدم ايضا لنقل الرقم الطينية من مكان الى آخر ولمسافات بعيدة^(٤٥) ، وربما كان يوضع مع الرقم كمية من القش او التبن للمحافظة على الرقم من التحطم ،

اما في كيش فقد عثر على مجموعة من الجرار الفخارية محطمة وكانت مرتبة حول جدران بعض الغرف وفي داخل بعضها مجاميع من رقم الطين مصنفة حسب المحتويات ، ومن هنا جاء اسم مخزن حفظ الرقم (جرة رقم) . واسم الموظف المسؤول عنها (ابن جرة الرقم)^(٤٦) . اما الصناديق فكان لها اغطية وكان يكتب عليها محتويات الصندوق من الرقم ، وكانت مثل هذه الصناديق في عهدة

تصميمها عن غيرها من البنايات او القاعات ام انها كانت مشابهة لها ، ويبدو انها لم تكن تختلف في التصميم عن غيرها كثيرا ، لذلك لم يتمكن المقبولون من تمييزها من بين اجنحة المعابد والقصور المكتشفة الا من خلال العثور على مجموعات كبيرة من الرقم الطينية التي لا تحفظ عادة الا في المكتبات .

وحيث انه كان من سليات استخدام الطين مادة للكتابة عليها صعوبة استخدام الواح من الطين كبيرة الحجم خشية تحطمها في اثناء الكتابة والنقل وتشققها بعد الجفاف وصعوبة الكتابة عليها أصلا ، لذلك كانت اكبر الرقم المكتشفة حجما لاتتجاوز مساحة احد اوجهها ٥٠×٥٠ سم ، وهكذا كانت المساحة المتيسرة للكتابة على وجه الرقم محدودة ، مما دفع الكتبة الى الكتابة على الوجه الثاني وأحيانا على حافات الرقم ايضا . ومع ذلك كانت المساحة لاتتسع لكتابة نصوص طويلة فاضطر الكتبة الى الاختصار والاختزال والى استخدام أقلام دقيقة لطبع العلامات ليتسنى لهم كتابة اكبر عدد ممكن من العلامات في المساحة المتيسرة حتى ان بعض الرقم ضمت بعض الأسطر التي تصعب رؤيتها لأنها كتبت بشكل دقيق جدا^(٤٧)

وفي احيان أخرى عمد الكتبة الى استخدام اشكال مختلفة من الرقم على هيئة اسطوانات او مكعبات او مجسمات هندسية أخرى لزيادة مساحة الأوجه المعدة للكتابة ولزيادة تماسك الرقم خاصة وان مثل هذه الرقم كانت تفخر بالنار قبل حفظها في أسس الأبنية كما سبق أن ألقينا الى ذلك . اما في حالات النصوص الطويلة الأخرى التي كانت معدة للحفظ في المكتبات ، كالأساطير والقصص الدينية والملاحم وبعض مسلسلات نصوص الفأل او التعاويذ وغيرها ، فقد كان على الكاتب ان يستخدم أكثر من رقم واحد لتدوينها وان يبتدع وسائل مختلفة لبيان تسلسل تلك الرقم وعائديتها

تمت استعارة الرقم من قبل الشخص الفلاحي ، وقد عثر على رقم في مدينة الوركاء يحمل الملاحظة انه من عهد سرجون الآشوري وانه نسخة لنص معار من القصر الآشوري ، وبالتأكيد اعيدت النسخة الأصلية الى القصر في حين كان هناك رقم ، ورقم آخر كان نبوبلاسر ، ملك بلاد بابل (٦٢٦ - ٦٠٤ ق. م) قد استعارة لكنه لم يعده الى مكانه الأصلي في الوركاء وبطريقة ما ، ربما أثناء الغزو الأخميني لبلاد بابل ، انتقل الرقم الى بلاد عيلام عندما وجده أحد كهنة الوركاء وتعرف عليه فعاد به الى الوركاء وذلك في فترة الاحتلال السلوقي لبلاد بابل (٣١١ - ٢٨١ ق. م) . اما آشور بانينال نفسه ، فكما سبق أن أشرنا ، لم يتردد أن يستعير أو أن يستولي على العديد من الرقم الطينية التي كانت محفوظة في مكتبات المعابد والقصور في ارجاء المملكة ، كما انه حصل على بعض الرقم التي كانت مملوكة من أشخاص اعتيادين ، كما تشير اسماءهم المذيلة بها واستنسخ ما يمكن استنساخه في حالة عدم تمكنه من الحصول على الرقم الأصلي ، وهذه الطريقة تمكن من بناء مكتبة ضمت الآلاف من النصوص المهمة وذات المواضيع المختلفة^(١٩) .

وتبدو أهمية بعض الرقم والنصوص من الملاحظات المدونة عليها التي تحذر كل من يحاول استعارة الرقم عن قصد ثم لا يعيده الى مكانه اوانه يعمل على تخوير واتلاف او محو ما هو مدون عليه او وضع اسمه بدلا من اسم صاحب الرقم الأصلي ، وذلك بانزال لعنات الآلهة عليه . في حين أن هناك دعاء بالخير والرفاهية لكل (كاتب لاغير ، وربما لايمحو النص ، ولكنه يعيده الى مكانه في المكتبة) وقد تضم بعض النصوص رجاء بعدم أخذ النص والاحتفاظ به .

محتويات النصوص المسارية الآشورية :

ان دراسة اقدم النصوص المسارية المكتشفة والمفهومة اللغة وتحليلها تشير الى ان الدوافع

شخص يدعى (مدير صندوق الرقم) . كما كانت بعض الرقم تودع في كوة في جدران الغرفة من الداخل وقد أمكن الكشف عن مثل هذه الكوات في بيت الكاهن في آشور . وطبعي كانت السلالم والصناديق والجرار معدة لحفظ اعداد محدودة من الرقم وكانت تودع عادة في بناء خاصة تسمى (بيت الرقم) بيت طَبِّي bit tuppī ، وهو الاسم الذي اطلق ايضا على المدرسة . وكانت بعض الرقم الخاصة ايضا تحفظ في ارشيفات مرتبطة بالمعبد او القصر ، وفي فترة الاحتلال الاجنبي كان هناك بعض البيوت التي اختصت بحفظ الوثائق الاقتصادية وكانت تسمى (بيوت الوثائق) وكان لكل منها (أمين الوثائق)^(٢٠) ، كما كانت بعض الرقم تحفظ في البيوت السكنية الخاصة كبيوت الكتبة والكهنة وبعض التجار .

وكانت السلالم والجرار والصناديق التي تحوى الرقم ، وغالبا ما كانت تحمل بطاقات تعريفية ، توضع على رفوف من الطين او الخشب على جدران الغرفة كما كانت عليه الحال في مكتبات المعبد المكتشفة في كل من نمر وكيش . وكانت بعض الغرف تخصص لأنواع معينة من النصوص ، كالنصوص القواعدية او اللغوية او الدينية ، ولم يكن يوضع في الجرة سوى صنف واحد من النصوص ولا بد ان كان هذا النظام هو الشائع في بقية المكتبات ، كما كان الكتبة ينظمون نوعا من الفهارس كالتى وجدت في آشور ، حيث عثر على فهرس بنصوص التراتيل وآخر بنصوص التنجيم ، كما كانت توضح بطاقات ، وهي رقم صغيرة ، توضح عائدية الرقم ، كما وجد ذلك في ماري^(٢١) .

ولم تكن استعارة الرقم من المكتبات غير معروفة بل كانت مألوفة عند العراقيين القدماء ، وهناك اشارات عدة في النصوص الى ان المستعير كان يترك رقما صغيرا يذكر اسم النص المستعار واسم الشخص الذي استعارة او تكتب ملحوظة مع الرقم نفسه .

مكتبات خاصة وضرورة استنساخ النصوص القديمة بكل دقة لحفظها في تلك المكتبات ،

كما فعل آشور بانيبال عند تكوينه مكتبته الشهيرة . وقد أفادت هذه المراسلات الباحثين في الوقت الحاضر ، حيث تم العثور على نسخ متعددة لنص واحد في أماكن مختلفة فأمكن اكمال النواقص الموجودة في بعض هذه النسخ من النسخ الأخرى كما ان الدقة في الاستنساخ حفظت لنا النصوص بشكلها الأصلي الى درجة كبيرة دون أن تتأثر بتغير الأساليب اللغوية بالنسبة الى مكان وزمان الاستنساخ .

وقد ضمت الآثار الآشورية مختلف انواع النصوص التي كانت موجودة في بلاد بابل مضافا اليها بعض النصوص التي ظهرت لأول مرة في بلاد آشور ، كالكتابات الملكية وقوائم الليسمو الآشورية (٥١) . وفيما يأتي استعراض سريع لأهم مجاميع النصوص المسارية الآشورية المكتشفة مصنفة حسب محتوياتها ومبتدئين بالنصوص التي اختصت بها بلاد آشور :

النصوص الملكية الآشورية :

تعد النصوص الملكية الآشورية من أهم النصوص التي تطورت في العصور الآشورية ، وكانت بدايات هذا النوع من النصوص الملكية منذ العصور السومرية الاولى ، حيث كان الملوك يدونون بعض نصوص التكريس عندما يكرسون شيئا قدم الى الآلهة او تم القيام به من أجلها ، وقد تكون هذه النصوص بسيطة وموجزة وقد تكون معقدة ، وكانت تضم اسم الملك وألقابه وما قدمه للآلهة سواء أكان شيئا ماديا او عملا معينا . وبمرور الوقت تطور هذا النوع من النصوص ، وأصبح يضم اسم الملك وألقابه وعلاقته الخاصة بالآلهة وذكر للأحداث التي تحدد

الأساسية التي حفزت العراقيين القدماء لابتداع وسيلة للتدوين لم تكن ، كما قد يتبادر الى الذهن ، لتدوين الأحداث والاحبار وتدوين الصلوات والأدعية والتراتيل او لارسال الرسائل وتحرير العقود ، بل كانت دوافع اقتصادية بمحطة تلبي حاجات المعبد والقصص من خلال تسجيل مايدخل وما يخرج من مخازنها و عدد الكثرة من مواد . لذا كانت أقدم الألواح عبارة عن ألواح صغيرة من الطين عليها رسوم مواد مختلفة والى جانب كل رسم اشارات بسيطة على شكل دوائر او خطوط تمثل ارقاما . وقد تم العثور على هذه الألواح في مراكز دينية مما يشير الى انها كانت خاصة بممتلكات المعبد في حين كشف عن بعضها الآخر في مقرات الحكام . وبمرور الوقت وشيوع استخدام الكتابة ، بدأ التدوين يشمل الى جانب ذلك امورا تعليمية ودينية وإدارية وغيرها . وفي الألف الثاني قبل الميلاد ، اصبحت الكتابة وسيلة لتدوين جميع العلوم والمعارف وغدت تستخدم لتدوين المعلومات بهدف استخدامها في المستقبل وإيصالها الى الآخرين بأسلوب جيد ، كما استخدمت الكتابة للأمور الدينية بشكل واسع . ومع تنوع مضامين النصوص المسارية المكتشفة فإنه يمكن تمييز صنفين من النصوص يختلفان من حيث اسلوب وهدف الكتابة ، فهناك عدد كبير من النصوص التي تمثل التقاليد الموروثة ، وهي النصوص التي ظلت محفوظة بكل عناية عن طريق الاستنساخ والتقليد الدقيق لأجيال كثيرة متعاقبة ، وأما الصنف الثاني من النصوص فيمثل تلك النصوص التي تعكس نشاط الحياة اليومية في كل من بلاد بابل وآشور (٥٠) . وقد زاد في عدد النصوص من الصنف الأول وزاد من عدد النسخ المتوافرة من النص الواحد هو الأسلوب الذي سار عليه الكتبة في تدريب المتعلمين من الكتبة على الاستنساخ الكامل لنصوص قديمة ، وكذلك الرغبة في تكوين

حيث لا يعرف معظم السكان الكتابة باللغة الأكديّة.



نصوص ملكيّة على منحوتات جداريّة

الزمن وأخيرا سرد لأعمال الطقوس التي قام بها الملك، وهي عملية بناء معبد أو ترميمه غالبا. أما في بلاد آشور، فيبدو ان الملوك الآشوريين وجدوا انه من المناسب ذكر الحملات العسكرية التي قام بها الملك بعد ان يذكر اسم الملك وألقابه، وتذكر تفاصيل تلك الحملات وقد بدأ ذلك منذ حوالي عام ١٣٠٠ ق. م. وأصبح هذا النوع من النصوص يضم جميع الأعمال العسكرية اما حسب الأقاليم او حسب تسلسل السنين. وكان أول من اتبع الأسلوب الثاني الذي يمكن تسميته بأسلوب الحوليات هو نجل تيليزر الأول (١١١٥ - ١٠٧٧ ق. م). ومن الجدير بالإشارة ان هذا النوع من النصوص لم يكن يدون من أجل ان يقرأه البشر طالما كانت النصوص تدون على اسطوانات ومناشير فخارية وتدفن في زوايا وأسس البناء الذي يقوم الملك ببنائه او ترميمه كما كان هذا النوع من النصوص يضم ايضا فقررة خاصة موجهة الى الأمراء والملوك الذين سيأتون الى الحكم ويعيدون بناء او ترميم البناء والطلب اليهم باعادة النص المدفون الى مكانه وفق طقوس دينية خاصة وعدم التلاعب بما يضمه من معلومات.

ومع ذلك لم تكن جميع النصوص الملكية مدفونة في الأسس ومخفية عن الأنظار بل كان بعضها مدونا على المنحوتات التي كانت تغلف جدران القصور من الداخل او على الثيران والأسود المجنحة التي كانت تحمي مداخل القصور والقاعات او على النصب التذكارية التي كان يقيمها الملوك في الأماكن التي يصلون اليها تخليدا لذكرى انتصاراتهم، ولم يكن النوع الأخير من النصوص نصوصا مطولة. ويبدو ان الهدف من هذا النوع من النصوص الملكية هو أن يقرأها الناس جميعا وان كان هناك قلة من الناس من يعرف القراءة والكتابة ولا سيما بالنسبة الى النصب التذكارية التي كانت تقام عادة في مناطق بعيدة

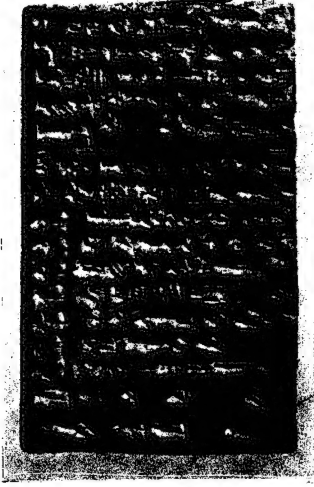
قوائم الليمو:

وهناك نوع ثان من النصوص ذات الأهمية التاريخية التي ظهرت وتطورت في بلاد آشور وتعرف باسم قوائم الليمو Limu Lists وكان مصطلح ليمو يطلق عادة على بعض الطقوس الدينية الخاصة بالدولة، وذلك في مدينة آشور. وكان الملك وكبار موظفيه يشغلون هذه الوظيفة بالتتابع حيث كان يشغلها كل منهم سنة كاملة وكان الملك يشغلها في السنة الأولى من حكمه، اما الآخرون فكانوا يشغلون الوظيفة بالتتابع ويحدد الشخص الذي يشغلها كل سنة اما بالقرعة او حسب الأسبقية الوظيفية. وكانت السنة تعرف رسميا باسم الشخص الذي

استنادا الى هذه النقطة الثابتة التي حددها الفلكيون، وهذا يعني انه أمكن إيجاد نقطة ثابتة في التاريخ القديم احتسب استنادا اليها تاريخ الملوك الذين حكموا قبلها وبعدها بصورة دقيقة وتثبت ذلك بالنسبة لوقتنا الحاضر (٥٢).

الرسائل:

ان الرسائل من النصوص المهمة المكتشفة في بلاد بابل وآشور طالما انها تعكس لنا وبشكل صادق العلاقات التي كانت تربط الأفراد بعضهم



ببعض وأسلوب تعاملهم وتخطيهم والأمور التي كانت تشغل بالهم في حين تعكس لنا رسائل أخرى العلاقات الرسمية التي كانت قائمة بين الملك وموظفيه اي ان الرسائل بمجموعها كانت على نوعين رسائل شخصية وأخرى رسمية. ومع انه تم الكشف عن اعداد كبيرة من الرسائل الشخصية في بلاد بابل فان عدد ماوصل الينا من هذا النوع من الرسائل من بلاد آشور قليل نسبيا. ومن هذه الرسائل مجموعة اكتشفت في اقليم كبدوكيا في آسيا الصغرى تعود الى العصر الآشوري القديم، وهي خاصة بالتجار الآشوريين الذين كانوا يقيمون في

يشغل الوظيفة، وبذلك أمكن تثبيت تسلسل السنين وإيجاد طريقة جديدة لتاريخ السنين بدلا من تاريخها بواسطة أهم الأحداث وهي الطريقة التي كانت شائعة منذ أقدم العصور، او حسب تسلسل سنوات حكم الملوك، وهي الطريقة التي استخدمها الملوك الكشيين. وعموجب هذه الطريقة كان اسم الليمو يذكر، وأحيانا يذكر اسم المقاطعة التي يحكم فيها، وإلى جانبها بعض الأحداث المهمة التي وقعت في سنة اشغاله وظيفه الليمو، وكما في المثال التالي الذي يرقى بتاريخه الى عهد تجلا تيليزر:

في ليمو نرجال - ناصر في نصيبين

ثورة في كلخو

في ليمو نابو- بيل - اوصري في اليوم الثالث عشر من شهر آيار،

اعتلى تجلا تيليزر العرش

وفي

تشرين ذهب الى مابين

النهرين

في ليموبيل - دان في كلخو الى نامرى في ارباد

في ليمو تجلا تيليزر ملك قهر أورارتو
بلاد آشور

في ليمونابو- دانياني، الى ارباد
التورتان

ومن حسن حظ الباحثين في التاريخ القديم ان قوائم الليمو المختلفة قدّمت لنا اسماء ٢٦٤ ليمو متسلسلة أى انها عرفتنا بتسلسل ٢٦٤ سنة من التاريخ الآشوري. وفي احدى السنوات ذكر الى جانب اسم الليمو انه حدث في شهر حزيران من تلك السنة كسوف في الشمس، ومساعدة الفلكيين امكن تحديد وقت كسوف الشمس المذكور بالنسبة الى الوقت الحاضر، وتبين أنه قد حدث في حزيران من عام ٧٦٣ ق. م. وبذلك تم تثبيت تسلسل السنوات المذكورة في قوائم الليمو

العثور على اعداد كبيرة جدا من الوثائق المختلفة التي يمكن وضعها تحت اسم الوثائق اليومية ، وإن كان معظمها ذا علاقة بالحياة الاقتصادية . ومن هذه الوثائق العقود على اختلافها ، فمنها العقود التجارية وعقود الأحوال الشخصية والعقود الزراعية وغيرها .



ومنعا للتزوير ، فقد عمد العراقيون القدماء الى وضع علامات خاصة على العقد تؤيد اعتراف الأطراف المتعاقدة كان يطبع على العقد ختم او أختام الأطراف المتعاقدة ، وفي العهد الآشوري تظهر طبعة اظفار الطرف الثاني في العقود وإلى جانب الطبعة يذكر بأنها طبعة أظفر الشخص القلاني او طبعة الخاتم او طرف رداءه . وفي بعض الاحيان كان العقد يوضع داخل غلاف من الطين ثم تعاد كتابة مضمون العقد على الغلاف ولا يسمح باخراج العقد من الغلاف إلا أمام القضاة في حالة نشوب اي خلاف حول المضمون (٥٣) .

اقليم كبدوكيا (في قاناش وغيرها من المراكز التجارية) ويراسلون زملائهم التجاري في بلاد آشور ، كما ان هناك بعض الرسائل الشخصية من العصر الآشوري الوسيط (من اواخر الألف الثاني قبل الميلاد) وأخرى من العصر الآشوري الحديث . اما النوع الثاني من الرسائل ، وهي الرسائل الرسمية ، فقد تم الكشف عن بعضها في العواصم الآشورية آشور ونينوى وكلخو ، وتجاوز عددها الألفين وترقى غالبيتها بتاريخها الى القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد . وطبيعي ان اكثر الرسائل المكتشفة في عاصمة الدولة تمثل الرسائل التي ارسلها مختلف الموظفين والتابعين الى البلاط الملكي واذا ما وجدت بعض الرسائل التي ارسلها الملك الى الموظفين فلا بد أنها تمثل نسخا ثانية اعدت للحفاظ او ان الموظف الذي ارسلت اليه قد جاء بها الى العاصمة لسبب ما او انها كتبت ولم ترسل . وتضم الرسائل المرسلة الى الملك بصورة عامة نوعين من الرسائل ، يمثل النوع الأول الرسائل التي كان يبعثها الكهنة المتخصصون الى الملك جوابا على بعض الاستفسارات الخاصة بقرأة الطالع بشأن قيام الملك بعمل ما ، كالقيام ببناء معبد او ترميمه او القيام بمهمة عسكرية او تعيين موظف كبير او اشعار الملك بوجود بعض علامات نذر معينة والى غير ذلك في حين يضم النوع الثاني الرسائل التي كان يبعث بها الحكام والموظفون المختفون الى الملك بشأن مختلف القضايا الادارية والعسكرية والتقارير الخاصة بمنطقة الحاكم .

الوثائق اليومية :

من المعروف ان العراقيين القدماء لم يعترفوا بشرعية المعاملات ولا سيما تلك الخاصة بالأموال غير المنقولة والأحوال الشخصية ، مالم تكن مدونة ومشهدا عليها ، كما ان اي تغيير في نص الوثيقة المحررة بدون موافقة الأطراف المعنية كان يعد من الجرائم المعاقب عليها . وكان من نتائج ذلك ان تم

القضائية ومقتطفات من القوانين مع بعض التبدلات، وبعض التفسيرات القانونية والتغيرات التي طرأت على القواعد القانونية وضعها بعض المهتمين بالقانون من رجال القضاء أو غيرهم (٥٥).

نصوص التنجيم والتنبؤ:

من النصوص الأخرى التي تطورت في بلاد آشور في الألف الأول قبل الميلاد نصوص يمكن ان نسميها بنصوص التنجيم ونصوص التنبؤ. وكان التنجيم، وهو نوع من العرافة، يعتمد بالدرجة الأولى على مراقبة الشمس والقمر والنجوم سواء من حيث مراقبتها أو اشكالها أو ألوانها لاستنباط القول من كل ظاهرة، وكان الغرض من ذلك التنبؤ بالمستقبل على الصعيد الرسمي للملك وللدولة، وقلما يستخدم على الصعيد الشعبي للأفراد. وكان التنجيم معروفا في بلاد بابل أيضا في فترة سابقة، إلا أنه لم يأخذ شكله النهائي الذي نجده في بلاد آشور. وكان هناك عدد من الكهنة المتخصصين الذين يقومون بمراقبة النجوم والكواكب وتفسير ظواهرها، وقد دونوا لنا تلك الظواهر وتفسيراتها في نصوص خاصة.

اما نصوص التنبؤ فهي قرية من حيث الغرض الذي وجدت من أجله من نصوص التنجيم، إلا أنها لا تعتمد على مراقبة الأجرام السماوية، بل أنها عبارة عن تنبؤات بعض الأشخاص، وغالبا من النساء، حول مستقبل الملك والدولة (٥٦). وقد ظنوا بأن تلك التنبؤات موحى بها اليهم من قبل الآلهة كرسائل موجهة الى الملك من خلالهم لاتخاذ الاحتياطات اللازمة بشأن ما قد يتنبأ الشخص بمحدثه في المستقبل.

اما الصنف الثاني من النصوص المسماة الآشورية، فتؤلف غالبية النصوص الأخرى التي لانتملها المجموعات المذكورة آنفا، فهي النصوص المقتبسة أو المستنسخة بصورة مباشرة من بلاد بابل، وأوضح مثال على هذا الصنف من

على الرغم من أهمية القوانين العراقية القديمة وفي مقدمتها قانون حمورابي الشهير فان الحفريات التي تمت في بلاد آشور لم تكشف لنا إلا على نماذج قليلة وتالفة من القوانين الآشورية. وقد يكون من أسباب هذه الندرة في القوانين الآشورية عدم اهتمام الملوك الآشوريين أنفسهم بهذا النوع من النصوص في حين كان اهتمامهم كبيرا بتدوين النشاطات العسكرية والعمرانية كبيرا، وقد يكون السبب ان التنقيبات لم تتناول بعد أماكن وجود القوانين الآشورية. ومهما كانت أسباب النقص في هذا النوع من النصوص فقد أمكن التعرف على بعض الألواح الطينية التي تمثل مواد قانونية من العهد الآشوري القديم وأخرى من العهد الآشوري الوسيط. فأما المجموعة الأولى فتضم ثلاثة ألواح في حالة رديئة جدا لا يمكن معها قراءة محتواها بصورة دقيقة، وجل مايمكن معرفته عنها انها تحمل موادا قانونية تخص تنظيم المحاكم وأصول المرافعات، ولاسيما تلك الخاصة بالتجارة حيث عثر على هذه المجموعة من الألواح في اقليم كبدوكيا في آسيا الصغرى حيث كانت تنتشر هناك بعض المراكز التجارية الآشورية. في حين تضم المجموعة الثانية عدداً من الألواح التي تضمنت مواد قانونية ترقى بتاريخها الى العصر الآشوري الوسيط. وما يؤسف له ان غالبية هذه الألواح في حالة رديئة ايضا باستثناء لوحين فقط. وتشير الدراسات التي أجريت على هذه الألواح الى انها لم يكتبها شخص واحد كما انها لم تكتب في فترة زمنية واحدة وان اللوحين اللذين يمكن قراءتهما يعودان الى فترة أحدث من فترة كتابة الألواح الأخرى ولا يمكن التعرف على من قام بكتابة هذه الألواح او قام باستنساخها ولكن يمكن القول بأنها لم تكن صادرة عن الدولة او انها تمثل القوانين الرسمية السائدة وربما كانت عبارة عن مجموعة من السوابق

النصوص ماتم الكشف عنه من نصوص في مدينة نينوى تعود الى مكتبة ملكية خاصة بالملك الآشوري آشور بانيبال، فضلا عن بعض المجموعات الصغيرة الأخرى من النصوص المكتشفة في آشور وكلخوسلطان تبة (جنوبي شرق تركيا) والتي تعود الى مكتبات صغيرة. وقد ضم هذا الصنف من النصوص مواضيع مختلفة يمكن تصنيف أهمها كما يأتي :

نصوص الفأل :

تمثل نصوص الفأل اكبر مجموعة من النصوص المكتشفة في مكتبة آشور بانيبال، حيث قدر ان عددها بحوالي ربع نصوص المكتبة او يزيد. وتشير دراسة وتحليل ماورد في هذه النصوص الى ان الاعتقاد الذي كان سائدا عند العراقيين القدماء، بابليين واشوريين، ان الآلهة وان كانت قراراتها حتمية إلا أنها تركت للانسان بعض الدلائل التي تمكنه من التعرف على مشيئة الآلهة التي تصور القوم وجودها وسيطرتها على مستقبل الانسان. كما ظنوا ان



نموذج لكبد حيوان وعليه علامات خاصة لقراءة الفأل

نوابيا تلك الآلهة ومشيتها كانت تنعكس بشك وقائع واحداث مهمة او بسيطة، لذا فانهم ربطوا

بين الظواهر والحوادث الكونية او الطبيعية، وبين ما يقع بعدها مباشرة، اي انهم لاحظوا تنابع الأحداث واعتبروا الظاهرة او الحدث علة لما يتبع من أحداث، كما تصوروا ان النتيجة ذاتها تتكرر اذا ماتكررت الظاهرة او الحدث مرة أخرى. وتلبية لمتطلبات هذا التصور نظم العرافون قوائم مطولة بالأحداث الاعتيادية وغير المباشرة بحركة النجوم والكواكب وما قد يظهر عليها من مظاهر الى جانب كل حركة او ظاهرة النتائج التي تنبؤا بحدوثها بالنسبة للملك والدولة، في حين رصدوا حركة بعض الحيوانات او ظهورها، كحركة التل والكلاّب والماشية والطيور والأفاعي والعقارب وغيرها من الحيوانات، وفسروا كل حركة بأنها اشارة معينة لما قد يحدث في المستقبل، كما كانت الأحلام هي الأخرى وسيلة من وسائل معرفة الطالع، ونظموا بذلك قوائم مطولة، وفضلا عن ذلك فقد نظموا قوائم بأشكال الودادات المشوّهة التي تحدث عند الانسان او الحيوان وما قد تعنيه كل ولادة والى غير ذلك من الظواهر او الاحداث التي لادخل للانسان في حدوثها. وكانت هذه القوائم قد نظمت على نحو متسلسلات حيث كانت كل سلسلة تضم نوعا من هذه الظواهر او الاحداث وسميت كل سلسلة بأول سطر فيها، فهناك سلسلة "اذا أقيمت المدينة على تل"، وغدت هذه النصوص من الموروث الحضاري الذي تناقلته الأجيال منذ العصور البابلية، وربما قبل ذلك، وحتى العصر الآشوري حيث تم استنساخها من قبل الكتبة الآشوريين.

ونورد فيما يلي مثالا واحدا من هذه النصوص للتعريف، بطبيعتها فحسب :

"اذا اعتدى ثعبان على رجل ومسكه ولسعه فسيمر بعده بأوقات صعبة
إذا مرّ ثعبان من جهة الرجل النحى الى جهة الرجل اليسرى فسيكون له اسم حسن .

إذا مر ثعبان من جهة الرجل اليسرى الى جهة الرجل اليمنى سيكون له اسم سيء.

إذا ظهر ثعبان في مكان حيث كان رجل وزوجته يتحدثان، فإن الرجل والزوجة سيطلق أحدهما الآخر.

إذا ظل ثعبان يطوف في بيت رجل، فسيهدم ذلك البيت ويدمر^(٥٧).

النصوص المدرسية :

تأتي النصوص المدرسية في المرتبة الثانية من حيث عدد الرقم المكتشفة، وترجع بأصولها الى العصور السومرية والبابلية المبكرة، وتضم مجموعة من النصوص التي أعدت أصلاً لتعليم المبتدئين على القراءة والكتابة وتعريفهم باللغتين السومرية والآكدية، لذلك فهي تضم قوائم مطولة بالعلامات المسماة ومعانيها ومرادفاتها وقوائم بالفردات والمصطلحات السومرية وما يقابلها باللغة الآكدية، وهناك بعض النصوص المدونة باللغتين السومرية والآكدية. ومن حسن حظ الباحثين في الوقت الحاضر انه عثر على أكثر من نسخة واحدة من كل مجموعة من هذه النصوص مما أفاد كثيراً في املاء الفراغات وإكمال النقص الموجود فيها^(٥٨).

نصوص التمام والتعاويد :

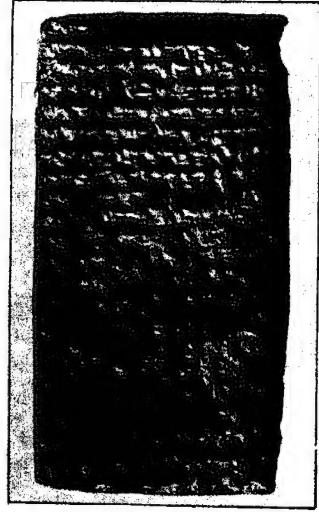
تمثل هذه المجموعة من النصوص عددا كبيرا من التمام والتعاويد التي أعدت لحماية الانسان، كما ظن العراقيون القدماء، من أخطار العفاريت والأرواح الشريرة، او للخلاص من العفاريت والأرواح الشريرة في حالة هجومها على الانسان والتسبب في مرضه، وقد اعدت بعض التمام والتعاويد للاستعمال في اجراء الطقوس الدينية الملكية في حين استخدمت نصوص أخرى من قبل الأفراد الاعتياديين. ومع ان أقدم اشكال التعاويد يرق بتاريخه الى اواخر الألف الثالث قبل الميلاد

(حوالي ٢١٠٠ ق. م) إلا انه لم تنظم تلك النصوص بمجموعات او سلسلات حتى فترة متأخرة جدا. وتعرف المجموعات الرئيسة الثلاث باسم شرب وتقتل، وأنتك لبست (أي الأرواح الشريرة) وتوضح عناوين المجموعتين الأولى (وكلتاهاما يعني "الحرق") ان النار كانت وسيلة رئيسة لطرد تأثيرات الشر على الإهم من وجود وسائل أخرى، وكانت هذه التعاويد تهدف الى ابطال كيد السحرة والعرافين، حيث كانت تتلى ويرافق ذلك حرق دمية من الشمع او الخشب تمثل الساحر او العراف الذي عمل السحر في حين كانت تعاويد الشرب تهدف الى تخليص الشخص من الذنوب التي اقترفها والمحرمات الدينية او الخلقية التي انتهكها وسببت له المرض، اما النوع الاخير فهو خاص لطرد الأرواح الشريرة التي قد تهاجم الانسان لأسباب وفي ظروف كثيرة. وكان اجراء الطقوس الخاصة بهذه التعاويد يتم من قبل كاهن يدعى اشيبو^(٥٩).

الأساطير والملاحم :

تختص نصوص الأساطير بنشاطات وأعمال الآلهة في حين تختص الملاحم بأعمال الأبطال من البشر مع ما فيها من خيال، ويمكن ان نميز نوعين من الأساطير التي وضعها البابليون ثم انتقلت بعد ذلك الى الآشوريين، فالنوع الأول خاص بخلق الكون والنوع الثاني يتعلق بالصراع الذي قد يظهر بين الآلهة. اما المحاور الرئيسة التي تتحدث عنها هذه الأساطير فهي خلق الكون والصراع بين الآلهة وخلق الانسان ونظام الكون، وتعد قصة الخلقية البابلية من أهم الأساطير التي تركزت حولها احتفالات أعياد رأس السنة في الألف الأول قبل الميلاد. وبالنسبة الى قصة الخلقية البابلية يبرز الاله مردوخ، اله مدينة بابل، على انه الآلهة البطل الذي

قضى على نيامة . وعندما أخذ الآشوريون هذه
القصة جعلوا من المههم آشور بطلا للقصة .



أدب الحكمة :

كمادة الآشوريين في الحفاظ على النصوص
القديمة واستنساخها وحفظها في المكتبات فقد
قاموا باستنساخ العديد من القصص والنصوص
الأدبية الرائعة التي يمكن عدّها من أدب الحكمة ،
والتي كانت أصولها في بلاد بابل . وقد أمدتنا مكتبة
آشور بانيبال بثلاثة نماذج من أدب الحكمة البابلية
الأصل ، يمثل النموذج الأول مايعرف عادة بأول
سطر ورد في النص "لأعبدن رب الحكمة" او
مايسمى احيانا "بالتقي المعذب" . ويتحدث في
هذا النص شخص كان أميرا وذا مركز اجتماعي
مرموق ، غير ان الآلهة ، ولأسباب لايعرفها ، هجرته
وسلبته وظيفته ومركزه الاجتماعي ووقع أسيرا لمرض
عضال ، ويذكر (المعذب) كيف انه لم يهمل بحق
آلهته او يترك واجبا دينيا ، ومع ذلك حل به ما حل
من المصائب لأسباب غير معروفة طالما أن الإنسان
لايعرف نوايا الآلهة وحكمتها .

اما النموذج الثاني فهو عبارة عن حوار بين
معذب وصديقه حيث يشكو المعذب من ظلم
الحياة في حين يقدم الصديق اجوبة ساذجة تدل
على التقوى البابلية التقليدية . فعندما يذكر المعذب
ان اولئك الذين يخدعون الآلهة يقاسون من المظالم ،
يجيب الصديق انه في النهاية ستكافأ النفوس
بالرفاهية ، وعندما يشير المعذب الى الأشرار
المرفهين ، يجيب الصديق ويؤكد انهم سينالون عقابا
في النهاية على اعمالهم الشريرة .

اما النموذج الثالث فهو مايعرف بحوار
التشاؤم ، ومن حيث أسلوب المحاوره فهو يشبه
النموذج الثاني ، إلا انه يختلف عنه في المضمون ،
والحوار هو بين سيد وعبده ويتألف من سلسلة من
الآراء التي يقدمها السيد ويجيب عليها العبد
متحمسا بالموافقة ثم يعود السيد ليغيّر من رأيه الذي
ذكره فيعود العبد ليوافقه على ذلك ، وهكذا وفي

اما بالنسبة للملاحم فما لاشك فيه ان
ملحمة جلجامش تعد أهم وأشهر الملاحم التي
وصلت الينا . وترقى أصول ملحمة جلجامش الى
العصور السومرية المبكرة في الألف الثالث قبل
الميلاد . وفي العصر البابلي القديم قام بعض الكتبة
بجمع نصوص الملحمة السومرية وترجمتها الى
الأكدية ووضعها بأسلوب أدبي فني رائع كما تضمنت
قصة الطوفان . وتدور ملحمة جلجامش حول محور
رئيس هو محاولات الانسان للوصول الى الخلود دون
نتيجة . وقد انتشرت هذه الملحمة الى خارج حدود
بابل وآشور وعرفت في معظم أنحاء الشرق الأدنى
القديم ، وقد عثر على عدة نسخ منها في مجموعة
النصوص المكتشفة في نينوى .

وفضلا عن ذلك فان هناك بعض الملاحم
الاخرى المعروفة في بلاد بابل وملاحم نظمت في
بلاد آشور نفسها غير انها كانت أقل أهمية وشأنا من
ملحمة جلجامش (١٠) .

النهاية فقط يعرض العبد رأيا مخالفا ومستقلا
فعندما سأله السيد بصورة مباشرة عن العمل ذي
القيمة حقا، أجابه العبد دون تردد (ان تكسر
رقبتي ورقبتك وترمي في النهر فذلك جيد) (١١).

نصوص أخرى :

الى جانب هذه المجموعات من النصوص
الآشورية فقد وصلت اليها نصوص أخرى من
بلاد آشور لا تنتمي الى أى من المجموعات المذكورة
وبعضها على درجة من الأهمية كبيرة. فمن

النصوص الأدبية نص ربما كانت اصوله آشورية
بمحة يحكي قصة فقير من مدينة نفر خدعه الحاكم
مما دفع الفقير الى اتباع وسائل ذكية للأخذ بثأره
من الحاكم والاعتداء عليه. كما ان هناك نصين
تظهر عليها مسحة دينية، الأولى عبارة عن نصين
دعائيين ضد بلاد بابل. ومن النصوص الأخرى
المهمة رسالة سرجون التي بعث بها الى الآله آشور
وذكر فيها تفاصيل حملته الثامنة الى بلاد اورارتو،
كما ان هناك نصوصا غاية في الأهمية خاصة
بالمعاهدات التي عقدت بين الملوك الآشوريين
والملوك والحكام التابعين، وهناك وثيقة آشور وغيرها
من النصوص الكثيرة الموجودة في المتاحف المختلفة
والتي لم تجد طريقها الى الترجمة والنشر بعد.
وباستمرار اعمال التنقيب في بلاد آشور، يزداد عدد
النصوص المكتشفة سنة بعد أخرى وتظهر أوصاف
جديدة.

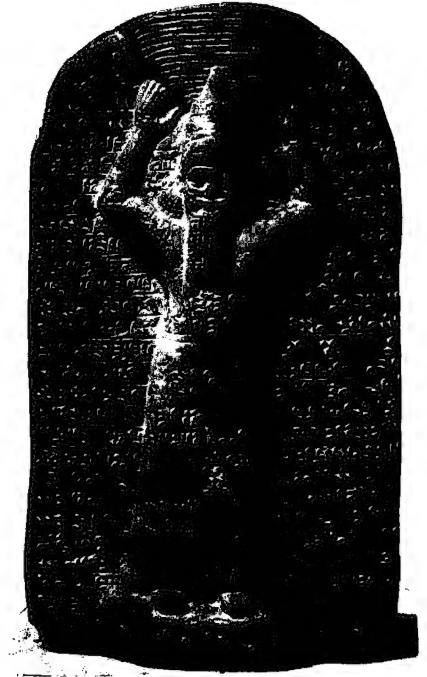
هوامش البحث :

- (١) حول الوسائل السمعية والبصرية والمسمية، انظر: علي عبد
الواحد وافي، علم اللغة، الطبعة الخامسة، القاهرة،
١٩٦٢، ص ٧٤ - ٧٩.

- (٢) انظر: Saggs, H.W.F., The Might that was: Assyria, London, 1984, p. 22.

- (٣) نشر بحث لاندز بركر المشار اليه في المجلة التاريخية لجامعة انقرة
(١٩٤٣ - ١٩٤٥)، كما نشر الاستاذ كلب بجنا مؤيدا لبحث
لاندز بركر في المؤتمر التاسع لعلماء الآشوريات المنعقد في جنيف
عام ١٩٦٠.

- (٤) حول تفصيل ذلك وبيان أهم المفردات اللغوية الدخيلة،
انظر: طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، الطبعة
الثانية، بغداد، ١٩٧٣، ص ٧٥ - ٧٦، وكذلك: عامر
سليمان، التراث اللغوي في كتاب حضارة العراق، ج ١،
بغداد، ١٩٨٥، ص ٢٧٥ - ٢٧٧.



مسلة من الحجر لآشور بانيبال وقد غطتها الكتابة المسبارية

- (٢٠) حول الكتابة المسارية والمراحل التي مرت بها ، انظر : Driver, G.R., *Semitic Writing*, Oxford, 1970; Gadd, C.T., *Teachers and Students in the Oldest Schools*, London, 1956; فوزري رشيد ، قواعد اللغة السومرية ، بغداد ، ١٩٧٣ .
- بهجة خليل اسماعيل ، الكتابة في حضارة العراق ، بغداد ، ١٩٨٥ ، ج ١ ، ص ٢٢١ - ٢٧٢ .
- عامر سليمان ، الكتابة المسارية والحرف العربي ، موصل ، ١٩٨٢ .
- (٢١) انظر : Labat, R. *Monuel Dépigraphe Akkadienne*, Paris, 1952, p. 175.
- (٢٢) حول حل رموز الكتابة المسارية ، انظر : محمود الأمين ، حل رموز الكتابة المسارية ، سومر ١١ (١٩٥٦) ، ص ٩٠ - ١٠٠ ، ترجمة لهاضرة بالأمانة للباحث لوتس كيلها مر القاه في ١٧ / ١ / ١٩٥٥ .
- فوزري رشيد ، قواعد اللغة السومرية ، بغداد ١٩٧٢ ، ص ١١ - ١٧ . بهجة خليل اسماعيل ، الكتابة ، المصدر السابق ، ص ٢٢٩ - ٢٣٥ .
- (٢٣) حول رسائل العارية انظر : Bezold, C. *The Tell el-Amarna Tablets in the British Museum* London, 1892.
- (٢٤) بهجة خليل اسماعيل ، الكتابة في كتاب حضارة العراق ، بغداد ، ١٩٨٥ ، ص ٢٤٤ - ٢٤٥ .
- (٢٥) المصدر السابق ، ص ٢٤٧ - ٢٥٤ .
- (٢٦) عامر سليمان ، الكتابة المسارية والحرف العربي ، موصل ، ١٩٨٢ ، ص ٥٣ وما بعدها .
- (٢٧) عامر سليمان ، نتائج تنقيبات جامعة الموصل في سور نينوى الشمالي ، آداب الرافدين ، ج ١ ، ١٩٧١ ، ص ٨٠ .
- (٢٨) بهجة خليل اسماعيل ، المصدر السابق ، ص ٢٥٧ - ٢٦١ .
- (٢٩) انظر : صموئيل كزيمر ، السومريون ، شيكاغو ، ١٩٦٤ ، ترجمة ، فيصل الوائلي ، ص ٢٣٨ . وكذلك : بهجة خليل ، المصدر السابق ، ص ٢٦١ - ٢٦٥ .
- (٣٠) Saggs, Op. cit., 147.
- (٣١) ibid. p. 147.
- (٣٢) Driver, G.R., *Semitic Writing*, 3rd ed, Great Britain, 1976, p. 73.
- (٣٣) Saggs, Op. cit., P. 278.
- (٣٤) Bezold c., *Catalogue of the cuneiform Tablets in the Kouyunjuk Collection of the British Museum* (1889 - 1890).
- (٣٥) Saggs, Op. cit., p. 278.
- (٣٦) انظر : عامر سليمان ، الكتابة المسارية والحرف العربي ، موصل ، ١٩٨٢ ، ص ٣٠ - ٣٢ .
- (٣٧) بهجة خليل ، الكتابة ، المصدر السابق ، ص ٢٧٠ .
- (٣٨) Saggs, Op. cit., p. 281.
- (٣٩) Ibid, p. 281.

- (٥) انظر : فوزي رشيد ، قواعد اللغة السومرية ، بغداد ، ١٩٧١ ، صموئيل كزيمر ، السومريون ، شيكاغو ، ١٩٦٤ ، ترجمة : فيصل الوائلي ، ص ٤٣٨ - ٤٤٠ .
- (٦) انظر مثلا : Delitsch, F., *Assyrische Hand wortesbuch*: Leipzig 1896, Muss Arnolt, A *Concise Dictionary of the Assyrian Language*, Berlin, 1905. etc.
- (٧) انظر : ليواوبنايم ، بلاد ما بين النهرين ، شيكاغو ، ١٩٦٤ ، ترجمة : سعدي فيضي ، ص ١٧ .
- (٨) انظر : علي عبد الواحد وافي ، علم اللغة ، الطبعة الخامسة ، القاهرة ، ١٩٦٢ ، ص ١٥٩ - ١٦٥ .
- (٩) Saggs, Op.cit., p. 130.
- (١٠) حول هذه اللهجات ، انظر : Soden, W.Von., *Grundriss der Akkadischen Grammatik*, Roma, 1952, p., Lipin, L.A., *The Akkadian Language*, Moscow, 1973, p.
- (١١) انظر : عامر سليمان ، المصدر السابق ، ص ٢٩٤ - ٢٩٩ .
- (١٢) حول تفصيل ذلك ، انظر : سامي سعيد الأحمد ، المدخل الى تاريخ اللغات الجزرية ، بغداد ، ١٩٨١ ، ص ٣٢ .
- (١٣) انظر : عامر سليمان ، المصدر السابق ، ص ٢٠١ - ٢٠٢ .
- (١٤) انظر : عامر سليمان ، الكتابة المسارية والحرف العربي ، موصل ، ١٩٨٢ ، ص ١٤ وما بعدها .
- (١٥) حول تقسيم اللغات العربية القديمة (الجزرية او السامية) ، انظر : سامي سعيد الأحمد ، المصدر السابق ، ص ١٠ - ١١ ، محمود فهمي حجازي ، علم اللغة العربية ، بيروت ، ١٩٧٣ ، ص ١٥١ - ١٩٣ .
- Wright, W., *Lectures on the Comparative Grammar of the Semitic Languages*, Cambridge, 1890.
- (١٦) انظر : سامي سعيد الأحمد ، المصدر السابق ، ص ١٦ ، علي عبد الواحد وافي ، المصدر السابق ، ص ٢٤ - ٢٥ .
- (١٧) حول قواعد اللغة الأكديّة ، انظر : Soden, W.von, *Grundriss der Akkadischen Grammatik*, Roma, 1952; Lipin, L.A., *The Akkadian Language*, Moscow, 1973; Riemschneider, An *Akkadian Grammar* (translated), 1974. Mercer, S.A.B.' *Assyrian Grammar*, New York, 1921.
- (١٨) حول المفردات الأكديّة في اللهجات المختلفة ومماثيها ، انظر : Soden, W. von, *Akkadische Hand worterbuch*, The *Assyrian Dictionary*. إضافة الى القواميس الأخرى الأقدم من حيث تاريخ الطبع .
- (١٩) انظر : طه باقر ، من تراثنا اللغوي القديم ، بغداد ، ١٩٨٣ .

- وحول تفصيل ذلك ، انظر : المبحث الثاني من هذا الفصل .
- (٥٢) انظر : موضوع التقيم في البحث الخاص بالعلوم الانسانية و Saggs, Op.cit. p. 274.
- (٥٣) Postgate, J.N., More Assyrian Deeds and Documents, Iraq, 32 (1970) pp. 129— 164.
- وانظر حول تفصيل ذلك وأصلته من هذه الوثائق : عامر سليمان ، القانون في العراق القديم ، موصل ، ١٩٧٧ ، ص ١١٩ - ١٢٨ .
- (٥٤) Cardascia, G., Les lois Assyriennes Paris, 1969.
- (٥٥) عامر سليمان ، المصدر السابق ، ص ٢٧٩ - ٢٩٤ .
- (٥٦) Saggs, Op.cit., p. 220 ff., p. 274.
- (٥٧) انظر : ساكر ، المصدر السابق ، ص ٣٥٨ - ٣٦٤ ، وكذلك : ليواوينام ، بلاد ما بين النهرين ، ترجمة : سمدي فيضي ، ص ٢٤ .
- (٥٨) المصدر السابق ، ص ٢٥ .
- (٥٩) انظر تفصيل ذلك : ساكر ، المصدر السابق ، ص ٣٣٩ - ٣٤٥ .
- (٦٠) Saggs, Op. cit, p. 285 - 286.
- (٦١) ساكر ، المصدر السابق ، ص ٤٩٤ .

- (٤٠) Ibid, p. 281.
- (٤١) Driver, Op cit, p. 73 m. 7 (referring to Gadd, C.T. xxxv, 39, 1 R.L.3).
- (٤٢) Ibid. p. 74.
- (٤٣) مما يلاحظ في الرقيم المكتشف في معبد نرجال في مدينة تريص والخاص بأسطورة الاله زو ، ان ثلاثة أسطر كاملة كتبت في مساحة عرضها أقل من نصف ستتمت وبذلك كان من الصعب قراءتها :
- Saggs' H. W. F., The Mousl University ZU Tablet, Adab al - Rafedain, Mousl, (1971) p. 43.
- (٤٤) Driver, Op. cit., p. 69.
- (٤٥) بهيجة خليل ، الكتابة ، المصدر السابق ، ص ٢٦٥ .
- (٤٦) Driver, Op.cit, p. 74.
- (٤٧) Ibid, p. 76.
- (٤٨) Ibid., p. 75.
- (٤٩) Ibid., p. 77.
- (٥٠) انظر : ليواوينام ، بلاد ما بين النهرين ، شيكاغو ، ١٩٦٤ ، ترجمة : سمدي فيضي ، ص ٢١ - ٢٢ .
- (٥١) Saggs, Op.cit., p. 271 ff. انظر :

العلوم الإنسانية والطبيعية

د . فوزي رشيد

ان الانسان يتعلم من الأخطاء ، لأن الأخطاء في حقيقتها هي نتائج الممارسات سلبية تم إنجازها ودخلت في حيز الماضي ، ولذلك فان التاريخ هو المختبر الذي تجرى فيه التجارب لاثبات صحة سلوكيات الانسان على نحو عام وصحة النظريات التي تتوصل اليها العلوم الانسانية .

وما يزيد تأكيد هذه الحقيقة ان الانسان الذي فقد ذاكرته لا يستطيع ان يعيش بحرية وأمان كما يعيش الشخص الذي يمتلكها ، وما ان التاريخ بالنسبة للأمة كالذاكرة بالنسبة للانسان فان من يجهل تاريخه لا يدرك الأمور كما يدركها من يعرف التاريخ ، ولذلك ذكر الفيلسوف الروماني سيسرو (= شيشرون) ١٠٦ - ٤٣ ق. م قوله الشهير

٣٧٣

من العلوم الانسانية : التاريخ والجغرافية

١ - التاريخ :

التاريخ ولا شك هو حصيلة التجارب التي خرج بها الانسان عبر تاريخه الطويل نتيجة تفاعله مع بيئته ونتيجة تعايشه مع ابناء جنسه ، فهو اذن مجموعة النتائج التي تمحضت عن ممارساته سواء كانت تلك الممارسات سلبية او ايجابية . ومادامت رغبات الانسان وأهدافه في الحياة واحدة في الماضي والحاضر والمستقبل ايضا اصبح التاريخ لذلك خير مرشد لنا وساعدنا على تجنب الممارسات ذات النتائج السلبية اذا مدارسنا احداثه واتعظنا بها . واستنادا الى هذه الحقيقة نجد الناس جميعا يرددون

الخصوص أننا لو لم نعثر على محتويات هذه المكتبة لغاب عنا الكثير من النتاجات الادبية والدينية والعلمية القديمة .

وعلى الرغم من ان المعلومات التي احتوتها مكتبة الملك آشور بانيبال تعود الى فترات زمنية مختلفة ، فان النصوص التي احتوت هذه المعلومات كانت مدونة بالخط الآشوري الحديث وباللغة الآشورية ، وان دلّت هذه الحقيقة على شيء فانها تدل على ان القائمين على جمع التاريخ الفكري كانوا يقدمون المعلومات التي يجمعونها بالخط وباللغة التي يدركها الآشوريون .

ومن الأدلة الصريحة على ان الآشوريين قد بذلوا الكثير من الجهود من أجل جمع ماله علاقة بتاريخ الفكر العراقي القديم مضمون الرسالة التالية . التي لانعرف بالضبط الى اي ملك تعود ، ولكنها على أغلب الظن تعود الى زمن الملك آشور بانيبال ومفادها ما يأتي : " اننا نبحر عسى ان تكونوا سعداء . عند تسلمكم هذه الرسالة استصحبوا معكم الرجال الثلاثة المذكورة اسمائهم وعلماء مدينة بارسا ، وفتشوا عن جميع رقم الطين وكل ما هو موجود منها في بيوتهم وفي معبد ايزيدا . ابجثوا عن الرقم الطينية الثمينة الموجودة في سجلاتكم والتي في آشور ايضا وارسلوها لنا . لقد كتبت الى الموظفين والمشرفين فما من أحد يمسك عنكم رقيا واذا رأيتم رقيا علميا او نصا دينيا لم اكتب لكم عنه وترويه مفيدا لقصرى فابجثوا عنه والتقطوه وارسلوا به لنا " (١) .

أ- التكوين :

كل شيء احتاج اليه الانسان في تاريخه القديم كسقوط المطر على سبيل المثال ، او نمو النباتات وتعاقب الفصول كان ولا يزال متسقا مع دورة السنة الشمسية ، غير ان التغيرات التي تطرأ على قرص

بخصوص التاريخ ومفاده : " يبقى جاهلا الى الأبد من لا يجد تاريخ أمته " (١) .

والآشوريون كما ثبت الواقع قد اهتموا بالتاريخ بشقيه المادي والفكري ، وفيما يخص الجانب المادي فقد تميز الآشوريون بتدوين أخبارهم الحربية والسلمية تدوينا مفصلا في حولياتهم ورسائلهم ووثائقهم الرسمية المختلفة ، ولذلك فان كتابات الملوك الآشوريين قد أعطتنا معلومات قيمة عن الاورارتو وملوكهم ، وعن قبائل السكثيين والكمرين والأقوام الارياية مثل الميديين والأقوام الجبلية المختلفة في شمال العراق وشماله الشرقي وعن بعض القبائل العربية في بوادي الشام ، وبذلك يمكننا التأكيد على ان الكتابات الآشورية هي أولى الكتابات في تاريخ العراق القديم التي ذكرت لنا اسم العرب والكتابات الآشورية زودتنا ايضا بمعلومات عن المصريين الحثيين والبابليين ، وعن شعوب آسيا الصغرى من بعد الحثيين . وبناء على ذلك فان ما وصل لنا من هذه الكتابات قد أضاف الى مصادر معرفتنا بتاريخ مثل هذه الشعوب امورا على غاية من الأهمية (٢) .

وأما الجانب الفكري من التاريخ فخير شاهد على اهتمام الآشوريين به ذلك الاهتمام الواسع هو المكتبة . غير غيناكو Girina kku (٣) التي عثر عليها في مدينة نينوى والتي يعود تاريخها الى فترة حكم الملك الآشوري آشور بانيبال ٦٦٨ - ٦٢٧ ق.م ، حيث احتوت هذه المكتبة على ما يزيد على العشرين ألف رقم طيني . وقد تضمنت بعض هذه الرقم على معلومات بعلم الفلك والتنجيم ، وبعضها الآخر على معلومات طبية وقانونية ودينية ، وفضلا عن ذلك فقد احتوت على اشهر الملاحم والأساطير التي انتجت العقيدة العراقية القديمة وعلى صلوات ورقى ووصفات كيميائية ونصوص خاصة بكشف الطالع (= الفأل) ، وما يجب ان يقال بهذا

ولذلك صار الزمن بالنسبة لنا مقياسا لا يحتوي على نقطة ثابتة يمكن ان نقيس بموجبها عدد السنين التي مرت على كل حدث من الأحداث بالنسبة الى تلك النقطة الثابتة .

وأولى المحاولات الجادة لتعيين النقطة الثابتة على مقياس الزمن ، أي تحديد نقطة الصفر هي ما قام به سكان بلاد وادي الرافدين منذ منتصف الألف الثالث قبل الميلاد عندما بدأ ملوكهم يؤرخون سني حكمهم وفق أهم الأحداث التي تبرز في كل سنة من سني حكمهم . فتاريخ السنة الأولى على سبيل المثال كان يثبت عادة بمحاذاة تسلم الملك للحكم وتسمى تلك السنة ، بالسنة التي تسلم فيها الملك فلان الحكم . والسنة الثانية تؤرخ على وفق أهم أحداثها ، وكذلك الحال مع بقية سني حكم الملك الأخرى . وهذا الأسلوب ما كان يخلو من النقص ، حيث ان كثيرا ما يظهر الحدث المهم بعد مضي عدة أشهر على بداية السنة ، ولذلك كان اصحاب المعاملات التجارية لا يعرفون كيف يؤرخون عقودهم التي تبرم خلال الأشهر الأولى من السنة ، لذلك اضطروا في أواخر الألف الثالث قبل الميلاد الى ان يؤرخوا العقود التي تبرم قبل ظهور الحدث المناسب بمحدث السنة الماضية فيقال : السنة بعد السنة التي حدث فيها كذا وكذا ، ولذلك وجدنا ان عقود السنة الواحدة كانت مؤرخة بأسلوبين مختلفين ، لأن عقود الأشهر الأولى تكون مؤرخة بمحدث السنة الماضية والعقود الأخرى مؤرخة بالحدث العام الذي برز في تلك السنة، ولتلافي هذا الازدواج في أسلوب التاريخ فقد وجد العراقيون القدامى انه من الأفضل لهم ان يوحدا تاريخ كل سنة من سنينهم ، وبالفعل فقد بدأوا منذ بداية القرن التاسع عشر قبل الميلاد يؤرخون سنينهم بالنسبة الى أهم أحداث السنة الماضية ، فالسنة التاسعة من حكم الملك حمورابي مثلا كانت مؤرخة بالصيغة الآتية : " السنة بعد السنة التي أمر بها الملك حمورابي حفر القناة المسماة - حمورابي هو الوفرة - " (٥) .

الشمس في اثناء ايام السنة الواحدة لاتساعد الانسان على ان يحدد من خلالها الأسبوع او الشهر ولاتساعده ايضا على معرفة عدد الأيام التي تمضي في السنة . ولهذا السبب بالذات كان الانسان مضطرا لأن يستعاض عن الشمس بالقمر عندما برزت حاجته الى معرفة اجزاء السنة والشهر والأسبوع ، وذلك بعد أن تطورت التجارة واتسع نطاقها ، لأن القمر أفضل تقويم في السماء يستطيع الانسان من خلاله معرفة الشهر والأسبوع وعدد الأيام التي مضت من كل منها ومن السنة ايضا .

وانخاذ الانسان للقمر اساسا لقياس الأسابيع والأشهر قد سهل عليه هذه المهمة ، ولكنه في الوقت نفسه قد خلق له مشكلة لا بد له من حلها ، وهذه المشكلة تتمثل في عدم تطابق ايام السنة القمرية مع ايام السنة الشمسية .

والحل الذي أوجده سكان بلاد وادي الرافدين بما فيهم الآشوريون هو اضافة الشهر الكبيسي الى أشهر السنة الانثني عشر بعد مضي سنتين او ثلاثة .

والشهر الكبيسي كان لايعطي اسما خاصا به وانما يسمى عادة باسم الشهر الذي يليق به الشهر الكبيسي ، فاذا كان هذا الشهر هو شهر كانون ، فالشهر الكبيسي يسمى كانون الثاني ويلفظ باللغة البابلية والآشورية "كينونوشانو" وشهر كانون الحقيقي يعد كانون الأول . وبسبب هذه الحقيقة نجد في تقويمنا الحالي تشرنين وكانونين .

والحقيقة ان اضافة الشهر الكبيسي لم يخدم على الاطلاق موضوع تاريخ الأحداث وتحديد فترات حكم الملوك والسلاطات ، بل كل ماقدمه هو مطابقة السنة القمرية مع السنة الشمسية ، ولذلك ظل موضوع التأريخ بحاجة الى حل مناسب لأننا نحن البشر نتحرك على الكرة الارضية بسرعة لاتمكننا من الشعور بالزمن الا وهو يجري باتجاه المستقبل ، فضلا عن اننا نهمل بداية جريانه ،

الكسوف بدقة وعلى أساسها تم تحديد بقية السنين الأخرى التي ذكرتها قوائم الليمو.

وبما ان بداية حكم الملك ادد- نراري الثاني قد اعتبرها المختصون في التاريخ الآشوري بداية ايضا للعصر الآشوري الحديث ، لهذا يمكننا القول ايضا ان تاريخ السنين على طريقة الليمو هو أسلوب ظهر بظهور العصر الآشوري الحديث .

هذا والمعلومات المتوافرة تؤكد ان الحضارة النخية قد تأثرت بالليمو الآشوري وأزحت سنيها على نفس الغرار. وبما يؤكد ذلك ماورد في الصفحة (٤٠٠) من المجلد الثامن لتاريخ العرب قبل الاسلام ، للدكتور جواد علي ، حيث جاء فيها ما يأتي :

«وقد يؤرخ بحكم موظف من كبار موظفي الدولة من حملة درجة “كبر، كبير” او غيرها من الدرجات العالية في الدولة او في المجتمع ، وذلك كما في هذا المثال : “كبر هنا فأمّن” ومعناه في “كبراة هانيء فأمّن” و “هانيء فأمّن” موظف من كبار الموظفين من درجة كبر” فأرخ النص بأبام حكم ذلك الكبير. وبالتأكيد ان كلمة “كبر” النخية متأثرة بكلمة “رابو” الآشورية والتي تعني الكبير ايضا .

وفضلا عن ذلك يبدو من أسماء الشهور النخية أن سكان النخ لم يقتبسوا من الآشوريين أسلوب الليمو فقط ، وإنما اقتبسوا ايضا الشهر الكيس ، الذي كان يوصف عندهم بكلمة “أخرن” والشهر الذي يلحق به الشهر الكيس يوصف بكلمة “قدمن” مثل :

” ورخ ذ نسور قدمن (= أي شهر نسور المتقدم “الأول”) و ” ورخ ذ نسور أخرن” (= أي شهر نسور المتأخر “الثاني”) (٨) .

ب- الحوليات :

من الانجازات التي تحققت خلال فترة العصر الآشوري الحديث ، والتي تميز بها الآشوريون عن

وهذا الأسلوب الذي استخدمته السلالات العراقية المتعددة قد اختلف بطبيعة الحال من سلالة الى أخرى ، لأن كل سلالة من هذه السلالات كانت تنتخب الأحداث التي تهتمها وتؤرخ بموجبها سني حكم ملوكها ، ولذلك كان كل أسلوب من هذه الأساليب المتبعة لا ينفص الأ ضمن السلالة التي اعتمدته .

وفي زمن الملك الآشوري أدد- نراري الثاني ٩١١- ٨٩١ ق. م ، أخذت الدولة الآشورية تعيش فترة ازدهار اقتصادي ثانية وتوسع عسكري^(٩) مما حدا ذلك بالملك ادد- نراري الثاني وبالآشوريين أنفسهم لأن يبدأوا مرحلة بناء الشخصية الحضارية الآشورية ، وأول مقام بتغييره هذا الملك هو أسلوب تأريخ السنين ، فانخذ لنفسه نظاما جديدا يعرف بين المختصين بـ ”الليمو“ ، وهذا النظام يعتمد على تسمية السنة باسم الشخصية التي ترعى احتفال عيد رأس السنة ، حيث جرت العادة ان يقوم الملك برعاية احتفال عيد اكيتو، اي عيد رأس السنة في السنة الاولى من حكمه ، ويرعى احتفال السنة الثانية الشخصية التي تلي الملك في المرتبة وهكذا. وأسلوب تأريخ الليمو كان يبدأ عادة بذكر اليوم والشهر ثم يذكر فترة ليمو فلان .

وكثيرا ما يظهر الليمو بصيغ أخرى مثل الصيغة التالية :

ana šanat (اسم علم = istu limmu PN من بعد فترة ليمو فلان ، بسنة واحدة) (١٠) .

هذا وقد تم العثور على القوائم الخاصة بالليمو الآشوري ، والتي أشارت احداها الى حدوث كسوف الشمس زمن الملك آشور دان الثالث ٧٧١- ٧٥٤ ق.م ، واستنادا الى حسابات علم الفلك الحديث ، فقد أرجع هذا الكسوف الى شهر حزيران من عام ٧٦٣ ق.م. وهذه الحقيقة مكنت الباحثين طبعاً من تعيين السنة التي حدث فيها

بقية الشعوب الأخرى المناشير والاسطوانات الفخارية ، التي نسميها بالحوليات .

والحوليات عبارة عن نشرات ملكية تصدر بعدة نسخ بين فترات متعاقبة تتحدث بالدرجة الاولى عن الحملات العسكرية وعن الانجازات العمرانية للملوك الآشوريين . وأول ملك آشوري بدأ باصدار الحوليات هو الملك شلمنصر الثالث ٨٥٨ - ٨٢٤ ق. م ، رابع ملوك العصر الآشوري الحديث . وعلى ما يبدو ان انجازات هذا الملك الكثرة هي التي دعت له لاصدار مثل هذه النشرات ، التي نسميها كما قلنا بالحوليات ، حيث ان شلمنصر الثالث لم يكتف بالمحافظة على حدود الامبراطورية التي خلفها عن والده آشور ناصر بال الثاني ٨٨٣ - ٨٥٩ ق.م ، بل قام بتوسيعها الى حدود لم تبلغها

الامبراطورية من قبله . والحملات الحربية التي قام بتجهيزها جعلته سيد الشرق الأدنى وآسيا الغربية من الخليج العربي جنوبا الى منطقة اورارتو (= أرمينية) شمالا ، ومن تخوم الأراضى الميديّة شرقا الى سواحل البحر المتوسط غربا ، وفضلا عن ذلك فقد دخلت بلاد بابل تحت سيطرته وفي مجال البناء والتعمير فقد قام بتجديد الأبنية في العواصم الآشورية ، آشور ونينوى وكالخو ، إضافة الى اعماله الأخرى^(١) .

والحقيقة انه لنقص كبير ان لا يتمتع جميع سكان الامبراطورية الآشورية بهذه الانجازات العسكرية والعمرانية ، ولذلك وجد شلمنصر الثالث انه من الضروري تعميم أخبار هذه الانجازات على نحو دوري بين مختلف المدن الآشورية . ولتوضيح كيفية صدور هذه الحوليات نشير الى ان أول حولية أصدرها الملك شلمنصر الثالث كانت بعد انجازه حملته العسكرية السادسة والحولية الثانية أصدرها بعد حملته التاسعة ، وقد تضمنت هذه الحولية تلخيص لما جاء في الحولية الاولى مع تفصيل للانجازات التي تلتها . والحولية الثالثة أصدرها بعد الحملة السادسة عشرة^(٢) ، وأما الحولية الرابعة والأخيرة فقد أصدرها في نهاية الحملة العشرين .

وحوليات الملك المذكور وخاصة الحولية الثالثة تبدأ بذكر الاله آشور والقباه مع ذكر اسماء وألقاب بقية الآلهة الأخرى التي قدسها الآشوريون الى جانب الاله آشور . وبلي ذلك ذكر اسم الملك شلمنصر الثالث والقباه ، وبعد الانتهاء من ذلك تذكر الحولية اسم والده آشور ناصر بال الثاني والقباه ، ثم تذكر الحولية الحملات التي قام بها الملك شلمنصر الثالث سنة بعد أخرى من سني حكمه ، حيث تبدأ الحولية المذكورة بوصف الحملات العسكرية وهي سلسلة حسب سني حكم الملك شلمنصر الثالث .



موشور فخار للملك اسرحدون

وحولته الثالثة هذه لا بد لها ان كتبت في السنة السابعة عشرة من حكمه ، لأنها قد تضمنت انجازات الملك العسكرية والعمرانية التي كان يصلها الجيش الآشوري وان وصفها لهذه الطوبغرافية كان دقيقا خلال ستة عشر سنة من سني حكمه ، وفي ختام الحولية جاء التاريخ الآتي :

Itu Tašritu u4. 22. kam Lim.mu Tak. Lak.a.na. šarri šakan uru Ni.mit. Iš tar. "شهر تشرين ، اليوم الثاني والعشرون منه ، فترة وظيفة تلكاني شري ، ساكن مدينة - نيمت - عشتار-".

أما حوليات الملوك الآخرين فلا تختلف في صياغتها عن حوليات الملك شلمنصر الثالث ، إلا بأمور طفيفة جدا ، فحوليات الملك سنحاريب على سبيل المثال لم تتبع في سرد الأحداث العسكرية والعمرانية أسلوب تسلسل سني حكمه ، وإنما كان يسلسلها معركة فمعركة ، ماعدا حولية واحدة فقد استخدم الملك سنحاريب في تأريخها "الليمو" وقد جاء فيها تأريخين لا أكثر ويمثلان تأريخ السنة ٦٩٦ و ٦٩٥ م وهما كالآتي :

1- ina Limu šul- mu- beli šakin uru Rimu.si

في فترة وظيفة شلولوبيلي ، ساكن مدينة رموسي .

2- ina Limu Aš- šur- belu- ušur Lu ša- kin mat Kat- mu. hi

في فترة وظيفة آشور بيلو أوصر ، الساكن بلاد كاتموخي (١١) .

وفيما يخص عدد النسخ التي يصدرها الملك من الحولية الواحدة فليس لدينا العدد الدقيق ، ولكننا على ثقة أنها تزيد على الخمس ، لأن حولية الملك آشوربانيبال الخاصة بوصوله الى مصر قد تم العثور على خمس نسخ منها حتى الآن . والاحتمال أكيد ان عدد النسخ الحقيقي يزيد على الخمس (١٢) .

هذا وأنه من البديهي جدا ان ما يصدره الملك لا بد له أن يخدم أهداف الدولة الرئيسة ، وفيه ما يرفع معنويات الأفراد ويتجنب ايضا افشاء اسرار البلاد ، ولهذا كان لا بد لهذه الحوليات ان تتجنب في سردها للأحداث كل ما من شأنه ان يضعف عزيمته الأفراد او يشيع فيهم روح الهزيمة والخذلان او يخدم العدو في مجابهة الحملات الآشورية .

وهذه في الواقع ظاهرة لم تقتصر على الكتابات الآشورية فقط وإنما تميزت بها جميع الكتابات الرسمية عبر مراحل الحضارة العراقية القديمة ، ولذلك فان الحوليات الآشورية كانت لاتتطرق بوضوح دائما الى عدد قواتهم التي كانوا يجهزونها للقتال ، بل يكتفون بذكرها كوحدة قوية وعظيمة ، غير ان الشيء الذي كانت لاتنغفله الحوليات هو وصف طوبغرافية المناطق التي كان يصلها الجيش الآشوري وان وصفها لهذه الطوبغرافية كان دقيقا ، وفي حديثنا عن مادة الجغرافية بينا الأسباب الموجبة لضرورة الصدق في وصف الطوبغرافية وصفا دقيقا وأميناً ، لأن ذلك كما قلنا يساعد الجيش على التعبئة المناسبة في الحملات التالية .

٢- الجغرافية :

من الحقائق التي لا يشوبها الغموض أن الآشوريين كانوا من الأقوام الذين تمكنوا من تكوين امبراطورية مترامية الاطراف . وبناء على هذه الحقيقة يمكننا التأكيد على أنهم كانوا على علم بجغرافية المناطق التي امتدت اليها حدود امبراطوريتهم ، والأفانه من غير المعقول ان يتمكنوا من تحقيق هذا الانجاز الكبير من دون ان تكون لهم معرفة بجغرافية تلك المناطق التي احتوتها امبراطوريتهم .

وما يزيد التأكيد على اهتمام الآشوريين بجغرافية المناطق التي وصلوا اليها هو تقرير الحملة الثامنة للملك سرجون الآشوري ٧٢١ - ٧٠٥ ق. م ،

يوصف بالخطأ او المبالغة ، وفيما يأتي نص الكتابة الخاصة بالمشروع المذكور:

”أنا سنحارب ملك العالم ، ملك بلاد آشور، حفرت ثلاثة انهار في جبال خاني ، وهي جبال في أعالي مدينة اربيل وأصفت اليها مياه العيون التي في النين واليسار من جوانب تلك الأنهار، ثم حفرت قناة تمتد الى أواسط مدينة اربيل موطن السيدة العظيمة ، الآلهة عشتار وجعلت مجراها مستقيماً“.

ولتوضيح صحة ماجاء في كتابة الملك سنحارب تشير الى أنه في اعالي سهل اربيل توجد جبال سفين وصلاح الدين وبنه باوى ، ومن هذه الجبال تنبع فعلاً مياه نهر باستوره . وهذه الجبال كما يبدو من كتابة الملك سنحارب كانت تسمى من قبل الآشوريين بجبال خاني . وفي وديان هذه الجبال يجري عدد من النهرات متجهة الى وادي نهر باستوره ، حيث تتجمع فيه بالقرب من القرى : سوسه ، زياره وقرزه ، وهي الأنهر الثلاثة المنه عنها في كتابة سنحارب .

اما العيون التي أضاف مياهها الى تلك الأنهار فهي كثيرة العدد ، فيها عين تقع الى الغرب من قرية خوران وأخرى بالقرب من هانان والثالثة جوار قرية دنجيز آوه^(١٤) .

وبناء على ماتقدم تشير الى ان الكتابات الآشورية وان كانت لاثخلو أحياناً من المبالغة وعدم الدقة في اعطاء المعلومات ، فانها كانت باستمرار أمانة في تقديم المعلومات الجغرافية .

وما يزيد التأكيد على اهتمام الآشوريين بالمعلومات الجغرافية انهم مع صدقهم في وصف تلك المعلومات في كتاباتهم فانهم كانوا يصورون على منحوتاتهم طبيعة المنطقة التي يتحدثون عنها ، فعارك الملك آشور بانبيال في منطقة الأهوار على سبيل المثال لم تكف بتقديم الوصف الدقيق

التي جهزها باتجاه المنطقة الشرقية والشمالية الشرقية والتي اختتمت باحتلاله لمدينة مصاصير الواقعة الى الجنوب من بحيرة ”وان“^(١٥) ، حيث ان التقرير الخاص بهذه الحملة قد احتوى بنحو خاص على وصف دقيق لطوبغرافية المناطق التي سلكها الجيش الآشوري . والمعلومات الجغرافية التي وردت في التقرير المذكور منها من الدقة بحيث ان كتب الجغرافية في الوقت الحاضر تعجز من أن تقدم معلومات بهذا التفصيل ، وان دلت دقة المعلومات على شيء فانما تدل على ايمان الآشوريين بأن المعلومات الجغرافية لا بد لها ان تقدم على حقيقتها وعدم استخراج عنصر المبالغة معها على الاطلاق ، لأن المبالغة او المغالطة لاتخدم الجيش في حملاته العسكرية ، وقد تكلفه الكثير من الأرواح والمعدات ان كانت معلوماته خاطئة عن طوبغرافية المناطق التي ينوى الوصول اليها .

وقد تأكدت لنا هذه الحقيقة من خلال محاضرة للآثاري الألماني الدكتور ”ر.م. بوور“ ، القاها في قاعة مكتبة المتحف العراقي ، وخلاصة المحاضرة هو ان الدكتور ”بوور“ قد اثبت أن وصف الطريق الذي سلكه الجيش الآشوري في الحملة الثامنة للملك سرجون ودخوله الى مدينة مصاصير (الاسم الحديث مجيسر) أهم مدن منطقة أورارتو، كان وصفاً صحيحاً ، وينطبق تماماً مع الطوبغرافية الحقيقية للمنطقة .

ومن الأدلة الأخرى على صدق الآشوريين في تقديم المعلومات المتعلقة بالجغرافية مشروع الملك سنحارب الخاص لري مدينة اربيل ، حيث ان المعلومات التي ذكرها الملك المذكور عن الجبال والعيون التي كانت تزود نهر باستوره بالمياه ، ذلك النهر الذي جلب منه المياه العذبة الى مدينة اربيل ، كانت معلومات دقيقة وليس فيها ما يمكن ان

للمنطقة وانما صورت ايضا المنطقة تصويرا دقيقا. والآشوريون كانوا من أكثر سكان العراق القديم اهتماما بتصوير طبيعة المناطق التي كانت تجرى فيها معاركهم ، وخير شاهد على ذلك هي الألواح الحجرية التي كانت تزين جدران قصورهم .

كل هذه الحقائق تؤكد ان الآشوريين اهتموا بالجغرافية اهتماما واسعا لأنهم من دون هذا العلم ماكان بإمكانهم ان يكونوا امباطوريتهم . فضلا عن ذلك فان الآشوريين من قبل ان يكونوا امباطوريتهم كانوا يتاجرون مع مناطق بعيدة عن عاصمتهم آشور مثل منطقة كبدوكيا . وأبلا القرية من حلب . وهذه الحقيقة تضطرهم ولاشك الى معرفة جغرافية المناطق التي وصلوا اليها ، ولذلك كان الآشوريون اسياذ التجارة البرية حتى خلال الفترة التي كانت الزعامة فيها بيد السومريين .

من العلوم الطبيعية : الكيمياء والطب والرياضيات والفلك والتنجيم

١ - الكيمياء :

ان الآشوريين أنفسهم لم ينكروا على الاطلاق فضل السومريين والبابليين على نشأة الحضارة في بلاد وادي الرافدين ، ومع ذلك فقد تميزوا عن السومريين والبابليين ببعض الصناعات التي تدخل في صنف الكيمياء ، والتي لم يستطع سكان الجنوب مجاراتهم فيها على الاطلاق . ومن هذه الصناعات التي توارثوها عن سكان منطقتهم الأقدمين ما يأتي :

أ - تحضير الألوان :

ان التفتقيات التي أجريت في مناطق العراق المختلفة قد بينت لنا بوضوح تام ان الفخاريات التي صنعت في الأقسام الشمالية كانت متعددة الألوان مثل فخاريات حضارتي سامراء وحلف خلال

الألف السادس قبل الميلاد ، في حين كانت الفخاريات التي صنعت في الجنوب ذات لون واحد ويميل الى السواد . وان دلت هذه الحقيقة على شيء فانما تدل على خبرة سكان الشمال في تحضير الألوان ، تلك الخبرة التي تولدت لديهم ولاشك نتيجة لتوافر النباتات التي يمكن ان تعطيهم الألوان التي استخدموها في تزيين فخارياتهم . وبسبب استيطان الآشوريين نفس المنطقة التي ظهر فيها الفخار الملون فقد تعلموا صناعة تلك الألوان وبرعوا في تحضيرها ، بحيث انهم استخدموها في عدد من اعلمهم الفنية التي عثرنا على بعض منها في خرصباد ، من زمن الملك سرجون الآشوري ٧٢١ - ٧٠٥ ق. م ومن تل بارسب ومن آشور ونيوى ومواقع أخرى^(١٥) . في الوقت الذي لم يستخدم الجنوب فيه إلا لونا واحدا وعلى الصناعات الفخارية فقط ، واخفى هذا اللون منذ الألف الثالث قبل الميلاد ، ولهذا السبب بالذات فقد استعاض السومريون عن فن الرسم باستخدام فن التطيعم ، بينما الآشوريون مارسوا فن الرسم ، فضلا عن ممارستهم لبقية الفنون الأخرى .

ب - التعدين :

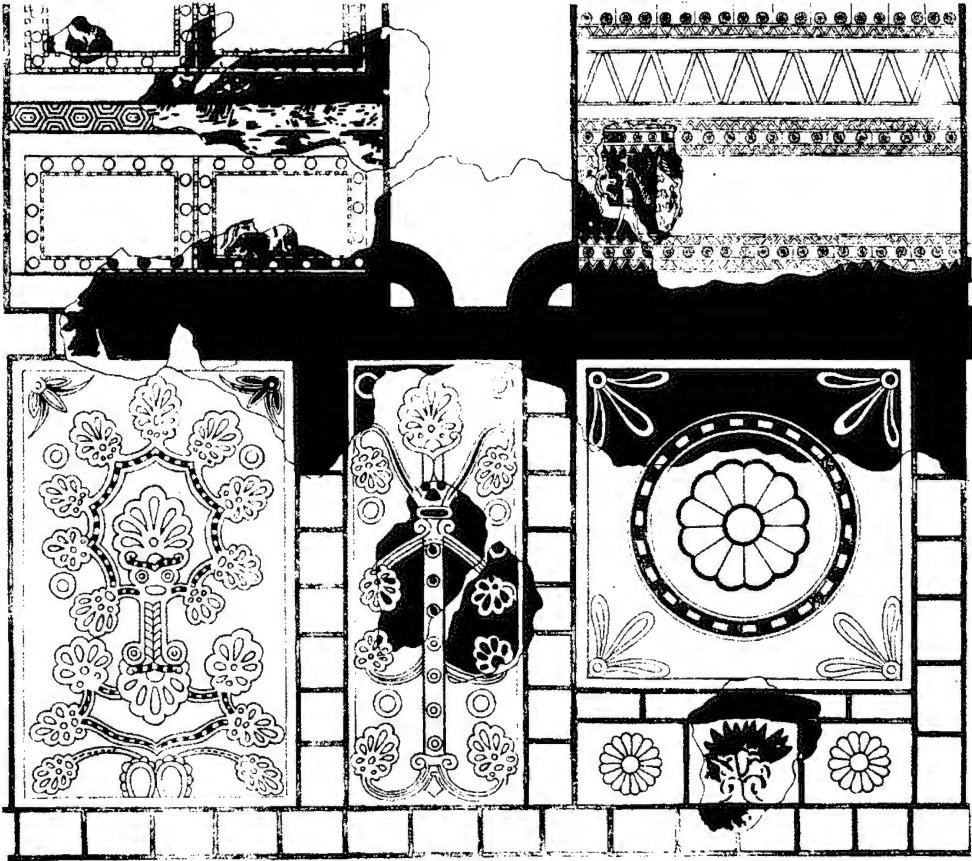
من الحقائق التي يعرفها المختصون في تاريخ العراق القديم أن العصر الحجري المعدني ، الذي كانت بدايته منذ حوالي ٥٥٠٠ ق. م قد ظهر لأول مرة في المنطقة التي سكنها الآشوريون فيما بعد . وهذا يعني ان بداية صناعة النحاس قد ظهرت في الشمال اولا ، ثم انتقلت الى الجنوب . وبسبب ذلك يعود في طبيعة الحال الى احتواء تربة المناطق الشمالية على شيء من مادة النحاس وافتقار تربة الجنوب الى هذا المعدن . وفضلا عن ذلك فان مصدر النحاس الرئيس كان في آسيا الصغرى ومن المنجم المسمى "ايركاني - Ergani"^(١٦) والآشوريون كما قلنا كانوا أسياذ التجارة البرية ، لذلك عمل تجارهم على استيراد هذه المادة المهمة مما كان ذلك سببا في

وما يؤكد ان المنطقة الشمالية وبالأخص مدينة الموصل ذات خبرة محلية واسعة في تعدين النحاس هي الأهمية التي اكتسبتها مدرسة الموصل في الصناعات المعدنية في الفترة الإسلامية ، حيث لو لم يتوارث سكان الموصل الخبرات القديمة في تعدين النحاس لما تمكنوا من تزعم هذه الصناعة في القطر العراقي منذ أقدم الأزمان .

ج - صناعة الزجاج :

الصناعة التي هي بحق من ابتكار الآشوريين دون غيرهم من بقية سكان العراق القديم هي

تطوير صناعة النحاس وتعدينه في الشمال بصورة تفوق كثيرا صناعته في الجنوب ، والخلفات البرونزية خير شاهد على ذلك ، حيث ان المواد المصنوعة من البرونز في القسم الجنوبي من العراق معظمها صغير الحجم ماعدا اللوحة البرونزية التي عثر عليها في موقع تل العبيد والتي تصور نسرأ برأس أسد وهو يمسك بغزالين واللوحة المذكورة محفوظة الان في المتحف البريطاني^(١٧) في حين ان القطع التي عملت في الأقسام الشمالية من العراق كان معظمها كبير الحجم .



رسم جداري ملون من "كارتيوكتي تنورتا" (الاسم الحديث تلوز العفر)
القرن الثالث عشر قبل الميلاد.

أولا ان تختار الشهر المناسب واليوم المهيح ، وبعد ان تنتهي من وضع الأسس ، عليك ان تبدأ في بناء الفرن وبشرط ان لاتنسى وضع دمية الآله "كوبو" داخل بناء الفرن ، علما أنه لايجوز ان يمر من قرب الدمية رجل غير نظيف. وعليك ايضا سكب الماء المقدس وتقديم الأضاحي الى دمية الآله كوبو.

وفي اليوم الذي تنوى فيه وضع مزيج الزجاج في الفرن عليك أن تقدم خروفا قربانا لدمية الآله كوبو، وعليك ايضا ان تضع البخور في المبخرة، وعليك بعد ذلك ان تسكب خليطا من العسل والزبد، ثم أشعل النار في الموقد اذا كنت قد وضعت المواد اللازمة لعمل الزجاج. والخشب الذي تشعله في موقد الفرن يجب ان يكون سميكاً ومقشر اللحاء. وقطع الخشب يجب ان تكون مقطوعة من جذوع خالية من العقد ومربوطة بسير مصنوع من الجلد، وعلى ان تكون الجذوع مقطوعة من اشجارها في شهر آب، حيث ان هذا النوع من الخشب هو الذي يجب ان يستخدم مع موقد الفرن" (٢٠).



قنية زجاجية آشورية ، عثر عليها في اور، القرن الثامن قبل الميلاد.

صناعة الزجاج : التي انشعب عنها منذ بداية استخدام الزجاج في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد عملية ترجيج الطابوق.

وأقدم النماذج الزجاجية التي وصلت إلينا تتمثل بآنية صغيرة وخرز وأقراص ، اما ترجيج الطابوق فقد أشار الملك نجلابليزر الأول ١١١٥ - ١٠٧٧ ق. م ، أنه قد بنى جدران قصره في نينوى بالطابوق المزجج (١٨).

وصناعة الزجاج لم تقتصر على آشور ونيوى وإنما صنع في مناطق أخرى مثل نوزى ، غير ان أفضل انتاجات الزجاج هي التي كانت تنجز في آشور. والنصوص المسارية التي بينت لنا أن الآشوريين كانوا يقلدون في صناعتهم الزجاجية الأحجار الكريمة ، أي أنهم كانوا يحرصون على ان تحمل منتوجاتهم الزجاجية صفة الأحجار الكريمة التي كانت معروفة لديهم. وهذه الحقيقة تدفعنا الى القول بأن الآشوريين قد حاولوا من خلال مادة الزجاج ان يتوصلوا الى تصنيع الأحجار الكريمة من مواد أخرى أقل قيمة ، كما حاول من بعدهم كثير من الشعوب استخراج المعادن الثمينة كالذهب والفضة من معادن أقل قيمة منها ، وما يؤكد ذلك تلك الوصفات بعمل الزجاج والتي ستتطرق إليها بعد قليل.

وما دامت الغاية التي تكن وراء تصنيع الزجاج هي الحصول على الأحجار الكريمة فقد أحاط الآشوريون عملية بناء الفرن الخاص بتصنيع الزجاج ببعض الطقوس التي كان لايجوز الاستغناء عنها. والفرن الخاص بتصنيع الزجاج يلفظ بالآشورية "كورو" (١٩) أو "كورو شا أبني = فرن الزجاج". وفيما يلي ترجمة حرة لأحد النصوص التي تصف لنا كيفية بناء الفرن :

"عندما تضع أسس فرن لصناعة الزجاج ، عليك

وفيما يخص الوصفة الخاصة بتصنيع الزجاج نفسه فهناك نص آشوري عثر عليه في نينوى مع نفس النص الخاص بانشاء القرن. وهذا النص يبين كيفية صناعة الزجاج الذي يشبه بلونه لون حجر اللازورد. وهذا النص والنصوص الأخرى هي التي أكدت لنا على ان الآشوريين حاولوا من خلال تصنيع الزجاج الوصول الى تصنيع الأحجار الكريمة او تقليدها كما تفعل في الوقت الحاضر صناعة الزجاج تقليدا للماس والكريستال. وفيما يأتي الترجمة الحرة للنص المذكور:

” اذا أردت ان تعمل زجاجا بلون اللازورد ، عليك ان تدق بصورة جيدة عشرة منات من حجر أمانكو وخمس منات من نبات كاكاو $\frac{1}{4}$ منا من نبات ابيض اللون وتمزج الخليط جيدا ، ثم ضع المزيج في فرن له اربع فتحات للنار وعلى ان يتوسط المزيج الفتحات الأربعة. بعد ذلك أشعل نارا خالية من الدخان حتى يذوب المزيج وينصهر، حينئذ عليك أن تخرج المادة المنصهرة من الفرن واتركها حتى تبرد. وبعد ان تبرد تماما قم بصهرها ثانية ، ثم ضع المادة المنصهرة في وعاء وضع الوعاء في خزانة القرن الباردة. وبعد ذلك قم بأشعال نار خالية من الدخان واستمر في الاشعال حتى يصبح المزيج أصفر بلون الذهب. وعند اخراج المزيج يتولد لديك زجاج زوكو، اي الزجاج النقي القريب الشبه بحجر اللازورد. وبعد ذلك قم بوضع عشرة منات من النحاس في اناء خاص ثم ضع الاناء في حيز ساخن من القرن ، ثم اغلق فتحات القرن ودع نارا خالية من الدخان تشتعل حتى يتحول مركب النحاس الى شعلة حمراء.

وبعد ذلك قم بطحن عشرة منات من زجاج زوكو، ثم أضف المسحوق الى مركب النحاس في القرن ، واغلق باب الفرن عليها ، وبعد ذلك قم بتحريك الخليط بالاداة الخاصة بذلك. وإذا ماتعلقت بعض فقاعات الزجاج على الأداة

وبعد تقديم الترجمة الحرة للنص الخاص بأسلوب بناء القرن نرى من الضروري ان نشير الى ان الآشوريين قد نظروا الى القرن الخاص بتصنيع الزجاج نظرتهم الى رحم المرأة ، ونظروا الى الخليط الذي يوضع في داخله بغية تصنيع الزجاج نظرتهم الى الجنين داخل الرحم ، لأن الاله كوبر هو الاله الخاص بالولادات التي تحدث قبل موعدها ^(٢١) ، فتقديم الأصاحي الى هذا الاله يهدف بلا شك الى قبول رضا هذا الاله كي لا تخرج المادة المصنعة ناقصة او ضعيفة كما هو الحال مع الاطفال الذين يولدون قبل موعدهم .



قنية زجاجية آشورية من القرن الثامن قبل الميلاد.

من غير المعقول ان لاتكون لسكان هذه الحضارات معلومات حول علاج بعض الأمراض بالأعشاب والنباتات التي تنمو في المنطقة ، وخاصة اذا ما علمنا بأن الطبيعة لم توجد مرضا على الكرة الأرضية الا أوجدت الى جانبه نباتا يعالج ذلك المرض ، والحكمة من ذلك هي خلق التوازن بين ما يهدد الحياة وبين ما يساعد على ادامتها .

ومما يزيد التأييد على هذا الافتراض ان النصوص الآشورية قد ذكرت الى جنب الطبيب كلمة أخرى تلفظ “أشيبو” والمختصون في الدراسات المسماة قد ترجموا هذه الكلمة “بطارد الأرواح الشريرة” (٢٣) وربما كانت هذه الكلمة تعني في الأصل العشاب ، اي الشخص الذي يطرد الجن من أجسام المرضى بالأدوية المستحضرة من الأعشاب ، ولذلك نجد أن النصوص الآشورية تضع الأشيبو على قدم المساواة مع الطبيب الذي يلفظ “آسو” (٢٤) .

هذا والحقيقة التي نجعلنا نؤكد ان جذور المعلومات الطبية السومرية تكمن في المنطقة الشمالية ، هو أننا من المؤمنين بأن السومريين هم في الأصل من سكان الحضارات الزراعية ، انتقل عدد كبير منهم الى الجنوب بعد تكوينه في الألف الخامس قبل الميلاد نتيجة لتزايد عدد السكان في المناطق التي شغلها الحضارات الزراعية مثل حضارة حسونة وحلف وسامراء .

ومن خلال بعض الاصطلاحات الطبية التي ظهرت في النصوص السومرية المبكرة يبدو واضحا ان سكان المناطق الشمالية قد علموا منذ فترة مبكرة بان الأمراض تنشأ في الجسم نتيجة لدخول الجن الى جسم الانسان . وقد اكدت هذه الحقيقة من خلال كلمة مريض في اللغة السومرية ، التي تلفظ “لوتورا” وتعني حرفيا “الرجل الذي دخل (في) جسمه جن” .



قنينة زجاجية آشورية ، حوالي ٦٥٠ - ٦٠٠ ق. م .

الخاصة بالمزج ، عندها يكون المزيج قد حصل على لون قرمزي” (٢٢) .

وبناء على ما تقدم نستطيع ان نؤكد بكل ثقة ان العالم اليوم الذي يستخدم المصنوعات الزجاجية ويتمتع بجمال منظرها مدين في ذلك للآشوريين .

٢ - الطب :

ان المعلومات الطبية التي خلفتها لنا النصوص البابلية والتي حصلنا على عدد كبير منها من مكتبة الملك آشور بانينال ، لا يمكن بأي حال من الاحوال ان تكون هذه المعلومات من نتاج السومريين والبابليين وحدهم بل هي معلومات ساهم في التوصل اليها وأورشها للأجيال اللاحقة سكان المناطق الشمالية ايضا ، ومما يؤكد ذلك أن الجذور الاولى للمعلومات الطبية السومرية والبابلية ترجع بأصولها الى المنطقة الشمالية ، التي شهدت ميلاد الحضارات الزراعية خلال فترة العصر الحجري الحديث ، حيث أنه

متشابهة ، وهذا المبدأ قد اعتمدت عليه معظم الممارسات السحرية التي قام بها سكان الحضارات الزراعية ، ومن التشخيصات المرضية التي تعتمد على هذا المبدأ الفقرتين التاليتين :

١- اذا رأى طارد الأرواح الشريرة وهو في طريقه الى بيت المريض خنزيرا أبيض فإن الرجل المريض سيعيش .

٢- اذا رأى طارد الأرواح الشريرة وهو في طريقه الى بيت المريض خنزيرا أسود فإن الرجل المريض سيموت (٢٥) .

ولتعليل هاتين الفقرتين وفق مبدأ العلل المتشابهة ينتج عنها نتائج متشابهة نشير الى ان اللون الأبيض يعني النور، والوضوح، والحق، أي انه شيء حسن، فلا بد ان تكون النتيجة جيدة . واللون الاسود يعني الظلام، والحزن، والباطل، أي انه شيء ردي . ولهذا لا بد أن تكون النتيجة سيئة .

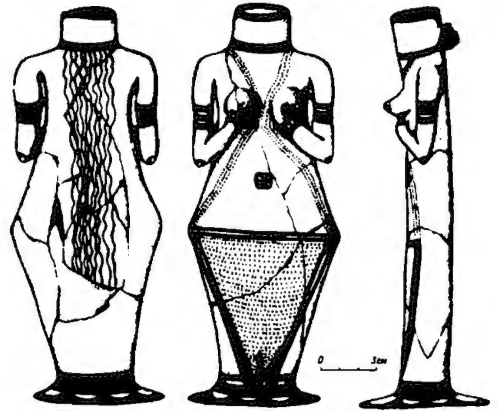
هذا ومن خلال النصوص الطبية التي جاءتنا من مكتبة الملك آشور بانينال ومن مواقع أخرى يمكننا ان نقسم هذه النصوص الى مجموعتين الاولى هي المجموعة الخاصة بتشخيص الأمراض والثانية تمثل الوصفات الطبية لتلك الأمراض ، ولكن هذا لا يعني اطلاقا ان النصوص جميعا مصنفة هذا لتصنيف ، اذ هناك الكثير من النصوص التي تحتوي على تشخيص الأمراض ووصف العلاج لها ايضا .

وفيما يأتي بعض الفقرات الخاصة بتشخيص الأمراض :

- ١- اذا كان المريض مملوء ببثرات حمراء من رأسه الى قدمه وجسمه أبيض ، فهو مهاجم من قبل امرأة وهو في المنام ، انها يد الاله سين .
- ٢- اذا كان المريض حاجبه أبيض ولسانه أبيض فان مرضه سيطول ، ولكنه سيشفي (في النهاية) .

وحتى كلمة طبيب التي تلفظ سومريا "آزو" وتعني "العارف بالماء" تؤكد على ايمانهم بأن المرض هو نتيجة لدخول الجن (= الجراثيم) الى الجسم ، حيث ان العلاج يتم بقراءة التعاويذ على الماء ليشره المريض فيدخل الى الجسم ، حتى يستطيع هذا الماء بما تم عليه من قراءة للتعاويذ ان يطرد الجن المستقر في جسم المريض .

وعلى ما يبدو من بعض الآثار أن من المشكلات التي كان يعاني منها سكان هذه الحضارات ، فضلا عن الأمراض موضوع عسر الولادة وشحة حليب الأم بعدها ، لذلك كان العشاب او الطبيب يستخدم وسائله السحرية لمساعدة المرأة اثناء الولادة وما بعدها ، بنفس الأسلوب الذي يستخدمه مع علاج الأمراض . والآناء على شكل المرأة هو الذي يشرب من خلاله الماء الذي يجهزه الطبيب .



اناء فخاري على شكل امرأة من موقع يارم تبة حوالي ٦٠٠٠ ق . م .

ومن الأدلة الواضحة على ان ماهو وارد في نصوص القائل الطبية ترجع بجذورها الى المنطقة الشمالية اعتماد فقرات تلك النصوص على المبدأ السحري الذي ينص على ان العلل المتشابهة ينتج عنها نتائج

وفضلاً عن ذلك فإن الجراحة كانت معروفة لدى سكان بلاد وادي الرافدين ، وخير شاهد عليها هي المواد ٢١٥ - ٢٢٥ من شريعة حمورابي ، ولهذا فلا بد للآشوريين ان تعرفوا عليها ومارسوها في حياتهم العملية .

٣- الرياضيات :

موضوع الرياضيات عند الآشوريين لا يختلف عن موضوع الطب ، حيث ان مساهم به الآشوريون في مجال الرياضيات قد امتزج ايضا بالرياضيات السومرية والبابلية ، وليس بإمكاننا ان نحدد مآثرهم الآشوريون لذاتهم ، ولهذا فانا مضطرون لأن نتحدث عن موضوع الرياضيات بشكل عام .

𐎶	𐎶𐎵𐎶𐎵	𐎶	𐎶
5	A.RÁ	1	5
o	x	1	o
𐎶	𐎶𐎵𐎶𐎵	𐎶	𐎶
o	x	< = ١٠	
𐎶	𐎶𐎵𐎶𐎵	𐎶	𐎶𐎵𐎶𐎵
o	x	< = ١٥	
𐎶	𐎶𐎵𐎶𐎵	𐎶	𐎶𐎵𐎶𐎵
o	x	< = ٢٠	
𐎶	𐎶𐎵𐎶𐎵	𐎶𐎵𐎶𐎵	𐎶
o	x	< = ٦٠	

جزء من جدول ضرب الرقم خمسة

٣- اذا ارتجفت الاذن النقي لرجل مريض فان مرضه خطر ، ولكنه (مع ذلك) سيعيش .

٤- اذا كانت حملات امرأة حامل مصفرة فانها ستسقط ما في رحمها .

٥- اذا ظلت امرأة حامل تنقياً فلن تكمل حملها .

٦- إذا أخذ طفل الثدي ولكنه لم يشبع وظل يصرخ فإنه مجروح داخلياً .

وفيا يخلص نصوص الفأل الطبية الخاصة بوصف العلاج فهناك الكثير منها ، ولكننا سنورد في ادناه بعض التاذج القليلة من أجل أخذ فكرة عن الموضوع فقط وهي ما يأتي :

أ- اذا كان رجل مريضاً بالسعال . أمزج صمغ الميعة بجمعة قوية والعسل والزيت النقي : اجعل لسانه يأخذه دون وجبة طعام ، دعه يشربها وهي تبخر (اي الميعة) من الحرارة في الجمعة والعسل . دعه يتقيأ بواسطة الريشة ، بعدها عليه ان يأكل مزيجاً من العسل والخثرة ويشرب نبيذا حلواً ويشفي .

ب- للتخلص من حرارة المعدة اسحق الأدوية السبعة والقصب الحلو... والجلبتيت والتمر وزيت التريبتين (نوع من أشجار الصنوبر) ، وبعد ان تصفى تنقع بالجمعة وتسخن بالفرن ثم تصفى بعد تبريده . يضيف اليها قشور الشعير وتصب عليها ماء الورد ، ثم تضع ذلك في شرج المريض ، بعدها يشفي المريض (٢٦) .

وفيا يخلص الجراحة عند الآشوريين فليس هناك اشارات صريحة عنها ، غير اننا نستطيع ان نوكد مزاوله الأطباء الآشوريين لها ، وذلك بسبب احتواء الجيش الآشوري على صنف الطبابة ، لأن الجنود في اثناء المعارك يحتاجون الى الجراحة اكثر من احتياجهم للمعالجة بواسطة الأدوية .

ينظر في الجدول فيحصل على نتيجة الاعداد التي يروم قسمتها او ضربها مع بعضها ، على الرغم من أنه يجهل عملية الضرب او القسمة . وفيما يأتي نقدم نموذجين : الأول لجدول الضرب ، والثاني لجدول القسمة .

اما المجموعة الثانية : فتمثل بالنصوص التي تتضمن حل المسائل الحسابية او الهندسية او الجبرية . ونصوص هذه المجموعة كسابقتها تعطينا النتيجة الصحيحة جاهزة من دون ان يعلم القارئ كيف توصل اليها كاتب هذه المسائل الرياضية .

هذا وقد ينتقد البعض هذا الأسلوب او يعده ناقصا ، الا أنه في حقيقته اسلوب واقعي ويتناسب وطبيعة الحياة آنذاك ، ففرقة ابعاد الأشكال الهندسية ومعرفة الأوتار والأقطار والمساحات كانت ناحية ضرورية لكل العاملين في مجال البناء والاعمار ، ولكن ليس بالضرورة ان يكون هؤلاء المهنيون مطلعين على المسائل الرياضية وكيفية الوصول الى حلها ، ولهذا فان نصوص هذه المجموعة تعطى النتائج جاهزة ليستفيدوا منها في اعمالهم على الرغم من أنهم غير متخصصين في مجال الرياضيات .

وفيما يأتي نقدم مسألتين من هذه المجموعة (٢٧) :

ولكي يستطيع القارئ ان يتصور تماما ان سكان بلاد وادي الرافدين قد عرفوا فعلا مايسمى بنظرية فيثاغورس أعيد ترجمة الأسطر الأخيرة ابتداءا من السطر رقم ١٨ وحتى السطر رقم ٢٣ بشيء من التصرف لغرض التوضيح دون الاخلال بمضمون النص المسامري :

١٨- ريع الطول ب ج (وهو أحد الضلعين القائمين في المثلث أ ب ج) .

١٩- فينتج واحد . احتفظ بالواحد في يدك ،

فند الألف الثالث قبل الميلاد عمل المختصون بالرياضيات في وادي الرافدين على اعطاء الناس نتائج رياضية جاهزة لخدمة اعمالهم اليومية، وهؤلاء الناس لا يعرفون كيفية الوصول الى هذه النتائج بما لديهم من معلومات ، وهذه الحقيقة قد تأكدت لنا من خلال النصوص الرياضية ، حيث ان هذه النصوص كانت تتألف من مجموعتين أساسيتين :

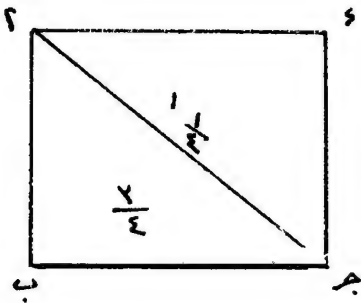
المجموعة الاولى : كانت تتمثل بالجداول الرياضية الخاصة بعمليات الضرب والقسمة واستخراج الجذر التربيعي وغيرها من الحالات الأخرى ، حيث ان هذه الجداول تعطينا نتائج ضرب الاعداد بعضها في بعض أو قسمتها من دون أن تبين لنا حقيقة عملية الضرب والقسمة ، ولذلك ان من يمتلك مثل هذه الجداول ، ماعليه الا أن

١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠	٣١	٣٢	٣٣	٣٤	٣٥	٣٦	٣٧	٣٨	٣٩	٤٠	٤١	٤٢	٤٣	٤٤	٤٥	٤٦	٤٧	٤٨	٤٩	٥٠	٥١	٥٢	٥٣	٥٤	٥٥	٥٦	٥٧	٥٨	٥٩	٦٠	٦١	٦٢	٦٣	٦٤	٦٥	٦٦	٦٧	٦٨	٦٩	٧٠	٧١	٧٢	٧٣	٧٤	٧٥	٧٦	٧٧	٧٨	٧٩	٨٠	٨١	٨٢	٨٣	٨٤	٨٥	٨٦	٨٧	٨٨	٨٩	٩٠	٩١	٩٢	٩٣	٩٤	٩٥	٩٦	٩٧	٩٨	٩٩	١٠٠
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠	٣١	٣٢	٣٣	٣٤	٣٥	٣٦	٣٧	٣٨	٣٩	٤٠	٤١	٤٢	٤٣	٤٤	٤٥	٤٦	٤٧	٤٨	٤٩	٥٠	٥١	٥٢	٥٣	٥٤	٥٥	٥٦	٥٧	٥٨	٥٩	٦٠	٦١	٦٢	٦٣	٦٤	٦٥	٦٦	٦٧	٦٨	٦٩	٧٠	٧١	٧٢	٧٣	٧٤	٧٥	٧٦	٧٧	٧٨	٧٩	٨٠	٨١	٨٢	٨٣	٨٤	٨٥	٨٦	٨٧	٨٨	٨٩	٩٠	٩١	٩٢	٩٣	٩٤	٩٥	٩٦	٩٧	٩٨	٩٩	١٠٠
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠	٣١	٣٢	٣٣	٣٤	٣٥	٣٦	٣٧	٣٨	٣٩	٤٠	٤١	٤٢	٤٣	٤٤	٤٥	٤٦	٤٧	٤٨	٤٩	٥٠	٥١	٥٢	٥٣	٥٤	٥٥	٥٦	٥٧	٥٨	٥٩	٦٠	٦١	٦٢	٦٣	٦٤	٦٥	٦٦	٦٧	٦٨	٦٩	٧٠	٧١	٧٢	٧٣	٧٤	٧٥	٧٦	٧٧	٧٨	٧٩	٨٠	٨١	٨٢	٨٣	٨٤	٨٥	٨٦	٨٧	٨٨	٨٩	٩٠	٩١	٩٢	٩٣	٩٤	٩٥	٩٦	٩٧	٩٨	٩٩	١٠٠
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠	٣١	٣٢	٣٣	٣٤	٣٥	٣٦	٣٧	٣٨	٣٩	٤٠	٤١	٤٢	٤٣	٤٤	٤٥	٤٦	٤٧	٤٨	٤٩	٥٠	٥١	٥٢	٥٣	٥٤	٥٥	٥٦	٥٧	٥٨	٥٩	٦٠	٦١	٦٢	٦٣	٦٤	٦٥	٦٦	٦٧	٦٨	٦٩	٧٠	٧١	٧٢	٧٣	٧٤	٧٥	٧٦	٧٧	٧٨	٧٩	٨٠	٨١	٨٢	٨٣	٨٤	٨٥	٨٦	٨٧	٨٨	٨٩	٩٠	٩١	٩٢	٩٣	٩٤	٩٥	٩٦	٩٧	٩٨	٩٩	١٠٠
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠	٣١	٣٢	٣٣	٣٤	٣٥	٣٦	٣٧	٣٨	٣٩	٤٠	٤١	٤٢	٤٣	٤٤	٤٥	٤٦	٤٧	٤٨	٤٩	٥٠	٥١	٥٢	٥٣	٥٤	٥٥	٥٦	٥٧	٥٨	٥٩	٦٠	٦١	٦٢	٦٣	٦٤	٦٥	٦٦	٦٧	٦٨	٦٩	٧٠	٧١	٧٢	٧٣	٧٤	٧٥	٧٦	٧٧	٧٨	٧٩	٨٠	٨١	٨٢	٨٣	٨٤	٨٥	٨٦	٨٧	٨٨	٨٩	٩٠	٩١	٩٢	٩٣	٩٤	٩٥	٩٦	٩٧	٩٨	٩٩	١٠٠
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠	٣١	٣٢	٣٣	٣٤	٣٥	٣٦	٣٧	٣٨	٣٩	٤٠	٤١	٤٢	٤٣	٤٤	٤٥	٤٦	٤٧	٤٨	٤٩	٥٠	٥١	٥٢	٥٣	٥٤	٥٥	٥٦	٥٧	٥٨	٥٩	٦٠	٦١	٦٢	٦٣	٦٤	٦٥	٦٦	٦٧	٦٨	٦٩	٧٠	٧١	٧٢	٧٣	٧٤	٧٥	٧٦	٧٧	٧٨	٧٩	٨٠	٨١	٨٢	٨٣	٨٤	٨٥	٨٦	٨٧	٨٨	٨٩	٩٠	٩١	٩٢	٩٣	٩٤	٩٥	٩٦	٩٧	٩٨	٩٩	١٠٠
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠	٣١	٣٢	٣٣	٣٤	٣٥	٣٦	٣٧	٣٨	٣٩	٤٠	٤١	٤٢	٤٣	٤٤	٤٥	٤٦	٤٧	٤٨	٤٩	٥٠	٥١	٥٢	٥٣	٥٤	٥٥	٥٦	٥٧	٥٨	٥٩	٦٠	٦١	٦٢	٦٣	٦٤	٦٥	٦٦	٦٧	٦٨	٦٩	٧٠	٧١	٧٢	٧٣	٧٤	٧٥	٧٦	٧٧	٧٨	٧٩	٨٠	٨١	٨٢	٨٣	٨٤	٨٥	٨٦	٨٧	٨٨	٨٩	٩٠	٩١	٩٢	٩٣	٩٤	٩٥	٩٦	٩٧	٩٨	٩٩	١٠٠
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠	٣١	٣٢	٣٣	٣٤	٣٥	٣٦	٣٧	٣٨	٣٩	٤٠	٤١	٤٢	٤٣	٤٤	٤٥	٤٦	٤٧	٤٨	٤٩	٥٠	٥١	٥٢	٥٣	٥٤	٥٥	٥٦	٥٧	٥٨	٥٩	٦٠	٦١	٦٢	٦٣	٦٤	٦٥	٦٦	٦٧	٦٨	٦٩	٧٠	٧١	٧٢	٧٣	٧٤	٧٥	٧٦	٧٧	٧٨	٧٩	٨٠	٨١	٨٢	٨٣	٨٤	٨٥	٨٦	٨٧	٨٨	٨٩	٩٠	٩١	٩٢	٩٣	٩٤	٩٥	٩٦	٩٧	٩٨	٩٩	١٠٠
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠	٣١	٣٢	٣٣	٣٤	٣٥	٣٦	٣٧	٣٨	٣٩	٤٠	٤١	٤٢	٤٣	٤٤	٤٥	٤٦	٤٧	٤٨	٤٩	٥٠	٥١	٥٢	٥٣	٥٤	٥٥	٥٦	٥٧	٥٨	٥٩	٦٠	٦١	٦٢	٦٣	٦٤	٦٥	٦٦	٦٧	٦٨	٦٩	٧٠	٧١	٧٢	٧٣	٧٤	٧٥	٧٦	٧٧	٧٨	٧٩	٨٠	٨١	٨٢	٨٣	٨٤	٨٥	٨٦	٨٧	٨٨	٨٩	٩٠	٩١	٩٢	٩٣	٩٤	٩٥	٩٦	٩٧	٩٨	٩٩	١٠٠
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠	٣١	٣٢	٣٣	٣٤	٣٥	٣٦	٣٧	٣٨	٣٩	٤٠	٤١	٤٢	٤٣	٤٤	٤٥	٤٦	٤٧	٤٨	٤٩	٥٠	٥١	٥٢	٥٣	٥٤	٥٥	٥٦	٥٧	٥٨	٥٩	٦٠	٦١	٦٢	٦٣	٦٤	٦٥	٦٦	٦٧	٦٨	٦٩	٧٠	٧١	٧٢	٧٣	٧٤	٧٥	٧٦	٧٧	٧٨	٧٩	٨٠	٨١	٨٢	٨٣	٨٤	٨٥	٨٦	٨٧	٨٨	٨٩	٩٠	٩١	٩٢	٩٣	٩٤	٩٥	٩٦	٩٧	٩٨	٩٩	١٠٠
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠	٣١	٣٢	٣٣	٣٤	٣٥	٣٦	٣٧	٣٨	٣٩	٤٠	٤١	٤٢	٤٣	٤٤	٤٥	٤٦	٤٧	٤٨	٤٩	٥٠	٥١	٥٢	٥٣	٥٤	٥٥	٥٦	٥٧	٥٨	٥٩	٦٠	٦١	٦٢	٦٣	٦٤	٦٥	٦٦	٦٧	٦٨	٦٩	٧٠	٧١	٧٢	٧٣	٧٤	٧٥	٧٦	٧٧	٧٨	٧٩	٨٠	٨١	٨٢	٨٣	٨٤	٨٥	٨٦	٨٧	٨٨	٨٩	٩٠	٩١	٩٢	٩٣	٩٤	٩٥	٩٦	٩٧	٩٨	٩٩	١٠٠
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠	٣١	٣٢	٣٣	٣٤	٣٥	٣٦	٣٧	٣٨	٣٩	٤٠	٤١	٤٢	٤٣	٤٤	٤٥	٤٦	٤٧	٤٨	٤٩	٥٠	٥١	٥٢	٥٣	٥٤	٥٥	٥٦	٥٧	٥٨	٥٩	٦٠	٦١	٦٢	٦٣	٦٤	٦٥	٦٦	٦٧	٦٨	٦٩	٧٠	٧١	٧٢	٧٣	٧٤	٧٥	٧٦	٧٧	٧٨	٧٩	٨٠	٨١	٨٢	٨٣	٨٤	٨٥	٨٦	٨٧	٨٨	٨٩	٩٠	٩١	٩٢	٩٣	٩٤	٩٥	٩٦	٩٧	٩٨	٩٩	١٠٠
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠	٣١	٣٢	٣٣	٣٤	٣٥	٣٦	٣٧	٣٨	٣٩	٤٠	٤١	٤٢	٤٣	٤٤	٤٥	٤٦	٤٧	٤٨	٤٩	٥٠	٥١	٥٢	٥٣	٥٤	٥٥	٥٦	٥٧	٥٨	٥٩	٦٠	٦١	٦٢	٦٣	٦٤	٦٥	٦٦	٦٧	٦٨	٦٩	٧٠	٧١	٧٢	٧٣	٧٤	٧٥	٧٦	٧٧	٧٨	٧٩	٨٠	٨١	٨٢	٨٣	٨٤	٨٥	٨٦	٨٧	٨٨	٨٩	٩٠	٩١	٩٢	٩٣	٩٤	٩٥	٩٦	٩٧	٩٨	٩٩	١٠٠
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠	٣١	٣٢	٣٣	٣٤	٣٥	٣٦	٣٧	٣٨	٣٩	٤٠	٤١	٤٢	٤٣	٤٤	٤٥	٤٦	٤٧	٤٨	٤٩	٥٠	٥١	٥٢	٥٣	٥٤	٥٥	٥٦	٥٧	٥٨	٥٩	٦٠	٦١	٦٢	٦٣	٦٤	٦٥	٦٦	٦٧	٦٨	٦٩	٧٠	٧١	٧٢	٧٣	٧٤	٧٥	٧٦	٧٧	٧٨	٧٩	٨٠	٨١	٨٢	٨٣	٨٤	٨٥	٨٦	٨٧	٨٨	٨٩	٩٠	٩١	٩٢	٩٣	٩٤	٩٥					

٢٣- فبتتج $\frac{1}{4}$ طول الوتر أ ج (أي ان مربع الوتر في المثلث القائم الزاوية يساوي مجموع مربعي الضلعين القائمين).

𐤀𐤂𐤁 𐤏𐤁𐤁𐤏 𐤏𐤁𐤁𐤏 𐤏𐤁𐤁𐤏 𐤏𐤁𐤁𐤏 𐤏𐤁𐤁𐤏 𐤏𐤁𐤁𐤏 𐤏𐤁𐤁𐤏
 IGI - 7 - GÁL UŠ U A-ŠÀ GAR·GAR·MA 27
 <v = جعت الماحية و الطول سبع
 الترجمة الحرة: اذا جعت سبع الطول مع الماحية، فالناتج هو <v.

30 SAG UŠ Û A.ŠA EN-NAM 42 UŠ 21 A.ŠA
الماحة ١، الطول ٤ كم ؟ الماحة ٢ الطول العرض ٢.
الترجمة الحرة :- العرض هو ٢، كم هو الطول ؟ وكم هي الماحة ؟
الطول ياي ٤ والماحة تاي ١



وعلى الرغم من أن النصوص الرياضية لاتعطي تفاصيل الحل خطوة فخطوة فإننا تمكننا أن نعرف من لوح رياضي عثر عليه في تل الضباعي قرب بغداد الجديدة ، وتاريخه حوالي ١٨٠٠ ق. م ، بأن سكان بلاد وادي الرافدين قد عرفوا أن "مربع الوتر في المثلث القائم الزاوية يساوي مجموع مربع الضلعين القائمين" قبل اليونانيين وقبل فيثاغورس

١٧- والعرض $\frac{3}{4}$ ، فامقدار مساحة المربع وما هو قطره.

١٨- (أنت في) حلك ربع الطول ب ج (= ١)

١٩- فيتتج واحد، احتفظ بالواحد في يدك.

٢٠- (ارجع) وربع $\frac{3}{4}$ الذي هو العرض أ ب.

٢١- فيتتج $\frac{9}{16}$. أضف هذا الى مربع ب ج

٢٢- فيتتج $\frac{9}{16}$ ١. خذ الجذر التربيعي ل $\frac{9}{16}$ ١.

٢٣-٢٤- فيتتج $\frac{1}{4}$ ١ ويكون $\frac{1}{4}$ ١ قطرك (اي طول أ ج). أضرب طولك بالعرض، فتحصل على $\frac{3}{4}$ وهي مساحتك، أي مساحة المستطيل أ ب ج د.

٢٥- هكذا يكون الحل (٢٨).

٤- الفلك والتنجيم:

من الحقائق الأكيدة أن التنجيم وعلم الفلك البابلي قد قاما على قاعدة متينة من المعلومات الفلكية التي توصل اليها سكان المناطق الشمالية الذين اعتمدوا في زراعتهم بالدرجة الأساس على المطر.

ولتوضيح هذه الحقيقة نشير الى ان نصوص القائل البابلية للنصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد كانت تستخدم بالدرجة الأولى حركة الكواكب والنجوم لكشف طالع البلدان والملوك فقط، ولم تنظر الى الأفراد الاعتياديين، وهذه الحقيقة ولاشك تدعو الى الاستغراب والتساؤل، ولبين هذا الموضوع لابد لنا ان نقول ان العلم

٢- (المفروض) على الوجه الآتي: القطر أ ج = $1\frac{1}{4}$ ، مساحة المستطيل أ ب ج د = $1\frac{3}{4}$

٣- (المطلوب اثباته) ما طول الضلع ب ج وطول الضلع ج د.

٤- (الحل): ضع مابساوي طول القطر أ ج.

٥- وأضرب بعضهما ببعض فيتتج $1\frac{9}{16}$.

٦- احتفظ بهذا الرقم ($\frac{9}{16}$) بيدك.

٧- اضرب مساحة المستطيل أ ب ج د (= $\frac{3}{4}$) في اثنين، فيتتج $1\frac{1}{2}$.

٨- اطرح $1\frac{1}{2}$ من $1\frac{9}{16}$ فيكون الباقي $\frac{1}{16}$.

٩- ١٠- خذ الجذر التربيعي ل $\frac{1}{16}$ فيتتج $\frac{1}{4}$ ، ثم نصف الناتج فتحصل على $\frac{1}{8}$ ، ثم ضعف الناتج فيكون $\frac{1}{4}$.

١١- أضف الى الناتج مساحة المستطيل أ ب ج د (= $\frac{3}{4}$)

١٢- فيتتج $1\frac{9}{16}$. خذ الجذر التربيعي ل $1\frac{9}{16}$.

١٣- فيتتج لديك $\frac{3}{4}$ ، ثم كرر الناتج،

١٤- ١٦- وأضف الى $\frac{1}{4}$ (التي ورد ذكرها في ترجمة السطرين ٩- ١٠) الذي ربعته الى احدهما (اي $1\frac{1}{4} + \frac{1}{4}$) واطرحه من أحدهما (اي $1\frac{1}{4} - \frac{1}{4}$) فيتتج (في الحالة الأولى) واحد، وهو مقدار ب ج (وفي الحالة الثانية) $\frac{3}{4}$ طول أ ب.

فاذا كان الطول واحدا.

المرتبطة بعلم الفلك. وفيما يأتي نقدم نص احدى الرسائل الى البلاط الآشوري :

” الى سيدي الملك : من عبدك ادد - شومو- اوصر، عندما راقبت الهلال في اليوم الثلاثين من الشهر وجدته عاليا... عاليا جدا بالنسبة لليوم الثلاثين من الشهر، وان وضعه يتناسب مع وضع الهلال لليوم الثاني من الشهر... فاذا كانت هذه المعلومات مناسبة لسيدي الملك ، فخبر على خير، والأعلينا ان نتنظر التقرير القادم من مدينة آشور، وبعد ذلك بمحدد اليوم الاول من الشهر“ (٢٩).

هذا وقد يسأل بعضهم ويقول اذا كانت المعلومات التي جمعها سكان المناطق الشمالية حول حركة الكواكب والنجوم وعلاقتها بالتقلبات الجوية معلومات دقيقة وصحيحة ، فكيف اذن تحولت لدى السومريين والبابليين الى مادة تخدم اغراض التنجيم ومن بعد ذلك لأغراض علم الفلك ؟ للجواب عن هذا السؤال نقول : عندما انتقل الانسان منذ بداية الألف الخامس قبل الميلاد الى القسم الجنوبي من العراق واستخدمه للري في زراعته فلم يعد للمطر أي تأثير على حياته ، ولذلك أهمل تلك المعلومات المتعلقة بحركة الكواكب والنجوم وعلاقتها بالتقلبات الجوية ، لانها لم تعد تؤثر على حياته وعلى محاصيله الزراعية ، غير ان الكهنة والمتنجمين قد استغلوا هذه المعلومات لأغراض التنجيم المتعلق بكشف طالع البلدان والملوك.

هذا ومن الأدلة الأخرى التي تؤكد ان مراقبة حركة الكواكب والنجوم قد بدأت في المنطقة الشمالية أن معظم فقرات الفال المتعلقة بهذا الموضوع تتحدث عن سقوط المطر وشحته. وفيما يأتي بعض التماذج :

١ - اذا ظهر في بداية موسم البرد ، أي في شهر ايلول او تشرين الأول الكوكب عطارد

الحديث قد اكتشف بكل وضوح ان هناك علاقة فيما بين حركات الكواكب والنجوم والتقلبات الجوية التي تحدث على الكرة الارضية. وهذه العلاقة التي اكتشفها العلم الحديث تدفعنا الى الاعتقاد بأن سكان المناطق الشمالية لابد لهم ان اكتشفوا هذه الحقيقة نفسها وراقبوها وحددوا تأثيراتها على التقلبات الجوية على نحو دقيق ، ولذلك أصبحت حركات الكواكب والنجوم دلالات على مستقبل البلدان والملوك ، لأن هذه التقلبات تؤثر ولاشك تأثيرا مباشرا على مصادر غذاء الانسان ، وخاصة اذا ما علمنا أن الانسان القديم لم يستخدم نظم الري في سقي مزرعاته الا في حدود ٥٠٠٠ ق. م ، وفي مناطق محددة فقط ، حيث ان هناك مناطق لاتسمح طبيعتها الجغرافية الا بالاعتماد على المطر، وعليه فان حياة جميع البشر خلال الفترات التي سبقت التاريخ المذكور وبعضها حتى بعده كانت تعتمد كليا على المطر الذي يتأثر بالتقلبات الجوية.

وارتباط مصير الملوك بالتقلبات الجوية راجع الى ان الكهنة والحكام الذين مارسوا سلطاتهم الدينية والسياسية خلال الفترات التي سبقت الألف الثالث قبل الميلاد كانوا مسؤولين مسؤولية مباشرة عن توفير الغذاء لمجتمعاتهم ، ولذلك فان النقص الذي يحصل في كميات الغذاء ينعكس سلبا على الحكام وعلى مصيرهم ، وبذلك أصبحت حركات الكواكب والنجوم علامات دالة على مستقبل البلدان وحكامها.

والذي يؤكد اهتمام سكان المناطق الشمالية بحركة الكواكب والنجوم كثيرا مجموعة الرسائل التي بعثت الى البلاط الآشوري من كافة أرجاء الأمبراطورية الآشورية والتي تتعلق بتحديد بداية الشهر وتحديد اليوم الأول من الشهر وتثبيت موعد الشهر الكبيس وغيرها من الأمور المتعلقة بالأمور

١١- عندما يكون كوكب المشتري في برج الأسد والكوكب زحل في برج الدلو يمكن القول ان مطرا غزيرا ومياها عالية سوف تصب على البلدان ، وسوف تزيد القوة الشرائية وتقل الوفرة في الحبوب .

١٢- عندما يكون الكوكبان المشتري وزحل سوية أما من برج الدلو او في برج الأسد يمكن القول ان المطر سيسقط بغزارة والمياه ستكون عالية .

١٣- واذا استمر بقاء الكوكبين (اي المشتري وزحل) في موضعهما (اي أما في برج الدلو او في برج الأسد) لمدة طويلة وانخفض معها القمر، اوانكسفت معها الشمس ، فهذا يعني ان القحط سوف يحل وسوف تنصر البشرية كثيرا^(٣٠) .

هذا والمعلومات التي استخدمها الكهنة البابليون لأغراض التنجيم سرعان ماتطورت الى علم . والسبب في ذلك هو ان المعلومات التي استند عليها التنجيم البابلي هي معلومات دقيقة ونتيجة عن مراقبة دقيقة لحركة الكواكب والنجوم وعلاقة تلك الحركة بالتقلبات الجوية ، وليس لها اية صلة بالشعوذة أو الدجل ، وخير شاهد على تطور التنجيم الى علم الفلك تلك المعلومات التي عرضناها فيما تقدم والمعلومات التي قدمها لنا رقيم طيني محفوظ في المتحف البريطاني ويعود بتاريخه الى فترة حكم الملك البابلي "آمي صادق" ١٦٤٦ - ١٦٦٦ ق.م ، حيث تضمن هذا الرقيم على معلومات لها علاقة بظهور واختفاء كوكب الزهرة بشكل خاص ويظهر واختفاء كل الكواكب التي يمكن مشاهدتها من على الأرض . والفقرة الآتية مقتبسة من النص المذكور:

"اذا اختفى كوكب الزهرة في الشرق في اليوم الحادي عشر من الشهر الثاني وبقي بعيدا عن السماء لمدة شهرين وسبعة أيام ، وبعد ذلك ظهر الكوكب

او الزهرة في جهة الشرق ، ففي هذه السنة سوف يسقط المطر الكافي .

٢- اذا ظهر الكوكبان عطارد والزهرة سوية من جهة الغرب ، وكان ذلك في بداية موسم الحر ، فهذا يعني ان المطر لن يسقط .

٣- اذا ظهر في بداية موسم البرد الكوكب عطارد او الزهرة في جهة الشرق وكان ضوءه خافتا ، فهذا يعني مطرا قليلا وفيضانا ضئيلا .

٤- اذا ظهر الكوكب عطارد في بداية شهر كانون الثاني والسماء قد أمطرت ، فهذا يعني ان المطر سيستمر لثلاثة ايام وفي اليوم الثامن منه سيأتي مطر غزير .

٥- واذا ظهر الكوكب عطارد في اليوم الثاني من شهر كانون الثاني ، فسوف يسقط المطر في اليوم الرابع منه ، واذا ظهر في اليوم الخامس فان المطر سوف يسقط في اليوم السادس منه .

٦- واذا ظهر الكوكب عطارد في اليوم العاشر من شهر كانون الثاني فسوف يسقط المطر لمدة اربع ساعات في اليوم الخامس عشر منه .

٧- اذا ظهر الكوكب عطارد في اليوم العشرين فسوف يسقط المطر لمدة ثلاث ساعات يوميا وغزارة المطر وقلته يتوقفان على لمعان الكوكب وخفوت ضوءه .

٨- اذا ظهر الكوكب عطارد في بداية أحد أشهر الشتاء وصادف أن أمطرت السماء ، فهذا يعني ان المطر سوف يسقط في اليوم الثالث كذلك ، واذا حصل ذلك فعلا فسوف تمطر السماء في كل أربعة ايام .

٩- اذا ظهر الكوكب عطارد في اليوم العاشر من أحد أشهر الشتاء فنجد اليوم العاشر وليلة ثلاثة ايام وثلاث سوف يسقط المطر .

١٠- اذا سار الكوكب المشتري والكوكب زحل سوية فهذا يعني ان المطر يسقط بغزارة لمدة ثلاثة ايام .

العراق ويستخدم السكان فيه نظام الري في سقي
مزرعاتهم.

هذا من جهة ومن الجهة الأخرى يبدو واضحا
بأن الأبراج السماوية ماهي في حقيقتها الآ
الاحداثيات السماوية التي يستطيع النجومون
وعلماء الفلك ان يحددوا بموجبها مواضع الكواكب
والنجوم وامكان الظواهر الفلكية في القبة السماوية
بشكل دقيق ، وعليه فان وظيفتها في السماء لا تختلف
عن وظيفة خطوط الطول والعرض على الكرة
الأرضية .



الواقف على الكرة يمثل كوكب المريخ اله يوم الثلاثاء عند سكان الحضر.

في الغرب في اليوم التاسع عشر من الشهر العاشر،
فان الحصاد سوف يكون جيدا من الناحية
الاقتصادية“... علما ان معلومات هذا الرقيم قد
وضحت لنا أن ظهور واختفاء الزهرة لا يحدث
بصورة منتظمة خلال العام الواحد بل ينتظم
الظهور والاختفاء من حيث المكان كل ٥٦ سنة .
وهذه المعلومات الدقيقة لا يمكن ان تكون لأغراض
التنجيم ، بل هي لأغراض علم الفلك
الصرف^(٣١) .

وفي أدناه تقدم عددا من الفقرات الخاصة
بالتنجيم البابلي ليستطيع القارئ ان يفرق بين ماهو
لأغراض التنجيم وبين ماهو لأغراض علم الفلك :

١ - اذا حدث خسوف القمر في الشهر الحادي
عشر وفي اليوم الرابع عشر منه ، فان العدو
سوف يستولي على جزء من بوابة المدينة ،
والملك سوف يخرج مع مجموعة من جيشه ،
ولكنه سوف يندحر ، وبعد موت الملك فان
البلاد سوف تحقق بعض النجاح وسوف يحل
السلام .

٢ - اذا ظهرت الشمس في احدى ساعات
المساء فان ذلك يعني فناء نصف السكان .

٣ - اذا ظهرت الشمس في احدى ساعات
منتصف الليل فان ذلك يعني ان هناك
ثورة ترتب في البلاد ضد الملك .

٤ - اذا ظهرت الشمس في احدى الساعات
الليلية القريبة من الصباح فان ذلك يعني
ان تلك المدينة سوف يكون لها ملك
ثان ،،^(٣٢) .

وفي الختام وبناء على كل ماتقدم يبدو لنا الآن
واضحا أن علم الفلك البابلي يقف فعلا على قاعدة
من المعلومات التي توصل اليها سكان المناطق
الشمالية من قبل ان يسكن القسم الجنوبي من

The Assyrian Dictionary, k, Chicago, 1971, r. 571. (١٩)

Glass and glassmaking in ancient Mesopotamia. (٢٠)

New york, 1970, p. 32— 33.

D.O.Edzard, Wörterbuch der Mythologie, teile die
Mythologie der Sumerer und Akkader, 5.93. (٢١)

Glass Opeulim and glassmaking in ancient
Mesopotamia, New york, 1970, p. 34— 35. (٢٢)

The Assyrian dictionary, AII, Chicago, 1968, p.
431. (٢٣)

H.W.F.Saggs, The Might that was Assyria, Lon-
don, 1984. (٢٤)

٢٥) هاري سكاكز، عظمة بابل، ترجمة عامر سليمان، ص ٥٣٠.

٢٦) فيها يخلص فقرات القول الطيبة، فهي مأخوذة من المصدر
السابق، ص ٥٣١— ٥٣٩.

Kurt vogel, vorgriechische mathematik, Teil II,
Hannover, 1959, S. 14. (٢٧)

٢٨) طه باقر، مجلة سور، المجلد الثامن عشر لعام ١٩٦٢، ص ٥—
٢٠.

Bulletin, The Society for Mesopotamian Studies, 5 (٢٩)

May, 1983, r. 18.

٣٠) اتفاق عربية، السنة العاشرة، العدد الثاني، تشرين الأول

١٩٨٤، ص ١٠٩— ١١٢.

(٣١)

EricaReiner, bibliotheca Mesopotamica, The venus tablet

of Ammisaduq, 29— 64.

٣٢) مجوزي رشيد، علم الفلك وقياس الاوقات في العراق القديم،

اتفاق عربية السنة ١٠، العدد ٢، عام ١٩٨٤، ص ١١٠—

١١١.

H. Schmökel, das land Sumer. 2. AUFLAGE (١)

٢) طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، بغداد،
١٩٧٣، ج ١، ص ٥٢٩— ٥٣٠.

The Assyrian dictionary, (CAD), "G", r. 86. (٣)

٤) ادوارد كيتيرا، كيتيرا على الطين (= رقم الطين البالية تتحدث
اليوم)، ترجمه وعلق عليه محمود حسين الأمين، ص ١٨٨—
١٨٩.

٥) آفاق عربية، المصدر السابق، ص ٩٩، رقم ٣٩.

٦) هاري ساكر، لندن، ١٩٦٦، و ترجمة عامر سليمان، ص
١٠٩.

The Assyrian Dictionary "L" r. 194— 195. (٧)

٨) جواد علي، تاريخ العرب قبل الاسلام، المجلد الثامن، ص
٣٦٩.

٩) المصدر السابق، ص ٥٠٢— ٥٠٤.

Cameron, G. The Annals of Shalmaneser III, King
of Assyria Sumer (1950) p. 6— 26. (١٠)

Borger, R., Babylonisch— Assyrische leses-
tuecke, 1963, S. 73. (١١)

١٢) نفس المصدر السابق، ص ٨١— ٨٥.

١٣) جورج كوتيتنو، الحياة اليومية في بلاد آشور، ترجمة وتعليق.

سلم طه التكريتي ورومان عبد التكريتي، ١٩٧٩، ص
٢٦٠— ٢٦٧.

١٤) آفاق عربية، السنة العاشرة، العدد (١)، كانون ثان
١٩٨٥، ص ٩٢ (نظم الارواء في العراق القديم).

A. Moortgat: A., alt vorder asiatische malerei
Berlin, S. 14— 17. (١٥)

١٦) مارتن ليني، النحاس والبرنز في بلاد ما بين النهرين، مجلة النقط
والتنية، عدد خاص، السنة ٨٧، نيسان— مايس ١٩٨١،
ص ١٢٧.

Ander parrot, Sumer. pp. 158, 361. (١٧)

Oppenheim, L., glassmaking in ancient, (١٨)

فَرْعُ الْعِمَارَةِ

١. د. عادل نجم عبو

أُم في غيرها، ويمكن اجمال ابرز هذه العوامل بما
يأتي:

١- العامل الجغرافي، ويقصد به طبيعة التربة
 وأنواع الصخور المتوافرة، وتوفر الغابات من

٣٩٣

أولاً: المؤثرات الطبيعية والمواد الانشائية :

لدراسة الطرز المعمارية القديمة في منطقة الموصل
لابد من معرفة العوامل الأساسية التي تؤثر في
التشكيل المعماري سواء أكانت في منطقة الموصل

م/ ٥٠ موسوعة الموصل الحضارية

عدمه اذ تتحد الخصائص الطبيعية مع نمو المدينة القديمة وتخطيطها^(١).

٢- عامل المناخ من حرارة ورطوبة ورياح ... الخ.

٣- التقاليد المتوارثة.

٤- الابداع والابتكار.

٥- التأثيرات الوافدة على المنطقة.

ويضيف البعض عوامل أخرى مثل العوامل الاجتماعية والدينية^(٢)، في حين ادخلنا هذه العوامل ضمن عوامل الابداع والابتكار. ويتفاوت مدى تأثير كل من هذه العوامل من منطقة لأخرى، فقد يكون للعامل الجغرافي تأثيره الأعم في منطقة في حين يكون للتأثيرات الوافدة الدور الأكبر في منطقة أخرى.

وللحكم على مدى اصابة أي طراز معماري لابدح البحث أولاً عن مدى تأثير كل من العوامل المذكورة آنفاً.

كان العامل الجغرافي واضحاً على العمارة في منطقة الموصل منذ نشوئها في العصر الحجري الحديث، إضافة الى العوامل الأخرى مثل عامل المناخ والابداع والابتكار وغيرها.

لقد جرت مناقشات عن أقدم المواد المستخدمة في العمارة، فهي الخشب أم الحجر، وكانت هذه الناحية على درجة كبيرة من الأهمية، اذ انها تعد التنوع بالأشكال المعمارية تبعاً للمواد المستعملة^(٣)، ونرى أن توافر المواد هو الذي حدد أول استعمال لها، ولا يمكن تحديد مادة معينة كمادة أولى، فان استخدمت الأخشاب في إيطاليا مثلاً فقد استخدمت الحجارة في مراكز أخرى. فاستخدمت الأخشاب في المناطق التي تتوفر فيها الغابات، واستخدم الطوف في منطقة الموصل في عصرى حسونة وحلف وعن الطوف تطور ابتكار اللبن في عصر العبيد والذي أصبح المادة الاساسية المستخدمة في المنطقة طيلة الفترات الحضارية،

ومازال يستخدم حتى الوقت الحاضر. ومع ذلك فقد تميزت كل فترة بأسلوب معين من أساليب استخدام اللبن تبعاً للحاجة التي أملتها الظروف^(٤). فحين أدرك الإنسان خصائص اللبن كمادة متوافرة وعازلة شكل مبانيه بها كمادة أساسية مع استخدام مواد ثانوية أخرى بالنسبة لها، وخاصة في فترات التاريخ الآشوري، فقد استخدم في تشييد المعابد والقصور بمجران ذات سمك يتجاوز المترين أحياناً، وكانت الغاية من المبالغة في السمك هو العزل والتعويض عن ضعف اللبن. كما استخدم اللبن في بناء أجزاء صلبة تماماً كبناء الزقورات والمصاطب التي تشييد عليها القصور والمعابد في العواصم الآشورية والتي يصل ارتفاعها الى خمسة عشر متراً^(٥)، واستخدم الطين مادة رابطة "مونة"، كما استخدمت قطع الحصى لربط كافة أجزاء الجدار عند كل عدد معين من صفوف اللبن.

ويؤثر العامل الجغرافي من ناحية أخرى على قدرة استخدام الآجر اذ أن قلّة الوقود اللازم لفخار اللبن من أخشاب وغيرها أدت الى التقدير في استخدام الآجر. كما ان قلّة الأخشاب هذه ربما أثرت هي الأخرى على ابتكار مايعوض عنها، فكانت العقود والقنوات من أهم وسائل تغطية الفراغات سواء أكانت ضيقة أم واسعة وتطور عن هذا تقنيات خاصة في البناء كما سنرى.

مع ذلك لم يكن هناك ندرة او شحة في استخدام الآجر، فقد استخدم حيناً كانت هناك حاجة اليه او حيناً كان الآجر أسهل في استخدامه من غيره، حيث استخدم في واجهات بعض المباني، واستخدم في واجهات بعض القنوات او في تشييد القنوات برمتها^(٦)، وكذلك في انشاء مجاري تصريف المياه^(٧) والآبار، بل وطور انسان منطقة الموصل صناعة الآجر فكان أول من ابتكر التزجيج على الآجر ليكون من خلال تراكب قطع الآجر لوحة فنية مترابطة أعد لها سلفاً.

ولمعالجة المنحنيات سواء في العقود والقنوات أو الآبار فقد أعدّ آجر بأحجام وأشكال تناسب وفتحة العقد أو القيو أو البئر، إذ كان الآجر المستخدم في الآبار مثلاً بشكل شبه منحرف يرصفه الى جانب بعضه بشكل دائرة ذات قطر معين. وبذلك يتخلص المعمار من الفواصل غير المنتظمة بين قطع الآجر وأمكنه تشييد البئر ثم العقد والبئر باستخدام الطين فقط كمونة للبناء^(٨).

وفضلاً عن الآجر استخدمت الحجارة مادة ثانوية الى جانب اللبن، حيث استخدم حجر الكلس "الحلان" بشكل قطع طبيعية في بناء أسس القرى الزراعية الاولى في العصر الحجري الحديث والعصر الحجري المعدني، حيث استخدمت لبناء الأسس في عصر حسونة^(٩) وما زال هذا النمط من البناء يستخدم في منطقة الموصل مع الجص والاسمنت.

اما في العصر الآشوري فقد استخدم نوعان من الحجارة المتوافرة في المنطقة، الحجر الكلسي "الحلان" والرخام، وهو نوع آخر من الحجر الكلسي، وكما جاء في لسان العرب، هو حجر ابيض سهل رخو^(١٠) ويتفق هذا الوصف مع استخدام الآشوريين له، إذ استخدم في الأجزاء البعيدة عن تأثيرات المياه والشمس لتلافي العيب الذي يظهر في هذا النوع من الحجارة^(١١). إذ نلاحظ استخداماً شاملاً لهذا النوع من الحجارة في تأطير الأجزاء السفلى من الجدران الداخلية وفي عمل المنحوتات الجدارية. واستمر استخدام هذا النوع حتى الوقت الحاضر لنفس الأغراض التي استخدمت في العصر الآشوري.

وكان الرخام يجلب عادة من المقالع القريبة من نينوى مثل بلط أو بلاطو، أو بلد أو من المقالع الأقرب الموجودة حالياً في مدينة الموصل

نفسها^(١٢)، وإن استخدام الآشوريين للحلان والرخام في مواضعها يشير الى ادراك الآشوريين لخصائص هذه المواد. كذلك استخدم الرخام في عمل التماثيل وخاصة التيران المجنحة الحارسة لبوابات المدن والقصور الآشورية.

أما الحجر الكلسي الأبيض "الحلان" الذي يكثر في المنطقة ايضاً^(١٣)، فقد استخدم في تغليف الأجزاء الخارجية من القصور والمعابد والأسوار لمقاومته لعوامل المناخ، فاستخدم في تأطير الأجزاء السفلى من الجدران الخارجية بشكل ألواح على غرار الألواح الرخامية، وفي تنفيذ الأعمال الفنية مثل التيران المجنحة وتماثيل الملوك والآلهة وفي تليط الأرضيات واستخدمت في تغليف الأجزاء الخارجية من سور نينوى. وكان لبناء هذا النوع من الحجارة تقنيات خاصة تميزت بها العمارة الآشورية.

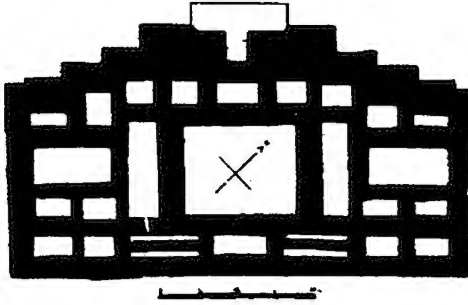
استخدم الطين مادة للشد بين قطع الحجارة وفي حشو الأجزاء الخلفية الى جانب الحجارة غير المهندمة. اما حين يكون البناء عرضة لسيول المياه مثل قطرة جروانة التي تشكل جزءاً من مشروع ري سنحاريب فقد استخدم القير بكثرة بين فواصل كتل الحجارة المهندمة ولتغطيتها.

الى جانب هذه الأغراض الانشائية استخدمت الحجارة لرصف الطرق الخارجية إذ وجدت بقايا طريق مرصوف بين بوابة نرجال الآشورية ومدينة تريبص^(١٤) "شريف خان" ولعل مثل هذه الطرق كانت منتشرة في أجزاء أخرى من الامبراطورية الآشورية خاصة اذا علمنا أن أحد الطرق المؤدية الى آسيا الصغرى تميز باسمه "الطريق الملكي" وبذلك يكون الآشوريون قد سبقوا غيرهم بالاهتمام برصف الطرق الخارجية أمثال الرومان.

ثانياً : الطرز المعمارية :

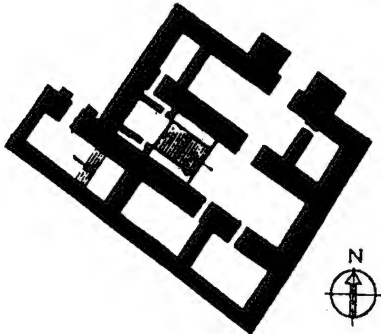
أ- المعابد والزقورات :

متميزة رغم احتفاظها بالأطوار العام لمقومات حضارة وادي الرافدين من ديانة وفنون ونظم حكم^(١٧) وغيرها، كما بدأت هذه الخصائص تؤثر في العمائر الدينية في الجنوب^(١٨).



(الشكل ٢) مخطط معبد سن - شمس في آشور.

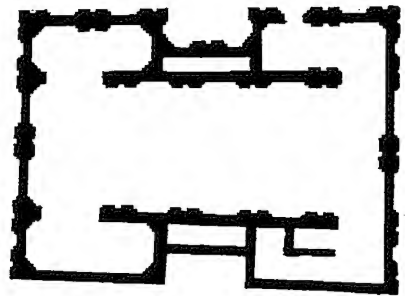
ففي عصر شمشي ادد الآشوري في القرن الثامن عشر قبل الميلاد توسعت الدولة الآشورية وتعدت نطاق حدودها القديمة فشملت مارى وأرض الجزيرة الفراتية وتأسست أول امبراطورية شملت معظم شمال العراق^(١٩)، وقد صاحب ذلك ظهور خصائص متميزة في العمارة في بلاد آشور، فقد شيد شمشي ادد الكثير من المباني في مدينة آشور مثل معبد الآلهة عشتار والاله آشور^(٢٠).



(الشكل ٣) مخطط معبد عشتار في آشور.

وكشف عن أدلة توحى بوجود تحول كامل في الفن والعمارة الآشورية خلال تلك الفترة مثل معبد

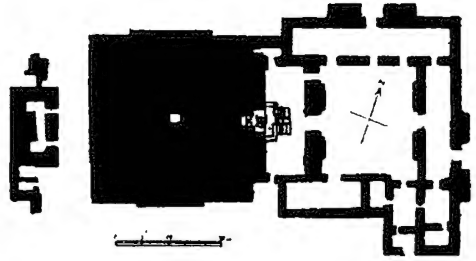
ظهرت اولى المعابد في المنطقة خلال عصر العبيد، شأنها في ذلك شأن جنوب العراق، وقد سارت المعابد منذ تلك الفترة في الشمال والجنوب جنباً الى جنب يكمل بعضها بعضاً في مجال التطور المعماري، اذ يمثل معبد الطبقة الثالثة عشرة في تبة كورا، شمال الموصل، اقدم هذه المعابد، ومع ذلك فان هذا المعبد يشكل في تخطيطه وعناصره المعمارية الأساس الذي نلاحظه في معابد العصور اللاحقة مثل توجه زواياه نحو الجهات الرئيسية، والطلعات والدخلات والارتفاع من مستوى المباني المجاورة وباحتوائه على المذبح ودكة القرايين^(٢١) (الشكل ١).



(الشكل ١) مخطط الطبقة الثالثة عشر في تبة كورا.

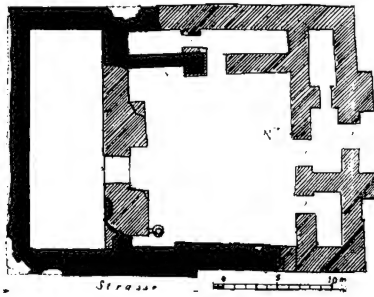
أما خلال العصور التاريخية التالية فيبدو أن العمارة في المنطقة قد تأثرت الى حد بعيد بالتطورات المعمارية في الجنوب مادامت خاضعة له سياسياً، وخاصة في العصر الأكدي وعصر سلالة أور الثالثة، فالفن الآشوري مثلاً اعتمد على الفن البابلي القديم^(٢٢). وبدأت خلال النصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد تتبلور خصائص معمارية

ما زالت التأثيرات البابلية واضحة في بعض مباني
توكلي- نينورتا سيما في معبد الآله آشور الذي
شيدته لصق الزقورة في كار توكلي نينورتا (تلول
العقر) عبر نهر دجلة مقابل آشور^(٢٥) (الشكل
٤).



(الشكل ٤) مخطط معبد آشور في كار توكلي نينورتا.

ونتيجة للأوضاع السياسية المضطربة في الفترة بين
القرنين الثاني عشر والتاسع ق. م ضعفت فيما يبدو
النشاطات المعمارية ، إلا أن هناك بعض الشواهد
على استمرار الآشوريين في بناء المعابد من هذا الطراز
خلال الفترة المضطربة هذه مثل بنائهم لمعبد آتو- ادد
في مدينة آشور الذي شُيّد من قبل تكلات بلاصر
الأول وأباه من قبله خلال القرن الثاني عشر قبل
الميلاد^(٢٦) والذي يتكون من معبدتين متميزتين وضعا
جنباً إلى جنب بين زقورتين مربعتين (الشكل ٥) ،
وهناك خلوة ضيقة عميقة في جميع المعابد الآشورية.



(الشكل ٥) مخطط معبد آتو- آدد في آشور.

ومن الواضح أن الكثير من تجارب تركيب
الوحدات المعمارية قد ظهرت في هذا العصر، ومن
المحتمل جداً أن الاختلاف بين العمارة الآشورية والبابلية
يرجع إلى الابتكار المتعمد من قبل الآشوريين^(٢٧).

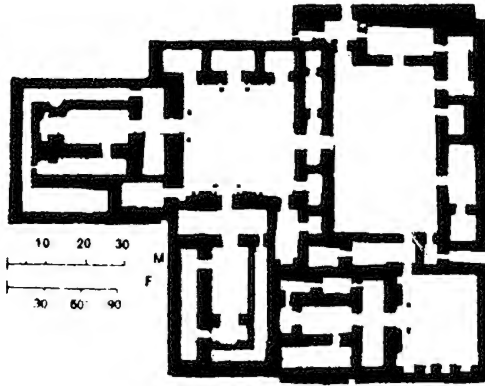
وشهد العصر الآشوري الحديث تطوراً كبيراً في بناء
المعابد، وقد كشف أعداد كبيرة من بقايا تلك

سن- شمش في آشور الذي يعزى بناؤه إلى الملك
آشور نيراري الأول (١٥١٦ - ١٤٩١ ق. م)
الذي يمثل لأول مرة صفات آشورية خاصة وهو
يعد أول نموذج للمعبد الخاص بالآشوريين^(٢٨)
(الشكل ٢).

ويرى البعض أن الخصائص المتميزة للعمارة
الآشورية ظهرت في القرن الرابع عشر قبل الميلاد
ليس فقط في الأسلوب بل والموضوع أيضاً^(٢٩).
فقد شكلت المواضيع الدينية بتأثير من الواقعية
بحيث لم يكن هناك من عنصر بدون فائدة. وتعوض
تصاميم المباني الدينية تشكيلات صارمة لاتسمح
للشعر بمقاومة الآلهة وجهاً لوجه بل يمارس الطقوس
الدينية أمام تماثيلها، وقد انعكست المفاهيم الدينية
للآشوريين في بقية معابدهم ونصبهم الدينية منذ
ذلك العصر^(٣٠).

ونلاحظ في هذا العصر إعادة بناء معبد عشتار
من قبل توكلي- نينورتا الأول (١٢٥٠ - ١٢١٢
ق. م) والذي يرجع بالأصل إلى عصر فجر
السلالات، على نفس الأسس القديمة، ولكن
مع التغييرات الممكنة ليتلاءم مع المعتقد الآشوري
حيث أضيفت دكة الآله ولكن بشكل مختلف إذ
أصبحت أعلى في مستواها مما كانت عليه في الجنوب
أو في مراحلها الأولى في آشور، فوضعت الدكة
ضمن دخلة عميقة أشبه ماتكون بفرقة قائمة بذاتها
يصعد إليها بسلم مدرج وهي إحدى خصائص
المعبد الآشوري^(٣١) (الشكل ٣). مع ذلك

وقوينجى ، وتبدو الفكرة أكثر وضوحاً في دور شروكين ، فقد اقيمت ضمن باحة القصور. او القلعة المشيدة على مصطبة ترتفع بمقدار ثلاثة أمتار عن سبعة معابد تجاورها ، ستة منها جمعت في بناء واحد هي معابد الآلهة سن وأدد وآيا وشمش وننجال ونورتا^(٣١) الشكل (٧). وهناك معبد آخر هو معبد الآلهة نابو الذي يمثل في تخطيطه تخطيط معابد القصور. ان تفريد الآلهة نابو ببناء خاص متميز عن بقية معابد الآلهة الأخرى يعبر عن أن المدينة هي مقر إقامته ، والمعروف أن نابو هو ابن الآلهة مردوخ ، اله مدينة بابل ، مما يعكس تعاطف سرجون مع بابل^(٣٢) . هذا وقد تميزت المصطبة التي شيدت عليها القصور والمعابد في دور شروكين بارتفاعها عن الأرض المجاورة وتبليطها بالآجر والقير وتزيين جدرانها الخارجية بالطلعات والدخلات المشيدة باللبن والمكسوة بطبقة بيضاء ، واستخدمت مخاريط الفخار بشكل صفوف أفقية .



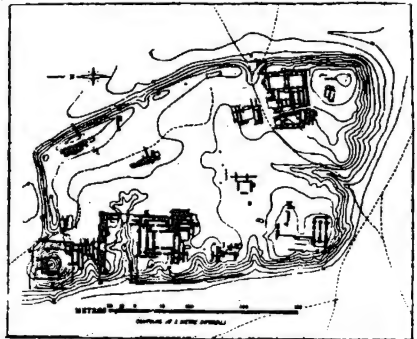
(الشكل ٧) مخطط معابد دور شروكين.

ولربما انعكست المفاهيم الدينية للآشوريين على الزقورات ايضاً ، فاختلقت بعض الشيء عن زقورات بابل نتيجة اتساع الهوة بين الآلهة والبشر ، فكان للزقورات فهم خاص لدى الآشوريين مادامت ترتفع فوق مستوى عالم البشر. وكانت الزقورة ترتبط عادة بعدد من المعابد الآشورية .

المعابد ، لاسيما في آشور^(٣٨) ، كما شهد العصر الآشوري الحديث تغييراً مستمراً في العواصم السياسية من آشور الى كال في القرن التاسع ق. م ثم الى نينوى واستحداث دور شروكين وهجرانها والعودة الى كلخو ونينوى ، ونتج عن ذلك حركة عمرانية كبيرة جداً تتناسب والعظمة العسكرية والسياسية التي تلقها بلاد آشور آنذاك .

اقترن بناء المعابد في هذه الفترة مع بناء القصور الملكية التي شيدت على مصاطب صناعية من اللبن ، خاصة في كلخو ونينوى ودور شروكين ، بل وكانت جزءاً منها أحياناً . إذ ان الواجبات الدينية للملك الآشوري اختلفت عن سابقيه إذ مارس واجباته كوسيط بين المجتمع والآلهة^(٣٩) ولا يعني هذا عدم وجود المعابد في مناطق أخرى من المدينة ، ففي دور شروكين مثلاً عثر على معبد سيبتي « الآلهة السبعة » في المنطقة المخصصة لدور السكن .

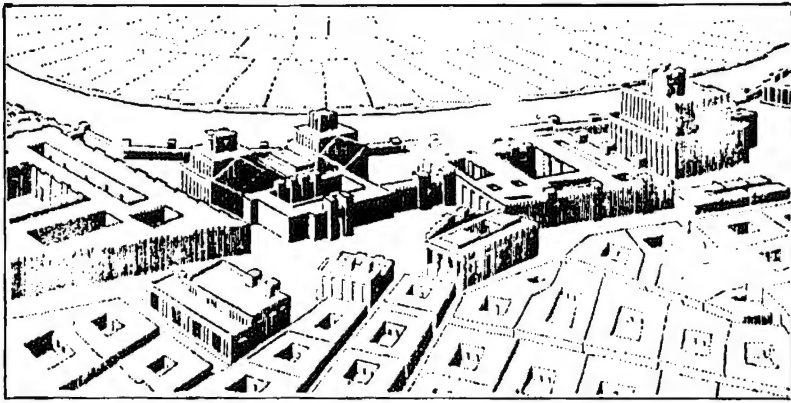
ففي قلعة كلخو (الشكل ٦) نلاحظ الزقورة والمعبد السفلي ، معبد نورتا ، ومعبد نابو في الجانب الجنوبي الشرقي من القلعة^(٤٠) ، ومثل هذه المعابد نلاحظها في التلبن الرئيسيين في نينوى ، في تل النبي يونس



(الشكل ٦) مخطط قلعة كلخو.

عن ابراج معابد اوزقورات جنوب العراق ، فقد عثر على ثلاث طبقات وجزء من الطبقة الرابعة ، ارتفاع كلي من هذه الطبقات ٥,٤٠ م تربتها الدخلات المتداخلة شأنها في ذلك شأن المباني الدينية الأخرى ولوّنت كل طبقة بلون فكانت الاولى بيضاء والثانية سوداء والثالثة حمراء والرابعة بيضاء ، وربما كانت بالأصل زرقاء ، فتغير لونها نتيجة تعرضها للتأثيرات المناخية ، ذلك لأن وصف هيرودوتس لألوان برج

لم تعد الزقورات الآشورية تحتوي الاعداد الكثيرة من السلام لتسهيل عملية الصعود اليها بل حورت لتجعل عملية الصعود اكثر صعوبة (٣٣) ، ويبدو ان الزقورة اصبحت مألوقة في المدن الآشورية الكبرى فكانت هناك ثلاث زقورات في مدينة آشور وأخرى في كار توكلتي نورتا (٣٤) (الشكل ٨) هذا وما زالت بقايا احدى زقورات آشور باقية بشكل واضح حتى الآن.



(الشكل ٨) منظر لمدينة آشور.

بابل ينطبق مع الألوان الثلاثة الأولى ويجعل من الرابعة زرقاء . ولا يعرف بالضبط ان كانت هناك سبع طبقات كما هو مقترح ، فان كان الأمر كذلك ستكون قياسات الطبقة الأخيرة ١٥ × ١٥ م وبذلك سيكون المعبد صغيراً جداً ، ومن أجل ان يجعل أصحاب الرأي القائل بوجود سبع طبقات في الزقورة اعتياداً على ما أورده سترابون عن برج بابل لجعل الارتفاع مساوياً لطول القاعدة . إلا ان ما يميز زقورة دور شروكين عن غيرها هو الاتصال المستمر بين الطبقات بوجود الممر الحارثي الذي كان يعرض ١,٨٠ م والذي كان يحاذي جدار متوج بالشرفات (الشكل ٩) وهذا معناه عدم وجود طبقات مفتوحة ، بل طبقات محددة ، تحدها نسبة الارتفاع لهذا المدرج (٣٦) .

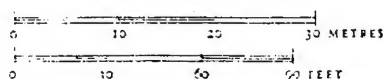
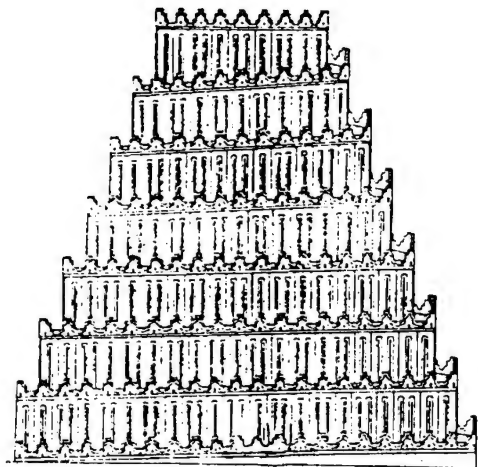
وهناك ايضا زقورة في كلخو لازالت انقاضها قائمة مع أسسها او اجزاؤها السفلى المعلقة بحجر الحلان . ويبدو ان الزقورة لم تكن تقتصر على المدن الكبرى او العواصم بل ظهرت حتى في المدن الصغيرة كالتي عثر عليها في تل رماح من منتصف الألف الثاني قبل الميلاد (٣٥) .

وتمثل زقورة خرصباد "دور شروكين" خطوة متطورة وفريدة في مجال بناء الزقورات . إذ تقوم زقورة دور شروكين وراء المعابد الستة التي ذكرناها سابقا بحيث يمكن أن تتصل بجميعها ، وليس هناك ما يشير الى ارتباطها بمعبد معين دون آخر.

حين كشف عن بقايا الزقورة في القرن التاسع عشر أوضحت تلك البقايا خصائص تختلف كليا

نلاحظ في الحضر تمييزاً للمعابد عن القصور،
ففي الوقت الذي اجتمعت المعابد مع القصور في
باحة واحدة في العصر الآشوري نلاحظ أن المعابد
فقط هي التي انفردت بالساحة المركزية في
الحضر^(٣٨) في حين أن هناك اشارات الى احتمال
وجود القصور الملكية خارج هذه الساحة^(٣٩).

ونلاحظ في معابد الحضر الصغيرة اختلافاً او
تطوراً كبيراً جداً عن المعابد العراقية القديمة رغم
احتفاظها ببعض العناصر القديمة مثل وجود دكة
الاله في المعابد الكبيرة في القاعة المركزية. ونلاحظ
توصلاً أقوى في المعابد الصغيرة المنتشرة في الأحياء
السكنية من المدينة، إذ مازالت تحتوي على القاعة
ودكة القرايين وغرفة الاله، تلك الغرفة التي تطورت
عن توسيع الدخلة في العصر الآشوري (الشكل
١٠).



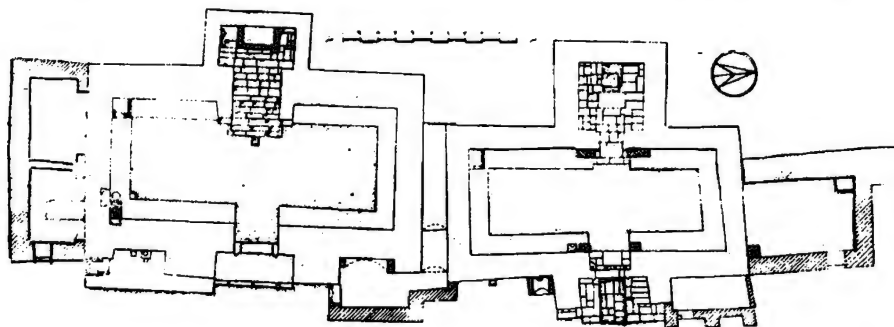
(الشكل ٩) تخطيط لزقورة دور شروكين.

ان هذا التطور او بالأحرى التغيير في بناء المعابد
ناتج عن تعرض المنطقة لتيارات سياسية ودينية
مختلفة من الشرق والغرب مع ذلك فقد احتفظت
المنطقة بالكثير من تقاليدها المحلية العربية القديمة
الى جانب التقاليد الدينية^(٤٠).

اما الفترة التي تلت هذه الفترة وهي فترة
تغلغل الديانة المسيحية الى العراق والشرق عامة فان
لدينا منها الكثير من الكنائس، إلا أن معظمها قد

ان هذا النمط من الزقورات ابتكار عراقي في
المنطقة وكان له تأثيراته فيما بعد على العمارة
الاسلامية في المآذن الملوية^(٣٧).

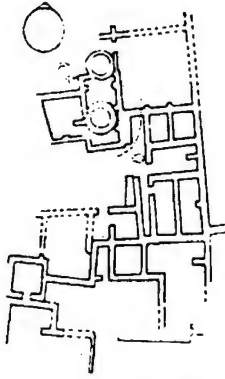
واذا انتقلنا الى ما بعد العصر الآشوري لن نجد
سوى معابد عصر السيطرة الفريثية المتمثلة بمعابد
آشور والحضر باستثناء معبد صغير كشف في سفح
تل النبي يونس عام ١٩٥٤.



المعبد الثالث

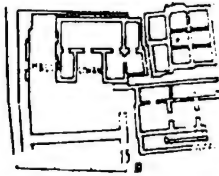
المعبد الرابع

(الشكل ١٠) مخطط لآحاد المعابد الصغيرة في الحضر.



مخطط لدار سكن في حسونة A

عصر الوركاء في الطبقة الثامنة عن دار سكن تضم نفس العناصر المعمارية التي وجدناها في حسونة مع اضافة غرفة مفتوحة على الفناء بكامل عرضها مغطاة بقبو من اللبن^(٤١)، وبهذا تشكل هذه الغرفة على الأرجح بدايات عنصر الايوان الذي انتشر استخدامه في فترة السيطرة الفرتية كما يشكل ايضا بداية تصميم الدار المتناظرة حول ايوان مركزي^(٤٢) (الشكل ١١ - B) وفي الطبقة الحادية



مخطط لدار سكن في تبة كورا B

عشر في تبة كورا كشف عن بناء غريب لدار سكن يمثل ابتكاراً لم يكتب له أن يتطور ويحتوي على عدد من الغرف المشيدة بمجران متعامدة ومحيط بها جميعاً سور دائري بمدخل واحد^(٤٣) (الشكل ١١ - C).

وحصل تطور واضح لدار السكن في مطلع الألف الثاني قبل الميلاد في الدار المكتشفة في آشور وهي تحتوي على فناء يؤدي إلى مجاز بنفس عرض

تناولتها يد التجديد والتعمير المستمرين بحيث ابتعدت عن أصولها الأولى. ومع ذلك لدينا كنيسة احتفظنا بمعظم عناصرها الأصلية هما كنيسة مار سرجيوس^(٤٤) الكائنة في قرية قصر سريج قرب حكنه وكنيسة أخرى كشفت مؤخرًا من قبل البعثة الآثارية للجامعة الموصل بالاشتراك مع جامعة كليرمونت فيران الفرنسية في قرية مصيفه قرب زمار^(٤٥). تؤرخ الأولى من القرن السادس الميلادي والثانية من بداية القرن السابع الميلادي.

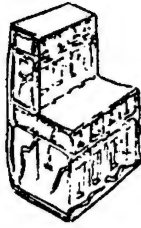
ان هاتين الكنيستين اللتين شيدتا على الطراز المعروف بالطراز البازيليكي تعطيانا فكرة واضحة عن دور منطقة الموصل في تطوير هذا الطراز المعماري.

ب- دور السكن والقصور:

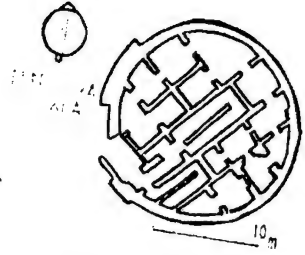
لعل أقدم دور السكن المكتشفة في منطقة الموصل هي تلك التي كشف عنها في المستوطنات الزراعية الأولى مثل حسونة والأرجية وتبة كورا، ومغزلية، وبارم تبة، ففي هذه المستوطنات وضعت الأسس الأولى للبيت العراقي القديم والتي لم تتغير "في مجال الريف" حتى الوقت الحاضر، مادام هناك استقرار في المناخ واستخدام واحد للمواد البناء رغم التطور من استخدام الطوف إلى اللبن.

والفكرة الأساسية من هذا البناء هو فناء مكشوف تنتظم حوله أو حول بعض جوانبه حجرات ووحدات السكن. فتل هذه الدور وجدت في تل حسونة في الألف السادس قبل الميلاد^(٤٦)، ومن المدهش أن نلاحظ في دور السكن الأولى هذه اهتماماً خاصاً ببعض الأمور الصحية مثل مجاري المياه التي استخدمت الحجارة في تشييدها (الشكل ١١ - A).

وحصل تطور في بناء دور السكن، رغم الاحتفاظ بالأسس العامة، بين عصر حسونة وبداية العصر الآشوري. فكشف في تبة كورا من



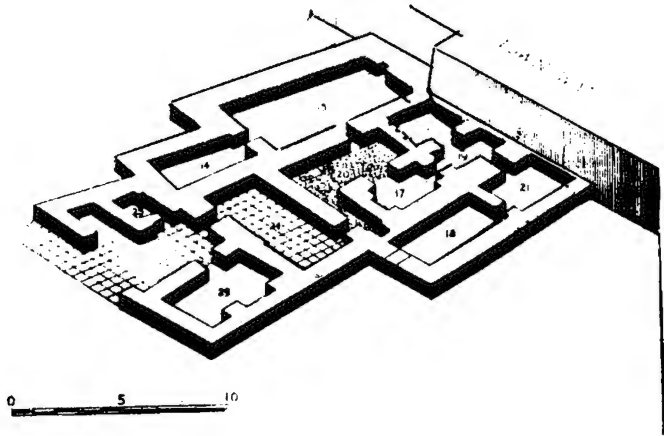
نموذج لدار سكن من آشور D



مخطط لبناء من تيه كورا C

ومن الطرز المعمارية الخاصة بدور السكن الطراز المعروف بيت خيلاني الذي نشأ حسب ماتذكره بعض المصادر في شمال سوريا من العصر الحوري الميتاني منذ أواسط الألف الثاني قبل الميلاد^(٤٩). وهو طراز يتميز بمدخل تتقدمه سقيفة محمولة على أعمدة. وظهر هذا الطراز في بعض مواقع المنطقة

الفناء يؤدي بدوره الى فناء داخلي تنتظم حوله غرف الدار ومرافقها وتتميزت هذه الدار بسعتها غير الاعتيادية اذ تشغل مساحة قدرها ٤٩ × ٢٠ م محاطة بجدران مطلية بالجيس وفرشت ارضيتها بالآجر، واستخدمت فيها مجارى المياه من الحمام والفناء لتجرى بها الى الشارع^(٤٧).



(الشكل ١٢) مخطط لدار سكن في كلخو

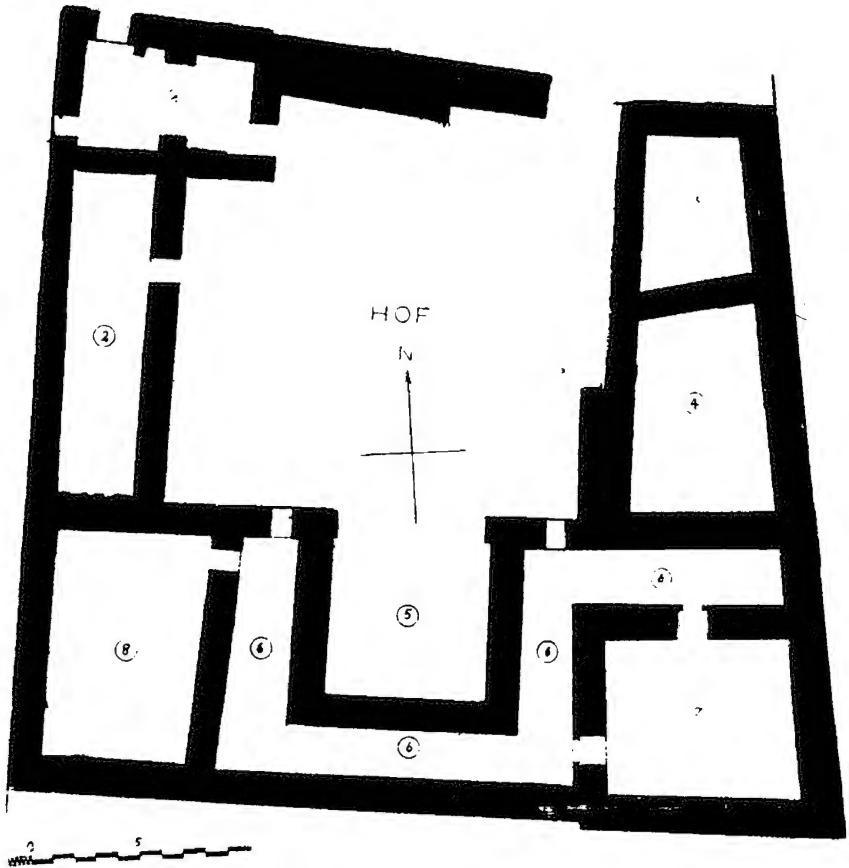
مثل نينوى وتل رماح وظهر بشكل جزئي في قصر سرجون في دور شروكين^(٥٠). هذا وقد عثرت البعثة الألمانية في آشور على عدد من دور السكن الخاصة كما عثر على دور سكن آشورية أخرى في شيبانيا (تل بلا) قرب

والى جانب المخططات الأرضية التي وصلت من هذه الفترة هناك اعداد كبيرة من نماذج فخارية لدور سكن كشف عنها في آشور توضح الأشكال العامة للدور^(٤٨) (الشكل ١١ - D).

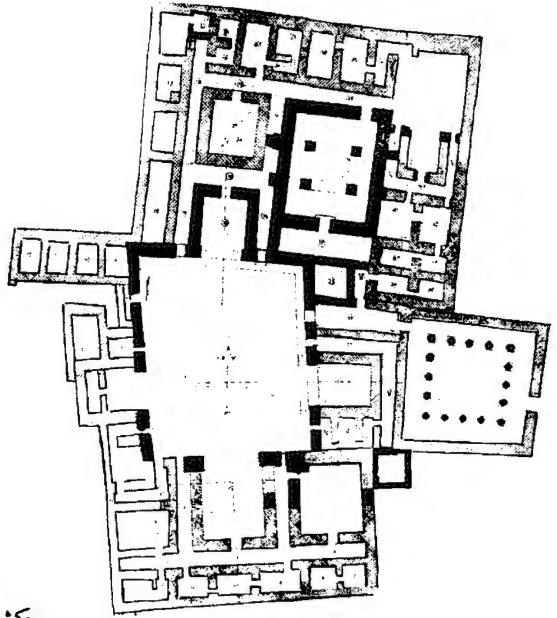
يرجع الى تاجر وهو أكبر الدور اذ يحتوي على اثني عشر غرفة^(٩١) (الشكل ١٢).

ويبدو ان لكل من هذه الدور الستة فناء في الجانب الغربي لممر الشارع من ذلك الجانب (الشكل ٦) فدار السكن المذكورة آنفاً يدخل اليها من جانبها الغربي اذ يؤدي المدخل الى ساحة مبلطة بالآجر تؤدي الى قاعة الاستقبال وبقية الوحدات ، وربما احتوت الدار بالأصل طابقاً ثانياً خصص للنساء^(٩٢).

الموصل. كما عثر في كلخو على دور سكن ذات اهمية خاصة حيث كانت قريبة من القصر الشمالي الغربي ضمن القلعة الخاصة بالقصور والمعابد مما يعني أنها شيدت لأناس متميزين تختلف مبانيهم عن المباني الأخرى خارج القلعة. كشف عن ست دور للسكن تقع في الجانب الشمالي الشرقي من القلعة وتلتصق بسور القلعة الذي يبلغ سمكه حوالي ٣٥ متراً وأن قربها من القصر يشير الى أنها مخصصة لأناس مقربين للبلاط وتشير الأدلة الى أن احد هذه الدور



مخطط لحدى دور السكن في اشور



الشكل ١٣) مخطط للقصر القرني في آشور.

وكشف من نفس الفترة في الحضر عن مجموعة من دور السكن لها نفس الخصائص التي شاهدها في آشور من دار السكن المعروفة ببيت معنوالذي يتكون قسمه المركزي من فناء واسع مربع وعلى جانبي الفناء الشمالي والجنوبي ايوانان متقابلان وعلى الجانب الغربي رواق ذي خمس فتحات^(٥٥) مع وجود وحدات السكن الأخرى فيما وراء هذه الوحدات (الشكل ١٥).

وكشف خلال التنقيب عن المعبد الثاني في الحضر، خارج حارة المعابد، عن جزء من دار سكن يعتقد أنها جزء من دار سكن لسنطروق الثاني او لزوجته^(٥٦) تضم بعض العناصر المذكورة آنفاً كالاايوان والأفنية والغرف.

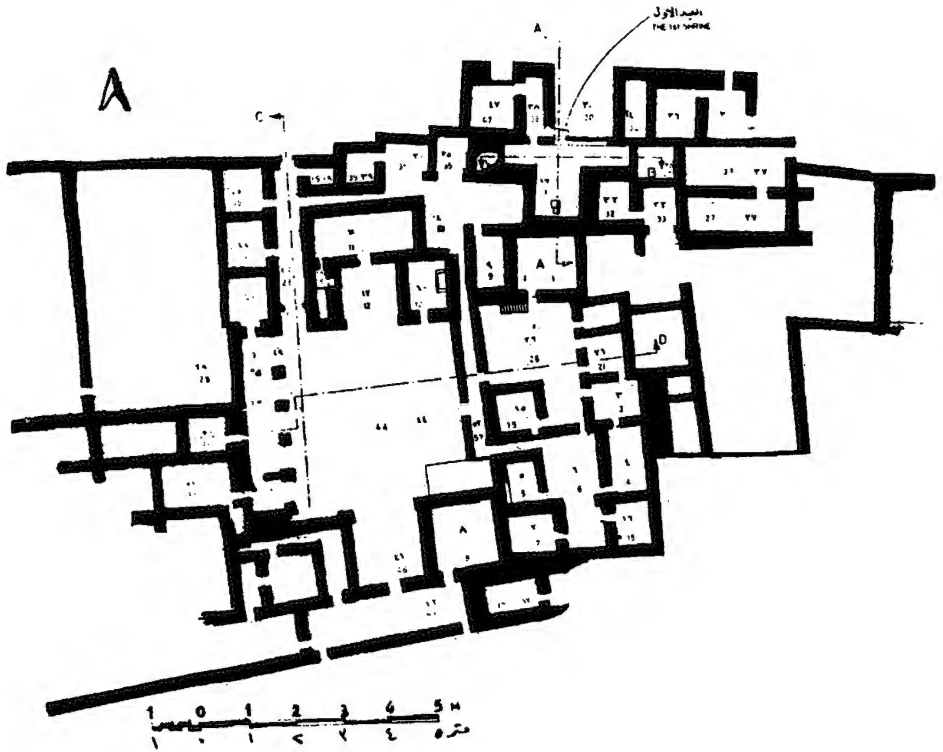
وتوضح دور السكن المكتشفة حول المعبد الحادي عشر في الحضر مجموعة من دور السكن يحتوي كل منها على فناء مركزي لبعضها او اوين تفتح على الفناء وللبعض الآخر مجموعة تنتظم حوله^(٥٧) (الشكل ١٦) ولنا في الصفحات التالية حديث عن الايوان والعناصر المعمارية الأخرى.

وان كانت معلوماتنا عن دور السكن في العصر الآشوري محدودة، لقلة التنقيبات في الاحياء السكنية من العواصم الآشورية فان لدينا معلومات لا بأس بها عن هذا الجانب من عهد السيطرة القرنية من خلال ماكشف في الحضر وآشور. فالقصر القرني المكتشف في آشور^(٥٣) يحدد أسس وجذور الكثير من العناصر المعمارية التي تطورت منذ ذلك الحين ووصلت ذروة تطورها في العصر الاسلامي مثل التخطيط المتقاطع على هيئة الصليب والايوان الذي شاع استخدامه في المدارس (الشكل ١٣). ويبدو أن الايوان اصبح العنصر الشائع في دور السكن الخاصة حيث كشف في آشور ايضا عن دار سكن كبيرة تحتوي على فناء السكن بالأسس القديمة ! الفناء والغرف المحيطة به مع اضافة الايوان في هذه الفترة او في فترة سابقة.

مركزي تنتظم حوله الغرف ويشغل جانبه الجنوبي ايوان^(٥٤) (الشكل ١٤) وهذا يعني احتفاظ دار

معظم القصور الآشورية التي وصلتنا الى الفترات المتأخرة من العصر الآشوري ، ولعل أقدم هذه القصور هو القصر الذي شيده أدد نيرارى الأول في آشور في بداية القرن الثالث عشر (٥٨) والذي تضم بقاياه مجموعتين من الغرف والقاعات تنتظم كل منها حول فناء ، الاولى خارجية تعرف «بابانو» والثانية داخلية تعرف «بيتانو». وقد وضع في هذا

اما القصور فانها تختلف عن دور السكن الخاصة بسعتها وتعدد وحداتها والتي كانت في العادة تشيد لسكنى الملوك والحكام وذلك لاستخدامه في النواحي السكنية والادارية ، وقد تركزت تنقيبات البعثات الأجنبية في القرن الماضي في قصور نينوى وكلخودور شروكين وآشور. وتم العثور على عدد كبير من هذه القصور، ترجع



(الشكل ١٥) منقط بيت معنوي الحضر.

الجوانب بحيث تكون ثلاثة أواوين على أحد الجوانب. وتتميز الاواوين بكون حجمها نسبياً عن بقية وحدات الدار، فايوان المسكن الذي عرف بالمسكن الكبير (الشكل ص ٤٠٤) يبلغ عمقه ٨,٣٠ م وعرضه ٧,٠ م إن اتساع عرض الايوان يبعد احتمال تسقيفه بالسقف المسطح المستند على عضادات خشبية ويحتم وجود القبو، يؤكد ذلك السلك الكبير للجدران الجانبية والبالغ ١,٤٥ م. ومع أن الفناء هو الوسيلة الرئيسية لربط وحدات البناء وغرفته فقد كان الايوان يعمل أحياناً على تحقيق هذه الوظيفة اما من خلال الأبواب التي كانت تنتظم على جوانبه أو من خلال دهليز يدور حوله لتحقيق الاتصال بالوحدات المرتبطة أو الملتحقة بوحدة ايوان. فهل ان هذا النظام من التخطيط المعماري يشكل الاصل لنظام تخطيط الاواوين في المدرسة المستنصرية والقصر العباسي في

لقد امدتنا التقييات التي اجرتها البعثة الألمانية في آشور بمعلومات وافية عن دور السكن الخاصة من عهد السيطرة الفرثية، حيث تم الكشف عن بقايا العشرات منها. وتوضح البقايا المكتشفة التفاوت في تفاصيل البناء ومواده وخططه ووحداته تبعاً للمنزلة المادية للمالك. فكانت المنازل الجيدة ذات اسس من الحجارة المهندمة، استخدم الجص في ربطها في حين كانت أسس مساكن غير الموسرين تشيد بحجارة غير مهندمة وفي كلا الحالتين كانت هذه الاسس تستقر على صف أو أكثر من اللبن. وشيدت الجدران التي تعلو الاسس الحجرية باللبن المكسو بالطين أوروبما بالجص أحياناً. ويكاد لا يتخلو دار من دور السكن من مجرى لتصريف المياه والذي كان يشيد عادة بالجص أو بالآجر. وتحتوي اغلب هذه الدور على ايوان في الجانب الشمالي في الفناء في الغالب وبشكل الايوان أبرز وحدات



واجهة معبد في الحضر - بعد الصيانة.

بغداد؟

وفي الحضر، يلاحظ في دور السكن المعاصرة لتلك التي تحدثنا عنها في آشور الاسلوب المعماري ذاته مما يشير الى وحدة التطور المعماري في العراق وإلى سيادة مدرسة العمارة العراقية في جميع انحاء العراق. ويشير أيضاً الى وحدة الاصول والظروف البيئية التي اثرت في كل من الحضر وأشور.

الدور وأهمها. وغالباً ما كانت دور السكن الفرثية من طابق واحد إلا أنه هناك احتمال لوجود مباني ذات طابقين إذ أن سقف الأيوان كان يرتفع عادة الى علو طابقين أو أكثر. وقد تحتوي الدور على ايوان واحد أو أكثر وأما ان تتوزع الاواوين على جوانب الفناء، أي أنها تتوسط في الغالب بعض أو جميع الجوانب الأربعة للفناء، أو قد تتركز على أحد

بوجود الفناء المكشوف ويوجد عنصر الايوان اذ لا يخل بناءً في الحضر من وجود ايوان أو أكثر الا القليل جداً. وهناك الوحدة باستخدام مادة البناء وهي اللبن المكسو بالطين او الجص والمشيد على اسس من الحجارة.

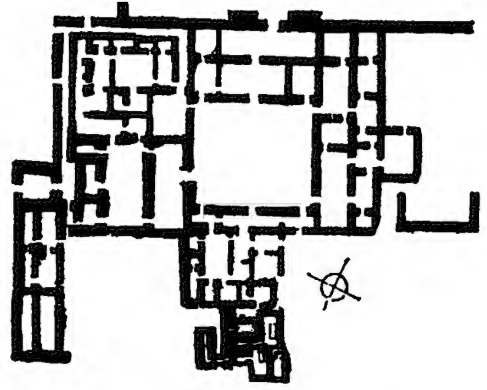
ويشكل عنصر الايوان وما يرتبط به هنا أصل اسلوب معماري ظهر في العمارة الاسلامية، اذ يظهر الايوان احياناً يحف به ايوانان صغيران أو غرفتان صغيرتان فيشكل بذلك اصل الطراز الذي عرف بالطراز الحيري والذي ظهر في سامراء ايضاً وعرف بالصدر والكين.

تركزت تنقيبات الحضر بشكل عام في حارة المعبد الكبير والمناطق المجاورة المحيطة بها. وقد عثر على عدد من المعابد الصغيرة وحين توسع التنقيب كشف عن دور سكن كبيرة ترتبط بهذه المعابد. وإن حجم دور السكن هذه وموقعها القريب من المعبد الكبير والاستخدام الجزئي للحجر المهندم يوحي الى الاعتقاد بانها خاصة بافراد (الطبقة الحاكمة أو طبقة الكهنة. مع ذلك فلم تكن تختلف كثيراً عن بقايا الدور الصغيرة في آشور بأسلوبها وعناصرها ومواد بنائها وبطريقة البناء اذ تشترك المجموعتان



(الشكل ١٦) منطقت مجموعة من دور السكن في الحضر.

القصر المزايا الرئيسية للقصر الملكي الآشوري
بشكل مستقل عن التأثيرات الحورية والميتانية (٥٩)
(الشكل ١٧).

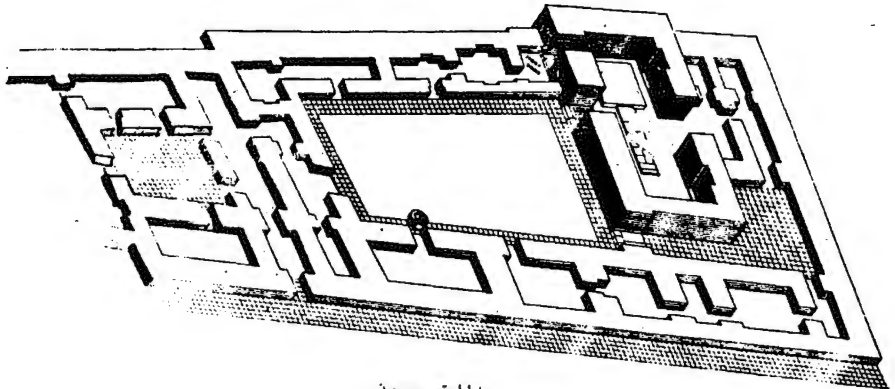


(الشكل ١٧) مخطط قصر ادد نيراري الاول في آشور.

وكشف في كلخوعن بقايا عدة قصور تؤرخ من
القرن التاسع ق.م وما بعده منها القصر الشمالي
الغربي (٦٠) الذي شيده آشور ناصر بال الثاني
والذي يعد أول قصر ملكي كبير في العصر
الآشوري الحديث، اعتمد في تخطيط القصر،
التخطيط الذي اعتمد في قصر ادد نيراري الاول في
آشور من حيث أحتوائه على عدة أفنية تنتظم حولها
القاعات والغرف والممرات وهي صفة نلاحظها

ايضا في القصور التي شيدت بعده. (الشكل ٦)
ويعتبر هذا القصر ايضا أقدم القصور الآشورية التي
تميزت بكثرة منحوتاتها الجدارية المنقذة على ألواح
كبيرة من رخام الموصل الأزرق والتي تمثل مشاهد
حربية ومراسيم ملكية ودينية ومشاهد للحياة
اليومية (٦١).

والى الجنوب من هذا القصر عثر على بقايا
لقصر يرجع الى عهد ادد نيراري الثالث (٨٠٩-
٧٨٢ ق.م) وفي وسط القلعة تقريبا كشف عن
بقايا قصر عرف بالقصر المركزي والذي من بعدة أدوار
تعميرية يؤرخ بعضها من عهد آشور ناصر بال الثاني
وشيلمنصر الثالث ونيجلابلنزر الثالث (٦٣)،
وعثر في الزاوية الجنوبية الغربية من قلعة كلخوعن على
قصر شيد من قبل أسرحدون عرف بالقصر الجنوبي
الغربي (٦٣) ولم توضح التفتيات فيه صورة كاملة
عن مخططة. والى الشرق من هذا القصر وبحوار
معبد نابو كشف عن قصر من بناء سرجون عرف
بالقصر المحروق. كشف عن الجزء الأكبر من
تخطيطه الذي يمثل نموذجا للقصور الآشورية من
حيث سعة قاعة العرش فيه التي تمثل أكبر وحدات
القصر. اذ يشير سمك جدرانها البالغ ٣,٥ متر الى
ارتفاع سقفها. كما يتميز القصر بفنائه الواسع المحاط
بالغرف من جميع جهاته (٦٤) (الشكل ١٨).

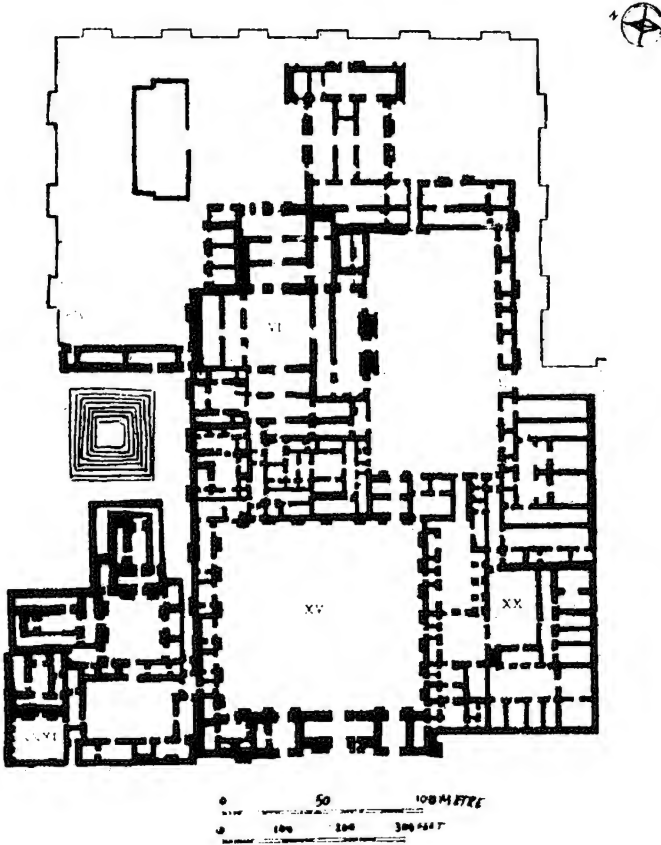


مخطط قصر سرجون

الغربي دفعه الى ان يضع في هذا الجانب بوابة واحدة.

رغم ان في قصر سرجون بعض الامتدادات لأصول عراقية قديمة ظهرت في قصور أخرى مثل

ان ظروف بناء مدينة دور شروكين التي انتهى الملك سرجون من بنائها عام ٧٠٦ و ظروف هجرها ساعدتنا على معرفة المخطط الكامل للمدينة وللـقصر الملكي فيها (الشكل ١٩).



(الشكل ١٩) مخطط قصر دور شروكين.

أشنونا وماري^(٦٦) فإن في تخطيطه العام نموذجاً للقصور الآشورية التي كشفت عنها لاسيما تلك التي كشفت عن اجزائها الكاملة في كل من كلخو ونيوى من حيث احتواؤه على الأفنية المتعددة ، فناء مركزي كبير تنظم حوله وحدات كل منها تنظم حول فناء صغير او كبير حسب موقعها

شيد القصر، كغيره من القصور على مصطبة من اللبن ، ويتميز تخطيط القصر بالميل الشديد نحو التناظر، كما كان هناك اهتماماً في هذا الموضوع في مجال تخطيط المدينة حيث حاول المصمم أن يجعل بوابتين في كل جانب من جوانب المدينة^(٦٥) . إلا أن وجود مصطبة القصور والمعابد في الجانب الشمالي

القبوات :

لم يكن للقبو دور بارز في المباني المدنية والدينية في عصر فجر السلالات في جنوب العراق واستخدم في مباني ثانوية كالمقابر في اور وبشكل يختلف عن المفهوم الكامل للقبو، اذ شيدت قبوات المقابر في اور بشكل صفوف من الحجارة تندرج بالبروز لتشكيل ما يعرف بالقبو المتدرج^(٦٨)، ولم تركز تنقيبات القرن التاسع عشر في العواصم الآشورية على الجوانب المعمارية بقدر تركيزها على المنحوتات والقطع التحفية الأخرى، لذلك جاءت اعمال الباحثين في مجال العمارة في بداية هذا القرن مفتقرة للمعطيات التي أوردتها التنقيبات الحديثة، فكان من الشائع لديهم أن بداية استخدام عنصر القبو بالمفهوم الصحيح في العراق كان خلال السيطرة الفرثية، وفي الحضرة بالذات^(٦٩). في حين أن التنقيبات الحديثة كشفت عن استخدام للقبو وبأساليب مختلفة كطريقة للتسقيف في منطقة الموصل منذ منتصف الألف الثاني قبل الميلاد حيث كشف في تل رماح عن بقايا قبوة مشيدة باللبن من هذه الفترة واعتبرت من أقدم القبوات التي شيدت من نوعها وكذلك اعتبرت الهيئة العامة في تل رماح استناداً لذلك أن أصل استخدام هذا العنصر عراقياً^(٧٠).

ومع بداية الألف الأول قبل الميلاد تصل اللبنا نماذج لقبوات تدل على تطور وتنوع في استخدامها، فقد شيدت قبوات، من الآجر لتغطية مجاري المياه في كل من آشور^(٧١) ودور شروكين^(٧٢). ويظهر استخدام القبوات المشيدة باللبن في مداخل البوابات الآشورية كما في بوابة أدد^(٧٣) وبوابة آشور^(٧٤) في نينوى، كما نلاحظ نماذج لواجهات هذه القبوات في مداخل المدن في المنحوتات الآشورية^(٧٥) هذا وان الميل الشديد

فباحثاته على القاعات الطولية يمكن مقارنة مخطط هذا القصر بالقصر الشمالي الغربي في كلخو وبقصر سنحاريب في نينوى، هذا بالإضافة الى التركيز على البوابات بمجناحتها المركبة وبكثرة منحوتاتها الجدارية المنفذة على الواح من رخام الموصل والتي كانت تغطي الأجزاء السفلى من الجدران الداخلية بمشاهد عسكرية ودينية واجتماعية او مجرد نصوص كتابية.

ويبدو أن قصور الحكام في الحضرة لم تكن تتميز كثيراً عن دور السكن الاعتيادية، إذ لم يعثر بعد على قصر ملكي يضاهي في فخامته ابنية المعابد، فالعلاقة بين الحاكم والآلهة غير العلاقة التي تربط الملك الآشوري بالآلهة، لذلك عثر عن دور سكن واسعة بعض الشيء ربما ترجع لطبقة حكام الحضرة مثل بيت معنو الواقع الى الجنوب من باحة المعابد وهو يحتوي على فناء مركزي تنظم حوله وحدات البيت منها قسم خاص بالضيوف لا ينفذ مباشرة الى داخل الدار بل من خلال مجاز^(٧٦) (الشكل ١٥)، ويبدو أن هذا التنظيم كان امتداداً لما عرف في دور السكن العراقية القديمة بالبابانو والبيتانو، والذي استمر استخدامه حتى العصور الإسلامية بل والفترات المتأخرة منها.

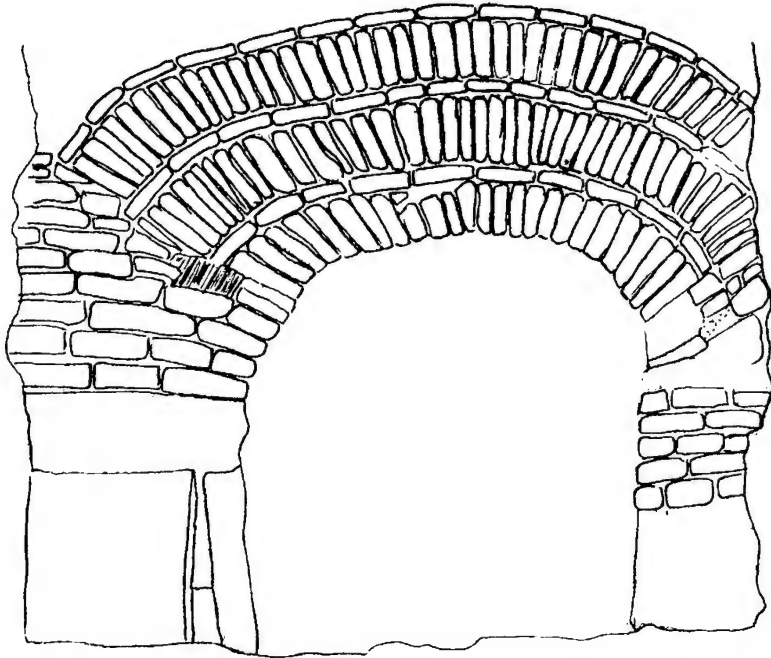
ثالثاً: العناصر المعمارية وأصولها :

ان تناول الأصول المعمارية يحتاج الى بحث قائم بذاته. لذلك فانه لن نتناول هنا جميع العناصر، بل تلك التي كان لمنطقة الموصل دور في ابتكارها او تطويرها، فكانت بذلك الأصول التي تطورت عنها في مناطق أخرى، وستتناول بالتحديد المواضيع التالية: القبوات، والعقود، والايوان، وأساليب البناء، والأعمدة، والسلام، والتهوية، والقباب.

شبه منحرف وكان يعتقد أن هذا الأسلوب نشأ في عصر السيطرة الفرثية ، إلا أنه عثر على دلائل في بوابة أدد الآشورية في نينوى كافية للقول بأن قاعة البوابة كانت مغطاة بقبو مشيد بالآجر وبالاسلوب الذي تطور فيما بعد في الحضر وآشور والذي عرف بـ "Pitced brick technique" فبقايا الآجر شبه المنحرف والمربع والمستطيل كانت تملأ الأجزاء السفلى من القاعة الى ارتفاع ستة أمتار تقريباً (٧٨) .

ويصل بناء القبوات درجة كبيرة من التطور في عصر السيطرة الفرثية سواء أكانت بالآجر أم بالحجارة المهندمة خاصة القبوات التي تغطي اواوين المعابد وبقية قاعاتها ووحداتها الأخرى بحيث كان القبو هو العنصر الرئيسي للتسقيف في الحضر.

للجدران الحاملة لهذه القبوات دفع بعض الباحثين الى الاعتقاد بأنها قبوات بيضوية (٧٦) ويرتب اللبن في القبوات الآشورية من هذا النوع ، وكذلك في العقود المشيدة باللبن بشكل شعاعي من مركز القبو او العقد ويتباعد القبو من صفيين او ثلاثة يتصل بينها صفوف معترضة من اللبن (الشكل ٢٠) وهناك أسلوب محلي آخر من التقية انتشرت استخداماتها على الرغم من السيطرة الفرثية والساسانية التي لم تتمكن من إيقاف التطور الحضاري (٧٧) . وتشيد القبوات بهذا الأسلوب بالآجر ويرتب بوضعه بشكل عمودي على خط تجريد القبو أي على عكس وضع اللبن في القبوات الأخرى، ويكون الآجر المستخدم في تشييد هذه العقود عادة بشكل



0 50 100 200cm

(الشكل ٢٠) مخطط لقبة مشيدة باللبن من نينوى .

العقود ابعد مراحل تطورها في العمارة الاسلامية .

فالعقد المتدرج الذي استخدم منذ العصر السومري يبدو أنه استمر على الاستخدام في فترات شيوخ استخدام عقود أخرى ، ففي بوابة أدد استخدم لتضييق البوابة في المراحل الأخيرة من تاريخها . ويكاد "العقد البيضوي" أن يكون من القرائن المميزة للعمارة الآشورية وذلك لملاءمته لمادة اللبن في البناء ، كما يلاحظ في واجهات القباب المغطية للبوابات الآشورية وإلى جانب هذه العقود كانت العقود نصف الدائرية سواء كانت مشيدة باللبن لتغطية الفتحات الصغيرة أو بالآجر أو بالحجارة لتغطية المساحات الأوسع . ثم يتطور العقد نصف الدائري إلى العقد المطول وذلك برفع قواعد العقد بدءاً من خط تجريده قبل أن يعقد بشكل نصف دائري ، وهذا ما نلاحظه في عقود الحضرة وآشور خلال فترة السيطرة الفريجية . وتصل العقود مرحلة أكثر تطوراً قبيل العصر الإسلامي إذ ظهر العقد المتجاوز أو ما يعرف بمحذرة القوس في كنيسة مصيغنة من القرن السابع الميلادي ، وكان هذا النمط من العقود لم يستخدم بعد سوى في الفتحات الصغيرة ولاغراض زخرفية أحياناً (٨٢) .

الايوان :

ارتبط ظهور الايوان كعنصر معماري بمنطقة الشرق الأوسط ، وانتشر استخدامه فيها . وذلك لملائمته والظروف المناخية والايوان قاعة مغطاة بقبة مفتوحة من أحد جوانبها القصيرة بكامل اتساع ذلك الجانب .

تشير كل الدلائل إلى الأصل الشرقي للايوان ، إلا أن البعض حاول أن يحدد هذا الأصل بإيران من خلال ربط عنصر الايوان بالقبو (٨٣) رغم عدم توفر عاملين يعتبران أساسيين لتجديد أصل كل عنصر معماري العامل الأول هو النماذج الأولى للعنصر والعامل الثاني التواصل في استخدام

أن طبيعة مواد البناء المستخدمة في المنطقة والأنماط المعمارية لا تسمح باستخدام العقود الحرة ، ومع ذلك فإن واجهات القباب كانت تصاغ بشكل وكأنها عقود ، واستخدمت العقود الحقيقية نصف الدائرية لتغطية الطاقات الصماء الصغيرة كما في بوابة أدد (٧٩) أو في تغطية فتحات المداخل كما هو واضح في جميع القصور الآشورية والمباني الأخرى ، فقد عثر على مثل هذه العقود في كل من بوابة أدد وبوابة ماشكي وقصر مستحارب في نينوى وقصر آشور ناصر بال الثاني وحضر شيلمنصر في كلخو ، وعثر قبل هذا التاريخ ومنذ منتصف الألف الثاني قبل الميلاد في تل رماح عن نماذج لعقود مشيدة باللبن تدل أساليب بنائها على أنها قد تطورت عن نماذج أقدم منها (٨٠) .

ونلاحظ في نهاية العصر الآشوري استخدام الحجارة في تشييد العقود كذلك التي نلاحظها في بناء القناطر مثل قناطر جروانه وقنطرة في دور شروكين كما كشف في بوابة شمش في نينوى عن أحجار لعقد لم يحدد موقعه من البوابة .

ولدينا فيما بعد العصر الآشوري نماذج للعقود المحلية من الحضرة وآشور خلال فترة السيطرة الفريجية ، ولدينا كذلك نماذج للعقود من مباني الكنائس القديمة مثل كنيسة مارسرجيوس (٨١) وكنيسة مصيغنة (٨٢) .

إن نماذج العقود هذه التي تغطي فترة تمتد من منتصف الألف الثاني قبل الميلاد وحتى القرن السابع الميلادي يمكن اتخاذها دلائل على تطور هذا العنصر المعماري في المنطقة ، فمن المعروف أن أبسط أنواع العقود وأقدمها هي العقود المتدرجة ثم تليها البيضوية فالعقود نصف الدائرية ثم العقود نصف الدائرية المطولة ثم العقد المتجاوز أو المنفوخ أو ما يعرف بمحذرة القوس ثم العقد المدبب ثم تصل

دور السكن حتى الوقت الحالي في الموصل وما جاورها.

أساليب البناء :

تحدثنا عن مواد البناء واستخداماتها ، وتركز هنا في هذه السطور على التقنيات أو الأساليب الفنية التي استخدمت في بناء اللبن والحجر والآجر وغيرها.

ليس لدينا مانضيفه عن استخدامات اللبن سوى التأكيد على الإفراط في استخدامه خلال العصر الآشوري سواء كان في أسوار المدن التي يصل سمكها ، كما هو الحال في نينوى ، الى مابين ١٥ - ٤٥ متراً ، وما لا يقل عن ١٥ متراً في الارتفاع . ونلاحظ مثل هذا الإفراط في استخدام اللبن في تشييد الزقورات والمصاطب التي تقام عليها القصور والمعابد في العوالم الآشورية ، ونلاحظ مثل هذه المبالغة باستخدام اللبن في جدران القصور والمعابد وبعض المباني المهمة الأخرى . وكان الإفراط في استخدام اللبن تعويضاً عن ضعفه كقادة بناية ، الأمر الذي حفظ معظم هذه المباني حتى الوقت الحاضر.

هذا وقد استخدم الطين مادة للربط الى جانب طبقات من الحصى توضع عند كل بضعة صفوف من اللبن . وكان اللبن أو جدران اللبن تغطي بالطين ، وبدأ استخدام الجص لأكساء جدران اللبن من عصر السيطرة الفرثية في الحضر وما بعدها .

أما الآجر فكان استخدامه أقل اذا ما قورن باستخدام اللبن ، ومع ذلك نلاحظ سيطرة تامة على قوليته واستخدامه ، فهناك اشكال وأحجام مختلفة صيغت لتلائم مواضعها . فان أخذنا بنظر الاعتبار بوابة أدد في نينوى كوحدة معمارية اعتيادية ضمن مباني نينوى فاننا نلاحظ فيها مثل هذه السيطرة على قوليته الآجر من خلال بقايا الآجر فيها

العنصر ، اذ لم نجد في إيران نماذج أقدم من النماذج الكثيرة المنتشرة في العراق وفي عصر السيطرة الفرثية ، كما لا نجد التواصل في استخدام هذا العنصر حتى الوقت الحالي ، اذ لازال منتشراً في الموصل والقرى المحيطة بها ، بل ويستشهد أصحاب هذا الرأي بنماذج عراقية للتدليل على أصالة العنصر في إيران ، اذ يوردون أووين في سلوقية وإيوان طيسفون « المدائن »^(٨٥) والتي تشكل في حقيقتها حلقات من سلسلة التطور المعاري العراقي بل ويفترض نفس الكاتب ، حين يدرك ضعف الأسس التي استند عليها في اعزاء هذا العنصر الى إيران ، أن الأواوين المكتشفة في آشور قد جاءت حصيلة تطور طويل ويحاول أن يرجع فضل ذلك التطور للأغريق^(٨٦) في حين ليس هناك من دليل على معرفة الأغريق لهذا العنصر في بلاد اليونان ، بل ولم يستخدموه حتى بعد تأثرهم بالشرق بعد غزو الاسكندر.

استناداً لهذا ، ولما عرضناه من مبان تحتوي على عنصر الايوان ، يمكن القول أن هذا العنصر جاء حصيلة تطور معاري في منطقة الموصل متوافراً مع ملامته مع الظروف المناخية ، فقد كشف كما مرّ بنا سابقاً عن بناء في تبه كورا من عصر الوركاء ، يحتوي على هذا العنصر بكل تفاصيله^(٨٧) . (الشكل ١١ - B) وربما قد ساهم الطراز المعروف ببيت خلّائي في تشكيل هذا العنصر ، فمن المعروف أن طراز بيت خيلاني يتكون من قاعة مفتوحة من أحد جوانبها من خلال سقفة قائمة على أعمدة ، ومع انتشار استخدام العقود والقنوات استغنى المعاري عن الأعمدة فأصبحت القاعة مفتوحة بكاملها ومغطاة بقبو . ثم يصل الايوان الدرجة المعروفة من تطوره في عصر السيادة الفرثية في الحضر وآشور . ونلاحظ تواجداً لاستخدامه بعد ذلك من خلال ايوان طيسفون « المدائن » وفي أووين قصر المنصور في بغداد والمدارس في العصر العباسي المتأخر ، بل وفي

الطبيعية كان لها الأسبقية في تطوير تقنيات استخدامها.

استخدمت الحجارة في مجال الألواح الجدارية الزينة للأجزاء السفلى من الجدران في المباني العامة، وخاصة القصور والمعابد. وكانت الحجارة على نوعين، إما حجر الحلان أو رخام الموصل، وقد استخدم رخام الموصل في الأجزاء المغطاة، واستخدم حجر الحلان في الأجزاء المكشوفة، ويمكن ملاحظة تفاصيل ذلك في المبحث الخاص عن فن النحت. إلا أنه لابد من التركيز هنا على استخدام الحجارة في مجال البناء في العصر الآشوري وما بعده.

لقد استخدم الآشوريون، مثلاً، الحجارة "الحلان" في تغليف الواجهات الخارجية للأسوار فقد كانت أسوار اللين في العواصم الآشورية تغلف بسور خارجي من الحجر لمنع عمليات اختراق اللين الهش عند الهجوم إذا كان سمك الجدار محدود ٣,٥ متر وارتفاعه بين ٥ - ٧ متر بنيت واجهته بالحجارة المهندمة وملئ الفراغ بين هذه الواجهة وجدار اللين بالحجارة الطبيعية والطين ولا يهتما الحديث هنا عن تفاصيل بناء هذا السور برمته، ولكن تجدر ملاحظة عدة ظواهر تظهر لأول مرة وكان لها تأثيرها على العمارة بشكل عام.

أول هذه الأمور هو استخدام الحجارة المهندمة في البناء، وكانت تلك الحجارة نحتت بحيث تكون الحافات ذات قطع دقيق وناعم ويترك وسط القطعة خشناً، ويمثل هذا الأسلوب ابتكاراً محلياً انتشر فيما بعد إلى أوروبا خلال الفترة الهلنستية فنسب خطأ إلى تلك الفترة.

والظاهرة الثانية هي قطع الأحجار لئلا تم مواضعها المناسبة، فلم تكن قطع الحجارة تسير أحياناً بصفوف منتظمة من قطع قائمة الزوايا مربعة أو مستطيلة، إذ أن القاعدة غير المستوية للسور

إذ نلاحظ فيها آجر مربع بقياس $36 \times 36 \times 10$ سم يستدل من خلال قياسه أنه استخدم لتبليط سطح القاعدة أو لبناء قاعدة أو سادة فوق جدران اللين لترتكز عليها بقوة الآجر^(٨٨).

وعثر ضمن الأنقاض في القاعدة على نوعين آخرين من الآجر، الأول مستطيل $38 \times 36 \times 9$ سم، والثاني شبه منحرف ارتفاعه ٣٨ سم وقاعدته الكبرى ٣٦ سم والصغرى ٣٠ سم، وهذان النوعان وجدا بشكل كبير جداً في القاعدة وبشكل متكافئ تقريباً مما يوحي بلاشك، بل وبشكل مؤكد أنها استخدمتا لتسقيف القاعدة. فلدى ترتيبنا لهذين النوعين بشكل متناوب، مستطيل ثم شبه منحرف يتكون لدينا قوس تزيد فتحته عن الستة أمتار بقليل، وهذه الفتحة تتطابق مع عرض القاعدة فتتمكن المعمار بذلك من استخدام الآجر بهذه الطريقة دون اللجوء إلى مواد قوية للربط، إذ تخلص من الفواصل غير المنتظمة بين قطع الآجر. وهذه المعطيات تدل بشكل لا يقبل الشك أن قاعدة الحرس في بوابة أدد كانت مغطاة بقبة نصف اسطوانية.

وعثر بين أنقاض القاعدة عن قطع من الآجر ملونة بأشكال زخرفية من منحنيات صغيرة وبألوان مائية ثابتة مما يوحي إلى استخدام الآجر للزخرفة، ولكن لا يمكن حالياً معرفة موضعه من البناء.

ومن المعروف أن الآجر المزجج المقلوب قد استخدم، وربما لأول مرة في العصر الآشوري في تشكيل لوحات جدارية كالتى عثر عليها في دور شروكين^(٨٩) والتي تشير إلى أنها متطورة عن بدايات سبقتها خلال ذلك العصر إذ عثر على دلائل ذلك في كلخو ونيوني من فترات سبقت فترة بناء دور شروكين.

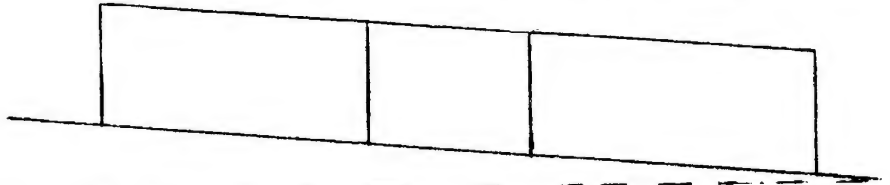
أما في مجال استخدام الحجارة فنلاحظ أن منطقة الموصل يحكم موقعها ضمن مصادر الحجارة

فرضت تحت القطع بشكل شبه منحرف للحفاظ على الفواصل بين قطع الحجارة قائمة على خط أفقي كما هو ملاحظ في بوابة أدد (الشكل ٢١ - A). ان هذه العملية اي عملية قطع الأحجار لتلائم مواضعها المناسبة نلاحظها في بناء العقود والقبوات في نينوى والحضر، وكذلك في عقود وقبوات وحنيات كنائس ما قبل الاسلام.

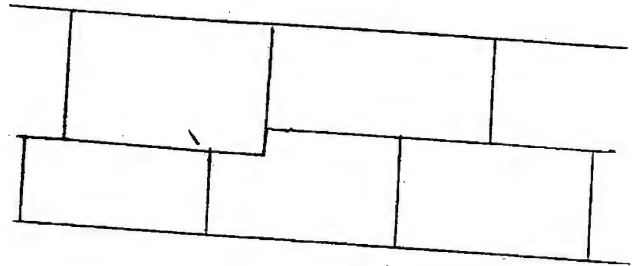
وحين كان الأمر يتطلب الانتقال من سمك لصف الحجارة الى سمك آخر أقل أو أكثر فقد كانت تنحت إحدى الأحجار بشكل بحيث تكون ذات

سمكين تعرف "بالكلاب" (الشكل ٢١ - B).

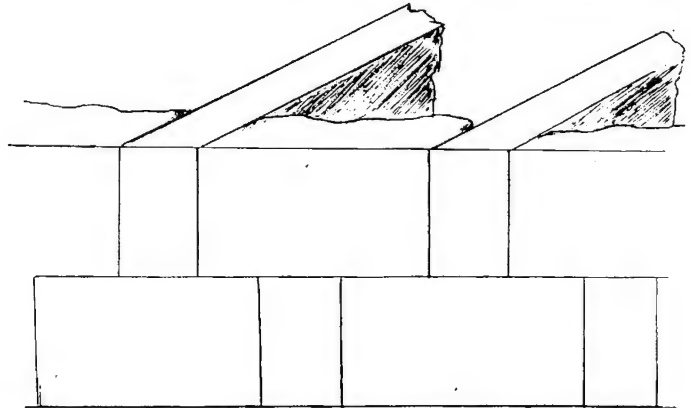
ونلاحظ كذلك في انشاء سور نينوى والمباني العامة الأخرى المشيدة بالحجارة استخدام ما يعرف "بالمسار" وهو محاولة لشد الواجهة المهندمة بالمواد التي خلفها، اذ كانت الحجارة تشيد بشكل عام بوضعها بشكل أفقي بالنسبة لواجهة الجدار. إلا أنه تتخللها أحجار توضع بشكل متعامد مع الواجهة تطورت هذه الناحية لتصبح الأحجار متناوبة ما بين أفقية وعمودية في الحضر (الشكل ٢١ - C).



تحت قطع الحجارة بشكل متوازي اضلاع A.



تحت الكلاب B.



الساار C

ولعل تلك الأسس هي التي نشأ عنها نوعان من الدعامات استخدمت في العصر الاسلامي ، الأساطين والأكتاف . فالأساطين التي كانت تشيد من قطع اسطوانية قليلة الارتفاع توضع فوق بعضها ، كما هو الحال في مسجد الكوفة ومسجد واسط . اما الأكتاف فكانت دعامات ذات مقطع مستطيل او مربع تشيد من الآجر او اللبن او الحجارة المهندمة ، بدأ استخدامها بالدعامات الداخلية في معابد عصور ما قبل التاريخ اذ ظهرت في أحد معابد تبة كورا الذي يرجع الى عصر العبيد^(٩٣) ، وقد استخدمت الأكتاف بكثرة في العمارة الاسلامية في المشرق والتي عزيت خطأ الى أصول ايرانية .

السلام :

وتسمى الدرج أيضاً ، اذ لم يعثر على تفاصيل هذه الناحية لتهدم الأجزاء العليا من الأبنية القديمة ، ومنها الآشورية ، إلا أن بوابة أدد وبوابة سن تعطيانا الأدلة على استفادة الآشوريين من سلك جدران اللبن ، فكان الصعود الى سطح السور في بوابة أدد يتم من خلال مدخل في قاعة الحرس يؤدي الى ممر لا يعرف ان كان مدرجا أم منحدرا ، ويستمر الممر بشكل حرف U ، إلا أنه مع ذلك لا يعرف بالضبط كيف ينتهي ، وما لاشك فيه أن عملية الصعود الى السور كانت تتم داخل السور . ونشاهد هذه الطريقة ايضا في بوابة سن التي يشكل السلم فيها الشيء الوحيد المتبقي بشكل واضح من البوابة . ورغم تطور مواد البناء من اللبن الى الحجارة نلاحظ استمرارا في استخدام هذا الأسلوب في الحضر .

ان هذا لا يعني ان هذه الطريقة هي الوحيدة المتبعة ، بل كشف عن أساليب أخرى ، ففي نهاية قاعة العرش في قصر آشور ناصر بال في كلخو كشف عن مصطبة من اللبن شيدت لتدعم الدرج المؤدي الى السطح^(٩٤) .

والشرفات عنصر نشأ في بلاد آشور ونسبت هي الأخرى الى الفترة الهلنستية^(٩٥) رغم أنه لم يحصل اي تغيير لها في تلك الفترة عن أصلها الآشوري . وهناك من نسب أصولها الى مصر استنادا الى صور على الأختام^(٩٦) رغم عدم وجود فعلي للشرفات في مصر قبل ظهورها لدى الآشوريين .

وفي مجال تخطيط وبناء التحصينات هناك الأبراج التي تدعم السور الحجري في العصر الآشوري والتي كانت ترتفع بمستواها عن مستوى السور الحجري . والأبراج في نينوى قائمة الزوايا عرض كل منها ٣,٥ متر ، وتبرز عن واجهة الجدار بما يزيد عن متر قليلا والمسافة بين برج وآخر ١٣ مترا تقريبا ، وتكرر هذه الظاهرة في الحضر التي يدعم سورها ١٦٣ برجاً من هذا النوع ، إلا أن الكبيرة منها والصغيرة أكثر بروزا عن أبراج الأسوار في المدن والمواقع الآشورية . ويبدو أن الأبراج القائمة الزوايا تطورت في العمارة الاسلامية لتصبح بشكل دعامات نصف اسطوانية .

وفي مجال تخطيط التحصينات نلاحظ التناظر في وضع بوابات سور دورشوكين ، ومثل هذا التناظر نلاحظه في الحضر ، ونلاحظه بشكل أوضح في بوابات واسط وبغداد في العصر الاسلامي .

الأعمدة :

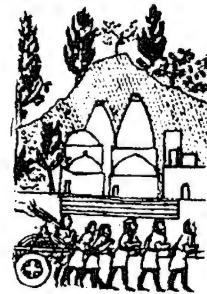
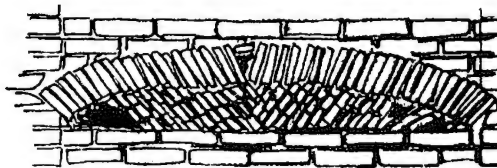
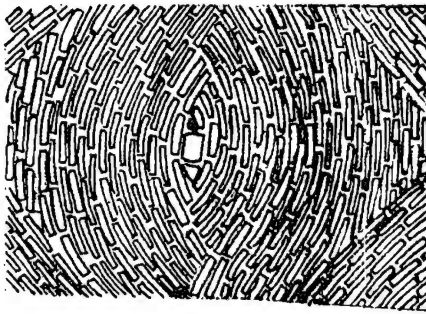
لم يكن استخدام الأعمدة شائعا في العراق القديم إلا أنه يبدو أن الآشوريين ادركوا أهمية وظيفة العمود فشيّدت أعمدة أو بالأحرى اساطين من اللبن منذ منتصف الألف الثاني قبل الميلاد اما بشكل اعمدة كاملة او نصفية^(٩٧) وتؤكد ذلك الأعمدة المستخدمة في الطراز المعروف ببيت خيلاني . ومثل هذه الأعمدة النصفية والكاملة ظهرت في الحضر بشكل أساطين أي اعمدة من قطع اسطوانية من الحجارة .

لم يعثر على عنصر القبة في المنطقة خلال عصور ما قبل الاسلام ، الا أن لدينا من الدلائل ما يؤكد مساهمة المنطقة في نشأته وتطوره فتشير منحوتة عثر عليها في نينوى (الشكل ٢٢) على استخدام القبة نصف الكروية والبيضوية ، الا أن استخدامها فيما يبدو كان محدودا وفي الأبنية الفقيرة ، ومع ذلك فان ما كشف عنه في تل رماح من منتصف الألف الثاني قبل الميلاد يؤكد التوصل الى معرفة الانتقال من القاعدة المربعة الى القاعدة الدائرية او القريبة من الدائرية لاقامة القبة ، اذ عولجت الزوايا بالملئيات الركنية Pendentives ثم أقيمت عليها قبة أوقوية منخفضة من اللبن^(١٦) (الشكل ٢٣) وان اكتشاف نماذج لمعابد مربعة مغطاة بقباب معمولة من الرخام في الحضر تؤكد معرفة سكان المنطقة للقبة رغم عدم الكشف عن قبة حقيقية ، وأن التنقيبات المقبلة كفيلة بالقاء المزيد من الأضواء على هذا العنصر والعناصر السابقة .

لا تختلف مسألة التهوية عن مسألة السلام ، اذ ان تفاصيلها ترتبط فيما يبدو بوجود الأجزاء العليا من الجدران التي تهدمت في معظم حالاتها ، الا أن القصور الآشورية قد نظمت بشكل لتوفير عملية التهوية ، فكان لمعظم القاعات الكبيرة فتحة رأسية ضمن سلك الجدار أو ربما أكثر من فتحة^(١٥) . وتستخدم قواعد هذه الفتحات رفوفاً توضع عليها جرار الماء لتبريدها ، واستمرت هذه الطريقة متبعة حتى فترة متأخرة وبالأماكن مشاهدة الكثير منها في مباني الموصل القديمة اليوم . وتعرف بالملقف وجمعها ملاقف .

وتعطينا بوابة أدد طريقة أخرى للتهوية شوهدت في ممر الدرج ، اذ عثر في الممر على ثلاث فتحات رأسية عرض كل منها ١٥ سم ، ولا يمكن تحديد ارتفاعها لتحديد اجزائها العليا . وكانت هناك فتحات تتجه بشكل أفقي لغرض التهوية .

ويستدل من خلال إحدى المنحوتات (الشكل ٢٢) ان دور السكن الصغيرة كانت تهويتها تتم عن طريق فتحة في وسط السقف المخروطي .



(د) تركيبة قبة من تل رماح

شكل ٢٢ مخطط لتركيب قبة لدار من نينوى

H.W.F. Saggs, "The might that was Assyria" (London, 1984) p. 188.

(٢) عبد الجواد، توفيق أحمد، "تاريخ العمارة والفنون في العصور الأولى" (د. م. ١٩٧٠) ج ١، ص ١٧٥.

(٣) هيتل، "فن العمارة" (ترجمة جورج طرابيشي، بيروت ١٩٧٩) ص ٢٩.

(٤) عن قياسات اللبن وأوصافه في مختلف العصور القديمة، راجع: أندريه بارو، "بلاد آشور" (ترجمة، عيسى سلمان وسلم طه التكريتي، بغداد، ١٩٨٠) ص ٢٣٦ - ٢٣٦.

(٥) عبد الجواد، المرجع السابق، ج ١، ص ١٩٦.

(٦) بارو، المرجع السابق، ص ٢٤٢.

(٧) فالتر أندريه، "استحكامات آشور" (ترجمة: عبد الرزاق كامل الحسن، الموصل ١٩٨٧) ص ٨٦.

(٨) عادل عبو، الصيانة وأساليب التثقيف في بوابة أدد الآشورية "سور" العدد ٣١، ١٩٧٥، ص ١٦٢.

(٩) Saggs, Op. cit. p. 13.

(١٠) ابن منظور: جبال الدين بن محمد بن محمد بن بكرم الأنصاري، "لسان العرب" (مصورة عن طبعة بولات) ج ١٥، ص ١٦٦.

(١١) بارو، المرجع السابق، ص ٢٧.

(١٢) مازال هناك مقلع يمتد تحت الأرض في المنطقة المحصورة بين باب سنجانر وحى الثورة، ويشغل مساحات واسعة، أشبه ما يكون بالنجم، تشكل هذا المقلع الصدر الرئيس للرخام الذي كانت تحتاجه أبنية الموصل في العصر الاسلامي او قبله افترات طويلة.

(١٣) تكثر مقالع هذا النوع من الحجارة في منطقة الرشيدية وحام الغليل وقرب بعشيق في منطقة ميكي.

(١٤) عامر سليلان، «اكتشاف مدينة تريبصو الآشورية»، "آداب الرافدين" العدد ٢، ١٩٧١، ص ١٩، هامش ١.

(١٥) H. Frankfort, "The Art and Architecture of the Ancient Near East" (London 1969) p. 3.

Ibid, p. 65.

(١٧) اندريه بارو، المرجع السابق، ص ١٨.

(١٨) Badawy, Alexander, "Architecture in Ancients Egypt and the Near East" (California, 1960), p. 103.

(١٩) الأحمد، سامي سعيد، العراق القديم، الجزء الثاني (بغداد، ١٩٨٣) ص ١٨٥.

(٢٠) Badawy, Op. cit p. 103.

(٢١) موزكات، انطوان، "الفن في العراق القديم" ترجمة: عيسى سلمان وسلم طه التكريتي، (بغداد، ١٩٧٥)، ص ٣١٧ - ٣١٨.

(٢٢) Frokfort, Op. cit, P. 65.

(٢٣) Ibid, pp. 66 - 67.

(٢٤) Ibid, pp. 68 - 69.

(٢٥) موزكات، المرجع السابق، ص ٣٢٤.

(٢٦) موزكات، المرجع السابق، ص ٣٥٠.

(٢٧) Frankfort, Op. cit, p. 71.

(٢٨) عن هذه المعابد، راجع: فالتر، اندريه، "معابد عشتار القديمة في آشور" ترجمة: عبد الرزاق كامل الحسن، (الموصل، ١٩٨٦) ص ١٢٧، وما بعدها.

(٢٩) Frankfort, Op. cit. p. 78.

(٣٠) M.E.L. Mallowan, "Nimrud, "عن هذه المعابد راجع، "and its Remains" London, 1966), Vol I, p. 205.

(٣١) موزكات، المرجع السابق، ص ٢٤.

(٣٢) نفس المرجع، ص ٤٠٣.

(٣٣) فرانكفورت، المرجع السابق، ص ٦٩ - ٧٠.

(٣٤) بارو، المرجع السابق، ص ٢٠.

(٣٥) لويد، سيتون، "آثار بلاد الرافدين"، ترجمة: سامي سعيد الأحمد (بغداد، ١٩٨٠)، ص ١٩٦.

(٣٦) Frankfort, Op. cit, p. 79.

(٣٧) Creswell, A short Account of Early Muslim Architecture" (Harmondsworth, 1958), p. 279.

(٣٨) يتوسط مدينة الحضر مساحة مركزية مستطيلة مسورة ذات مدخل رئيس في الضلع الشرقية وأحد عشر مدخلا آخر موزعة على الأضلاع الأخرى. أبداً أضلاعها ابتداء من الضلع الشمالية ٤٣٥م، ٣٢٢١م، ٤٣٨م، ٣١٠م، وتنقسم هذه الساحة الى قسمين يحدار بينهما بوابتان يفصلان بين الصحن والحرم. حول المزيد من التفاصيل راجع: فواد سفر ومحمد علي مصطفى، "الحضر مدينة الشمس" (بغداد، ١٩٧٤)، ص ٣٢٧.

(٣٩) سفر مصطفى، الحضر، ص ٣٥٢.

(٤٠) سفر مصطفى، الحضر، ص ٤١.

(٤١) عن هذه الكنيسة، راجع:

Oates, David, "Oasr serij- A sixth century Basilica in Northern Iraq" Iraq, xxlv, (1962) pp. 78 - 89.

(٤٢) عن هذه الكنيسة، راجع: عادل عبو، "نقبات جامعة الموصل في مصيفه" نشرت ضمن كتاب «بحوث آثار حوض سدحزام وبحوث أخرى» (الموصل ١٩٨٧)، ص ١٣٣ - ١٥٥.

(٤٣) فواد سفر، "حفرات تل حسونة"، سومر ١٩٤٥، م ١، ج ٢، ص ٢٥ - ٤١.

(٤٤) Badawy, Op. cit, p. 87 Vol. I. p. 36.

(٤٥) E.A. Speiser, "Excavations at Tepe Gawara" Vol. A. p. 36.

(٤٦) Badawy, Op. cit. p. 87.

(٤٧) Ibid, p. 88.

(٤٨) عن هذه الناذج راجع: فالتر اندريه "معابد عشتار القديمة في آشور" ترجمة: عبد الرزاق كامل الحسن (الموصل، ١٩٨٦)، ص ٥٦ - ٥٣.

(٧٣) عامر سليمان، نتائج حفريات جامعة الموصل في أسوار نينوى، "آداب الرافدين"، العدد ١، ١٩٧١، ص ٦٩-٧١.

(٧٤) طارق مظلم وعلي محمد مهدي "نينوى" (بغداد، ١٩٧١)، ص ٢٤.

(٧٥) Frankfort, Op. cit. pls. 84, 85, 86, 95 and 106.

(٧٦) مظلم، المرجع السابق، ص ٢٤.

(٧٧) O.Reuther, Op. cit., Vol.I. p. 447.

(٧٨) حول هذه الدلائل راجع: عامر سليمان "أسوار نينوى" ص ٦٩-٧١.

(٧٩) عبو، "الصيانة"، ص ١٦٠.

(٨٠) ستين لويدي، "آثار بلاد الرافدين"، ترجمة: سامي سعيد الأحمد، (بغداد، ١٩٨٠)، ص ١٩٨.

(٨١) D.Oates, "Qasr Serij" pp. 78 – 89.

(٨٢) عبو، "مصيفة"، ص ١٤١.

(٨٣) عبو، المرجع السابق، ص ١٤١.

(٨٤) Reuther, Op. cit. Vol.I. p. 431.

(٨٥) Ibid, p. 432.

(٨٦) Ibid, p. 434.

(٨٧) Badawy, Op. cit. p. 87.

(٨٨) عبو، "الصيانة" ص ١٦٢.

(٨٩) بارو، أندريه، المرجع السابق، ص ١١٤-١١٥، وانظر أيضا: لويدي: المرجع السابق، ص ٢١٥.

(٩٠) Hugh Plommer, "Simpson's History of Architectural Development" (London, 1964) Vol.I. p. 243.

(٩١) لويدي: نفس المرجع، ص ٢١٨.

(٩٢) لويدي: نفس المرجع، ص ١٩٨.

(٩٣) لويدي: المرجع السابق، ص ٨٦.

(٩٤) عبد الله أمين، وميسر العراقي، المرجع السابق، ص ١٧.

(٩٥) Mallowan, Op. cit. Vol.I, p. 106.

(٩٦) لويدي، المرجع السابق، ص ١٩٨.

(٩٩) مورتيكات، المرجع السابق، ص ٣١٨.

(٥٠) Frankfort, Op. cit, p. 80.

(٥١) عن هذه الدور راجع: Mallowan, Op. cit. Vol I. p. 186.

(٥٢) نفس المرجع، ص ١٨٦.

(٥٣) فالتر اندريه، "آشور المدينة المملكتية"، ترجمة: عبد الرزاق كامل الحسن، (الموصل، ١٩٨٧)، ص ٤٨-٨٧.

(٥٤) اندريه، "آشور المملكتية"، ص ٤٢ وبإبعدها.

(٥٥) سفر ومصطفى، المرجع السابق، ص ٣٥٠.

(٥٦) نفس المرجع، ص ٣٥٢، والمخطوط ١١.

(٥٧) نفس المرجع، ص ٣٦٦.

(٥٨) مورتيكات، ص ٣١٩.

(٥٩) نفس المرجع، ص ٣٢٠ و ٣٤٢.

(٦٠) عن تفاصيل هذا القصر، راجع: Mallowan, Op. cit. Vol. I. pp. 146 ff.

(٦١) عبد الله أمين أغا وميسر سعيد العراقي، "نمرود" (بغداد، ١٩٧٣)، ص ١٦.

(٦٢) نفس المرجع، ص ٢١.

(٦٣) نفس المرجع، ص ٢٢.

(٦٤) Mallowan; Op. cit. Vol.I. pp. 203 – 4.

(٦٥) Frankfort, Op. cit. p. 75.

(٦٦) Ibid, p. 76.

(٦٧) سفر ومصطفى، المرجع السابق، ص ٣٢٣.

(٦٨) Frankfort, Op. cit. p. 21.

(٦٩) O. Reuther, "Presian Architecture, History, in, A. U. Pope, "A Survey of persian, (London and New york) 2nd eimp.) Vol. I. p. 425.

(٧٠) D.Oates, The Exacvation at Tell Rimah, 1964, IRAQ, xxvlll (1965) p. 77 and pl. xxi.

(٧١) فالتر اندريه "استحكامات آشور" ص ٨٦.

(٧٢) B.Fletcher, "A History of Arehitecture" (London, 1963) p. 75.

تخطيط المدن

د. جابر خليل ابراهيم

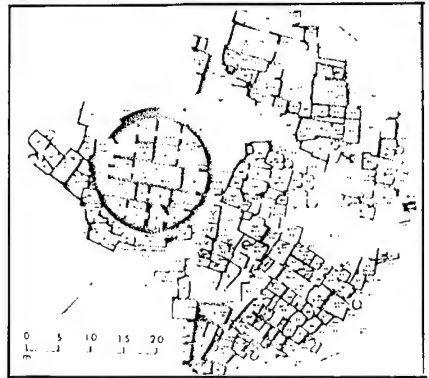
القديمة الواقعة في منطقة الموصل، لاسيما الجوانب التي تختص باختيار مواقع هذه المدن كانبساط اراضيها أو قربها من مصادر المياه، ومدى ملائمة تلك المواقع لأن تتحكم من الناحية الجغرافية بحركة

سبق الحديث في الفصول السابقة عن الجوانب المتعلقة بالانتقال الى المدينة وعن البدايات الأولى للقرى الزراعية وأنماط توزيعها وخصائصها. وستتناول في هذا الفصل تخطيط المدن

النقل. كما سيشمل البحث ايضاً اشكال هذه المدن واستعمالات اراضيها واقسامها وشوارعها وساحاتها ، ثم المراحل التي مرت بها كل مدينة ما بين نشوئها وآخر ماتوصلت اليه من التوسعات وبالقدر الذي وفرته المكتشفات الاثرية .

وما يجدر ذكره ان معظم المقرات الزراعية المكتشفة ، باستثناء كل من جرمو وتبه كورا وتل الصوان ، لم تشمل الحفريات التي اجريت فيها الا اقساماً محدودة منها فقط فاكتفى المتقبن في معظم الحالات حفر خنادق عميقة لجس طبقاتها الاستيطانية وتحديد أدوارها الحضرية . أو ان التنقيبات كانت محدودة ولم تكشف الا عن قسم من هذه المستوطنات مثل حسونة واربجية وأم دباجية وبرايم عزو والثلاثاء الأمر الذي لم يمكن الباحث من الحصول على كامل مخططاتها أو الوقوف على تفاصيل تركيبها الداخلية على الرغم من ان النتائج التي قدمتها مكتشفاتها الاثرية تشير الى ان المجتمعات الزراعية في هذه القرى كانت الامثلة الاولى للاستثمار البشري للمنطقة الواسعة التي تحتل منطقة الموصل فيها مساحة شاسعة ، فضلاً عن انها كانت النواة التي ضمت العناصر المكونة للمدينة .

وابرز ميزتين لبيدايات مدن الألف الخامس قبل الميلاد في منطقة الموصل كان السور الخارجي



مخطط لآنية تبه كورا

للمدينة ذا الوظيفة الدفاعية ، ومعبدها المحاط بسور دائري ايضاً ، اللذين شكلا معا ميزة معمارية حافظت عليها المدن التي شيدت بعدئذ . وتعد تبه كورا في هذا الخصوص ، المعاصرة لاريدو الواقعة في السهل الرسوبي من العراق ، نموذجاً من بين قرى ما قبل التاريخ في منطقة الموصل من حيث تخطيط وتنظيم وحداتها البنائية ..

وانه يصعب على الباحث في ان يبين بوضوح المعايير التي وضعها المختصون للتمييز ما بين المدينة الكبيرة والمدينة الصغيرة أهى المساحة ام كثافة



تخطيطات اسس آنية من تل طابة

السكان الا انها على ما يبدو مازالت قيد الافتراضات^(١) . ومهما كانت هذه الافتراضات فان كلاً من المدن الصغيرة والكبيرة لا يعرف ان كانتا قد تمت طبقاً لتخطيط عام او توسعت تلقائياً نتيجة ربط مجموعات مختلفة من المنشآت البنائية ذات وظائف مختلفة بعضها البعض الاخر وهو الراجح . وفي ضوء ذلك ربما يكون تل طابة ، الواقع الى

دجلة وجبل سنجار، الضوء على ان مدناً من الفترة التي ازدهرت فيها مدينة تل طاية كانت كل واحدة منها محاطة بأسوار محصنة لابد وانها كانت دفاعية وتحفظ استقلال الواحدة منها مثل تل ابوماريا وتل خوشي وتل هذيل... وربما ان اكبر هذه المواقع سعة كان اكثرها نفوذاً لقيادة دول مدن المنطقة المشابهة في الاغلب للنمط المعروف في المدن السومرية في السهل الرسوبي من العراق^(٤).

ويدوان الاتصالات المستمرة بين مراكز هذه المدن والمستوطنات المجاورة لها قد شجعت على الاسراع نحو المدنية، بعد ان كانت هذه المراكز متباعدة بعضها عن بعض. وكان من نتائج هذه الاتصالات في ان يصبح التنظيم القبلي أقل نفوذاً في التنظيمات الاجتماعية الذي تقوده حكومة منظمة على الرغم من ان التركيب الاجتماعي للمدينة الواحدة يمتد تأثيره الى خارجها بحكم الحاجات المتبادلة بين هذين التطينين^(٥).

وكان من بين ابرز خصائص المدينة في تلك المرحلة ان يكون المعبد وحدة مركزية مسورة تشكل قلبها اصبحت تعرف بالمدينة الخاصة «لبي ألي» وهي معزولة عن الاحياء السكنية من جهاتها الاربع، بسور خارجي مدعم بأبراج فيه ابواب يحتوي البعض منها على قوانين تحذيرية. وعلى مقربة من كل بوابة ساحة أو فناء كان مخصصاً لعقد الاجتماعات العامة. وما بين هذه الساحة والبنية المركزية شوارع رئيسية تنفرع منها طرق اضيق تؤدي الى الاحياء السكنية.

وتلحق بالمدينة المسورة ضاحية يسكنها المزارعون واصحاب المواشي ولا يعرف ان كانت هذه الضاحية مسورة على الرغم من كونها من الناحية الدفاعية قاعدة أمامية لتلك المدينة ويفترض ان تكون محمية باستحكامات دفاعية من سور وقلاع وابراج^(٦).

الجنوب من تلغفر، من الناحية التخطيطية أقدم المدن المكتشفة في اعالي العراق سيما في المنطقة الواقعة بين نهر دجلة وتل براك على نهر الخابور الذي يعود كما يرى المتقنون الى أوائل الألف الثالث قبل الميلاد^(٧). فقد خطط الآثاريون العاملون في هذا الموقع اثناء عمليات المسح جدران الابنية المتبقية واسسها وحددوا قطاعات سكنية فيها، يحتوي الواحد منها على وحدات بنائية موزعة على كتفي الوادي الذي يمتد هذه المدينة من الشمال الى الجنوب. وترينا الصور الفوتوغرافية لهذا الموقع ان وجهها الجداري في ابنيها شيدت بحجارة كبيرة مسواة الوجوه الى حد ما ملئ ما بينها بالحجارة الصغيرة^(٨).

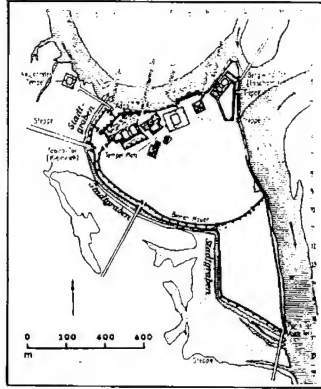
وفضلاً عن التخطيط الواسع لابنية تل طايه التي لا بد انها مكونة من مجموعة مختلفة من الاستعمالات ربطت الارض بعضها ببعض. فالاقسام النقية منها قد أرخت مكتشفاتها بعصر فجر السلالات او العصر الاكدي على الرغم من انها لاتشبه مباني هذه الفترة في بلاد وادي الرافدين من حيث استخدام الحجارة بدلاً عن اللبن الكثير الاستخدام في البناء آنذاك. وعلى الرغم من ان استخدام الحجارة يكون دليلاً على رفاهية سكان تل طاية من جهة ويقدم دليلاً آخر على ماوصلت اليه المدينة في الألف الثالث قبل الميلاد من الرقي والتقدم من جهة ثانية في الوقت الذي كانت معلوماتنا عن هذا العصر (فجر السلالات) مقصورة على القسم الجنوبي من العراق ومنطقة دبالى معاً فان هاتين المنطقتين كانتا مصدرهما مهماً للوثائق والأدلة الأثرية الأخرى أمدتنا بتفاصيل واسعة عن المجتمع السومري لانقاس من حيث الحجم بما كشف عنه في المواقع الأخرى من العراق^(٩).

وأثقت المسوحات الأثرية التي جرت على منطقة غرب الموصل، لاسيما الواقعة منها بين نهر

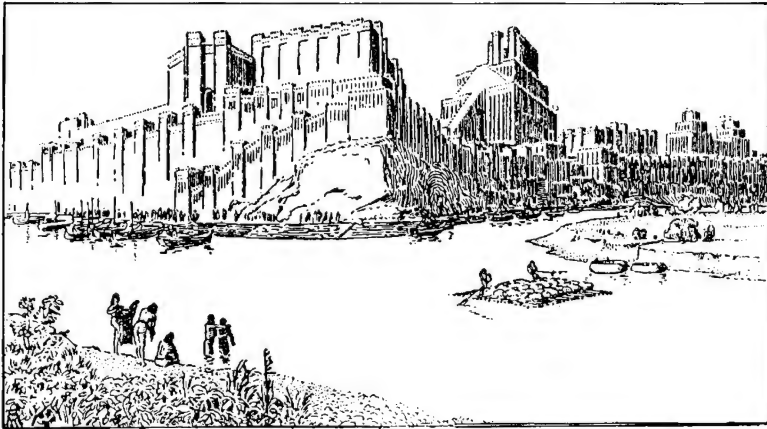
الطوبوغرافية والتحصين :

في مناعة موقعها . كما يزيد في دفاعات هذه المدينة سلسلتان جبليتان ممتدان مع اتجاه نهر دجلة هما مكحول وحمرين حيث بداية كل منها هي منطقة الفتحة الواقعة الى الجنوب من مدينة آشور التي تنتهي عندها مرتفعات مكحيل او ماتعرف محليا باسم «الخانوقة» عند روايي لارتفاع كثيراً عن الارض التي عليها هذه المدينة . الا ان هذه التلال تعود ثانية في غرب آشور وشمالها الغربي بهيئة هضاب مرتفعة تعرف بتلال القيارة بعيدة عن نهر دجلة . وتنحدر من هذه المرتفعات وديان وشعاب تنتهي في نهر دجلة واهمها وادي ام الشبايط ووادي الخزانف

تلعب العوامل الطوبوغرافية في الغالب دوراً مهماً في اختيار موقع المدينة وفي مقدمتها توفير الجانب الامني لها اذ كانت ارض المدينة عاملاً يزيد من استحکاماتها الدفاعية في معظم الاحيان وفي بلاد آشور نماذج مختلفة من المدن ذات المواقع المختلفة كان للدور الطوبوغرافي اثر في بنائها وازدهارها كما كان له اثر في خططها . فاختار الآشوريون موقع مدينة آشور على الضفة اليمنى لنهر دجلة ، متوسطة مصب الزابين في ذلك النهر ليزيد



مخطط ارضي لمدينة آشور

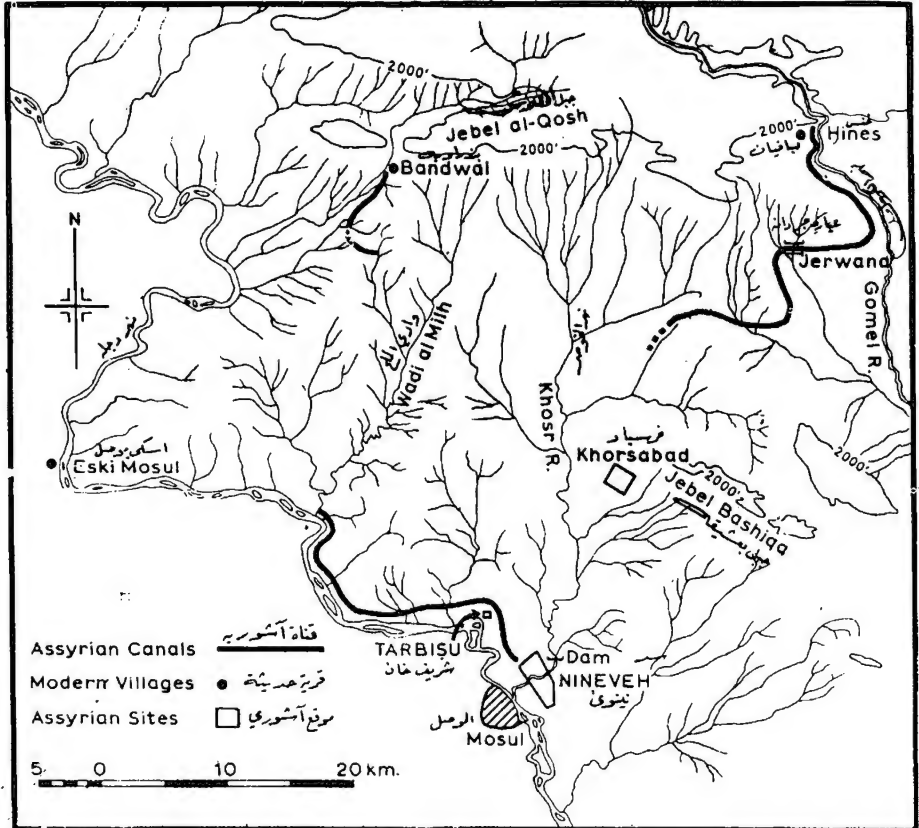


منظر تخيلي لمدينة آشور

طبيعياً يحول دون الوصول الى المدينة سيما حينما يمتلئ بالماء في الوقت الذي يرتفع فيه منسوب نهر دجلة .

اما مدينة كلخو (نمرود) فانها تقع على الضفة الشرقية لنهر دجلة فوق مرتفع تحيط به اراض زراعية تكثر تموجاتها لاسيا الواقعة الى الجنوب والشمال الشرقي منها مثل جبل مخمور في جنوبها ومرتفعات الصفرة وجبلي مقلوب وعشيقية في شمالها . وموقع كلخو الذي يتوسط العواصم الآشورية الأخرى يتميز بانحداره التدريجي نحو الشمال . لذلك وظف الاشوريون هذه الخاصية وأوصلوا مياه الزاب الاعلى الى هذه المدينة بواسطة قناة حفرت لهذا الغرض .

وفروعها التي فيها عيون للماء ومناقع مالحة تزرع حافاتها وتصبح مراعى للاغنام . وقد حددت هذه الطوبوغرافية موقع مدينة آشور على احدى تلك الروابي في زاوية من ارض صخرية مشكلة مايشبه المثلث غير الكامل ، يكون ضلعه الشمالي الكثف الصخري الذي ينتهي عند دجلة مكوناً رأساً لهذا المثلث (8) . ويبدو ان الآشوريين وظفوا هذه الخصائص لحماية هذه المدينة ، ولكي تحدد من توغل الاعداء اليها لاسيا وان نهر دجلة المعروف بعنقه وبسرعة تياره يحميها من الشرق ويسقي السهل الطموي الكائن في شمالها الذي تصب فيه كميات من الطمي سنوياً تزيد من انتاجه الزراعي فضلاً عن كون هذا السهل منخفضاً طبيعياً يكون عائقاً



ومن المدن الأخرى في منطقة الموصل هي مدينة حترا (الحضر) الواقعة في بادية الجزيرة الى الجنوب الغربي من مدينة الموصل وعلى نحو ١١٠ كم. وهي على مسافة اربعة كيلو مترات من وادي الثرثار الذي يقع الى الشرق منها. والموقع الذي بنيت عليه مدينة الحضر يشكل عقدة تهيمن على طرق الاتصالات ما بين آشور على دجلة وسنجار ونصيبين ودورابوريس (الصالحية) وطيسفون (المدائن) اما عبر جبل سنجانر أو عن طريق وادي الثرثار او الطرق المحاذية للضفة الغربية من نهر دجلة^(٩).

وتشرف الارض التي بنيت عليها الحضر على ساحولها من المناطق وبذلك اضافت الى استحكاماتها الدفاعية قوة لمقاومة حصارها اعداءها، ولراقبة الطرق المجاورة لها والتي تسلكها جيوش اعدائها. وفضلاً عن الارض المنبسطة التي يقع عليها المعبد الكبير المخصص لعبادة الشمس فان في مدينة الحضر منخفضات واسعة تقع في القسم الشرقي من هذه المدينة، فتمثل في مجاه الامطار التي تنساب عبر مسابيل مختلفة، مشكلة مصدراً مائياً مهماً يستخدمه سكان هذه المدينة لفترة طويلة من السنة.

اما مدينة سنجانر التي زاد من اهميتها كونها واقعة في عقدة تهيمن على الطرق التجارية والعسكرية. فانها تقع في سفح جبل يعرف بهذا الاسم، ويجري في وسطها واد فيه مياه عذبة تسقي البساتين والحقول. ويشرف موقعها على الطريق الذي يربط اعالي دجلة ببلاد الشام منذ الازمنة القديمة. وتتفرع من سنجانر عدة طرق تصل بينها وبين المدن الأخرى في المنطقة ومنها نينوى والحضر وبلد (اسكي موصل) ومدن الفرات.

وتقع مدينة نينوى على ضفة دجلة اليسرى في منطقة تحيط بها المرتفعات من الجهات الشمالية والشمالية الشرقية ما بين بلدتي بعشيقه والشيخان وتنحدر الوديان من هذه الجبال مناسبة نحو الجهة التي تقع فيها هذه المدينة. واستخدم الاشوريون عدداً من هذه الوديان كأنهار جلبت اليها المياه من المناطق الأخرى مثل بندواية التي تغذي من جبل القوش لتسقي المزارع والحقول عبر وادي الملح. كما واصبح الخوصر نهرًا تصب فيه العديد من القنوات المناسبة كلها نحو قاعه مخترقة مدينة نينوى.

وتطوق مدينة دورشروكين (خرصباد) مرتفعات لاسيا الكائنة الى الشمال والشرق منها وتنحدر من هذه المرتفعات عدد من الوديان تغذي بعضها المياه الآتية من نهر الكومل.

وفضلاً عن المرتفعات والوديان في منطقة الموصل فان السهول المحيطة بالمدن الآشورية المار ذكرها قد امتازت بخصوبتها وجودة تربتها وبالامكان ارواء بعض منها بواسطة جداول تأخذ مياهها من نهر دجلة او فروعها، او بالامطار الساقطة لاسيا الاراضي التي تقع فيها المدن المذكورة، ومنها سهل آشور الغربي الذي سبقت الاشارة اليه والواقع بين آشور (قلعة شرقا) والقيارة فهو يكفي لاعاشة سكان هذه المنطقة. اما السهل الكائن الى الشمال والشمال الشرقي من كلخو فقد اشتهر بالزراعة الديمية. كما وان سهول كل من عقرة واريل وكروملس وسنجانر هي الأخرى غنية بالزراعة، وبفضلها أمن سكان هذه المنطقة على قوتهم ومياهم.

وفضلاً عن ذلك فقد اعتمد الاشوريون على زيادة مصادر المياه في المدينة الواحدة دون الاعتماد على نهر دجلة والذي تقع على ضفتيه العواصم الآشورية باستثناء دورشروكين (خرصباد).

الذي اعده الدكتور فالتر اندريه رئيس البعثة
الاثرية الالمانية التي عملت في هذه المدينة للفترة
من ١٩٠٣ ولغاية ١٩١٤ (١٢) .

واذا ما استعان الباحث بالتخلفات الاثرية التي
كشفها المقبون من سور مدينة آشور وبالنصوص
المسارية فان بإمكانه ان يعطي جدولاً زمنياً
باسماء الملوك الذين تولوا اعمال البناء والتجديدات
والاضافات في اسوار هذه المدينة رغم ان
التحصينات الأولى فيها التي تسبق العصر الاشوري
القديم لم يبق منها سوى اماكن محدودة كشفها
المقبون في الساحة الامامية لمعد آشور في جهة
المساة المظلة على نهر دجلة . ويحوي سور مدينة
آشور على ثلاث عشرة بوابة لم تكشف الحفريات الا
عن سبع منها مثل تابيرا وكركوري (١٣) .

وكانت كلخوقرية على ما يبدو في الألف الثالث
قبل الميلاد ولا يعرف ان كانت قد استوطنت قبل
هذا التاريخ . الا ان الادلة الاثرية التي كشفها
المقبون ترتقي الى نحو ١٧٠٠ قبل الميلاد اي انها
كانت أهلة في زمن الملك حمورابي ، واصبح لها
شأن في زمن الملك الاشوري شليمنصر الأول
١٢٨٠ - ١٢٦٠ قبل الميلاد .

وسور مدينة كلخو بهيمة مربع تقريباً طوله ثمانية
كيلومترات مازالت معالمه واضحة لكن الوقوف على
تفاصيله من جدار وإبراج وبواباته الاربع لا يمتح
الحفريات واسعة . ويبدو ان الضلع الغربي من هذا
السور متعرج آخذاً شكل مسار نهر دجلة أو
مستناتها . ويحيط بهذا السور خندق عميق من
الخارج . وللمكانة العسكرية التي كانت عليها
كلخو كونها القاعدة التي تنطلق منها الجيوش
الاشورية في حملاتها على الاقاليم المختلفة ينبغي ان
تكون الاستحكامات الدفاعية فيها على درجة من
الكفاءة .

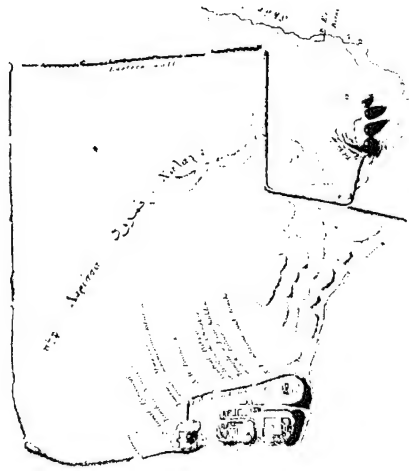
احاط سكان اعالي بلاد الرافدين اماكن
استقرارهم ومنها القرى والمدن بأسوار للمحافظة على
مجتمعاتها من الاخطار . ويعد تل الصوان من الألف
السادس قبل الميلاد النواة الأولى لاقدم تحصينات
دفاعية في عصور ما قبل التاريخ . اذ يحيط بهذا
الموقع سور مستطيل مبني من اللبن والطين ، يحيط
به خندق مواز له محفور في ارض حصوية بعرض
مترين ونصف في قسمه العلوي ونصف متر عند
القاعدة وعمقه ثلاثة امتار . وللسور ثلاثة مداخل
الشمال منه مزور وعلى الداخل الى القرية ان ينحرف
وبزاوية قائمة بعد اجتيازه لممر نحو اليمن او
اليسار (١٤) .

ويحيط بتل طاية سور دائري الشكل يعود تاريخه
الى عصر فجر السلالات او العصر الاكدي وهو
على غرار سور المعابد المكتشفة في منطقة دبابي ومنها
المعد البيضوي في خفاجة وتل العبيد وتل الهبة
من الفترة ذاتها . اذ يبلغ مسمك ذلك السور مترين ،
مبني بالحجارة غير المهدمة (١٥) . وفي ذلك دلالة
على الامكانية الاقتصادية لسكان تل طاية ،
فضلاً عن امكاناتهم البشرية والفنية .

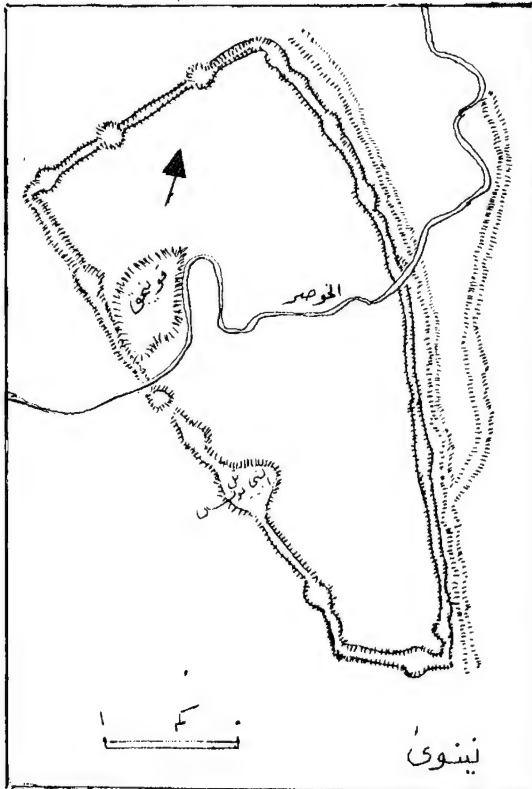
ولم تكن لدينا ادلة في الوقت الحاضر ان مدينة
آشور كانت مستوطنة في عصور ما قبل التاريخ الا
انها كانت أهلة في عصر فجر السلالات او في عصر
اور الثالثة . وكانت كما يبدو كثيفة بالسكان
المتكلمين باللغة الاكدي في العصور الآشورية .
وربما كان السبب في ذلك ان هذه المدينة كانت
مركزاً تجارياً او عسكرياً في الوقت نفسه . ويعتمد
الباحث في وصف مخطط هذه المدينة وشكل
اسوارها وخطوطها الداخلية على ما تبقى من اثارها
وعلى النصوص المسارية وعلى ما كشفت الحفائر
الاثرية من مبانيها وشوارعها ، ويجد القارئ
المعلومات المفصلة عن اسوارها وبواباتها في الكتاب

وكانت المدينة نينوى أشهر العواصم الآشورية وأكثرها سعة ، حيث تبلغ مساحتها ٨,٣٢٥ كيلو متراً مربعاً أي ما يعادل ثلاثة آلاف دوغم . يحيط بها سور ذو أضلاع مستقيمة قريب الشكل من شبه المنحرف . والضلعان الطوليان في سور نينوى يمتدان مع موازاة نهر دجلة ما بين الشمال والجنوب . وبلي هذا السور خندق وسور ثانٍ خارجي في الجهة الشرقية من المدينة يمتد من الشمال الى الجنوب يبلغ عرضه ١٥ - ٤٥ متراً^(١٤) .

وفي سور مدينة نينوى ثمانية عشر بوابة موزعة على الأضلاع الأربعة بعد أن كان الاعتقاد أنها خمس عشرة بوابة . وتحمل كل واحدة منها اسماً أما أن يكون اسم مدينة أو موضع يوصل اليه من خلالها أو نسبة الى وظيفتها . ويقرن مع اسم الموضع أو المكان اسم اله^(١٥) .



مخطط لمدينة نمرود



الخارجي لهذا السور خندق عميق كشفت الحفريات الأثرية عن قسم منه عند البوابة الشمالية للمدينة.

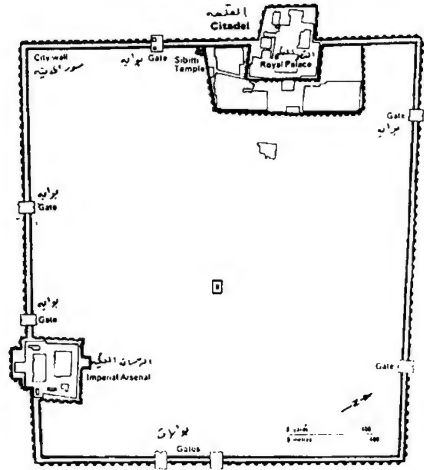
ويقع سور المدينة الرئيسي وسور معبدها الكبير فوق ارض مستوية تقريباً تتأشى مع الخطوط الكنتورية ١٨٥ - ٢٠٠ م كما ترينا ذلك الخرائط الكنتورية للمدينة. وربما يعود ذلك الى معرفة الحضريين بالطوبوغرافية وكيفية توضيفها للاغراض الدفاعية.

وفي سور الحضر الرئيسي اربع بوابات رئيسة وعدد من البوابات الثانوية الأخرى، وزعت الرئيسية منها على الجهات الأربع. وكشفت تنقيبات دائرة الآثار والتراث عن البوابتين الشمالية والشرقية بعد ان كان الاعتقاد على التخطيطات التي وضعها فالتر اندريه رئيس البعثة الاثرية الالمانية في آشور الذي سبقت الإشارة اليه، وخطط الحضريون البوابات الرئيسية في سورهم بهيئة يضطر الداخل الى المدينة ان ينحرف اما الى اليمين او الى اليسار بعد اجتياز الممر الاول فيها. وهذا النوع من التخطيط

يعرف عند المختصين بالبوابات المزورة. وتجدر الإشارة الى ان كل من هاتين البوابتين تحوي على كوة كبيرة وضع فيها تمثال من الحجر الكلس لهرقل اكبر من الحجم الطبيعي يقابل الداخل الى المدينة او الخارج منها. وعلى الجدار الأخر كوة اصغر من الأولى وضع فيها لوح من المرمر القسم العلوي بهيئة نسر، اما القسم السفلي منه فعليه نص قانوني مكتوب باللغة الآرامية مؤرخ بشهر كانون لسنة ١٥١ ميلادية يحذر من السرقة ويحدد عقوباتها^(١٧). وبذلك كانت وظيفة البوابة في مدينة الحضر لاختلاف في وظيفتها عن بوابات المدن في عصر فجر السلالات في كونها تحتوي على الواح تحذيرية سبقت الإشارة اليها.

وهذا النوع من التخطيط الدائري الذي كانت الحضرة وطيصفون انموذجاً له، يختلف كلياً عن تخطيط

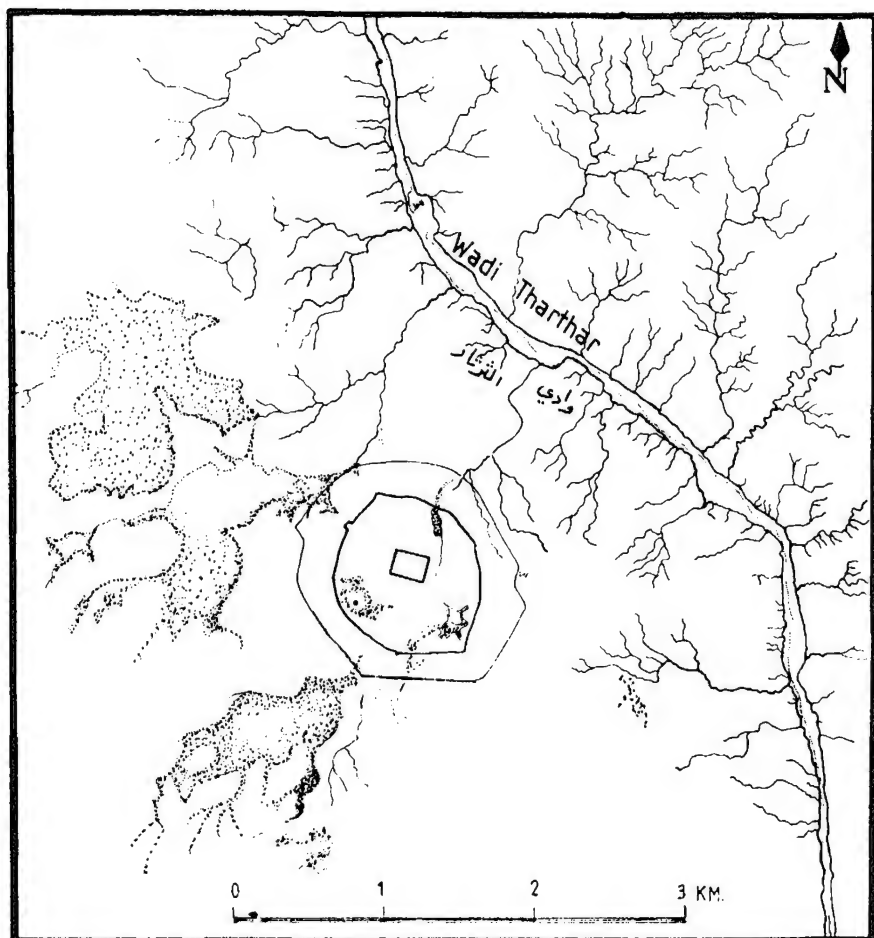
وسور مدينة دورشوكين الواقعة على مقتربات الجانب الايسر من نهر الخوصر مربعاً غير منتظم طول محيطه سبعة كيلومترات، يضم مساحة مقدارها ١٢٠٠ دونم. وأحكم سرجون الملك الآشوري تحصيناتها وجعلها مدينته المفضلة.



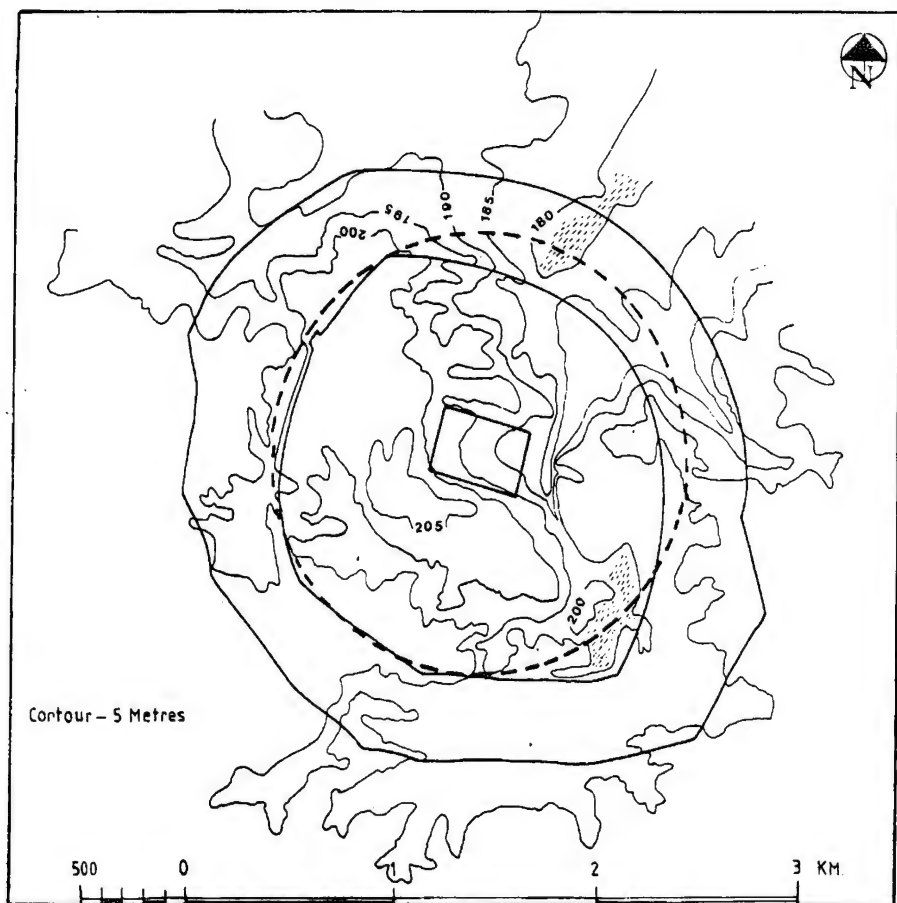
مخطط مدينة دورشوكين

وكانت المدينة الملكية تربصو محاطة بسور ترابي يحاذيه خندق من الخارج مازالت بقاياه واضحة في الجهة الشمالية الغربية من الموقع^(١٨).

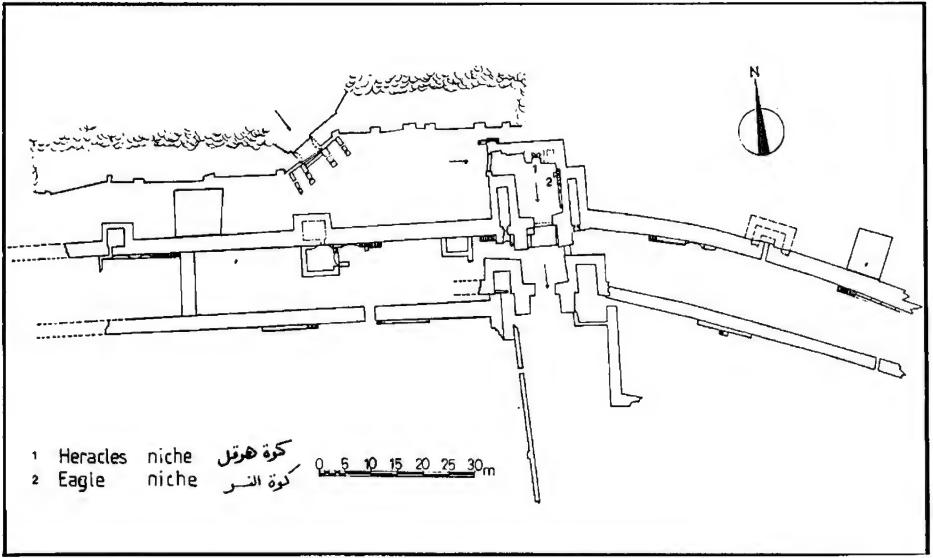
. وهناك نمط آخر من المدن المحصنة تختلف عن المدن الآشورية الآتفة الذكر من حيث الموقع ومن حيث العناصر البنائية للاستحكامات الدفاعية فيها وهي مدينة الحضر. اذ احيطت هذه المدينة بسورين دائري الشكل تقريباً. الأول وهو الخارجي ترابي قليل الارتفاع. اما الثاني فهو على مسافة خمسمائة متر من الأول وهو سور المدينة الرئيسي، مبني بالحجارة واللبن ومزود بأبراج مربعة او مستطيلة فيها الصلدة والمجوفة. ويحاذي الوجه



خارطة الحضر الطوبوغرافية



خارطة كستورية لموقع الحصن



البوابة الشمالية في سور مدينة الحضر

المربعة أو المستطيلة ويجعل الاستحكامات الدفاعية فيها أكثر قوة .

اما مواد البناء المستخدمة في بناء اسوار المدن وبواباتها في العصور المختلفة والتي ورد ذكرها فقد بنيت باللبن والطين واستخدمت حجارة الحلان المهتمة اما لاسس جدرانها أو لتغليف الأوجه الخارجية لهذه الاسوار لاسيما الآشورية منها . وتشترك هذه الاسوار في المدن ذات الازمنة المختلفة كونها سميكة . ويجري مع الوجه الخارجي لكل منها خندق عميق عدا الاضلاع المجاورة للنهر . ويحتوي السور على بوابات رئيسة ترتبط بالمدينة بشوارع رئيسة كما سنرى . كما يدعم اسوار المدن المختلفة أبراج موزعة على الوجه الخارجي للسور . وتتميز أبراج الاسوار الآشورية كونها قليلة البروز الى الخارج على العكس من أبراج المدن المتأخرة في منطقة الموصل مثل الحضر وسنجار الكبيرة الاحجام والكثيرة البروز .

وان تنوعت اشكال الاسوار في المدن القديمة في المنطقة موضوعة البحث وتنوعت ابراجها واختلفت

المدن المعاصرة لها في كل من سوريا وآسيا الصغرى فقد كانت مدن تلك الاقاليم اما انها مربعة او مستطيلة او ذوات اشكال غير منتظمة كما وان تخطيط الحضر يختلف ايضاً عن تخطيط كل من سلوقيا (تل عمن) قبال المدائن ودورايوريس (الصالحية) على نهر الفرات وانطاكيا على نهر العاصي وتدمر في الصحراء السورية من حيث الشكل . اذ ان الاسوار الدائرية قد احاطت بعدد من قرى ما قبل التاريخ في منطقة الموصل مثل تبه كورا كما كان مستخدماً في مدن الألف الثالث قبل الميلاد مثل تل طاية وغيرها التي سبق وأشرنا اليها . وفضلاً عن ذلك كان السور الدائري معروفاً في بلاد الشام فكانت مدينة زنجلي كاملة التدوير في القرن الثامن قبل الميلاد . الا ان التخطيط الدائري لاسوار المدن الذي ظهر مرة ثانية في الحضر وطيسفون كان له دلالة على احتفاظ سكان بلاد الرافدين بالتقاليد الفنية الموروثة ، فضلاً عن ان هذا التخطيط يوفر في مواد البناء أكثر من الاسوار

تخطيطات بوابتها ، فإنها جميعاً صممت لتخدم الأغراض الدفاعية .

القصور والمعابد :

من أبرز الخصائص التي ميزت المدينة عن سواها تلك المباني المقدسة التي تحتل قلبها او القسم الأوسط منها مكونة مايشبه وحدة مركزية مسورة معزولة عن الاحياء السكنية عرفت بعدئذ بالمدينة الخاصة . وبعد موقع تبه كورا الذي شهد البدايات الاولى للتمدن في الفترة الواقعة بين ٥٠٠٠ - ٣٠٠٠ قبل الميلاد افضل مثل من بين اماكن هذه الفترة في منطقة الموصل ، فالطبقات الست الاولى كشفت فيها ابنية ومواد فخارية نسبت الى فترة العبيد ترينا أبنية مؤلفة من غرف مستطيلة يحيط بها سور دائري تحتل القسم الاوسط من المستوطن المذكور . ويضمن هذه المساحة معابد اعتمد في تخطيطها اسلوب المعابد المشيدة في أريدو . وكشفت الحفائر الاثرية في هذا الموقع على عدد من المعابد في الطبقة ١٢ تحيط بها وبالمباني الصغيرة الاخرى ساحة واسعة . ويسجل المعبد الشرقي أقدم وحدة بنائية فيها . اما المعبد الشمالي فيحتوي على جناحين بارزين . وبذلك يكون هذا القسم من المستوطن على مايرجح مشيد للاغراض الرسمية أو للاغراض العامة .

واذا ما القينا نظرة على مخططات المدن المكتشفة في اعالي بلاد الرافدين ، فان عدداً منها لا تخلف في خططها عما لاحظناه في تبه كورا على الرغم من انها متأخرة في تاريخها عن ذلك المستوطن . ومن بين هذه المدن نوزي (بورغان تبه) المدينة الأكديّة Ga - Sur التي كانت كما ترينا الدلائل مركزاً حضارياً مهماً في الألف الثالث قبل الميلاد ، ومركزاً لمقاطعة خورية في الألف الثاني قبل الميلاد . واطهرت الحفائر الاثرية ان القسم الوسطي من هذه المدينة مايشبه المستطيل غير المنتظم التي

ابعاده ٢٠٠ × ٢٢٠ م . اي ان مساحته ٤٠٠ هكتار ، تحتوي على قصر كبير ومعبد معقد يقع في القسم الشمالي منها ، وقصر آخر عند الزاوية الشمالية . وتربط هذا القسم من المدينة بالاحياء الأخرى منها شوارع رئيسية مستقيمة كما سنرى .

وشيدت في المدن الاشورية قصوراً ومعابد تشكل المساحات التي بنيت عليها مناطق مركزية . وغالباً ما شيدت هذه المباني فوق انقاض مباني أقدم تعود ازمة بعضها الى الالف السادس او الخامس قبل الميلاد او مابعداها . وتلقى المدونات الاشورية الملكية الضوء على ذلك لاسيما القصور والمعابد المشيدة في كل نينوى وكلخو كما سنرى ، اذ كانت المباني المركزية في مدينة آشور تشمل قصور المدينة ومعابدها الرئيسية واقعة في القسم المعروف بـ (لبي آلي) وهي اكثر مناطق المدينة ارتفاعاً سيما المساحات المشرفة على نهر دجلة . وكانت معابدها كثيرة الارتفاع حتى انها اصبحت اكثر ارتفاعاً من الروبة التي تقع عليها المدينة (١٨) . كما ان معظم القصور التي تقع عند الزاوية الشمالية الغربية كانت كثيرة الارتفاع ايضاً لبنائها فوق المصاطب .

وفي كلخو نجد ان مبانيها المركزية التي فيها القصور والمعابد والمباني الادارية الأخرى تقع في الجهة الغربية من المدينة الممتدة بموازاة نهر دجلة . وقد اتبعت في بناء كل من القصور والمعابد في هذه المدينة الخصائص المعمارية للقصور الملكية في مدينة آشور . وما تجدر الاشارة اليه ان المنشآت البنائية في المدينة الجديدة كلخو ومنها الاسوار قد بنيت فوق أطلال مدينة اقدم . اذ حفرت اسس المباني الجديدة بعد ازالة انقاض تلك المستوطنات وحتى ظهور مستوى الماء (١٩) .

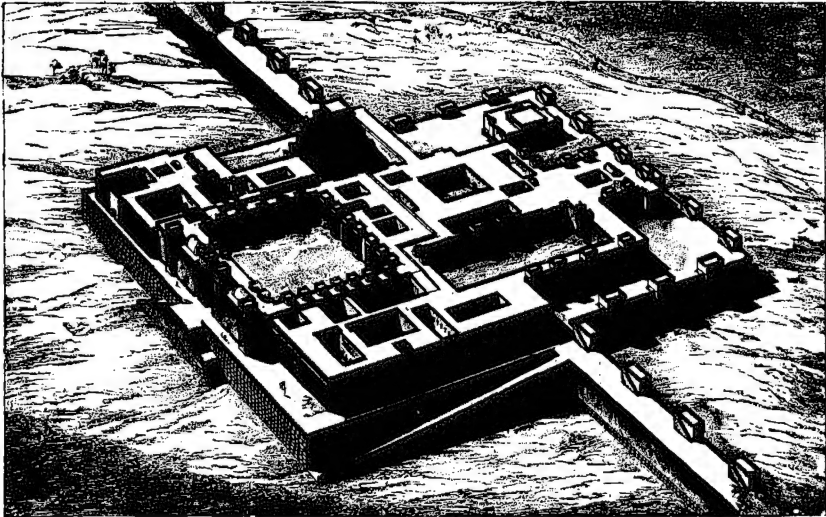
وتشكل التلال الواسعة المساحة والكثيرة الارتفاع في نينوى مثل تل قوينجق وتل النبي يونس اكثر اقسام المدينة قدماً اذ تعود كما ترينا الدلائل

الاثريه ان الطبقات السكنية في تل قوينجق مثلاً الى الالف السادس او الخامس قبل الميلاد. اذ شيد الملوك الآشوريين قصورهم ومعابدهم فوق مصاطب عالية من اللبن تقوم اسسها فوق انقاض المباني التي شكلت الاقسام العليا من هذه التلال .

اما في دور شروكين فقد بنيت القصور الملكية فيها فوق مصطبة شيدت معاً فوق تل عال ربما هو مستوطن قديم . وتحتل هذه الابنية ومعها المعابد القسم الاوسط من الضلع الشمالي الغربي لسور هذه المدينة ، اذ ترتفع المباني المركزية هذه بارتفاع ذلك السور . ومن بين هذه المباني قصر الملك سرجون مشيد هذه المدينة ومعابد صغيرة وبرجاً مدرجاً يرق اليه في الاعياد والاحتفالات الرسمية . وفي القصر المذكور قسم لادارة وغرف للحريم وأخرى للحرس . وعند الزاوية الجنوبية لمدينة دور شروكين منشآت أخرى مازالت تنتظر التنقيب .

تخطيطها وبنائها معاً . وهذا يعكس مدى اهتمام هؤلاء الملوك واعتزازهم بهذه المدن . اذ تلقي المدونات المسماة اعضاءاً على الجوانب المتعددة من مراحل تشييد المدينة الواحدة أو الاحتفالات الرسمية عند تدشينها ، وتنعكس ايضاً مدى اهتمام هؤلاء الملوك بالجانب الحضري في تخطيط مدنها .

اما مراحل العمل وتنفيذ مخططات المدن او اقسام منها فتسهم النصوص المتوفرة في لقاء الضوء على تلك الجوانب . ومن هذه النصوص رسالة ترينا كيف ان الملك سرجون قد اشرف على مراحل العمل في بناء مدينة دور شروكين ، وكيف انه أوكل مهامها الى وزير ماليته الذي تولى الاشراف على الاعمال العمرانية الملكية في بناء القصور والمعابد والاسوار فيها ، وقد قام بتنفيذها حكام المقاطعات الآشورية . وتشير هذه الرسالة الى احدى زيارات ذلك الوزير لمواقع العمل في دور شروكين للاشراف



منظر تخيلي لقصر سرجون في دور شروكين

على الاعمال المنوطة بكل من حاكم مدينة كلخو (نمرود) وأرباخا (كركوك) وللإطلاع على سير

ولكي تكون العواصم الآشورية متكاملة من حيث التخطيط فقد أشرف الملوك الآشوريون على

الاعمال البنائية في العاصمة الجديدة ولتحديد مسؤولية كل منها في العمل^(٢٠).

وتعكس الكتابات المسارية اهتمام الملك الاشوري سنحاريب بتصاميم مدينة نينوى. اذ انه وضع حجر الاساس لقصره الجديد بعد ان أمر بهدم قصره القديم الذي ضاقت مساحته ومنها ساحات تدريب الخيول. فضلاً عن ان اسس قاعة العرش فيه حسبما تذكره المدونات أصبحت واهية وان سقفوها بدأت بالتآكل. وقبل البدء بعمليات بناء القصر أجريت تسوية ترابية لارضيته التي بنيت فوقها مصطبة من اللبن طولها ٦٠ كاراً وعرضها ٣٤ كاراً^(٢١)، كسيت بالحجارة المجلوبة من المناطق الجبلية. وقد أدخل مهندسو القصر الجديد في تصميمه التوسعات المحتملة التي يمكن اضافتها ليكون "القصر الذي لا مثيل له"^(٢٢).

اما المعابد في المدن الآشورية لاسيا العواصم، فقد شيدت كما تشير الى ذلك نتائج التنقيبات الالثرية فوق اماكن مرتفعة ربما يكون الغالب فيها تلولاً أو مستوطنات أقدم. فقد شيد معبد في تل الرماح في عصر الملك شمشي أدد الأول فوق تل عال يتم الوصول اليه بسلم قائم فوق عقادة مشيدة فوق مصطبة حتى أصبح المعبد اكثر اقسام المدينة ارتفاعاً.

وتقع المعابد في مدينة آشور فوق المناطق المرتفعة، لدرجة أصبحت هذه المعابد أكثر ارتفاعاً من ارض المدينة نفسها. وفي هذه المدينة ثلاث زقورات أقدمها وأكثرها سعة الزقورة التي بنيت في زمن الملك شمشي أدد الأول والمكرسة لعبادة انليل الذي حل محله اشور بعدئذ. وتذكر المدونات المسارية ان في مدينة آشور وحدها ثمانية وثلاثين معبداً، وهذا يعكس الاهمية الدينية التي كانت عليها هذه المدينة. الا ان الحفائر الالثرية لم تكشف الا عن مخططات اربعة منها، ومنها معبد آشور الكائن

عند المرتفع الشمالي من المدينة، ومعبد عشتار ومعبد أنوفضلاً عن المعبد المزدوج المكرس لعبادة كل من الشمس والقمر. وتقدم النصوص المسارية والأدلة الالثرية مدى اهتمام الملوك الاشوريين بهذه المعابد، اذ توالى عدد من هؤلاء الملوك اعمال التعمير والاضافة لهذه المعابد، حتى شمل الواحد منها أكثر من ستة أدوار بنائية.

وفضلاً عن المعابد الواقعة داخل مدينة آشور فان بيت أكييتو الواقع خارج اسوارها فيربطه بهذه المدينة طريق مرصوف ونجري فيه طقوس عبد رأس السنة واحتفالات كان للملوك فيها دوراً قيادياً.

ولايعرف ما اذا كانت في منطقة الموصل مدن شيدت في الفترة التي تلت سقوط الدولة الاشورية لاسيا بعد ان هجرت عواصمها. اذ أن الحفائر الالثرية لا تقدم الدلائل في ان الحياة اليومية قد استمرت في المدن الآشورية أو عادت اليها بعد انتهاء دور الآشوريين السياسي في المنطقة. وكل ماظهرته هذه الحفائر ان هذه المدن أضحت قرى صغيرة بعد ان مر عليها قرنان او ثلاثة قرون على أقل تقدير من الهجرة الكامل، حتى ان بعض هذه المدن قد عرفت باسماء أخرى ولم تعد محتفظة حتى بأسمائها ان صحت اراء المحققين في المصادر الكلاسيكية ومنها زينفون وديوكاسيوس. الا ان مدينة الحضر تكون أوضح مثل للمدن التي قامت في منطقة الموصل بعد ان مرت بضعة قرون على أقول العواصم والمدن الاشورية. اذ أن المباني المركزية في هذه المدينة تقع في القسم الاوسط منها. حيث يحتل المعبد الكبير المخصص لعبادة شمش (الشمس) مساحة كبيرة مقسم الى حرم واسع فيه عدد من المعابد والمصليات، وفناء أكثر سعة منه تحيط به عدد كبير من الاواوين والغرف التي على مايرجح كانت لا يواء زوار المدينة. وقد احيط المعبد الكبير بسور من الحجر ترتبط مدخله بشوارع رئيسة

تصل بعضها بالبوابات في سور المدينة الرئيسي وأخرى بالاحياء السكنية .

وبما تجدر الإشارة اليه ان وقوع المعبد الرئيسي في قلب مدينة الحضر ربما يكون الهدف منه ان يكون على مسافة متساوية من احياء المدينة فضلاً عن كونه المركز لادارة الدفاع عنها .
حتى اصبحت الحضر بعدئذ أنموذجاً للخصائص التي اتصفت بها المدن العربية الاسلامية في العراق ومنها بغداد (٢٣) .

اما القصور الملكية في الحضر فلم يعرف موضعها الى حد الان اذ لم يكشف المنقبون الا عن دار واسعة قرب البوابة الشمالية من سور المدينة اصطلاح عليه "بالقصر الشمالي" ووحدة سكنية تقع الى الجنوب من سور المعبد الكبير نسبت الى والدة عبد سميا ولي العهد بن سنطروق الملك بن نصر السعيد .

وفضلا عن المعبد الكبير هناك معابد أخرى صغيرة كشفت الحفائر الاثرية في الحضر عن ثلاثة عشر منها . ويقع كل معبد ضمن منطقة سكنية في الجهات المختلفة من المدينة .

المازالت :

كانت اولى الاماكن التي استقر فيها الانسان لفصول معينة من السنة عبارة عن حفر دائرية رصفت أرضياتها بالحصى والحجارة كما في مواقع كل من زاوي جمني وكريم شاهر وملفعات التي لا تبعد كثيراً عن منطقة الموصل . الا ان التطور الحاصل في تخطيط وبناء المساكن كان وليد استقرار الانسان بعد ممارسته الزراعة . فأصبح المسكن المشيدة جدرانها بالطوف فوق اسس من الحجارة اكثر تعقيداً من ذي قبل رغم صغر مساحته ، إذ يحتوي على غرف تدور حول فناء صغير تستخدمها الاسرة للسكن وللخزن . وغطيت ارضيات هذه الغرفة وسقوفها بمحصران من القصب والطين . واصبحت مساكن قرية جرمو التي ليس لها ادنى شبه بالاكواخ الدائرية المارة الذكر مثلاً لابنية القرى

الأخرى في الفترات اللاحقة ومنها مغزلية الواقعة في منطقة تلعفر فغرف المساكن فيها مستطيلة شيدت بالطوف على اسس من الاحجار غير المنتظمة .

وفي الوقت الذي كانت جرمو ومغزلية وقرى دائمية أخرى كانت مجمعات رعوية من سكنة الخيام تتمهن الزراعة الموسمية الا ان قرى الدور المعروف بمحسونة المشيدة . بالطين لاتبقى شاخصة في الغالب لاكثر من اربعين سنة (٢٤) .

وكشفت في يارم تبه عن ابنية لوحداث شيدت جدرانها بالطوف تمثل بيوتاً صغيرة يكتفي الواحد منها لعائلة . وقد الحقت بالبيت الواحد مخازن ربما كانت تخدم اغراضاً اقتصادية لسكان الموقع . وما بين بيت وآخر حسبما كشفت عنه الحفائر الاثرية مساحات خالية من البناء ، الحقت تدريجياً بعدئذ بتلك البيوت بعد ان حصلت زيادة في نفوس العائلة الواحدة على مايرجح .

وابرز ما في هذه القرية " يارم تبه " ميزه لها علاقة بموضوع تخطيط المدن هو القسم الشمالي منها كانت فيه مساكن لحرفيين ومنهم العاملون في صناعة الفخار حيث عثر في ذلك القسم على كورة لفخار الاواني الطينية مكونة من طابقين ربما تكون أقدم مثل لفرن يكشف في منطقة مخصصة للاغراض الصناعية (٢٥) .

وفي اربيجية بيوت دائرية شيدت بالطين فوق اسس من قطع الحجارة تعود الى الفترة المعروفة بحلف ، بفصل الابنية السكنية بعضها عن بعض طرقات رصفت بالحصى . ومن بين تلك الابنية مبان دائرية أخرى كانت ذات وظائف دينية وجدت فيها تماثيل صغيرة للالهة الام . وبذلك اصبحت مبان اربيجية الدائرية ميزة لعارة حلف الذي انتشر بشكل رئيسي ما بين منطقة الموصل والخابور على نهر الفرات ، والذي كانت نماذجه الاولى اكواخ زاوي جمني وكريم شاهر وملفعات

الكائنة في الاقسام العليا من العراق كما سبقت
الاشارة الى ذلك من قبل .

والى جانب الابنية السكنية وجدت في ارجحية
مبان مخصصة للاغراض الصناعية ومنها صناعة
الفخار اذ تشير الدلائل الاثرية ان ارجحية كانت
اكبر مركز لهذه الصناعة في منطقة الموصل .

وبعد ان استخدم اللبن المصنوع بال قالب في
عصري سامراء والعبيد على نطاق واسع في مباني
هذين العصرين ومنها تل الصوان الذي لا يبعد كثيراً
عن الحد الجنوبي لمنطقة البحث وتل سنكور في
حوض حميرين . الا ان مباني عصر العبید كانت
اكثر تعقيداً من حيث التخطيط من مباني العصر
الذي سبقه . وربما يعود ذلك الى التطور الحاصل
في اساليب البناء الواسعة الانتشار . إذ ان الساحة
الوسطية في تبه كورا في الفترة ما بين ٥٠٠٠ -
٣٠٠٠ ق. م كانت عريضة مستطيلة الشكل ،
تفصل بين وحدتين بنائيتين ، بعد ان كانت الابنية
الدائرية في تبه كورا الصفة المميزة لها في الفترة التي
سبقت العبید . وبذلك يكون هذا الموقع اقرب
مثال لمدينة الموصل خضعت لمبانيه السكنية الى
تأثير طرز معمارية .

وتتوزع الوحدات السكنية في تبه كورا حول
بناية مستطيلة تحتل وسط الموقع منها معابد مشابهة
من حيث التخطيط للمعابد المكتشفة في اريدو في
القسم الجنوبي من العراق . اذ كشفت الحفريات في
هذا الموقع عن عشرين طبقة سكنية يعود اقدمها
الى قترتي العبید والوركاء في الطبقة VIA
(٣٥٠٠ - ٣٢٠٠ ق. م) فيها بيوت تفصل
بعضها عن بعض ازقة غير منتظمة . وفي
الطبقة السادسة كانت الاحياء السكنية فيها موزعة
الى حد ما بشكل مستطيل تفصل بينها طرقات
ضيقة (٢٧) .

وفي تل طابة قطاعات سكنية موزعة بشكل
غير منتظم على كنف الوادي الذي يخترق ذلك
الموقع ، اما زالت اسسها الحجرية واضحة . اذ بنى
وجها الجدار الواحد بكتل مسواة الى حد ما من
الحجارة ، ملئ ما بينها بالحجارة الصغيرة (٢٨) .

وفي مثل آخر لمدينة تقع الى الشرق من بلاد
آشور وهي نوزي التي سبقت الاشارة اليها فإن
القطاعات السكنية والتجارية فيها تمتد حول
معابد المدينة وقصورها الكائنة في القسم الاوسط
منها ، اذ تفصل الاحياء السكنية التي فيها بنايات
مربعة شوارع رئيسة .

وكان السكن كثيفاً في مدينة آشور حيث
الاحياء السكنية الواقعة معظمها في القسم الجنوبي
من المدينة لاسيما بعد ان اضيفت اليها المدينة
الجديدة الممتدة على طول الشاطئ الغربي لنهر
دجلة . وقد احيطت المنشآت الجديدة فيها بسور
وخندق عميق لجعل من المدينة ما يشبه الجزيرة .

وفي كلخو كانت في المدينة الداخلية حارة
سكنية صغيرة ، الا ان بيوت السكان كانت في
المدينة الخارجية ، وهي بسيطة مشيدة باللبن
يسكن معظمها الفلاحون واصحاب المواشي .
ولا يعرف ما اذا كانت هذه الضاحية مسورة ام لا
على الرغم من ان تسويرها كان مهماً لكونها
القاعدة الامامية لتلك المدينة .

ومساكن العامة في المدن القديمة في منطقة
الموصل كما كشفت عنها الحفائر الاثرية تختلف في
تخطيطها واسلوب بناءها عن القصور والمعابد . فقد
شيدت المساكن باللبن واستخدمت الاخشاب في
سقفها ، بطريقة تتلاءم ومناخ كل منطقة . واذا
كانت الحفريات قد امدتنا بمخططات المساكن في
القرى ومنها القرى التي نشأت في عصور ما قبل

وما يجدر ذكره ان جدران المساكن المشيدة باللين كانت سميكة لكي تكون ملائمة للتقلبات المناخية، كما كانت هذه الجدران تطلّ اما بالطين او بالجص. وكانت سقف البيوت اما ان تكون بشكل ابنية أو انها تسقف بالخشب. وترتبط البيوت في المدينة عبر مداخل بوحدات بنائية متجاورة.

التاريخ في المنطقة التي سبقت الإشارة إليها مثل حسونة وإربيجية، فإن المساكن في المدن التي نمت وازدهرت في المنطقة نفسها مؤلفة من فناء تحيط به غرف هي أكثر مساحة، ولعل مساحة المساكن لانتعضها الا قاعدة واحدة وهي عدد سكانه وامكانياتهم الاقتصادية. ويحتوي المسكن بشكل عام اضافة الى غرف النوم على مطبخ



ومخزن. وليس هناك من ادلة في ان البيوت كانت تحتوي على حمامات نفترض وجودها في القصور الواسعة. ولا يعرف ان كان السكان قد استخدموا احد اقسام دارهم كمكان للاستحمام لاسيا في الفصول الباردة. اذ ان وجود الحمام في البيت يحتم وجود انظمة لتصريف المياه. ومهما كانت بدائية فان نظام التصريف يخلص من الرطوبة المؤثرة في الجدران المشيدة باللين^(٢٩).

وقد استخدم الايوان كعنصر عماري في بيوت الحضر وآشور مثلاً استخدم في ابنيها الدينية. فهناك بيوت في صحنها ايوانان مثل بيت معنوبالحضر، وابنية أخرى تحتوي على اربعة او اوين كما في آشور. وكشفت التنقيبات في الحضر عن بيوت متجاورة، منها ثلاثة مساكن متشابهة من حيث التخطيط تقع جوار المعبد الحادي عشر يدخل الى كل واحد منها عبر مجاز طويل^(٣١).

الشوارع والساحات:

تلقى الدلائل الاثرية ومنها اعمال المسح والتنقيب الضوء في ان الطرقات تفصل الوحدات

ومثلاً تحتوي البيوت الواسعة على الحمامات فانها تحتوي على مكانخصص للمرافق الصحية التي لا تختلف عن التصاميم المستخدمة في البيوت في الوقت الحاضر^(٣٠).

مدينة بابل أو تل حرم (شادوبوم) المستقيمة التي تقسم المدينة الى قطاعات سكنية مستطيلة .

وتكاد تفرد مدينة دور شروكين بشوارعها المستقيمة المقاطعة بعضها مع بعض مكونة مايشبه رقعة الشطرنج^(٣٤) . اذ اصبح هذا التخطيط مثلاً يسبق تخطيط المدن الاغريقية بعدة قرون .

ويمكن للمقارئ استنتاج مايمحله الملوك الآشوريون من اهمية الشوارع ليس في وظيفتها في اداء الحركة وانما في الناحية الجمالية ايضاً . اذ يذكر الملك سنحاريب في احدى مدوناته انه شق شوارع واسعة في مدينته نينوى في المنطقة ما بين سورها الخارجي والقسم الاوسط منها . اذ انها كانت مستقيمة أو فيها انحناء لكنها كانت مشجرة . وقد ربط هذا الملك نينوى بطرق مع المدن الأخرى . كما وسع هذا الملك الساحات في نينوى و اضاف الطرقات والشوارع التي جعلها مضيقاً كالنهار^(٣٥) . وعلى الرغم من عدم معرفتنا طريقة الاضاءة هذه الا انها تعكس لنا مدى اهتمام الاشوريين بهذا الجانب . ويمكن تصور هذه الاهمية في ان المدينة نينوى التي اصبح محيطها يزيد على الثمانية أميال كانت شوارعها مشجرة ومضاءة وكانت فيها القنوات والارصفة لتأني الزوارق والاكلاك بالصخور والاشجار حينما يرتفع منسوب ماء نهر دجلة^(٣٦) .

وعلى الرغم من ان الشوارع في مدينة سلوقيا (تل عمر) كانت مخططة وفق النظام المعروف بالشبكة الذي تبنته مدن العالم الهلنستي في الفترة التي سبقت ازدهار مدينة الحضر فان تخطيط الشوارع فيها لا يمت بصلة لهذا النظام . وهذا يعني ان التقاليد الهلنستية التي طبقها الاغريق في البيئات الجديدة ومنها العراق لم تعد مؤثرة كما يبدو . بل ان تخطيط الحضر ونظام شوارعها منسل عن التقاليد الفنية في المدن القديمة في المنطقة .

وتفيدنا الصور الجوية لهذه المدينة في ان المساحة

السكنية بعضها عن بعض . وهي ضيقة كانت بعضها مرصوفة بالحجارة او الحصى كما في ارجحية . وهي أولى الامثلة التي تبين اهتمام سكان القسرى ومنها ارجحية برصف طرقاتهم بتلك المادة التي تسهل حركة النقل وتخلص تراكم الاوحال فيها . اما سعة الشوارع وطولها في المدينة الواحدة فيتوقف على سعة مساحة المدينة وكثافة سكانها ، ومدى اهتمام ادارة المدينة بتقديم الخدمات لحاجة هذه الشوارع من التجاوزات وادامة نظافتها .

ولدينا أمثلة على الشوارع والطرقات التي كشفتها الحفائر الأثرية ومنها تبه كورا التي تربط قلب المدينة بسورها الخارجي ، وشوارع مستقيمة واخرى فيها الانحناءات ، تتأشى مع التخطيط الدائري لهذه المدينة^(٣٧) .

وترينا المسوحات الموقعية لمدينة تل طابة الواسعة المساحة والمنسوبة الى عصر فجر السلالات او العصر الاكدي كما اشرنا الى ذلك من قبل ان شوارعها طويلة ومستقيمة وعريضة ايضاً اذا ما قورنت بشوارع تبه كورا موزعة على ارجاء الموقع^(٣٨) . وبذلك تعطي هذه المدينة الصورة التي كانت فيها المدينة في تلك العصور . ولكون الحفريات في هذا الموقع كانت محدودة فلا يعرف ما اذا كانت في هذه الشوارع اسواق ودكاكين يمارس السكان فيها نشاطاتهم الاقتصادية كما هي عليه المدن في الوقت الحاضر ام لا .

وفي مدينة آشور التي جرت فيها تنقيبات واسعة شوارع غير مستقيمة فيها انحناءات تمتد باتجاهين متعاكسين . وأخرى مستقيمة تشبه من حيث التخطيط الشوارع المألوفة في القطاعات السكنية في مدينة أور ، حيث يلتقي في نقطة من شارع رئيسي عدد من فروع الشوارع وطرقات أخرى لاختلاف كثيراً عما نلاحظه في معظم مدن العراق القديم . لكن الشوارع في مدينة آشور تختلف عن شوارع

وأثمرت الاشجار وجنوا الشجيرات التي تحمل
الصفوف (القطن) وغزلوه وحاكوا
ملابسهم (٣٨).

وتحدثنا النصوص المسارية عن اعمال الملك
اشور ناصر بال الثاني الخاصة بمفرقة أوصلها من
الزاب الاعلى الى عاصمته كلخو (نمرود) لتسقي
الاشجار المثمرة التي غرست وانواع الاخشاب التي
استخدما في البناء (٣٩).

وقد الحقت بحداثق المدن على مايرجح ومنها
نينوى بمحيرات وحدائق للحوانات، فيذكر الملك
سبحارب انه اطلق في تلك الحدائق طيوراً وتنازير
وأبابل .

ولايعرف ما اذا كانت المدن البعيدة عن مصادر
المياه الجارية فيها حدائق مثل التي تحدثت عنها
النصوص المسارية ، الا ان اهتمام الملوك الاشوريين
بايصال المياه من مصادرها البعيدة الى المدن عبر
القنوات يقرب احتمال وجود حدائق في تلك
المدن ، غرسوا فيها الاشجار والازهار. وبذلك
تعطينا المدونات آتفة الذكر صورة عن شوارع المدينة
المشجرة والاراضي المخصصة للحدائق وهي صورة
لا تختلف عن المدن الواسعة في الوقت الحاضر إذ
تحتل الحدائق مكاناً خاصاً بها يجمع مابين الناحية
الجمالية والترفيهية لسكانها .

اما الامثلة الاخرى لمدن في منطقة الموصل
كانت فيها حدائق فان الدلائل الاثرية مازالت
نادرة. فلا يعرف ان كانت هناك حدائق في الحضر الا
ان اقتصار مصادر المياه فيها على الابار يبعد احتمال
وجودها .

المدافن :

مازال الرأي الارجح ان المقبرة الجماعية في
القسم الشمالي من العراق لم تظهر الا في فترة العبيد .
اذ ان اكتشاف مقبرة جماعية في أربحية تعود لتلك

السكنية فيها تزيد عن المائتي هكتار وهي مقسمة
الى احياء سكنية بواسطة الشوارع والطرق ،
تنصب معظمها في شوارع رئيسية تربط بوابات سور
المدينة بالمعبد الكبير الكائن في القسم الاوسط
منها . ويلاحظ في الصور الجوية للمدينة ان
الشوارع الفرعية تلتقي مع الشوارع الرئيسية في نقاط
تشكل زاوية قائمة في معظم القطاعات السكنية .
الا ان التفاصيل المطلوبة عن هذه الشوارع مثل
اطوالها وتباليطها وأرضياتها ونوع الابنية المطلة عليها
لاسيا الرئيسية منها منوطة بما ستكشفه الحفائر
الاثرية فيها . ولايعرف ان كانت الشوارع الرئيسية
في مدينة الحضر تحمل اسماء مثلاً كانت الشوارع في
بي تحمل اسماء البوابات نفسها (٤٧) .

وبالاضافة الى الشوارع في الحضر فان في المدينة
مساحات واسعة ليس فيها من دلائل اثرية تشير الى
وجود مساكن لاسيا المناطق المنخفضة التي
تتجمع فيها مياه الامطار. الا ان هناك مساحات في
الاحياء السكنية وحول المعبد الكبير ربما خصصت
لاغراض التوسع .

الحدائق :

مازالت المعلومات في هذا الجانب تعتمد على
المدونات المسارية . وتكاد تنفرد النصوص الملكية
بوصف حدائق مدينة نينوى بشكل خاص في
سياق حديثها عن تعمريرات الملوك الاشوريين فيها ،
ومنها نصوص سنبهارب الذي يذكر ان مدينة
نينوى كانت قبل ان يتولى العرش قاحلة جرداء
كالكير . اذ لم يكن لاهلها ماء يروون به زروعهم ،
بل كانوا يرفعون انظارهم نحو السماء لاستمطارها .
ويشير هذا الملك ايضاً انه زرع حدائق ورياض فيها
جمع الاشجار المثمرة سواء تلك التي تنبت في
الجلال وفي السهول . وأوصل الماء اليها والى الحقول .
فأصبحت الكروم والسرور والاعشاب كما يذكر تزهر
في تلك الحدائق اكثر مما كانت في مواطنها الاصلية .

بفترة يؤكد ان في المدينة مساحة مخصصة لدفن الموتى من الكبار. الا ان العثور على عدد كبير من هياكل عظيمة لاطفال رضع مدفونين تحت ارضيات غرف البيوت كما في تل الصوان وتبه كورا ويبارم تبه وحسونة.... ربما تكون لها علاقة بالمعتقدات الدينية التي كانت سائدة آنذاك^(٤٠).

ولا يعرف على وجه التأكيد ان كانت في المدينة في العصور التاريخية مقابر موزعة على الاحياء السكنية في المدينة. مثلاً كانت عليه الموصل قبل سنوات ، أو كانت تشغل مناطق معينة من المدينة ، الا ان الوقوف على تفاصيل ذلك مرتبط بما مستكشفه الحفائر الاثرية في المستقبل. الا ان المصطلح السومري الذي اطلق للدلالة على المقبرة كان Ki mah وتعني المرتفع في المدينة الذي اتخذ مكاناً لدفن الموتى مثلاً يدفن السكان في قطرنا موتاهم في التلول تحسباً من فضانات الانهر التي تغطي الاراضي الواسعة وكذلك تخلصاً من المياه الجوفية.

وكانت للقبور والمدافن طرز مختلفة في اسلوب بناءها. فمنها المدافن البسيطة التي هي اما حفرة او تابوت من الفخار او بناء بسيط او غرف من الطابوق شيدت تحت الارض كالتى كشفت عنها الحفائر الاثرية في مدينة أور السومرية او في المدن الاشورية. وهي بشكل عام غرف مستطيلة مقبأة لها مدخل يتقدمه مجاز، ينزل اليه بدرجات، رصفت ارضياتها غالباً بالطابوق او بقطع مهندمة من حجر الحلان، وفي احد الجدران كوة او مشكاة. واستخدم الطين او الجص او الزفت مادة رابطة. كما طليت سقف القبو والاقسام الداخلية منها بطبقة من القير من اجل سد كل المنافذ المحتملة ومنعاً للرطوبة. وقد كشفت الحفائر الاثرية عن عدد من هذه المدافن في المدن الاشورية ومنها آشور وكلخو التي منها مدافن ملكية تقع تحت بنايات القصور الاشورية^(٤١).

وليس هناك من بين مدن منطقة الموصل مدينة يمكن تحديد المدافن فيها باستثناء الحضر التي كانت اكثر المدن تنظيماً. فتقع اغلب مدافنها البرجية المشيدة بالحجارة المهندمة والجص في القسم الشرقي من المدينة، وقليل منها في الجهات الاخرى من المدينة. وأوضحت المسوحات التي اجراها فالتر أندريه للمباني الشاحصة في الحضر ومن بينها المدافن وكذلك التقييات التي اجرتها دائرة الآثار والتراث في عدد منها في عامي ١٩٧٠ و ١٩٧١ مخططات عدد من هذه المدافن والغالب انها بنايات مربعة ذات سقف مقبأة شيدت بحجارة الحلان والجص، ويحتوي المدفن الواحد على غرفة واحدة او عدد من الغرف وكان بعضها مؤلفاً من طابقين استخدمت جميعها للدفن. وتشير الكتابات المكتشفة فيها ان من بين هذه المدافن ماشيدته القبائل المتحالفة المستقرة في الحضر.

اما اسلوب دفن الموتى فإن العظام البشرية المبعثرة والهياكل المكسدة على ارضيات الغرف في هذه المدافن لا تعطي فكرة عن طريق الدفن، الا ان العثور على توابيت من الفخار وأخرى من الحجر تشير الى انها استخدمت للدفن^(٤٢).

وما تجدر ملاحظته ان المنطقة التي شيدت فيها المدافن في الحضر تكثر فيها الابار التي مازالت المياه في عدد منها اذ لم يكن واحد من هذه المدافن الا وبالقرب منه بئر. وربما يتعلق وجودها هذه الآبار بطقوس معينة.

وبجانب المدافن البرجية هناك مدافن أخرى بنيت تحت ارضيات الأواوين الممتدة مع اضلاع فناء المعبد الكبير، كشفت التقييات عن عدد منها. ويرجح ان الدفن في هذه المنطقة من المعبد له ارتباط بقضية ذلك المكان.

تجهيز المياه وتصريفها :

لدينا من المعلومات عن اعمال الارواء التي قام بها عدد من الملوك الاشوريين مايكني لالقاء الضوء

بها. وكانت القرب المعمولة من جلود الحيوانات احدى وسائل نقل المياه وحفظها. وتشير احدى كتابات الحضرة الى ان سرقة واحدة من قرب الماء العائدة لمعبد برمين كانت عقوبتها الرجم^(٤٥). ويمكن للباحث ان يستنتج أن منطقة الموصل شهدت تطوراً في مرافق الحياة في العصور المختلفة، كان الرقي العمراني من بين ابرزها، اذ كانت على ارضها التجارب الأولى للتمدن، حتى أصبح حسن التخطيط والبناء ميزة لها، روعيت فيه شروط الدفاع عن المدينة وذلك باحاطتها بسور وبقلع مكيئة، كما روعيت في التخطيط ايضاً شروط الصحة والجمال. فكان فيها قصر الحاكم ومعابد الآلهة، وفيها الساحات والحدائق، وفيها الشوارع لتسهيل الحركة. وكان تزويد المدينة بالمياه من بين المشكلات الحيوية التي وضعت لها الحلول.

الهوامش :

١. وضع دويرت آدمز جداول تبين فيه ان حجم المدينة الكبير يزيد على العشرة هكتارات والمدينة الصغيرة التي تتراوح مساحتها من ٤ - ١٠ هكتارات انظر اطراف بغداد، تاريخ الاستيطان في سهل ديبالى، ترجمة صالح احمد العلي وعلي محمد المياح وعامر سليمان، بغداد ١٩٨٤ ص ١٣٣. ومن جانب آخر ان هيئة الامم المتحدة جعلت المدينة اذا ما زاد عدد سكانها عن النسيئة (انظر توفيق احمد حسن، تخطيط المدن، المؤتمر المهندسي الثامن، الاسكندرية ١٩٦٢ ص ١٨).
٢. Lloyd, S. "Some Ancient Sites in the Jebel Singiar District" Iraq, 5, 1938.
٣. Reade, J. "Tell Taya 1972-73, Iraq" Whitehouse, R. "The First Cities", Oxford, 1977, p. 29, 152.
٤. منير يوسف طه، تمائيل سورية من العتوق، ص ٢٦، ١٩٧٠ ص ١٠١.
٥. المصدر السابق Lloyd, S.
٦. ليواونهايم، بلاد ما بين النهرين، شيكاغو ١٩٦٥، ترجمة سعدي فيضي، بغداد ١٩٨٥ ص ٣٦.
٧. المصدر السابق ص ٣٦.
٨. فالتر اندريه، استعمالات آشور، ترجمة عبد الرزاق كامل الحسن، الموصل ١٩٨٧ ص ٣٠.

على الأهمية الكبيرة التي اولاهها هؤلاء الملوك في ايصال المياه العذبة الى المدن سواء الواقعة منها على اكتاف الانهر أم البعيدة عن مصادر المياه الجارية، وكذلك كان الاهتمام بأن تكون للمدينة الواحدة اكثر من مصدر واحد للمياه. وهذا ما نتحدث عنه عدداً من هؤلاء الملوك ومنهم الملك سنحاريب الذي جعل المياه تنساب من الخوصر الى مدينة نينوى. وهي على ما يرويه سنحاريب اكثر عذوبة وأغزر من مياه دجلة التي تقع نينوى على شاطئه الايمن^(٤٦). لكن من المؤسف له ان المعلومات عن ايصال المياه على القطاعات السكنية في المدينة أو الطريقة التي تزود البيوت بالمياه مازالت غامضة. الا ان العثور على انابيب من الفخار كانت مدفونة تحت مستوى الارض، تتصل بعضها ببعض لتصل الى خارج المدينة لتصب بالمياه الثقيلة في الانهار أو الوديان ما يكتفي لالقاء الضوء في ان البيوت كانت مزودة بالمياه العذبة، ليعرف ان كانت من خزانات تقع في جهات معينة من المدينة أو ان المياه كانت تنقل الى البيوت بواسطة الجرار الفخارية أو بالقرب اما على ظهور الحيوانات او ينقلها أفراد الاسرة^(٤٧).

وكانت الآبار في المدن ومنها مدينة كلخو تعد مصدراً مهماً يتزود السكان منها بالمياه لاسيا في الاوقات التي يفرض الحصار على المدينة أو في السنوات التي ينخفض فيها مستوى مياه نهر دجلة. اذ كان الماء يسحب من البئر بواسطة بكرة خشبية يلف حولها حبل، يعلق بطرف منه رقبة الآناة الفخاري أو مقبضة. وكان سكان مدينة الحضر يعتمدون على مياه الآبار في حرم المعبد الكبير. وقد كشفت مؤخراً سواقي حجرية تتصل بثلث الآبار وتمتد الى مسافات ليست بقرية عن مصادر المياه. واطهرت التحريات الاثرية في آبار حرم المعبد الكبير عدداً كبيراً من الجرار والابريق الفخارية المختلفة الحجم ذات المقبض أو المقبضين استقرت بقاع تلك الآبار بعد ان انقطعت الحبال التي كانت تعلق

نقلت هذه الكرة من موقعها واعيد بناؤها في مدخل المتحف الحضاري في الموصل.

٢٦. المصدر السابق 106 p. Oates
- وانظر أيضاً: "Arpachiyah 1976", Hijara, and others, Iraq, vol. 42, 1980 p. 134.
٢٧. Lampl, p. "Cities and planning in the ancient Near East, London, p. 16.
٢٨. Whitehouse, R. "The First Cities", Hampshire, 1977, p. 126.
٢٩. عامر سليمان، الحياة الاجتماعية في المدن العراقية في الأزمنة التاريخية القديمة!! المنشور في موسوعة "المدنية والحياة المدنية" ج ١، بغداد ١٩٨٨ ص ٢٠٤-٢٠٦.
٣٠. المصدر نفسه ص ٢٠٧.
٣١. فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى، الحضرة مدينة الشمس، بغداد ١٩٧٤ ص ٣٥٠ و ٣٦٦.
٣٢. المصدر السابق، Lampl, p. pl. 25, 26.
٣٣. Reade, J. "Tell Taya 1972- 1973 Summery Report Iraq, 35, 1973.
٣٤. طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، بغداد ١٩٨٦ ص ٥١٦.
٣٥. Luckenbill, 2, p. 163
٣٦. Luckenbill 2, p. 166.
- وانظر أيضاً، لويد، آثار بلاد الرافدين، ترجمة سامي سعيد الأحمد، بغداد ١٩٨٠ ص ٢١٥.
٣٧. عامر سليمان، «الحياة الاجتماعية في المدن العراقية في الأزمنة التاريخية القديمة»، المصدر السابق ص ٢٢٨.
٣٨. Luckenbill, Vol. 2, pp. 62, 171, 172, 177, 367-368.
٣٩. Luckenbill, Vol. 2, p. 172
٤٠. فوزي رشيد، وئد البنات ونظام تعدد الأزواج في عصور ما قبل التاريخ، سومر، ٣٦، ١٩٨٠ ص ٥٣-٦٢.
٤١. جابر خليل إبراهيم وعبد الله أمين أغا، مدفن حميدات، مجلة سومر ٣٩، ١٩٨٣ ص ١٥٨-١٦٣ وعن مدافن آشور أنظر مقالة السيد عبد محمد جروني في مجلة سومر ١٩٧٩ ص ٤٩.
٤٢. واثق الصالح، الحضرة تنقيبات في مجموعة من المقابر سنة ١٩٧٠-١٩٧١، سومر، ٢٨، ١٩٧٢.
٤٣. Jacobson, Th., Lloyd, s., "Sennacheribs Aqueduct at Jerwan, Chicago 1935, p. 36- 7.
- وانظر أيضاً فؤاد سفر، أعمال سحرارب الأرواية، سومر ٣، ٩٤٧ ص ٩٣.
٤٤. عامر سليمان، المصدر السابق ص ٢٢٩.
٤٥. فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى، المصدر السابق الكتابة [٢٨١] ص ٤١٥.

٩. Ibrahim, J., "Pre- Islamic Settlement in Jazirah, Mousl, 1986, p. 137- 138.
١٠. تقي الدباغ، السلاح في عصور قبل التاريخ، موسوعة الجيش والسلاح، ج ١، بغداد ١٩٨٨ ص ٤٣-٤٤.
١١. مؤيد سعيد، العارة العسكرية في العراق القديم، موسوعة الجيش، السلاح، ج ١ بغداد ١٩٨٨ ص ١٨٦.
١٢. استحضارات آشور، المصدر السابق.
١٣. Hrouda, B. "Some Remarks on the Topography of the city of Ashur, Sumer 35, 1979, p. 279- 80
- انظر cavigneux, A. "Topography of Assur", Sumer, 35, 1979, p. 279.
١٤. سامي سعيد الأحمد، المدن الملكية والعسكرية، المدينة والحياة المدنية، ج ١، بغداد ١٩٨٨ ص ١٦١.
١٥. ناثل حنون، كفاءة التنسيقات الادارية الآشورية في منطقة الموصل، من منشورات الندوة القطرية الرابعة التي اعدتها مركز احياء التراث العربي ج ١٩٨٨.
١٦. سامي سعيد الأحمد. المصدر السابق ص ١٦٥.
١٧. Ibrahim, J. "Pre- Islamic Settlement, p. 120- 22.
١٨. تذكر الكتابات المسارية ان في مدينة آشور ٣٨ معبدًا كشفت الحفائر الأثرية عن أربعة منها.
١٩. انطوان موزيكات، "الفن في العراق القديم" ترجمة وتعليق عيسى سلمان وسليم طه التكريتي، بغداد ١٩٧٥ ص ٣٧٥.
- وانظر ايضا
- Luckenbill, "Ancient records of Assyria and Babylonia", Vol.I. Chicago, 1926, p. 171.
٢٠. Waterman, Royal Correspondences of Assyrian Empires, 486, R.H.
- Pfeiflor, State Latters of Assyria New york 1909, No. 118
٢١. الكاريساوي ستة امار.
٢٢. Luckenbill, ARAB, Vol.2, pp. 151, 161, 180, 181, 186
٢٣. فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى، الحضرة مدينة الشمس، بغداد ١٩٧٤ ص ١١.
- Oates, J., "Prehistoric Settlement pattern in Mesopotamia,
- المنشور في : Man, Settlement and Urbainsm, London 1972, p. 300
٢٥. Oates, D. and J., "The Rise of Civilization, Oxford 1976, p. 101.

الفنون التشكيلية

الزخرفة - الخط والرسم

أ.د. وليد الجادر

وجدت فيه ومن حيث انعكاسها على جذور الحياة المعاصرة ولم يعد تقويم التاريخ على انه تراكمات للحوادث السياسية او تقويعاً تقليدياً من تاريخ قديم ومتوسط وحديث ، بل اصبح لزاماً على المؤرخ الملتزم بالمنهج العلمي ان يكون ملماً بنسبة كافية بعمليات التطور الفكري للانسان من حيث ارتباط ذلك بالكون والثقافة وما يخص علم الانسان .

وهكذا امكن اليوم ربط التيارات الفكرية والثقافية والفنية القديمة بمشابهاتها المعاصرة او الحديثة مع ملاحظة عنصري الزمان والمكان كذلك ، وتعد الزخارف المزينة للاراني الفخارية في شمال العراق بشكل خاص المجال الرئيسي لاساليب التعبير الفني والفكري ومنه الاحاسيس الروحية والاجتماعية .

هذا فضلاً عن معرفة بعض الرسوم الجدارية من فترات قريبة ايضا في نهايات الالف السابع قبل الميلاد مثل تلك المكتشفة في مستوطنة ام الدباغية الواقعة قريباً من موقع الحضرة المعروف في الجزيرة جنوب غرب الموصل بحوالي ٢٦ كيلومتر .

ويمكن دراسة وفهم انعكاس احساسات الافراد والجماعات وفهم تفاصيل مهمة خاصة بتاريخ الفن من خلال دراسة هذه الزخارف وتحليلاتها ودراسة اساليب صناعتها والكيمياء الخاصة باصول الالوان وتثبيتها . وكانت مثل هذه الدراسات في مناطق اخرى من الوثائق الرئيسية الخاصة بدراسة تاريخ الفن الخاص بمرحلة من مراحلها الحضارية ومنها

بعد النشاط الفني جزءاً لا يتجزأ من النشاط الذي يقوم به الانسان من اجل فهم اعمق للواقع وتطويره ، ولأن الفن كان وما يزال جزءاً لا يتجزأ من تاريخ الانسان وثقافته وتراثه . ولقد ثبت ان دراسة فن شعب من الشعوب انما تؤدي وتساهم في تكوين فكرة واضحة عن مستواه الحضاري ومدى ماوصل اليه من خبرات وتجارب في شتى جوانب حياته ، كذلك تكون الاحاطة بالنشاطات الفنية اساساً لعملية تقييم للنشاط الحضاري ووسيلة الى معرفة العديد من الحقائق .

وهكذا نلاحظ اتصال الفن بالتاريخ الخاص لشعب ما وبالتاريخ العام ، وجوانب هذا الفن بفروعه المختلفة نجد انها ترتبط بعضها ببعض كما ترتبط بمفهوم العصر او الزمان ، وقد يسيطر وينمو جانب من جوانب الفن لفترة معينة ولكن لا يمكن ان يوجد فن واحد بعيداً جداً عن جوانب الفن الاخرى ، وهكذا تتصل الفنون كلها بروح الثقافة وبشكل اعم بروح الحضارة العامة للفترة او العصر ، او الفترة الزمانية المحددة والمحصورة للدراسة والتحليل .

وتتبع جذور الفن والثقافة يستلزم ، كما سبق ذكره ، ملاحظة عنصري الزمان والمكان . وهكذا يجب تقويم النتائج الخاصة بحقول الفن مثلاً من خلال الحوادث المحيطة بها ، والظاهرة الفنية او الثقافية في الماضي ليست امراً مطلقاً دائماً ، وانما لكل حقبة اهميتها النسبية من حيث العصر الذي

ذلك الخاص بالشعب اليوناني خلال قرون عديدة.

فن الثابت أولا ان اهتمام الانسان الى هذه الصناعة كان بعد انتقال سكان الكهوف في شمال العراق وبعد تحسن المناخ نسبيا الى مستوطنات قروية.

وكان من نتائج الاستيطان الجديد تجربة الانسان المتواصلة في سبيل تعامله مع الطبيعة وتوفير مستلزماته الضرورية واهمها الطعام. وفي هذه المستوطنات الزراعية تعلم الانسان بالتدريج كيفية عمل الاواني الفخارية بعد تعلمه قبلها بقليل صناعة الاواني الحجرية ، وكان الدافع لعمل اوانيه الفخارية البدائية جدا في اول امرها نفعية بالدرجة الرئيسية : طبخ الطعام وحفظ الماء وتخزين الحبوب ونقل المواد. وطبيعي ان مسألة اهتمامه الى صناعة الاواني الفخارية غير معقدة كما يتصور البعض الا انه سبق ، وكما اسلفنا ، ان عرف نحت الحجر وجعله بهيئة مقمرة بصورة تمكنه منها ومن نقل وحفظ مايريد من حاجيات، ولكن الفخار اخف وزنا واسهل عملا واكثر نفعاً وليونة ومواد صناعته الالية متوفرة في محيطه فهو يعرف النار ويعرف الطين، وهنا بالذات تأتي مرحلة اهتمامه الى هذه الصناعة ام انه كان بوعي كامل.... ودافع الوعي هو الارجح في اهتمام الانسان لصناعة الفخار واتخاذنا لهذا الرأي متأث من المستوى الحضاري المتطور الذي بلغه سكان جرمو في حدود فترة الالف السابع قبل الميلاد تقريبا ليس فقط قياسا على ما انتجوا من مجموعة من الادوات المستخدمة في الزراعة وانما على مستواهم الفكري الظاهر والواضح من خلال الدمى الطينية والحلي التزيينية وغيرها التي تم عن تحسس وشعور متطور بالحياة وتأمل بالطبيعة وتعامل ذي نسبة جيدة مع البيئة ثم ان مثل هذه العملية تستلزم قدرا كبيرا من التفكير والاستعداد اليدوي الذي يتطلب تجربة سابقة ودقة ملاحظة .

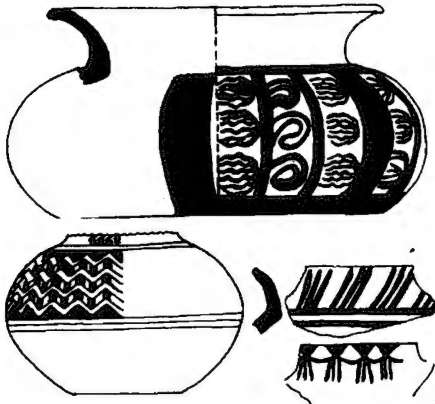
بعد موقع حسونة هو التجمع السكاني التوذجي ذو الطابع الزراعي الذي يعقب فترة الابداع الحضاري والصناعي الاصيل في جرمو ، والتسمية حسونة نسبة الى قرية تحمل نفس الاسم اليوم وتقع الى الجنوب من مدينة الموصل بمسافة حوالي ٣٥ كيلو متر. ونفس معالم صناعة الفخار في حسونة وحقول حضارتها الزراعية ومنها الفنون انتشرت في مواقع اخرى في شمال العراق مثل مطارة (تل قرة يطغ) الواقع الى الجنوب من كركوك وموقع نينوى القديمة وشهر - بازار في حوض الخابور في خارج حدود العراق تتشابه مع صناعة وحضارة موقع مرسن في تركيا واموك في سوريا .

اننا نستوضح من بقايا فنون صناعة الفخار لعشرة اجيال في حسونة ان للسكان علاقة وثيقة بالزراعة والحيوانات وما يحيط بمثل هذا الجو من مكملات مناخية وظروف طبيعية الزمت ان ينمو فكر وشعور الانسان باتجاه هذا الجو، وهكذا نلاحظ ان مميزات هذه الصناعة متنوعة تجمع بين الطابع النفعي والجمالي فنجد مثلاً قطعاً من الفخار المختلف الحجم الكروي الشكل في الغالب والكبير الحجم والمستخدم للخبز وحفظ السوائل والمواد الغذائية والمستخدم لسحق الحبوب واستخراج الزيت منه المستخدم وهو على شكل اسطواني طويل مدبب القاعدة لدفن الاطفال خاصة .

اما المميزات الفنية ومستوى الصناعة فانه أولا يشكل مرحلة استمرار متطور جدا لنفس الصناعة من جرمو لازلل سميك الجدران نسبيا ومقدار المواد غير الطينية كثيرة على الرغم من كبر حجم الاواني يصنع وباليد. كذلك وجد مايدل على ممارسة تلميع السطوح الخارجية بواسطة الحلك بقطعة حجر وهو النوع الذي يوصف بالفخار المدلوك .

عرف فخار عصر حسونة بتزيينات متنوعة : كان منه الملون بلون واحد في الغالب ارجواني مرتب ومنه المحرز ومنه المحرز والملون معا . ومنه ذو الرسوم

العناصر الحيوانية والنباتية وحتى البشرية على القطع الفخارية ظل ظاهرا الى جانب الاشكال الهندسية الصرفة التي لا تعد دائما اشكالا محورة عن الاشكال الطبيعية حيث نجد التحوير واضحا بتدريج ظاهر في فخاريات الموقعين والمواقع الاخرى من نفس الفترة، وهذا التحوير ظل ملازما للتطور الحضاري المنتظم وتفسيره يكون خلال التطور الفني التقني والتطور الفكري الناتج مع تعامل اعمق



نماذج من الاواني الفخارية الزخرفية والمزخرفة

مع الطبيعة وملاحظة الحركة على الارض. واذ ان هذه الاساليب تتوضح بصورة اكثر حين ندقق بامعان علمي في المحتويات الطينية من عصر حلف بالذات.

ولا نعجب من نمو هذا الاسلوب الاخير وهو اسلوب التحوير خاصة انه كان اللغة الوحيدة في التدوين بالنسبة لهذه الفترة التي شارف التطور الحضاري على بدايات معرفة اللغة والتدوين في القسم الجنوبي من العراق في الفترة الحضارية اللاحقة تماما لفترة حضارة حلف في القسم الشمالي الغربي من وادي الرافدين. فما هي اشكال الفخار المصنوع في عصر سامراء وتل حلف؟ وما هي دوافع واسرار رسوماتها ووحدها الزخرفية؟ ان الاخيرة لم تكن بالطبع بدافع التزيين فقط وانما كان لها كما اسلفنا لغة خاصة تتوضح تدريجيا بشكل ينسجم

المتكون من وحدات زخرفية قوامها اشكال اغصان نباتية وسنابل بمركات متنوعة واشكال خطوط وحلزونات محورة والتحوير في بعض هذه الوحدات المستلهمة من العالم الزراعي اصبحت اقرب احيانا الى التجريد. واغرب اشكال الزخارف الهندسية واهمها تلك على شكل المثلث. ان اهمية هذا الشكل لانه لا يكون فقط في تزيينه على قطع الفخار ليس في هذه الفترة فحسب بل في معظم فترات حضارة العراق التالية بل يمكن في كونه رمزا اقرب الى شكل التجريد اريد به على اغلب الظن في ان الرمز في فن التزيين المنتشر في صناعة الفخار في هذه الفترة^(١) ماهو في الواقع الا تحوير يأخذ طابع الشدة وحيانا طابع التسلسل الواضح، ويبدو ذلك جليا في تحوير النباتات وتشابك السنابل والاغصان وفي نظرة الفنان لهذه العناصر وهي في حالة حركة ومن ثم تحويرها لتأخذ اشكال هندسية منتظمة

لقد لازمت الاشكال الطبيعية الاشكال الهندسية على القطع الفخارية ليس فقط في هذه الفترة فترة حسونة وانما في الفترات اللاحقة وهي سامراء وحلف^(٢). فالاسلوب الطبيعي في رسم



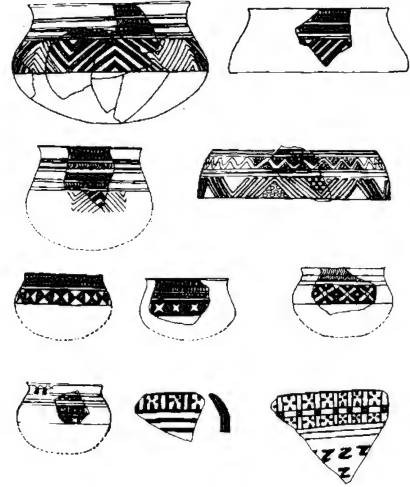
جزء من جرة فخارية مزخرفة بوجه انسان تظهر عليه علامات الرسم

مع فهم أكثر لطبيعة السكان الحضارية والمناخية والعلاقات الاجتماعية والفكرية .

باكث من مكان واحد ، فالوحدات الزخرفية في سامراء ليست غريبة ابدا عن مثيلات العديد منها والمزينة لفخاريات حسونة ، وكذلك لفخاريات مواقع أخرى تقع الى الشرق ومنها ما لها علاقة ببداية الفن في حلف وهي الحضارة التي تعقب حضارة سامراء . ان رسوم وزخارف سامراء هي ايضا مجموعة من رسومات اشخاص منها على اشكال نساء يقمن برقصات ترتبط بالسحر وربما بمغزى ديني خاص باتمام طقس معين .

والى جانب ذلك وجدت مجموعات كبيرة من رسوم الحيوانات واشكال الطيور والاسماك . ووجدت اشكال حيوانية محورة تحويرا قويا ومنها اشكال الغزلان والعقارب ورؤوس الثيران . هذا اضافة الى اشكال نباتية محورة باشكال هندسية محبة .

ان اجمل ما وجد من اشكال الزخارف هو وجه الفتاة المرسوم باللون الاسود على الرقبة تميل الى الاخضر المصفر الباهت وتحديد معالم الوجه فيوحي روية اصلية نابعة من اشكال شخصيات النساء .



كسر فخارية لالواني مزخرفة وملونة *

إن فخار سامراء يتميز اولا بانه ذو طينة خضراء باهتة بعد الشيء اضافة الى توافر مجموعات اخرى من الوان مختلفة تنتج من درجة الشيء ومن نوعية الطينة التي وجد انها اكثر رقة من فخار حسونة . وتؤثر درجة الحرارة ايضا في صلابة الالواني الفخارية فشدة الحرق تجعلها صعبة الكسر وتعتمد كذلك درجة الصلابة على نعومة العجينة ولزوجها ، فكما زاد لزوجها وتخميرها تماسكت دقائقها واصبحت كثيرة الصلابة . اما اشكال هذه الفخاريات فهي في الغالب اطباق وقوارير وقناني وجرار جرسية الشكل تجلس على قواعد ثلاثة وتمتاز بكرويتها في اجزائها السفلية وتمتاز اضافة الى ذلك بانها مزينة بعرواء (قبضات) . ومن اشكالها كذلك صحون مزودة بقواعد اسطوانية مجوفة .



قطعة جميلة من الفخار المزجج من اشور

في الريف وتبدو واضحة معالم الوشم الظاهرة على الوجه وكذلك الوحدات الهندسية المزينة للقمم العلوي من الرقبة .

اما تفاصيل الرسوم والوحدات الزخرفية المزينة لفخار سامراء فيجب ان تعرف علاقاتها الواضحة

ورمز لها علاقة واضحة بالطبيعة والمجتمع وأصبحت لها فيما بعد علاقات بالآيمان والاساطير والادبان .



من عناصر الزخرفة الاشورية الشجرة باشكالها المختلفة

ولقد تميز الاشوريون في فنونهم المتعددة الجوانب بتطوير بالغ في اساليب استخدامهم للمواد الاولى وتنفيذ موضوعاتهم بمستويات تقنية متعددة . ولم يكن بإمكان الشعوب المجاورة لهم بما فيهم البابليون الا ان يتأثروا بنسب عالية بتلك الفنون وخاصة تلك الوحدات الزخرفية الفنية بمفرداتها والمستوحاة من الطبيعة . كذلك كان اقتباس الاخمينيين والفرس للتراث الفني الاشوري والبابلي ضخماً جداً وكان تراث الاشوريين واضحا في اغلب ما انتجه هؤلاء من فنون .

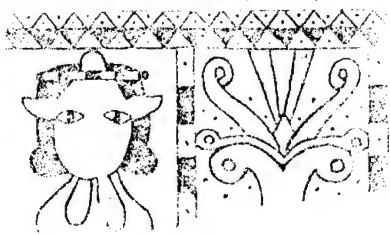
وخلال فترة الالف الاول قبل الميلاد كان الاشوريون والبابليون من جهة والمصريون من الجهة الاخرى يمثلان ثقيلين حضاريين في منطقتي الشرقين الاوسط والادنى القديمين وعلى الرغم من الانحسار الواضح لهذا المد الحضاري بفعل سيطرة مهاجرين في كل منها فانها ظلا يعدان مركزي الاشعاع الحضاري الرئيسي الثابت والمؤثر بابعاد ذات نسب متباينة على شعوب عديدة (٣) .

” ان مؤرخي الفن يشبهون الفنون التي ازدهرت في وادي الرافدين في عصورها القديمة بشجرة متعددة الاغصان تنمو بحيوية وغزارة ولكنها بنفس الوقت ظلت صلبة قوية راسخة في منبتها“ (٤) .

” ولم يكن بإمكان الاخمينيين او غيرهم ، من الذين تأثروا بحضارات وادي الرافدين رفض ماورثوه من عناصر حضارية متطورة خلفتها لهم حضارات سابقة عريقة مبنية على اسس راسخة كالحضارة الاشورية التي تعتبر المركز المباشر الاول ، وتليها عناصر حضارية فنية اخرى جاءت من مناطق اورارتو (ارمينيا القديمة) الواقعة شمالهم ومن عيلام الواقعة جنوبهم والمتأثرة من قبل بحضارة السومريين والاكديين والبابليين“ (٥) .

وكانت عناصر الزخرفة الاشورية غزيرة بمفرداتها ولعظم هذه العناصر او الوحدات الزخرفية معان

تل بارسيب (تل الاحيمر وهو من مواقع الاشوريين في الاجزاء الكائنة شمالي سوريا الان) ورسومات مدينة عكركوف (دور كوريكالزو غربي بغداد اليوم) ورسوم تل العقير ونوزي (بورغان تبه)



رسوم جدارية ملونة

وتكون هذه النماذج اضافة للرسوم التي تم العثور عليها في مدينة نمرود بشكل خاص موضوعا متكامل يتوضح من شيوع استخدام الرسوم الجدارية واستخدام الالوان من قبل العراقيين بشكل عام وعند الاشوريين بشكل خاص. ومن المعروف ان يكون للطبيعة والمناخ دور واضح ايضا في ميل التجمع السكاني لاستخدام الالوان ومن ثم لتصبح مثل بعض الوحدات الزخرفية رموزا ودلالات ، وهذا ماحدث فعلا بالنسبة للعديد من الالوان المستخدمة في العراق. والجدير بالملاحظة ان حب الاشوريين للالوان جعلهم يلونون حتى بعض اجزاء

ان اكثر الموضوعات شيوعا كانت زخرفة الشجرة، وكانت في الاساس شجرة النخلة المستوحاة من الطبيعة العراقية القديمة والمألوفة في معظم مشاهد الفن التشكيلي السومري والبابلي واخذ بها الاشوريون ايضا .

وكانت بحالتها الطبيعية والهورة من عناصر الزينة والزخرفة في النحت والرسم والتطريز على الملابس وحتى في العمارة على الطابوق المزجج الذي وجد مزينا لبعض بوابات العوامم الاشورية على قطع من الخزف او السيراميك الذي عثر عليه في تل الذهب واشور وكذلك كار توكليتي نورتا .

وغير النخلة عناصر نباتية اخرى كوحداث زخرفية ورموزا منها شجر الرمان والسرور واشجار جبلية متنوعة اضافة الى ثمار الاشجار وازهارها وخاصة ثمر شجرة الرمان وازهار النباتات ومنها ازهار نبات البردى في مراحل التكوين والبرعم والانفتاح^(٦) وكذلك الحال بالنسبة للعنب سواء في استخدام اوراقه كوحداث زخرفية او ثماره هذا اضافة الى وحداث هندسية محورة او طبيعية ومنها بشكل خاص زهرة (البابونك) او زهرة الربيع اللؤلؤية . والوحدة الزخرفية الاخيرة اصبحت وكأنها علامة او رمز قومي للاشوريين اخذوا بها في العمارة والنحت والرسم والتطريز على الانسجة والسجاد والحلي كالاساور الملكية وملابس الرأس^(٧) ... اضافة الى استخدامها في الرسومات الجدارية^(٨) .

اما بالنسبة لفنون الخط والرسم واستخدام الالوان فنعرف ان المادة الرئيسية في البناء وادي الرافدين كانت من الطين بكافة درجات صلابته، ولهذا فان الرسومات الجدارية داخل او خارج هذه الابنية وخلال عصور وادي الرافدين وحضارته لم يسلم من التحلل والانقراض السريع ماعدا بعض النماذج الجيدة التي سلمت من فعل عوامل التعرية بانواعها، ومن هذه النماذج الرسومات الجدارية في مدينة مارى (تل الحريري) ورسومات

ولهذا فإن الخط كان وما يزال اقل تأثيراً من الناحيتين النوعية والبصرية الشكلية الا ان التوازن بين سلامة الخط والحناءاته وأجزاء الرسم يكون بدون شك متعة فكرية وبجالية اخرى .

ان دراسة اولية للمتبعي من الرسوم الجدارية التي كانت تزين العديد من غرف القصر الملكي في مدينة ماري والتي تعود بتاريخها الى حوالي القرن الثامن عشر قبل الميلاد توضح تقنية عالية في استخدام هذه الالوان ومعرفة اصولها واساليب تثبيتها اضافة الى ذوق وحس فني عالٍ . فنجد اطارا من الزخارف يحيط بموضوعات المشاهد المرسومة وقوام زخارف الاطار عبارة عن حلزونات تعرف استخدامها جيداً من قبل السومريين والبابليين والاشوريين وعلى نطاق واسع جداً، وقد عملت هذه الالواح على طبقة من الجبس ويصل ارتفاع الاشكال الملونة على الثلاثة امتار ابتداء من ارضية الغرف^(١١) . لقد ضمت المشاهد هذه صوراً للانسان والحيوان والنبات في تكوينات توضح حسن التوزيع وتكامل الصور بشكل منسجم ومقبول حتى اليوم . ولقد استخدموا الالوان وهي حسب تسلسل استخدامها: الاسود والابيض والاحمر البني الفاتح والغامق . فالألوان مستخدمة على شكل خطوط خارجية بالاسود على ارضية بيضاء مائلة قليلة للون التبيني واستخدم اللون الاحمر- البني باطياته لتلوين الجسم والوجه وأجزاء من الملابس . وتمثل الرسوم المزينة للقاعة المرقفة (١٠٦) في قصر مدينة ماري اكثر المساحات ابداعية ويكون الشكل المرسوم عبارة عن مشهد مركزي من حقلين مزين ومحدد من الخارج باطار من رسوم لاشجار وحيوانات ومعبدات . وتظهر بوضوح حتى الان تفاصيل الوجه والاعضاء التفصيلية الدقيقة في هذه المشاهد . ويبدو من المشاهد ما هو مستوحى من الاصل الذي كان على

المنحوتات البارزة حيث لا تزال تشاهد بوضوح بقايا الالوان على اوجهه وشعر وحتى ملابس القدم المستخدمة من قبلهم على منحوتات تزين بعض قاعات قصر اشور ناصر بال الثاني في نمرود والتي تعود الى حوالي الثلاثة الاف عام من الان^(١٢) .

كذلك من خلال هذه النماذج المتبقية القليلة يمكن ان ندرس ايضا فن الخط والرسم المجرد وقد سبق ان ذكرنا بانه يمكن ان يدرس من بدايات الالف السابع قبل الميلاد حيث اوائل ممارسة العراقيين لذلك على السطوح الخارجية للفقار وخطوط التحزيز والخطوط الاولى على الفقار ايضا^(١٣) .



لوحة مزججة لفارس اشوري

وكان للالوان اسرار خاصة ونظام يبدو أنه كان على الانسان رعايته ويبدو ان كان للالوان المختلفة مفاهيم وتأثيرات نوعية نفسية واجتماعية . وماعدا ذلك فاستخدام الالوان وتأثيرها هو بمقدار ما يخلفه اللون من انسجام تشكيلي ومتعة وبهجة للناظر.

شكل منحوتات كاملة تمثل طقوساً دينية وتفاصيل توضح توزيع الملك وحضور للالهة عشتار^(١٦).

وفي مدينة نمرود (كلخو) وهي العاصمة التي أسسها الملك الآشوري شيلمنصر الأول ١٢٧٣ - ١٢٤٤ ق. م وجدد بناءها الملك آشور ناصر بال الثاني ٨٨٣ - ٨٥٩ ق. م ومن بعده شيلمنصر الثالث ٨٥٨ - ٨٤٠ ق. م كان قصر آشور ناصر بال الثاني في هذه المدينة يتميز ببقايا الرسوم الجدارية الملونة والتي تعد فريدة في موضوعاتها وكثرة ألوانها المستخدمة في الموضوع الواحد^(١٧).

ولقد تم حفظ القليل من المكتشف منها في الأجزاء التي تفصل بين أعلى المنحوتات البارزة المزينة لبعض قصره والسقف أما المكتشف من القطع الباقية فقد أعيد طمره لعدم إمكانية الحفاظ على ألوانها التي وجدت طرية وكأنها تبدو حديثة في رسمها وذلك إلى حين إمكانية إيجاد تقنيات عالية لحفظها من التلاشي والاندثار.

لقد زين الآشوريون جدران مدينة أخرى سميت باسم الملك توكليتي - نورتا الأول (كاروتكليتي نورتا) وذلك منذ القرن الثالث عشر قبل الميلاد وهي تلون العقر حالياً، وكانت التماذج التي تم الكشف عنها في هذه المدينة التي تقع قبالة العاصمة آشور وعلى الضفة الشرقية لنهر دجلة تعتبر من التماذج المتكاملة من حيث الزينة واستخدام الألوان والجمع بين العناصر الزخرفية المنفذة بالألوان على الجدران والتي تعد نموذجية في التعبير عن المدرسة الآشورية حيث المشهد الرئيسي في الوسط يحيط به إطار من عناصر زخرفية مزدوجة وبين موضوعات الزينة ومنها الشجرة المقدسة المحورة وعلى جانبيها كيانان متقابلان أو متدايران ثم أزهار البابونك وتشكيلات من الأشكال الهندسية^(١٨). ومثل هذه الأجواء الزخرفية التي تميز هذه اللوحات

وجدت أيضاً في قصر الحاكم الآشوري في نوزي^(١٩).

لقد استخدم الفنان هذه الألوان المألوفة عند الآشوريين وهي الأسود والأبيض والأحمر والأزرق على أرضية من الجص ومن مدينة آشور وجدت بقايا من ألوان براق فيها يبدو ألوان آشور اله الآشوريين القومي وسط دائرة ملونة في تفاصيلها ومزدانة عند الأعلى بكتابة مسبارية^(٢٠).

ومن تل بارسب (تل الاحيس) ومن فترة القرن التاسع وحتى السابع قبل الميلاد زين الفنانون الآشوريون قصر الحاكم الآشوري في المدينة برسومات تعد غاية في الروعة والجمال وينفس الوقت معبرة أيضاً عن المدرسة الآشورية في الرسم القريب في خطوطه الخارجية وموضوعاته هنا من أسلوب النحت البارز.

لقد اجتهد الفنانون الآشوريون من أجل أن يكون هذا المكان لافتاً بمقام الملوك الآشوريين حين أقامتهم وذهابهم وإيابهم من الحروب الغربية منتصرين، وهكذا كانت نوعية وموضوعات الرسوم محتوية على كل ماله علاقة بمقام الملك الآشوري وتشابه إلى حد كبير تلك الموضوعات المألوفة على المنحوتات البارزة والخطوط على الاختام والرسوم على الفخار وحتى على العاج والمعدن وعلى الطابوق المزجج من آشور ومن نينوى ونمرود وخرصباد.

ومن الملاحظ أن موضوعات الرسوم مرتبة على ارتفاع حوالي نصف متر عن الأرض وهو الجزء المزفت من أجل جعله إطاراً مناسباً للوحة من الأسفل ولتلافي الرطوبة وكذلك لتكون بداية المشاهد بعده من مستوى مناسب للناظر وإلى ارتفاع يصل إلى حوالي ثلاثة أمتار ونصف المتر. وتزين هذه الرسوم القاعات الرئيسية، أما الممرات فإنها مرسومة بأشكال أسطوانية مجنحة تقوم بمهمة حراسة

على شكل مساحيق يتم خلطها مع مواد ملينة وتستخدم مواد مثبته لئلا هذه الألوان من اجل تثبيتها على الجدران والحال نفسه حين استخدم الألوان على الانسجة مثلا وكذلك تستخدم مادة الشب لذلك .

ولقد تفنن الاشوريون في استخلاص الالوان من اصول اخرى اضافة الى الاحجار ومن ذلك المعادن والنباتات ايضا، وينطبق ذلك على اللون الازرق مثلا حيث كان الاشوريون يستخلصونه ايضا من املاح النحاس وكاربوناته القاعدية ذات اللون الازرق ويعرف التعبير المستخدم على ما يبدو من قبل السومريين ايضا بـ (زاكين- كورا- را ZA) (GIN KUR RA)^(٢٢). ومن خلال التفاصيل المدونة بالمسمارية تتوضح معرفة العراقيين والاشوريين والبابليين بشكل خاص لاساليب استخراج الصبغة الزرقاء لتنفذ في مجالات متنوعة وتذكر الكتابات نفسها اساليب تحضيره وفهم من واحد من هذه النصوص ما يأتي :

”اذا اردت تحضير صبغة بلون ازرق فاتح اسحق المقادير: ٥ كغم من حجر (الامناكو) و٧ كغم ونصف من الرماد المستخدم في الغسيل... واخبط العناصر هذه وضعها في فرن ذي اربعة ثقب (فتحات) واعمل نارا بدون دخان وعندما يصبح لون الخليط احمر- ابيض اخرجه واتركه ليبرد واسحق الخليط بعد ذلك وضعه على كمية من الملح وضع من جديد الخليط على نار ضعيفة وبدون دخان وعندما يصبح اللون احمر- برتقاليا اسكه على الطابوق واسم المادة اصبح تزجيج بلون ازرق فاتح“.

ان المصدر الرئيسي الذي يحصل منه الاشوريون على اللون الازرق كان من حجر اللازورد الذي يكثر في مناطق افغانستان وبالدات من المنطقة الجبلية المعروفة بداعشان^(٢٣) وكانت هذه المناطق

الممرات التي توصل القاعات والمداخل، وهناك حقل اخر من الرسوم الزخرفية التي تملأ هذه الرسوم وتشابه هذه الصورة تعكس واقع حال القاعات الاشورية المزينة بالمنحوتات البارزة وفوقها الرسوم في المسافة المحصورة بين نهاية هذه المنحوتات والسقف وكانت الرسومات والزخارف بالالوان كما هو حال المكتشف في نمود والذي سبق ذكره .

اما فترة تنفيذ مثل هذه الرسوم فالواقع من خلال الاختبارات التي اجريت عليها وهيئات الملوك انها من فترة القرن التاسع قبل الميلاد وان اضافات وتجديدات وصيانة^(٢٤) لحقت بها اضافة الى رسومات تبدو واضحة انها من فترة اشور بانيبال ايضا . وكان اكثر الالوان المستخدمة اللون الاسود ثم الاحمر الباهت وهو اللون المعروف بلون المغرة ثم يأتي اللون الازرق وباطياف متباينة^(٢٥).

وفي الحقيقة فان الفنان- الرسام الاشوري قد نجح الى حد كبير في توظيف الرسوم الجدارية في مدينة تل بارسيب (تل الاحيمر) لتكون مكملا لفن العمارة مثلما نجح النحات الاشوري في توظيف المنحوتات البارزة والمدورة في اكمال الصورة العمارية^(٢٦). وكان الاسلوب القصصي المستخدم في مجريات الاحداث للمنحوتات شبيها بنفس الاسلوب المنفذ في الرسم ويخال المرء احيانا وكأنه امام نحات رسام متمكن وعلى درجة واضحة من المقدرة والحس الفني والتقني .

ولا عجب في ذلك فان مابلغته المدرسة الاشورية في وضوح اسلوبها ورصانة خطوطها وبراعة فنانها ومقدرتهم جدير بتوفير انتاجات متكاملة .

وكان الآشوريون متمكنين من استخراج الالوان من اصول متنوعة ومن احجار اللازورد استخدمت خلاصات وصبغات لونية جدران ابنية في العاصمة اشور في نهايات الالف الثاني قبل الميلاد^(٢٧). وكانت مثل هذه الالوان تستخلص

وخلال العصور المتعاقبة في وادي الرافدين وصولاً حتى اليوم الاصل في هذا النوع من الحجر الثمين.

كذلك اشتهر اللون الاحمر بأطيافه المتنوعة عند الآشوريين، ولقد اريد ان يكون رمزا لطرد الشر والارواح الشريرة والمرض. واللون الاحمر استخدم بكثرة مع اللون الازرق. وتزين به الآشوريون في ملابسهم وفي عمارتهم ويميزوا من اطياف اللون الاحمر بلون الدم. وكذلك الطيف بلون التفاح^(٢٤) والاحمر بلون المغرة.

ولقد تمكن الآشوريون من الحصول على اللون الاحمر من مصادره المعدنية والنباتية اضافة الى حصولهم عليه من مصادر حيوانية ايضا^(٢٥).

ولقد تمكن الآشوريون ايضا من الحصول على خلطات متنوعة للون الاحمر باطيافه المتدرجة وتميز الخلطة المخصصة للتزيين اوفي الرسم والطلاء عن تلك المخصصة لصبغ الملابس. وتميزت العجينة الحمراء التي تميل الى اللون الاصفر وهو اللون الناتج القريب من لون الذهب والتي استخدمت في الرسم وطلاء الجدران^(٢٦).

اما اللون الارجواني المعروف بالاكدي بلفظة مشابهة للفظه بالعربية : argamannu فقد كان من الالوان الراقية واعتبر رمزا للدم النقي والسلطة الحاكمة والطبقة الاجتماعية الراقية. ولهذا اللون اطياف تتراوح بين الاحمر والازرق ومنه البنفسجي. وكانت الاصول الرئيسية لاستخراج اللون من القواقع ومن نوع متخصص بافرار الصبغة يحصل عليه الاشوريون من السواحل الفينيقية على البحر المتوسط. ومن الواضح ان مصادر اخرى ايسر من هذه المعروفة من القواقع كانت معروفة ومنها انواع من الحجارة الثمينة^(٢٧).

ومن نص يذكر تفاصيل تحضير الاشوريين لصبغة بلون ارجواني من خليط من المعادن والمساحيق وترد تفاصيل ذلك كالآتي :

” ٣٠ جزء من مادة tersitu (التي تترجم : مسحوق زجاجي و اجزاء من معدن النحاس) ، ٤٥ جزء من نوع من الزجاج (sirsu) ، ١٥ جزء من الرمل. تخلط هذه الاجزاء وتسحق الى ان تصبح طحينا ناعما ثم تشوى خلال سبعة ايام وسبع ليالي^(٢٨) .

لقد عرف الآشوريون ايضا صبغات واللوانا اخرى مستخلصة من اصول نباتية ومعدنية، ومن الالوان التي عرفوها ايضا من هذه الاصول اللون البرتقالي والاصفر والبرتقالي المائل للاصفر اضافة الى اللون الاسود والاخضر. ولقد عرف الآشوريون مواد كيميائية ومركبات استخدموها اساساً لتنفيذ الالوان وخلطها وتثبيتها ومن ذلك كاريونات الصوديوم والتطرون والشب واليوتاس وانواع عديدة من الاملاح^(٢٩) ومنها املاح الامونيا. هذا بالاضافة الى ثمار الرمان ولحائه وقشور ثماره والسباق^(٣٠) .

الهوامش

(١) B. L. Goff: Symbols of prehistoric Mesopotamia. (Yale University Press. 1963).

(٢) تقي الدباغ وليد الجادر. عصور ما قبل التاريخ. مطبعة جامعة بغداد. (بغداد ١٩٨٣) ص ٦.

(٣) وليد الجادر ” دور التراث الفني في النهضة الحضارية “ مجلة كلية الاداب جامعة بغداد. المجلد الثاني والعشرون (١٩٧٨) ص ٣٦٣ - ٣٦٤.

(٤) وليد الجادر الحرف والصناعات اليدوية في العصر الاشوري المتأخر. بغداد مطبعة الاديب البغدادية. ١٩٧٢ ص ١٩.

(٥) نفس المصدر السابق. ص ١٢ وانظر ايضا :

Ghirshman, R. Les Achéménides. Paris, 1963.
Ghirshman, R. L'Iran des Origines a, L'Islam, (Paris. 1951) I.

(٦) Centre de Recherche de Recherche d Archeologie Orientale (= CRAO) n I. Paris 1982. pp. 17- 29, 101.

وعن نتائج التحليلات المختبرية التي اجريت لبقايا الآلوان واصولها انظر نفس المصدر ص ٤٧ - ٤٨.

(١٩) من الاساليب والتقنيات المعروفة لدى الاشوريين استخراج الآلوان من اصول معدنية ومن مساحيق بعض الاحجار البنية وتعاينة للحصول على اللون الأزرق واطيافه المتعددة. انظر في ذلك. وليد الجادر، الحرف والصناعات اليدوية. ص ١٧٠ وعن اكتشاف بقايا رسوم جدارية في مدينة خربصا ذات اساليب تنفيذ مشابهة لتلك المكتشفة في تل بارسيب انظر: اندريه بارو. بلاد آشور. ترجمة وتعليق عيسى سلمان وسليم طه التكريتي. بغداد. سلسلة الكتب المترجمة (٧٧) ١٩٨٠ ص ٢٨٢.

(٢٠) موزيكاك. المصدر نفسه. ص ٣٩٩ - ٤٠١.

(٢١) الجادر، المصدر السابق، ص ١٧٠ والملاحظة رقم ٢.

(٢٢) نفس المصدر. ص ١٧٢ - ١٧٣.

(٢٣) Georging Herрман "Lapis Lazuli: The Early phases of its Trade" In Iraq. Vol. xxx part I (1968) pp. 21 - 57.

(٢٤) الصيغة المعروفة بالأكادية damu وسها adamatu و adumatu يعني اللون الاحمر والاحمر الغامق. انظر للمزيد من التفاصيل الخاصة بهذا اللون والصيغة: The Assyrian Dictionary of the Oriental Institute of the University of Chicago (= CAD) Vol. I. p.94, Vol. III p. 74, VII pp. 163 - 64.

(٢٥) الجادر، المصدر السابق. ص ١٨٥ - ١٩٤.

(٢٦) نفس المصدر اعلاه. ص ١٩٦ - ١٩٧.

(٢٧) CAD. VI pp. 257, 142.
Forbes, R. J. Studies In Ancient Technology. Vol. III (Leiden Brill 1955) pp.

Forbes, R.J. Iv. 1956. pp.

(٢٨) Thompson, R.C. A Dictionary of Assyrian Chemistry and Geology (Oxford, 1936) pp. 55 - 56.

(٢٩) الحرف والصناعات اليدوية في العصر الاشوري المتأخر. ص ١٢٥.

(٣٠) مارتن لني. الكيمياء والتكنولوجيا الكيميائية في وادي الرافدين. ترجمة محمود فياض المياحي وجمود سلمان البديري جليل كمال الدين. سلسلة الكتب المترجمة (٨٦) بغداد. ١٩٨٠.

(٧) موسوعة حضارة العراق. الجزء الرابع. بغداد. ١٩٨٥ ص ٣٣٣ - ٤٠٤.

(٨) موزيكاك انطون. الفن في العراق القديم. ترجمة د. عيسى سلمان وسليم طه التكريتي. سلسلة الكتب الفنية (٣١) بغداد (مطبعة الاديب البغدادية ١٩٧٥) ص ٣٤٤.

(٩) "le travail du Cuir"; Sumer Vol. xxIII (1967) p. 193 - 201.

عبد الله امين أغا وميسر سعيد العراقي. نمود. مدينة الآثار العامة. بغداد. ١٩٧٦.

(١٠) مؤيد سعيد "الرسوم الجدارية منذ اقدم العصور" في موسوعة حضارة العراق الجزء الثالث. ١٩٨٥ ص ٢٦٧ - ٢٨٤.

(١١) من رسومات الغرف الملكية في مدينة ماري: الخافج من الغرفة ٦٤ اضافة الى الغرفتين ٤٣ و ٤٦. انظر في ذلك:

Parrot, A. "Les peintures du palais de Mari" In. Syria xvII (1937). pp. 18, 28, Fig. 15, pp. 19, 20, 21.

(١٢) Yasin M. Al - Khalesi, The court of the pils. A Functional Interpretation of the Mari palace. Bibliotheca Mesopotamia. Vol. VIII Undcna Malibu 1978.

كذلك اريد بهذا الرسم ايضا ان يكون على علاقة باصول اشورية اقدم عهدا من العهد البابلي القديم. انظر في ذلك موزيكاك، انطون الفن في العراق القديم. ترجمة: عيسى سلمان وسليم طه التكريتي. بغداد سلسلة الكتب الفنية (٣١) ١٩٧٥ ص ٢٥٩.

(١٣) Mallowan, M. Nimrud and Its Remains, 2 vols. London 1966.

(١٤) موزيكاك. نفس المصدر. ص ٣٦٩ - ٣٧٠. عبد الله امين اغا وميسر العراقي. نمود.

(١٥) انظر Parrot, A. Assur: Nineveh and Babylon. (London, Thames and Hudson. 1961). fig. 7.

(١٦) موزيكاك. المصدر نفسه ص ٣٢٠. ص ٣٤٤

(١٧) Parrot, A. Nineveh and Babylon, London Thames and Hudson 1961.

Thureau - Dangin. F. and Maurice Dunand. Til - Barsib. (Paris - Geuthner. 1936). p. 6 - 7.

Til - Barsib. Ibid. P. 45 - 46. (١٨)

فَنُّ النِّحْتِ

المدور والبارز والنحت على العاج

د. طارق عبد الوهاب مظلوم

فن النحت ، المدور ، البارز ، النحت على العاج

البدايات الاولى للنحت

(٨٠٠٠ - ٢٧٠٠ قبل الميلاد)

متموجة لم يتوصل الانسان فيها بعد الى معرفة الطرق الخاصة بالري الاصطناعي اي باستعمال الترع والقنوات والافلاج (الكهاريز) والآبار لري المزروعات. فالمطر بغزارته هو الخصب والخير، وشحته وققدانه هو الموت والمعاناة، فالوفرة في الانبات الزراعي وتكثيره، وكذلك ولادة الأجيال الجديدة من بني الانسان كلها أمور ذات تأثير مباشر على حياة الأفراد في تلك المنطقة، كما أن المرأة كانت هي في الواقع أساس هذا المجتمع، اذ هي تزوج مع الرجل، فضلا عن انها تنجب الأجيال الجديدة.

لقد جسد نحات حقبة ما قبل الكتابة جسم المرأة بانوثتها معبرا عن موضوع الخصوبة فيه حيث سيأتي الكلام على ذلك، ولكن النحات لم يكتف بانتاج تماثيل تخص المرأة فقط، بل انه ايضا انجز قطعاً نحتية بمواد مختلفة تمثل الحيوانات التي عاشت معه او أثرت في حياته اليومية.

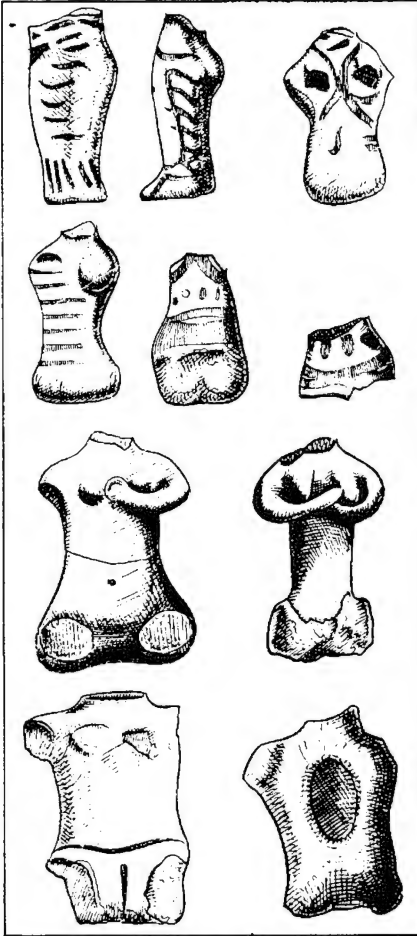
وفي هذا المجال نشير الى الحفريات الآثرية الحديثة التي قامت بها البعثة البولونية المنقبة بتل نمريل في منطقة حوض سد صدام بشمال غرب الموصل، حيث اعطت ثمارا غاية في الأهمية، اذ عرفنا من الانجازات البحثية في هذا الموقع قطعاً منحوتة بالحجر لرؤوس طيور منفذة بشكل يسترعي الانتباه وفي عصر يعود الى الألف الثامن - السابع قبل

تمخض الجزء الشمالي من بلاد أرض الرافدين عن انجازات ثقافية وحضارية كان لها الأساس في صنع الحضارة البشرية المعاصرة، ولاشك ان هذا الجزء كان يؤثر ويتأثر بما هو في جنوب البلاد، وكذلك في شرقه وغربه من الأقاليم والبلدان. وكان الاتصال الحضاري بين شمال الوادي وجنوبه قائما في كل العصور كما هو اليوم، فتارة نرى القسم الشمالي وهو يعطي للجنوب ويؤثر فيه، وتارة نرى العكس ايضا.

لقد كانت القرى الزراعية الاولى في الشمال وخاصة في المنطقة التي تعرف بالمثلث الآشوري والممتدة بين نهر الخابور والبالخ من أعالي الفرات غربا والزابين الأعلى والأسفل شرقا ومدينة آشور (قلعة شرقاط) وسلاسل الجبال جنوبا وشمالا على التوالي موطناً لتطورات ثقافية بالغة الأهمية. ولقد حظي القسم الذي يشكل اليوم محافظة نينوى من خارطة العراق الجغرافية القسط الاكبر في هذا الاتجاه، فبذ ان هجر انسان وادي الرافدين الحياة في الكهوف أخذت تظهر مساعيه المتعددة في تطوير العيش في تلك القرى الزراعية الاولى.

لقد ارتبطت المحاولات الاولى للنحات العراقي الذي سبق عصر تعلم الكتابة والقراءة بمؤثرات اساسية تتعلق بالبيئة والشعور النفسي والفكري، فلقد طغت عليه فكرة غزارة المطر اوقلته في أرض

سبيل المثال اكتشفت اعداد من نماذج لما يعرف
بالالهة الأم، وهي منفذة بالطين الاعتيادي
والمشوي اوحى الحجر، وهذه النماذج انجزت هيئة



نماذج مجسمة من الطين والفخار للالهة الأم وجدت في الارمنية في الموصل

نساء عاريات او بملابس متبانية، كما ان بعضها منها
ذو طلاء على غرار فخاريات تل حلف، وهؤلاء
النسوة مثلن وهن بأثداء متدللة وأرداف مبالغ
بمجمها حيث اجتهد مكتشفها ماكس ملوان على
ان هذه النماذج ربما كانت لنساء يكرسن التمثال
لكي يجلبن عطف الآلهة عند عملية الانجاب^(٢)،

الميلاد^(١). فدقة محاكاة هذه القطعة للطبيعة
فضلا عن طريقة تنفيذها المثقنة تعطي دلالات كبيرة
بما كان لهذه الطيور من أهمية في حياة السكان،
ويعتقد اهالي المنطقة أن مقدمها
هو اشارة خير وفأل حسن في فصل الربيع وانها
بلا شك ستأتي بالطر الغزير المصحوب بالغلة
الوفيرة.

ان موقع نمريك ودلالاته المتقدمة من حيث
الحقبة التاريخية وتكويناتها الاولى في عمق الحضارة
يضيف أضواءا جديدة نحو بدايات فجر الحضارة
في وادي الرافدين، هذا فضلا عن تقديم
تفسيرات تاريخية جديدة للحضارات التي ظهرت
في الأناضول كموقع جتل هايوك الذي اجتهد
بعض المختصين على ان مكتشفاته تعد بداية لكثير
من الانجازات الحضارية في المنطقة. ومع ان
الحفريات في موقع نمريك تعد في بداياتها الاولى
فان الاستمرار فيها سيعطي بلا شك نتائج ذات
آثار بعيدة المدى في عملية صنع ونشوء الحضارة
البشرية المتطورة التي وصلت الينا بشكلها المعاصر
في حاضرنا اليوم. وبما هو جدير بالذكر ان الانجازات
الثقافية في شمال بلاد الرافدين لم تبدأ في الألف
الثامن قبل الميلاد بل انها بدأت قبل ذلك بزمان
بعيد، فهي فعالة ومتطورة عندما ترك الانسان
الأول السكنى في الكهوف وبدأ يقيم في القرى
الزراعية الاولى، وبهذا السياق لا يمكن فصل
الانجازات النحتية وتنفيذها بالمواد المتيسرة معزولة
عن باقي المنجزات الأخرى كاقامة دور السكن
وصنع الأدوات والأواني المطلوبة في الحياة اليومية.

واذا عدنا الى الانجازات النحتية المتقدمة التي تلت
نمريك في المنطقة من حيث الزمن فاننا سنجد مواقع
أثرية ذات شأن كبير متصل ببدايات تطور فن
النحت في العالم، كموقع تل الصوان وجرمو
والأرمنية وتبه كورا وشكر بازار وبراك، ففي موقع
الأرمنية القريب من شمال مدينة نينوى التاريخية على

وتدل اشكال أجسامهن على اعمارهن ، فمنهن العذارى ومنهن في سن اكبر ، وكما ذكرنا فان بين هذه التماثيل ما يظهر نساء يرتدين ملابس ضيقة وثيابا شفافة وبلون قرمزي . أما الرأس فقد اضمحل وظهر بشكل تنوء غير واضح المعالم ، اذ لا بد أن هناك هاجسا بعدم تمثله على نحو يحاكي الطبيعة . وقد تم العثور على مثل هذه التماثيل ايضا في جرمو قرب جمجمال وموقع يارم تبه في منطقة سنجار وكذلك في تل شكر بازار بمنطقة الخابور من اعالي الفرات ، لقد قدمت حفريات الأربحية ايضا أدلة واضحة الى تمثيل عنصر الفحولة الذي رمز اليه بالثور ، حيث عثر على تماثيل كثيرة له ممثلة برؤوس الثيران ، وكما هو معروف فان رؤوس الثيران اتخذت أشكالا مرسومة على الفخار خاصة في عصر حلف من الألف الخامس قبل الميلاد حيث تعود هذه المجماع النحتية .

ولا بد من الإشارة ايضا الى صنف آخر من تماثيل الالهة الأم المكتشفة اعداد منها في موقع تبه كورا على بعد ٣٠ كيلومتراً من شمال الموصل وتل براك ، وكذلك الأربحية ، وهذه التماثيل المحورة عن الطبيعة والمصنوعة من الحجر انما هي قطع مبسطة مربعة او مستطيلة يبرز منها رأس بعينين كبيرتين وفيها ما يظهر زوج منها بشكل ملتصق او انها تضم على سطحها اطفالا . ولعل طريقة نحت التفاصيل على هذه القطعة تدلنا على معرفة النحات في هذا العصر المتقدم بفن النحت البارز . واكثر من ذلك فان هناك دلائل واضحة ايضا تدلنا على ممارسة الفنان لفن النحت البارز على الأختام المنبسطة التي بدأت تظهر في هذه الحقبة ، كالأختام المكتشفة في موقع تبه كورا ، فهذه الأختام المحفورة بشكل غائر تطبع على الطين حيث تظهر رموزها نحتا بارزا بأشكال هندسية وحيوانية وأدمية احيانا . لقد بدأ ظهور هذه الأختام في طبقات الفخار الملون من نهاية عصر حلف استمرارا لدور العبيد ، وهي مصنوعة من احجار متنوعة نادرة .

لقد حدثت تطورات فنية أخرى في المنطقة منذ عصر الوركاء وجمدة نصر من حدود ٣١٠٠ - ٢٧٠٠ قبل الميلاد . فلقد ظلت المرأة مع التأكيد على وجهها في هذه الفترة مادة لفنان هذا العصر ايضا . فن مدينة آشور من معبد عشتار القديم لدينا لوح بالنحت البارز من الجص يمثل امرأة واقفة عارية ضمن اطار يحيط بها . وطريقة انجاز هذه القطعة هي مزيج بين الرسم والنحت البارز النافر ، وعلى الرغم من تلف وفقدان بعض أجزاء من اللوح فان التفاصيل تبدو واضحة ومؤثرة ، فقد عملت بعض تفاصيل الجسم والحلي بألوان ذات خطوط سود وحمر فيها ماثشير الى زينة الوشم ايضا ، وان ما يسترعي الانتباه هو ان عينها واسعتان بشكل بيضوي وبخاشية خارجية مائلة نحو الوجدتين بشكل يسترعي الانتباه ، فالمرأة هذه لا بد انها تمثل عشتار في أحد طقوسها الدينية وان طريقة عمل العيون فيها ماثلة الى رأس امرأة من الحجر عثر عليه في تل براك ، ولقد اعتنى النحات بنحت الجزء الامامي من الوجه ، كما ان الشرخ في ظهر الرأس يشير الى تشبيته على ساند لعله جدار او لوحة منفصلة ، وتعد هذه الظاهرة من مميزات هذا النوع من نحت الوجوه النسائية في عصري الوركاء وجمدة نصر .

ان الذي يسترعي الانتباه ان التلوين بالألوان القائمة في قطعة آشور وقطع أخرى لرؤوس نساء اكتشفت في مناطق مجاورة له ما يربطه بنماذج اكثر قدما في المنطقة . اذ يمكن إيجاد النماذج الاولى لهذه المعالجة في وجه امرأة مرسومة على رقبة جرة من موقع حسونة في محافظة نينوى وكذلك في رأس امرأة من الفخار من موقع جوخه مامي بمنطقة مندلي من شرقي العراق . كما ان هذا النوع من التلوين بالخطوط القائمة قد استعمل على وجوه وأجسام لنساء وكذلك على تماثيل لرجل جالس من تل الصوان من الألف السادس قبل الميلاد .

النحت في عصر دويلات المدن

(فجر السلالات) وعصر توحيد البلاد

(العصر الأكدي)

دخلت بلاد الرافدين في عصر مابعد الكتابة طورا جديدا من الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية عرف بعصر فجر السلالات ، فلقد ساد هذا العصر ظهور مدن وسلالات تحكم نفسها بنفسها ، وشاع هذا النمط من الحياة في جنوب العراق كما كان ذلك في شماله ايضا . ولقد دلت الحفريات الأثرية على ان مدينة آشور (قلعة شرقاط) على بعد نحو ١١٠ كيلومترا جنوب الموصل هي احدى تلك المدن ، ويظهر ان آشور قد نهضت بدور ثقافي وسياسي كبير عبر العصور المختلفة التي مرت بها البلاد ، فطبقاتها الأثرية تضم مخلفات من عصور سحقة استمرت عبر العهود الأكديّة والآشورية والهنيسية ، ثم الى العصور الاسلامية . وهكذا فقد كشفت التنقيبات والتحريات الأثرية مواقع عديدة في محافظة نينوى تشير طبقاتها الى عصر فجر السلالات ، الاّ انها لم تثمر قطع غنية تماثيل كالتى عثر عليها في آشور ، فأشور تقف من بين اغنى المواقع في هذا المجال حيث زدنا معبد عشتار فيها عن مجاميع من التماثيل التي تؤلف احدى الحلقات الفنية في مضمار تطور النحت في المنطقة .

فأول هذه القطع الفنية تماثل لشخص (كاهن) ذي لحية واقف عرّفه المتخصصون باسم المستشار الديني . فهو عاري الصدر بمسك يديه امام صدره مبتعدان بعض الشيء عنه . كما يرتدي هذا الشخص وزرة ذات صفوف متعددة من الخصل او الأهداب كالتى عرفت في تماثيل كثيرة أخرى اكتشفت في أششونا وماري وتل خويرة (في أعاليه^(٣)) . والشخص الثاني حليق الشارب والرأس

وطليق اللحية وهي ميزة عرفت في بعض تماثيل هذه الحقبة خاصة في مدينة ماري^(٤) . وثمة ميزة أخرى في هذا التماثل هي الوزرة التي تنتهي من الخلف بعقدة من نفس المادة المحصلة ، وهي طريقة عرفت في فصال بعض الوزرات في تماثيل من هذه الفترة عثر عليها في الجنوب ، ومن آشور ايضا وصل الينا تماثل آخر كثير التشويه يمثل شخص في حالة السير وهو من هذه الناحية يشبه تماثل اوركيسلا من تل خفاجي بمنطقة دبالى .

ولقد عثر في معبد عشتار بأشور كذلك على تماثيل لنساء واقفات يرتدين رداء مخصلا يغطي جميع الجسم ويترك احد الكتفين عارية . والمرأة في هذا النموذج ترتب شعرها بشكل حزوز موازية ويشكل تقاطعات بهيمة المثلثات ، وفي تماثل آخر لسيدة ايضا نرى انها ترتدي شالا يغطي كنفها ويتدل نحو الركبتين .

لقد أثمرت التنقيبات في آشور ايضا عن اكتشاف قطع نحّية مهمة من العصر الأكدي ، تدلنا المعلومات الأثرية والتاريخية على ان آشور في هذه الحقبة كانت احد المراكز الأكديّة في الشمال . ولقد تعلم الآشوريون الكثير من الأكديين في بداياتهم الاولى وعدوهم الاساتذة الأوائل لهم .

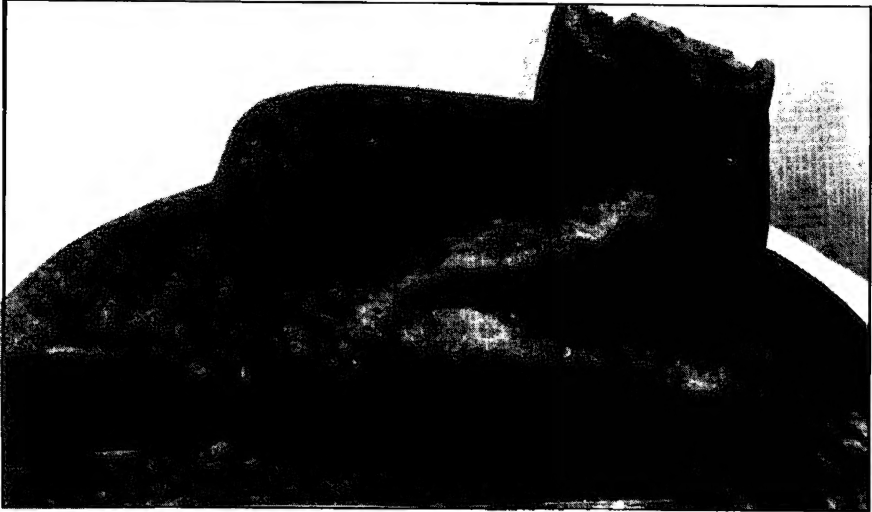
فن القطع الأكديّة المنحوتة بالنحت المجسم تماثل لرجل لمله كاهن واقف ، وهو عاري الصدر بمسك يديه امام صدره ويرتدي وزرة طويلة تم احكامها على البطن بحزام سميك . وهناك تماثل آخر من آشور لم يبق منه سوى الصدر الذي نحت بشكل عار . ويلاحظ على نموذجي التماثلين من آشور مقدرة النحات الأكدي في اظهار تفاصيل الجسم ودقائقه التشريحية المتمثلة بمعرفته للعضلات على نحو يحاكي الطبيعة ، فالنحات الأكدي كان بلا شك ملما وعارفا لتغيرات جسم الانسان عند الحركة فأعطى كل حركة حقها في التعبير والتشريح المطلوب فلا غرابة في ذلك اذ ان

النحات الأكدي هو الذي أرسى قواعد المدرسة الواقعية في التعبير.

ومن بين مجاميع التحف النحتية من العصر الأكدي ذلك التمثال البرونزي الذي وصل الى المتحف العراقي سنة ١٩٧٥ الذي عثر عليه مصادفة بموقع باسلكمي في قضاء زاخو بشمال العراق ، فهذا التمثال يكون القسم الأسفل لفتى عارجالس على قاعدة دائرية من البرونز ايضا ، والقاعدة ذاتها نقشست بكتابة أكديّة تعود الى الملك نرام سين (٢٢٩١ - ٢٢٥٥ قبل الميلاد) ويظهر أن التمثال قد قطع شوه في الأزمنة القديمة اذ لم يبق منه سوى البطن والأطراف السفلى التي انجزت وهي تضم اسطوانة مجوفة من نفس المادة البرونزية ، وبعد الدراسات والمقارنات لتماذج أكديّة ذات علاقة تمكّنّا من معرفة شخصية الشخص الممثل هنا . فهذا التمثال يمثل البطل الذي يظهر بكثرة في

يظهر على الأختام الاسطوانية الأكديّة وهو يصارع الوحوش . كما يظهر في غيرها وهو يمسك بالاناء الفوار او يمسك بسارية علم او راية . فالوضعية الأخيرة أقرب الى حركة التمثال موضوع البحث . اذ ان الفتى الجالس لابد انه يمثل البطل الأسطوري جلجامش وهو يضم بين ساقيه اسطوانة لحصر الربة العمودية التي كان يمسكها بكلتا يديه (٥) .

ومن بين ابرز القطع النحتية المنسوبة الى العصر الأكدي ذلك الرأس البرونزي المكتشف في نينوى (تل قوينجق) . فلقد اجتهد عدد من الباحثين على ان هذا الرأس يمثل العاهل الأكدي سرجون الأول اوحفيدة نرام سين ، وذلك باعتمادهم على الدراسات والأساليب المقارنة في طريقة الانجاز ، وكما هو معروف فان هذا الرأس وجد في دفن الأنقاض بتل قوينجق ولم يعثر عليه ضمن طبقة أثرية معينة ، وهذا الرأس كان في الأصل بعيون



القسم الأسفل من تمثال من البرونز لشاب جالس (من العصر الأكدي)

مطمعة الآ انها اقلعت وخربت بعض معالم الوجه في العصور القديمة ، وعلى الرغم من الصفات الفنية التي يمكن ان تلاحظ هذه القطعة فانها ايضا تعطي صفات وملامح فنية أكثر ارتباطا بزمن بداية

المواضيع الأسطورية والدينية الأكديّة والذي عرف مرارا بجلجامش المميز بحزاهم العريض ذي الفواصل الأربعة والذي تتدلّى منه خصلة ، فثل هذا البطل

المتمثل بفن سلالة اور الثالثة ، وهي الحقبة الزمنية التي يؤرخ فيها هذا الرأس .

النحت الآشوري

تراكمت التجارب في فن النحت بموطن الآشوريين منذ أقدم العصور، فجاءت الخصوصية التي عرفناها في النحت الآشوري نتيجة لهذه المحاولات ، ولقد تحكم موقع بلاد آشور في تكوين الهيئة العامة للشخصية الآشورية .

ولأجل دراسة النحت الآشوري في حقب تطوره منذ أقدم العصور، لابد ان نسلک الطريق الذي تبوأ فيه أسس دراسة التاريخ الآشوري المتمثل بثلاث مراحل هي العصر الآشوري القديم والوسيط والحديث .

النحت في العصر الآشوري القديم (٢٠٠٠ - ١٥٠٠ ق. م) :

ان مصادر النحت الآشوري القديم قليلة ونادرة نتيجة لانفواء سيادة الآشوريين ضمن القوى التابعة لزعامة الدول المتعاقبة التي حكمت جنوب وادي الرافدين ، ومع أن هناك بعض اللقى التي جاءتنا من الجهود التي سبقت العاهل الآشوري شمشي - ادد الأول (١٨١٤ - ١٧٨٢ قبل الميلاد) إلا انها لم تعطنا الدليل الواضح عن هذا الفن ، ومهما يكن من أمر فان أساليب فن النحت الآشوري في زمن شمشي - ادد الأول لابد انها اشتركت بصفات معينة لاختلاف في الأسلوب والمضمون عن النحت في منطقة مارى واشنونا وبابل ، واذا كانت هناك اختلافات جزئية فربما تعود الى الخصوصيات المستحبة في كل مدينة من المدن .

ان المدرسة الآشورية للنحت في هذه الحقبة لايمكن ان نفرقها عن مدرسة النحت البابلي القديم

الألف الثاني قبل الميلاد ، ويعد هذا العمل دون شك من القطع البارزة في عالم التعبير والصناعة والدقة في التنفيذ ليس في بلاد الرافدين فحسب بل في تاريخ تطور فن النحت العالمي .

واذا عدنا الى مدينة آشور فانا اعطتنا سنة ١٩٨٢ رأس تمثال من الحجر بحجم يفوق الحجم الطبيعي عثر عليه بشكل طليق في انقاض منحدر معبد آشور المثل على نهر دجلة . وهذا الرأس فقدت بعض اجزائه السفلى ومنها اللحية ، كما ان تشوهات أخرى يبدو أنها أصابت القطعة في الأزمنة القديمة خاصة منطقة الأنف، وترينا تفاصيل الوجه عاهلا عراقيا بارز المعالم ملتجيا ذا عينين واسعتين وقم يدل على التصميم والاصرار، وهو يرتدي لباس رأس يظهر منه بوضوح عصاة سميكة تحصر حافات متموجة من شعر مقدمة الرأس. كما تتدلى امام الأذنين خصلتان من الشعر عملت بشكل حلزونات مشابهة في تكوينها الى طريقة عمل شعر اللحية ، كما ان الشعر في الخلف رتب بهيئة كتلة واحدة حصرت بشرط عند النهاية .

لا بد ان نلجأ الى الدراسات المقارنة في تعيين زمن هذه القطعة طالما لم يعثر عليها ضمن طبقة أثرية مؤرخة، فهو في لباس رأسه وطريقة انجاز خصللات الشعر بهيئة حلزونات كبيرة وعيونه الواسعة يرتبط بالمعالجات النحتية التي شاعت في نهاية العصر الأكدي استمرارا على سلالة اور الثالثة. اذ يمكن مقارنة هذا العمل الفني بتمثال ايشنوب ايلوم المكتشف في مارى كما ان لباس الرأس وطريقة تنفيذ شعر اللحية يمكن ان تقارن بالمنحوتة المنفذة بالنحت البارز على كتف مضيق دربندى كاوور في محافظة السليمانية والتي تمثل أحد الملوك العراقيين التاريخي^(١) . ومنحوتة كاوور بلا شك تنحصر من حيث زمنها بين المرحلة الأخيرة من حكم الأكديين استمرارا الى العهد الاحيائي

النحت في العصر الآشوري الوسيط

(١٥٠٠ - ٩١١ قبل الميلاد) :

في هذه الحقبة ظهر الخوريون وهم من الأقوام الهندو أوروبية على مسرح الأحداث السياسية والاجتماعية في شمال بلاد الرافدين وشمال سوريا ، وهؤلاء حكمتهم أقلية أرستقراطية عرفت بالميتانيين حيث جاؤوا بعد انهيار السيادة الأمورية المتعائلة بسلالة حمورابي ، فمن الملوك الآشوريين الذين كانوا تحت تأثير الحوريين آشور- نراري الأول (١٥٣٣ - ١٥٠٨ قبل الميلاد).

ومن اللقى النحتية التي تعود الى فترة القرن الرابع عشر قبل الميلاد أدوات زينة من العاج وجدت في قبور مدينة آشور، وهذه اللقى عليها تميزات بمواضيع تمثل نساء وحيوانات وطبورا نفذت بحس واقعي . كما كشفت في مدينة آشور من هذه الحقبة بعض الجرار الرخامية الصغيرة ، وهي مزخرفة من الخارج بنحوت اشورية بارزة محزرة ، منها مايمثل حيوانات والاهة عارية لعلها عشتار بشكل امرأة مجنحة نصفها الأسفل عار.

وباعتلاء العاهل الآشوري آشور- او بالظ الأول (١٣٦٥ - ١٣٣٠ قبل الميلاد) تزايدت قوة الآشوريين العسكرية آخذين مكانة الميتانيين فأصبحت الدولة الآشورية ندًا للدولة الحثية ودولة مصر في عهد اخناتون . وتميزت مواضيع أختام هذه الفترة بطابع أو اسلوب يختلف عن الأمثلة الحورية الميتانية .

وفي القرن الثالث عشر قبل الميلاد تعاضلت قوة الآشوريين بمجئى ملوك أقوياء امثال ادد- نراري الأول وشيلمصنر الأول وتوكوتي- نينورتا الأول اللذين حكموا ما بين ١٣٠٧ - ١٢٠٧ ق. م . وأكثر من ذلك فقد أسس شيلمصنر الأول (١٢٧٤ - ١٢٤٥ ق. م) مدينة كلخو (نمرود) كما أسس

حيث وصلت الى نضجها في زمن حمورابي الذي عاصر شمشي - ادد الأول واحفاده في الفترة الاولى من حكمه ، غير ان حمورابي كما هو معروف تمكن بعد ذلك من ضم جميع أقاليم المنطقة الى دولته الكبيرة بما في ذلك بلاد آشور.

لقد وصلت البنا قطع نحتية قليلة من هذه الفترة اذ لدينا كسرة لمسلّة تمثل انتصارات شمشي - ادد الأول عثر عليها في ماردن ، ويمكن أن نشاهد في هذه القطعة بالنحت البارز شمشي - ادد نفسه وهو يظاً برجله احد الأعداء مسددا له ضربة أخيرة .

وترينا قياقة العاهل الآشوري انه يرتدي ملابس تماثل في بعض تفاصيلها الرسوم الجدارية من المجموعة الثانية في قصر ماري والتي تعود الى هذه الحقبة من الزمن . ومن زمن يسمخ - ادد ابن شمشي ادد الأول لدينا تماثل فاقد الرأس لاله لعله يمثل اله الجبل ، لقد نحت هذا التماثل بهيئة شخص يمسك بيده اما صدره العاري ، يرتدي حزاما عريضا بفتحة من الوسط ، والقسم الأسفل من هذا التماثل عليه نموذج من زخرفة بهيئة حراشف السمك وهي زخرفة استخدمتها النحات العراقي عبر العصور القديمة على انها تمثل الجبل والمناطق الوعرة .

وعلى لوحة من الحجر بالنحت البارز عثر عليها في آشور نرى ايضا الها يرتدي وزرة مزخرفة الجبل وهو يتوسط مجموعة من الآلهة الصغرى والحيوانات فوزرة الآلهة الرئيس ذات حراشف وحزام مفتوح في الوسط كما ان تنظيم وترتيب اللحية في هذه القطعة يمكن ان يقارن بلحية وحزام اله الجبل في اللوح التي تطرقنا اليها قبل قليل .

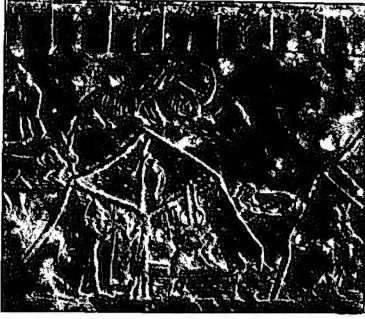
لقد انشغلت الدولة الآشورية منذ ذهاب
توكولتي- نينورتا الأول وحتى قبيل مجي آشور ناصر
بال الثاني (١٢٠٠ - ٩٠٠ ق. م) بثبيت أركان
اسسها في الاستقلال، الأمر الذي شغل الملوك
الآشوريين كثيرا وأبعدهم عن البناء والفن .

ومن فترة القرن الثاني عشر لدينا تمثال بالنحت
المجسم من البرونز عليه كتابة مسهارة تعود الى الملك
آشور- دان الأول (١١٧٩ - ١١٣٤ ق. م) وهو
تمثال فاقد الرأس يتصف بالحنافة اذ يرتدي الملك
ثوبا ضيقا وحزاما يخرج منه شريطان يفرجان
نحو الكتفين، وكذلك يرتدي الملك شالا بحاشية
ذات أهداب، وعلى كتف جبل عند منابع نهر
دجلة خلّد النحات الآشوري الملك تجلا تيليزر
الأول (١١١٥ - ١٠٧٧ ق. م) واقفا بلباسه
الرسمي يرتدي التاج الآشوري حاملا بيده اليسرى
صولجانا وباليمنى يشير بسبابته نحو الآلهة . لقد عرفنا
من الوضعيات الخاصة بهذا المشهد الملكي ان
مثل هذا الموضوع قد تكرر كثيرا في مسلات الملوك
الآشوريين من الفترات اللاحقة، وإلى هذه الفترة
ايضا يعود تمثال من الحجر بالنحت المجسم لجسم
امراة عارية لعلها عشتار. وتشير الكتابة عليه ان
القطعة تعود الى الملك آشور- بيل- كالا
(١٠٧٤ - ١٠٥٧ ق. م). وإلى هذا العاهل او
ابيه تجلا تيليزر الأول تعود المسلة المكسورة وهي
من مقتنيات المتحف البريطاني. فأحد اوجه المسلة
يضم موضوعا يظهر فيه العاهل الآشوري واقفا امام
اربعة أمراء اجانب يقدمون الطاعة تحت قرص
الشمس الممجد الذي تتدلى منه كفان آدميتان
احدهما تقبض على قوس. وقد نفذ هذا النحت
بشيء من التجسيم كما ظهر العاهل الآشوري بحجم
اكبر من الأجسام الأخرى.

وترينا المسلة البيضاء المكتشفة بتل قوينجق
(بنينوى) بوجوها الأربعة مواضيع قصصية
مختلفة. وقد نحتت مواضيعها بشكل حقول متعاقبة

توكولتي- نينورتا الأول (١٢٤٤ - ١٠٢٨ ق. م)
مدينة كار توكولتي نينورتا (تلول العقر)، ولا يخفى
ما لانشاء عاصمة جديدة من أمور تستقطب
الأعمال الفنية وبشكل مكثف في مجال الهندسة
والنحت والرسم. فتشيد حواضر جديدة يقود
بالتأكيد الى ابداعات وطفرة فنية لم تعرف من
قبل. وهذا ما حصل عند الآشوريين في اثناء تشييد
العواصم الجديدة.

ان فن النحت الآشوري المميز
بأسلوبه ومواضعه، ظهر واضحا في زمن توكولتي-
نينورتا الأول، اذ لدينا من زمنه عدد من القطع
بالنحت البارز. فن آشور عثر له على دكتين للعبادة
حيث مثل العاهل توكولتي- نينورتا الأول بوضعيتين
واقفا وراكعا امام نصب الآلهة نسكواله الثور. اما
الدكة الثانية فقد نحت عليها الملك نفسه، واقفا بين
بطلين اسطوريين يمسك كل منهما بعمود ينتهي براءة
دائرية. فعلى هذين النحتين البارزين ظهرت لنا
الخصائص والصفات الآشورية في تنظيم الشعر
وأشكال الملابس وفصاها. كما عرفنا الوضعيات
الآشورية للأشخاص سواء بالوضعية الأمامية او
الجانبية، وعلى كسرة غطاء من الحجر بالنحت
البارز من عصر توكولتي- نينورتا الأول ايضا عثر
عليها في آشور نرى مشهدا حربيا، فهذه القطعة
تشكل موضوعا يضم ثلاثة اعداء هالكين، في
حين انشغل مقاتل آشوري (على أغلب الظن الملك
نفسه) ماسكا شعر رأس أحدهم استعدادا لقطعنه.
أما القسم الأسفل المفضل عن القسم الاعلى
بحاشية رفيعة بارزة ففيها موضوع يمثل الملك وهو
يتقدم احدى العربات الحربية رافعا بأحدى يديه
قدحا، كما نرى ايضا القسم الاعلى من رأس سائق
العربة، والشيء المهم في هذه القطعة انها ترينا
موضوعا قصصيا متسلسلا مما يدل على ان مثل
هذه المواضيع كانت قد استكلت العديد من
مراحلها في القرن الثالث عشر قبل الميلاد.



ممسكر آشوري على منحوتة جدارية

بالنحت البارز وهي ذات استمرارية حول جسم المسلة. وتتألف هذه المسلة أهم الدراسات في مضمار الفن الآشوري للفترة الوسيطة، وهي تعود الى الملك آشور ناصر بال الأول الذي حكم بين ١٠٥٠ الى ١٠٣٠ قبل الميلاد، فهي من هذه الناحية تعد من حيث مواضيعها وطريقة نحتها الأساس الذي استند اليه النحات في العصر الآشوري الحديث.

النحت في العصر الآشوري الحديث

(٩١١-٩١٢ ق. م) (النحت البارز):

رصفت هذه الألواح جنباً الى جنب لتؤلف جداراً واحداً بمواضيع قصصية يكمل أحدها الآخر في قاعة واحدة. وهذه الألواح تزين القسم الأسفل من جدران القاعات ومواضيع تشرح لنا الحياة الآشورية في الحرب والسلم. أما المسافات العليا للجدران التي تغطيها هذه الألواح فقد رسمت بمواضيع مكمل للألواح وبرسوم ملونة رسمت مباشرة على الجدار.

ان استعمال الألواح الحجرية في تغليف جدران القصور قد استعملت أول مرة عند الآشوريين في كلخو، وبالأذات في زمن آشور ناصر بال الثاني، تعد فكرة تزيين الجدران بمواضيع وتزيينات مختلفة في

تعد هذه الحقبة من أغنى الفترات في مجال النحت، وخاصة البارز من تاريخ تطور الفن في الامبراطورية الآشورية. فلقد زودتنا المدن الآشورية في هذا العصر بمجاميع لا تحصى من الألواح الحجرية المنقذة بالنحت كمدينة كلخو (نمرود) ونيينوى ودور شروكين (خرصباد). فلقد بذل العاهل الآشوري آشور ناصر بال الثاني (٨٨٤-٨٥٨ قبل الميلاد) قصارى جهده في جعل عاصمته كلخو منارا في هندستها وتزيينها. فقد عمل فيها فنانون وبناءون من جميع المناطق التي خضعت لحكمه، اضافة الى الفنانين والبنائين الآشوريين. ففي قصره المعروف بالقصر الشمالي الغربي زينت الجدران بالواح مرمرية بارترفاع سبع أقدام ويعرض أقل من ذلك. وقد



حصانان يقودهما جندي من تفاصيل لوحة جدارية من نينوى

في السطوح والتأكيد على التفاصيل الدقيقة فيها بشكل حزوز او نحت بارز واطفي جدا، ويمكن للمشاهد تتبع تفاصيل الألبسة وطرق تصفيف الشعر. كما ترينا وبكل دقة تفاصيل الأسلحة والمعدات الحربية والأثاث، فهي بهذا الاتجاه تعد أغنى مصدر لدراسة الحياة الآشورية في السلم والحرب.

ان النحات الآشوري في زمن آشورناصرال الثاني وابنه شيلمنصر الثالث (٨٥٨-٨٢٤ ق. م) قد انجز الواحا بشكل نحت بارز واطفي وقد اعطى تجسبا في الوجه واليدين والقدمين، ومثل هذه المعالجات استمرت ايضا لزمن تيجلا تيليزر الثالث (٧٤٥-٧٢٧ ق. م) فنحتوات الأخير سواء تلك التي تمثل مواضيع القتال او تلك التي تمثل مواضيع تقديم الطاعة والجزية قد نفذت بشيء من الوضوح والتناسق والبساطة والجرأة.

ولعل نحات تيجلا تيليزر الثالث قد اعطى بعض الادراكات الاولى لفن علم المنظور اكثر من المحاولات السابقة، اذ نرى صور الأشخاص والعربات والأشجار والمباني قد رتبت بشكل متعاقب عند رؤية شاهد لها. والنحات في فترة القرن التاسع والثامن قبل الميلاد قد اكثر من الألواح التي تصور الأشخاص وهم يشغلون اللوح بأكمله. كما أنه لجأ أحيانا الى تقسيم اللوح الى نصفين أعلى وأسفل كما هو الحال في منحوتات قاعة العرش بكلخو.

النحت البارز في زمن سرجون الثاني وخلفائه

(٧٢٢-٦١٢ ق. م) :

شيد سرجون الثاني (٧٢٢-٧٠٥ ق. م) عاصمته دورشروكين (خرصباد) على بعد ٢٥ كيلو مترا شمال شرق نينوى. ولقد زينت قصور ومعابد هذه المدينة بمجاميع من الألواح المنحوتة بالنحت

الأساس فكرة عراقية قديمة عرفت منذ عصر الوركاء حينما زينت الجدران في المعابد بمخاريط ذات رؤوس ملونة وبأشكال هندسية منسقة، كما ان هناك جدراناً مزينة بالطابوق المقلوب كالتي عثر عليها في معبد كريتنداش من العصر الكوشي في الوركاء ايضا. وهكذا فان قصر آشور ناصر بال الثاني في كلخو المعروف بالقصر الشمالي الغربي يرينا الحيوانات المركبة الحارسة التي تزين المداخل. وهذه الفكرة المأخوذة هي أيضا استعمال عراقي قديم رأيناه في استعمال الاسود الحارسة في العصر البابلي القديم من حدود ١٨٠٠ قبل الميلاد كما هو الحال في معابد تل حرم (٧).

كما ان فكرة الحيوانات المركبة قد تطورت في العراق القديم ودخلت أطوارا وأشكالا متعددة، حيث أخذها المصريون القدماء والحثيون الذين زينوا بها مداخلهم، كما تشير المصادر الآشورية ان مثل هذه الحيوانات الحارسة المركبة قد استعملت في مداخل المباني قبل تأسيس كلخو غير ان التوقييات لم ترنا أمثلة لها قبل مجئ آشور ناصر بال الثاني (٨).

ان الواح آشور ناصر بال الثاني من قصره في نمرود ترينا النموذج المتكامل ولأول مرة تعرض مواضيع قصصية بحجم كبير. ويظهر ان اسلوب النحت هذا قد نضج منذ زمن والد آشور ناصر بال الثاني وهو توكولتي - نينورتا الثاني (٨٩٠-٨٨٤ ق. م) كما هو واضح على طابوق مزيج من آشور، فالألواح المنحوتة بالنحت البارز من قصر آشور ناصر بال الثاني ترينا مواضيع الحرب والاحتفالات والصيد. وتدل طريقة نحتها على ان النحات كان موقفا في اظهار وانجاز هذه المواضيع مع ابراز التأثيرات المختلفة في هذه المشاهد. فالدراسة الآشورية في هذه الألواح تنحو منحى تعبيرا مأخوذا من الواقع مع التأكيد على التبسيط

أما عن النحت البارز من زمن أسرحدون (٦٨١ - ٦٦٨ ق. م) فأننا لم نحصل على منحوتات ذات مواضيع قصصية من هذه الحقبة، غير ان علينا ان لافترض ان مثل هذه المنحوتات قد أهملت، فنضج وتطور فن النحت البارز القصصي في عصر خليفته آشور بانيبال يظهر بما لا يترك اي شك في ان مثل هذه المحاولات كانت مستمرة في عصر أسرحدون. غير اننا لم نتوصل الى العثور على مثل هذه المنحوتات بسبب عدم قيام حفريات واسعة في القصرين الملكيين العائدين الى هذا العاهل في كل من نينوى (تل النبي يونس) والقصر الجنوبي الغربي في كلخو (نمرود) غير ان اهم المالدنيا من منحوتات بارزة من هذه المرحلة هي مسلة تمثل أسرحدون واقفا بلباسه الرسمي بمسك باحدى يديه في آن واحد صولجانا وجبلين مرتبطين بأفواه عدوين له، في حين أشار بالأخرى الى رموز الآلهة الآشورية وقد عثر على هذه المسلة في مدينة سنجرلي بشمال سوريا وهي من مقتنيات متحف برلين.

وفي زمن آشور بانيبال تطور النحت البارز أكثر باتجاه المدرسة الواقعية مع ازدياد قدرة النحات في اظهار التأثير المطلوب في الحالات المختلفة، وفضلا عن هذا فان الدقة واطهار التفاصيل الكثيرة في أشكال وهياكل الانسان والحيوان وحتى النباتات كانت واضحة على الواح هذه المرحلة، وأكثر من ذلك فان نحات آشور بانيبال قد تمحس أكثر من سابقه بموضوع علم المنظور والابعاد. فقد اعطى أشكالا واحكاما متباعدة ومتدرجة لصنوف من الأشجار في حديقة ملكية آشورية. كما وقد ظهر احساس النحات الآشوري في الواح آشور بانيبال باتجاه علم المنظور في محاولات عديدة.

ان التجارب الفنية في النحت البارز في عصر آشور بانيبال متعددة ومتشعبة، فزرى مثلا ان

البارز ومواضيع مختلفة، ولقد انجزت هذه الالواح ببعض الفروق عن تلك التي انجزت في السابق اذ ان التفاصيل الآدمية والحيوانية التي تشمل منطقة الوجه والأطراف قد نفذت بشكل نحت بارز فيه كثير من التجسيم وهي صفة لم يسلكها النحات الآشوري مثل سرجون الثاني، إذ ان مثل هذه المعالجات تظهر تأثير المدرسة البابلية والتي كما يبدو ظهر تأثيرها واضحا في منحوتات سرجون الثاني. ان ظاهرة التجسيم في ألواح سرجون الثاني تظهر أكثر وضوحا على قامات الأشخاص الأسطوريين الذين نشاهدهم وهم يقفون خلف الثيران المجنحة التي تحرس مداخل القصور والمعابد في دور شروكين.

وفي عهد سنحاريب (٧٠٥ - ٦٨٢ ق. م) قسّم اللوح الى أكثر من حقلين اي الى ثلاثة، وغالبا ما نشاهد الحوادث المصورة وقد عززت بكتابات مسارية وهي تزين القسم الاعلى من اللوح. لقد نفذت اعمال سنحاريب للنحت البارز بشكل يطنى عليها المسحة الواقعية والاحساس بالمنظر الطبيعية المختلفة. وقد أدى هذا الاحساس كما يظهر الى ان ترك النحات الآشوري في بعض الأحيان طريقة تقسيم اللوح الى حقول، بل استخدم اللوح بأكمله ليشغل مشهدا واحدا، وخير مثال على ذلك موضوع نقل كتل احجار الثيران المجنحة الى نينوى وكذلك موضوع الحصار لمدينة لاختش في فلسطين.

ولأجل ارواء مدينة نينوى بالمياه عبر سنحاريب عن قدراته الكبيرة في انجاز مشاريع الري. فقد جلب اليها مياه نهر الكومل وعيون الماء من شمال نينوى، وقد زين صدر هذا المشروع في موقع بافيان الذي يبعد ٦٠ كيلو مترا شمال نينوى بمنحوتات نحت بالنحت البارز على كتف الجبل. اكبرها تلك التي ترتفع بمقدار ١٦ مترا وهي تصور سنحاريب بوضعتين يواجه الالهة الآشورية الكبرى.

النحت المجسم الآشوري :

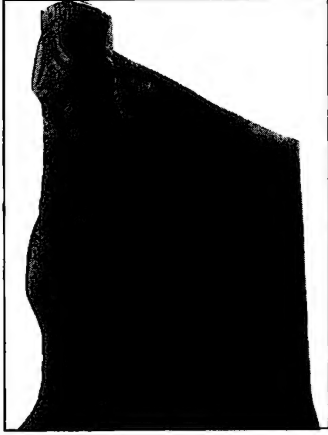
ان انشغال النحات الآشوري بمواضيع تزين الجدران بالنحت البارز قد أبعدته كثيرا عن ممارسة اعماله في النحت المجسم ، فلقد وصلت الينا اعداد قليلة من المنحوتات المجسمة عبر أزمنة الامبراطورية الآشورية ، ولقد اعتنى النحات الآشوري بالمظهر الأمامي للتمثال ، ولم يعط السمك الطبيعي المطلوب لعمله النحتي هذا . فعظم القطع الآشورية بالنحت المجسم تبدو مبسطة من حيث السمك ، ولعل السبب في ذلك كونها تشغل مواضع بجانب الجدران او انها كانت توضع داخل حنايا في تلك الجدران ، فهي من هذه الناحية لم تصمم لتعرض في وسط فناء واسع ليشاهدها الناظر من جميع الجهات .

لقد أثمرت الحفريات في المواقع الآشورية عن تماثيل لألهة وملوك آشوريين ، فمن نماذج النحت المجسم للفترة القديمة من تاريخ النحت الآشوري لدينا تمثال سبق الكلام عليه وهو الاله الجبل من زمن الملك يسمخ- ادد ، ومن امثلة النحت المجسم للفترة الوسيطة تمثال الملك اشور- دان الاول من البرونز ، وقد مرر الكلام عنه ايضا . ومن هذه الحقبة ايضا لدينا تمثال السيدة العادلة (عشتار) فاقدة الرأس والأطراف من زمن الملك آشور- بيل كالا .

وهناك نماذج من النحت المجسم ممثلة بتماثيل من العهد الآشوري الحديث منها مايمثل العاهل الآشوري آشور ناصر بال الثاني ، وابنه شيلمنصر الثالث ، كما لدينا من زمن ادد- نيرارى الثالث (٨١٠-٧٨٣ ق. م) عدد من التماثيل للاله نبو . وجميع النماذج المارة الذكر عثر عليها في كلخو (نمرود) . ولقد أثمرت الحفريات في دور- شروكين (خرصباد) على تماثيل للاله ايا اله الماء كان كل يحمل انا يتدفق منه الماء على جانبيه . وقد استخدمنا هذين

النحات قد قسم اللوح البارز الى أربعة حقول او اكثر بعد أن كان ثلاثة في زمن سلفه ، كما نشاهده وقد ترك هذا الأسلوب في الواح أخرى ليشغل وجه اللوح بموضوع واحد . وذلك مانشاهده في الألواح القصصية التي كُتبت لتخليد انتصار آشور بانيبال على العيلاميين وملوكهم تيومان . فلقد أبرز النحات في هذه المرحلة التأثير الملحمي مغبرا وبشكل موفق ومؤثر عن تعابير مختلفة لأفراد الجيش العيلامي المندهر ، اذ ظهرت على الجنود العيلاميين ملامح البؤس والخضوع ، وهذا الأمر ان دل على شيء فهو بلا شك يدل على مرافقة الفنان للحملات العسكرية ، الأمر الذي جعله دقيقا في التعبير وانجاز ما هو مطلوب .

لقد توج آشور بانيبال انتصاراته على بلاد عيلام ودحره للكمهم تيومان في أحد المنحوتات البارزة ، حيث نرى هذا العاهل وزوجته آشور- شرأت وهو يحتفل بانتصاره هذا في حديقته بنيوى تحت اغصان الكروم وأنعام الموسيقى ، ولقد برع نحات آشور بانيبال ايضا بمواضيع الصيد وأشهرها تلك التي تمثل صيد الأسود المكتشفة بنيوى . فلقد طاردها واصطادها في كل مكان حتى أنه تابعها عبر مياه دجلة مما يدل على كثرتها في زمنه ، ولقد اعطى النحات الواح الصيد حالة من الاستمرارية ، اذ نشاهد الملك في بداية المشهد وهو يتسلم عدة الصيد والأسلحة المرتبطة بهذه الرياضة . فرى انتهاء المشهد يختم بما يترتب من طقوس تتعلق بهذه الرياضة ، وألواح الصيد هذه ترينا من الأسود ماهوميت وما هو جريح او مصاب ببعض السهام ، على أن أقوى التعابير الفنية قد ظهر على ما يعرف باللبوة الجريئة التي أصيبت بثلاثة سهام وهي تنازع انفاسها الأخيرة . ولم يقتصر موضوع الصيد على الأسود فقط بل هناك صيد الخيول الوحشية والغزلان .



نور مجنح كان يحرس إحدى بوابات قصر مرجون في خربصاد.

التنانين في الأصل كأعمدة لحمل بعض الفقرات المعمارية في الأبنية ، كما كشفت الصدف في آشور عن تمثال لسيدة ترتدي عصابة وحزاما سميكًا وهو ما ترتديه النسوة المنشغلات بالموسيقى والغناء في الألواح الآشورية.

المخلوقات المركبة في المداخل الآشورية :

ترينا مداخل المباني الآشورية قطعاً نحتية كبيرة قوامها مخلوقات مركبة عرفت باسم "لاماسو" عند الآشوريين. وتركيب هذه القطع الحارسية مكون من قوى بشرية وحيوانية نحت النحات الآشوري بدمجها بشكل منسق ، وكان لهذه المخلوقات الحارسية المركبة حسب اعتقاد العراقيين القدماء قابلية طرد الأرواح الشريرة التي قد تدخل المبنى عن طريق المداخل ، وتتكون هذه المخلوقات عادة من رأس إنسان وجسم حيوان وجناحي طائر تعبيراً عن القوى ذات السيادة القصوى. فهي بهذا التركيب لها صفات مرتبطة بالعقائد والأساطير العراقية. فهي مقدسة فضلاً عن أنها تحمل صفة الآلهة بدلالة القرون التي تزين مقدمة تيجان رؤوسها.

لقد استخدمت هذه المخلوقات الحارسية لتزيين أساسيين: فهي من جهة ذات مضمون روحي ، إذ أنها تطرد الأرواح الشريرة. وثانياً أنها تخدم غرضاً معمارياً تزيينياً في تلك المباني ، فهذه المخلوقات صممت بالأساس لكي تغلف جدران المداخل، فوجودها من هذه الناحية يكمل استمرار مواضيع المنحوتات الجدارية ذات النحت البارز في القصور الآشورية.

والمنحوتات الحارسية يشاهدها المرء قبل المرور عبر المدخل وهي تواجهه بهيئتها الصامدة وأرجلها الأمامية الثابتة. أما إذا سار المرء في رحاب المدخل فسيجدها وهي بحالة السير مما استوجب تزويدها برجل خامسة خدمة لهذا الغرض.

نماذج من المنحوتات الحارسية :

يرينا قصر آشور بانيبال الثاني في نمرود عدة أنواع من هذه المخلوقات المركبة. فهناك الثور المجنح والأسد المجنح. كما يشاهد بعض أمثلة منها وهي مزودة بأيدٍ بشرية تحمل غزالاً، كما أن هناك نموذجاً آخر وقد أضيفت إليه جسم سمكة على طول امتداد البطن وهو بلباس رأس فيه صفة الأسماك أيضاً. ولقد استعملت الأسود غير المركبة أيضاً في عهد آشور ناصر بال الثاني كما هو الحال في معبد نينورتا بنمرود. ويرينا مدخل معبد إيزيدا بنمرود أيضاً زوج من مخلوقات مركبة قوامها صدر إنسان وجسم سمكة ، أما الثيران المجنحة من خربصاد فبعض منها يدور برأسه نحو المشاهد وبعضها الآخر بالوضعية الاعتيادية.

النحت على العاج (العاجيات) :

يعد النحت على العاج من الفنون المرموقة في الشرق القديم ، إذ ارتبطت هذه الصناعة بما كان

في البئر من قبل البعثة العراقية التي أشرنا إليها
فتعد من أنفس القطع المعروفة ضمن مجموعة
نمرود.

كما أظهرت التنقيبات في العاصمة الآشورية
دور- شروكين (خرصاد) المشيدة من قبل الملك
سرجون الثاني (٧٢٢-٧٠٥ ق.م) مجموعة صغيرة.



قطعة من العاج من نمرود

يقتنيه الملوك والقادة، وخاصة بعض الملوك
الآشوريين، ولقد انتشرت صناعة النحت على
العاج انتشارا واسعا، فهذه الحرفة مرتبطة ارتباطا
وثيقا بصناعة الأثاث الملكي. فالقطع العاجية التي
عثر عليها في الحفريات كانت بلا شك عبارة عن
وحدات وحشوات تزيينية في الأثاث الخاص
بالقصور الملكية، كالأسرة وكراسي العرش والكرات
وبعض القطع والأدوات المستعملة في زينة النساء
من الأميرات.

لقد استعمل الآشوريون أثاثا معظمه كان يجلب
من الخارج، فالمتحونات الآشورية ترينا العديد من
قطع الأثاث وهي تقدم الى الملك افضل مايقدم
من هدية او جزية. وتجدر الاشارة الى ان بعض القطع
العاجية كانت تستعمل في عدة ورياط الخيل
كتلك القطع التي تغطي جانبي عين الحصان او
تلك التي تزين جبين او صدر الحيوان.

المجاميع العاجية :

ان اكبر المجاميع العاجية التي اكتشفت في
العراق هي تلك التي تم الكشف عنها في كلخو
(نمرود)، وهي تقسم الى ثلاث مجاميع اساسية :
الأولى تلك التي اكتشفت في حفريات القرن
الماضي، والثانية التي تم العثور عليها من قبل البعثة
الانجليزية المنقبة في نمرود برئاسة البروفسور ملوان،
والثالثة هي المجموعة التي اكتشفت في البئر الواقعة
في القصر الشمالي الغربي، وقد تم العثور عليها داخل
ترسبات قعر البئر من قبل بعثة عراقية ارسلت لهذا
الغرض في سنة ١٩٧٤.

لقد أثبتت الحفريات في نمرود انها أعطت اكبر
مجاميع عاجيات عرفها العالم. وقد تم العثور عليها
في اماكن معينة هي القصر الشمالي الغربي لآشور
ناصر بال الثاني، وكذلك القصر المحروق وحصن
شليمنصر. اما مجموعة العاجيات التي تم اكتشافها

المدارس الفنية للعاجيات :

تنحصر العاجيات في ثلاثة او اربعة طرز وأساليب فنية أساسية من حيث الصنعة والمواضيع وطريقة التنفيذ وهي كما يأتي :

١- الأسلوب الآشوري : وهي الطريقة التي افناها في الألواح الآشورية الحجرية ، او تلك التي رسمت على الجدران .

٢- الأسلوب الفينيقي : وتظهر فيه عناصر فنية شائعة في النحت المصري وذلك من حيث المواضيع وطريقة التنفيذ .

٣- الأسلوب السوري : وفيه تظهر تأثيرات وعناصر فنية مستمدة من أصول حثية وآشورية آرامية .

٤- وكثيرا ما نشاهد عددا من الصفات والعناصر والمميزات الفنية وهي مختلطة بعضها مع بعض في عاجية واحدة مما يدعون ان نكون حذرين في درج مثل هذه القطع العاجية ضمن أحد الأساليب التي ذكرناها . ولعلنا قد نصل في نهاية المطاف الى درج مثل هذه العاجيات ضمن أسلوب رابع لم نصل الى أركان مضامينه لحد الآن ، والأمر يتطلب وقتا ودراسة مقارنة تميز مثل هذا الأسلوب .

لقد أعطت مجاميع العاجيات في نمود جميع الأساليب التي ذكرناها فهي اذاً من صنع اعداد من الفنانين ينتمون الى مدارس فنية مختلفة . ومن الجدير بالذكر ان تشير الى العاجيات المكتشفة في مدينة حماة بسوريا ، فهذه المدينة على ما يظهر كانت مركزا من مراكز صناعة العاج ، فقد ورد اسم حماة مكتوبا على بعض العاجيات المكتشفة في نمود .

ان مجاميع من العاجيات المتفذة بالأسلوب الفينيقي والسوري المكتشفة في كلخو لا شك انها جلبت في اثناء الحملات العسكرية في المناطق الغربية لبلاد آشور، كما ان الدلائل الأثرية من نمود

تشير بوضوح الى ان قسما غير قليل من العاجيات قد صنعه نحّاتون جاءوا من المراكز الاصلية التي تميز بها كل من الأسلوب الفينيقي والسوري ، فالتنقيبات بنمرد أظهرت بعض الأدوات والأصباغ والمعاجين التي كانت تستخدم في هذه الصناعة .

الهوامش :

(١) صدرت بعض المقالات عن تل نمريك احداهما مقالة بشكل تقرير لخمس أعضاء من البعثة البولونية اولوج الاستاذ ستيفان كوزيوسكي وهي صادرة عن :

Centre of Mediterranean Archaeology of the Warsaw University Kairo.

ومقالة اخرى منشورة في احدى اصدارات مديرية الآثار بعنوان : بحوث آثار حوض سد صدام وبحوث أخرى سنة ١٩٨٧ .

Preneolithic site Nemrike, Stefan. K. Koziowski and others. p. 8

(٢) Mallowan, Memoirs, Glasgow, 1977, p. 90.

(٣) انظر : "حاضرة العراق" ، تأليف : نخبة من الباحثين العراقيين ، الجزء الرابع ، بغداد : ١٩٨٥ ، صفحة ٣٠ - ٣١ .

(٤) نفس المصدر السابق ، صفحة ٢٦ ، ٢٧ .

(٥) نفس المصدر السابق ، صفحة ٤٦ ، ولأجل زيادة المعلومات يمكن الرجوع الى سور ، العدد ٣٢ (١٩٧٦) ، ص ٤١ - ٤٨ .

(٦) انطون مورنكات ، الفن في العراق القديم ، ترجمة : عيس

سلان وسليم طه التكريتي ، وزارة الثقافة والاعلام ، سلسلة الكتب الفنية ٣١ ، مطبعة الأديب ١٩٧٥ ، بغداد ، لوح

١٥٧ ، صفحة ١٨١ .

(٧) حضارة العراق (المصدر اعلاه) ، صفحة ٥٧ ، ٥٨ ، لوح ٣٤ .

(٨) نفس المصدر اعلاه ، صفحة ٧٧ ، ٩٢ .

الموسيقى

في بلاد آشور

د. صبحي أنور رشيد

في قبر طفل كانت يده ماسكة بهذه الآلة النفخية، وهذا الأثر هو أقدم أثر ثبت استعمال اطفال بلاد آشور في العراق القديم للآلات الموسيقية قبل غيرهم من شعوب الحضارات الأخرى في العالم القديم. ٤- ان أقدم كتابة مسمارية حول تجنيد المغنين وارسالهم مع الحملات العسكرية قد جاءتنا من الملك الآشوري شمشي ادد الأول^(٥) الذي عاصر الملك البابلي حمورابي (١٧٩٢-١٧٥٠ ق. م).

٥- ان أقدم فهرس للأغاني في العراق القديم - وهو مودون على الطين بالخط المسماري وباللغة الأكديّة - قد جاءنا من آشور^(٦) العاصمة الاولى للآشوريين، وهو يرجع في تاريخه الى حوالي (١١٠٠ ق. م).

٦- ان أقدم وأول منحوتة جدارية تثبت استعمال الموسيقى والأغنية في قلب المعركة قد جاءتنا من نينوى، وهي تعود الى الملك الآشوري آشوربانيبال^(٧).

٧- ان أقدم اشارة تاريخية - بالكتابة المسمارية والنحت البارز - حول القيام بمسيرة في نينوى بمناسبة انتصار الجيش الآشوري على العدو العيلامي قد جاءت من نينوى^(٨) بعد وصول الجيش الآشوري الى اعماق الأراضي العيلامية، وقد قام آشوربانيبال مع جماهير شعبه بمسيرة في شوارع نينوى مع رأس الملك العيلامي وبعد انتهاء المسيرة احتفل الملك في حديقة قصره بهذه المناسبة على أنغام الموسيقى وأغاني النصر.

تكتسب بلاد آشور أهمية خاصة في تاريخ الموسيقى في وادي الرافدين، والسبب في ذلك يرجع الى ما يأتي :

١- ان أول معرفة لانسان العصر الحديث بموسيقى العراق القديم كان بوساطة الآلات الموسيقية الآشورية التي كشفت آثارها حفريات القرن الماضي في بلاد آشور، ونقلت الى متاحف بعض الدول الاوربية، وأصبحت موضع اهتمام الباحثين ودراسهم.

٢- ان أول ما كتب من مقالات وكتب عن موسيقى العراق القديم كان يدور حول موسيقى الآشوريين فقط. وقد بدأت هذه الكتابات منذ سنة ١٨٦٢، بصدر كتاب الباحث الألماني امبروس^(١). ثم صدر في سنة ١٨٦٤ كتاب كارل انكل^(٢) الذي استنتج ان الآلات الموسيقية الآشورية لم تكن بدائية أولية بل انها لابد أن تكون قد تطورت عن آلات موسيقية أقدم زمنا، وتعود لأقوام سبقت الآشوريين.

٣- ان أقدم الآثار الموسيقية التي خلّفها لنا أقوام العراق القديم قد عثر عليها في المنطقة الشمالية، وهي تعود الى اواخر العصر الحجري الحديث (الألف السادس ق. م) حيث عثر في يارم تبة^(٣) قرب تلغفر على صفارة فخارية، وفي تبة كورا^(٤) قرب الموصل عثر على عدة صفارات عظيمة تعود الى العصر الحجري المعدني الأخير (٤٠٠٠ - ٣٥٠٠ ق. م) ووجدت احداها

٨- ان النصوص المسارية والآثار الأخرى التي جاءتنا من بلاد آشور قد أثبتت أصالة الموسيقى وعراقتها ووحدتها واستمرارها ، وكذلك أصولها النظرية في العراق القديم عبر عصور تاريخه الطويل والسحيق في القدم .

ان التراث الموسيقي لبلاد آشور عبر العصور المختلفة لم يكن منعزلا ولا منفصلا عن التراث الموسيقي لعموم العراق القديم ، بل كان متداخلا فيه ضمن وحدة التاريخ والحضارة ، وهذا ماسوف نوضحه خلال معالجتنا للموضوع .

مصادر المعلومات

ترتبط دراسة الموسيقى والبحث فيها في بلاد آشور بنتائج التنقيبات التي جرت فيها ، لأن هذه التنقيبات هي التي زودتنا بالمادة التي مكنت الباحثين والمختصين من كتابة تاريخ الموسيقى في ضوء الآثار ، وبمكنتنا تقسيم مصادر المعلومات حول الموسيقى في بلاد آشور الى مائتي :

١- الآلات الموسيقية الأصلية :

لقد كشفت التنقيبات في المدن والمستوطنات الواقعة في بلاد آشور عن بعض الآلات الموسيقية الأصلية القديمة التي استعملها وعزف عليها سكان بلاد آشور القدامى عبر العصور المختلفة . فن تنقيبات البعثة الانكليزية في نمرود جاءتنا مجموعة من الآلات الموسيقية التي تدخل في صنف مايسمى بـ (الآلات المصونة بذاتها) ومنها الصنوج المعدنية (جنجانات) والأجراس والمصفقات^(١٤) . وكل هذه الآلات الأصلية تعود الى العصر الآشوري الحديث (القرن التاسع / الثامن ق. م) وهي محفوظة في المتحف البريطاني .

ومن آشور التي نقتب فيها بعثة المانية جاءتنا بعض الآلات الموسيقية التي كان الأطفال

الآشوريون يستعملونها في حياتهم اليومية وألعابهم ، وهي الخرخاشات ، كما جاءنا من آشور جرس^(١٥) بروزي ذو نقوش بارزة ، وهذه الآلات من آشور هي الأخرى تعود الى العصر الآشوري الحديث .

وكشفت تنقيبات الهيبة العراقية في الحضر عن مجموعة من الأجراس المعدنية ذات الحجم والأشكال المختلفة^(١٦) . فضلا عن الآلات الموسيقية المذكورة من المدن المشهورة نمرود وآشور والحضر ، فقد أظهرت التنقيبات في تبه كورا الواقعة على بعد (١٥ كم) شمال شرقي الموصل مجموعة من صافرات^(١٧) عظمية كان الانسان القديم قد نقب على سطحها عدة ثقوب الأمر الذي مكّنه من اخراج الأصوات من هذه الآلة العظمية بعد النفخ فيها ووضع اصابعه على الثقوب . هذه الصافرات العظمية من تبه كورا تعود الى عصر العبيد (العصر الحجري- المعدني الأخير) في حدود ٤٠٠٠-

ان أحداث المكتشفات الأثرية الموسيقية في المنطقة الشمالية هي التي جاءتنا من تل يارم تبة (جنوب غربي تلغرف بنحو ٥ كم) حيث عثر في الطبقة التي تعود الى عصر حسونة (الألف الثاني) على آلة نفخية وهي صافرة من الفخار^(١٨) تعتبر لغاية يومنا الحاضر أقدم آلة موسيقية عثر عليها في العراق .

لقد ضاع الى الأبد الكثير من الآلات الموسيقية التي استعملها سكان بلاد آشور ، وخاصة الآلات الوترية والإيقاعية والنايات القصيبة ، والسبب في ذلك يرجع الى طبيعة المادة التي صنعت منها الآلات الموسيقية ، وهي مواد سريعة التلف والتفكك والانكسار والتآكسد ، فضلا عن وجود هذه الآلات في باطن الأرض ووقوعها تحت ثقل وضغط ما فوقها من تراب وأحجار وأنقاض لبضعة آلاف من السنين .

٢- الكتابات المسماة :

لقد زدتنا الكتابات المسماة بأسماء الآلات الموسيقية وأسماء العازفين والمغنين والمصطلحات الموسيقية الخاصة بالابعاد الموسيقية للسلم الموسيقي وفهارس توثيقية للأغاني الآشورية مع ذكر المقام او السلم الذي تعود اليه الأغنية او الآلة الموسيقية التي تصاحب الأغنية عند الغناء ، وهذه المعلومات وغيرها سوف نقف عليها بالتفصيل عند شرح كل عصر تعود اليه كتابة مسماة تخص الموسيقى .

٣- نقوش الآلات الموسيقية :

هناك الكثير من المنحوتات والدمى والتماثيل والأختام والعاجيات وغيرها قد احتوت على نقوش تمثل مختلف الآلات الموسيقية وما يتعلق بالموسيقى ، وعن طريق هذه النقوش أصبحنا نعرف الشيء الكثير عن الموسيقى في بلاد آشور، مثل : أصناف الآلات الموسيقية وأشكالها من آلات وترية وإيقاعية جلدية ومصوتة بذاتها وهوائية وطريقة العزف ونوع الاداء الموسيقي ، أهو منفرد ام ثنائي ام فرقة موسيقية صغيرة او كبيرة (اوركسترا) ، وجنس العازفين رجالا أم نساء ، والمناسبة والمكان الذي كانت تؤدي فيه الموسيقى مثل أرض المعركة او المعبد او الطبيعة او البيت ، مثل مناسبة الانتصار على الأعداء والأعياد والمهرجانات والألعاب والمناسبات الدينية .

الموسيقى عبر العصور

الموسيقى شاهد حي للحضارة ، لأنها تستمر في الحياة والتطور وتحتل مساحة كبرى من الحياة اليومية ، ولا يمكن فصلها عن الشعوب وتاريخه . لهذا فان معالجتنا لهذا الموضوع ستكون طبقا لتسلسل العصور التي جاءت منها آثار موسيقية من بلاد آشور، وكما يأتي :

العصر الحجري الحديث :

في الموسم الثاني من تنقيبات البعثة السوفياتية في يارب تبة تم في سنة ١٩٧٠ العثور في إحدى غرف الطبقة الخامسة على آلة نفخية من الفخار صنعت بشكل أنبوب اسطواني يشبه (السيكارا) ينتهي طرف منه بشكل يمثل رأس خروف ، ويحتوي هذا الأثر على عدة ثقوب منتظمة الامر الذي يشير الى استعماله كآلة نفخية اي صفارة^(١٤) ، وترجع أهمية هذا الأثر الى انه أقدم آلة موسيقية جاءت من أرض العراق واستعملها العراقيون الأقدمون في عصور ما قبل التاريخ ، وعلى وجه التحديد في عصر حسونة (٥٦٠٠ ق. م) في المنطقة الشمالية ، كما وان هذا الأثر هو أول أثر في العراق وأقدمه يرينا علاقة الحيوان بالآلة الموسيقية ، هذه العلاقة نجدها قد ظهرت في العصور التاريخية اللاحقة عند السومريين والأكديين منذ عصر فجر السلاطات الثالث (٢٥٠٠ - ٢٣٢٠ ق. م) ، وأهمية هذا الأثر من الناحية الموسيقية بالنسبة لتاريخ الموسيقى في العراق القديم لم يشر اليها المنقب الذي نشر هذا الأثر.

عصر العبيد :

في تنقيبات البعثة الامريكية (جامعة بنسلفانيا) التي جرت في الفترة (١٩٣١ - ١٩٣٨) في تبة كورا ، تم الكشف عن بعض الآلات النفخية المعمولة من العظم لاستعمالها آلة نفخية اي صفارة ، حيث لوحظ وجود ثقبتين متجاورين في كل واحدة منها^(١٥) . والجدير بالذكر ان إحدى هذه الصفارات العظيمة قد وجدت داخل أحد قبور الأطفال حيث وجدت هذه الآلة النفخية في يد الطفل ، وهذا الأثر من قبر الطفل هو أول أثر في العراق وأقدمه يثبت لنا استعمال أطفال العراق القديم للآلات الموسيقية في حدود (٤٠٠٠ -

العصر الآشوري الوسيط :

عُثرت البعثة الألمانية خلال تنقيباتها في الفترة (١٩٠٣ - ١٩١٧) في مدينة آشور الواقعة الى جنوب الموصل بمسافة (١١٠ كم) على مشط من العاج، وقد نقش عليه مشهد مؤلف من أربعة أشخاص واقفين تتوسطهم نخلة في الوسط ويتجهون جميعا نحو اليسار، والأول منهم يعرف على آلة وترية تعرف باسم الحنك وفي اللغة السومرية باسم بالاك (BALAG) وبالانكليزية (Harp) ان حامل الأوتار في هذه الآلة قد كون زاوية عضد اتصاله بالصندوق الصوتي، ويلاحظ ان الأوتار النازلة من أعلى الى أسفل قد التفت حول حامل الأوتار وتدلّت منه الى الأسفل. وهذه الآلة تختلف من حيث الشكل والتركيب وطريقة العزف وتدلّي الأوتار الى الأسفل بعد التفافها حول حامل الأوتار لاختلاف عن الآلة البابلية من نفس النوع. اما من حيث تاريخ هذا المشط الآشوري ذي المشهد الموسيقي، فاننا نأخذ بالتاريخ الذي ذكره العلامة مورتكات^(١٩) وهو القرن الرابع عشر قبل الميلاد، وهذا الأثر من آشور يثبت بوضوح استمرار الآلة البابلية (٢٠٠ - ١٦٠٠ ق. م) في العصر الآشوري الوسيط (١٥٠٠ - ٩١١ ق. م) مما يشير الى وحدة الآلات الموسيقية في عموم العراق القديم.

فهرس الأغاني :

وفي آشور ايضا تم الكشف عن لوح طيني مدون عليه بالكتابة المسارية فهرس للأغاني الآشورية، ويرجع في تاريخه الى حدود سنة (١١٠٠ ق. م) وهو محفوظ في متحف الشرق الادنى ببرلين الديمقراطية، وقد نشره الباحث الألماني ابلينك^(٢٠) سنة ١٩١٩. يحتوي هذا النص الآشوري على

٣٥٠٠ ق. م)، وهكذا كان العراقيون الأقدمون يتّون في تربية الأطفال موسيقيا، حيث لم يعثر بعد على آلات موسيقية للأطفال لدى الشعوب الأخرى في العالم القديم تعود الى مايعاصر نفس الفترة الزمنية في العراق.

العصر الآشوري القديم :

قامت هيئة من جامعة الموصل بالتنقيب في تل ابوظاهر^(٢١) منذ سنة ١٩٧٧، ويقع هذا التل الى الشمال الغربي من مدينة الموصل بمقدار ٨٦ كم وفي الموسم الأول للتنقيب تم العثور على مجموعة من دمي الطين كان من بينها دمية لقنفذ، ويبدولنا أن دمية القنفذ هذه هي في الواقع خرخاشة أي من آلات الطفل الموسيقية، حيث سبق أن عثر على خرخاشات بشكل القنفذ من تل أسمى وتل حرمل وتلو^(٢٢)، وكانت تحتوي في داخلها على بعض القطع الحجرية الصغيرة التي ينشأ الصوت عند ارتطام بعضها ببعض او ارتطامها بالجدار الداخلي للدمية عند هزها باليد وخروج الصوت عن طريق الثقوب (الفتحات الصوتية) الموجودة في الدمية، ويعود تاريخ هذا النوع من الدمي الى العصر البابلي القديم (١٩٥٠ - ١٥٣٠ ق. م).

ومن بين الرسائل التي عثر عليها في ماري^(٢٣) والعائدة الى الملك الآشوري شمشي ادد الأول (١٨١٤ - ١٧٨٢ ق. م) الذي كان يعاصر جزئيا الملك البابلي حمورابي (١٧٩٢ - ١٧٥٠ ق. م) رسالة يطلب فيها الملك تجنيد بعض المغنين - ومنهم سن ايقيشام - وارسالهم مع الجيش، والغرض من هذا طبعاً هو اثاره حاس المقاتلين بوساطة الموسيقى والأهازيج، وهذه الرسالة للملك الآشوري هي أقدم اشارة تاريخية لاستعمال الموسيقى في الجيش والمعركة.

الجنك (Harp) :

في العاصمة الآشورية كلخو، تم العثور في القصر الشمالي الغربي على عدة منحوتات جدارية كانت تزين جدران القصر، وهي تحمل نقوشا بارزة تمثل مختلف المواضيع الدينية والعسكرية والحياة اليومية للملك آشور ناصر بال الثاني (٨٨٣ - ٨٥٩ ق.م). ومن هذه المنحوتات الجدارية الكبيرة التي عثر عليها في قاعة العرش تلك المنحوتة التي يبلغ ارتفاعها



جوقة موسيقية آشورية

(١,٢٦ م) وهي تمحدثنا بلغة صامته عن حملات الملك العسكرية والاحتفال بالانتصارات. في هذه المنحوتة التي نقلت الى المتحف البريطاني والمؤلفة من عدة قطع وثق النحات الآشوري انتصار الملك آشور ناصر بال الثاني. يتألف المشهد من عازف على الدف المستدير واثنين من العازفين على آلة الجنك الزاوي^(٢٢). والصندوق الصوتي لهاتين الآلتين طويل وقسمه الخلفي اكبر من القسم الأمامي، وقد تعامد حامل الأوتار مع الصندوق الصوتي مكونا معه زاوية قائمة. صنع حامل الأوتار في هاتين الآلتين بشكل ذراع ينتهي في الاعلى بشكل كف الانسان، وهذا تجديد في صناعة الآلة لم يكن معروفا سابقا عند البابليين وغيرهم، والمضارب الطويلة التي يستعملها العازف الآشوري على هذه الآلة الوترية هي الأخرى من التجديدات

الأبعاد والسلام الموسيقية، وكما يأتي :
٢٣ أغنية حب في سلم (مقام) ايشارتو أكدي.
١٧ أغنية حب في سلم (مقام) كيتمو.
٢٤ أغنية حب في سلم (مقام) امبوو.
٤ أغنية حب في سلم (مقام) بيتو.
٠٠٠ أغنية حب في سلم (مقام) نيد كابي.
٠٠٠ أغنية حب في سلم (مقام) كابليتو.
٠٠٠ مجموع ٠٠٠٠٠ أغنية حب أكدي.

ان نفس أسماء السلام الموسيقية في هذا النص الآشوري المؤرخ في سنة (١١٠٠ ق. م) نجدها ايضا قد وردت وبنفس التسلسل في نص بابلي يعود الى سنة (١٨٠٠ ق. م) عثر عليه في اور^(٢١). ان الفارق الزمني البالغ (٧٠٠) سنة بين النص الآشوري من آشور والنص البابلي من اور، يثبت ايضا اصالة أصول الموسيقى النظرية واستمراريتها ووجدتها في العراق من الشمال الى الجنوب وعبر أزمنة طويلة.

العصر الآشوري الحديث :

الآلات الوترية :

استعمل الآشوريون في العصر الآشوري الحديث (٩١١ - ٦١٢ ق. م) جميع انواع الآلات الوترية التي كانت مستعملة عند البابليين في العصر البابلي القديم، وعند الأكديين، ولكننا نلاحظ في الآلات الوترية الآشورية ما يأتي :

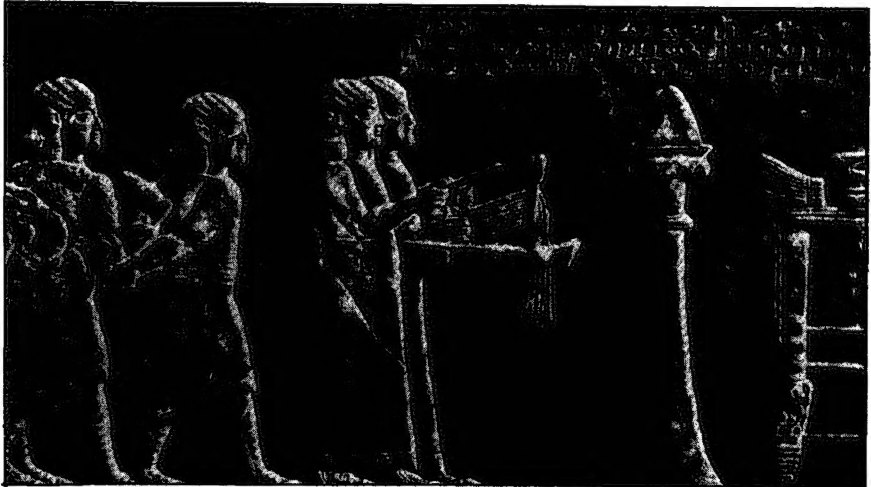
- ١- وجود التطور في صناعة الآلة الآشورية.
- ٢- وجود آلات وترية بدائية ومتبانية في الشكل، وهي تعود الى شعوب الأقطار التي ضمها الآشوريون الى امبراطوريتهم. وهذا ماسوف يتضح عند شرح الآلات الوترية الآشورية الآتية :

التي ادخلها الآشوريون في الآلات الوترية ، حيث لم تكن معروفة قبل الآشوريين ، وتحتوي الآلة موضوعة البحث على (٨) ثمانية أوتار ويستعمل العازف المضارب الطويلة . وقد حمل العازف آله الموسيقية على الجانب الأيسر من جسمه بواسطة نطاق ويسند بها بذراعه الأيسر .

وفي قاعة العرش (B) من القصر الشمالي الغربي للملك آشور ناصر بال الثاني عشر على منحوتات جدارية نقش عليها بالنحت البارز مشاهد تمثل الملك في مرحلتين هما مطاردته للأسود والثيران البرية وصيدته للأسود أولاً ، ثم الاحتفال بصيد الملك للأسود وقيامه بأداء الشعائر الدينية ثانياً ، يساهم في الاحتفال بها الثاني الوتر الذي يقدم للملك الألحان المناسبة لهذه المناسبة والطقوس . والآلة التي يستعملها الثاني الموسيقي هنا هي آلة الجنك الزاوي وهي لا تختلف من حيث الشكل والتركيب وطريقة العزف عن الآلة في المنحوتة السابقة إلا في شيء واحد وهو التفاف الأوتار حول حامل الأوتار وتدليها إلى الأسفل . والواقع ان تدلي الأوتار إلى الأسفل بعد لفها حول حامل الأوتار هو

أمر كان معروفاً ومستعملاً في العصر البابلي القديم ، أي قبل العصر الآشوري الحديث ، كما أثبت ذلك الآثار الموسيقية من مدينة لارسا في القسم الجنوبي من العراق ، ومن نفر قرب عفك بمحافظة القادسية ، ومن تل أمير بمنطقة ديالى (٢٣) . ويتضح من هاتين المنحوتتين العائدتين إلى الملك آشور ناصر بال الثاني (٨٨٣ - ٨٥٩ ق. م) وجود آلات الجنك الزاوي التي تتدلى أوتارها إلى الأسفل بعد التفافها حول حامل الأوتار جنباً إلى جنب مع آلات الجنك التي تتوقف أوتارها عند شدّها حول حامل الأوتار أي دون أن تتدلى إلى الأسفل ، وهاتان الطريقتان أنفسهما كانتا متبعيتين في الآلات العائدة إلى العصر البابلي القديم ، وهذا شاهد آخر على استمرارية الآلات الموسيقية ووحدتها في عموم العراق القديم من شماله إلى جنوبه عبر العصور الطويلة .

وفي منحوتة جدارية أخرى من القصر الشمالي الغربي للملك آشور ناصر بال الثاني في نمرود (٢٤) نشاهد الملك في مركبته وهو يطارد ويصيد الثيران البرية ، وبعد انتهاء الصيد يحتفل الملك بهذه

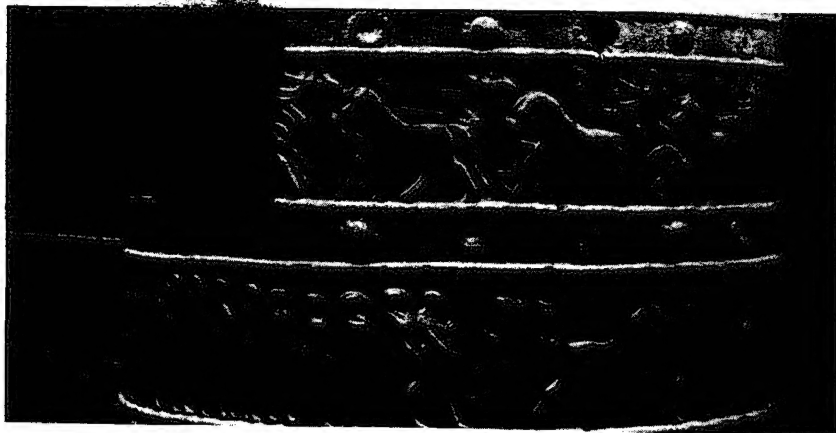


جزء من منحوتة جدارية من الرخام من القصر الشمالي لآشور بانيبال في نينوى .

ومن عهد الملك سنحاريب (٧٠٤-٦٨١ ق. م) بن سرجون الثاني جاءتنا من نينوى منحوتتان جداريتان نقشت عليهما آله الجنك. ففي الاولى وثق الفنان الآشوري الذي لانعرف اسمه هجوم الجيش الآشوري على أرض عدوه وقيام المقاتلين الآشوريين بقطع أشجار النخيل لحرمان العدو من ماداتها الغذائية وقف شخصان يعزف كل واحد منها على آلة الجنك الزاوي، والواقع أنه في الرسم التخطيطي^(٢٦) لهذه المنحوتة الذي نشر في سنة ١٩١٥ لا تظهر بصورة واضحة تفاصيل الآتين

المناسبة على انغام الموسيقى التي يقدمها الثاني الوترى المؤلف من آلي الجنك، والآتين في هذه المنحوتة لاختلافان في شيء عن الآتين في المنحوتة السابقة الخاصة بالاحتفال بصيد الاسود.

ومن عهد الملك شيلمنصر الثالث وجد هرمز رسام سنة ١٨٧٨ صفائح من برونز كانت تكسو ابواب قصر الملك المذكور الذي شيده في امكور- بيل (امكور- انليل Imgur- Enlil) واسمها الحالي بلوات التي تبعد حوالي ١٥ كم عن مفرق الطريق المؤدي الى نمرود).



من مشاهد انتصار شيلمنصر الثالث على الاعداء

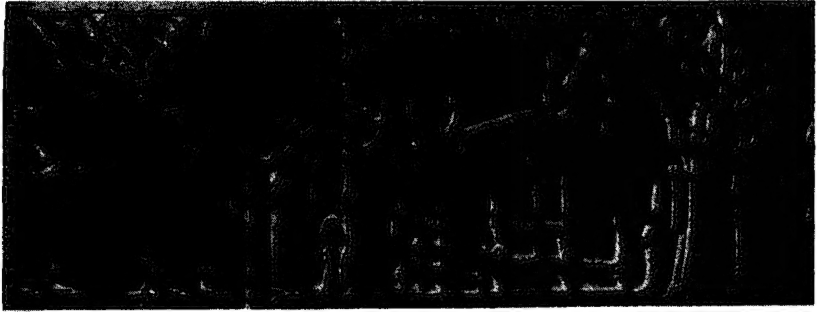
الوتريتين، لذا لا يمكن وصفها بالتفصيل. اما المنحوتة الثانية من نينوى والعائدة للملك سنحاريب فان المشهد المنقوش عليها يمثل فرقة سباعي الوتريات والايقاع^(٢٧) في هذه الفرقة الموسيقية يوجد (٤) عازفين على آلة الجنك الزاوي التي لا تختلف في شيء عن الآلات المنقوشة على منحوتة نمرود التي تمثل الملك آشور ناصر بال الثاني، وهو يطارد الاسود والثيران ويصطادها، وقد شرح ذلك. ويتراوح عدد أوتار الآلات في منحوتة سنحاريب من نينوى ما بين (٨) و(٩) أوتار. ونلاحظ على العازفين على هذه الآلات أن اثنين منهم بدون لحية، وقد وضعوا فوق رأسها قبعة

وتخلد هذه المشاهد الانتصارات التي حققها الملك الآشوري، ويشارك فيها الثاني الوترى بما يقدمه من عزف وغناء للملك المنتصر^(٢٥). اما بخصوص الآتين الوتريتين المستعملتين هنا فهي عبارة عن الجنك الزاوي (angular harp) الا انها تختلفان قليلا عن بعض آثار والده آشور ناصر بال الثاني، حيث ان حامل الأوتار فيها قصير، وينتهي في اعلاه بشكل يمثل كف الانسان، كما ان الأوتار تنوقف عند حامل الأوتار اي بدون ان تتدلى الى الأسفل. اما طريقة العزف ومسك الآلة واسنادها باليد اليسرى للعازف فهي لا تختلف عن الآثار السابقة العائدة الى والده.

وتدلي اوتارها الى الأسفل وانتهاء القسم العلوي من حامل الأوتار بكف الانسان عن الآلات التي شاهدناها في منحوتات آشور ناصر بال الثاني (٨٨٣-٨٥٩ ق. م) وعصر سنحاريب (٧٠٤-٦٨١ ق. م) وهذا يثبت استمرار صنع الآلة وتواصله والعزف عليها خلال مايزيد على المائتين سنة عند الآشوريين.

والمنحوتة الثانية هي من عهد الملك آشور بانيبال ، وفي المشهد المنحوت عليها بالنحت البارز

طويلة ذات نهاية ضيقة شبيهة بذنب السمكة ، هذا النوع من لباس الرأس نشاهده في منحوتات آشورية أخرى يستعمله احد الكهنة الذي يقوم باداء بعض الطقوس الدينية ، واستنادا الى هذا نرى ان هذين العازفين في منحوتة سنحاريب هما من الكهنة الموسيقيين. اما الآلات الايقاعية الموجودة في هذه الفرقة فهي الدفوف التي سنعالجها في مكان آخر خاص بالآلات الايقاعية الجلدية.



منحوتة جدارية تصور آشور بانيبال وزوجته بمضللان بالانتصار.

نشاهد ثلاثي الوترية والمواثبات المؤلف من آلة الكنارة وآلة الجنك الزاوي والمزمار المزدوج ، وتختلف آلة الجنك هنا عن نفس الآلة في المنحوتات الأخرى السالفة الذكر من حيث تقوس القسم الخلفي للصندوق الصوتي ، كما وإن العازف يحملها بوضعية يمتد فيها الصندوق الصوتي امام العازف من اعلى الى اسفل ، اما حامل الاوتار فانه في وضع

ومن عهد الملك آشور بانيبال (٦٦٨-٦٢٦ ق. م) جاءتنا من نينوى (٤) منحوتات جدارية ترينا العزف على آلة الجنك الآشورية (٢٨). ففي القصر الشمالي عشر على منحوتة جدارية يظهر فيها عازف منفرد على آلة الجنك الزاوي ومعه مغن وقف الى يساره والآلة الوترية هنا لا تختلف من حيث الشكل والتركيب وطريقة حملها والعزف عليها ،

سنة (٦٥٣ ق. م) محاربة العيلاميين، حيث انتصر عليهم ودخل الى الشوش (سوسة). وهنا نرى من الضروري ان نمر على موضوع نظام توزيع الآلات الموسيقية المختلفة في الفرقة الكبيرة (الاوركسترا) فنقول ان نظام الموسيقىار بيتهوفن- وهو المتبع حتى الوقت الحاضر. بصرف النظر عن تفاوت عدد العازفين- يقوم على وضع الآلات الوترية في المقدمة وتليها آلات النفخ الخشبية في الوسط ثم تأتي خلفها وفي المؤخرة الآلات الهوائية النحاسية والآلات الايقاعية، وذلك لقوة أصواتها. وفي الفرقة الموسيقية المنقوشة على منحوتة الملك آشور بانيبال نرى ان طبل الجنب هو في مؤخرة الفرقة وعازفي الناي واحد منها في الوسط والآخرو هو الثاني من الامام، وهنا يتجلى الاختلال بنظام توزيع الآلات الموسيقية في هذه الفرقة، وفي رأينا ان السبب في هذا الاختلال لا يعود الى الموسيقيين بل الى النحات الذي نقش هذا المشهد لعدم معرفته بنظام توزيع الآلات في الفرقة الموسيقية، ويمكن مقارنة ذلك مع اخطاء بعض الفنانين التشكيليين المعاصرين الذين يقومون بنحت اورسم قطعة فنية لها علاقة بالآلات الموسيقية حيث وقف بعض الموسيقيين عندنا فورا على أخطاء الفنانين

افقي، والعازف هنا لا يستعمل المضرب الطويل، بل يستعمل أصابعه مباشرة في العزف على هذه الآلة الوترية. ويلاحظ على امتداد حافة الصندوق الصوتي وجود زخرفة قوامها النقط وهي تدل على المسامير التي استعملت لتثبيت الجلد على الصندوق الصوتي. والواقع ان طريقة العزف على هذه الآلة بوضعية امتد فيها الصندوق الصوتي امام العازف من اعلى الى أسفل والتي تختلف عن الأمثلة المذكورة قبلها كانت مألوفة عند البابليين في العصر البابلي القديم.

والمنحوتة الثالثة من عهد الملك آشور بانيبال تحتوي على مشهد يمثل فرقة موسيقية كبيرة (اوركسترا) مؤلفة من (١١) عازفا، سبعة منهم يعزفون على آلة الجناك الزاوي المحمولة بوضعية امتد فيها الصندوق الصوتي من أعلى الى أسفل وبينهم عازف واحد فقط حمل آله بطريقة أخرى بحيث أصبح الصندوق الصوتي فيها بوضع افقي وحامل الأوتار يمتد من أعلى الى أسفل. وهناك اثنان من العازفين على الناي المزودج وعازف واحد على الطبل الصغير (طبل الجنب) والواقع ان هذه الفرقة هي جزء من الموضوع الرئيسي للمنحوتة والذي يمثل انتصار الجيش الآشوري الذي ارسله الملك آشور بانيبال



منحوتة جدارية من قصر سنحاريب في نينوى - ثلاثة من الاسرى يعزفون-

الذي يستعمل أصابعه مباشرة في العزف على أوتارها .

يتضح من استعراض الأمثلة اعلاه الخاصة بآلة الجنك في بلاد آشور في العصر الآشوري الحديث (٩١١-٦١٢ ق. م) ان الآلة الآشورية تشبه الآلة البابلية التي كانت سائدة في العصر البابلي القديم من حيث الشكل وطريقة تركيب الآلة ومسكها في اثناء العزف بصورة أفقية وعمودية وطريقة استعمال المضارب والأصابع في العزف ، وكذلك تدلي الأوتار الى الأسفل بعد لفها حول حامل الأوتار او توقف الأوتار عند منطقة شدّها حول حامل الأوتار دون ان تتدلى الى الأسفل . اما التطورات والاختلافات التي طرأت على آلة الجنك الآشورية ، فهي زيادة عدد الأوتار حيث أصبح العدد في الجنك العمودية يتراوح بين ١٥ - ٢٢ وترًا ، وفي الجنك الأفقية كان عدد الأوتار يتراوح بين ٨ - ١٢ وترًا . وأصبح حامل الأوتار في الجنك الآشورية ينتهي في الأعلى بهيئة كف الانسان اما في الجنك البابلية - وهي الأقدم - فكان حامل الأوتار ينتهي ببروز مدور يشبه رأس المسبار .

الكنارة :

تحتوي بعض المنحوتات الحجرية والأواني الفخارية المزججة والأختام الاسطوانية والمنبسطة وغيرها والتي يرجع تأريخها الى العصر الآشوري الحديث ، على مشاهد منقوشة تضم فيها بينها انواعا مختلفة من الآلة الوترية المعروفة باسم كنارة وهي كلمة عربية ترجع في أصلها واشتقاقها الى الكلمة البابلية كناروم التي اقتبسها اللغة المصرية القديمة بصيغة (كنر kenner) واللغة العبرية بصيغة (كنور ken-nor) واللغة الآرامية بصيغة (كنبرا ken-nyra) (٢٩) .

في منحوتة جدارية تعود الى زمن الملك سنحاريب (٧٠٤ - ٦٨١ ق. م) عثر عليها في

التشكيلين فيما يخص طريقة مسك الآلة والعزف عليها ومكانها في الفرقة وغير ذلك من النقاط .

هذا وفضلا عن الفرق الموسيقية التي تنقيد بنظام توزيع اماكن الآلات ، فهناك فرق غير مقيدة لا من حيث العدد ولا من حيث نوع الآلة مثل الفرق الشعبية وفرق الجاز وفرق الأطفال . ياترى هل الفرقة الموسيقية الكبيرة في المنحوتة موضوعة البحث هي على غرار الفرق الثلاث الأخيرة ام انها على العكس كانت مقيدة بنظام معين فيما يخص توزيع اماكن الآلات الموسيقية حسب اصواتها ؟ هذا السؤال لا يمكن تقديم اجابة قاطعة وشافية له في الوقت الحاضر لعدم وجود نصوص كتابية وآثار أخرى تساعدنا في هذا الموضوع .

وفضلا عما تقدم فان هذه المنحوتة الآشورية أهمية خاصة حيث انها ترينا لأول مرة وبكل وضوح ما يسمى بموسيقى الآلات والموسيقى الغنائية والكورال المتعدد الأصوات . فخلف الفرقة الموسيقية الكبيرة تسير فرقة الانشاد المؤلفة من أصوات مختلفة الطبقات هي أصوات الأطفال والنساء والرجال .

ان هذه المنحوتة الآشورية من عهد الملك آشور بانيبال (٦٦٩ ق. م) تقدم البدايات الأولى لتكوين الاروركسترا ، وكذلك لأصول موسيقية فنية عرفت بمصطلحات خاصة في اوربا نذكر منها :

Heterophonie, heterophony.

Mehr Klang, polyphony.

Bordun, bourdon, drone.

والمنحوتة الرابعة من عهد الملك آشور بانيبال هي التي عثر عليها في القصر الشمالي ، ويمثل الموضوع المنقوش عليها بالبحث البارز احتفال الملك بمناسبة انتصاره على عدوه الملك العيلامي . يتقدم هذه الفرقة الموسيقية عازف على آلة الجنك الزاوي



جوقة موسيقية آشورية



عازفة آشورية



ومن نمرود جاءتنا دلالة ذات سلسلة ذهبية عثر عليها في قبر وجد في إحدى غرف القصر الشمالي الغربي^(٣١). ويعود هذا القبر - كما يذكر المنقب مالوان - إلى إحدى الاميرات الآشوريات من زمن الملك أسرحدون (٦٨١ - ٦٦٩ ق.م). ويمثل المشهد المنقوش على هذه الدلاية شخصين يقفان، إلى شجرة الحياة وهما يعزفان على الممار حسب رأي المنقب مالوان ونحن لا نتفق معه في هذا الوصف، لأننا نرى في هذا الثنائي الموسيقي ثنائي الكنارة (آلة وترية) والناي المزدوج، وقد توسطت بينهما مبخرة وليست شجرة الحياة حيث إن الخطوط الموجودة في الأعلى تمثل السنة النار الخارجة من ثقب غطاء المبخرة على غرار ماهو موجود في بعض المشاهد الآشورية التي جمعت بين الموسيقى والمبخرة، الأمر الذي يشير إلى مناسبة دينية.

في نينوى، وفي نفس القاعة عثر على منحوتة الثلاثي الوزري والهوائيات المؤلف من الكنارة

نينوى قام النحات الآشوري بتوثيق إحدى حملات الملك سنحاريب على فلسطين واخضاعه مملكة (يهودا). في سنة (٧٠١ ق.م)، وكان من ضمن المشهد المنقوش على المنحوتة الجدارية فرقة موسيقية مؤلفة من الثلاثي الوزري^(٣٠). والآلة الوزرية عبارة عن كنارة بدائية صغيرة تأبطها العازف تحت ابطة الأيسر بصورة مائلة، ويخرج من صندوقها الصوتي إلى الأعلى الذراعان الجانبان المتفاوتان في الطول وتزداد المسافة ما بينهما كلما زاد ارتفاعها إلى الأعلى لغاية اتصالها بحامل الأوتار. وقد نجم عن اختلاف طول الساقين الجانبيين ميلان حامل الأوتار العلوي وأدى هذا إلى اختلاف طول الأوتار الخمسة التي تحتوي عليها كل كنارة في هذا الأثر. لقد أجاد الفنان الآشوري في هذه المنحوتة في ابضاح وإبراز الفرق الكبير بين الآلة الآشورية وبين الآلة العائدة للأقوام الأخرى التي دخلت في رقعة الأمبراطورية الآشورية ومنهم اليهود الذين نشاهدهم في منحوتة سنحاريب.

الأثر موضوع البحث فإن الأوتار فيه تنتهي عند النهاية السفلى للصندوق الصوتي .

والممنوحة الثالثة من عهد الملك آشور بانيبال والتي عثر عليها في نينوى ونقلت الى متحف اللوفر بباريس هي التي يمثل موضوعها تفاصيل معركة حربية بين الجيش الآشوري وجيش العدو^(٣٥) . وكان من ضمن تفاصيل هذه المعركة التي وثقها النحات الآشوري بكل دقة وتفصيل استعمال الموسيقى والأغنية في قلب المعركة . ففي الشرط العلوي الأول من هذه المنحوتة الجدارية الكبيرة نشاهد مرحلة الاحياء للمقاتلين الآشوريين فهم يصفقون في اثناء زحفهم استعدادا لبداية الهجوم والاشتباك مع العدو والشرط الثاني نشاهد فيه رجلا واقفا بين فرسين يقودهما ، وبجانب هذا وقف رباعي التوريات والابقاع الذي انقسم الى صفين متقابلين . في الصف الأيمن عازفان الأول على الكنارة ، والثاني على الصنوج المعدنية (جنجانات ، كوسات) اما الصف المقابل فيتألف من عازف الدف المستدير الكبير (فره) وعازف الكنارة ، وقد عبر النحات الآشوري عن حركة هؤلاء الموسيقيين الأربعة في اثناء العزف والغناء بوساطة نخته كمعوب أقدامهم مرتفعة عن سطح الارض . وهذه الحركة الجسمية للعازفين قد نتجت من الاثارة والاندماج والحماس الذي طغى عليهم في اثناء العزف والغناء وهم بهذا يشيرون ايضا حماسا واندفاع المقاتلين الآشوريين ، وفي النصف الأسفل من هذه المنحوتة نشاهد المحاربين الآشوريين من الصنوف العسكرية المختلفة في قلب المعركة وفي اثناء الاشتباك مع مقاتلين من جيش العدو ، ونحن نرى ان وقوف شخص يقود فرسين قرب الفرقة الموسيقية هو في الواقع لتأمين نقل الفرقة الموسيقية الرباعية ووصولها الى مكان آخر من أرض المعركة للقيام بتقديم الموسيقى والأهازيج الوطنية الحماسية لاثارة حماس واندفاع المقاتلين الآشوريين .

والجنك والنائي المزودج^(٣٦) . وتماز الكنارة هنا بأن ذراعها الجانبيين غير مستقيمين بل يخرجان من الصندوق الصوتي ويسيران الى الأعلى بصورة مائلة ومعدبة وينتهيان عند اتصالهما بحامل الأوتار بانحناء صغير يشبه الشكل الحلزوني ، كما ان حامل الأوتار هو الآخر غير مستقيم بل مقوس ويتجه طرفاه الى الأعلى ونحو الخارج ، ويتأبط العازف هذه الكنارة تحت أبطه الأيسر بحيث أصبحت في وضعية مائلة ويعزف عليها بواسطة مضراب صغير مسكه العازف بين أصابع يده اليمنى ، وتظهر في هذه الكنارة (٥) خمسة اوتار تنتهي عند النهاية السفلى للصندوق الصوتي ، ان تقوس حامل الأوتار قد أدى الى الاختلاف في طول الأوتار ، فالوتر الأول القريب من الطرف الأيسر الممتجه الى الأعلى هو أطول الأوتار ، أما الوتر الخامس فانه أقصر الأوتار ، وهذا التباين في طول الأوتار يؤدي ولا شك الى اختلاف الأصوات . ويقارن شتاودر^(٣٧) ، هذه الكنارة بكنارة منقوشة على قطعة فينيقية عثر عليها في مدينة (مجدو) ويتأبطها العازف ايضا تحت أبطه الأيسر بصورة مائلة ويقول انه على الرغم من أن القطعة الفينيقية تم عن تأثير مصري إلا أنه يستبعد التأثير المصري في كنارة (مجدو) وينتهي الى القول بأنها قد تطورت من الكنارة البابلية .

ومن عهد الملك آشور بانيبال ايضا جاءتنا منحوتة أخرى من نينوى عثر عليها في القصر الشمالي ، ونقلت الى المتحف البريطاني^(٣٨) . ويمثل المشهد المنقوش عليها الثنائي الوتري المؤلف من عازف الكنارة وعازف الجنك اللذين يعزفان في حديقة القصر الملكي وبالقرب منها أحد الاسود ، والكنارة في هذا الأثر تكاد تشبه في شكلها العام الكنارة في المنحوتات السابقة سوى انها تختلف في طريقة تثبيت النهايات السفلى لأوتارها ، حيث انها تنتهي عند الحافة العليا للصندوق الصوتي ، اما في

وفرة الموسيقى العسكرية هذه قد استعملت (٣) أصناف من الآلات الموسيقية هي :

١- الآلات الوترية الممثلة بشككين من أشكال الكنارة.

٢- الآلات الايقاعية الجلدية ممثلة بالدق المستدير.

٣- الآلات المصونة بذاتها ممثلة في الصنوج المعدنية.

ان وجود الآلات الوترية في فرقة موسيقى الجيش يشير في رأينا الى استعمال الغناء والأهازيج في المعركة لأن الآلات الوترية هي آلات لحنية وصوتها ليس عاليا ولا مربعا ولا يدخل الخوف الى العدو وحيواناته. والواقع ان جميع هذه الآلات الموسيقية التي ذكرناها في هذه المنحوتة الآشورية كانت مستعملة في العراق القديم عند الأقوام التي عاشت قبل الآشوريين مثل البابليين والأكديين والسومريين، إلا ان آثار هذه الأقوام لم تصور لنا بعد استعمال نفس هذه الآلات في الحرب بل في مناسبات وأغراض أخرى. لذا فان هذه المنحوتة الآشورية في متحف اللوفر تكتسب أهمية خاصة في تأريخ الموسيقى لانها أول وأقدم شاهد أثري يثبت بالصورة المنحوتة أصالة الموسيقى وعراقتها وقدم استعمالها مع الأغنية في قلب المعركة من قبل الآشوريين الذين سبقوا أقوام حضارات العالم القديم في هذا المجال.

هذا وهناك آثار موسيقية أخرى لآلة الكنارة لا يمكن تحديد تاريخها بزمان ملك معين إلا انها تعود بصورة عامة الى العصر الآشوري الحديث (٩١١-٦١٢ ق. م.). وهذه الآثار هي : كسرة فخارية مزججة عثر عليها في آشور^(٣٦) وهي تحتوي على مشهد ديني يشترك فيه عدة أشخاص ومنهم عازف الكنارة الذي تابطها تحت ابطة الأيمن بصورة مائلة. ومن آشور ايضا جاءت كسرة فخارية مزججة

من العصر الآشوري الحديث لم يبق من مشهدها سوى جزء من قرص في داخله نجمة ويتجه اليها رجلان يعزفان على الكنارة، ويحمل العازف الأمامي كنارته امامه بصورة عمودية حيث تتجه الأوتار من اعلى الى أسفل، والصندوق الصوتي لهذه الكنارة مستطيل وصغير الحجم وبسيط خال من كل زخرفة، وقد خرج منه الى الاعلى وبصورة متوازية الذراعان الجانبيان المتصلان بحامل الأوتار الموازي للصندوق الصوتي وقد برز طويلا عن الذراعين الجانبين من جهة الامام. اما الأوتار القليلة لهذه الآلة فقد نزلت من حامل الأوتار الى الأسفل بصورة متوازية وانتهت نهاياتها السفلى عند الحافة العليا للصندوق الصوتي. اما الكنارة الثانية في هذا الأثر فان النهايات السفلى لأوتارها قد شددت في الحافة السفلى للصندوق الصوتي اي بعكس الكنارة الاولى من نفس الأثر.

ويتضح من هذا العرض السريع للكنارات الآشورية وجود اشكال مختلفة لهذه الآلة، فهناك كنارات متطورة وجيدة التركيب والصنع وأخرى بدائية أولية. وترجع هذه الظاهرة الى وجود أقوام عديدة مختلفة في الدم واللغة والاصل العرقي دخلت حكم الاشوريين. اننا لم نجد في العصر الآشوري الحديث اية آلة موسيقية اجنبية تعود للاقطار المغلوبة التي ضمها الآشوريون ليس لها مثل او ند في ارض العراق القديم، بل على العكس ان الآلات الموسيقية للشعوب التي ضمتها الدولة الآشورية هي آلات بدائية وأولية بسيطة وليست جديدة بالنسبة للآشوريين، كما وانها لم تؤثر بأي شكل من الأشكال على الآلات الموسيقية الآشورية.

العود :

جاءتنا آلة العود منقوشة على منحوتة جدارية تعود الى زمن الملك آشور ناصر بال الثاني (٨٨٣-

اما فريدريش بين^(٤٠) فيعتقد ان هذا الطبل يحتوي على جلد واحد فقط .

اما الأثر الآشوري الثاني للطبل فهو المنحوتة الجدارية التي عثر عليها في القصر الشمالي في نينوى^(٤١) ، وهي تعود ايضا الى زمن الملك آشور بانيبال ، وكان من ضمن الفرقة الموسيقية التي عزفت وغنت للملك وزوجته الحان النصر ، هو عازف على طبل له شكل خاص لم يكن معروفا قبل زمن الملك آشور بانيبال (٦٦٨ - ٦٢٦ ق. م) عند أي قوم او قطر من الاقطار ، ويمتاز هذا الطبل بأن جسمه يتدرج في الصغر والتقلص من أعلى الى أسفل بحيث أصبحت النهاية السفلى أصغر بكثير من الفتحة العليا المكسوة بالجلد ، ويقع العازف الآشوري على هذا الطبل بكلتا اليدين ، وهي نفس الطريقة المتبعة في الوقت الحاضر ، وشكل هذا الطبل الآشوري لا يختلف عن شكل الطبل الحالي المستعمل في موسيقى امريكا اللاتينية والمعروف باسم (تم تم).

الدف المستدير:

كان الدف المستدير مستعملا عند السومريين والبابليين واستمر استعماله فيما بعد عند الآشوريين . واذا ماجئنا الى الآثار الموسيقية الآشورية فنرى أن اقدم منحوتة نقش عليها الدف المستدير هي منحوتة عثر عليها في نمرود^(٤٢) وتعود الى زمن الملك آشور ناصر بال الثاني ، ويمثل المشهد المنحوت على هذه المنحوتة الاحتفال بالانتصار على العدو حيث نشاهد ثلاثي الوترية والايقاع يعزف امام المقاتلين الآشوريين وهم يرقصون ، ويتألف الثلاثي الموسيقي هنا من عازف على الدف واثنين من العازفين على الجناك الزاوي .

ومن نمرود ايضا جاءتنا قطعة عجيبة نقشت بمشهد قلعة لها باب كبير ، ويشاهد فوق السطح والأبراج نسوة يقرعن الصنوج المعدنية وتقر

٨٥٩ ق. م) وقد عثر عليها في نمرود^(٣٧) تحتوي هذه المنحوتة على مشهد كبير نشاهد فيه تقديم أسرى العدو الى الملك الآشوري المنتصر وهو يقف امام مقصورته الملكية ، ويشارك في هذه المناسبة السارة عازف العود واثنان منتكران بزى الحيوان ويقومان بالرقص على أنغام العود ، والصندوق الصوتي للعود صغير ومدور الشكل وله عنق (زند) طويل وقد تدلى من طرفه العلوي ما يشير الى الأوتار . والعازف مسك عوده بوضعية أصبح فيها عنق العود مائلا ومتجها الى الاعلى وهي نفس الوضعية التي بدأت في العراق في العصر الكشسي (القرن ١٦ - ١٢ ق. م).

الآلات الايقاعية الجلدية

الطبل :

تنوع شكل الطبل وحجمه عند الآشوريين عما كان عليه عند السومريين ، اي ان الآشوريين قد ابتكروا اشكالا جديدة من الطبل لم تكن معروفة قبلهم عند الأقوام الأخرى من سكان العراق القديم او الأقطار الأخرى . والى هذه الطبول التي ظهرت عند الآشوريين لأول مرة ، ترجع بعض أشكال الطبول الحديثة المعروفة باسم (طبل الجنب) او (التم تم) او (الكونكاك) .

وآثار الطبول الآشورية عثر عليها في نينوى ونقلت الى المتحف البريطاني ، فالطبل المعروف باسم (طبل الجنب) نجده في المنحوتة الجدارية التي تعود الى زمن الملك آشور بانيبال (٦٦٨ - ٦٢٦ ق. م) والطبل المنحوت هنا هو صغير الحجم اسطواني الشكل وقد حمله العازف الى الامام وهو يقرع عليه بكفيه^(٣٨) . ويعتقد شتاودر^(٣٩) ان هذا الطبل يحتوي على جلد من الجانبين وان الدوائر المنقوشة في القسم العلوي من الطبل تشير الى المسامير المستعملة في تثبيت الجلد على اطار الطبل .

احداهن على الدف المستدير. ويقف أمام القلعة ملك بسلحه وعدته، ويرى المنقب مالوان^(٤٣) ان هذا الملك اما ان يكون في حالة الرحيل عن البلد، واما ان يكون قد عاد منتصرا، وان النسوة قد قن بالعزف على الآلات الموسيقية لهذه المناسبة اولئك. ويعود تاريخ هذا الأثر الى زمن الملك شيلمنصر الثالث (٨٥٩ - ٨٢٤ ق. م).

ونشاهد الدف المستدير ايضا على منحوتة جدارية تعود الى زمن الملك سنحاريب (٧٠٤ - ٦٨١ ق. م) وقد عثر عليها في نينوى ونقلت الى المتحف البريطاني^(٤٣). ويمثل المشهد المنحوت عليها سباعي الثوريات والايقاع، يشارك هنا في هذا السباعي اثنان من العازفين على الدف المستدير.

ومن عهد الملك آشور بانيبال جاءتنا منحوتة عثر عليها في نينوى، ويمثل المشهد المنحوت عليها فرقة موسيقى الجيش وهي تعزف وتغني في قلب المعركة لاثارة حماس المقاتلين الآشوريين، ويشارك عازف الدف المستدير في هذه الفرقة الموسيقية العسكرية، علما بأن طريقة مسك الدف والنقر عليه تختلف عما هو متبع عندنا في الوقت الحاضر. فان هذا الأثر الآشوري وغيره قد قَدِّم الدليل على استعمال الدف في الحرب والسلم.

الدف المربع :

جاءنا الدف المربع منقوشا على الآثار الآشورية فقط، وان أقدم وأول منحوتة جدارية نقش عليها الدف المربع هي المنحوتة التي عثر عليها في نينوى وتعود في تاريخها الى زمن الملك سنحاريب (٧٠٤ - ٦٨١ ق. م)، وقد نقلت الى متحف الشرق الأدنى في برلين الديمقراطية^(٤٤). ويمثل مشهدها فرق موسيقية تسير وراء المقاتلين الآشوريين وهي تتألف من (٣) عازفين على الدف المربع والعازف الرابع يعزف على الصنوج المعدنية (جنجانات) ولا يزال

الدف المربع مستعملا في الموصل فقط، وبصورة نادرة، وقد شاهدنا الفرقة الموسيقية الموصلية وهي تعزف على الدف المربع في مهرجان الملا عثمان الموصلية سنة ١٩٧٣، كما وشاهدنا الدف المربع في أغنية (موصلية) في التلفزيون، وبذكر فارمر^(٤٥) أن استعمال الدف المربع قد بطل اليوم في بلاد العرب والشام ومصر وفارس، ولكن قد يوجد مستعملا في بلاد المغرب، ويرى الباحث الألماني هيكان^(٤٦) ان مصر مدينة الى العراق في معرفتها واستعمالها للدف المربع.

الآلات المصوتة بذاتها

يقصد بالآلات المصوتة بذاتها الآلات التي تتكون فيها الأصوات بذاتها عن طريق تصادم جزئها بعضا ببعض او عن طريق الاهتزاز او الضرب. ويشمل هذا الصنف الآلات الآتية : الصنوج المعدنية (الكوسات، جنجانات) والأجراس والخرخاشات والمضارب الرنانة والصلاصل والمثلث والاكسيليفون وغيرها.

الصنوج المعدنية :

يرجع أقدم ظهور واستعمال للصنوج المعدنية في العالم القديم الى عهد الملك السومري اورنمو الذي بدأ حكمه في سنة (٢١١٣ ق. م)، وقد استمر استعمال هذه الآلة في العصر البابلي القديم، ثم نجدها عند الآشوريين في العصر الآشوري الحديث، وتشير الآثار الموسيقية الى ان الآشوريين قد استعملوا شكلين لهذه الآلة ! الأول، وهو الشكل السومري الذي يمتاز بقبضة صغيرة على شكل عروة مثبتة في الوجه العلوي لكل صنوج قد تكون معمولة من الجلد، وهذا الشكل من الصنوج المعدنية نشاهده في قطعة عاجية عثر عليها في نمرود وقد أُرْخها المنقب مالوان^(٤٧) في عهد الملك شيلمنصر الثالث (٨٥٩ - ٨٢٤ ق. م). كما

ونشاهد هذا الشكل من الصنوج المعدنية في منحوتة جدارية عثر عليها في نينوى وتعود في تاريخها الى عهد الملك آشور بانيبال (٦٦٨ - ٦٢٦ ق. م) حيث نقشت عليها فرقة موسيقى الجيش الآشوري ، وهي تعزف وتغني في قلب المعركة لاثارة حماس المقاتلين الآشوريين^(٤٨).

اما الشكل الثاني للصنوج المعدنية فيمتاز بوجود قبضة طويلة رفيعة مثبتة في وسط كل صنع لأجل ان يمسكها العازف ، وهذا الشكل نجده لأول مرة عند الآشوريين في منحوتة جدارية تعود الى زمن الملك سنحاريب (٧٠٤ - ٦٨١ ق. م) وقد عثر عليها في نينوى^(٤٩).

وفضلاً عن المشاهد المنحوتة التي تزين آلة الصنوج المعدنية الآشورية فقد كشفت التنقيبات في نمرود^(٥٠) عن مجموعة من الصنوج المعدنية الاصلية التي استعملها الآشوريون في القرن التاسع / الثامن قبل الميلاد. وقد صنعت هذه الصنوج من البرونز وهي ذات مقبض صغير، أي من النوع الذي كان معروفا سابقا عند السومريين والبابليين وغالبية هذه الآلات من نمرود موجودة في المتحف البريطاني.

الأجراس :

كشفت التنقيبات في نمرود عن مجموعة من الأجراس الآشورية التي تعود الى العصر الآشوري الحديث ، وفضلا عن هذه الأجراس الاصلية فقد عثر في آشور^(٥١) على جرس برونزي يعود الى أحد الكهنة الذي يستعمله لطرد الأرواح الشريرة ، كما يتضح ذلك من المشاهد الدينية المنحوتة عليه بالنحت البارز والتي تمثل أشخاصا ارتدوا أقنعة بشكل الأسماك والأسود بخلاف اجراس نمرود التي كانت خالية من النقوش المنحوتة بالنحت البارز، ان استعمال الجرس في الأغراض الدينية نجده ايضا

في منحوتة تعود الى زمن الملك نجل تليزر الثالث (٧٤٥ - ٧٢٧ ق. م) حيث نشاهد فيها شخصا مقنعا برأس الأسد وجلده ، وقد تم عليه تشكيل مجموعة من الأجراس في صفين طويلين متوازيين من الأجراس المتصلة الواحد بالآخر ومن اعلى الى اسفل ، والمعروف ان كبار الكهنة اليهود كانوا يرتدون عند ادايتهم الطقوس الدينية لباسا يحتوي على مجموعة من الأجراس الصغيرة ونفس الشيء قد اتبعه فيها بعد رجال الدين المسيحيون في اوائل العصور الوسطى ، وهذا يثبت بوضوح تأثير الآشوريين على الطقوس الدينية اليهودية والمسيحية وهو موضوع لم تتطرق اليه الدراسات والكتب الأجنبية والعربية الموسيقية منها او الآثارية الحضارية. هذا ولم يقتصر استعمال الأجراس على المناسبات الدينية فقط ، بل نشاهدها في بعض المنحوتات الآشورية العائدة الى زمن الملك نجل تليزر الثالث وآشور بانيبال معلقة في رقاب الخيول ، واستمرت هذه العادة في تعليق الأجراس في رقاب الحيوانات حتى وقتنا الحاضر في الشرق والغرب.

الآلات الهوائية

الناي والناي المزودج :

من الآلات الهوائية التي جاءتنا منقوشة على الآثار الآشورية آلة الناي والناي المزودج ، ففي منحوتة عثر عليها في نينوى^(٥٢) وتعود الى زمن الملك آشور بانيبال ، نشاهد فيها ثلاثي الوترينات والهوائيات ، يتألف هذا الثلاثي الآشوري من عازف على الكنتارة وآخر على الجناك والثالث على الناي المزودج ومن نينوى^(٥٣) ايضا جاءتنا منحوتات أخرى عليها آلة الناي المزودج بصورة انفرادية او مع الآلات الموسيقية الأخرى ، وفي آشور^(٥٤) عثر على كسرة فخار مزججة نقش عليها

الاستعمال في العصور العربية الاسلامية وقد اقتسبتها اوربا باعتبارها من الآلات الموسيقية المستعملة في موسيقى الجيش خلال الحروب الصليبية .

بلاد آشور خلال السيطرة الفريية

سيطر الفرييون - وهم من الأقوام الهندو اوربية القاطنين في الهضبة الايرانية المعروفة باسم اقليم بارثيا او فريثا - على مدينة الحضر وغيرها في بلاد آشور، الا ان الحضر المعروفة باسم مدينة الشمس قد تحددت السلطة الأجنبية حيث نرى ان احد ملوكها يحمل لقب (سنطرق ملك العرب) ، وقد نقتب في الحضر هيئات عراقية للتقريب والصيانة لعدة مواسم منذ سنة ١٩٥١ ، وكشفت هذه التنقيبات على آثار موسيقية متنوعة هي كما يأتي :

الآلات الوترية

الكثارة :

عثر في المعبد الخامس لمدينة الحضر على تمثال من الرخام الأسمر ارتفاعه ١٨٨ سم يمثل قيمي بنت عبد سميا بائع الخمر، وقد نحت في سنة ٢٣٨ م^(٦١) . المرأة واقفة، وقد رفعت يدها اليمنى للتحية، أما يدها اليسرى فقد اسبلتها الى الأسفل وهي تحمل الآلة الوترية المعروفة باسم الكثارة، والآلة في هذا التمثال صغيرة الحجم وقد مسنها قيمي بنت عبد سميا باصابعها من حامل الأوتار العلوي الموازي للصندوق الصوتي للآلة وهو مستطيل الشكل. وتحتوي هذه الآلة على (٥) خمسة أوتار، وقد ثبتت نهاياتها السفلى عند منتصف الصندوق الصوتي للآلة، ويرى فؤاد سفر ان قيمي بنت عبد سميا كانت مرتلة او عازقة على هذه الآلة الموسيقية في اثناء التسايح في المعبد الخامس .

مشهد ديني يشارك فيه عازف على الناي المزودج وعازف آخر على الطبل، ويلاحظ في المشاهد الآشورية ان هذه الآلة المؤلفة من قصبين (انبويتين) تلتقيان في فم العازف ثم تفرقان الواحدة عن الاخرى كلما تقدمتا الى الامام وغالبا ما تكون القصبان مختلفتين في الطول وأحيانا متساويتان، ونجد هذه الآلة الهوائية منقوشة على سطح دلالة ذات سلسلة ذهبية عثر عليها في قبر في احدى غرف القصر الشمالي الغربي في نمرود^(٥٥) وهي تعود الى احدى الأميرات الآشوريات، وقد أُنخ النقش مالوان^(٥٦) هذا القبر في زمن الملك أسرحدون (٦٨١ - ٦٦٩ ق. م) .

اما الناي فنشاهده منقوشا على ختم منبسط عثر عليه في نمرود^(٥٧) ويعود تاريخه الى سنة ٦٤١ ق. م واحتوى مشهد هذا الختم على حيوانين جالسين بصورة متقابلة ويعزف كل واحد منها على آلة الناي .

البوق :

اثبتت الآثار وجود البوق (النفير) في العراق واستعمال السومريين له في عصر فجر السلالات الثاني^(٥٨) (٢٦٠٠ - ٢٥٠٠ ق. م) ، واستمر استعماله فيما بعد حيث نجده عند الآشوريين في منحوتة عثر عليها في نينوى^(٥٩) ويمثل مشهدها عملية نقل الثور المجنح، وقد وقف فوق الكتلة الحجرية التي تمثل الثور المجنح اربعة أشخاص كان أحدهم ينفخ في البوق لاعطاء الأوامر والتعليمات للأفراد الذين كانوا يقومون بسحب الكتلة الحجرية الخاصة بالثور المجنح، ويرجع تأريخ هذا الاثر الى عهد الملك سنحاريب .

كان النافخ في البوق يوصف في وادي النيل بأنه الشخص الذي يتكلم بواسطة البوق اي انه ينقل بواسطة هذه الآلة أوامر فرعون او القائد^(٦٠) . هذا واستمر البوق (النفير) في

الدف المستدير:

الصنوج المعدنية:

كان من بين الآلات الموسيقية التي استعملت في الاحتفال المذكور اعلاه آلة الصنوج المعدنية (الكوسات والجنجانات) وبالانكليزية سيمبال (Cymbals)^(٦٤). ويلاحظ ان هذه الآلة قد جاءت وهي ترافق الدف المستدير فقط مكوّنة معه ثنائي الإيقاعات.

الأجراس:

ان غالب الأجراس النحاسية التي كشفت عنها التنقيبات في الحضر قد جاءت من المعابد مثل المعبد الكبير ومعبد سميا، وهذه الأجراس كانت بأشكال وحجوم مختلفة، وقد نقشت على بعضها كتابات آرامية مثل (الراية العائدة لعقوبا) و (نرجول الكلب) و (الراية العائدة للاله يرمين)^(٦٥). وهذه الكتابات الآرامية تشير الى استعمال بعض الأجراس جزءا من رايات الحضر.

الآلات الهوائية

تمتاز الآلات الهوائية التي جاءتنا منقوشة على القطع الحجرية من الحضر بتنوع اشكالها وتعدددها، كما وان بعضا من هذه الآلات الهوائية يظهر لأول مرة ليس في بلاد آشور فقط بل في عموم وادي الرافدين، وعلى الرغم من ان بعض هذه الآلات ذو أصل اغريقي، ولكن مع ذلك فان آلات الحضر لها بعض الفروق الجزئية.

الناي المزدوج:

هذه الآلة التي عرفت ايضا باسم الروناي او المزمار المزدوج وعند الاغريق باسم (اولوس Aulos) كانت مستعملة عند الآشوريين وعند البابليين، الا ان الشيء الجديد الذي يميز هذه الآلة من الحضر عن غيرها من آلات العراق القديم هو وجود

في المعبد الأول في الحضر تم العثور على تمثال من الرخام بارتفاع (٦٢ سم) وهو يمثل سمي بنت عجا، وقد أقامها لها زوجها عجا بن ابا كاهن الآلهة اترعتا في المعبد المذكور الذي من الجائر كانت سمي بنت عجا احدى العازفات والمترلات فيه. في هذا التمثال نشاهد هذه المرأة وهي تحمل الدف المستدير بيدها اليسرى، أما يدها اليمنى فقد وضعتها امام صدرها بوضعية بسطت فيها كفها اليمنى استعدادا للضرب على الدف المصبوغ باللون الأحمر. ويلاحظ ان النحات لهذا التمثال قد جعل رقبة العازفة مائلة قليلا الى اليمين للتعبير عما تقتضيه حركة الجسم اثناء النقر على الدف وانسجاما مع الأنعام وهذا التمثال المنحوت من الرخام الرمادي الفاتح معروض في المتحف الحضاري بالموصل.

وفضلا عن هذا التمثال المدور نرى ان الدف المستدير قد جاء منحوتا بالنحت البارز على بعض القطع الحجرية المكوّنة للأفاريز التي عثر عليها في المعبد الذي شيّده (سنطروق) عند الزاوية الشمالية الغربية من صحن المعبد الكبير في الحضر، ففي المشهد الرئيسي من موكب الاحتفال الكبير بالآلهة اللات - نغيس^(٦٦) والذي شاركت فيه مجموعة من العازفين على مختلف الآلات الموسيقية عدا الوترية منها، نشاهد امرأة واقفة بين الناقه والميزان وهي تنقر على الدف المستدير الذي مسكته بيدها اليسرى، أما يدها اليمنى فقد مثلها النحات وهي تضرب الضربة القوية في وسط الدف، وهي الضربة التي يسميها الموسيقيون المعاصرون باسم الدم (بضم الدال).

وقد تكرر استعمال الدف المستدير في هذا الاحتفال الكبير في منحوتات أخرى، من معبد اللات الذي شيّده ملك العرب سنطروق بن نصر و ابنه وولي عهده عبد سميا.

المفاتيح (الغازات او الضواغط) الموضوعه فوق الثقب ، وهي عبارة عن قطع بارزة يضغط عليها العازف بأصابعه لأجل الحصول على مختلف الدرجات الصوتية. وبدون هذه المفاتيح يحتاج عازف الناي في الوقت الحاضر الى جملة نايات لأن الناي الواحد يعجز عن اداء مختلف الطبقات الصوتية المرتفعة والمنخفضة .

ان ظهور هذه المفاتيح في وقت متأخر في الآثار العراقية وخلو الآثار الآشورية والبابلية منها يشير الى انها آلة دخيلة الى العراق وهي من ابتكار الاغريق .

الشعبية :

وهي آلة هوائية من آلات النفخ تتألف من عدة قصبات او أنابيب تختلف في الطول ، توضع في داخل اطار بصورة متوازية ومتجهة من أعلى الى أسفل. وينفخ العازف في الفتحات العليا لهذه الأنابيب او القصبات ، أما النهايات السفلى لها فهي مسدودة ، وهناك امثلة تشاهد فيها الأنابيب متساوية الطول في القسم العلوي الظاهري ، اما من الداخل فتكون متباينة في الطول . والمادة التي تصنع منها أنابيب هذه الآلة من القصب او العاج او الخشب او المعدن ويتراوح عددها بين (٧) الى (٩) أنابيب .

وتنسب الأساطير الاغريقية اختراع هذه الآلة الى الاله (هرمز) ثم الى ابنه (بان)، ومن هنا جاءت التسمية الانكليزية بانزباب Pan's pipe. اما التسمية العربية اي (الشعبية) فانها نسبة الى النبي شعيب . ويذكر الامام كمال الدين بن تثلج بن جعفر بن علي الادفوي الشافعي (المتوفى عام ٧٤٨ هـ) في كتابه (الامتناع بأحكام السماع) مايلي : "والرعاة يضربون بقصبة تسمى (المنجارة) ويقصبتين ملصوقتين يسمونها (المقرونه) وأما قصبات متلاصقة فيقال لها الشعبية" (١٦) .

لهذا نرى ان استعمال فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى كلمة (مزمارة) في الصفحة ١٣٩ من كتابها (الحضر مدينة الشمس) هو استعمال غير موفق طالما ان هناك كلمة عربية قديمة مستعملة للدلالة على هذه الآلة ، كما وان كلمة مزمارة تدل على آلة أخرى تختلف كل الاختلاف عن آلة الشعبية .

وقبل العثور على آثار لهذه الآلة الهوائية في الحضر ، جاءتنا آثار عديدة لها من سلوقيا وبابل والوركاء ولارسا وغيرها من المدن والمواقع وهي أقدم في تاريخها من آثار الحضر . وجدت هذه الآلة في الحضر منحوتة على احدى القطع الحجرية الواقعة في وسط القوس في الايوان (٧) من المعبد الكبير الذي يعود الى دور التكوين من تاريخ الحضر والذي انتهى في نحو منتصف القرن الأول للميلاد (١٧) وآلة الشعبية في قوس الايوان المذكور مؤلفة من (١٠) أنابيب اربعة منها متساوية وأطول من الانابيب الستة الأخرى ، ويحيط بهذه الأنابيب في القسم العلوي اطار مزخرف ، كما وجاءتنا هذه الآلة منقوشة على بعض القطع الحجرية العائدة للمشهد الموسيقي الخاص بموكب الاحتفال الكبير في معبد الآلهة اللات - تمسيس الذي شيده ملك العرب سنطروق بن نصر ووابنه وولي عهده عبد سميا (١٦٧ - ١٩٣ م) . ونلاحظ وجود اختلاف في آلي الشعبية في افريز هذا المعبد والشعبية المنقوشة على قوس الايوان (٧) من المعبد الكبير ، ويتضح الاختلاف في عدد الأنابيب لكل آلة حيث نرى ان الشعبية في قوس المعبد الكبير تحتوي على (١٠) انابيب في حين تحتوي الشعبية في معبد الآلهة اللات على (١٥) انبوبة والأخرى لانقل انابيبها عن (١٢) انبوبة ، ونرى الاختلاف واضحا في طريقة تباين طول انابيب الآلة وكذلك الاطار الذي يحيط بالقسم العلوي من أنابيب الشعبية .

والواقع ان ظهور الشعبية في كل من العراق وسوريا ومصر كان بعد دخول الاغريق الى هذه

الاقطار في العصر المعروف باسم العصر الملنستي ،
أما في بلاد الاغريق فان آثار هذه الآلة الموسيقية
تعود في تاريخها الى القرن السابع والسادس قبل
الميلاد ، اذ ان أصل وموطن هذه الآلة لا يزال في
الظلمات خاصة ، اذا ما علمنا ان هذه الآلة قد
وردت في (الاياذة) باعتبارها آلة أجنبية^(٦٨) .

الزورنة :

الزورنة كلمة تركية تقابلها في اللغة العربية كلمة
(مزمار) وهي آلات النفخ الخشبية التي يأخذ
قسمها الأسفل شكل المخروط او ما يشبه الجرس ،
ان الآثار التي اكتشفت في معبد اللات في
الحضر^(٦٩) والعائدة الى القرن الثاني الميلادي تثبت
وجود هذه الآلة الهوائية في العراق في عصور ما قبل
الاسلام ، وقد استمر استعمال الزورنة في العصور
العربية الاسلامية واقتبسها اوربا في العصور
الوسطى وأصبحت هناك الآلة التي تطورت منها
آلة (الابو، الاوبوا) المستعملة في الاوركسترا .

الترومبيت :

وهي من الآلات الهوائية النحاسية التي تتألف
من ابوية اسطوانية الشكل ويتسع حجمها في
القسم الأسفل ، حيث يصبح مخروطيا ينتهي
بشكل يشبه الجرس ، وترجع هذه الآلة في أصلها
القديم الى البوق الذي ظهر لأول مرة في العراق
في عصر فجر السلالات الثاني (٢٦٠٠ - ٢٥٠٠
ق. م) ، وفي معبد اللات في الحضر^(٧٠) عثر
ضمن الأفريز الموسيقي الكبير على قطعة حجرية
نقش عليها بالنحت البارز عازف على هذه الآلة
النفخية التي احتوت على بضع حلقات في القسم
العلوي القريب من فم العازف .

البوق :

في الركن الأيسر للايوان الوسطي الكبير من
معبد اللات في الحضر عثر على منحوتة تمثل الاله

تريتون ابن كل من اله البحار بوزايدون وامفيتريت .
وكان تريتون يعيش مع الوالدين في القصر الذهبي
الكائن في اعماق البحار وقد صورته الأساطير والآثار
بشكل مخلوق نصفه الأعلى بهيئة انسان ونصفه
الأسفل بشكل ذيل الدولفين او جسم سمكة مع
الأرجل الأمامية للحصان . اما رمز تريتون فهو عبارة
عن بوق مصنوع من قطعة حجار بحرية مع مجذاف .
وعلى نوعية النفخ الذي يقوم به تريتون في هذه الآلة
تنوقف حركة امواج البحر ، فعند غضبه يقوم
تريتون بالنفخ الشديد فتتهيج عندئذ امواج البحر
وتثور وتلاطم ، وعند نفخة بلين تهدأ امواج البحر ،
وتجسد او تصوير هذه المعلومات الأسطورية
الأغريقية نجد واضحا كل الموضح في الأثر الموجود
في روما والعائدة الى النصف الثاني من القرن الثاني
الميلادي^(٧١) ، ففيه نشاهد نحتا بارزا لكائن مركب
يتألف من النصف الأعلى لجسم الانسان الذي
ينتهي بذيل الدولفين الملتف وهو ينفخ باليد اليمنى
بالبوق ، أما يده اليسرى فقد مسكت بالمجذاف وأمواج
البحر واضحة عند الجانب الأيمن والأسر من جسم
هذا الكائن المركب الذي يمثل الاله الاغريقي
تريتون ابن الاله بوزايدون ، واذا ما عدنا الى الأثر
الموسيقي من الحضر لرأينا انه يمثل الاله تريتون ابن
بوزايدون اله البحار حيث نرى القسم العلوي من
جسم الانسان على غرار الأثر في روما ، وكذلك فيما
يخص القسم الثاني منه على هيئة ذيل الدولفين
الملتف على نفسه ، وفضلا عن هذا نشاهد في
هذين الأثرين من الحضر وروما نفس الآلة النفخية
المسكوكة باليد اليمنى والمجذاف في اليد اليسرى ،
هذا وان أرجل الحصان الأمامية في أثر الحضر
موضوع البحث هي الأخرى تعود الى تريتون
حسب تصور الفن والأساطير الأغريقية .

خلاصة

أثبتت الآثار الموسيقية من آلات أصلية وكتابات
سمارية ونقوش الآلات الموسيقية المختلفة أصالة

- (١١) فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى، الحضرة مدينة الشمس، بغداد، ١٩٧٤ ص ١٧٣، صورة رقم ١٦٦.
- (١٢) انظر الهامش رقم ٤.
- (١٣) انظر الهامش رقم ٣.
- (١٤) انظر الهامش رقم ٣.
- (١٥) انظر الهامش رقم ٤.
- (١٦) عادل نجم عيو، نتائج تنقيبات هيئة جامعة الموصل في تل "ابو طاهر" للحموس الأول شباط - حزيران: ١٩٧٧، مجلة سومر المجلد ٣٧ لسنة ١٩٨١، ص ٩٥، الشكل ٣٦ هـ.
- (١٧) Subhi Anwar Rashid, Mesopotamien, Abb. 98, 99, 100.
- (١٨) انظر الهامش رقم ٥.
- (١٩) Moortgart, A. Die kunst des Alten Mesopotamien Die klassische kunst Vorderasiens, köln 1967, s. 118, Abb. 83, Taf 241.
- (٢٠) انظر الهامش رقم ٧.
- (٢١) Gurney, O.R. An old Babylonian Treatise on the Tuning of the Harp, in: Iraq 30, 1968, pp. 229-233.
- (٢٢) Subhi Anwar Rashid, Mesopotamien, Abb 137.
- (٢٣) صبحي أنور رشيد، تاريخ الآلات الموسيقية في العراق القديم، شكل ٤١.
- (٢٤) Subhi Anwar Rashid, Mesopotamien, Abb. 135.
- (٢٥) ibid, S. 118, Abb. 138.
- (٢٦) صبحي أنور رشيد، المصدر السابق، صورة رقم ٧٦.
- (٢٧) صبحي أنور رشيد، المصدر السابق، صورة رقم ٧٥.
- (٢٨) صبحي أنور رشيد، المصدر السابق، صورة رقم ٧٨.
- (٢٩) Sendrey, A. Musik in Alt Israel, S.249, 257, 261, 279, 297.
- (٣٠) صبحي أنور رشيد، المصدر السابق، صورة رقم ٨٢.
- (٣١) شكل ٦٣.
- (٣٢) صبحي أنور رشيد، المصدر المرجع، ص ١٨٨، شكل ٦٧.
- (٣٣) صبحي أنور رشيد، المصدر المرجع، ص ١٧٨، صورة رقم ٨٠.
- (٣٤) Stauder, W. Harfen Und Leiern Vorderasiens im Babylonischer und Assyrischer Zeit, s. 51-55, 36-38.
- (٣٥) صبحي أنور رشيد، المرجع السابق، ص ١٨١، شكل ٦١.
- (٣٦) الدكتور صبحي أنور رشيد، المرجع السابق، ص ١٨١-١٨٣، صورة رقم ٨٦ وشكل ٢٢.
- (٣٧) Andrae, W. Farbig kemik aus Assur, Fig 29, s.24.
- (٣٨) صبحي أنور رشيد، المرجع السابق، ص ١٩٠، صورة رقم ٨٧، ٨٨.

الموسيقى في بلاد آشور وعراقها ووحدتها واستمرارها وتأثيرها على بعض الاقطار. كما ان بلاد آشور قد استعملت جميع أصناف الآلات الموسيقية من وترية وهوائية وإيقاعية جلدية ومصونة بذاتها، وساهمت في تطوير بعض الآلات الموسيقية العراقية القديمة وابتكرت بعض الأشكال الجديدة للآلات الإيقاعية التي نرى ما يشابهها في الوقت الحاضر في الشرق والغرب، كل هذه الأمور قد اكسبت بلاد آشور أهمية خاصة في تاريخ الموسيقى لبلاد وادي الرافدين ذكرناها في مستهل هذا الفصل وخلال البحث.

الهوامش :

- (١) Ambros, A.W. Geschichte der Musik, 1892, S. 177ff.
- (٢) Engel, Carl, The Music of The most ancient Nations, London 1864.
- (٣) Merpert, Nicalai and R. Munchajev. Excavations at Yarim Tepe 1970. Second Preliminary report, in; Sumer 27, 1971, p. 9 ff.
- (٤) Tabler, A. J. Excavations at Tepe Gawra, Bd.2 Philadelphia, London 1950, p. 215 p1.99.
- (٥) Dossin, G. Archives Royales de Mari I, Correspondance de Šamsi - Addu, Paris 1950, No. 12.
- (٦) Jean, C.F.A.R.M.II, Letters diverses, 1950, No.4.
- (٧) Ebeling, E. Keilschrifttexte aus Assur religiösen inhalt, Leipzig 1919, No. 158.
- (٨) Parrot, A. Assur. Die mesopotamische Kunst vom 13. Vorchristlichen Jahr hundert bis Zum Tode Alexanders des Grossen, Nunchen 1961, S. 310 Fig. 391.
- (٩) Subhi Anwar Rashid, Mesopotamien (Musikgeschichte in Bildern, Leipzig 1984, S. 130 Abb. 147.
- (١٠) Rimmer, J. Ancient musical Instruments of western Asia in the British Museum, London 1969' p. 39. f. p1.21, 17, 18, 199.
- (١١) Subhi Anwar Rashid, Mesopotamien, s. 112, Abb. 132.

- (٣٨) صبحي أنور رشيد، المرجع السابق، ص ١٩١، شكل ٦٨.
- (٣٩) Stauder, W. in, Musik in Geschichte und Gegenwart, Bd. 12, 1965, S. 1744.
- (٤٠) Behn, F. Musik im Altertum und frühen Mittelalter, 5.28.
- (٤١) صبحي أنور رشيد، المرجع السابق، صورة رقم ٨٩.
- (٤٢) Subhi Anwar Rashid, Mesopotamien, Abb. 136.
- (٤٣) Mallowan, M.E.L. Nimrud and its Remains Vol. I 1966, p. 115, Fig. 58.
- (٤٤) صبحي أنور رشيد، تاريخ الآلات الموسيقية في العراق القديم، ص ١٩٣، شكل ٦٩.
- (٤٥) فاور، تاريخ الموسيقى العربية، ترجمة: جرجيس فتح الله الهامشي، ص ١٠٧ الخ.
- (٤٦) Hickmann, H. Vorderasien und Ägypten im musikalischen Austausch, in Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft, 1961, 2.
- (٤٧)
- (٤٨) انظر هامش رقم ٥٨ و ٧٠.
- (٤٩) صبحي أنور رشيد، المرجع السابق، ص ١٩٣، صورة رقم ٧٥.
- (٥٠) Rimmer, J. op. cit pl. xxi.
- (٥١) Subhi Anwar Rashid, Mesopotamien, S. 112, Abb. 132.
- (٥٢) صبحي أنور رشيد، المرجع السابق، ص ١٩٧، صورة رقم ٨٠.
- (٥٣) صبحي أنور رشيد، المرجع السابق، ص ١٩٨، صورة رقم ٩١.
- (٥٤) صبحي أنور رشيد، المرجع السابق، ص ١٩٧، صورة رقم ٩٤.
- (٥٥) انظر الهامش رقم ٦٨.
- (٥٦) صبحي أنور رشيد، المرجع السابق، ص ١٨٨.
- (٥٧) صبحي أنور رشيد، المرجع السابق، ص ١٩٨، شكل ٧١.
- (٥٨) Subhi Anwar Rashid, Mesopotamien, S. 60 Abb 37.
- (٥٩) Subhi Anwar Rashid, Mesopotamien, S. 124, Abb. 143, 144.
- (٦٠) Hickmann, H. Ägypten (Musikgeschichte in Bildern), S. 74.
- (٦١) فؤاد سفر ومحمد علي مصطفی، الحضرة مدينة الشمس، ص ٢٥٢، صورة رقم ٢٤٣.
- (٦٢) فؤاد سفر ومحمد علي مصطفی، المرجع الآنف الذكر، ص ١٨١، صورة رقم ١٧٤.
- (٦٣) Wathiq Al-Salih, Allat – Nemesis, TiConographical analysis of two Religious Reliefs from Hatra in = Mesopotamia, xxv, 1985 pp, 131 – 46.
- (٦٤) حازم النجفي، الاحتفال بتكريم الألفه اللات، مشهد موسيقى من الحضرة، سور ٣٧، لسنة ١٩٨١، ص ١٣٨ و ١٣٩، صورة رقم ٨، ١٢، ١٩.
- (٦٥) فؤاد سفر ومحمد علي مصطفی، المرجع السابق، ص ١٧٣، صورة رقم ١٦٦.
- (٦٦) صبحي أنور رشيد، المرجع السابق، ص ٣٢٢.
- (٦٧) فؤاد سفر ومحمد علي مصطفی، المرجع السابق، ص ١٣٩، صورة رقم ١٢٧.
- (٦٨) صبحي أنور رشيد، المرجع السابق، ص ٣٢٣.
- (٦٩) Subhi Anwar Rashid, Mesopotamien, S. 160, Abb. 196, S. 164.
- (٧٠) Subhi Anwar Rashid, Ibid, S. 160, Abb 196.
- (٧١) صبحي أنور رشيد، دراسة أثر موسيقى من الحضرة وسطا للقبين في تحديد هوية الآلة الأفرنجي تريثون، مجلة سور، المجلد ٣٩ لسنة ١٩٨٣، ص ٢٠٢، شكل ٢.

الأنشطة الأثرية

التقيب عن الآثار

د. جابر خليل إبراهيم

فضلا عن المدن العربية الأخرى مثل الحضرة وسنجار، باعثة لاستقطاب هواة الآثار والمتقنين قبل غيرها من مناطق العراق. وكان للإشارات التي ذكرتها الكتب المقدسة والمعلومات التي أوردها

كانت كثرة مواقع الآثار في المناطق المحيطة بالموصل^(١)، ولا سيما اطلال العواصم الآشورية مثل آشور ونمرود (كلخو) ونيينوي وخرصباد (دور شروكين) وكهوف ومستوطنات قبل التاريخ،

عن اطلاعها الواسع على ما كتبه المؤرخون اليونان والرومان^(٢).

وزار اطلال نينوى وفحص بقاياها عدد آخر من الرحالة الأوربيين من بينهم الراهب الايطالي دمنيكو لانزا^(٣) وكريستين نيور الدنماركي ، الذي وصل الموصل في ١٨ آذار من عام ١٧٦٦ م^(٤) ، ورورلف (١٧٣٥ - ١٧٧٦) الذي بحث في آثار تلك المدينة بعد ان استطاع تلوها واكتمتها من على قمة تل قوينجق وأوليفية^(٥).

وبحلول القرن التاسع عشر نشطت الجمعيات العلمية المهتمة بالخطوط القديمة ، ومنها الكتابات المسبارية ، وكان من نتائج دراساتها لتلك الخطوط ان رفعت توصيات لبذل المساعي المكثفة من أجل الحصول على الواج جديدة تحمل مثل هذه الخطوط .

وكان كلوديويس ريج Claudius J. Rich (١٧٨٧ - ١٨٢٠) قد ترأس جمعية الهند الشرقية وأصبح بعدئذ ممثلاً عن الحكومة البريطانية في بغداد. وقد عرف عن ريج اهتمامه باللغات الشرقية ومنها العربية والفارسية منذ أن كان في التاسعة من عمره ، وقد ساعدت امكاناته هذه على أن يقض وقتاً طويلاً في أقطار عديدة منها مصر ومالطا والقسطنطينية وسوريا وفلسطين والعراق زائراً او متجولاً او يحكم المناصب التي تقلدها .

وبعد ان اصبح ريج القمم السياسي البريطاني في بغداد زار نينوى في عامي ١٨٠٨ - ١٨٢٠ ، وفحص فحفاً دقيقاً تلي النبي يونس وقوينجق ، ودقق في الحفر التي كان يجربها سكان الموصل في اطلال هذه المدينة الأثرية بحثاً عن الحجر والطابوق لاستخدامهما في البناء وللتفتيش عن قطع الرخام لحرقها وتحويلها الى جص . وفي أحد تحرياته بالمدينة الأثرية شاهد رجلاً استخرج قطعة أثرية من أحد التلول ، ساومه ريج على شرائها إلا أنه لم

الرحالة عن عدد من هذه الاماكن الأثرية دور في تعريف هؤلاء المنقبين بأهميتها .

وستناول في هذا الفصل تاريخ التنقيب عن آثار منطقة الموصل حتى الوقت الحاضر ، ويشمل القسم الأول منه دور البعثات الأجنبية في التنقيب عن الآثار باعتبارها قد نفذت هذه الاعمال قبل تشكيل أول حكومة عراقية ، كما ويشمل القسم الثاني منه دور البعثات العراقية وهيئاتها في هذا الحقل .

١ - الحملات الأجنبية للتنقيب عن الآثار :

قاد الحملات التنقيبية بحثاً عن الآثار الضخمة في العواصم الآشورية قناصل الدول الكبرى ، وفي مقدمتها بريطانيا وفرنسا ، وكانت مصادر معلوماتهم عن آثار هذه المنطقة بالدرجة الرئيسة أسفار العهد القديم وما كتبه الرحالة الذين زاروا اطلال هذه المدن ودونوا ملاحظاتهم عنها .

وكان من بين هؤلاء الرحالة بنيامين الططلي (الطليطي ١١٦٠ - ١١٧٣ م) الذي تمكن من زيارة أطلال مدينة نينوى ، والرحالة الايطالي بتروديللا فلا Pietro Della valle الذي استغرقت رحلته اثني عشر عاماً (١٦١٢ - ١٦٢٤) فزار مدينة نينوى الأثرية ودرس اطلالها ومنها أسوارها العالية ، وحصل هذا الرحالة على آنية فخارية عليها كتابات كان مصدرها من بابل والعقير ونيوى ، وهي في الواقع من أولى المجموعات الأثرية من بلاد الشرق التي وصلت الى اوربا .

وفي عام ١٧٨٦ م وصل الى الموصل كل من الرحالتين بوشامب Beauchamp الفرنسي وميكانان Mignan الانكليزي وفحصا سوية اطلال مدينة نينوى ، ويبدوان هذين الرحالتين كانا من المطلعين على اسفار التوراة التي ورد فيها ذكر بابل وآشور ونيوى ، وعلى الأقوام الآشورية والكلدية ، فضلاً

يفلح ، وقد تمكن من الحصول على مجموعة من المواد الأثرية مثل الأختام الاسطوانية والآنية الفخارية ورقم الطين ، عن طريق التحري والشراء من السكان .

وكتب ريج المعروف بدقته العلمية تقارير عن نيوى ووجه من خلال مؤلفاته عن العراق أنظار الحكومات الأوروبية ومنها بريطانيا وفرنسا الى آثار ذلك القطر ، ولأسيا الواقعة منها في منطقة الموصل ، حيث بدأ الاهتمام بين الأوساط الأدبية والعلمية للبحث عن الآثار وخطط ريج في عام ١٨٢٠ للقيام بعمل آثارى في نيوى ، إلا انه أصيب بمرض الكوليرا ومات في تلك السنة ، وأودعت مقتنياته ، ومنها كتبه المخطوطة والمواد الأثرية الى المتحف البريطاني^(٦) .

ونشطت الهيئات الأجنبية نشاطا واضحا في استخراج الآثار ، ولا سيما بعد ان افتتحت كل من بريطانيا وفرنسا قنصليات سياسية لها في الموصل ، وبدأت فرنسا أول اعمالها في المنطقة بعد أن عيّنت أميل بوتا Paul Emile Botta (١٨٠٥ - ١٨٧٠) قنصلا لها في الموصل ، ووجهت اليه التعليمات للحصول على أكبر قدر ممكن من المواد الأثرية ، ومن بينها المخطوطات ، ونقلها الى متحف اللوفر^(٧) . وأصبح عمل فرنسا هذا فاتحة عهد في الحفر الأثرى في المنطقة . كما كانت التوجهات التي تلقاها بوتا من جون موهل سكرتير الجمعية الآسيوية الفرنسية الخاصة بأجراء الحفريات الأثرية في نيوى قد حظيت بمكانة خاصة عنده .

وحينما وصل بوتا الموصل وله من العمر أربعون عاما كان تل النبي يونس الموقع الذي يطمح التنقيب فيه ، لاسيا بعد ان سمع عن مجموعة ريج الأثرية التي اقتناها المتحف البريطاني ، لكن عدم حصوله على الموافقة على الحفر في ذلك التل جعلته يتجه نحو تل قوينجق القريب منه .

اختار بوتا عدة نقاط للحفر في قوينجق ، لكنه لم يتوصل الى نتائج مثمرة خلال الأشهر الثلاثة الأولى التي قضاها هناك ، وربما كان السبب ان بوتا لم يعد الى الحفر العميق في هذا التل العالمى على الرغم من استخدامه عددا كبيرا من العمال .

وفي الفترة التي كان بوتا يشعر بنجبة الأمل في العثور على آثار في قوينجق أخبره احد عماله الذي كان يراقب الحفر عن كتب عن قرية المساة خرصباد والتي يعثر سكانها على مواد أثرية في اثناء حفر أسس دورهم التي شيدوها فوق التل الواسع الأطراف ، مما دفع بوتا لأن يبعث فريقاً من عماله الى الموقع المذكور ، وعند مباشرتهم بالحفر هناك تمكنوا من كشف قطع من رخام مزينة بمشاهد منحوتة بشكل بارز وكتابات مسارية كانت مشجعة لبوتا لأن ينقل في ربيع ١٨٤٣ حفرياته الى خرصباد ويوسع اعماله فيها . ولقي بوتا على أثر هذه الاكتشافات تشجيعا ودعما ماليا من الحكومة الفرنسية التي أوصت باستمرار الحفر في الموقع الجديد ، وطلبت منه ارسال المواد المكتشفة الى فرنسا بحرا لتعرض في متحف اللوفر . وكانت من بين هذه القطع الأثرية لوحات رخامية مزينة بموضوعات نائنة وثيران مجنحة ارسلت بواسطة الأكلاك التي كانت راسية على حافة نهر دجلة الى بغداد ثم الى البصرة وشحن من هناك الى فرنسا والتي وصلت بعدئذ الى متحف اللوفر .

لكن هذه النجاحات التي حققها بوتا والتي خطط على أثرها لتوسيع مناطق التنقيب عن الآثار لم تستمر بعد ان فوجئ بقرار من حكومته عقب ثورة حدثت في فرنسا عام ١٨٤٨ باغلاق قنصليتها في الموصل ونقله الى القدس موظفا في الخدمة الدبلوماسية^(٨) .

وبغيا بفرنسا عن عمليات الحفر عن الآثار اغتنمت بريطانيا هذه الفرصة حيث كان لا يارد

منحوتة بشكل بارز وعلى عدد منها كتابات مسارية ، كانت هذه النتائج قد دفعت لايارد لحفر خنادق يحصل من خلالها على نتائج سريعة .

وكانت قسوة المناخ في .نمرود ، لاسيما فصل الشتاء قد دفعت لايارد الى بناء ثلاثة مساكن من اللبن والطين كان الأول مؤلفا من غرفتين بينها ايوان سقّف بالخشب وحصران القصب فوقها طبقة من الطين ، وكان الثاني لعوائل عاله من النساطرة ، اما الثالث فقد خصص لخزن المواد الأثرية المكتشفة واتضح فيما بعد ان الأخير قد شيّد فوق جناحي أحد الأسود الحجرية المدفونة . وضرب لايارد مايقرب من اربعين خيمة في جهات مختلفة من التل وعلى امتداد المدخل المؤدي الى خنادق الحفر الرئيسية ، ونصب اربعين خيمة أخرى حول مسكنه ، فضلا عن الخيم الأخرى التي ضربها على شاطئ نهر دجلة في المنطقة التي رابطت عندها الأكلاك . وقد قسم لايارد الاعراب من عاله الى ثلاثة مجموعات حسب افخاذ عشائريهم ، وأسكن كل مجموعة منهم في احدى الخيمات الثلاثة .

وقسم العمال الى فرق ، كل فرقة مؤلفة من اثني عشر او اربعة عشر عاملا من الاعراب ينقلون الأثرية بواسطة الزنايل الفارغة وعاملين او اربعة من النساطرة الحفارين يراقبهم مسؤول عمل أوكل اليه لايارد نقل التعلبات التي يصدرها اليهم ، فضلا عن عمال آخرين من القبيلة المضيفة والمقربين اليه كانت مهمتهم نقل الأخيار اليه ، وما اذا كانت هناك نوايا سيئة يبيتها له أحد .

شق لايارد خنادق طويلة في أطلال هذه العاصمة الآشورية مع امتداد الجدران ، كانت الغاية منها استظهار الألواح الحجرية العمودية المنحوتة التي تكسو أوجه القاعات الملكية من الداخل ، دون الاهتمام باللقى الأثرية الصغيرة ، لعدم معرفته بأهميتها .

الذي اصبح قنصلها في الموصل بعدئذ^(٩) والذي تربطه علاقة ودية مع بوتا يرصد من بعيد ويتجول في الوقت نفسه بين أطلال المدن القديمة مثل نينوى ونمرود وآشور التي زارها وهو على ظهر كلك في طريقه الى بغداد .

تمكن لايارد عام ١٨٤٥ بمساعدة السر Stratford Canning السفير البريطاني في الاستانة الحصول على سماح (فرمان) من حكومة الباب العالي للتقيب عن الآثار في المدن الآشورية ، عاد بعدها ممطيا جوادا قطع المسافة بين القسطنطينية والموصل باتني عشريوما للباشرة بمهمته ، وقد خصص له كتنك راتبا شهريا قدره مائتا باوند لتغطية نفقات الحفر .

وبعد ان وصل لايارد الموصل سلّم الرسالة التي تجيزه التقيب عن الآثار الى الحاكم العثماني فيها ، إلا انه كنّم أمر التقيب ، وسعى للحصول على ادوات ورماح تظاهر انه يستخدمها في رحلة له لصيد الخنازير الوحشية في المناطق المجاورة للموصل ، وكان في الوقت نفسه يهيء مستلزماته للسفر الى أطلال نمرود بواسطة كلك صغير بصحبة صديقه التاجر الانكليزي روس . وما ان وصل الاثنان قرية نايقة أطلعا مضيفها صاحب الكوخ الصغير بأنهما سيقومان بالتقيب في نمرود وطلبا منه تهيئة عمال لهذا الغرض من القرى المجاورة .

بدأ لايارد الحفر في تل آزر من هذه المدينة بعدد قليل من العمال ، وحصل نتيجة ذلك على طابوقة عليها كتابات مسارية ومجموعة من الكسر والآنية الفخارية ، ويبدوان لايارد خلال الأيام الاول من عمله كوّن علاقات ودية مع سكان القرية المذكورة ومن بينهم الشيخ عواد الذي ارشده لفحص جدار وقد ظهر على سطح الأرض قسم من الممر الذي كان يكسوه من الداخل ، تبين بعد حفره أنه جدار غرفة كانت مكسوة بألواح الممر المزدانة بمشاهد

التنقيب في المدن الآشورية وتنسيبها فكتور بلاس
Victor Place لهذه المهمة عام ١٨٥١ م .

كان تل قوينجق الموقع الذي انقسم بين فريق
هاني الدولتين، وأصبح القسم الشمالي منه خاص
لتنقيبات الفرنسيين التي قادها بلاس، في حين
كان القسم الجنوبي من التل من حصة الفريق الآخر
الذي ترأسه هرمز رسام^(١٢)، سبق ان تم التفاهم
على هذا التقسيم في تركيا بين رولنسن البريطاني
وبلاس الفرنسي قبل ان يصلا الموصل .

وعلى ما يبدو ان هرمز رسام لم يكن مقتنعا بهذا
التقسيم بل كان يطمح بكامل التل او على الأقل
بالقسم الذي اصبح من حصة فرنسا لاعتقاده بعد
حفر المحاسن التي اجراها فيه ان في ذلك القسم من
التل كنوز أثرية في غاية الأهمية حتى آل الأمر
برسام لأن يحفر فيه نفقا في احدى الليالي، ولما
وصل الى نتائج مهمة منها اكتشافات الواح آشورية
من الحجر وبقايا مكتبة آشور بانيبال اعلن عن
عمله .

اما فكتور بلاس فقد كان عمله منحصرا بين
تل قوينجق وخرصباد لاكمال اعمال بوتيا في الموقع
الأخير، في حين عمل الانكليزي قوينجق ونمرود
وأشور وتل النبي يونس ومواقع مثل تل بلا ١٨٤٦
وقلعة شرقاط ١٨٤٧ وتية كورا ١٨٤٩ وتل بربارا
١٨٤٩ وتل ابو ماريا ١٨٥٠ وتريص ١٨٥٠،
فضلا عن الحفريات التي اجرها في وسط وجنوب
العراق مثل تل محمد في ضواحي بغداد وبابل
وبرس نمرود ونفر عام ١٨٥٠^(١٣) . وكان تل النبي
يونس من أكثر المواقع الأثرية التي تحمس المقبون
الانكليز للعمل فيها، ووضعت الخطط السرية
للمباشرة بالحفر في هذا التل، فقد حفر هرمز رسام
خنادق من بيوت مشيدة فوقه بعد ان اتفق مع
اصحابها، ألا انه فشل بسبب معارضة سكان
المنطقة وتدخل الحكومة المحلية في الموصل .

وبعد ان أصبح عدد المكتشفات الأثرية من
نمرود كبيرا، ومنها المنحوتات الحجرية والمواد
الأخرى كان لا يارد متحمسا لشحنها الى انكلترا،
لكي تكون أول مجموعة من نفائس الآثار يرسلها
لتعرض في المتحف البريطاني . ووصلت أول شحنة
مؤلفة من اثني عشر صندوقا بحرا الى إحدى الموانئ
البريطانية واستلمها المتحف المذكور في عام
١٨٤٧ . وقد شجعت هذه المكتشفات لا يارد
وزادت من اطماعه لاجراء المزيد من الحفريات
الأثرية في اطلال المدن الآشورية الأخرى، مثل
نينوى وآشور وخرصباد، وكان هذا المنقب متحمسا
لاجراء حفريات واسعة في آشور (قلعة شرقاط)
لاسما بعد أول فحص اجراه لاطلاها وهو في طريقه
نهر الى بغداد^(١٤) .

أصبح لا يارد المنقب الوحيد في المنطقة بعد ان
خلا له الجو بعد اغلاق القنصلية الفرنسية في
الموصل، ونقل بوتيا الى القدس كما أسلفنا، ووقف
التنقيبات الفرنسية في السنوات بين ١٨٤٨ و
١٨٥١، مما دفع لا يارد لأن يحفر في خرصباد، ألا
ان النتائج التي حصل عليها كانت اقل مما كان
يتوقع . وتولى المتحف البريطاني تموين التنقيبات
بعد ان كان كنتك سفير بريطانيا لدى الدولة
العثمانية يغطي نفقاتها .

وبدأت توجيهات المتحف البريطاني الى لا يارد
بتقطيع الألواح الحجرية الكبيرة التي يتعذر عليه
نقلها الى عدة أقسام بغية التقليل من وزنها او
سمكها، ولكي يسهل نقلها او نقل الأجزاء المهمة
منها، واقترح ايضا دفن القطع الكبيرة مثل التيران
المنحنة، ألا ان لا يارد لم يكن مقتنعا بتلك
التوجيهات، لاسما بعد ان هباً الوجهة الثانية من
اثني وعشرين صندوقا وضع في داخلها الآثار المهمة
المكتشفة ومن بينها مسلة شيلمنصر^(١٥) .

وشهد عام ١٨٥٢ تنافسا شديدا بين المتقبين
البريطانيين والفرنسيين لاسما بعد ان عاودت فرنسا

استمرت حفريات بلاس في قوينجق وخرصباد من سنة ١٨٥٢ ولغاية ١٨٥٤ ، وكانت اكثر دقة من تنقيبات كل من زميله بوتا والمنقبين الانكليز، حيث عمل معه المهندس Felix Thomas والرسام Fresnel ولذلك كانت الرسومات الهندسية لمكتشفاته البنائية والأثرية في غاية من الدقة .

ومثلاً قررت الحكومة الفرنسية سحب بوتا ووقف عمله ، أصدرت اوامرها الى بلاس بايقاف العمل وذلك في تموز عام ١٨٥٤ . وكان امام بلاس مهام لا بد من انجازها قبل مغادرته الموصل ومن اهمها نقل الآثار المكتشفة الى فرنسا . الا ان الأكلاك الثمانية التي نقلت صناديق الآثار الى البصرة غرق ستة منها ، فيها عدد كبير من صناديق الآثار ومنها ثمانين صندوقاً ارسلها رسام ، استقرت الآثار التي فيها في قاع نهر دجلة عند القرية (١٤) .

وقبل ان يغادر بلاس الموصل طلب منه متحف اللوفر ومعهد الفنون الفرنسي ضرورة دراسة وجس مواقع أثرية أخرى في المنطقة ، وربما كانت دوافع ذلك ان تضمن فرنسا مستقبلاً آثاراً في المواقع الأثرية التي حفر فيها بلاس خنادق اختبارية ومنها : جيكان ، وتل كربين ، وتل دولب ، فضلاً عن قلعة شرقاط (آشور) . وكانت جميع هذه التلول باستثناء آشور بعيدة عما كان يخطط له الانكليز .

وكان التنافس شديداً بين بلاس ورسام كما مر بنا ذلك ، الا انه اصبح على أشده حيناً عمل بلاس في آشور . وحاولت بريطانيا تخفيف هذه الأزمة ، كما يبدو فأرسلت رسام بمهمة الى عدن وأوكلت الى لوفنس باعمال التنقيب بدلا عنه .

انفردت بريطانيا بالعمل الآثاري بالعراق بعد عودة بلاس الى فرنسا فأكمل فيلكس جونز مسوحاته لأطلال نينوى ، وحقق رولنسن (١٥) نجاحات كبيرة في قراءة الخطوط القديمة ، التي مكنته لدراسة تاريخ

وسكان المنطقة وحضارتهم ، وفتحت الباب لغيره من الباحثين لدراسة المكتشفات الأثرية التي وصلت الى المتحف البريطاني واللوفر بباريس ، كما حفزت الآثار المكتشفة الآخرين من المغامرين الأوربيين لغزو آثار الشرق ، لاسيما وان السلطات العثمانية كانت لامتاع من قيام الجمعيات العلمية من الحفر في المواقع الأثرية . ومن أجل ذلك سعى بعض الدبلوماسيين الأوربيين لاسترضاء حكومة الباب العالي من أجل الحصول على امتيازات التنقيب كاحدى السبل للتطلع نحو الشرق لفهم تاريخه ولوضع مسارات ونفوذ جديدة .

وزاد نشاط بريطانيا الآثاري في العراق حينما أصبح لايارد سفيرا لها في الاستانة الذي سعى للحصول على امتيازات آثارية للحفر في المدن الآشورية على الرغم من محاولات وزير المعارف العثماني ادهم باشا تحديد هذا النشاط ، وكان هرمز رسام يتلقى توجيهاته من لايارد ، والذي طلب اليه تقديم الهدايا من المواد الأثرية الى حكومة الباب العالي ، وبهذه الطريقة خوّلت هذه الحكومة رساماً بالحفر في أي موقع أثري . ولم يكنف هرمز رسام بالحفر في نمرود وبلوات التي كشف فيها صفائح من نحاس منقوشة وعليها كتابات مسمارية كانت تغلف بالأصل بوابات من الخشب ، بل اتجه الى تل النبي يونس لتنفيذ طموحاته التي بدأ بها منذ أمد ، فعمد على شراء عدد من البيوت المشيدة على هذا التل ، ورحل سكانها ، وبدأ بحفر الانفاق في ارضياتها ، الا ان محاولته هذه اجهضها سكان المنطقة ، فاضطرت الحكومة العثمانية الى وقف عمله وسحب اجازته .

وعلى الرغم من محاولة رسام إعادة علاقته مع حكومة الاستانة ، الا انها لم تكن مثلاً كانت عليه ، لاسيما وان لايارد لم يعد سفيرا لبلاده في الحكومة العثمانية ، فعمل في نمرود ووزع مجموعات من عاله في مواقع متعددة لاستخراج اكبر كمية من الآثار (١٦) .

الثاني القيصر فلهايم على أثر تأسيس الجمعية الألمانية الشرقية في برلين Deutsche Orient Gesellschaft ورأس بحثها التي عملت بتواصل ثنائي عشرة سنة روبرت كولدفاي، وعرف عن حفريات الألمان أنها أكثر علمية، واستخدمت عربات سكك الحديد لنقل الأثرية المستخرجة من جراء الحفر، وكان التنقيب الأفقي الذي سبق أن بدأه بلاس في خرصباد قد تبناه الألمان في حفرياتهم في كل من بابل وآشور، وأصبح فيما بعد الطريقة المثلى في التنقيب عن الآثار^(٢٠).

وبفضل الخبرة التي امتلكها الألمان في حقل التنقيب بعد السنوات الطوال التي أمضوها في بابل، برع أحد أعضاء بعثتهم وهو المهندس المعماري فالتر اندريه في إدارة بعثة للألمان عملت في آشور خلال الفترة ١٩٠٣ - ١٩١٤، شملت أولاً الفحص الأولي لاطلالها، ثم الشروع بحفر الأقسام الشالية الغربية منها القريبة من حافة نهر دجلة، بهيئة خنادق وحفر جس عمودية للتعرف على طبقات السكن في آشور وتوابعها. فكتشفت هذه الحفر عن وجود بقايا سومرية استدلت من خلالها وجود تأثيرات للحضارة السومرية التي كان مركزها الأول منطقة السهل الرسوبي بجنوب العراق. وبذلك سجل فالتر اندريه سبق من بين المنقبين في اتباع هذا الأسلوب في الحفر والذي أصبح مثلاً اتبعه المنقبون اللاحقون في تنقيبات مدن العراق مثل نفروالوركاء ونيوى. كما عرف عنه الدقة في ضبط المعثورات في الاعمال الهندسية، فضلاً عن تدريب عمال القرى المجاورة على أعمال الحفر الفني حتى أصبحت خبرتهم في تمييز طبقات السكنى الأثرية وجدراً اللين من بين الطبقات الأخرى قد خدمت الحركة الأثرية في العراق حتى صار لهؤلاء العمال دور مهم في الآثار وعرفوا باسم الشراطين^(٢١).

وفي السنوات ١٩١٣ - ١٩١٤ أجرت البعثة الألمانية أيضاً حفريات في تلوك العقر (كار توكولتي

وتولى التنقيب بدعم وتوجيه من المتحف البريطاني رولنسن الذي استمر في ترجمة الكتابات المسماة المكتشفة في المدن الآشورية، كما تولاها جورج سمث الذي كان يعمل في ترميم رقم الطين المكسورة في المتحف المذكور حتى أصبح بعدئذ أحد أمنائه. وقد ترجم سمث ملحمة جلجامش عام ١٨٧٢ المؤلف من سبعين سطراً. ولكفاءته في الترجمة عرضت عليه الجريدة اللندنية اليومية الدليل لتلغراف ألف باوند للبحث عن تكملة نص هذه الملحمة في قوينجتون بحديقة سمث ومثابرة عثر على تكملة النص في ١٤ آذار عام ١٨٧٣، وأوفده المتحف البريطاني أيضاً للمرة الثانية للحفر في قوينجتون عام ١٨٧٦، ولكن محصلته الأثرية كانت قليلة^(١٧).

وما إن تحسنت أساليب الحفر وانتشرت البعثات التنقيبية الأوربية في مناطق الموصل وفي وسط العراق وجنوبه للفتيش عن مصادر جديدة للآثار، لاسيما المدن المدرسة المذكورة في أسفار العهد القديم مثل بابل والوركاء وكيش واور.... حتى بدأت الدولة العثمانية تحس بضرورة إصدار تشريع خاص بالآثار لاسيما بعد أن عين حمدي بك مديراً للمتحف الشرقي الإمبراطوري في اسطنبول الذي سعى لإصدار تشريع يلزم الهيئات التنقيبية بقسمة ماكتشفه من الآثار المنقولة^(١٨).

وما أن شارف القرن التاسع عشر على الانتهاء كان البريطانيون حريصين على إيصال كل ماكتشفته هيأتهم من الآثار إلى متحفهم الوطني بسبب نشوب الحرب الروسية العثمانية، وافتتاح قنصلية روسية في الموصل عام ١٨٨٣^(١٩)، إلا أنهم عاودوا التنقيب في العواصم الآشورية في السنوات ١٨٨٨ و ١٨٩١ و ١٩٠٣ و ١٩٠٥.

باشراً الألمان في عام ١٨٩٨ حفرياتهم في بابل التي سبق أن نقب فيها كل من لايارد وهرمزرسام، ولقيت هذه الحفريات الدعم المالي من لندن ولیم

نورتا) التي تقع قبالة آشور على الجانب الثاني من نهر دجلة ، وهي المدينة التي شيدها الملك توكولتي نورتا الأول (١٢٦٠-١٢٣٠ ق. م).

ودرس اندريه ايضا البقايا البناية الشاخصة في مدينة الحضر الواقعة الى الغرب من آشور بعد زيارتهم المتعددة لها ووضعوا عنها دراسات خلال اقامتهم في العاصمة الآشورية نشرت في عامي ١٩٠٨ و ١٩١٢.

وعلى الرغم من مبدأ القسمة بموجب القانون الذي سنته الحكومة العثمانية فإن الامان اخذوا ماثا الصناديق المليئة بالآثار كان مصدرها من آشور، من بينها واجهات المعابد والقصور والرقم الطينية والألواح الحجرية والمواد الأثرية الأخرى تاركين وراءهم بعد قيام الحرب العالمية الأولى الجدران المشيدة باللبن والخنادق الواسعة عرضة للعوامل الطبيعية ومرتعا للحوانات .

وفي الفترة التي اعقبت الحرب العالمية الاولى ، وبعد ان آل اقتسام الأقطار العربية التي كانت تحت سلطة العثمانيين بين بريطانيا وفرنسا ، كان العصر الذهبي للمقيمين الأجانب (٢٢) ، فلم يكن هناك قانون يلزمهم قسمة المكتشفات الأثرية او أي سلطان لانباء تلك البلاد عليهم ، ولأسيا بعد أن انبطت مهام ادارات الآثار والسلطات الادارية الى الأجانب . وأدى الأمر الى تنظيم حملات استكشافية جديدة للبحث عن مصادر جديدة للعمل ، اشتركت فيه اربع دول هي : الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا وفرنسا والمانيا ، وإلى جانب ذلك تحسنت مناهج التنقيب وتم استخدام الأسلوبين العمودي والأفقي في الحفر ودراسة الطبقات الأثرية لاعطاء تصور تأريخي وحضاري للمنطقة .

وبدأ نشاط الجمعيات والمعاهد الأمريكية في مجال التنقيب عن الآثار بارزا في شمال قطرنا واستلته الأنسة كارود Garrod في السنوات

١٩٢٦ - ١٩٢٨ بالتجوال في المنطقة الجبلية بحثا عن الكهوف والمآوى الصخرية وقد ساعدتها في مشروعها هذا وزارة الداخلية العراقية ، حينما أصدرت أوامرها الى رؤساء الوحدات الادارية بالمنطقة الشمالية بيان أسماء الكهوف ومعلومات عنها تتعلق باستمالات هذه الكهوف حينذاك وأخرى طوبوغرافية وبيئية (٢٣) ، وقد اختارت الباحثة كارود من بين الكهوف التي زارتها ، والتي زودتها باسمائها وزارة الداخلية العراقية كهفي زرزى وهزاريرد في منطقة السليمانية ، وأجريت فيها التنقيبات الأثرية عام ١٩٢٨ .

كما كان نشاط الجامعات الأمريكية شيكاغو، وهارفرد ، وكولومبيا ، وبنسلفانيا ، واضحا في التنقيب عن آثار المنطقة ، والتي انحصرت مواقعها المختارة ما بين نهر دجلة والمرتفعات الشمالية والشمالية الشرقية من قطرنا وكان من هذه المواقع : تبه كورا ، وبلا ، وجروانة ، ونرصباد (في منطقة الموصل) ويورغان تبه (نوزي) في منطقة كركوك ، وجرموفي منطقة كركوك ، وكرد جاى وملفات في منطقة أربيل . وتضم كل بعثة منها الاختصاصيين بالآثار وآخرين بالنقوش القديمة ، والبيئات القديمة ، والكيمياء والرسم والمساحة ، وأصاب هذه البعثات ركودا في الفترة مابعد الثلاثينات ، إلا أنها عادت الى نشاطها بعد الحرب العالمية الثانية ، واقتصرت منذ اواخر الأربعينات على مواقع ما قبل التاريخ كما سنرى (٢٤) .

وشهدت منطقة الموصل بعثات آثرية عاودت العمل بعد الحرب العالمية الأولى قادها رجال سبق وعملوا في الوحدات العسكرية ضباطا سياسيين او ضباط للاستخبارات ، ومنهم طومبسن ومالوان ، بعد ان كانوا ضمن البعثة الانكليزية التي قادها وولي بنجاح في مدينة اور لحساب المتحف البريطاني من ١٩٢٢ ولغاية ١٩٣٤ .

باشر طومبسن ومعه هتشنسن وهاملتون بحفر خندق عميق في تل قوينجق بتموين من جريدة

برمنكهام بوست لاختبار ما اذا كانت هناك طبقات سكنى لعصور ما قبل التاريخ تحت الطبقات الآشورية ، وللحصول على أدلة تخص علاقة منطقة نينوى بالطوفان ، فضلا عن الهدف الآخر وهو البحث عن الألواح المكتوبة (٢٥) .

الآن ان حفر الجس لم تتوقف عند الطبقات الآشورية او عند الكنف الصخري الذي كان الاعتقاد عند طومبس ان مساكن الأتوار الاولى قد شيدت عليه ، بل واصل الحفر حتى التربة البكر التي كانت على عمق تسعين قدما ، وقد استخدمت السلال الفارغة لنقل الأثرية وكانت تعلق بالحبال . واستغرقت عملية الحفر سبعة أسابيع ، حدد طومبس من خلالها ان عمق تراكمات الطبقات الأثرية في كوينج كانت مائة قدم ، منها اثنتان وسبعون قدما تعود ازمتهن لعصور قبل التاريخ ، تبدأ من عصر نينوى ١ في القعر وتنتهي بنينوى ٥ في القمة وتغطي هذه الطبقات فترة زمنية تقدر بثلاثة آلاف سنة (٦٠٠٠-٣٠٠٠ ق. م) ، على اقل تقدير . وكشف في طبقات نينوى ٥ على بيوت شيدت باللبن وفخار لم يسبق العثور عليه في مكان آخر مغطيا باللون الأسود والأرجواني ، وقد زينت أوانيها بأشكال هندسية وحيوانية (٢٦) .

وفي آذار سنة ١٩٣٢ كلف المتحف البريطاني السيد مالوان وبدعم من المدرسة البريطانية للآثار في العراق ، بأجراء حفائر بشكل خنادق في موقع ارجية الكائن على مسافة أربعة كيلو مترات الى الشرق من أطلال نينوى وضمت بعثته السيدة اجاتا كوستي زوجته ، وجون روس المهندس المعاري الذي كان معه في بعثة وولي في تنقيبات اور .

تعاقد مالوان الذي اسندت اليه لأول مرة رئاسة بعثة أثرية مع اصحاب الأرض التي يقع فيها تل ارجية لاستئجارها بمبلغ زهيد لقاء ان تعمل

بعثته بكل حرية في ذلك الموقع ، واشترط العقد ان يدفع مالك الأرض ان عرقل عمل البعثة التي (باوند وبعد ان اكتملت الأعمال التمهيدية في ارجية ، حفر مالوان خنادق كشف من خلالها قرية من العصر الحجري المعدني تعود الى دور حلف وأدوار أخرى مثل العبيد التي أثبتت الصلة بين السهل الرسوبي لجنوب العراق بشماله في الفترة بين ٤٠٠٠-٣٥٠٠ ق. م. كما شرع مالوان في الحفر في تل صغير يعرف عند السكان باسم "تبه رشوا" الى الشرق من ارجية . بما يقرب من نصف ميل الى الطريق المؤدي الى بعشقة . وقد نشر كل من مالوان وروس بحثا قويا عن تنقيباتها في ارجية في عدد خاص من مجلة IRAQ البريطانية ضم وصفا لأعمال التنقيب ونتائج ورسومات دقيقة للآنية الفخارية المكتشفة ومخططات ومقاطع لمباني وأرضيات طبقاته السكنية (٢٧) .

وكان عمل البعثة البريطانية في ارجية آخر مولم عمل للانكليز في العراق لأسباب قومية لم يذكر مالوان اياها ، الا انه يشير الى العراقي التي وضعها يوردان الألماني الجنسية الذي كان يعمل مديرا للآثار العراقية آنذاك والمعروف بميله النازية ، ومنها قسمة الآثار التي اكتشفتها بعثته في ارجية كما يحوله القانون المعمول به والصادر في عام ١٩٢٤ ، ولهذا الاسباب القومية كما يراها مالوان حاول يوردان حرمان الانكليز من حصتهم الا ان مجلس الوزراء العراقي قد حسم القضية هذه بعدئذ لصالح البعثة المذكورة (٢٨) .

انتقل العمل الآثاري بعد ارجية الى منطقة الخابور في سوريا في وقت كانت البعثات الآثارية الفرنسية تعمل بحرية هناك ، ومنها تنقيبات في تل نيراب بين حلب والفرات ، وتل الحريري (ماري) ، فضلا عن ان اجازات التنقيب في سوريا التي كانت تحت الانتداب الفرنسي كانت تمنح

للمتقنين بسهولة. فعمل مالوان مسحاً للتلول والأماكن الأثرية في منطقة نهر الخابور بين رأس العين والحسكة، أنجزه في أواخر عام ١٩٣٤، واختار من بينها موقع شكر بازار الكائن إلى الجنوب من بلدة القامشلي بأربعين كيلو متراً، حيث تعود أقدم طبقاته إلى دورى سامراء وحلف من عصور قبل التاريخ. كما شرع مالوان بعد أن انتهى العمل في شكر بازار في ١٩٣٨. حفرياته في تل براك إلى الجنوب من مدينة الحسكة.

ومكّنت النتائج التي حصل عليها مالوان من تنقيباته في نينوى والآرامية ومن التنقيبات الأخرى في بلاد آشور من ربط منطقة الخابور حضارياً ببلاد وادي الرافدين باعتبارها جزءاً منها^(٢٩).

وفي الوقت الذي كان مالوان يجري أعماله الآثارية بانتظام في منطقة الخابور كان شمال غرب العراق حقلاً لثلاثة مسوحات آثارية أنجزتها بعثات إنكليزية ترأس الأولى سيتن لويد والثانية رايتلنكر والأخيرة شتاين. مسحت الأولى مواقع الآثار في سهل سنجار- تلعفر، مركزة على مستوطنات قبل التاريخ المنتشرة في تلك المنطقة بغزارة، وبذلك سجلت عدداً كبيراً من مستوطنات من مختلف العصور ابتداءً من عصور القرى الزراعية المبكرة. ورسمت التماذج من اللقى الفخارية التي التقطت من سطوح المواقع الأثرية وبوبت حسب أدوارها الزمنية، كما رسمت خرائط كنتورية لعدد من المواقع الأثرية المهمة، وبذلك عدّ هذا المسح نموذجاً من بين المسوحات التي جرت في المنطقة آنذاك^(٣٠).

ودرس رايتلنكر المباني المتبقية والتلول المنتشرة في غرب الموصل والتي تعود إلى الفترة السابقة على الإسلام أو العصور العربية الإسلامية مثل أطلال مدينة بلد أو بلط (أسكي موصل حالياً) وقصر سريج وجسر كسك كوبري^(٣١).

وفي ذلك الوقت كان الباحث الفرنسي بواديير على رأس بعثة كبيرة العدد وجيدة الاعداد، يجري مسوحاته في الجناح الشرقي من سوريا لتتبع المحطات الواقعة على الطرق التي كانت تسلكها القوافل التجارية لأجراء دراسة تحقيقية للمحطات والأماكن التي وردت اسمائها في الخرائط التي وضعها الرومان في القرن الثاني للميلاد والمسماة Tabula Peutingeriana والممتدة شرايينها في أعالي بلاد وادي الرافدين. وانجرت البعثة أعلا جليلة مازالت المصدر المهم لمثل هذه الدراسات. وحينما عزمت هذه البعثة القيام بمثل هذه الأعمال من المسح في الجانب العراقي في المنطقة ما بين جبل سنجار وبلدة القائم على نهر الفرات عند الحدود العراقية السورية رفضت الحكومة العراقية قيام البعثة المذكورة بهذا العمل في أراضيها^(٣٢) فتقدم أول شتاين من الجانب البريطاني لإنجاز هذا العمل. فباشر في عامي ١٩٣٨ و ١٩٣٩ أعماله في المنطقة الممتدة بين آشور (قلعة شرقاط) والحضر وجبل سنجار مستخدماً التصوير الجوي للتحرّي عن محطات القوافل المؤشرة على خرائط الرومان المشار إليها، والتي تقع معظمها في لحف المقدمات الجليية أو منطقة التلال ما بين القيارة وجبل سنجار، وكانت إحدى المحطات التي حققها شتاين هي جدالة. (آد هركليوم) الوارد ذكرها بهذا الاسم في الخرائط المذكورة التي تلتقي عندها الطرق الآتية من آشور والحضر، فضلاً عن تشخيصه لعدد آخر من المحطات مثل نداس وأم الشنين والشيخ إبراهيم... وأصبحت أعمال شتاين هذه قاعدة للدراسات اللاحقة التي جرت عن هذه المنطقة^(٣٣).

وما أن أصبح عمل معظم البعثات الآثارية الأوروبية في غرب العراق ومنها منطقة الخابور السالفة الذكر حتى وفرت الفرصة للجامعات الأمريكية للعمل وحدها في أماكن أثرية متفرقة من

متواصل للفترة من عام ١٩٢٩ ولغاية ١٩٣٥ ، في مدينة خربصا والتي شملت بوابات سورها وقصورها ومعابدها ، واكتشفت مواد أثرية نفيسة منها ثيران مجنحة وألواح من رخام منقوشة وألواح من الطين عليها كتابات مسمارية آل البعض منها الى المتحف العراقي (٣٦) .

ونقبت المدرسة الامريكية للأبحاث الشرقية ثم جامعة هارفرد في الأعوام ١٩٢٥ ولغاية ١٩٣١ في الموقع الذي يسمى بورغان تبه الكائن على مسافة ٢٢ كم الى الجهة الجنوبية الشرقية من كركوك ، فكتشفت عن قصر ومعبد ورقم من الطين احتوت على رسائل ونصوص اقتصادية وقانونية ، ووجد نوع من الفخار عرف عند الآثاريين بعدئذ بفخار نوزي ، كما كان من بين المكتشفات لوح من الطين رسمت عليه خارطة لمدينة نوزي يرقى تاريخها الى العصر الأكدي حوالي ٢٣٠٠ ق. م ، تعد أقدم خارطة من هذا النوع (٣٧) .

وبعد ما يقرب من ربع قرن من التحريات التي أجرتها الآسة كارود في كهفي زرزى وهزارمرد كما مر بنا عادت البعثات الأمريكية الى العمل في شمال العراق لاجراء دراسات معمقة عن نشاط الانسان في العصور الحجرية ، فبدأ الاستاذ بريد وود من المعهد الشرقي التابع لجامعة شيكاغو تحرياته الأولية في جرمو والي عاود التنقيب فيها بعد عدة سنوات . وأجرى كل من الباحثين "رايت" و"هاو" تحرياتها في الموضع المعروف باسم "برده بلكا" واستنتجا أنه كان مستوطنا مكشوفاً يعود في تاريخه الى العصر الحجري القديم الأدنى ، كما تشير الى ذلك الأدلة الآثارية المتوافرة ومنها أدوات حجرية معمولة من الشظايا وفؤوس حجرية يدوية (٣٨) .

ولم يكتف كل من هاو ورايت وبريد وود بالمسح في شمال العراق بالبحث عن مواضع العصور الحجرية بل أجروا تحريات في عدد منها وجست طبقات المواقع التالية : كرد جاي وكريم شاهر وكرد ٤٩٩

العراق ، ولا سيما في شماله فعملت بعثة جامعة بنسلفانيا برئاسة شبايزر في تبة كورا للسنوات ١٩٢٧ - ١٩٣٨ ، والذي سبق أن عمل فيه لا يارد خندقا بسيطا عام ١٨٤٩ ، تركه عندما وجد ان معظم مكشوفاته من الأواني الفخارية وان التنقيب فيه يحتاج الى جهود معقدة . وكانت المكتشفات الأثرية ومنها البناية قد أصبحت مثالا جيدا للمقارنة ، لاسيا وان هذا المستوطن الواسع يضم عشرين طبقة بناية يعود أقدمها الى دور حلف وينتهي احدها بالعصر الآشوري الوسيط في الألف الثاني قبل الميلاد . كما يستتج من اللقى الأثرية أن تبة كورا كانت مركزا مهما خلال دوري العيد والوركاء على الرغم من بعدها الجغرافي عن موقع حضارة هذين الدورين . فقد تحسنت المواد الأولية في أبنيتها وشاع استخدام اللبن بدلا من الطوف ، وانتشرت اشكال التخطيطات المستطيلة في الابنية ومنها المعابد حتى أصبحت معابد تبة كورا تضاهي معابد اريدو في جنوب العراق (٣٩) .

وحفرت بعثة جامعة شيكاغو في ربيع ١٩٣٣ في تل جنجي ، ووجدت في طبقاته ان الموقع قد استوطن في العصر الحجري الحديث حيث وجدت وعلى سطحه آلات حجرية اتسمت بصناعتها بالدقة يرجع انها تعود الى ذلك العصر ، كما وفرت المواد الأثرية المكتشفة ان السكنى فيه استمرت بشكل مستمر ما بين منتصف الألف الثالث ق. م وحتى العصر الآشوري الوسيط (٤٠) .

وكشفت بعثة جامعة بنسلفانيا التي كانت تعمل في تبة كورا التحريات الواسعة في تل بلا الذي سبق وأن جسده لا يارد عام ١٨٤٦ فكتشفت عن أدوار حضارة حلف والعيد وفجر السلالات . كما عثر فيه على رقم طينية جاء في أحد منها اسمها وهو "شيانيا" .

وضمن هذه المنطقة أجرت بعثة المعهد الشرقي التابع لجامعة شيكاغو التنقيبات الواسعة على نحو

أغا وكهف كيواني وكرد بالك وكهف حافيدان ،
وكهف بيخال ، وتل الخان ، وملقعات ، فضلا
عن التحريات القصيرة الأمد التي أجراها هاو في
الكهوف والمغاور الصخرية القريبة من قرية جونه
الى الشرق من بلدة عقرة ، ومنها كهف باراك .
وسجلت البعثة الامريكية نجاحات علمية في
التنقيبات التي أجرتها جامعة شيكاغو في زاوي جمبي
وجرمو التي كشفت فيها أول قرية فلاحية من العصر
الحجري الحديث زاول سكانها الزراعة (٣٩) .

ودخلت دراسة الكهوف ونشاط الانسان فيها
بجانب دراسة مستوطنات العصور الحجرية بعد ان
قدّمت التنقيبات التي أجريت في زاوي جمبي عن
وجود علاقة بين هذا المستوطن وكهف شانيدر ،
وقام رالف سوليكي بدعم من كل من جامعة
مشيغان والمعهد السمشوني الأمريكي أول تحرياته
في كهف شانيدر عام ١٩٥١ واستمر عمله لعدة
مواسم حتى ١٩٦١ ، استطاع بواسطتها تحديد أربع
طبقات أثرية رئيسة يعود أقدمها الى العصر الحجري
القديم الأوسط .

ودخلت أول بعثة يابانية شمال غرب العراق
تبحث في عصور قبل التاريخ وأجرت في الموقع
المعروف باسم الثلاثينات تنقيبات أثرية لعدة مواسم
منذ ١٩٥٦ حيث كشفت في أقدم طبقاته على
مقاسط وسكاكين حجرية وآنية فخارية تعود الى
العصر الحجري الحديث تماثل اللقى الأثرية في كل
من جرمو وحسونة .

وشهدت منطقة الموصل نشاطا آثاريا لم يسبق
له مثيل ، فقد عاودت البعثات الانكليزية العمل
في هذه المنطقة فاستأنفت اعمالها في نمرود وفي تل
الرماح وتل الطاية وعين سينو ، وكل هذه الاماكن
الأثرية باستثناء نمرود تقع في سهل سنجار الذي
سبق أن شملت مواقعه اعمال المسح الذي قام به
ستين لويد عام ١٩٣٦ كما أسلفنا .

وفضلا عن أعمال التنقيب الذي أنجزته البعثات
المذكورة فقد أجرت في الوقت نفسه مسوحات
دقيقة للمواقع المنتشرة على المسالك المؤدية الى
اماكن التنقيب ، ومنها مسوحات أوّس لمنطقة
تلعفر والتي تبحث في التوزيع الجغرافي للمواقع
الأثرية وحسب فتراتها الزمنية ، وكذلك تحديد
الطرق التي كانت تسلكها قوافل الرومان
وجيوشهم (٤٠) .

وباشرت أول بعثة سوفياتية التنقيب في يارم تبه
بالقرب من تلعفر المؤلفة من عدة تلّول واختارتها من
بين المواقع الغريبة العدد في تلك المنطقة بعد
المسوحات التي أجرتها في عام ١٩٦٩ ، وكشفت
عن حضارة دور حسونة في التلّ رقم (١) وثقافة حلف
في الموقع رقم (٢) المميز بأبنيته الدائرية التي كشف
منها مالوان في ارجحية كما أشرنا الى ذلك من قبل ،
كما استظهرت حضارة العبيد والوركاء في التلّول
الأخرى من يارم تبه . وتوصلت الى ان في يارم تبه
كانت قرى تعود الى عصور قبل التاريخ ، انتشر كل
دور على مساحة معينة لما للعوامل الجغرافية في
المنطقة من أثر على استمرار الاستيطان فيها . وتجدر
الاشارة الى ان البيوت المستظهرة في الطبقات
الأولى من يارم تبه كانت صغيرة ومشيدة جدرانها
بالطوف ، الحقت بها فيما بعد ابنية أخرى رجح انها
مخازن او انها شيدت نتيجة ازدياد سكان كل
بيت (٤١) . وأجرت البعثة نفسها حفريات أيضا في
موقع آخر يقع الى الشمال الغربي من بلدة تلعفر
يعرف عند المحليين باسم مغزلية كشفت فيها عن قرية
تعود الى العصر الحجري الحديث ، استظهرت بقايا
مساكنها وتحصيناتها التي تسبق الاستحكامات
الدفاعية في تل الصوان الواقع الى الجنوب من
مدينة سامراء (٤٢) .

والى الجنوب الغربي من سهل سنجار الذي
شهد تنقيبات بعثات أثرية من جنسيات مختلفة ،
ولا سيما التي تبحث منها في عصور قبل التاريخ ،

دائرة الآثار والتراث الخاص بالناتج الأولية للبعثات العاملة في المنطقة المذكورة. كما وسنعود في موضع آخر من هذا البحث الى المواقع الأثرية التي جرى حفرها من قبل الكوادر العراقية^(٤٤).

٢- دور البعثات العراقية في الكشف عن الآثار:

بعد أن تأسست دائرة الآثار سنة ١٩٢٠ التي كانت مرتبطة بمصلحة المعارف، شرع أول قانون يحمي آثار العراق في عام ١٩٢٤ بعد افتتاح المتحف العراقي بعام واحد، وكان دورها ينحصر في تطبيق ذلك القانون على البعثات الآثرية الأجنبية، الآ أن نشاط هذه الدائرة أصبح واضحاً في الفترة ما بين الحربين العالميتين. وأسهمت في الكشف عن حضارة هذا البلد العريقة، ولا سيما في حقل التنقيب والصيانة للحفاظ على التراث من الاندثار، بعد ان عاد من أكمل تخصصه بالآثار من العراقيين في الجامعات الأجنبية وفي مقدمتهم الاستاذان الفاضلان طه باقر وفؤاد سفر، واستمرت دائرة الآثار تؤدي مسؤولياتها وباشرت التنقيب في موقع حويصلات بالقرب من سامراء وفي حواضر عربية مثل واسط وسامراء والكوفة وتكريت، كما وأجرت في ١٩٣٩ مثل هذه الأعمال في مواقع أثرية في سهل سنجار مثل كري رش، ووجدت في طبقاته آثاراً تعود الى دور الوركاء حوالي الألف الرابع ق. م. وقامت بتحريرات في احدى بوابات سور مدينة نينوى المعروفة باسم بوابة نرجال عام ١٩٤٠، واستظهرت تفاصيل مرافقها البنائية وعملت صيانة للاقسام المتبقية منها، وبذلك اصبح مخطط هذه البوابة فيما بعد نموذجاً لبوابات اسوار المدن الآشورية.

ولم تكنف دائرة الآثار بما أجرتة في بوابة نرجال الآشورية بل اجرت بنفس الوقت تحريات أثرية في خرصباد (دور شروكين)، واستخرجت منها ثورين مجنحين منحوتين من الحجارة يتاهزون الواحد منها عشرين طناً.

كانت المنطقة المعروفة ببادية الجزيرة لم تشهد مثل هذه الأعمال وظل الآثاريون لايعرفون عن حياة الانسان فيها خلال تلك العصور الأ التزر القليل، ولهذا شرعت السيدة كركيرايدين المدرسة البريطانية للآثار في العراق مسوحاتها في هذه المنطقة مكتشفة مايقرب من سبعة وثمانين موقعا يعود معظمها الى عصور قبل التاريخ. واختارت هذه الباحثة التلول المعروفة باسم ام دباغية الكائن في منطقة كان ومازال نصيبها قليلا من الأمطار بدرجة لتساعد على الزراعة الدائمة، وهي على العكس من منطقة سهل سنجار التي تعتمد زراعة الحنطة والشعير فيها على الأمطار. ولكي تلي الباحثة الضوء على هذه المنطقة وطبيعة الحياة في هذا الموقع خلال العصور الحجرية، شرعت الحفريات ولعدة مواسم فيه، واستنتجت بعد ذلك ان في ام دباغية كانت قرية يعود أقدم طبقاتها الى العصر الحجري الحديث، ويعتمد اقتصاد سكانها على الصيد، ولاسيما حيوان حمر الوحش Onegar^(٤٥).

وفي السنوات الأخيرة الماضية، وبعد ان شرعت حكومة جمهورية العراق ببناء سد صدام (سد الموصل سابقاً) الى الشمال الغربي من الموصل، انجزت دائرة الآثار والتراث مسوحاتها الأثرية للمنطقة التي ستغمرها مياه هذا السد. ولكثرة عدد هذه المواقع ولعدم كفاية الكوادر الآثرية العراقية ارتئي دعوة معاهد وجامعات من الدول الأجنبية الصديقة للتنقيب فيها على ان توفر الحكومة العراقية مستلزمات ونفقات العمل اما الآثار المكتشفة فقد حدد القانون اعتبارها ملكاً للعراق، إلا أنه لم يمنع من قيام البعثات المتبقية بدراساتها. فلبت الدعوة بعثات بريطانية وفرنسية وأمريكية وإيطالية وسوفياتية وألمانية وشمساوية وبابانية وبولونية... وتوصلت هذه البعثات الى نتائج وضعت خطوات مهمة امام المختصين لدراسة الجوانب التاريخية والحضارية لهذه المنطقة. وبإمكان القارئ الرجوع الى السفر الذي أصدرته

نقاط في جهات مختلفة من المدينة اصطلاح المنقبون على تسمية كل نقطة باسم «حارة» وكشفت هذه الحفريات عن وجود معابد صغيرة او مزارات في ثلاث من هذه الحارات باستثناء الاولى التي اوقف العمل فيها لاكتشاف طبقات سكنية فيها دون العثور على مواد أثرية أخرى كالتماثيل الحجرية. وقد تميزت هذه المزارات كونها مستطيلة الشكل ومتشابهة التخطيط وواقعة ضمن الأحياء السكنية.

وفي عام ١٩٥٢ كشفت الحفريات المعبدين الرابع والخامس خلال الموسم التنقيبي الثاني، واستظهرت في السنوات التالية معابد صغيرة أخرى حتى اصبح في عام ١٩٥٥ عدد ما اكتشف منها في المدينة أحد عشر معبدا^(١٨). واستظهرت دور سكنية ملتصقة بهذه المعابد. وباكتشاف آخر معبد انصرفت الهيئات الفنية العاملة فيها الى اعمال التحري في اوابين المعبد الكبير ومصلياته المخصصة لعبادة الآلهة مثل مثل مرن وشحيرو وسيميا واللات...

وتخذت دائرة الآثار منذ ١٩٦٠ منهجا جديدا وهي الانتقال الى صيانة الابنية الشاخصة التي سبق ان تحرت فيها في السنوات السابقة، والمشيقة بالحجر المهندم الذي يعرف بالحلان، واستمرت اعمال الصيانة بدرجات متفاوتة لاعادة واجهات الأوابين والمصليات في المعبد الكبير حتى أصبحت في السنوات الأخيرة على نطاق محدود.

وفضلا عن الصيانة الجارية في عدد من الأبنية فان حفريات واسعة جرت في أماكن متعددة من الحضر. منها البوابة الشمالية والقصر القريب منها، وعدد من المدافن فيها وكذلك البوابة الشرقية والاستحكامات الدفاعية المجاورة لها في السور الرئيسي للمدينة.

ويمكن للقارئ الوقوف على أعمال التنقيب وأماكنها في الحضر مراجعة مانشرته البعثات الفنية من تقارير وبحوث في مجلة سومر والمجلات العلمية

وفي عامي ١٩٤٢ و ١٩٤٣ تبنت دائرة الآثار التنقيب في موقع حسونة الكائن في الجنوب الشرقي من مدينة الموصل وعلى مسافة ٣٥ كيلو مترا منها، للبحث في الفترة التي بدأ الانسان يستقر في قرى دائمة معتمدا على الزراعة لبناء اقتصاده، وكيف تم هذا التحول التدريجي من مضارب مخيمات قائمة على التربة البكر وحتى بناء بيوت من الطوف، ثم تشييد بيوت بنيت جدرانها باللين، كما استهدفت هذه الحفريات دراسة التحول من الصيد الى الرعي ومزاولة الزراعة الدائمة^(١٩).

وقد عد الآثاريون ان تلك المكتشفات هي ثقافة محلية انتشرت في شمال العراق وتركزت في المنطقة بين نهر دجلة والمقدمات الجبلية في شمال غرب العراق، وبذلك استطاع الآثاريون بعدئذ من تتبع الانتشار الجغرافي لحضارة حسونة، للمنطقة الممتدة ما بين موقع جوخة مامي القريب من مندلي عند الحدود العراقية الايرانية وحتى موقع باغوز على الفرات غربا، باستثناء تل الصوان الى الجنوب من سامراء الذي لم يعثر فيه على اي أثر لهذا الدور^(٢٠).

ومن بين اعمال دائرة الآثار منذ مطلع الخمسينيات من هذا القرن التنقيب في أطلال مدينة الحضر العربية ثم صيانة ابرز مبانيها، وقد كشفت هذه الحفريات عن جوانب تاريخية وحضارية لهذه المدينة التي كانت عاصمة بلاد عرابيا (بلاد العرب) في القرون الأولى للميلاد^(٢١).

وهناك عوامل دفعت دائرة الآثار للتنقيب في الحضر. وهي ان آثار هذه المدينة بقيت محافظة على حدودها التاريخية بسبب موقعها الصحراوي وبعدها من مراكز المدن قد حفظ كنوزها الأثرية من حفريات المغامرين من الاوربيين، وبقيت سالمة تنتظر معاول المنقبين، وباشرت دائرة الآثار بأعمالها في هذه المدينة في عام ١٩٥١ وحفرت في اربع

الأخرى مثل مجلة Iraq البريطانية ومجلة Mesopotamia الإيطالية .

وفي مدينة نينوى التي شهدت حفريات واسعة منذ القرن التاسع عشر من قبل قناصل الدول الأجنبية كما أسلفنا ، بدأت اعمال البعثات الوطنية التي ذكرنا منها التحري في بوابة نرجال ١٩٤٠ ، وبناء واجهتها بمحجر الحلان وعلى الطراز الآشوري في عام ١٩٥٦ ، إلا أن الأعمال الضخمة التي نفذتها دائرة الآثار في هذه المدينة كانت بدايتها عام ١٩٦٥ حين شهدت مدينة الموصل توسعا وزحفا عمرانيا امتد الى المناطق الأثرية . ولغرض وقف هذا الزحف السريع قامت الهيئات الفنية من الآثاريين بوضع المعالجات والحلول الحاسمة ومنها تحديد متبقي من المناطق الأثرية بما فيها الأسوار وبواباتها ومساحات واسعة تقع داخل هذه الاسوار، كما أجرت حفريات شاملة لبوابة شمش (الشمس) وحفريات في كل من بوابة ادد^(٤٩) والمسقى وصانعت الهيئات الفنية في دائرة الآثار وجامعة الموصل أقساما من سورها الحجري .

وشملت أعمال الصيانة التي أجرتها دائرة الآثار إعادة بناء جدران معبد واسع الى ارتفاع مناسب والذي كشفته حفرياتها في عام ١٩٥٧ ، وتجدر الإشارة الى ان ثورين مجنحين من الحجر بناهز وزن الواحد منها عشرين طنا وألواح كبيرة من المرمر منقوشة بمشاهد بارزة قد استظهرت خلال تحريات قامت بها هذه الدائرة عام ١٩٣٩ .

ويبدو ان أكثر اعمال الصيانة من بين العواصم الآشورية شهدتها السنوات الأخيرة كانت في نمرود (كلخو) . ومن المعلوم ان دائرة الآثار اجرت أول صيانة في هذا الموقع في ١٩٥٦ ، ولاسيما في قاعة العرش بقصر آشور ناصر بال الثاني وعملت مظلات اسمتية لحماية المنحوتات الحجرية التي تزين جدران القاعة من الداخل . وكان الجناح الإداري في هذا القصر قد شملته مثل هذه الأعمال ، فضلا عن بناء

جدران معبدي نابو وإيزيدا الى ارتفاع مناسب (٥٠) .

وما عدا التنقيب والتحري في العواصم الآشورية فان اعمالا آثارية أجرتها دائرة الآثار في عدد من المواقع في داخل مدينة الموصل والمناطق المجاورة لها ، والأماكن الواقعة في اعلى العراق .

ومعظم بقايا الأبنية الشاخصة في الموصل والتي تعود الى الفترات العربية الإسلامية وبعضها الى الفترة العثمانية ، أما انها مرقد او مساجد او منارات او قباب مثل منارة الحدياء ومرقد يحيى بن القاسم ومرقد عون الدين ومرقد الامام الباهر وبنية قره سراي وباشطاييا ، فضلا عن الأبنية الأخرى الواقعة خارج الموصل مثل مرقد الست زينب في سنجار وبوابة الموصل في العمادية والجسر العباسي في زاخو .

وجرت تنقيبات أثرية في عدد من المواقع خارج الموصل ومنها تل قالينج اغا في قصبة أربيل ، وتل الفخار بمنطقة الحويجة بمحافظة التأميم ، والمساحة المحيطة بمنارة دافوق بمحافظة التأميم ايضا ، وبنية الاربعين وتل محيسن والسور والخمس اصابع بمدينة تكريت بمحافظة صلاح الدين . فضلا عن الأعمال الآثارية الواسعة التي تجرّها دائرة الآثار في سامراء في حقل التنقيب والصيانة ومعظم المواقع التي جرى تنقيبها كان بسبب امتداد الزحف العمراني ولاسيما الواقعة منها في قصبات المدن او تجاوز عليها سكان القرى المجاورة ، أما بالحرث والزراعة او للتفتيش عن اللق الثمينة لبيعها ، أو أن طرق المواصلات وقنوات الري قد اقتطعت أقساما منها ، أو ان مياه السدود الحديثة في المنطقة قد غمرت اعدادا كبيرة منها . وستتاول في الصفحات القادمة باقتضاب اعمال التنقيب لبعض المواقع المهمة بما يسمح المجال في هذه الموسوعة .

ففي أوائل عام ١٩٦٦ وحينا وقعت تجاوزات على التل المعروف باسم قالينج انما سارعت دائرة

الأثرية في هذه المدينة منها تل محسن وسور المدينة القديم والخسفة والخمس أصابع^(٥٣).

وفي المنطقة بين تكريت والموصل جرى تنقيب الموقع المعروف باسم خربة جدالة في الفترة من خريف ١٩٧٧ ونهاية ربيع ١٩٧٨ من قبل الباحث، كشفت عن بناية محصنة يحيط بها سور مدعم بأبراج، جمعت في تخطيطها وعناصر عمارتها بين العبد والحصن، تعود حسب الكتابة المكتشفة فيها الى سنة ١٤١ م^(٥٤).

العمل الآثاري في مشاريع الري الكبرى

كانت المساحات التي غمرتها خزانات السدود في المنطقة الشمالية من قفطنا واسعة، وغالبا ماتكون معظم اراضيها سهلية ذات خصوبة عالية، وقد جعلت فيها هذه الخصائص مكانا استقطبت الانسان واستوطن فيه منذ اقدم العصور، بسبب وفرة المياه وغازة العشب والأشجار، فضلا عن وجود قطعان الحيوانات التي كان يصطادها. فانتشرت في تلك القرى والمدن والتحصينات الدفاعية منذ العصور الموعلة في القدم.

ومشاريع السدود التي انجزت حتى الآن في المنطقة الشمالية من العراق وحسب تواريخ البدء فيها كانت:

١- سد دوكان.

٢- سد دريندخان.

٣- سد صدام.

وستتناول باختصار أهم اعمال البعثات الأثرية في كل واحد من هذه السدود.

١- سد دوكان:

في عام ١٩٥٤ باشرت هيئة فنية من دائرة الآثار بمسوحاتها الأثرية للمواقع والتلول المنتشرة في

الآثار لمعالجة هذه الحالة وأجرت خنادق اختيارية فيه الهدف منها ايقاف التجاوز وتقديم المكتشفات فيه دليلا على أثرته. ولما كانت نتائج العمل مشجعة فقد استمر التنقيب فيه لعدة مواسم استظهرت فيها مبان دينية وسكنية تعود لأدوار كل من حلف والعبيد والوركاء^(٥٥).

اما تل الفخار فقد جرت فيه حفريات واسعة النطاق حينما تجاوز عليه سكان القرية المجاورة، واستظهرت ابنية متكاملة أطلق على أحدها اسم "القصر الأخضر" طليت جدرانها بصبغة قريبة من هذا اللون. وهذا القصر متكون من قسمين! الجناح الأول للعائلة والثاني اداري. وكشف في طبقات هذا الموقع مايقرب من ثمانمائة رقم معظمها نصوص لعقود ووثائق للبيع والايجار والمقايضة، وهذه النصوص معاصرة ومشابهة لمثيلات لها كشفتها في نوزى البعثة الأمريكية خلال حفرياتها في السنوات ١٩٢٧ ولغاية ١٩٣١ كما أسلفنا.

وتناولت بعثات دائرة الآثار تل الصوان الكائن الى الجنوب من مدينة سامراء بالتنقيب الواسع لعدة مواسم، كشفت فيه عن خمس طبقات بنائية مشيدة جدرانها باللبن، وهي تعود لمستوطن من أوائل الالف السادس قبل الميلاد، أحاطت السكان بسور دفاعي يتقدمه خندق لزيادة التحصن. إلا ان التحريات التي جرت حديثا في هذا الموقع قد توصلت الى وجود طبقة استيطانية مشيدة بالطوف تسبق الطبقة الاولى، ولذلك اطلق على هذه الطبقة اسم مستوطن قبل الطبقة الاولى^(٥٦).

وجرت في تكريت اعمال التنقيب والصيانة كانت بدايتها بحسات في تلوك تقع في القسم الشمالي من المدينة عام ١٩٣٧، اعقبها تنقيب وصيانة بناية الأربعين عام ١٩٦٥، واستأنفت الحفريات في سنة ١٩٦٩ وما بعدها في عدد من الأماكن

بكراره وجراغ وتل حسين فتاح وتل قوجكه وشكر
تبه وتل صفا^(٥٦).

وعادت دائرة الآثار الى سهل شهرزور في أوائل
السبعينات وأجرت تنقيبات في التلوث الأتية : كرده
رش وتل عربت وياسين تبه.

٣- سد صدام :

في عام ١٩٧٥ أنجزت فرق المسح التابعة لدائرة
الآثار العراقية تسجيل مايقرب من ١٨٠ موقعا
موزعة في مناطق من الحوض الذي ستغمره مياه
هذا السد. وهو عدد كبير يتطلب امكانيات فنية
ومادية. ووضعت دائرة الآثار خططها بشأن انقاذ
مايمكن انقاذه من الآثار المطمورة في التلوث الموجودة
في الحوض. ورصدت حكومة جمهورية العراق
المبالغ اللازمة لتغطية نفقات التنقيب. ووجهت
دعوة للمؤسسات الآثارية في الدول الأجنبية
الصديقة للمساهمة بالانقاذ وتعهدت بتحمل
نفقات ومستلزمات اعمال التنقيب.

وكانت جامعة الموصل أولى الجامعات المساهمة
بهذا العمل ، فباشرت الحفر في تل ابو ظاهر في
حزيران عام ١٩٧٧ ، كما شملت حفرياتا ايضا مواقع
مصنفة وسلال وزمار. وتبعها بعدئذ بعثات عراقية في
عام ١٩٨٢ ووصلت اول بعثة اجنبية في منطقة الغمر
في ربيع ١٩٨٢.

وأجرت البعثات العراقية حفرياتا في العديد
من التلوث الأثرية ومنها تل جبور الواقع على الحافة
الشرقية لحوض سد صدام على مسافة ٦ كم الى
الجنوب من بلدة فايدة ، وذلك في حزيران
١٩٨١ ، واختارت فيه عدة نقاط للجلس ،
وكشفت في كل واحدة منها طبقات سكنية ،
شيدت جدران ابنيها باللبن فوق أسس من
الحجارة ، وتعود هذه الطبقات الى العصور
الآشورية وفترة الاحتلال الفرني وكذلك العهود
العربية الاسلامية^(٥٧).

سهلي بيتوين ورائية على مساحة لاتقل سعتها عن
خمسعين كيلو مترا مربعا ، وقد أشرت هذه الهيئة
مايقرب من أربعين موقعا ستغمرها مياه السد.
وبأشرت بعثات دائرة الآثار العراقية حفرياتا في
المواقع الآتية :

كروبو وتل ملا مرعي وتل كمریان وتل القديم
وتل كله وتل تنكجه وتل كاوي وتل قره قلع وتل
ملا شل وتل هيز وتل يوكوران وتل مامند وتل تبه
كوران وتل كولاك وتل باره يوسف وتل قوره وتل
سرخمه وتل بوسكين وتل كولان وتل كامه وتل
قوراله الشاهلي وتل غزنه وتل عريان وتل قره تبه كون
وتل قبر الصحابة وتل باسموسيان^(٥٨).

وما تجدر ملاحظته ان معظم هذه التلوث تعود
طبقاتها او اللتي الأثرية المنتشرة على سطوحها الى
عصور قبل التاريخ ، وقد استمر الاستيطان في معظمها
حتى العصور التاريخية. ويمكن للمتبع ان يقف على
مانشر عن تنقيبات هذه المنطقة في اعداد من مجلة
سومر.

٤- سد دربندخان :

ويشمل حوض هذا السد بنحو أساسي سهل
شهرزور المعروف بانبساط وخصوبة اراضيه ، ووفرة
المياه فيها والذي تزيد مساحته عن ٥٠ × ٤٠ كم^٢
التي تروها مياه نهر تانجرو وفرعه نهر زلم.

وتشير الأدلة الأثرية الى ان هذا السهل قد
استوطنه الانسان منذ العصور الحجرية.

وقامت فرق عن دائرة الآثار في عام ١٩٥٩
بفحص التلوث الأثرية المنتشرة في هذا السهل ،
ولاسيما المنطقة المنخفضة فيه التي ستغمرها مياه
السد. وشرعت بالتحري والتنقيب في خمس
عشر موقعا وهي :

قورناس وبيكم وتل شاملو وتل طلحة وخورمال
وتل كردي شريف ويان بياغ ودوانزه امام وتل

وأجرت بعثة عراقية ايضا التنقيب في تل كرهول السفلي وذلك بحفر خندقين طويلين بامتداد طول التل، عرض الواحد منها خمس مترات، كشفت عن قبور وآنية فخارية كالتي شاعت صنعها في العصر الآشوري الوسيط والمعروفة عند الآثاريين باسم فترة نوزي، ومواد فخارية أخرى من عصر الاحتلال الفري^(٦١).

وفي تل جيكان الذي يعد أوسع تلوط منطقة حوض سد صدام الواقع عند التقاء جدول البقاع بنهر دجلة، حفرت بعثة من دائرة الآثار في اواخر صيف ١٩٨١. ولسعة مساحة هذا الموقع فقد عملت فيه عدة بعثات عراقية وأجنبية وحفرت كل بعثة خندقا او مقاطع لاستطلاع تاريخ الطبقات السكنية في هذا المستوطن الكبير، إذ يعود أقدمها الى دور حسونة وأدوار لاحقة مثل حلف ونيوى ٥ والاكديّة والآشورية وحتى العصور العربية الإسلامية^(٦٢).

وكشفت بعثة عراقية في موقع خرابوك بناية واسعة فيها عدد من المرافق البنائية، يتوسطها فناء كبير تحيط به غرف وقاعات مستطيلة. وقامت البعثة نفسها بحفريات واسعة في خربة مشيرفه في خريف ١٩٨٤ ولغاية آذار ١٩٨٥ واستظهرت بناية مربعة احتوت على غرف وقاعات ومواد أثرية مختلفة، وتشير تلك الأدلة الى ان هذه البناية ربما كانت خانا يعود الى العصور العربية الإسلامية، وحفرت البعثة المذكورة خنادق لم يستمر الحفر فيها لفترة طويلة لأن النتائج كانت غير مشجعة، اما مقبرة مزار حسن البصري فقد حفرت فيها البعثة نفسها في ايلول ١٩٨٤ خندقين وقفت من خلالها على ان الموقع يعود الى العصور الإسلامية^(٦٣).

وفي تموز عام ١٩٨٥ عملت بعثة من دائرة الآثار حفريات في تل شعبو، بعد أن قسمت سطح الموقع الى عدة مربعات، واستظهرت طبقات بنائية يعود أقدمها الى العصر الآشوري القديم^(٦٤).

وشهدت منطقة البقاع القريبة من فابدة تنقيبات واسعة جرت في اربعة تلوط، اعطي كل واحد منها رقما. يقع التل رقم (١) على الضفة اليمنى لجدول البقاع المبتدئة فروعها من مرتفعات بنداوية الكائنة الى الغرب من القوش، وبدأ الحفر فيه في شهر آب من عام ١٩٨١ واستمر لغاية ١٩٨٣ حيث كشفت فيه سبع طبقات سكنية لولحدات بنائية تعود الى عصر فجر السلاطات.

اما بقاع رقم (٢) فقد بوشر بحفر خندق فيه في حزيران ١٩٨٢ ولغاية نهاية العام نفسه. وكان طول هذا الخندق سبعة أمتار تدرج الحفر مع سفوحه واستظهرت وحدات بنائية ولقى أثرية تشير الى ان الموقع المذكور قد استوطن في العصور الآشورية وفي فترات ما قبل الاسلام^(٦٥).

وفي شتاء عام ١٩٨٣ بدأ التنقيب في بقاع (٣) بخندق اختباري توسع بعدئذ وشمل مساحة كبيرة من الموقع بعد ان كانت الأدلة الأثرية مشجعة. وكشف عن بناية مستطيلة يتوسطها فناء تطل عليه قاعات وأواوين. ومخطط هذه البناية قد يماثل المخططات الأرضية للخانات او محطات استراحة القوافل. ومن خلال الأدلة المهارية والتي الأثرية، لاسيا الآنية الفخارية، يمكن نسبة هذه البناية الى الفترة ما بين القرن الثالث وحتى السابع الهجري^(٦٦).

وفي بقاع رقم (٤) الذي بوشر الحفر فيه في نيسان ١٩٨٤ ولغاية تموز من العام نفسه كشف عن بناية مربعة في كل زاوية من جدارها الخارجي برج مستدير الشكل، وفي وسطها فناء مربع تطل عليه غرف مستطيلة. ويوحى المخطط الأرضي لهذه البناية انها قلعة او حصن وقد شيدت للاغراض الدفاعية، وهي كثيرة الشبه بالآبنية المحصنة الواقعة على الطريق الصحراوي ما بين هيت وتدمر^(٦٧) إلا ان اللقى الأثرية المكتشفة فيه تعود الى القرنين السابع والثامن الهجريين.

- تل كركي داركي، تل سبانات، تل وادي
سويدي، كربطخ.
- ٥- البعثة الفرنسية: موقع رونك، تل كرفوش،
كوثان.
- ٦- البعثة الألمانية: موقع كرانه رقم (٢).
- ٧- البعثة الإيطالية: كرانه رقم (٢) بعثة
مشتركة، حثاره الصغير.
- ٨- البعثة النمساوية: تل عترة.

ورأينا ان من المفيد ان يطلع القارئ على
الفترات الزمنية لهذه المواقع ابتداء من اقدم
العصور وحتى الأدوار العربية الاسلامية، وللمزيد
من المعلومات يمكن الرجوع الى: بحوث آثار حوض
سد صدام ١٩٨٧ ومجلة Iraq لسنة ١٩٨٥.

العصر الحجري القديم: رفان، رجم حسنة،
نمريك، رجم عمر دله.

العصر الحجري الحديث: دير هال.

حسونة:، حلف والعبيد: خربة ديرك، دير هال،
خربة حارة، تل جيكان، خربة شطاني، تل
كوثان، تل العقولي، تل شيخ حمصي، تل
مشيرنه، تل ابو ظاهر.

الوركاء: خربة حثاره، تل كرانه (١)، تل كرانه
(٣)، تل مشيرفه، تل محمد عرب، تل رفان،
جالوقه، تل مصيفنه، تل ابو ظاهر.

نينوى ٥: تل بقاق (١)، خربة ديرات، تل
فسنه، خربة حثارة، تل جيكان، تل كرانه
(١)، تل كرانه (٣)، تل كوثنان، تل محمد
عرب، تل رجم، تل سلال، تل ضويج، تل
مصيفنه، تل رجم عمر.

العصر الأكدي: تل ضويج، تل فسنه، قرية
حثارة، تل جيكان، خربة حثاره، تل جيكان،
خربة كرانه (١)، وادي ختخون، تل ابو ظاهر.

كما اجرت البعثات العراقية تنقيبات في عام
١٩٨٥ في كل من تل جالوقه الذي تبين أنه كان
مستوطنا في دور حلف والوركاء ونينوى ٥،
واستمراره في العصور التاريخية، وتل سعود، وخربة
الملالي (٦٥).

وقامت دائرة الآثار بالتنقيب في تل مصيفنه
المواقع على حافة نهر دجلة في الفترة بين تموز ١٩٨٤
ولغاية تشرين الثاني ١٩٨٥، وذلك بحفر خنادق
عميقة فيه، استظهرت فيها طبقات بناية تعود
أقدمها لقرية فلاحية من دور حسونة، شيدت
دورهم على التربة البكر واستمر استيطانهم لهذا
الموقع في دور سامراء القديم. إلا ان المستوطن قد
هجر في دور العبيد، وعاد استيطانه في دور الوركاء
واستمر متعاقبا حتى الألف الأول قبل الميلاد (٦٦).

وعملت في انقاذ آثار حوض سد صدام بعثات
آثارية أجنبية للفترة بين ١٩٨٢ ولغاية ١٩٨٥،
وسنذكر فيما يلي جنسية البعثة والموقع العاملة فيه،
وبامكان القارئ الاطلاع على تقارير وبحوث هذه
المواقع في السفر الذي نشرته دائرة الآثار "بحوث
آثار حوض سد صدام" موصل ١٩٨٧:

١- البعثة الآثارية البولونية: تلول رفان، مقبرة
حسين، تل عمر دله، نمريك ١٩٨٢-
١٩٨٥. العصر الحجري القديم.

٢- البعثة اليابانية: تل جيساري، وتل
ضويج، ١٩٨٥، تل جيكان، تل قصر
البت.

٣- البعثة السوفياتية: موقع شيخ حمصي، من
دور العبيد والوركاء.

٤- البعثة البريطانية: تل جيكان، تل كركي
قاسم، خربة ديرستون، زهرة خاتون، محمد
عرب، تل ابو ظاهر، خربة شطاني، قرية
خربة شطاني، صخرة قصرصير، خربة
قصرصير، قرية دير، خربة وادي الخاتونية،

الهدفين وضعت دائرة الآثار خطة عمل لخمس سنوات قابلة للتجديد متاملة ان الآثار التي ستكتشف فيها ستعرض في متحف هذه المدينة الذي سيكون في قلعة فرحان باشا بعد صيانتها .

ومنذ ان بدأت دائرة الآثار بالعمل في هذه المدينة ضمن مشروع الأحياء ولحد الآن فان العمل السنوي قائم في هذا الموقع لكنه لم يتعدّ اعادة تنقيب المباني التي استظهرتها حفريات البعثة الألمانية في ١٩٠٣ ولغاية ١٩١٤ . لذا فقد بقيت اعمال الاحياء هذه غير منظورة لسببين ، كما يرجح أولها سعة تنقيبات الألمان في هذه المدينة ، وثانيها تعدد نقاط العمل مابين الحفر والصيانة ومن بين هذه النقاط هوصيانة قلعة فرحان باشا التي كانت مخفرا للشرطة في العهد العثماني ، لاعدادها متحفاً محلياً ، ألا ان صيانتها ستمنع التنقيب مستقبلا في المعبد الذي يقع تحته والمعروف باسم معبد الملك الذي بني منذ فجر التاريخ ، كما تقوم دائرة الآثار بصيانة جزءا من السور عند بوابة تايرو في القسم الغربي من المدينة مستخدمة اللبن المعروف بعدم مقاومته للعوامل المناخية . والصيانة بهذه المادة لا تخلو من المخاطر ، لذلك ينبغي التوقف عن استخدامها الى ان يتم التوصل الى مادة أفضل ، ان بقاء المباني مطمورة سيكون أفضل وسيلة لحياة الاثر .

ولهذا كان على دائرة الآثار اعداد دراسات ملائمة خاصة بالاحياء او اعادة البناء واجراء مسوحات مصورة للموقع وتهيئة الاستعدادات لتقرير مايجب عمله قبل المباشرة بالعمل ، ومن المعروف ان اي اجراء يتخذ بدون استعداد علمي سيكون عرضة لأن يصبح امرا سلبيا في نتاجه ومن بعد ستكون اعمال اعادة البناء عرضة لنقد الاختصاصيين^(٦٧) .

العصر الآشوري القديم : مقبرة عزه ، تل بقاق (١) ، دير هال ، تل فسنة ،

والعصر البابلي القديم : تل جيكان ، تل رجم تل سلال ، وادي ختخون ، تل جمبور .

العصر الآشوري الوسيط : مقبرة عزه ، دير هال ، تل فسنة ، خربة حناره ، كرهول سفلى ، تل محمد عرب ، شيخ حمصي ، تل جمبور ، بقاق (١) ، جالوقه ، تل سمود ، تل رجم عمر ، تل ابو ظاهر .

العصر الآشوري الحديث : تل بقاق (١) ، خربة حناره ، خربة قصر صريح ، بقاق (٢) ، تل رجم ، تل رونك ، خربة الخاتونية ، تل ابو ظاهر ، خربة كرحسن .

عصور الاحتلال (الأحميني - الساساني) : قرية بابنت ، قصر صريح ، كرانه ، كرهول سفلى ، خربة شطاني ، خربة خاتونية ، تل محمد عرب ، خربة قصر صريح ، تل رونك ، وادي ختخون ، تل جمبور ، بقاق (٢) ، مصيفنه ، تل ابو ظاهر ، سي قبه ، كريطيخ ، بابيره .

العصور العربية الاسلامية : تل جمبور ، تل بقاق (١) ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، تل جيكان ، تل خرابوك ، خربة مشيرفة ، رحى مشرف ، مقبرة مزار حسن البصري ، تل شعبر ، تل سمود ، خربة الملاي .

مشاريع الاحياء

١- مشروع احياء آشور :

خطط المختصون في دائرة الآثار على اجراء حفريات واسعة وصيانة المباني التي كشفتها البعثة الأثرية الألمانية برئاسة فالتر أندريه كما مرّ بنا من قبل ، وكانت الأسباب التي طرحتها دائرة الآثار لهذا الاحياء علم قيام تنقيبات شاملة في هذه المدينة منذ سبعين عاما بعد ان توقف عمل البعثة الألمانية فيها ، فضلا عن الهدف السياحي . ووفق هذين

الأخرى وأجرت فيه تنقيبات منتظمة وقامت بصيانة الجدران المكتشفة .

وحينما أعلنت دائرة الآثار عن ضرورة انقاذ منطقة الغمر في حوض سد صدام كانت جامعة الموصل أول مؤسسة علمية لبث هذه الدعوة، فوقع اختيارها على تل ابو ظاهر ليكون ميدانا للتدريب العملي وللحصول على مواد أثرية ليعرض في متحفها بكلية الآداب، وكشفت مواسم التنقيب عن طبقات سكنية فيها وحدات بنائية منتظمة في عشر طبقات تعود أقدمها على مايرجع الى عصور قبل التاريخ الذي مايزال الشك في نسبتها الى اي دور منه، باستثناء المباني المستديرة في حفرة اختيارية ربما تعود الى دور حلف. إلا ان اللقى الأثرية المكتشفة في الطبقات المذكورة تشير الى ان هذا التل استوطنه الانسان وبشكل رتيب منذ عصر فجر السلالات ولغاية عصر ما قبل الاسلام^(٧٠).

لم تتوقف جامعة الموصل في مجال الانقاذ عند تل ابو ظاهر بل اختارت ثلاثة تلول أخرى في منطقة زمار وأجرت الحفريات فيها وهي مصيفه وتل سلال وتل ضويج .

فباشرت هيئتها الفنية بالتنقيب في مصيفه في ربيع ١٩٨٠ ولغاية حزيران عام ١٩٨٢ وكشفت بناية مشيدة من الحجارة المهندمة تمثل كنيسة مرت بأربعة أدوار رئيسية وأخرى ثانوية، يعود أقدمها الى ما قبل القرن السابع الميلادي، والبنية عبارة عن قاعة مربعة مقسمة الى ثلاثة بلاطات، الوسط منها أوسعها. وتمثل كنيسة صغيرة مشيدة على الطراز البازيليكي .

وتجدر الإشارة الى وجود كنيسة مماثلة لمصيفه يطلق عليها قصر سريج تعود الى القرن السادس الميلادي ومشيدة بنفس الأسلوب^(٧١).

وعملت بعثة جامعة الموصل أيضاً في تل سلال منذ خريف ١٩٨٢ ولغاية ١٩٨٥، وكشفت عن

حين زار السيد الرئيس صدام حسين مدينة تلعفر أمسيادته بصيانة القلعة فيها لكونها من المباني التاريخية والتي كان لها دور في تاريخ العراق الحديث، فضلاً عن ان المدينة نفسها كانت من المدن الآشورية (لبت عشتار) التي نهضت بدور مهم على طرق المواصلات بين وادي الرافدين وبلاد الشام، وقد نفذت دائرة الآثار صيانة هذه القلعة، وأنشأت متحفاً عليها فيها، إلا ان ماهو متوافر عن القلعة المذكورة من وثائق وخاصة المرسوم الذي وضعه المقلب البريطاني لا يارد الذي اوردنا ذكره في عدة مواضع من القسم الأول من هذا البحث وذلك في عام ١٨٥١ قليل. وقد يكون هذا المرسوم دليلاً لا يستغنى عنه لو ان الهيئة المكلفة باعادة بناء هذه القلعة قد اعتمدته عند البدء بهذا المشروع .

تنقيبات جامعة الموصل

كانت جامعة الموصل أول جامعة في العراق ساهمت مع دائرة الآثار في الحفاظ على الممتلكات الأثرية في منطقة الموصل، ففي حقل التنقيب أجرت التنقيبات في بوابة أدد بسور نينوى عام ١٩٦٧ وتمكنت من استظهار المرافق البنائية فيها، كما كشفت عن أجزاء من سور تلك المدينة وقامت بصيانه^(٦٨)، وكان النجاح الذي حققته أعمالها في سور نينوى وبوابة أدد قد شجعها على اجراء مزيد من الحفائر، وبذلك وسعت الهيئة العلمية أعمالها الأثرية واختارت موقعا آخر للتنقيب وهو الشريخان (تربيص) الكائن على بعد ثمانية كيلو مترات من مدينة نينوى ليكون حقلاً تدريبياً لطلاب قسم الآثار في الجامعة المذكورة. واكتشفت البعثة في هذا الموقع بنائيتين الأولى القصر الملكي والثانية المعبد^(٦٩). وفضلاً عن هذه الحفريات فان الجامعة اختارت موقع باسطايا من بين الاماكن الأثرية

خمس عشرة طبقة في خنادق عميقة أجريت لبيان تواريخ الاستيطان في هذا الموقع ، وتبين ان اقدمها القائمة على التربة البكر تعود للفرات المبكرة من نينوى ، ويبدو أيضا ان الموقع قد استمرت السكنى فيه خلال هذا الدور ولفترة طويلة . كما وجدت أبنية في جهات من التل تعود الى العصر الآشوري الحديث . اما الطبقات العليا منه فتنسب التحصينات الدفاعية المشيدة المكتشفة فيها الى الفترات الاسلامية .

وأجرت البعثة ايضا حفريات في تل ضويج المجاور لقصبة زمار وكشفت عن طبقات بنائية ولقى أثرية حددت العليا بالفترة الهلنستية ، اما التي تحتها فتشير المواد الفخارية الى انها تعود الى العصر الآكدي وتؤرخ الطبقات السفلى بفترة نينوى ٥ .

الهوامش :

- (١) جاء في السفر الذي يحمل عنوان "المواقع الاثرية في العراق" الذي أعدته مديرية الآثار العامة (دائرة الآثار والتراث الآن) ان في منطقة الموصل ١٧٩٠ موقعا أثريا حسب احصاءات تلك الجهة سنة صدور سفرها المذكور عام ١٩٧٠ ، موزعة في القرى والنواحي والاقضية التابعة اداريا الى الموصل انذاك ، وهذا العدد من المواقع هو في الواقع من أصل مايقارب من ستة آلاف موقع أثري منتشرة في العراق ومسجلة في أرشيفات دائرة الآثار . وتجدر الإشارة الى ان اعدادا كبيرة من المواقع والتلول الأثرية قد كشفها الهياكل الأثرية في السنوات الأخيرة ، لم يسبق كشفها من قبل .
 - (٢) انظر : سهيل قاشا "الموصل في مذكرات الرحالة الأجانب" مجلة بين النهرين ، المجلد ٢٠ ، ١٩٧٧ ، ص ٣٨٧ - ٤٠٥ .
 - (٣) روفائيل بيدووتر ، مجلة النجم م ٣ ، ١٩٥١ ، ص ١٧٥ .
 - (٤) محمود حسين الأمين ، رحلة تبيد الى العراق ، بغداد ١٩٦٥ .
 - (٥) روستن بابك ، قصة الحضارة الآشورية ، ترجمة : يوسف حداد ، بغداد ، ١٩٥٢ ، ص ٨٥ .
 - (٦) Rich, G.J. 1886 "Narrative of a residence in koor-distan" 2 vols., London.
- وترجم الجزء الأول منه الى العربية من قبل بهاء الدين نوري ، بغداد ١٩٥١ ، وانظر ايضا :
- The World of Archaeology The Pioneers tell their own Story, London, 1966, p. 223.

وكذلك . روستن بابك ، قصة الآثار الآشورية ، ترجمة : يوسف حداد ، بغداد ، ١٩٥٢ ، ص ٨٥ .

- (٧) ولد يوتا في إيطاليا في عائلة عملت في السلك السياسي ، وكان أبوه مؤرخا وسياسيا ، ومهتما بالأدب والطب ، سافر يوتا عام ١٨٢٦ في رحلة بالبحر حول العالم ، استغرقت ثلاث سنوات ، وبعد عودته كرّس سفراته الى أقاليم البحر الأبيض المتوسط . وفي عام ١٨٣٦ تقلد عدة مناصب دبلوماسية ، كان أحداهما في مصر وذلك قبل التحاقه قنصلا لفرنسا في الموصل ، انظر عن يوتا : The World of Archaeology, p. 236
- وانظر ايضا أندريه بارو ، بلاد آشور ، ترجمة : د . عيسى سلان وسلم طه التكريتي ، بغداد ١٩٨٠ ، ص ٥٨ .
- (٨) سلان الصايغ ، تاريخ الموصل ، ج ٣ ، ص ٤٥ - ٤٦ .
- (٩) كان Austen Henry Layard الذي ولد في باريس من عائلة عملت في السلك الدبلوماسي ، وأخذ تعليمه في إيطاليا وفرنسا وسويسرا وانكلترا ، وعمل وظيفة والده نشأ لايرد محبا للسفر والترحال والفنون الجميلة ، سافر الى سيلان واستغرقت رحلته الى الشرق عدة سنوات وقضى سنوات في فلسطين وسوريا وإيران والعراق ، وكانت الموصل المحطة التي توقف فيها لبناء آماله وتحقيق أحلامه .
- (١٠) روستن بابك ، قصة الحضارة الآشورية ، ترجمة : يوسف حداد ، بغداد ١٩٥٢ ، ص ٩٥ .
- (١١) المصدر السابق ، وانظر ايضا :
- Margueron, Mesopotamia, Paris, 1967, p. 37.
- (١٢) هرز رسام (١٨٢٦ - ١٩٠١) مواطن عراقي من سكان مدينة الموصل كان مساعدا الى لايرد خلال عمليات التنقيب عن الآثار بين ١٨٤٥ - ١٨٤٧ و ١٨٤٩ - ١٨٥١ ، وقد أوكل اليه المتحف البريطاني باجراء الحفر في نمرود وقوينجق بعد عودة لايرد الى انكلترا وتسلمه منصب دبلوماسيا بعدئذ .
- (١٣) Layard, H., Nineveh and its Remains, London, 1849, p. 34.
- وانظر حول هذا الموضوع ايضا ، طه باقر وفؤاد سفر ، المرشد الى مواطن الآثار والحضارة "الرحلة الثالثة" ص ٣٥ .
- (١٤) موريس بوتييه ، خورسباد مكتشفات بلاس في بلاد آشور ، ترجمة : جميل حمودي .
- (١٥) ولد في عام ١٨١٠ في إحدى القرى التابعة لمدينة اكسفورد الانكليزية ودرس تاريخ الاغريق وتعلم اللغات الفارسية والعربية والفنيدية ، وفي عام ١٨٢٧ اوتد الى الهند في مهمة عسكرية ، وبعدما اوكلت اليه تنظيم جيش الشاه في ايران واستنسخ هناك كتابات حجر بيستون التي ترجم قسما منها . واصبح في عام ١٨٤٠ مسؤولا عن الاستخبارات العسكرية في قندهار . وأنيطب مع مهام في تركيا والجزيرة العربية واصبح بعدئذ القم السياسي في بغداد ، واستمر في بحوثه في الكتابات واللغات القديمة حتى وفاته عام ١٨٩٥ . انظر :
- The World of Archaeology, p. 215.
- (١٦) جان كلود ماركون ، علم آثار بلاد الرافدين ، ترجمة وتعليق : يوسف حجي ، بغداد ١٩٨٦ ، ص ٨٠ .

(٢٥) ماكس مالوان، مذكرات مالوان، ترجمة: سمير عبد الرحيم

الجلبي، بغداد ١٩٨٧، ص ٧٩.

ويذكر مالوان في مذكراته هذه ان طوبس رئيس البيئة الآتارية وضع لاختيار اعضاء بعثة اختبارات منها: (١) ان على عضو البيئة ولكي يثبت قدرته على الصبر وقدرته على العيش في الحياة الصعبة عليه ان يمضي في الطين والمستنقعات (٢) الذهاب الى السينا ليرى قيمة آرائه في المناقشة والتعليق، (٣) ركوب الخيل ليبان مدى فروسيته حيث ان الخيول كانت الوسيلة التي يذهب المتعب بواسطتها من مقره الى التل يومية. انظر: مذكرات الصفحة نفسها.

(٢٦) عن فخار نينوى ٥، انظر:

Mallawan, M. Ninevite 5, Vorder asiatische Archologie stud und Aufsätze, Sonder Drvc.

(٢٧) Mallawan, M. and Rose, J., prehistoric Assyria,

Excavations at Tell Arpachiyah Iraq, vol.2, 1935.

ويجدر الإشارة الى ان الدكتور اسماعيل حسين حجارة قد أجرى في صيف ١٩٧٦ حفريات في منطقة سكنية من تل ارجبية كُشِفَ فيها مبان منفصلة في احدى عشرة طبقة سكنية تعرف عند الآتاريين بالثلوس، شيدت جدرانها باللين وفوق اسس من الحجارة، وتتراوح أقطارها بين ٤ - ٦ و ١٠ - ١٢. انظر:

Hijara, I., Arpachiyah 1976, Iraq, vol. LIII (1980),

pp. 131 - 154.

(٢٨) مذكرات مالوان، ص ١١٢.

Mallawan, M. The Excavation at Tell Shagar Bazar, Iraq, 2 (1936).

ويمكن للقارئ ان يوسع معلوماته عن هذه المنطقة وتقنياتها بالرجوع الى مكتبه مالوان في المجلدات ٣، ٤، ٩ من مجلة Iraq

(٣٠) L.Loyd, S. Some Ancient Sites in the Sinjar district,

Iraq, 5 (1938), pp. 123 - 143.

(٣١) Reitlinger, G. Medieval Antiquities west of

Mosul, Iraq, 5 (1938), pp. 143 - 156.

(٣٢) Poidebard, P.A., La trace de Rome dans Le desert

de Syrie, Paris, 1934, 2 vols.

(٣٣) Stein, M.A., The Ancient trade Route post Hatra

and its Roman posts, Journal of the Royal Asiatic Society, part 4, 1941, pp. 299 - 316.

(٣٤) Oates, D. and J., The Rise of Civilization Lon-

don, 1976, p. 53.

وانظر ايضا: Abu Al-soof, Uruk Pottery, Mosul 1985, p. 65.

(٣٥) طه باقر وفؤاد سفر، المرشد الى مواطن الآثار والحضارة، الرحلة الثالثة، بغداد ١٩٦٦، ص ٣٨.

(٣٦) طه باقر وفؤاد سفر، المصدر السابق، ص ٣٧.

(٣٧) طه باقر وفؤاد سفر، المصدر السابق، الرحلة الرابعة ١٩٦٥، ص ١١.

(٣٨) طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، بغداد ١٩٧٣

الطبعة الثانية، ص ١٧٨.

(١٧) ولد في لندن عام ١٨٤٠ وكان مهتماً بالحفر على المدن، وقضى

وقتا طويلا في قسم الآشوريات بالمتحف البريطاني، وقد رعاه لرئيس لكفاته العلمية. وعرف عن سمته انه كان شديد الرغبة في قراءة الكتاب المقدس وكتب التاريخ ومؤلفات لابارد. انظر:

The World of Archaeology, p. 249

(١٨) كانت حصنة بريطانيا من بابل خلال حفرها عام ١٨٨١،

بعد ان أخذت الحكومة العثمانية حفاها قد بلغت اكثر من ٥٠٠,٠٠٠ قطعة أثرية. وبما كان القارئ تصور حجم المواد الأثرية المكتشفة والغنى الذي أصاب المتاحف الأوربية.

(١٩) جاسم محمد العدول، العراق في العصر الحميمي،

رسالة ماجستير مطبوعة على آلة كاتبة مقدمة الى جامعة بغداد عام ١٩٧٦، ص ٤٠١.

(٢٠) للمزيد من المعلومات عن كول فاي، انظر:

The World of Archaeology, p. 230.

(٢١) هنام ابو الصوف "دور التنقيبات الأثرية في الكشف عن

حضارة العراق القديم، حضارة العراق، ج ١، ١٩٨٥، ص ٦٧.

علمت ان أحد العمال المدعو احمد المظلك الفوز من

عشيرة الرمي كان من بين الذين عملوا في بعثة فالتر أندريه في

آشور لعشر سنوات على قيد الحياة فزته بمسكنه في قرية سديره

سقى يوم الخميس ٣٠ / ٤ / ١٩٨٧، وكان له من العمر

ما يزيد عن مائة وعشرين عاما، مازال يحمل ذكريات العمل

مع أندريه وساعده يوردان، ويذكر ان البعثة قد استخلفت

ما يزيد على خمسمائة عامل معظمهم من القرى المجاورة من

عشائر الجبور والدليم والبر عبيد والبدو، وكانت اجرة العامل

الذي ينقل التراب بالزناجيل الفارغة مجعدا واحدا لكل عشرة

ايام، كما يتقاضى الحفار مجعدين، وقد كان معظمهم من

الجبور، وكيس من الحنطة لكل عامل شهريا فضلا عن

الاكراميات التي تمنح لى الأعمال المرحبة، مما شجع العمال

لنقل عوائلهم واسكانهم بالقرب من الموقع. ويذكر هذا الرجل

الطاعن في السن ان الآثار المستخرجة كانت خاضعة الى رقابة

وتدقيق من قبل ممثلين عن الحكومة التركية، ويذكر منهم داود

جلبي وأحمد باشا، كما رافق هذا العامل فالتر أندريه وفريقه في

زياراتهم المتكررة لاطلال مدينة الحضر بواسطة الخيول.

(٢٢) أندريه بارو، المصدر السابق، ص ٦٣.

(٢٣) نشر السيد هنري فيلد قوائم بأسماء الكهوف والملاجئ الصخرية

التي قدمها مسؤولو الوحدات الادارية في المنطقة الشمالية الى

الآنسة كارود، ومعاونة الميجر ولسون المفتش الاداري في

الموصل، وعنوانه

Field, H., Caves and Rock shelters in Northern

Iraq, Florida, 1955.

وترجم هذا الكتاب الى اللغة العربية عبد الله امين آغا

وعنوانه: الكهوف والملاجئ الصخرية في شمال العراق، المصدر

عن مديرية الآثار العامة، ١٩٧٤ (طبع روني).

(٢٤) أندريه بارو، ص ٦٨.

Mousl, 1986.

(٤٨) نقتت الهيات الفنية في الحضر معبدن صغيرين أحدهما وهو المعبد الثاني عشر المخصص لعبادة الآلهة نير وذلك في عام ١٩٧٨، والثاني هو المعبد الثالث عشر المخصص لعبادة الآلهة نيرول.

(٤٩) باشرت جامعة الموصل بالحفر في هذه البوابة في ٢٠/٢/١٩٦٨.

(٥٠) عن اعمال التنقيب والصيانة في نغرد، انظر الكتاب الذي أصدرته دائرة الآثار، ضمن سلسلة المعالم الحضارية للسيد عبد الله أمين أغا وميسر سعيد العراقي.

(٥١) Abu AL- Soof, Short Sounding at Tell Qalini Agha, Sumer, T2 (1966), pp. 77- 82.

(٥٢) بإمكان القارئ الرجوع الى البحوث المنشورة عن التنقيبات في هذا الموقع في مجلة سومر، اما عن التحريات الحديثة. انظر: دوبي جورج، عبارات الألف السادس ق. م في العراق، اطروحة ماجستير مقدمة الى جامعة بغداد للحصول على شهادة الماجستير عام ١٩٨٦.

(٥٣) جابر خليل، تنقيبات الموسم الأول في تل عيسن بتكرت، سومر ١٩٨٠.

(٥٤) Jabir k. Ibrahim, op. cit., pp. 141 - 153.

(٥٥) بهنام ابراهيم، "مواطن الآثار في حوض دزكان والتنقيب في تل باحوسيان" سومر ٢٦، ١٩٧٠، ص ٩.

(٥٦) طاهر رفوفاد سفر، المرشد الى مواطن الآثار والحضارة. الرحلة السادسة، بغداد.

(٥٧) كريم توما يوسف، التنقيب في تل جببور، بحوث آثار حوض سد صدام وبحوث أخرى، موصل ١٩٨٧، ص ١٠- ٢٥.

(٥٨) كريم توما يوسف، المصدر السابق، ص ٤٨.

(٥٩) نجاة يونس محمد التوتري، التنقيب في تل بقاء (٣)، المصدر السابق، ص ٥٠- ٦١.

(٦٠) جابر خليل ابراهيم، "التحصينات العسكرية في العصر السلوقي والعصور اللاحقة التي سبقت الاسلام" موسوعة الجيش والسلاح، الجزء الثاني، بغداد ١٩٨٨ من الأشكال ١٨، ١٩، ص ٣٠٣- ٣٠٤.

وانظر ايضا: كريم توما يوسف، المصدر السابق، ص ٦٠- ٦٣.

(٦١) حكمت بشير الأسود، التنقيب في كرهول السفلى، المصدر السابق، ص ٦٤- ٧٠.

(٦٢) حكمت بشير الأسود، التنقيب في تل جيكان، المصدر السابق، ص ٧١- ٧٧.

(٦٣) عبد الله أمين أغا، المصدر السابق، ص ٨٢- ١٠٩.

(٦٤) مأون غانم حسين، التنقيب في تل شمو، المصدر السابق، ص ١٠٠- ١١٦.

(٦٥) انظر ايضا: التقارير الأولية المنشورة في الصفحات التالية من ذلك ١١٧- ١٢٩.

(٦٦) سالم يونس حسين، تنقيبات التل الشمالي في موقع مصيفته، المصدر السابق، ص ١٦١.

وتجدر الإشارة الى ان موضع يرذا بلكا كان حتى أواخر الخمسينات من هذا القرن يعد الموقع الوحيد في العراق الذي يعود الى العصر الحجري القديم الأدنى وعلى الرغم من توافر الأدلة على وجود مواقع أخرى من هذا العصر في جهات أخرى من العراق، ولاسيما براديه الغربية، إلا ان المكتشفات الأخيرة في منطقة التبجي على الفرات ورفان على دجلة تشير بوضوح الى ان في هاتين المنطقتين العديد من المواقع التي تعود الى هذا العصر.

حول هذا الموضوع، انظر للباحث: انماط الاستيطان في شمال العراق في عصور قبل التاريخ الذي تقدم الى مجلة سومر.

(٣٩) Braidwood, R. and Hawe, B., Prehistoric investigations in Iraqi kurdistan Chicago, 1960

وانظر ايضا: طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ١٩٧٣، الطبعة الثانية، ص ١٧٨- ١٩٨.

Braidwood, R., The Iraq - Jarmo Project, Sumer 10, 1954, p. 120.

(٤٠) Oates, D., Studies in the ancient history of Northern Iraq, London, 1968, p. 12.

(٤١) Merpert, N. and Munchaer, R, Early Agricultural Settlements in Northern Mesopotamia, Florida, 1972, p. 1

كما نشرت اللجنة تقاريرها الأولية عن تنقيباتها في يارم تبه في مجلة سومر، وبإمكان القارئ ان يرجع الأعداد التالية: ٢٥، ٢٧، ٢٩، ٣٢، ٣٤، ٣٦- ٣٧ و ٤٣.

(٤٢) Bader, N., Merpert, N., Munchaer, R., Soviet Expedition Survey in the Sinjar valley, Sumer, 37 (1980), pp. 60 - 63, Sumer, 43 (1984), pp. 32 - 53.

(٤٣) Kirkbride, D., Umm Dabaghiyah Preliminary Report on Early Ceramic Farming Settlement in marginal North Central Jazira, Iraq, 34 (1972), p. 3

وعن حيوان حمر الوحش، انظر:

Bokoni, S., The Fauna of Umm Dabaghiyah Iraq, 35 (1973), p.9.

(٤٤) بحوث آثار حوض سد صدام وبحوث أخرى، الموصل ١٩٨٧.

(٤٥) Lloyd, s. and Safar, F.

Tell Hassuna Excavations by the Iraqi government Directorate general of Antiquities in 1943 and 1944, Journal of Near Eastern Studies, vol. IV, (1945) pp. 255 - 289.

(٤٦) سين لويدي، آثار بلاد الرافدين من العصر الحجري القديم حتى الاحتلال الفارسي، ترجمة: سامي سعيد الأحمد، بغداد ١٩٨٠، ص ٨١- ٨٢.

(٤٧) عن مدينة الحضر وثائقها، انظر: فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى "الحضر مدينة الشمس" بغداد ١٩٧٤، وكذلك:

Jabir k. Ibrahim, Pre Islamic Settlement in Jazirah,

عامر سليمان ، الحرف العربي والكتابة المساهرة ، موصل ، ١٩٨٢ .

- (٧٠) د. عادل نجم عيو، تنقيتات جامعة الموصل في تل ابراهيم في حوض سد الموصل ، سوبر ٣٧ ، ١٩٨١ ، ص ٨١ - ١٠٠ .
(٧١) عادل نجم عيو، نتائج تنقيتات جامعة الموصل في مصيفه ، بحوث آثار حوض سد صدام ، موصل ١٩٨٧ ، ص ١٣٣ - ١٥٣ .

- (٦٧) جابر خليل ابراهيم ، النشاط الآثاري في العراق ١٩٦٨ - ١٩٨٥ ، العمل الحقل ، مجلة التربية والعلم ، العدد الخامس ١٩٨٧ ، ص ٧٧ - ٧٨ .
(٦٨) عامر سليمان ، نتائج حفريات جامعة الموصل في أسوار نينوى ، مجلة آداب الرافدين ، العدد الأول ١٩٧١ ، ص ٤٥ - ٤٧ ، والعدد الثاني ١٩٧١ ، ص ٦٥ .
(٦٩) عامر سليمان ، اكتشاف مدينة تريبص الاشورية ، آداب الرافدين ، العدد الاول ، ايلول ١٩٧١ .

الآثار الباقية

أ.د. عامر سليمان

لواءها العراقيون الاوائل من سومريين واكديين وبابلين ، ولم يقتصر دور الآشوريين على المحافظة على هذه الحضارة وتطورها وازادتها عناصر جديدة اليها بل انهم حملوا لواءها الى خارج حدود بلاد بابل واشور الاعتيادية ، فاقبست منها الاقوام المجاورة عناصر كثيرة وتأثرت بها تأثيراً كبيراً لا يخفى على اي متفحص لحضارة الاقوام والبلدان المجاورة والبعيدة التي اتصل بها الآشوريون في وقت السلم والحرب . وان كانت الفصول السابقة قد تطرقت الى بعض جوانب القوة والنفوذ السياسي والعسكري الذي اتسمت به الدول والممالك التي قامت في المنطقة منذ فجر التاريخ وحتى قيام الدولة العربية الاسلامية وما حققته من منجزات حضارية رائعة ، فقد خصص هذا الفصل للحديث ، وبشكل موجز جداً تلمية المساحة المخصصة له ، عن اهم الآثار الباقية من العصور القديمة والتي تشهد على وتؤكد صحة ودقة ماورد من معلومات في الفصول السابقة . فالكتشفات الاثرية التي اظهرتها التنقيتات الحديثة في المواقع الاثرية المختلفة هي مصدرنا الاول والاساس في رسم الصورة التقريبية التي قدمناها عن تاريخ المنطقة . وان كان هناك

تؤكد الفصول الاولى من هذا الباب أن اهمية منطقة الموصل السياسية والحضارية لا تقتصر على العصور العربية الاسلامية والحديثة بل تمتد بمجذورها الى ابعد العصور التاريخية المعروفة وتتجاوزها الى عصور ما قبل التاريخ ، والمتتبع لتاريخ المنطقة عبر العصور لانفتوته ملاحظة ذلك وهو يقرأ عن اولى مستوطنات الانسان الزراعية واولى محاولات في انتاج القوت والاستقرار التي كانت في هذا الجزء من العراق . فليس بعيداً من الموصل أن تقع قرية حسونة والاريجية وياربم تبه اضافة الى نينوى نفسها وكلها من القرى الزراعية الاولى كما سبقت الاشارة الى ذلك في فصل سابق . وفي العصور التاريخية التالية تشمخ المنطقة التي عرفت في التاريخ القديم باسم بلاد آشور بقيام اقوى واهم الامبراطوريات التي عرفها التاريخ القديم تلك هي الامبراطوريات الاشورية الاولى والثانية ، وقد كان لهاتين الامبراطوريتين تأثيرات سياسية وعسكرية واضحة على منطقة الشرق الادنى القديمة قاطبة . ومن الناحية الحضارية نمت وازدهرت في المنطقة حضارة عريقة اصيلة هي امتداد طبيعي للحضارة العراقية القديمة الاصيلية التي وضع اسسها وحمل

بعض الثغرات والنقاط الغامضة . فأننا نأمل ان تسدّها وتضيئها التنقيبات المستمرة التي ما انفكت تمدنا بالمزيد من المعلومات عن تاريخ المنطقة وتراثها . ولما للتنقيبات الاثرية من اهمية في الكشف عن تاريخنا القديم فقد خصص المبحث الاول من هذا الفصل لبيان الجهود التي بذلت وتبذل في هذا المجال في حين مستناول في هذا المبحث ايجازي يصف اهم الآثار الباقية مما لم تتطرق اليه الفصول السابقة الا لآشارة مقتضية .

تعد منطقة الموصل من اهم المناطق العراقية من حيث عدد المدن والقرى والمواقع الاثرية المنتشرة في مختلف ارجائها . فقد اشارت المسوحات الانثارية الى وجود المئات من المدن والمواقع الاثرية في اطراف الموصل مما يؤكد اهمية المنطقة التاريخية ويفصح عن تاريخها الموهل في القدم . ومن هذه المواقع ماثم التنقيب فيه والكشف عن آثاره وبقاياه، ومنها ما ينتظر الفرصة المناسبة والوقت الملائم للكشف عما بداخله من آثار ومنها ، وللأسف الشديد ما استغمره مياه مشاريع الري الكبرى من قبل ان تجري فيه تنقيبات كاملة . ومن المواقع التي تم التنقيب فيها ما يرقى بتاريخه الى عصور ما قبل التاريخ ، كموقع حسونة والاربيجية وتبه كورا ويارم تبه ، ومنها ما يضم اثار مدن كبرى كانت في العصور التاريخية القديمة مراكز اشعاع حضاري مهمة كمدينة اشور ونمرود (كلخو) وخرصباد (دور-شروكين) والحضر، ومنها ما تابعت فيه السكنى من اقدم العصور التاريخية وحتى الان ، كمدينة نينوى نفسها . اما الآثار المكتشفة في هذه المدن والمواقع فهي الأخرى كثيرة ومتنوعة وهي تشكل حالياً اهم واروع ما تمتلكه المتاحف العالمية الشهيرة من آثار واكثر ما تزهو وتفخر بامتلاكه كالمتحف البريطاني في لندن ومتحف اللوفر في باريس ومتحف برلين في ألمانيا الشرقية والمتحف العراقي في بغداد والمتحف الحضاري في الموصل وغيرها من المتاحف العالمية

فضلا عن المتاحف المحلية في عدد من المدن الاثرية كمتحف نينوى ومتحف اشور وغيرها . وتعد المدن الآشورية المكتشفة ومدينة الحضر العربية من اهم المدن القديمة المكتشفة في العراق الى جانب مدينة بابل من الناحية التاريخية ولضخامة وفخامة ابنتها وكثرة آثارها . وقد كشفت التنقيبات التي اجريت فيها منذ اواسط القرن الماضي وحتى الآن العديد من القصور والمعابد والزقورات والاسوار والبوابات والابنية العامة المختلفة ودور السكن التي تعكس جانباً مهماً من جوانب الحياة العامة والخاصة وتفصح عن حضارة تلك العصور ومدى تقدمها في المجالات كافة . كما تم الكشف في هذه المدن وغيرها من المواقع الآشورية داخل العراق وخارجه عن الالاف من القطع الفنية الرائعة من تماثيل آدمية وثيران ومخلوقات خرافية مجنحة كانت تزين مداخل القصور والمدن ، ومسلات ونصب تذكارية مختلفة الاشكال والاحجام ولوحات منحوتة تحتاً بارزاً ، وملونة احياناً بألوان زاهية مازال بعضها يحفظ بتلك الألوان ، كانت تغلف جدران القصور والمعابد وتزيدها روعة وبهاء وتنقل مشاهد مختلفة من حياة الملك وهو على رأس جيشه او في بلاطه او في اثناء لوه في صيد الحيوانات المفترسة او في اوقات قيامه بالطقوس الدينية ، فضلاً عن المشاهد الحربية الرائعة التي تمثل لنا بأسلوب مسلسل المراحل التي مرت بها بعض المعارك العسكرية وخاضها الجيش الآشوري حتى لحظة تحقيق الانتصار الحاسم بالقضاء على الاعداء والمتمردين . كما ان هناك القطع العاجية والفخاريات والالات والادوات والاسلحة المصنوعة من المعادن والاحجار او الفخار ، ومن الآثار المهمة الباقية بقايا مشاريع ري قديمة لازال تحكي لنا قصة الانسان وصراعه مع الطبيعة لتوفير المياه . يضاف الى كل هذه الآثار عشرات الالاف من النصوص المسارية التي دون معظمها على الواح من الطين ذات اشكال واحجام

مختلفة تسمى عادة بالرقم الطينية، ومن النصوص ما هو مدون على اسطوانات او مواشير فخارية كانت توضع في اسس الابنية المهمة كالقصور والمعابد والاسوار، ومنها ما دون على المسلات والنصب والتماثيل واللوحات التي كانت تغلف جدران القصور، وحيانا ارضيات بعض قاعاته واجنحته الخاصة. كما نقش بعض النصوص على الاجر الذي استخدم للبناء وعلى الاواني المصنوعة من الحجر والمعدن والفخار وربما استخدمت مواد اخرى سريعة التلف للتدوين عليها، كالواح الخشب التي كانت تغطي بطبقة من الشمع لتيسير عملية طبع العلامات المسهارة، وجلود الحيوانات والمنسوجات وغيرها. وقد امدتنا هذه النصوص بتفاصيل دقيقة عن تاريخ المنطقة وعكست لنا التقدم العلمي والثقافي الذي حققه العراقيون القدماء بصورة عامة. واذا كانت معظم هذه الآثار قد أخذت ونقلت من قبل البعثات الأجنبية وبشكل غير مشروع الى خارج الوطن، وهو امر مؤسف حقاً، فإن تلك الآثار قامت وتقوم بدور السفراء لحضارتنا الاصلية في مختلف ارجاء العالم، تحكي لكل من يشاهدها قصة الحضارة التي كانت الاساس الذي قامت عليه بقية الحضارات وقصة الانسان الذي انجز تلك الحضارة مما يبعث في نفوسنا الفخر والاعتزاز بماضيها المزهرة ويقوي من عزائمنا لتحقيق مستقبل مشرق.

وقد يتساءل المرء بعد هذا العرض السريع لآثار المنطقة عن سبب كثرة المخلفات المادية التي تم الكشف عنها حتى الان في بلاد اشور مقارنة بغيرها من المناطق في العراق، كمناطق البصرة او الحلة او حتى بغداد، ولعل في مقدمة الاسباب التي يمكن التعرف عليها هي طبيعة المنطقة الجغرافية وطبيعة تربتها وموادها الخام. فعظم بلاد اشور تقع فوق مستوى سطح مياه الانهار بل ان ضفاف دجلة

بصورة خاصة ترتفع عن مستوى المياه ارتفاعاً يجعل المدن والقرى والمستوطنات التي اقيمت عليها عبر العصور في مأمن من خطر الفيضانات وفي مأمن من ارتفاع منسوب المياه الجوفية وقد ساعد ذلك على بقاء تلك المدن والقرى لفترات زمنية اطول من تلك في القسم الجنوبي من العراق وحافظ على ما فيها من آثار من تدمير وتخريب الفيضانات المتكررة التي قاس منها سكان بلاد بابل.

كما ان طبيعة تربة بلاد اشور هي الاخرى تختلف كثيراً عن تربة بلاد بابل الرسوبية، التي كان لها تأثيرات سلبية واضحة على ماتطن بداخلها من مخلفات لاسبما العضوية منها، فترية بلاد آشور اكثر جفافاً، ومن بعد فهي اكثر محافظة على المخلفات المادية. اما المواد الانشائية المتوافرة في المنطقة فقد ساهمت مساهمة فعالة في بقاء الابنية العامة كالقصور والمعابد، والاسوار والبوابات او بقاء اجزاء منها على اقل تقدير لفترات طويلة دون ان تتأثر بعوامل التعرية الطبيعية، فقد استخدم الحجر الصلب (الصخر) او الرخام (المرمر) المتوافر بكثرة في مناطق كثيرة من بلاد آشور لبناء الاسوار وتغليف جدران القصور والمعابد ورصف ارضيات القاعات والغرف والساحات، كما استخدم الآجر المفخور لبناء بعض اجزاء الابنية الضخمة ورصف الساحات والقاعات وحتى الشوارع، كما استخدم القار لطلاء الاجزاء السفلى من الجدران، وكل هذه المواد من المواد التي يمكن ان تقاوم تقلبات المناخ وتقاوم عوامل التعرية وتبقى لآلاف من السنين دون ان تتأثر او تبلى، وقد تهدم الاسوار والابنية ولكنها تبقى محافظة على تخطيطها واسسها واجزاء من جدرانها كما يمكن ملاحظة ذلك جلياً في اسوار نينوى ومدينة الحضر وبقايا القصور والاسوار في نمرود وغيرها. ومع ذلك فقد استخدم اللبن المجفف بالشمس على نطاق واسع في بناء القصور والمعابد والبيوت لانه يمثل اقل المواد الانشائية كلفة واكثرها انتشاراً وكان لذلك

وبالباشرين في دراسة تلك الآثار والبحث عن المزيد منها كما سبق واشير الى ذلك في الصفحات السابقة.

ولكثره المدن والمواقع الاثرية التي تم التنقيب فيها والكشف عن اثارها في منطقة الموصل فقد تم انتخاب عدد محدود من المدن والمواقع المهمة فقط محيلين القارئ للاطلاع على المزيد منها على كتب وبحوث هيئات التنقيب الاجنبية والعراقية التي عملت في المنطقة. اما بالنسبة للآثار المكتشفة فقد اشير الى المهم منها ايضا وبصورة عامة وموجزة آملي ان يكون ذلك منسجماً وطبيعية هذا البحث. وحيث ان مواقع عصور قبل التاريخ، كموقع حسونة والاربعية وبارم تبه، قد تمت الاشارة اليها في الفصول الاولى وكذلك بالنسبة للآثار المكتشفة من تلك العصور، فقد تركز الحديث عن المدن والمواقع والآثار الى ترقى الى العصور التاريخية وحتى بدايات العصر العربي الاسلامي مبتدئين باهم تلك المدن والمواقع وهي العواصم الآشورية.

نينوى

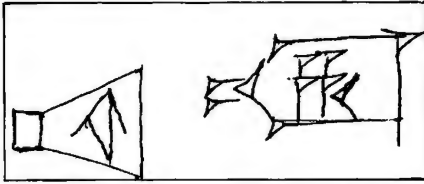
احدى اشهر مدن العالم القديم وثالث العواصم الآشورية من حيث التسلسل الزمني، كان تأثيرها في العالم القديم عامة والعراق بوجه خاص كبيراً جداً. ذكرتها الكتب القديمة، ومنها كتاب العهد القديم، بانها "المدينة العظيمة" (سفر يونان، الاصحاح ١ - ٤) وتحدث عنها المؤرخون والبلدانيون العرب، ومنهم ابن حوقل من القرن الرابع الهجري حيث قال بأن "آثارها بيّنة واحوالها ظاهرة وسورها مشاهد"^(١) وذكرها الرحالة الاوربيون الذين زاروا الشرق منذ القرن الثاني عشر الميلادي فقال عنها بنيامين التطيلي (١١٦٥ - ١١٧٣ م) بانها "اطلال دارة تكثر حولها القرى والضياع على نهر دجلة" كما ذكرها بترودولافيا (١٦١٦ - ١٦٢٥ م). وكانت تلك الاشارات وغيرها من اسباب

سلبات كثيرة وخاصة عندما بدأ الهواة والمغامرون من الاجانب بالتنقيب في المدن والمواقع القديمة حيث لم يميزوا بين جدران اللين ورقم الطين والترية الاعتيادية فضاغ كثير من الجدران والرقم في اثناء حفر الخنادق والاتفاق وضاعت معها معلومات كثيرة. الى جانب كل ذلك، فان وفرة الرخام وحجر الحلال في المنطقة وسهولة الحصول عليه من القالع القريبة من المدن وامكانية نقله بوساطة وسائل النقل النهرية، ولاسيما الاكلاك، كل ذلك قد شجع الملوك والحكام على تزيين قصورهم بالتماثيل والمسلات وتغليف الجدران والارضيات بالمنحوتات وزاد في رغبة الملوك الشخصية في تحليد انتصاراتهم ومنجزاتهم والاعلان عنها للناس بوسائل الاعلام المنتشرة انذاك، وهي المنحوتات والمسلات والنصب، كما دفعهم الى زيادة تحصين مدنها وقلاعهم بالاسوار والابراج لتبقى وعلى مر الزمن تحكي للاجيال التالية ما حققه الاسلاف، وهذا ما يشير اليه اكثر من نص مساري اشوري كالنص الآتي المقتبس من احدى كتابات سنحاريب (٧٠٤ - ٦٩٠ ق. م) التذكارية.

"عملت مسلة تذكارية ودونت عليها السلطة والقوة التي فرضتها على جميع الاعداء بمساعدة الاله اشور السيد العظيم، سيدي مع كل عمل قت بانجازه وتركته للايام المقبلة في اسس قصري الملكي".

ولقد كان لاكتشاف المدن والآثار الآشورية على اختلافها صدى كبير في جميع الاوساط العالمية العلمية والثقافية والدينية الى درجة انها سمّت دراسة النصوص المسماة وقراءتها بعلم الآشوريات Assyriology نسبة الى بلاد آشور. وكانت الآثار الآشورية من منحوتات وتماثيل ومسلات ورقم هي اول الآثار العراقية التي وصلت الى متاحف العالم ولاسيما المتحف البريطاني في لندن ومتحف اللوفر في باريس فزاد ذلك من اهتمام المؤسسات العلمية

الابيض المتوسط واسيا الصغرى ، وقد حافظت المنطقة على ازدهار مدينة الموصل على مر العصور. واسم نينوى اسم قديم يكتنف اصوله كثير من الغموض ، وهناك اسم مماثل له ورد في النصوص المسارية واشير به الى احدى مقاطعات مدينة لجش السومرية التي ترقى بتاريخها الى النصف الاول من الالف الثالث قبل الميلاد كتب على هيئة نينا آ Ninna - a ويرتبط هذا الاسم باسم الالهة السومرية نينّا. ومن الطريف ان نذكر ان اسم نينوى ورد في الكتابات المسارية مكتوباً بعلامة مسارية مركبة من علامتين ربما تعني الاولى منها ، موطن ، او مسكن ، في حين تعني الثانية المكتوبة في وسط الاولى ، سمكة او حوت نينّو ninnu وكالآتي :



الشكل المظفور ١ الشكل الصوري

كما ان لفظ اسم المدينة على هيئة نينّوا Ninna a يمكن ان يفسر على ان القسم الاول منه ، وهو نينّو ، يعنى حوت او سمكة في اللغة الاكدية والمقابلة للكلمة العربية «نون» في حين يمثل الجزء الاخير منه ، وهو حرف العلة ، حرف الجر باللغة السومرية بمعنى «في» ومعروف ان اللغتين السومرية والاكدية عاشتا جنباً الى جنب واستخدمت كل منهما اساليب الاخرى واقتبست منها الشيء الكثير. وفي العهد القديم ، سفريونان ، اشير الى ان يونان ، وهو صاحب الحوت (ذو النون) ، كان قد ارسل الى مدينة نينوى ، المدينة العظيمة .

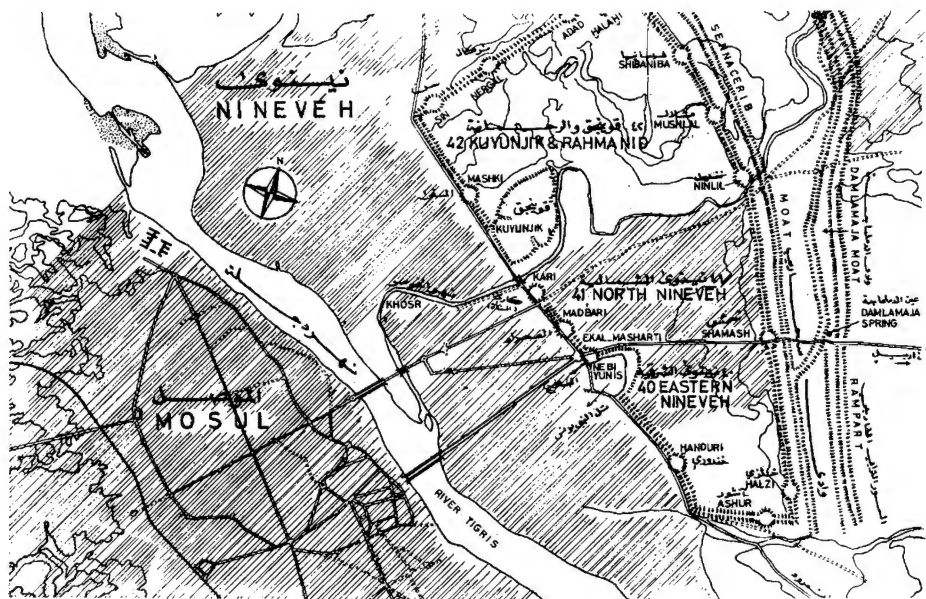
تتكون اطلال نينوى في الوقت الحاضر من تلين رئيسين هما تل النبي يونس (٥) وتل قوينجق (٦) ،

تحفيز الغرب للاهتمام بآثارها وبقاياها . وما ان حل القرن التاسع عشر حتى بدأ هواة جمع الاثار والكنوز القديمة يتوافدون الى المنطقة للبحث عن الكنوز المدفونة ، وكانت نينوى مسرحاً لعمليات التنقيب والحفر من قبل المتقنين هواة من الانكليز وغيرهم ، وكشف نتيجة ذلك عن آثار كثيرة ومبان واسعة زادت من اهتمام الهيئات والمؤسسات العلمية الاجنبية والعراقية حتى يومنا هذا ، وكتب عن المدينة وبقاياها واثارها المكتشفة العديد من الكتب والبحوث واحتلت مكان الصدارة بين مدن العراق القديمة حتى فاقَت شهرتها في الوقت الحاضر ما كانت تتمتع به من شهرة في التاريخ القديم (٧) .

تقع نينوى على الجانب الشرقي من نهر دجلة قبالة مدينة الموصل القديمة ، وكانت في الازمنة القديمة تطل على شاطئ النهر ، لذا اطلق على أحد ابوابها وهو من الابواب المكتشفة اسم باب المسقى ، وشيد السور المحاذي لها على شكل مسناة لمقاومة تيار الماء ، الا ان تغير مجرى النهر المستمر ابعدها عن شاطئها بمسافة تزيد عن كيلومتر في الوقت الحاضر. ويخترق نينوى حالياً نهر الخوصر (الخوسر في المصادر المسارية) من جهتها الشرقية ماراً بمحاذاة تل قوينجق من ناحية الجنوب ليصب في نهر دجلة بعد خروجه من نينوى ، وهو كذلك قد غير مجراه القديم. وللتوسع العمراني الكبير الذي شهدته مدينة الموصل في قسميها الواقعين على شاطئ النهر ، فقد طوقت الابنية الحديثة مدينة نينوى وامتد البناء الى داخلها ايضاً على الرغم من محاولات دائرة الاثار والتراث المستمرة منع ذلك ، وغدت نينوى الاشورية باسوارها واثارها جزءاً من مدينة الموصل الحالية . وكان لموقع نينوى في العصور القديمة اهمية تجارية وسترراتيجية كبيرة حيث انها تتوسط بلاد اشور وتقع عند ملتقى الطرق التجارية التي تصل بلاد بابل ببلاد الشام وسواحل البحر

وكانت اعمال المنقبين الاوائل مقصورة على تل
قوينجق باستثناء بعض الانفاق الجانبية في تل النبي
يونس وذلك بسبب وجود مرقد وجامع النبي يونس
على التل ووجود مقبرة حديثة واسعة على اقسامه
الشرقية ووجود دور سكنية كثيرة حول الجامع لا يزال
معظمها قائماً حتى الان. وتعمل دائرة الآثار والتراث
جاهدة على استملاك هذه الدور كما انها منعت
استخدام المقبرة تمهيداً لفسح المجال امام المنقبين
للعمل فيها والكشف عن القصور والمعابد المطمورة
تحتها.

ييطان داخلها بقايا القصور والمعابد الآشورية
وغيرها من المباني العامة، ويحيط بالتلين سلسلة
من التلال قليلة الارتفاع نسبياً طولها اثنا عشر
كيلومتر تقريباً تؤلف شكل شبه منحرف اقصر
اضلاعه في الجنوب واطولها في الشرق، تغطي
بقايا سور المدينة ويتخلل تلك الاسوار انخفاضات
وارتفاعات واضحة تشير الى اماكن بوابات المدينة
الخمس عشرة. وبموازاة الضلع الشرقي من الخارج
هناك اثار خندق كبير كان قد حفره الآشوريون
ليكون خطاً دفاعياً ضد الغزاة القادمين من جهة



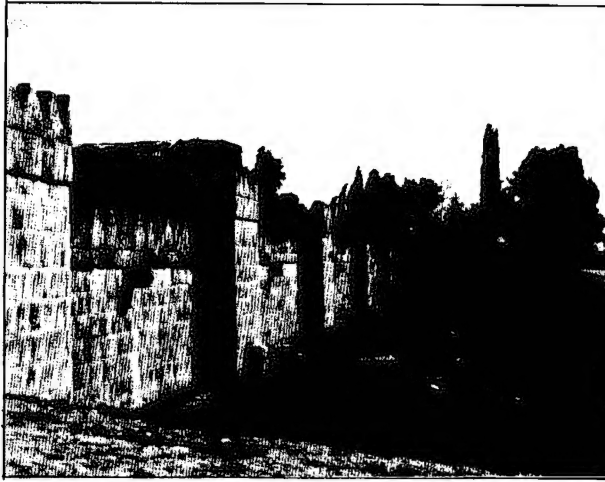
تشير التحريات الاثرية التي تمت في المدينة الى
ان الموقع كان من قرى عصور قبل التاريخ في
الالفين الخامس والرابع قبل الميلاد، فقد عثر على
اثارتلك العصور، ومنها الفخاريات الكثيرة، في
الطبقات السفلى من نينوى كما تشير التنقيبات الى
استمرار السكن في المدينة في الادوار التالية، كما
اشير الى ذلك في فصل سابق. وعثر في المدينة على
آثار تعود الى العصر الاكدي وعصر سلالة اور الثالثة

الشرق وكدسوا الاثرية على الجانب الشرقي من
الخندق على هيئة حائل ترابي ضخمة لازالت بقاءه
ظاهرة حتى الان على جانبي الطريق الحديث المؤدي
الى مدينة الزهور الحديثة. وبين التلين الرئيسين
وسلسلة التلال المحيطة بها مساحات واسعة من
الاراضي المنبسطة التي كانت تتوزع فيها الدور
السكنية وبعض الابنية العامة اضافة الى الساحات
والحدائق العامة والشوارع.

فيها من منحوتات وتماثيل ومسلات ولقي اثرية اخرى كثيرة، كما كشف عن مكتبة اشور بانيبال الرائعة في بعض اجنحة قصره وقصر والده، وقد ضمت المكتبة اكثر من خمسة وعشرين الف رقم طيني فكانت بذلك من اروع ماتم الكشف عنه من اثار^(٧). وعلى الرغم من هذه المكتشفات الرائعة فان بعثات التنقيب تركت المدينة لعوامل الطبيعة القاسية وعبث العابثين بعد ان سلبتها اثارها وكنوزها، فانهارت الاتربة على القصور والمعابد المستظهرة فاندثرت ثانية حتى غدا من الصعب معرفة اماكنها دون الاستعانة ببعض الخرائط والمخططات التي رسمها المتقبون الاوائل.

وتؤيد التنقيبات التي اجرتها دائرة الاثار وجامعة الموصل صحة ذلك حيث تبين بأن طول السور الذي يحيط المدينة يبلغ حوالي اثني عشر كيلومتراً وان السور مؤلف من قسمين رئيسيين شيد القسم الاول منها بالبلن في حين يكوّن القسم الثاني غلافاً

(النصف الثاني من الالف الثالث قبل الميلاد) ومن بين الآثار المهمة من العصر الاكدي رأس بالحجم الطبيعي مصنوع من البرونز للملك اكدي يظن انه سرجون او حفيده نرام - سين. وبرزت مدينة نينوى واحتلت مكانة خاصة منذ ان اتخذها الملك تيجلا تليزر الاول (١١١٥ - ١٠٧٧ ق. م) عاصمة للملكه ووصلت المدينة قمة مجدها وازدهارها في عهد الامبراطورية الاشورية الثانية ولاسيما في عهد الملك سنحاريب (٧٠٥ - ٦٨١ ق. م) وابنه اسرحدون وحفيده اشور بانيبال. وتعود معظم الابنية والآثار المكتشفة في المدينة الى عهود هؤلاء الملوك الثلاثة. وكانت نهاية نينوى السياسية عام ٦١٢ ق. م. على ايدي الجيوش الميديّة - والكلدية، غير انها ظلت بلدة بسيطة في الفترات التالية لاسيما في فترة الاحتلال الفرقي كما أشير الى ذلك في حينه، وكان من نتائج التنقيبات التي اجريت في المدينة ان تم الكشف عن معظم القصور والمعابد الاشورية بما



جزء من سور نينوى الغربي وبوابة المسقى بعد الصيانة

بلغ ارتفاع هذه الابراج في بوابة ادد ١٧,١٠ متراً عن مستوى الارض المجاورة المرتفعة بطبيعتها عن مستوى الاراضي القريبة وهكذا كانت هذه الابراج تؤلف خطاً دفاعياً اضافياً يحمي المدينة من الاعداء المهاجمين.

وفي الاربعينيات من هذا القرن عملت مديرية الآثار القديمة انذاك على اعادة بناء بوابة نرجال في الضلع الشمالي من السور، وفق مخطط تخيلي وضعه بعض المتقنين الاوائل لابواب المدن الاشورية والبابلية، وذلك على جانبي الثورين المنحنيين المكتشفين على جانبي الباب، ولا تزال هذه البوابة على الرغم من عدم مطابقتها لتصميم الباب الاصلي من المعالم السياحية المهمة في المدينة وبصورة خاصة بعد ان اقيم داخل قاعاتها متحف صغير. وفي الستينيات قررت دائرة الآثار توجيه اهتمامها للكشف عن القصور والمعابد التي كان المتقنون الاوائل قد كشفوا عنها ثم عادت وانطمرت تحت الاتربة وكذلك الكشف عن بوابات المدينة، وشكلت لذلك هيئة متخصصة دائمة اتخذت لها مقراً داخل مدينة نينوى نفسها، وقد تم الكشف حتى الان عن قصر سنحاريب وتمت صيانة بعض اجزائه كما كشف عن بوابة شماش وبوابة المسقى واعيدت صيانة اجزاء مهمة منها، وبوابة سين كما ساهمت جامعة الموصل مساهمة فعالة في الكشف عن بوابة ادد في الضلع الشمالي من المدينة المقابل لابنية جامعة الموصل الحديثة وتمت صيانة اجزاء مهمة منها ومن السور المحيط بها، وتعد ادد اكمل بوابة مكتشفة حتى الآن حيث مازالت بقايا الاقواس التي كانت تعلو البوابة قائمة تقارع الزمن.

تؤكد نتائج التنقيبات التي اجريت في نينوى صحة ما ورد في النصوص القديمة، المسارية وغيرها، عن عظمة المدينة وفخامة ابنتها واسوارها وبواباتها. فقد ذكر سنحاريب، مثلاً، في احد

حجراً من الخارج شيد بالحجر المهندم. اما الغلاف الحجري، فيبلغ سمكه ثلاثة امتار ونصف المتر تقريباً وقد تم بناؤه بقطع ضخمة من الصخر (الخلآن) الموجود في المنطقة بالاسلوب نفسه الذي اتبع في مدينة الموصل، ولا يزال يتبع احياناً في بناء الدور الفخمة ويعرف بالبازي. ويرتفع السور الى ما يقرب من سبعة امتار ويعلوه صف من الحجارة المسننة التي تأخذ شكل المثلث تقريباً اعدت لحماية الجند المدافعين والسماح لهم، في الوقت نفسه، النظر من خلال اسنان الحجارة الى الاعداء وتوجيه السهام والقذائف لهم، ويتخلل الغلاف الحجري ابراج تبرز عن الجدار قليلاً وترتفع عنه، وهي مفتوحة الى الداخل وتعلوها حجارة مسننة ايضاً ويرق اليها من الداخل بدرجين وقد شيدت هذه الابراج لتسهيل مهمة المدافعين من توجيه سهامهم وقذائفهم على الاعداء. وقد تبين ان بعض اجزاء الضلع الغربي قد تم بناؤه على هيئة مسننة لوقوعه على شاطئ النهر^(٩).

اما القسم الثاني من السور، فقد استخدم في بنائه اللبن المجفف بالشمس ويبلغ سمك هذا الجزء من السور في اضيق منطقة فيه ما يزيد عن خمسة عشر متراً ويصل العرض الى اكثر من اربعين متراً احياناً. اما ارتفاعه فلا يمكن تحديده بشكل دقيق وذلك لعدم بقاء اي جزء منه على هيئته الكاملة كما لم يكشف بعد عن منحدر او درج كامل يؤدي الى اعلى السور يمكن بواسطته احتساب الارتفاع. ويتنصق سور اللبن بالغلاف الحجري الا في الجزء العلوي من الغلاف حيث يفضل بينها ممر ضيق يبلغ عرضه ثلاثة امتار اعد لسير الجند والعربات الصغيرة. ويتخلل سور اللبن ابراج اخرى ضخمة شيدت باللبن ايضاً ترتفع عن مستوى سطح السور ارتفاعاً كبيراً ربما كان يوازي ارتفاع الابراج المحيطة بالوابات والتي اقيمت فوق قاعات الحرس، وقد



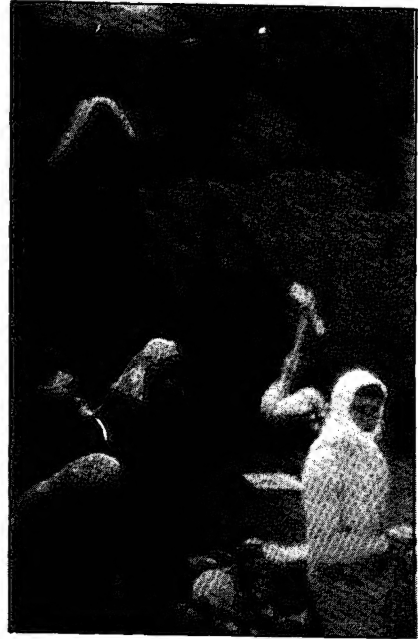
صورة لبوابة شمس بعد الصيانة .

وقد تم الكشف عن سبع بوابات حتى الان وتمت صيانة بعضها ، وتبين أن مخطط البوابات يختلف من واحدة الى اخرى وذلك لاختلاف مواقعها واستخداماتها ، فهناك بوابة نرجال في وسط الضلع الشمالي المقابل لمعبد نرجال في مدينة تريبص الملكية اعدت لخروج ودخول المواكب الملكية ، لذلك زينت بالثيران المجنحة الضخمة ورصف المدخل والشارع المؤدي اليها من الخارج بالحجر المهندم ، وامتد الشارع الى خارج المدينة وربما كان يصل الى مدينة تريبص نفسها الواقعة على بعد بضعة كيلومترات منها . اما بوابة المسق في الضلع الغربي فقد شيد جزء من السور المحيط بها على هيئة مسناة لوقوعها انذاك على شاطئ النهر في حين بالغ سنحارب في تحصين بوابة شماش الواقعة في الضلع الشرقي مقابل الطريق المؤدي الى اربيل (اربائيلو) والمنطقة الجبلية لاهمية المنطقة وضرورة تحصين المدينة ضد الهجمات المتوقعة من جهة الشرق^(٩) .

اما ابنية المدينة الرئيسية من قصور ومعابد فقد شيدت في منطقتين رئيسيتين تؤلفان حالياً تل النبي يونس وتل قوينجق، في حين انتشرت الدور السكنية

نصوصه المسارية بأنه احاط المدينة بسور كبير طوله ٢١٨١٥ شكّم كبير (والشكّم وحدة قياس للمسافات) وشيد السور على مصطبة ضخمة من الحجر فجعله بحق "السور الذي اغرقت عظمته الاعداء" وجعل سمك السور ٤٠ لبّت (الي لبنة) وارتفاعه ١٨٠ تبكاً (وحدة قياس اشورية اخرى) كما جعل للسور ثمانية عشر بوابة للدخول والخروج واطلق على بعضها اسماء الالهة الاشورية في حين اطلق على بعضها الاخر تسميات جغرافية .

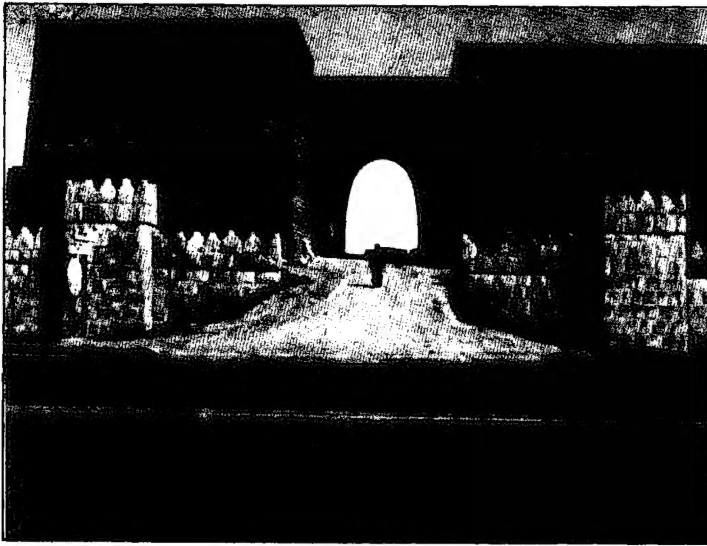
اما بوابات المدينة فقد ذكرت النصوص المسارية ، واكدته التحريات الاثرية ، أن سنحارب شيد ثمانية عشر بوابة موزعة على اطراف المدينة



بقايا القوس الذي يعلو بوابة ادد

”ووسعت مساحة نينوى، مدينة ملكي،
وسعت مساحتها وجعلت شوارعها وطرقها مضيئة
كالنهار“^(١٠)
ويضم تل قوينجق داخله عدداً كبيراً
من القصور والمعابد الآشورية وهو تل ضخم يطل
على نهر الخوصر حالياً يبلغ طوله كيلومتر واحد
وعرضه نصف كيلومتر وشكله العام شبه بيضوي
وترتفع اعلى نقطة فيه عن مستوى سطح البحر
٢٥١ متراً. ومن القصور المهمة التي يضمها التل

الخاصة في الساحات المحيطة بهذين التلين والتي
تصل الى حدود السور. كما اقيمت الحدائق العامة
والساحات وشقت الشوارع الملكية والعامة في هذه
المساحات الواسعة وفي جهة من جهات المدينة
الشمالية كانت هناك بحيرة واسعة جمع فيها الملوك
مختلف انواع الحيوانات المائية. ويشير سنحاريب
في احد نصوصه الملكية الى الاعمال الكثيرة التي
اضطلع بها في نينوى فيقول:



بوابة المسق

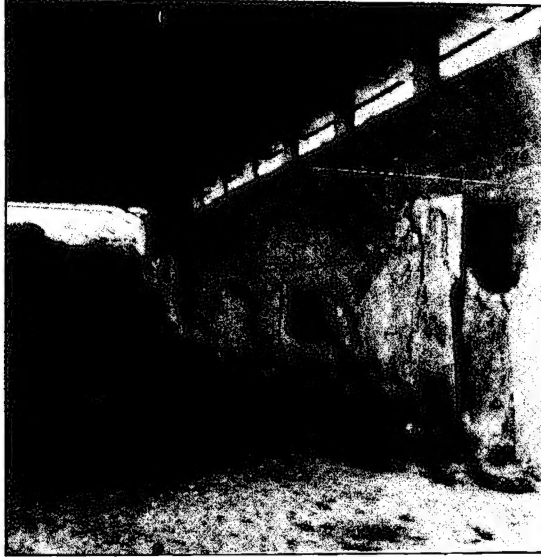
قصر سنحاريب الفخم الذي سماه «بالقصر
الذي لا مثيل له» ويقع القصر في القسم الجنوبي
من التل وقد شيدت جدرانها السميكة باللبن
وغلفت من الداخل بالمنحوتات البارزة التي نحتت
بمعاهد حياتية مختلفة. وترتفع المنحوتات، ومنها
الملونة، الى ثلاثة امتار من الجدران الداخلية
وبعلوها زخارف جصية ملونة مكتملة للمنحوتات.
وقد امكن رسم صورة تقريبية للقصر وللمنحوتات
من خلال نتائج التنقيبات وما ذكرته النصوص

”شيدت سور (المدينة) وجعلت ارتفاعه
بارتفاع الجبال وفي اعلى المدينة واسفلها اقيمت
الساحات، وزرعت لرعي ثروة الجبال وجميع
البلدان، جميع انواع النباتات من بلاد الحثيين،
نباتات المراتي كانت ثمارها اكثر من ثمارها في
مواطنها، جميع انواع الكروم الجبلية وجميع
الفواكه من جميع البلدان شجيرات واشجار
مشرة“

ويرد قاتلاً

اجزائه بحيث يمكن للزائر الان مشاهدة قاعة العرش المزينة بالمنحوتات ، وهي قاعة ضخمة طولها ٥١ متراً وعرضها ١١,٥ متراً ولها مدخلان في الضلع الشرقي يطلان على ساحة واسعة ومزينان بالثيران المجنحة وقد غلفت جدران القاعة بسلسلة من المنحوتات التي تظهر مشاهد مختلفة اضافة الى

المسارية ويبدو ان معظم جدران القصر الداخلية وكذلك ارضياته كانت مغلقة بالحجارة المهتمة والمعادن والاشخاش واستخدم سنحارب الذهب والفضة والنحاس لتزيين القصر كما استخدم انواعاً مختلفة من الرخام والاشخاش وزخرفت الجدران بالوان زاهية تعكس اشعة الشمس .



بقايا جدران احدى قاعات قصر سنحارب في نينوى

الكتابات المسارية الكثيرة التي تغطي اجزاء كبيرة منها لتبحكي لنا منجزات سنحارب الرائعة في مختلف المجالات . كما تم الكشف في اسس الجانب الغربي من القاعة على منشور فخاري يحمل نصاً مسارياً يخص الملك سنحارب ايضاً ويتضمن تفاصيل اعماله العسكرية واشارة الى بنائه القصر .

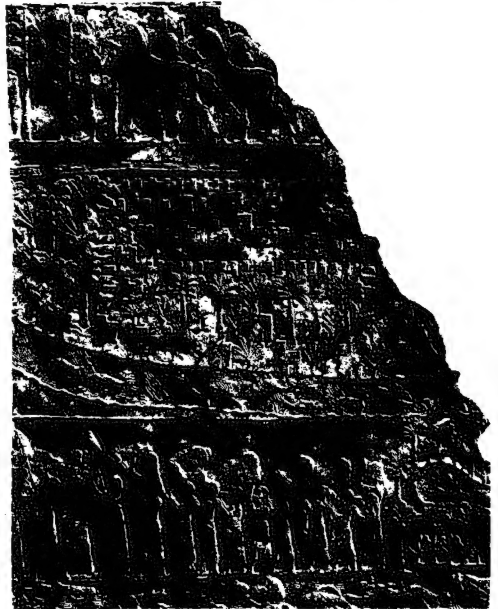
وفي الساحة الواسعة شرقي القاعة امكن الكشف عن عدة طبقات سكنية العليا منها اسلامية في حين ترقى الارباع الاخرى الى الفترة الهلنستية والقرنية . فضلاً عن ذلك كشف عن قاعة اخرى اصغر حجماً غير انها شبيهة من حيث

ويظن ان السقوف كانت مزخرفة بالالوان البراقة ايضاً وزينت مداخل القصر والقاعات الرئيسة فيه بالثيران المجنحة . وظهرت التنقيبات التي اجريت في القصر منذ القرن الماضي والتنقيبات الحديثة احدى وسبعين غرفة وسبعة وعشرين مدخلاً مزيناً معظمها بالثيران المجنحة . وفي غرفتين من غرف القصر عثر على بقايا مكتبة اشور بانيبال الشهيرة حيث كان اشور بانيبال قد اتخذ من قصر جدّه مقراً له قبل تشييده قصرأ خاصاً به . وقد تمكنت دائرة الآثار والتراث في السنوات الاخيرة من الكشف عن بقايا هذا القصر الفخم وحاولت صيانة بعض

التصميم والزخرفة للقاعة الاولى تقع الى الغرب من قاعة العرش^(١١).

اما قصر اشور بانينال فيقع في القسم الشمالي الشرقي من تل قوينجق. وقد تم الكشف عن هذا القصر منذ التنقيبات الاولى في نينوى اضافة الى النصوص المسامرية الكثيرة ومنها ما يعود الى مكتبة اشور بانينال.

وفي تل النبي يونس ابانت التحريات الاثرية لاسيا التحريات التي اجرتها دائرة الآثار في اثناء فتح الطريق العام المؤدي الى اربيل عن بعض اجزاء قصر اسرحدون الذي ذكرته النصوص المسامرية. وقد عثر على ثلاثة من التماثيل من الحجر تمثل الفرعون طهراقا ربما كانت من الغنائم التي جلبها الملك اسرحدون من مصر وقد دون على قواعد التماثيل وبالخط الهيروغليفي اسم الملك طهراقا كما كشف عن اسطوانة فخارية تحمل نصاً مسامرياً يتحدث عن منجزات اسرحدون العسكرية^(١٢).



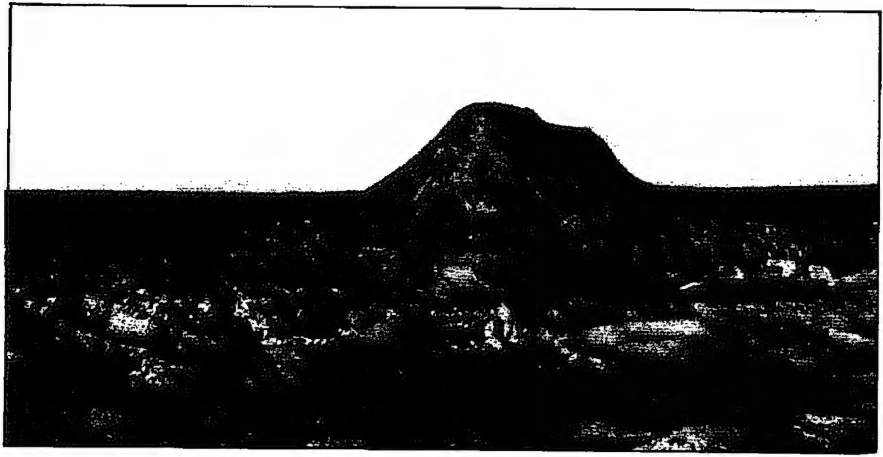
..جذنة جدارية من قصر اشور بانينال في نينوى تصور انتصاره على العيلاميين

وفي عام ١٩٨٧ في اثناء عملية توسيع جامع النبي يونس من جهة الشرق ارتطمت فؤوس العمال بجزء من تمثال ضخيم تبين بعد الكشف عنه أنه ثور مجتح كبير من طراز خاص حيث انه مؤلف من عدد كبير من قطع الصخر (الحلان) المكعبة الشكل مجموعة بعضها الى بعض لتشكيل ثوراً مجتحاً ضخماً غير ان المؤسف ان راس الثور كان مفقوداً. وطبيعي ان الثور المجتح هذا كان يزين احد مداخل قصر اسرحدون غير ان وجود الابنية الحديثة، ومنها الجامع، حالت دون استكمال اعمال التنقيب في المنطقة.

آشور

اولى العواصم الاشورية، والعاصمة الوحيدة التي تقع على الضفة اليمنى من نهر دجلة. وقد ظلت اشور- طوال تاريخ الاشوريين منذ مجيئهم الى المنطقة وحتى مطلع الالف الاول قبل الميلاد، المدينة الرئيسة للاشوريين والعاصمة الوحيدة حتى اتخذ الملك اشور ناصر بال الثاني (٨٨٣-٨٥٩ ق. م) مدينة كلخو (نمرود) عاصمة جديدة له. ومع ذلك فقد احتفظت اشور بمكانة خاصة عند الملوك الاشوريين، حتى اولئك الذين اتخذوا غيرها عاصمة للملكهم، فلا يخلو عهد ملك من الملوك المهمين من نشاط عمراني في مدينة اشور كما دفن فيها مشاهير الملوك الاشوريين، وفيها كانت تقام احتفالات رأس السنة واحتفالات ومراسم تنويع الملوك ربما لانها كانت مقراً لعبادة اشور اله الاشوريين القومي. ويكتنف الاسم آشور، كما امرنا الى ذلك في مكان آخر، الغموض ولا يعرف أهذا الاسم خاص بالمدينة ثم استخدم للدلالة على اله الاشوريين القومي وعلى الاشوريين انفسهم وعلى بلادهم ام ان اسم المدينة جاء متأخراً.

تقع بقايا اشور على مثلث مرتفع من الارض يطل على وادي دجلة من الشمال والشرق ويبعد



بقايا زقورة اشور

قامت بها البعثات الالمانية^(١٣) حتى تبياً لدائرة الاثار والتراث العراقية مؤخراً ان تبدأ اعمال التنقيب والصيانة فيها وفق خطة سابقة بهدف اعادة الكشف عن مبانيها كاملة.

ابانت التنقيبات التي اجريت في المدينة الى انها كانت مستوطناً صغيراً لانسان العصور القديمة في عصور قبل التاريخ وذلك لما تتمتع به من موقع حصين واشراف على وادي دجلة وعلى الاراضي الزراعية بعيداً عن مخاطر فيضانات النهر السنوية ، غير ان المعلومات المتوافرة عن تلك العصور القديمة قليلة . ومنذ فجر التاريخ أصبحت اشور على اتصال وثيق مع القسم الجنوبي من العراق ، لاسيما بعد ان قامت الدولة الاكدية ، حيث عثر فيها على بعض اللقى الاثرية تحمل طابعاً اكدياً او سومرياً مما يشير الى تأثير الحضارة السومرية الاكدية وانتشارها في القسم الشمالي من العراق . كما عثر على عدد من النصوص المسماة القصيرة التي تذكر اسم الملك الاكدي مانشتوسو مما يشير الى ان اشور غدت جزءاً من الامبراطورية الاكدية وربما كانت احد

مسافة مائة وعشرة كيلومترات شمال مدينة الموصل وتعرف خرائطها اليوم بالقلعة او قلعة الشرايط ، نسبة الى بلدة شرايط التي تبعد عنها بضع كيلومترات . وتشرف المدينة من جهتها الشمالية على سهل منخفض غربي كونه مياه دجلة تقع عند نهايته الشمالية بلدة شرايط الحديثة ، اما من جهة الغرب فهناك هضاب صخرية قليلة الكسور وفي شرق المدينة عبر دجلة سهل واسع يمتد بامتداد البصر يطلق عليه احيانا اسم سهل مخمور.

وكانت اشور قد هجرت منذ مئآت السنين واندرست اثارها ربما منذ اواخر فترة الاحتلال الفرقي ، ومع ذلك استهوت المدينة المنقبين الالمان منذ مطلع القرن الحالي حيث عملت فيها البعثة الالمانية برئاسة كولدوي ثم والتر اندريه من عام ١٩٠٣ وحتى عام ١٩١٤ وتمكنت من الكشف عن الكثير من مبانيها واثارها ونقلت المهم منها الى المانيا حيث تزين تلك الاثار الان قاعات متحف برلين . كما نقل معظمها الى متحف استانبول في حين املت اشور وانهارت التربة على اماكن الحفر التي

المراكز الادارية المهمة في القسم الشمالي من الامبراطورية يؤيد ذلك الكشف عن عدد من المباني المهمة من بينها قصر واسع الى جوار زقورة الاله إنليل، يرق تاريخ بنائه الى العصر الاكدي. اضافة الى ذلك، ذكرت النصوص المكتشفة في نوزي (يورغان تبه قرب كركوك) ان مدينة اشور كانت تدار من قبل حكام تابعين للدولة الاكدية.

ولابد ان اصاب اشور ما اصاب بقية المدن والمراكز الحضرية ابان الغزو الكوتي الهجمي من تخريب وتدمير، غير انها، كما يبدو، لم تخضع للسيطرة الكوتية ولعلها اقامت لها ادارة محلية في حين اصبحت جزءاً من امبراطورية اور الثالثة التي قامت في العراق في اعقاب طرد الاقوام الكوتية الغازية. وتشير النصوص المكتشفة في المدينة ان حكام المدينة، مثل الحاكم زريقم، كانوا تابعين للملك امبراطورية اور الثالثة. وبعد انهيار سلالة اور الثالثة استقلت اشور واقامت لها سلالة محلية جاءتنا اسماء بعض حكامها، وقد ذكر ان احد الحكام، وهو كيكيا، قام بتشييد اسوار المدينة، وجدد الاسوار الحاكم بوزو- اشور وتذكر النصوص ايضاً ان ايلوشوما وايريشوم الاول قاما بتشييد عدد من الابنية المهمة في المدينة منها معابد اشور وادد وعشتار:

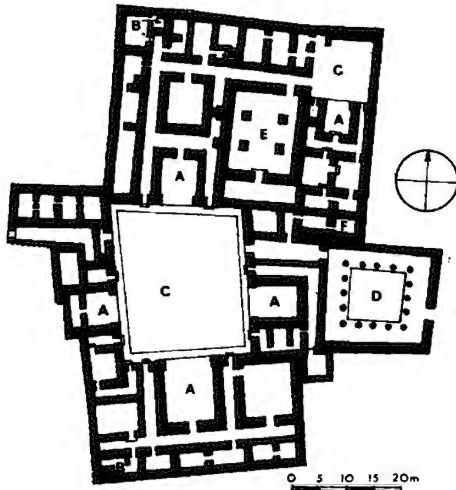
”ايرشم، حاكم بلاد آشور، ابن ايلو-شوما، حاكم بلاد آشور، لاشور سيده، من اجل حياته وحياة المدينة، اعاد بناء المعبد باكملة“. ثم تدهور وضع اشور بتدهور قوة الاشوريين بعد ذلك حتى اعلى العرش الاشوري الملك شمشي- ادد الاول (١٨١٤-١٧٨٢ ق. م) الذي على في عهده شأن اشور وشيدت فيها القصور والمعابد الى ان اتخذ شيلمنصر الاول (١٢٧٤-١٢٤٥ ق. م) مدينة كلخو (نمرود) عاصمة عسكرية له، اما ابنه توكلتي نورتا الاول :

فقد اسس له عاصمة جديدة قبالة مدينة اشور سماها باسمه. وفي العهد الاشوري الحديث، وعلى الرغم من اتخاذ اشور ناصر بال الثاني مدينة كلخو عاصمة للملك وبناء سرجون للمدينة دور- شروكين (خرصباد) واتخاذ بقية الملوك الاشوريين المشهورين مدينة نينوى عاصمة لهم فان مدينة اشور ظلت محافظة على مركزها الديني بين المدن الاشورية، فكانت تقام فيها الاحتفالات الدينية العامة ويتوج الملوك واليا كانت تأتي الغنائم كما تمتع سكانها، خلافا لسكان بقية المدن وسكان العاصمة، بامتيازات خاصة حيث اعطيت المدينة ولاسيما في عهد سرجون وخلفائه، نوعاً من الاستقلال الذاتي واعني سكانها من كثير من الخدمات العامة والضرائب المفروضة على غيرهم وقد دأب الملوك الاشوريون على تجديد اسوار المدينة وتشييد القصور والمعابد فيها وتجديد وترميم القديم منها ولايخلو جزء من اشور من بصمات الملك سنحاريب الذي شيد فيها قصراً جديداً لابنه وانشأ داراً للاحتفال باعياد راس السنة بالقرب من معبد اشور. وفي اواخر العصر الاشوري الحديث اعملت تحصينات المدينة وتهدمت اسوارها فلم تقو على مواجهة الهجوم الذي شنته عليها الجيوش الميدية والكلدية، فوقعت بأيديهم عام ٦١٤ ق. م.

ويبدو ان المدينة ظلت بلدة صغيرة في العهد التالية، وقد كشف فيها عن عدد من الابنية التي تحمل طابعاً هلنستياً من القرنين الاول والثاني للميلاد واستعادت اشور بعض مركزها القديم في فترة الاحتلال القرني للعراق حيث كانت مركزاً تجارياً مهماً فانتعش اقتصاد المدينة وقيمت فيها بعض القصور والمباني كشف عن احد تلك القصور، وهو ما يعرف حالياً بقصر الاواوين، وهو قصر واسع يتوسطه فناء مربع الشكل يحيط به اواوين مزخرفة بالجص بعد ذلك هجرت المدينة

الجنوب الغربي ثم ينعطف ثانية الى اتجاه النهر ويسير بمحاذاة النهر ليتصل بالضلع الشرقي من السور الداخلي ، وبذا فان السور الخارجي يقتصر على الجهة الجنوبية والغربية من المدينة وجزء من الجهة الشرقية، ويضم داخله مساحة واسعة من الارض لا يحيطها السور الداخلي تقع جنوبي المدينة وكانت تعرف لدى الاشوريين بالمدينة الجديدة (آل آشور) وطبيعي ان اجزاء السورين الواقعة على النهر كانت قد شيدت على شكل مسناة صخرية لتحمي المدينة من مياه النهر وقت الفيضان ، وكانت مساحة ماسمي بالمدينة الجديدة قد اضيفت في زمن الملك بوزور - اشور الرابع (١٥٣٠ - ١٥١١ ق. م) ربما لتزايد عدد سكان المدينة والحاجة الى توسيع مساحة الاحياء السكنية .

اظهرت التنقيبات ان المعابد والقصور قد تركزت في القسم الشمالي من المدينة واول ما يسترعي انتباه الزائر بقايا البرج المدرج (الزقورة) الذي شيد الى جوار معبد آشور، وقد عرفت الزقورة فيما بعد



مخطط قصر الاواوين



واجهة قصر الاواوين بعد الترميم

نهائيا حيث لم يكشف عن اثار سكنى فيها من الفترات التالية .

شيدت اشور على مساحة من الارض مرتفعة مثلثة الشكل تقريباً. وهي اصغر العواصم الاشورية مساحة حيث لا تتجاوز مساحتها ٢٤٠ دونماً في حين تبلغ مساحة نينوى ما يقرب من ثلاثة الاف دونم ومساحة كلخو (نمرود) حوالي ١٢٨٠ دونماً ومساحة دور شروكين ٩٦٠ دونماً. ويحيط بالمدينة سوران محصنان بالابراج الضخمة تتخللهما ثلاث عشرة بوابة محاطة بالابراج. كان السور الداخلي يسمى "دورو" في حين اطلق على السور الخارجي اسم "شلكو" ويحيط السور الداخلي المدينة من جهتها الشمالية والشرقية بمحاذاة وادي دجلة ثم يستدير على شكل قوس تقريباً ليصل بين هذين الضلعين وكان يضم ما يعرف بالمدينة الداخلية لبي - الي. اما السور الخارجي ، فيمتد من الزاوية الشمالية الغربية للمدينة حيث يتصل بالسور الداخلي ويتجه بموازاة السور الداخلي في ضلعة المقوس حتى ثلثة الأخير حيث ينعطف عنده الى

جنينة واسعة، وكانت تقام في هذه الدار، وهي مايسمى بيت اكيكو، احتفالات اعياد راس السنة حيث ينقل تماثيل اشور وتماثيل بقية الالهة الاشورية في المدينة من معابدها الى بيت اكيكو في موكب فخم واحتفال مهيب شبيه بالاحتفال الذي كان يجري في مدينة بابل.

ان معظم الاثار المكتشفة في مدينة اشور قد نقلت الى متحف برلين واستانبول وفي السنوات الاخيرة عزم دائرة الآثار والتراث على اعادة الكشف عن هذه المدينة الضخمة واعادة تعميرها وصيانة ابنتها وخصصت لذلك المبالغ اللازمة وباشرت اعمالها منذ سنوات قليلة وهي لاتزال تعمل وفق خطة سابقة على الكشف عن بواباتها وقصورها كما اقامت الدائرة في المدينة وفي بناية البعثة الاثرية الألمانية متحفاً للآثار المكتشفة في المدينة وغيرها من المدن الاشورية القريبة.

كلخو (نمرود)

ثاني العواصم الاشورية وتلي الحضر من حيث ضخامة ابنتها وروعة اثارها الباقية. تقع اطلالها على مسافة ٣٧ كيلومتراً الى الجنوب الشرقي من مدينة الموصل في الضفة الشرقية من نهر دجلة.

ورد اسم المدينة في النصوص المسامرية على هيئة كلخو kalhu في حين ذكرت في كتاب العهد القديم (التوراة) باسم كالح. وبعد نهاية الدولة الاشورية اضمحلت المدينة واندرست بقاياها تدريجياً. وفي نهاية القرن الخامس قبل الميلاد مر بها زينفون قائد حملة العشرة آلاف، وذكر أنها كانت خربة وكانت تدعى لاريسا Larissa ووصف مسناتها الضخمة وبين قياساتها^(١٤). اما البلدانونيون والمؤرخون العرب المسلمون، فقد ذكروا اسمها على هيئة اثور^(١٥)، كما سميت بالنمرود. ويظن ان اسم نمرود هو تصحيف لاسم اله الحرب

بزقورة بيل كنية للاله (انليل)، وكان شيلمנصر الثالث (٨٥٩ - ٨٢٤ ق. م) قد جدد بناءها واعاد تشييدها في اثناء قيامه بتجديد ابنة معبدي اشور وعشتار - واسوار المدينة وقد استخدم في تجديد الزقورة ستة ملايين لبنة كبيرة وطمر في زواياها كتراً من خرز العقيق والبُلُور الطبيعي ومن الاحجار الكريمة الاخرى وصفائح رقيقة من الحديد والرصاص منقوشة بكتابات مسامرية تذكر ما قام به شيلمنصر من اعمال بنائية مرضاة لاله اشور كما جدد شيلمنصر المعبد المشترك الخاص بانو وادد وبني له باباً مصنوعاً من خشب الارز ومكسواً بصفائح البرونز فيها صور بارزة من مشاهد الحياة اليومية الاشورية وماثرهم الحربية، وقد اصبح هذا البناء فيما بعد من اهم المعابد التي تقصد للزيارة. اما معبد اشور فيرقى تاريخه الى فجر التاريخ ثم جرت عليه تجديدات وترميمات متعددة كان اخرها في عهد الاحتلال الفرثي وكان يسمى بيت كشافي، اي بيت العالم، كما عرف ايضا باسم «بيت اشور»، او بيت شرقي، اي بيت الملك كنية للاله اشور الملك. وتذكر الكتابات المسامرية المكتشفة في المدينة ان اشور ضمت ٣٤ معبداً لالهة الآشوريين المختلفة وان عسراً منها كانت ضمن بناء معبد اشور الرئيس.

وفي الجزء الجنوبي الشرقي من المدينة شيد سنحاريب (٧٠٥ - ٦٨١ ق. م) قصراً لابنه اسرحدون كما قام بانشاء دار بالقرب من معبد آشور واطلق على الساحة الواقعة بين هذين البنايتين اسم ساحة العرض للزمر السماوية، كما يذكر ذلك في الكتابات المسامرية التي خلفها لنا واطلق على البوابات التي شيدها اسماء شعرية عجيبة منها (الباب المتعدد الالوان) و (مدخل الزمرة السماوية) و (باب العجلة السماوية) (باب قاعة الحضور) و (باب الطريق السماوي) وشيد خارج المدينة في الشمال الغربي منها دار الحفلات الخاصة باشور وسط

الاشوري ننورتا^(١٦) وان كان الاعتقاد السائد بان نمرود كان ملكاً جباراً وطاغياً من ملوك الاشوريين حتى استخدم الاسم في اللغة العربية كصفة للدلالة على الظلم والظلمان والجبروت^(١٧).

كان ليرد اول من نقب في المدينة بين عامي ١٨٤٥ و ١٨٥١ ، ثم اعقبه هرمز رسام عام ١٨٥٣ ، اما لوفتس فقد عمل في المدينة عامي ١٨٥٤ و ١٨٥٥ وبعد عشرين سنة استأنف سميث التنقيب في المدينة واعقبه رسام كذلك ثم توقف العمل ثانية ولفترة طويلة حتى باشرت البعثة البريطانية عملها في الموقع عام ١٩٤٩ واستمرت لعدة مواسم. وفي السنوات الاخيرة تولت مديرية الآثار العامة اعمال التنقيب والصيانة في المدينة وهي لاتزال تعمل فيها ، فكشف عن معظم الابنية والقصور التي كانت الهياكل الاجنبية قد نقبت فيها ثم تركتها دون صيانة فتراكمت عليها الانربة وعادت فانظمرت تحتها .

تشير التنقيبات التي تمت في نمرود الى ان موقع المدينة كان في الالف الثالث قبل الميلاد مستوطناً صغيراً حيث ترك سكان ذلك المستوطن بعض الآثار المتمثلة بالكسر الفخارية وبعض السهام. كما عثر في احدى المناطق المرتفعة من المدينة على قبر يدل على انه يعود الى العصر البابلي القديم (حدود ١٧٥٠ ق. م). اما الكتابات المسامرية الكثيرة التي خلفها اشور ناصر بال الثاني (٨٨٣-٨٥٩ ق. م) فتؤكد على ان المدينة كانت قد شيدت في عهد شيلمنصر الاول (١٢٧٤-١٢٤٥ ق. م). غير ان المدينة نالت شهرتها في عهد الملك اشور ناصر بال الثاني الذي قرر ان يتخذها عاصمة للملكه منذ السنة الاولى لحكمه ، ولاتعرف الاسباب التي دفعته الى تغيير العاصمة وترك مدينة اشور وربما كان الموقع كلخو الاستراتيجي المهم اثره في اختياره مكانا للعاصمة

الجديدة. فالموقع محاط بسهول خصبة وفيرة المياه ولايفصله عن المنطقة الجبلية ذات الاخطار الكامنة حاجز طبيعي يعرقل تقدم الجيش الاشوري ، ويؤيد ذلك اتخاذ المدينة في الفترات المتأخرة من التاريخ الاشوري قاعدة عسكرية لانطلاق الحملات الى المناطق الشمالية والشمالية الشرقية. كما كان من الممكن الوصول الى اشور بالوسائط النهرية المتيسرة بسهولة فضلا عن سهولة عبور نهر دجلة في هذه المنطقة. استمرت اعمال التجديد والبناء في عهد آشور ناصر بال لمدة خمس سنوات ثم انتقل اليها في احتفال كبير وردت تفاصيله منقوشة على مسئلته المشهورة. ويبدو ان احتفالات التدشين استمرت لمدة عشرة ايام متتالية وحضرها اعداد كبيرة من الممثلين والسفراء الاجانب والامراء والحكام والقادة والموظفين من الاشوريين اضافة الى اعداد كبيرة من المواطنين وقد ذكرت المسلة ان عدد الذين شاركوا بالاحتفالات بلغ ٦٩٥٧٤ شخصا وان الملك قدم لهم الطعام والشراب فعاثوا في سرور وجور لمدة عشرة ايام متتالية : " الشعب المسرور من جميع البلدان سوية مع شعب كلخو لمدة عشرة ايام ، اطعمتهم واشربتهم واعددهم للحمامات وقدرتهم ومن ثم ارسلتهم الى بيوتهم بسلام وسرور"^(١٨). ومن الطريف ذكره انه كان من بين الاطعمة التي قدمت للزوار الكبة (كُبيْتُتُ kubibatu) ، وهي اكلة ظلت منطقة الموصل تشتهر بها حتى الان.

وظلت المدينة عاصمة للدولة الاشورية في عهد شيلمنصر الثالث (٨٥٨-٨٢٤ ق. م) الذي اقام فيها ابنة جديدة ثم انتقلت العاصمة بعده الى نينوى وأشور في حين ظلت كلخو تستخدم قاعدة عسكرية للجيش الاشورية وشيدت فيها بعض المباني الجديدة في عهد الملك ادد- نراري الثالث (٨١٠-٧٨٢ ق. م) و تجلا تبليرز الثالث

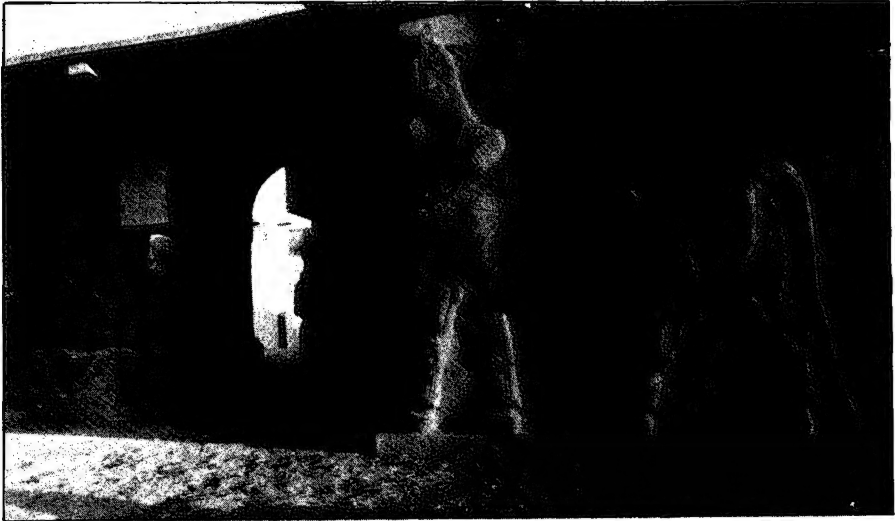
القديمة التي كان اشور ناصر بال قد حفرها وربط بواسطتها بين الزاب ، على بعد ١٢ كيلومتراً ، وبين المدينة ، فزاد ذلك من تحصين المدينة .

وفي الزاوية الجنوبية الشرقية والجنوبية الغربية يقوم مجمع الابنية ، او المدينة المرتفعة ، الأكروبوليس ، الذي ضم القصور والمعابد ودور السكن وقد اقيم المجمع على مصطبة من اللبن ترتفع عن مستوى النهر باكثر من اربعين قدماً وتبلغ مساحتها ٨٠٠ × ٤٠٠ م^٢ محصنة بسور ثانٍ وهو السور الداخلي . وكانت دور السكن مشيدة في بادئ الامر في هذا الجزء من المدينة الا ان توسع المدينة الداخلية وازدياد عدد السكان دفعا الى تشييد دور السكن في المساحة المحصورة بين السور الخارجي والسور الداخلي . كما قام بعض الملوك بتشيد عدد من الابنية العامة في المساحة المحصورة بين السورين ايضاً وكشف عن ثلاثة من هذه الابنية . اما المساحة المتبقية فقد استغلها اشور ناصر بال لتجميل المدينة فاقام بها الحدائق

(٧٤٥-٧٢٧ ق. م) واسرحدون (٦٨١-٦٩٦ ق. م) واخيراً ، لاقت المدينة مصيرها المزم على ايدي الجيوش الغازية وذلك عام ٦١٤ ق. م . فهجرت المدينة تدريجياً وانهارت ابنيها وتراكت عليها الاثرية .

مخطط المدينة :

يحيط المدينة سور دفاعي ضخم من اللبن طوله حوالي ثمانية كيلومترات وهو ذو شكل رباعي غير منتظم ويضم مساحة من الارض تقدر بحوالي ٣,٨ كيلومتراً مربعاً . ويحاذي المدينة من الغرب نهر دجلة ، وقد كشفت التنقيبات عن ان الضلع الغربية من سور المدينة كانت قد شيدت على شكل مسناة لمقاومة تيار المياه ، ويبلغ ارتفاع بقايا المسناة حوالي ٢٦ قدماً عن مستوى قاع مجرى نهر دجلة القديم المخاذي للمدينة ثم غير دجلة مجراه باتجاه الغرب وهو يجري حالياً على بعد كيلومترين تقريباً غربي سور المدينة الاشورية . اما من الجنوب ، فتحاذي المدينة قناة النكوب ، وهي قناة باقية



مدخل قاعة العرش في قصر اشور ناصر بال في نمرود

الآخر بالاسود المجنحة. وفي الزاوية الجنوبية الشرقية بقايا معبد نابو الذي كانت سميراميس (شومرامات) قد شيدته .

ويعد قصر اشور ناصر بال ، الذي عرف لدى المتقنين بالقصر الشمالي الغربي ، اهم بناء ملكي مكتشف في كلخو وتبلغ مساحة الارض التي اقيم عليها حوالي ٢٠٠ × ١٣٠ متراً ويتألف من ثلاثة اجنحة ، الجناح الشمالي الذي كان قد خصص للإدارة والجناح الاوسط الخاص بالتشريفات الملكية والجناح الجنوبي الشرقي الخاص بالسكن والحريم^(١٩).



تفاصيل في قصر اشور ناصر بال

ولعل من اهم ما يشاهده الزائر الآن الثيران المجنحة التي تزين مداخل القصر والمؤدية الى قاعة العرش. وكان الاشوريون يتصورون أن هذه التماثيل التي تمثل كائنات خرافية مركبة كانوا يسمونها لماسو lamassu، تعمل على طرد الارواح الشريرة وحماية القصر والمدينة منها. كما يلفت انتباه الزائر للقصر قبل ان يدخل الى قاعة العرش، مسلة اشور ناصر بال الثاني الشهيرة حيث نقلت المسلة الى متحف الموصل ووضع مكانها نموذج جبسي. وهي ذات شكل مكعب تقريباً ويظهر على احد

والمتنزهات واسس فيها حديقة للحيوانات والنبات جمع فيها مختلف اصناف الحيوانات والنباتات المتيسرة في المناطق التي وصلت اليها الجيوش الاشورية. ويمكن الوصول الى المدينة الداخلية بشوارع وممرات تؤدي الى مداخل السور الداخلي، وقد امكن التعرف على احد هذه الشوارع في الجزء الشرقي من السور الداخلي وتبين انه كان مرصوفا بالحجارة ويرتفع تدريجياً الى ان يصل الى المدينة المرتفعة حيث ينتهي بمدخل ذي ممرين زين بالاسود الفضة ويستمر الشارع الى داخل المدينة حيث تحيط به القصور والمعابد ويؤدي في النهاية الى ساحة المدينة الكبرى.

وكان السور الداخلي ذا شكل مستطيل تقريباً تتخلله عدة بوابات ويرتفع الى ما يقرب من سبعة عشر متراً في حين يبلغ سمكه حوالي ٣٧ متراً. وقد امكن التعرف حتى الان على تسعة من المعابد التي كانت قد شيدت في المدينة المرتفعة وعدد من القصور الملكية.

اما المعابد، فكان معبد نورتا اله الحرب والصيد عند الاشوريين، اقدم هذه المعابد حيث يرق بتاريخه الى القرن التاسع قبل الميلاد، وقد كشف فيه عن عدد من الغرف والمرافق وكان قسم منها مزخرفاً ومزيناً بالواح رخامية وعثر في بعضها على جرار فخارية كبيرة موسومة بختم الملك اشور ناصر بال وقد زين مدخل المعبد بالاسود المجنحة. والى جانب هذا المعبد تقوم الزقورة، وهي صرح مدرج يبدو حالياً على شكل مخروطي ارتفاع بقاياه ١٧ متراً. وكانت جدران الزقورة من الخارج مغلقة بالاحجار المهندمة وفوقها غلاف من الطابوق عليه كتابات باسم شيلمنصر الثالث الذي اكمل بناءها الذي كان والده اشور ناصر بال الثاني قد بدأه. اما معبد عشتار، الهة الحب والحرب عند الاشوريين، فيقع الى الشرق من الزقورة، وقد زين مدخله هو

بالقصر المحروق وإلى الشمال من هذا القصر بقايا قصر الحاكم الذي يظن أن يعود إلى الملك ادد-نيراري الثالث وفي الزاوية الشمالية الشرقية كشف عن بقايا عدد من البيوت السكنية.

وفي الزاوية الجنوبية الشرقية من المدينة الكبيرة كشف عن بقايا ما يسمى لدى المقيمين بحصن شيلمنصر (٨٥٨ - ٨٢٤ ق.م). ويضم الحصن قصراً كبيراً للملك يتألف من خمس وحدات بنائية متناظرة كل منها يضم عدداً من الغرف والمخازن والحمامات تحيط بمساحة وسطية (٢٠).

دور - شروكين (خرصباد)

آخر العواصم الآشورية من حيث تأريخ التأسيس، تقع أطلالها على بعد ثمانية عشر كيلو متراً شرقي مدينة نينوى على الطريق الرئيسي المؤدي إلى مركز قضاء الشيوخان ليس بعيداً عن المفرق المؤدي إلى متزة الشلالات.

تعرف بقايا المدينة الآشورية باسم (خرصباد) وهو اسم فارسي أطلق قديماً على قرية صغيرة تقع بجوار أطلال المدينة الآشورية ثم شاع استخدامه مؤخراً للدلالة على المدينة القديمة أيضاً. وقد أشار إلى العاصمة الآشورية بعض البلدانين العرب حيث ذكر ياقوت الحموي بأنه كان هناك إلى جانب قرية خرستانباد، وهي الصيغة التي ذكرت بها خرصباد، مدينة يقال لها صرعون، خراب. ولفظة صرعون كما جاءت في معجم البلدان لياقوت الحموي تصحيف من لفظة سرجون، وهو اسم مؤسس المدينة. ويذكر ياقوت الحموي عن مدينة صرعون بأنها "مدينة كانت قديماً من أعمال نينوى خير أعمال الموصل وقد خربت، يزعمون أن فيها كنوزاً قديمة، يحكى أن جماعة وجدوا فيها ما استغفوا به ولها حكاية وذكر في السير القديمة" وهذه إشارة إلى أعمال التفتيش والنهب عن الكنوز

أوجدها تحت بارز للملك ورموز الآلهة في حين نقش جميع الوجوه بكتابات مسمارية تحكي لنا أعمال الملك سنحاريب العسكرية والعمرانية وتدينه المدينة. كما يمكن مشاهدة الواح الرخام الرائعة التي تغلف جدران قاعات العرش والغرف والقاعات الأخرى التابعة للقصر وقد نحت بمختلف المشاهد العسكرية والدينية واليومية، وقد نقلت معظم المنحوتات إلى المتحف البريطاني ولا يزال بعضها الآخر موجوداً في الأماكن الأصلية. وقد قامت دائرة الآثار والتراث بإعادة صيانة أجزاء مهمة من القصر وهي مستمرة في أعمالها لصيانة الأجزاء المتبقية.

ومن الآثار المهمة التي تم الكشف عنها في القصر العجايب التي نالت شهرة واسعة ولا سيما القناع الذي يمثل وجه فتاة والذي سماه المقينون بمونوليزه التروود وكانت معظم القطع العاجية قد عثر عليها في الأبار التي تم الكشف عنها والتزول إليها والوقعة في الجناح الأوسط.

ومن القصور الأخرى المكتشفة قصر ادد نيراري الثالث (٨٠٩ - ٧٨٢ ق.م) ابن الملكة شومرامات (سميرا ميس). الواقع إلى الجنوب من القصر الشمالي الغربي، والقصر المركزي الواقع في وسط المدينة شيده آشور ناصر بال الثاني وأضاف إليه شيلمنصر الثالث. أما القصر الجنوبي الغربي الذي كان اسرحدون قد شيده (٦٨٠ - ٦٦٩ ق.م)، فيبدو أن اسرحدون كان قد نقل العديد من المنحوتات من القصور الأخرى القديمة لاستخدامها ثانية في قصره الجديد، كما يبدو أن بناء القصر لم يكتمل بسبب وفاة الملك. وفي الزاوية الجنوبية الشرقية من المدينة بقايا قصر آشور-اتل - ابلاني (٦٢٥ - ٦٢١ ق.م) حيث تقع معظم أجزائه تحت القرية الهلنستية، وهي بقايا استيطان السكان في الفترة السلوقية، وفي الجهة الغربية من المدينة بقايا قصر سرجون الثاني الذي دعاه المقينون

القديمة التي شهدتها اطلال المدن القديمة منذ القرن السادس والسابع الهجري .

قام بتأسيس المدينة الملك الآشوري سرجون (٧٢١ - ٧٠٥ ق. م) ودعاها باسمه (دور شروكين) اي (مدينة) او (حصن) شروكين العاصمة الجديدة حيث قال :

”في تلك الايام ، (وبجهود) شعوب الاعداء الذين قبضت عليهم ، شيدت مدينة عند اقدام جبل مصري اعلى مدينة نينوى استناداً الى امر الاله والهام قلبي ودعوت اسمها دور شروكين“ .

بدأت التنقيبات في المدينة منذ اواسط القرن الماضي وعمل فيها كل من بوتا (١٨٤٢ - ١٨٤٤) وليرد (١٨٤٥) واويرت (١٨٥٢) وبلاس (١٨٥٢ - ١٨٥٥) . وكان من نتائج تلك التنقيبات

ان تم رسم مخطط كامل تقريباً للمدينة كما تم الكشف عن اثار اشورية غاية في الاهمية ضمت مجموعات كبيرة من المنحوتات الرخامية وقطعاً معدنية وتماثيل من الحجر وغيرها. غير ان معظم الاثار التي تم الكشف عنها فقدت في شط العرب بالقرب من القورنة في اثناء نقلها بواسطة الاكلاك الى ميناء البصرة تمهيداً لنقلها الى خارج القطر وهي لا تزال في قاع الشط تنتظر اليوم الذي يكشف عنها ثانية لتستقر في المتحف العراقي .

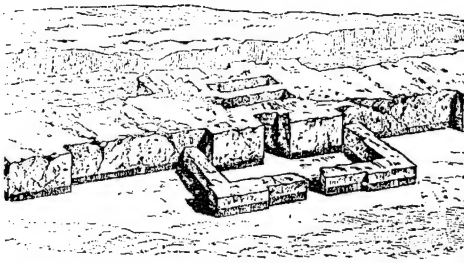
وقامت باستئناف التنقيبات في المدينة منذ عام ١٩٢٩ بعثة امريكية كما قامت دائرة الآثار والتراث ببعض اعمال التنقيب فيها عام ١٩٣٩ وكشفت عن ثورين مجنحين ضخمين نقلتها الى بغداد لتزين بها المدخل الكبير الذي شيد على جانب من الارض المخصصة لبناء المتحف العراقي الحالي كما قامت عام ١٩٥٦ بالكشف عن احد معابد المدينة ، وهو معبد سيبتي ، وعملت على صيانة بعض اجزائه وعلى ارتفاع مايقرب من مترين وهو مايمكن للزائر ان يشاهده بوضوح في المدينة حالياً .

تاريخ المدينة :

تقل الملك سرجون بين العواصم الاشورية الثلاثة اشور وكلخو ونيوى قبل ان يقرر بناء عاصمة جديدة له . وفي عام ٧١٥ ق. م . باشر بتشييد عاصمته الجديدة واختار لها موقعاً قريباً كان يعرف باسم (مكانيا) على مقربة من مجرى ماء ينحدر من جبل ورد اسمه على هيئة (جبل مصري) . واستغرق تشييد المدينة عشر سنوات تقريباً استعان سرجون بالفنيين والحرفيين الذين جلبهم من مختلف البلدان والاقاليم التابعة . وانتقل اليها عام ٧٠٦ ق. م . اي قبيل وفاته ، باحتفال كبير دعا اليه جموع غفيرة من المواطنين وكثير من السفراء والوفود الاجنبية . وتشير التنقيبات التي اجريت في المدينة الى ان سرجون انتقل الى المدينة قبل ان يكتمل بناؤها حيث تبين ان . أحد أبواب المدينة كان خالياً من الثيران المنحثة خلافاً لبقية الابواب كما يلاحظ عدم الانتهاء من بناء احد المعابد وفضلاً عن ذلك فان هناك بعض المنحوتات الجدارية التي لم ينته العمل فيها .

ويبدو ان المدينة هجرت تماماً بعد وفاة سرجون مباشرة وانتقل سنحاريب بن سرجون وخليفته في الحكم الى نينوى التي قام بتعميرها وتوسيعها . ولم يكتف سنحاريب بهجر دور - شروكين بل انه ربما اقتلع بعض منحوتاتها الجدارية ونقلها الى نينوى ليزين بها جدران قصره كما وجدت بعض المنحوتات في دور شروكين وقد شوهدت عن قصد ، كما يبدو ، بازاميل معدنية لاسباب غير معروفة بعد ، وظلت دور شروكين بعد ذلك مدينة مهملة لاتعدو كونها مركزاً من المراكز الادارية في المنطقة فحسب .

اوضحت التنقيبات ان دور شروكين كانت قد خططت وشيدت وفق تصاميم هندسية دقيقة وهي من المدن القليلة التي اسست لتكون عاصمة لدولة مترامية الاطراف كالدولة الاشورية . تبلغ مساحة الارض التي شيدت عليها المدينة مايقرب



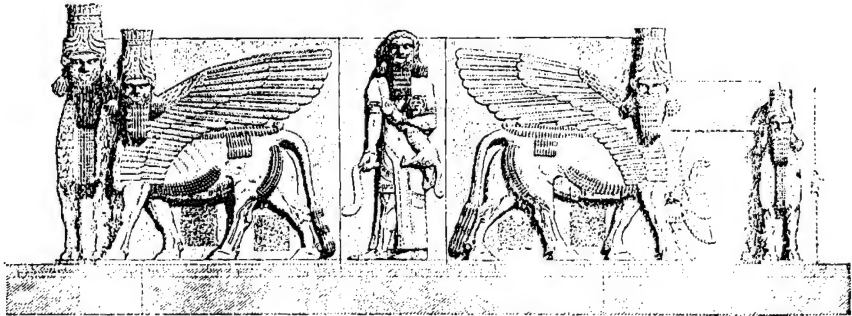
جزء من سور وبوابة مدينة دور- مشروكين

ان نظرة خاطفة الى مخطط المدينة ومقارنته بمخططات المدن الاشورية الاخرى توضح دقة مخططات دور مشروكين الهندسية وتناسق ابنيتهما وانتظام توزيعها وتناظرها على الرغم من ضعف اساليب المسح والتخطيط انذاك مما نتج عنه ازورار بسيط في احدى الزوايا.

اما المساحة الواسعة الواقعة بين الحصن او القلعة التي شيدت عليها الابنية الملكية وبين السور الكبير الذي يحيط بالمدينة ، فقد خصصت لبيوت عامة الناس وقد ابانت التنقيبات التي اجريت في

من الميل المربع وهي على شكل مربع تقريباً (١٧٦٠ × ١٦٨٥ متراً) واحيطت بسور ضخمة شيد باللبن يبلغ سمكه ٢٥ متراً وتنتجه زواياه الى الجهات الاربع الرئيسة مع ازورار بسيط في الزاوية الشمالية الغربية، وقد اقيم في كل ضلع مدخلان كبيران تحف بهما الابراج باستثناء الضلع الشمالية الغربية حيث استعيز عن احد المدخلين بحصن كبير مشيد على مصطبة ضخمة من اللبن ترتفع بارتفاع السور ويبرز الحصن عن السور من الداخل والخارج وقد شيد فوقه القصر الملكي والبنائيات العامة الاخرى. وفي الضلع الجنوبي الغربي حصن مشابه من حيث التصميم يحمي احد المدخلين ، وهو المدخل المؤدي الى مدينة نينوى والناطق الجنوبية. ويرى بعض الباحثين ان هذا الحصن يمثل قصر ولي العهد الاشوري غير انه ليس هناك من الادلة ما يثبت هذا الرأي.

احيط الحصن الرئيسي في الضلع الشمالي الغربي بسور داخلي يفصله عن بقية اجزاء المدينة ويتخلل هذا السور ايضا مداخل تحفها الابراج وتحيط بها غرف خصصت للحرس المدافعين والمراقبين والمشرفين.



البيان المجنحة التي تزين بوابات دور مشروكين.

المدينة بعض تلك البيوت والشوارع التي كانت تفصل بينها.

اما القصر الملكي فكان غاية في الروعة والاتقان، وقد زينت مداخله بالثيران المجنحة التي وضعت لحماية المدينة من الشرور، كما كان الناس يعتقدون انذاك. وبشبه مخطط قصر سرجون مخططات القصور الاشورية الاخرى بشكل عام، حيث يؤدي المدخل الرئيس ذو الابواب الثلاثة الى ساحة كبيرة تحف بها غرف الموظفين واجنحة الخدمات من جهة الخمين، في حين شيدت ثلاثة معابد كبيرة وثلاثة معابد صغيرة على جهة اليسار، ويقع مقر الملك خلف الساحة الكبيرة. ويضم المقر الملكي بعض الغرف والاجنحة تحيط بساحة صغيرة وتقع قاعة العرش على الجانب الايمن من الساحة، وكان على كل من يريد مقابلة الملك من السفراء والوفود ان يتقدم من خلال الساحة الكبرى ويمر من بين المنحوتات والتماثيل الكثيرة التي كانت تغلف جدران الابنية المطلة وتبعث في نفوس الداخلين الخوف والاحترام في ان واحد.

ولكي يتفادى الملك النزول الى الساحة الكبيرة المفتوحة في اثناء زيارته لمعبد نابو فقد وصل بين المقر الملكي والمعبد بجسر من الحجر يقوم فوق قنطرة. وكانت الساحة الكبرى تحتضن الاحتفالات التي يشارك فيها جميع المواطنين ومنها تنطلق المسيرات الخاصة بالاحتفالات الدينية او الحملات العسكرية.

وفي اقصى الجهة اليسرى، بين الاجنحة الرسمية وابنية المعابد، تقوم الزقورة التي ترتفع ارتفاعاً شاهقاً وربما شيدت في هذا المكان لتكون في خدمة المعابد الستة اضافة الى معبد نابو، المعبد الرئيس في المدينة، وقد تم الكشف عن ثلاث طبقات من الزقورة وجزء من الطبقة الرابعة، وربما كانت تتألف اصلاً من سبع طبقات، وترتفع كل طبقة عن

الاخرى ثماني عشرة قدماً وزينت واجهات الطبقات بالطلعات والدخلات وزينت بالالوان الجذابة ويرق الى الزقورة بمنحدر يدور حول اصل البناء من القاعدة الى القمة بالاسلوب نفسه الذي يرق بواسطته الى اعلى منارة الملوية في سامراء ويبلغ عرض المنحدر حوالي ستة اقدام ويحدّه من الجهة الخارجية شرفات مستنة.

تريص

تقع بقايا مدينة "تريص" الآشورية على بعد بضعة كيلومترات من شمالي غربي العاصمة الاشورية نينوى. وكانت المدينة، ولم تزل، تقع في وسط سهل فسيح يتميز بمحسوبة تربته ووفرة مياهه وصلاحيته لزراعة مختلف المحاصيل الزراعية الموسمية. وكان لذلك اثره في نشوء وازدهار المدينة في العصور الاشورية كما كان سبباً لنشوء عدد من القرى الاسلامية والحديثة في المنطقة. وتزداد اهمية المنطقة بقرىها من مراكز المدن الرئيسة، نينوى قديماً والموصل في العصور الاسلامية والحديثة.

تتمثل بقايا تريص بتل رئيسي يرتفع عن مستوى السهل المجاور بما يقرب من عشرة امتار من الناحيتين الشرقية والجنوبية، وينحدر التل نحو الغرب والشمال الى ان يتصل بالسهل المجاور. ويحيط ببقايا المدينة خندق كبير كان يستخدم كقناة لايصال المياه الى المدينة وما جاورها من حقول، كما يحيط بها سور ترابي مواز للخندق تكون نتيجة حفر الخندق ولا تزال آثار الخندق والسور واضحة في بعض اجزاء الجهة الشمالية الغربية من الموقع. وتنتشر في المنطقة في الوقت الحاضر عدة قرى صغيرة اهمها قرية الشريخان العليا والشريخان السفلى والقبعة والشريدية. وعلى بعد بضعة كيلومترات من الموقع الاثري وفي المنطقة التي تتوسط المسافة بين مدينة تريص من جهة ومدينة نينوى من جهة اخرى، قامت منشآت جامعة الموصل الحديثة لتطل من

خلال نوافذها العلمية والثقافية على آثار هاتين المدينتين المهمتين وتبعث فيها الحياة من جديد وتشهد العالم على ماوصلت اليه حضارة العراق الاصيلة من رقي وازدهار وما حقته من انجازات حضارية رائعة وما اسهمت به في مختلف ميادين العلم والمعرفة.

ويرتبط اسم المدينة (تريص) بالفعل الاكدي (رباص) بمعنى استراح او استقر^(٢١) ويقابله بالعربية الفعل (رَبَضَ)^(٢٢) ويبدو ان استخدام الاسم تريص بطل بعد سقوط المدينة على ايدي الغزاة الميديين وتدميرهم واحراقهم لها ثم اطلقت تسميات مختلفة للمستوطنات التي قامت في المنطقة بعد ذلك ولاسيا في العصور الاسلامية.

وقد اشارت بعض النصوص المسارية المكتشفة في نينوى، ولاسيا من عهد الملك سنحاريب، الى مدينة تريص وذكرت انها كانت من المدن المهمة التي تميز بمركزها الديني لدى الملوك الاشوريين مما دفع المثقب الانكليزي ليرد الذي كان يعمل في مدينة نينوى للمرة الثانية بين عامي ١٨٤٩ و ١٨٥١ الى ان يقوم ببعض التحريات الاثرية في المنطقة، وذكر أنه وجد على عمق بسيط من سطح التل على اثار بناء مشيد باللبن كما عثر على بعض القطع الرخامية والاجر المختوم باسم الملك سرجون والملك سنحاريب^(٢٣). غير ان النتائج التي توصل اليها لم تكن مشجعة للاستمرار في العمل فتوقف وعاد ادراجه الى نينوى الغنية بآثارها وقصورها.

ولوقوع التل الاثرية التي يظن انها تضم بقايا مدينة تريص الاشورية على مقربة من المركز الجامعي، واعتقاداً من هيئة تنقيبات جامعة الموصل برئاسة كاتب هذا البحث والتي كانت تعمل آنذاك في بوابة ادد في سور نينوى الشمالي بان الموقع لا بد ان يضم اثاراً اشورية مهمة على الرغم مما ذكره ليرد فقد تقرر التنقيب في الموقع لاستظهار بقايا المدينة

الاشورية وقد تم ذلك في شهر تشرين الاول من عام ١٩٦٨ واستمر العمل في الموقع لمدة ثلاثة مواسم متتالية تم خلالها الكشف عن اجزاء كبيرة من ابنية المدينة العامة وتمت صيانتها صيانة وقفية^(٢٤).

لقد تمكنت هيئة تنقيبات جامعة الموصل من الكشف عن بقايا بنائيتين مهمتين هما معبد نرجال وقصر ولاية العهد وبقايا ما يظن انه المسيح المقدس الذي كان يسمى بالاكديبة "بيت رمكي".

اما معبد نرجال فقد اشارت اليه نصوص اكتشفت في مدينة نينوى كما ورد ذكره في النصوص المدونة على الرخام والآجر الذي وجد في المدينة نفسها، وتظهر اهمية المعبد من اطلاق اسم نرجال على احدى بوابات العاصمة نينوى المقابلة لمعبد نرجال في تريص، وهي البوابة التي تتوسط سور نينوى الشمالي والمزينة بالثيران المجنحة التي تحف بها من الجانبين والتي يمكن الزائر مشاهدتها حتى الان.

وقد تمكنت الهيئة من استظهار معظم اجزاء المعبد ورسم مخطط لتلك الاجزاء، وتبين لها من خلال التنقيبات أن حريقاً كبيراً كان قد شب في الاجزاء الرئيسية من المعبد، ويظن ان ذلك حدث ابان الغزو الميدي للمدينة واحتلالها عام ٦١٤ ق. م ويظهر ان المعبد كان يضم في ادواره المتأخرة عدداً من الغرف والقاعات المتداخلة المختلفة الاحجام تمتد على طول الجهة الجنوبية الغربية والشمالية الغربية وتحيط بساحة وسطية كبيرة مقسومة الى قسمين شرقي وغربي بصف من الغرف ممتد من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي، ويحيط بالساحة من الجهة الشمالية الشرقية جدار سميك شيد باللبن وزين من الخارج بمجموعات من انصاف الاعمدة يفصل بينها طلععات ودخلات منتظمة. ويقع مدخل المعبد الرئيس وسط الجدار

وكان البناء الثاني والمهم الذي امكن الكشف عنه هو ما اصطلحت الهيئة على تسميته بالبناء الملكي ويظن انه يضم بنائين ملكيين يمثل الاول منها قصر ولاية العهد "بيت - ريديوي" في حين يمثل الثاني بقايا المسيح المقدس "بيت رمكي"، وهذا ما اكسب المدينة اهمية دينية وملكية خاصة فكما هو معروف ان الملوك الاشوريين، وخاصة

قبالة مدخل القاعة الرئيسية في المعبد الواقعة في الجزء الجنوبي الغربي. ويحاذي جدار المعبد من الخارج ممر ضيق يؤدي الى شارع المدينة الذي يفصل بين بناء المعبد وبقية الابنية. وقد رصفت ارضية القاعة الرئيسية بقطع كبيرة من الرخام الازرق في حين رصفت ارضية الساحة ومعظم الغرف والقاعات الاخرى بالآجر المفخور.



عابا دوج كبير كان يؤدي الى قصر ولاية العهد (بيت-ريديوي) في تريبص

المتأخرين منهم، اعتادوا تنشئة اولياء العهد من ابنائهم تنشئة خاصة وتربيتهم وتثقيفهم ثقافة ملكية في قصور تشيد لهذا الغرض. وقد اشار الملك اسرحدون (٦٨٠ - ٦٦٩ ق. م) في عدد من نصوصه المسامرية الى انه قام بتجديد قصر ولاية العهد في مدينة 'تريبص' من اجل ابنه وولي عهده اشور بانيبال ومن هذه النصوص نص نقش على اجرة مفخورة عثر عليها داخل البناء الملكي في مدينة تريبص يمكن ترجمته كالآتي :

ولعل من أهم الآثار المكتشفة في المعبد الاسطوانتين التابريتين اللتين عثر عليهما في الزاويتين الشمالية الغربية والشمالية الشرقية من القاعة الرئيسية^(٢٥) كما عثر فوق ارضية القاعة بين الانقاض المحترقة على رقيم طيني كبير الحجم هشت بعض اجزائه واحترقت الاجزاء المتبقية وقد دون عليه بالخط المسامري الدقيق اكثر من مائتي سطر من الكتابة تمثل جزءاً مهماً من اسطورة الاله زو^(٢٦) كما عثر على عدد من الرقيم الطينية التالفة في مجرى ماء احد الغرف التابعة للمعبد.

وسطه من الاعلى فتحة مستطيلة لعلها استخدمت للتنظيف (مانهول) او لصب الماء فيها وهناك فتحة ثالثة في وسط المجرى. وعلى بعد ثلاثة امتار من نهاية المجرى هناك فتحة رابعة يخرج منها فرع للمجرى الرئيس منحدر يتصل في نهايته بانبوب فخاري يثبت بشكل عمودي مائل ومخفي عن النظر ويمتد الانبوب الى ماتحت ارضية قاعة (حوض) تنخفض ارضيتها عن مستوى ارضية مجرى الماء بما يقرب من ٧٥ سم، ويتصل بنهاية الانبوب الفخاري مجرى من الآجر ينفذ من تحت الارضية الى وسطها لينتهي بقطعة من الاجر مثقوبة باربعة ثقوب تسمح للماء بالارتفاع من خلالها الى القاعة على هيئة شذروان،



بقايا مجرى الماء المثلث بالآجر والمزدي الى الاحواض المحطة بالقصر فاذا صب الماء من فتحات المجرى المشار اليها آنفاً تدفق في القاعة (الحوض) التي توسطها الآجرة المثقوبة وفق نظرية الاواني المستطرقة. اما القاعة والحواس فتأخذ شكل زاوية طول ضلعها الاول ٢٣ متراً وطول ضلعها القصير ٨ امتار في حين يبلغ عرض الحوض اربعة امتار، ويتصل بالحواس من جهة الضلع القصير حوض آخر مستطيل الشكل يتصل هو الآخر بحوض ثالث في حين يتصل بنهاية الحوض من جهة ضلعه الطويلة اربعة احواض

”انا الملك اسرحدون، الملك العظيم، ملك العالم، ملك بلاد اشور جددت بناء بيت-ريدوتي الى اشور بانيال، ولي العهد، في مدينة تريبص“،^(٢٧)

وواضح من هذا النص ان البناء المكتشف في مدينة تريبص والذي كان قد جدد عدة مرات يمثل بقايا قصر ولاية العهد (بيت ريدوتي)، يؤيد ذلك تصميم وتخطيط البناء الرائع واحتواؤه على غرف وقاعات واسعة ومدرجات ضخمة وفخمة لانتوقع وجودها الا في بناء ملكي. وتشير الكتابات المنقوشة على الاجر المكتشف في البناء الى ان تاريخ انشاء البناء لاول مرة يعود الى فترة سابقة لعهد الملك سرجون^(٢٨).

ويرتبط بالبناء الملكي هذا بناء آخر يظن انه يمثل بقايا المسيح المقدس (بيت رمكي) حيث ان تخطيطه يختلف تماماً عن تخطيط الابنية الملكية الاولى في تريبص وغيرها من المدن الاشورية غير ان التخطيط ينسجم مع متطلبات الطقوس الخاصة بالمسيح المقدس. فالمعروف انه كانت تجري في المسيح المقدس الذي ورد ذكره في عدد من النصوص المسارية طقوس دينية خاصة تقضي الاستحمام في الماء كما يمكن استنتاج ذلك من معنى بيت رمكي، الذي يمكن ترجمته حرفياً ببيت الحمام، لذا فان المتوقع ان يضم البناء قاعات واحواضاً معدة لحفظ المياه وصالحة للاستحمام والسباحة واجراء الطقوس الدينية المطلوبة. وبما يؤسف له انه لم يكشف حتى الان عن بناء من هذا النوع في اي من المدن العراقية القديمة، ويتألف البناء المكتشف في تريبص من مجرى للماء منتظم مشيد بالآجر المفخور من جهاته الاربع يمتد من الجنوب الغربي الى الشمال الشرقي ويبلغ طوله مايقرب من عشرين متراً، ويتسع المجرى في نهايته ليكون فراغاً مستطيلاً يرتفع عن مستوى المجرى وفي

الكشف عنه عبارة عن وسيلة من وسائل تلطيف جو القصر الملكي وتزويده بأحواض سباحة واسعة .

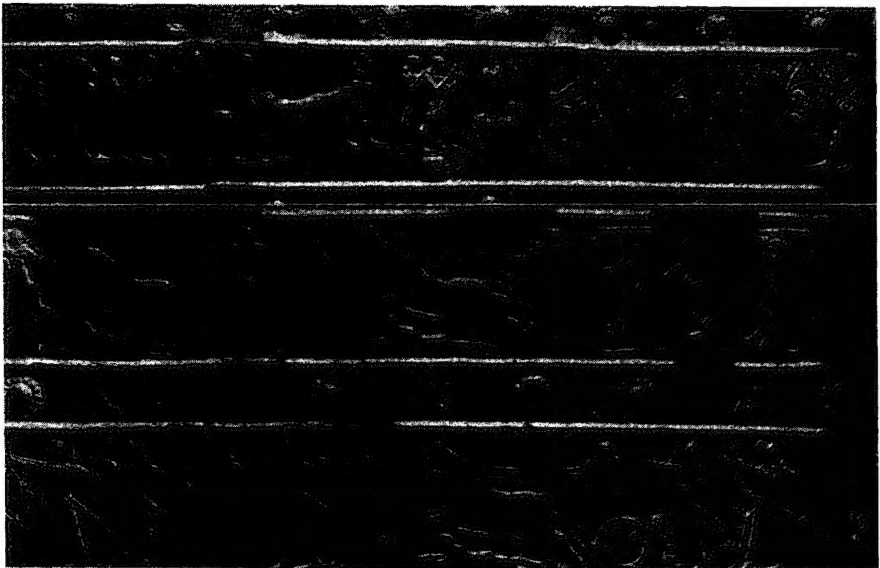
وتشير النصوص المكتشفة في تريس الى ان تاريخ انشاء المعبد على اقل تقدير يرقى الى عهد الملك شيلمنصر الثالث بن اشور ناصر بال الثاني (٢٩) .

امگر- بيل (بلوات)

يقع تل بلوات بالقرب من قرية بلوات على مسافة ٢٤ كليومتراً جنوب شرقي الموصل على بعد بضعة كيلومترات من قرة قوش . وقد قام هرمز رسام عام ١٨٧٧ باجراء بعض التنقيبات في التل في اثناء عمله في تل قوينجق في نينوى وذلك بعد ان علم بوجود اثار- اشورية في باطن التل من السكان المحليين الذين كانوا قد حفروا في التل وعثروا على بعض الصفائح الصغيرة من البرونز عليها مشاهد ومناظر اشورية . وعلى الرغم من الظروف الصعبة

مستطيلة متتابعة تنتهي بحوض خامس ينعطف الى الجنوب الشرقي مكوناً مع الحوض الرابع زاوية مشابهة للزاوية في الحوض الاول . وحيث ان التنقيب لم يستمر للكشف عن بقية اجزاء البناء ، فانه لايمكن معرفة اطوال الاحواض الاخرى التي لم تكشف بعد ، ولعلها تحيط بالقصر الملكي من جميع جهاته . ومن الجدير بالذكر انه لايمكن النفوذ الى هذه الاحواض الواسعة الا من خلال المداخل الموجودة بين حوض واخر ، كما ان ارضية جميع الاحواض قد رصفت بالآجر وطلبت بالقار وطلبت جدرانها كذلك بالقار مما يشير الى ان الاحواض كانت تستخدم لحفظ المياه الذي تزود به من خلال المجرى الطويل الانف الذكر والذي يرتفع عن مستوى ارضية الاحواض .

يتضح من هذا ان البناء المكتشف لايد ان كانت الغاية منه ترتبط بالاستحمام او السباحة ولاسما كجزء من الطقوس الدينية وقد يكون ماثم



مشاهد حربية على صفائح البرونز المكتشفة في بلوات

١٦ من الانج وبلغ طول كل صفيحة مايقرب من ثماني اقدام وعشرة انجيات، اما عرضها فيبلغ احد عشر انجاً. وقد عثر على سبع صفائح تمثل احزمة الباب الاول. وينتهي الباب من الاسفل بمدار سميك من البرونز ايضا. يدور في قطعة قوية من الحجر وجدت في مكانها الاصلي.

وعثر هرمز رسام على قطع اخرى من هذه الصفائح تعود الى باب آخر غير انها كانت في حالة رديئة. كما عثرت البعثة البريطانية على مجموعة اخرى من الصفائح كانت تغلف باباً ثالثا يعود الى عهد شيلمنصر الثالث وكانت هذه ايضا بحالة رديئة جداً ومع ذلك امكن تنظيفها ومعالجتها وهي معروضة الان في المتحف العراقي في بغداد، في حين نقلت صفائح المجموعة الاولى التي كشفت عنها هرمز رسام اول مرة الى المتحف البريطاني في لندن واعيد تثبيتها على باب من الخشب يماثل الباب القديم.

نقش على الاحزمة البرونزية مشاهد ومناظر مختلفة تظهر الملك اشور ناصر بال والملك شيلمنصر الثالث، وتظهر بعض المشاهد العسكرية الخاصة بحملات الجيش الاشوري اضافة الى مشاهد دينية ومشاهد من الحياة الملكية.

والى جانب الصفائح البرونزية عثر هرمز رسام على صندوق كبير من الرخام وجد في داخله رقيمين من الحجر يعودان الى اشور ناصر بال الثاني وقد دون عليهما اخبار اعادة بناء المدينة وتسميتها امگر بيل وكيف انه اقام فيها قصراً ومعبداً للاله مامو. كما عثر على رقم ثالث مشابه للرقم المكتشفة وذلك في غرفة المذبح والى جانبه وجدت بعض قطع الآجر المحروق المختوم باسم الملك اشور ناصر بال. وفي الغرفة المؤدية الى المذبح عثر على قطعتين منحوتتين من الحجر نحت على الاولى اسوداً وعلى الاخرى وعلاً نحتاً بارزاً جميلاً على غرار ماتع في الصفائح البرونزية.

التي واجهها هرمز رسام بسبب وجود مقابر على سطح التل فقد تمكن من الكشف عن المزيد من الصفائح الكبيرة التي تبين أنها كانت تغلف باباً من الخشب يعود لقصر الملك شيلمنصر الثالث في المدينة كما تبين من خلال النصوص المسارية التي تم الكشف عنها في الموقع بأن اسم المدينة القديم كان امگر- بيل. ولم تجر في الموقع تنقيبات اخرى حتى عام ١٩٥٦ عندما قامت المدرسة البريطانية في العراق بالعمل في الموقع اثناء اعماله في مدينة نمرود. وقد تمكنت من الكشف عن مجموعة جديدة من صفائح البرونز فضلاً عن الكشف عن بقايا معبد المدينة والقصر الملكي الذي تعود له تلك الصفائح. ويتضح من التنقيبات الاثرية في الموقع الى ان امگر بيل كانت مقراً ملكياً في عهد اشور ناصر بال الثاني وعهد ابنه شيلمنصر الثالث وان المدينة كانت مقراً ريفياً للملوك الاشوريين يقضون فيه اوقات فراغهم بعيداً عن مشكلات البلاط في كلخو (نمرود). ويبدو ان المدينة ظلت قائمة كبلدة صغيرة حتى أواخر العصر الاشوري ثم سلبت واحرقت مع غيرها من المدن الآشورية على ايدي الجيوش الغازية وذلك في اواخر القرن السابع قبل الميلاد.

تمكنت البعثة البريطانية من الكشف عن اجزاء مهمة من المدينة الصغيرة الا انه لا يمكن استنادا الى ذلك وضع مخطط كامل لها ومع ذلك يمكن مشاهدة الخطوط العامة لاسوار المدينة. وقد ورد اسم المعبد الذي تمكنت البعثة من الكشف عنه على انه معبد الاله مامو الذي كان مختصاً في تصور الاشوريين بالاحلام.

وتمثل الصفائح البرونزية التي وجدت اهم الاثار المكتشفة في الموقع وتبين انها كانت على شكل احزمة عريضة تغلف باباً كبيراً من الخشب يتألف من صفيحتين. وقد امكن تقدير سمك الباب بحوالي اربع انجيات في حين يبلغ سمك الصفائح المعدنية ١/٤٠.

الحضر - حطرا

احدى اشهر مدن العراق القديمة واروعها من حيث آثارها الباقية ومبانيها الشاخصة. تقع في منطقة منعزلة على بعد ١١٠ كيلومتراً جنوبي غربي مدينة الموصل وعلى يمين الطريق المؤدية الى بغداد ، في وسط بادية تكاد تنعدم فيها الحياة لقلة مياهها وزرعها. ومع هذا فقد نشأت الحضر ونمت وازدهرت في ظروف خاصة املتأ طبيعة العلاقات الدولية القائمة بين دول العالم القديم آنذاك ، شأنها في ذلك شأن العديد من المدن العربية التي قامت على اطراف البوادي مثل تدمر والبتراء. وإلى الشرق من الحضر بثلاثة كيلومترات ، يمر وادي الثرثار الذي يمتد جنوباً حتى ينتهي بمنخفض واسع يقع على بعد نحو سبعين كيلومتراً من شمال غربي بغداد .

ورد اسم الحضر بهذه الصيغة في المصادر العربية ، وظلت المدينة تعرف بهذا الاسم حتى يومنا هذا غير ان المصادر الارامية ذكرت الاسم بصيغة 'حطرا' دي شمش ، اي الحضر مدينة الشمس ، ويرتبط اسم الحضر بصيغته العربية والارامية بالحضر والحضارة^(٣٠).

والحضر من المواقع القليلة في العراق التي لم تمتد اليها ايدي المنقبين الاجانب، ومع ذلك فقد زارتها البعثة الالمانية التي كانت تعمل في مدينة اشور في مطلع هذا القرن ووضعت لها الرسوم والمخططات واخذت لها الصور غير انها لم تجر فيها اية تنقيبات^(٣١).

في عام ١٩٥١ قررت دائرة الآثار العراقية المباشرة بأعمال التنقيب والصيانة في هذه المدينة المهمة وابرز معالمها الباقية ، واستمر العمل لمدة خمسة مواسم متتابعة ثم توقف لبضع سنوات واستؤنف عام ١٩٦٠. وقد تم الكشف عن عدد من معابد المدينة وعدد من دور السكن فضلاً عن التماثيل والآثار الاخرى الكثيرة التي الفت ضوءاً

ساطعاً على تاريخ المدينة. وعملت دائرة الآثار منذ ذلك الحين وحتى الان على صيانة المباني المكتشفة والمشيقة بالصخر المهديم (الحلآن) وكان اضخم مآمت صيانتته هو المبد الكبير الذي يتوسط المدينة. كما تم الكشف عن سور المدينة واحدى بواباته الكبيرة وعلى قصر مجاور للبواب الشمالية كما كان من نتائج اعمال التنقيب في المدينة ان عثر على العديد من تماثيل الالهة والتماثيل الشخصية وعلى دكاك القرايين والمسكوكات ومجاميع من القناني الزجاجية والاواني الفخارية والكتابات المنقوشة على الجدران وغيرها كثير^(٣٢).

يمتد تاريخ نشوء المدينة الى عصور قديمة لا يمكن تحديدها، غير ان موقعها في وسط بادية جرداء قليلة المياه ، باستثناء موضع الحضر الذي تتجمع فيه مياه الامطار المناسبة من المنحدرات الشمالية ، يرجع الرأي القائل بانها كانت مستوطنة صغيرة منذ الازمنة الآشورية. ويتدفق القبائل العربية في القرون القليلة السابقة للميلاد نمت الحضر وغدت مركزاً دينياً وسياسياً مهماً حتى انها اتخذت عاصمة لبلاد عربابا ، اي بلاد العرب ، واقم فيها بيت خاص للاصنام كانت تجع اليه القبائل العربية وفي فترة السيطرة السلوقية ، توسعت الحضر وارتفع شأنها وانشئ فيها عدد من المعابد. وازدادت اهمية الحضر في فترة السيطرة الفرثية على العراق والاسيا في اواخرها ، كما سبق أن أشير الى ذلك في موضع اخر، وصارت عاصمة للمملكة عربية واسعة يحدها النهران العظيمان دجلة والفرات من الشرق والغرب وتحدها جبال سنجار من الشمال ومشارف المدائن من الجنوب وامتد نفوذها الى ماوراء حدودها. واشتهر سكان الحضر بتمرسهم بمختلف فنون الحرب ، وكانت مدينتهم احد اشهر الحصن العسكرية التي قاومت هجوم وحصار الجيوش الرومانية والفرثية اكثر من مرة والثبت امكاناتنا العسكرية وفرضت شخصيتها على الدول

امتزجت فيها العناصر الحضارية العراقية القديمة ،
الاشورية والبابلية ، وعناصر عربية بمحتة خاصة
بالقبائل العربية التي استقرت في الحضر واخرى
ارامية خاصة بالاقيام الارامية التي تنتمي الى
الاصل نفسه الذي تنتمي اليه القبائل العربية
والاقيام الاشورية والبابلية ، فضلا عن عناصر من
الحضارات الاجنبية اليونانية والرومانية والفرثية .
وتمكن الحضريون من هضم هذه العناصر الحضارية
وطبعها بطابعهم الخاص .

الاثار الباقية :

الحضر من المدن التي نشأت على شكل شبه
مستدير ، قطرها نحو كيلو مترين ويحيط بها من
الخارج خندق عميق وسور مدعم بمائة وثلاثة
وستين برجاً وبعدد من القلاع . يتكون السور من
جدران سمكها ٣ امتار و ٢,٥ متر والمسافة بينها ١٢
متراً عند البوابة الشمالية . وعلى بعد نصف كيلو متر
عن السور الذي يحيط بالمدينة من الخارج هناك
حائل ترابي يحيط بالمدينة من جهاتها الأربع ربما
كان خطأ دفاعياً اضافياً او انه من صنع الغزاة
الذين هاجموا المدينة مرات عديدة . وللمدينة اربعة
مداخل تقع في الجهات الأربع الرئيسة تقريبا
ويلاحظ في بناءها انها مزورة الى يمين الداخل او
يساره مما يعطي المدافعين عنها امكانية توجيه
اسلحتهم على الداخل من البوابة بسهولة . وقد تم
الكشف في داخل المدينة على معابد صغيرة بلغ
عدها ثلاثة عشر معبدا عثر فيها على تماثيل كثيرة
لاشخاص قاموا ببناء تلك المعابد او بعض
الشخصيات التي اراد الحضريون تمجيدها ، وكذلك
كشفت عن عدد كبير من الاصنام الخاصة بالالهة . كما
تم الكشف عن مدافن كثيرة في القسم الشرقي من
المدينة وهي بهيئة ابراج مشيدة بالحجر . وقد كشف
عند الباب الشمالي من المدينة ، وهو الباب الذي تم
التقيب فيه ، عن قصر سبقت الاشارة اليه . كما

الكبرى القائمة ائذاك . وقد وقفت الحضر ضد الملك
الساساني سابور الاول مما دفعه الى القيام بحملة
عسكرية قوية عليها تمكن ، بعد ان ضرب الحصار
عليها ، من فتح ثغرة في اسوارها ثم دخلها وسيطر
عليها وذلك عام ٢٤١ ميلادية وهكذا انتهت هذه
المملكة العربية ذات الشخصية القوية واختفت من
على مسرح التاريخ وربما هجرت المدينة بعد ذلك
بفترة وجيزة .

ويقسم الباحثون المختصون تاريخ الحضر الى
ثلاثة ادوار رئيسة : الاول هو دور التكوين ويبدأ
مع نشوء اول مستوطن في الموقع ويواكب نمو الحضر
عبر القرون وينتهي في منتصف القرن الاول
الميلادي حيث يبدأ الدور الثاني ، وهو دور السادة
وذلك لان حكام الحضر كانوا يلقبون انفسهم بلقب
(مرابا) بمعنى (السيد) ، واستمر هذا الدور حتى عام
١١٧ م ، وهو العام الذي قاومت فيه الحضر حملة
الامبراطور الروماني تراجان . اما الدور الثالث
والاخير فهو دور الملوك الذي يبدأ منذ منتصف
القرن الثالث للميلاد وينتهي مع نهاية الحضر ،
وكان من بين اشهر ملوك الحضر الملك ولجش والملك
سنطرق الدائع الصيت (٣٣) .

اما سكان الحضر فقد كان غالبيتهم من الاقيام
العربية ، وكان هناك بعض العناصر الاخرى ، مثل
الاراميين الذين اندمجوا معهم . وقد استخدم
سكان الحضر اللغة الارامية بخطها اليجدي في
تدوين الكتابات على النقود والتماثيل وعلى جدران
الابنية ، كما كانت اللغة الارامية لغة التفاهم
التجاري والاتصال بالاقوام الاخرى المجاورة .

ومن يزور مدينة الحضر ويتفحص في آثارها
الباقية لا تفته ملاحظة الطابع الحضري الخاص
الذي يصنع جميع الاثار الباقية من ابنية وتماثيل .
ولقي اثرية اخرى . فقد كانت الحضر بوتقة
انصهرت فيها مختلف العناصر الحضارية فقد

فاما القطع الفنية ذات النحت البارز، كالمنحوتات الجدارية والمسلات والاختام الاسطوانية والقطع العاجية، او النحت المدور، كالتماثيل، فقد احتلت مكان المصدارة بين مقتنيات متاحف العالم الشهيرة وكما احتلت مكان المصدارة ايضا بالنسبة الى المكتشفات التي تمت في العراق بصورة عامة، فقد سبق ان الحنا الى حقيقة توافر معدن الحجر بانواع مختلفة في بلاد اشور واثر ذلك في توجه الآشوريين الى استخدامه في البناء وصنع التماثيل والمنحوتات فكان ان تم الكشف عن الكثير من القطع الفنية المصنوعة من الحجر.



واجهة المعبد الكبير في الحصر

ومع روعة القطع الفنية التي وصلتنا من حضارة العراق القديم، فإنها جاءت كلها وهي خالية من اسم من قام بنحتها او زخرفتها او نقشها، اي انها مجهولة الهوية، ويبدو ان عملية النحت والزخرفة والنقش على الحجر كانت اقرب الى الاعمال الحرفية منها الى الاعمال الفنية لذا قلما يمكن تلمس شخصية الفنان في اي من القطع الفنية المعروفة بل كانت هناك طرز ومدارس يسير عليها النحاتون والصناع بصورة عامة كما كانت جل اعمالهم في

تبين وجود ساحة واسعة فيها بركة للماء دائمة وذلك في القسم الجنوبي الغربي من المدينة. وبرز المعبد الكبير، معبد الاله الشمس، وسط المعابد الصغيرة. اما الدور السكنية فيمكن مشاهدة بقاياها حول المعابد الصغيرة.

اما المعبد الكبير الذي تمت صيانة معظم اجزائه فهو اوضح المبنى المكتشف واكثرها روعة وبهاء وكان مخصصاً لعبادة الاله الشمس الذي عبده الحضريون، لذلك اتجه المعبد ببنائه نحو المشرق ويتألف المعبد من قسمين رئيسيين هما الصحن والحرم، فاما الصحن فيتمثل بمساحة واسعة تحيط به اروقة ويبدو انه كان مركزاً للاحتفالات الدينية والطقوس والمراسم. اما حرم المعبد ففيه خمس وحدات بنائية تعتمد الابواب في تصميمها^(٣٤).

الاثار الباقية الاخرى :

كان من نتائج التنقيبات الكثيرة التي اجريت في المدن والمواقع القديمة الواقعة في منطقة الموصل ان تم الكشف عن الآلاف من القطع الفنية الرائعة من مختلف الانواع، اضافة الى الآلات والادوات والاواني المصنوعة من الحجر او الفخار او المعدن والاف من الرقم الطينية والنصوص المسارية الاخرى المدونة على المواشير والاسطوانات الفخارية وغيرها وعدد كبير من الابنية كالمعابد والقصور والبيوت. وقد تناولت الفصول السابقة من هذا الباب بشيء من التفصيل كل مجموعة من هذه المكتشفات بما له علاقة مباشرة بموضوع تلك الفصول سواء من الناحية الفنية او من ناحية المضمون او عما تعكسه من معلومات عن بعض جوانب حضارة المنطقة القديمة. وفي هذا الفصل لابد من الاشارة فقط الى اهمية هذه المكتشفات والمكانة التي تحتلها بين الاثار الباقية الاخرى بصورة عامة.

خدمة القصر او المعبد وقلما نجد قطعاً فنية صنعت من اجل اشخاص اعتياديين او من اجل الفن نفسه .

وقد وصلت الينا نماذج محدودة من النحت الاشوري المدور من الالف الاول قبل الميلاد وان لم تكن النماذج ، من الناحية الفنية ، ذات اهمية كبيرة حيث تبدو وكأنها جامدة ينقصها الحس بالحياة ، وهي تمثل غالباً شخصيات ملكية او تماثيل لبعض الالهة الاشورية . ومن التماثيل التي نحتها الاشوريون للوكهم تمثال الملك اشور ناصر بال الثاني (٨٨٣ - ٨٥٩ ق. م) وتماثيل الملك شيلمنصر الثالث (٨٥٩ - ٨٢٤ ق. م) التي نراه في احدها وهو جالس على مكعب حجري وقد فقد رأس التمثال وفي تمثال اخر محفوظ في متحف استانبول صور واقفاً كما كشف عن تماثيل آخرين له في القروء عام ١٩٥٢ . وقد صور الملك في احدهما واقفاً مرتدياً لباسه الرسمي .

الفنان الاشوري بين جسم الثور او الاسد وبين رأس الانسان وجناسي النسرو كانت مثل هذه المنحوتات تعرف باسم لاماسو، وكانت هذه المنحوتات تزين مدخل القاعات والقصور والبوابات الرئيسية في المدينة ظناً من الاشوريين بانها الملوك الحارس الذي يحمي سكان القصر او المدينة من كل الشرور . وتعد هذه المنحوتات من اصخم المنحوتات التي انجزها النحاتون الاشوريون وهي في الواقع تمثل منحوتات معمارية اي انها قامت بوظيفة معمارية فضلاً عن كونها منحوتات زينت المداخل . وقد تم العثور على العشرات من هذه المنحوتات التي يزن كل منها عدة اطنان وهي تمثل مرحلة وسط بين النحت البارز والنحت المدور حيث ان الناظر اليها ياخذ الانطباع بانها ذات وجود مستقل على الرغم من انها متصلة بالجدار المجاور .

الا ان الانجاز الرائع الذي حققه الاشوريون في مجال فن النحت هو المنحوتات الجدارية التي كانت تغلف جدران القاعات والساحات والمعرات في القصور الملكية، وقد تم الكشف عن مئات من هذه المنحوتات الضخمة التي يبلغ معدل ارتفاع الواحدة منها ما يقرب من مترين وعرضها متر واحد وهي مصنوعة من الرخام الازرق المتوفر في بلاد آشور وكذلك من الصخر (الحلّان) . وقد سخر الفنان الاشوري هذه المنحوتات لخدمة الرواية حيث يلاحظ احياناً ان المنحوتات التي كانت تغلف جداراً معيناً او قاعة ما تمثل جميعها سلسلة من المناظر المترابطة الى درجة انها تشكل ما يشبه الرواية . وتضم المناظر المنحوتة نحتاً بارزاً على هذه المنحوتات اما مشاهد عسكرية خاصة بالحملات العسكرية أو مشاهد الصيد الملكية وقد تستخدم الالوان احياناً . اضافة الى بعض المشاهد الدينية ولاسيما تلك الخاصة بالخصوبة ودور الملك ، الالهة في هذا المجال .



تمثال اشور ناصر بال

ولعل اهم ما يميز فن النحت الاشوري تلك المنحوتات التي تصور مخلوقات غريبة جمع فيها

وتتمثل العاجيات الجميلة التي عثر عليها في بعض الآبار المكتشفة في مدينة التمرود والمحفورة دقيماً والمطعمة في بعض الأحيان بالذهب، ضرباً آخر من ضرب الفن الآشوري ونوعاً جديداً من الآثار الباقية. وكان العاج يستخدم لتزيين الأثاث وربما كقطع فنية يحد ذاتها ولعل أشهر القطع المكتشفة ما يعرف عادة بمونليزة التمرود.



قناع من العاج لرأس فتاة وجد في تمرود

والى جانب العاجيات الجميلة التي كشف عنها في التمرود اشرفنا في الصفحات السابقة الى الاشرطة البرونزية التي كانت تزين باب بلوات (امغربيل) التي تعود الى عصر شيلمنصر الثالث. وكانت هذه الصفائح البرونزية على هيئة اشرطة تثبت افقياً على الباب وقد نقش عليها مشاهد عسكرية.

وفضلاً عن ذلك فان هناك المئات من القطع الفنية المصنوعة من المعدن او الحجر التي تزين العديد من المتاحف وفي مقدمتها متحف الموصل الحضاري والمتحف العراقي والمتحف البريطاني في لندن لاجمال لذكرها هنا.

اما المجموعة الاخرى من الآثار الباقية ، فتمثل باعداد كبيرة جداً من الرقم الطينية التي تم

الكشف عنها في مدن بلاد آشور المختلفة . وتأتي في مقدمتها الرقم المكتشفة في مدينة نينوى والتي تمثل مكتبة اشور بانيال الشهيرة وقد تجاوز عدد الرقم المكتشفة فيها خمسة وعشرين الف رقم اضافة الى مئات من الرقم الاخرى التي عثر عليها في اماكن اخرى من نينوى وغيرها من المدن الاشورية ، كما تم العثور على العديد من المواشير والاسطوانات الفخارية التي كانت تدفن في اسس الابنية المهمة وتحمل تفصيلاً لأعمال الملوك العسكرية والعمرانية . وتعد هذه الرقم والمواشير والاسطوانات من اهم الآثار الباقية لما تضمنته من معلومات واقعية عن تاريخ العراق القديم ليس بالنسبة للفترة الاشورية فقط بل بالنسبة للفرات السابقة لها ايضاً طالما ان العديد منها كان مستنسخاً عن اصل اقدم او انها تتحدث عن اخبار سابقة .

ولابد لنا قبل ان نختم الحديث عن الآثار الاشورية الباقية ان نشير الى بقايا مشاريع الري التي قام بها بعض الملوك الاشوريين وفي مقدمتهم الملك سنحاريب (٧٠٥ - ٦٨١ ق. م) الذي جلب المياه العذبة الى مدينة نينوى وما حولها من نهر الكومل على مسافة تزيد عن خمسين ميلاً .

وقد شيد من اجل ذلك القناطر الحجرية في بعض الوديان مما لاتزال اثارها باقية . وتبدأ القناة التي جلب بوساطتها المياه الى نينوى من الموضع المسمى جروانة ، وعند صدر القناة نحت على وجه حجرة شاهقة عند قرية خنس منحوتات تمثل الالهة الاشورية المختلفة مع كتابة موجزة عن مشروع الري . ويمكن للزائر ان يشاهد بقايا هذه المنحوتة وكذلك بقايا السداد التي اقامها سنحاريب على نهر الخوصر لرفع مناسيب المياه وري الحقول والبساتين المجاورة في مناطق عديدة اهمها منطقة الشلالات المشهورة في الموصل التي تظهر فيها بقايا السد الحجري الذي اقامه سنحاريب وكذلك عند قرية

الجليلة التي كانت تطل على بقايا سد اخر لا تزال
اثاره باقية وتقع الان في وسط العمران الذي امتد
الى مسافات بعيدة اطراف مدينة الموصل .

١- انظر :

٢- انظر مثلاً : طارق مظلوم ، نينوى في ضوء التنقيبات ال اثرية
طارق مظلوم ، نينوى ، سور ، ٢٤ ، بغداد ، ١٩٦٨ ص
عامر سليمان ، نتائج حفريات جامعة الموصل في سور نينوى
الشمالى ، اداب الراغبين ، ج ١ ، ١٩٧١ ، صفحة ٤٥ -
٩٧ .

T. Madhloom and A. M. Mahdi, Nineveh Bagh-
dad, 1976.

اما الكتب القديمة فيها :

A. Layard, Nineveh and its Remains, London,
1853.

A. Layard, Nineveh and Babylon, New York,
1853.

A. Parrot., Nineveh and Babylon, London, 1961.

اضافة الى ذلك ، لايخلو كتاب من الكتب العامة عن تاريخ
العراق القديم من حديث مسهب عن مدينة نينوى والاثار المهمة
المكتشفة فيها وبشكل خاص النصوص المسبارية الكثيرة .

(٣) انظر : R. Labat, Manuel D' Epigraphie Akk-
adienne Paris, 1952, p. 115 no. 200).

(٤) العهد القديم ، سفر يونس ، الاصحاح ١ - ٤ .

(٥) نسبة الى مرقا الذي يونس والجامع المشيد فوقه وقد ذكر في
المصادر العربية القديمة بأنه كان يسمى تل توبة (انظر معجم
البلدان لياقوت الحموي والكمال لابن الاثير ورحلة ابن جبير
صفحة ٢١١) في حين سماه ابن بطوطة تل يونس (ج ١ ص
١٤٨) .

(٦) وهي كلمة تركية الاصل لعلها مركبة من كوي او كوي بمعنى قرية
وانج او انجيك وهم جماعة من التركمان حلوا في المنطقة وسكنوا
بالقرب من التل ويرى البعض ان الكلمة التركية تعني "مذبح
الغنم" .

يعرف حالياً بوادي الدلماجة وهو اسم من اصل تركي يعين .

(٧) انظر المصادر السابقة التي تحدثت بالتفصيل عن هذه المكتشفات .

(٨) انظر : D.D. Luckenbill, The Annals of Sennacherib, Chicago, 1924, p.

(٩) حول تفاصيل السور والبوابات والتنقيبات التي اجريت فيها
والصيانة التي تمت

انظر : طارق مظلوم ، نينوى في ضوء التنقيبات ال اثرية ،
سور ، ٢٣ (١٩٦٧) صفحة ١٣٥ - ١٤٠ ، عامر
سليمان ، نتائج تنقيبات جامعة الموصل في سور نينوى الشمالي ،

اداب الراغبين ، ج ١ (١٩٧١) ، ٤٨ - ٦٣ ، طارق
مظلوم ومحمد علي مهدي ، نينوى ، بغداد ، ١٩٧٦ .

D.D. Luckenbill, Op. cit, p. 121 (١٠)

See T. Madhloom and A.M. Mahdi, Nineveh, (١١)

Baghdad, 1976, pp. 40 - 44, see also A: Paterson,

Assyrian Sculptures: The Palace of Sennachrib,

London, 1915.

(١٢) انظر المصدر السابق صفحة ٤٥ - ٤٦ .

(١٣) حول التنقيبات التي اجريت في المدينة انظر :
فالتر أندريه ، استحكامات اشور ، ترجمة عبد الرزاق كامل ،
الترجمة ، بغداد ، ١٩٨٧ .

المؤلف نفسه ، معابد عشتار القديمة ، ترجمة عبد الرزاق
كامل ، الترجمة ، بغداد ، ١٩٨٧ .

المؤلف نفسه ، معابد عشتار الحديثة ، ترجمة عبد الرزاق
كامل ، الترجمة ، بغداد ، ١٩٨٧ .

المؤلف نفسه ، اشور : المدينة المُنسّنة ، ترجمة عبد الرزاق
كامل ، الترجمة ، بغداد ، ١٩٨٧ .

انظر كذلك ، فلود سفر ، اشور ، بغداد ، ١٩٦٠ .

(١٤) انظر Xenophon Anabasis, The Expedition of Cyrus the
younger,

طه باقر ، مقدمة في تأريخ الحضارات القديمة ، بغداد ،
١٩٧٣ ، ص ١٠٩ .

(١٥) انظر معجم البلدان لياقوت الحموي ١/ ١١٩ تمت مادة اشور
كذلك ابو الفداء في تقويم البلدان ، ٢٨٥ .

(١٦) ابن منظور ، لسان العرب ، ٣ / ٧٢١

(١٧) يعد كتاب ملوان عن نمرود احداث ماكتب عن المدينة واثارها
والنتيقات التي تمت فيها انظر

Mallawan, M.E.L., Nimrud and its Remains,
London, 1966, vol. I and II with Supplement.

(١٨) حول ترجمة النص المسباري على المسلة ، انظر Wiseman,
D.J., Iraq, XIV, 24 - 44

Mallawan, Op. cit., p. 65 - 73. وكذلك

(١٩) × انظر Mallawan, Op. cit, II, P. 60

× حول تفاصيل الابنية المكتشفة في التمرود

وكذلك Mallowan, Op. cit.

(٢٠) عبد الله امين آغا وميسر سعيد العراقي ، نمرود ، بغداد ١٩٧٦ .

(٢١) انظر : W. Von Soden, Grundrin der Akkadischer
Grundriss der Akkadischen Grammatik, Roma,
1952, p. 178: 123, B; and the same author
Akkadische Handwörterbuch

(٢٢) انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٩ صفحة ٩ - ١٣ .

(٢٣) انظر : Lloyd, s. Foundation in the Dust, A Story of
Mesopotamian exploration, Oxford, 1949, p. 14.

A. Layard, Discoveries among the Ruins of Nin-
evah and Babylon, New York, 1853, p. 598 ff.

(٢٣) انظر حول التقيّبات التي أجريت في مدينة الحضر وتاريخ المدينة ووصف آثارها أهم مؤلف صدر عن الحضري حتى الآن وهو كتاب الأستاذ فؤاد سفر وعبد علي مصطفى الموسوم ، الحضر، مدينة الشمس ، الذي أصدرته مديرية الآثار العامة عام ١٩٧٤ . انظر كذلك :

فؤاد سفر، المنازل القرية لاسادور الكرخي ، سومر ، ٢ ،

١٩٤٦ ، ص ١٦٥ - ١٧٨ .

فؤاد سفر، كتابات الحضر، سومر ، ١٩٥١ ، ١٩٥٢ ،

١٩٥٣ ، ١٩٥٥ ، ١٩٦١ ، ١٩٦٢ ، ١٩٦٤ و ١٩٦٥ و

١٩٦٨ و ١٩٧١ .

ماجد الشمس ، الحضر، رسالة ماجستير مقدمة الى جامعة

بغداد، ١٩٦٨

Wathiq I. AL- Salihi , Hatra, Baghdad, 1973.

(٣٤) انظر تفصيل ذلك : فؤاد سفر، الحضر مدينة الشمس ، ص

٢٦ - ٣٥ .

(٣٥) المصدر السابق ، ص ٢٢ - ٢٣ .

(٢٤) انظر : د. عامر سليمان - اكتشاف مدينة تريبص الاشورية ، اداب
الرافدين ، العدد الاول ١٩٧١ ، ص ١٥ - ٤٩ .

(٢٥) حول نتائج التقيّبات وترجمة النص المدون على الاسطوانتين
الفخاريين انظر :

عامر سليمان الكتابة . المسارية والحرف العربي ، موصل ،

١٩٨٢ .

(٢٦) انظر ترجمة النص : Saggs, H.W.F, The Mosul
University Zu tablet,

في اداب الرافدين ، ١٢ ، موصل ١٩٧١ ، ص ٤٠ - ٥٢ .

(٢٧) انظر : عامر سليمان ، اكتشاف مدينة تريبص الاشورية اداب

الرافدين ، ج ١ ، موصل ١٩٧١ ، صفحة ٢٩ .

(٢٨) حول تفصيل مخطط البناء انظر : عامر سليمان ، الكتابة

المسارية والحرف العربي ، موصل ، ١٩٨٢ . ص ٣٠ - ٣٢ .

(٢٩) عامر سليمان ، المصدر السابق ، ص ٨٨ مطر ٦٢ .

(٣٠) انظر، فؤاد سفر، سومر، ١٧ (١٩٦١) ص ١٥ - ١٦ ،

هامش رقم ٣١ .

(٣٢) انظر : Andrae, W., Hatra, vol. I and II, Leipzig ,

1908, 1912

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٣٢٤ لسنة ١٩٩١



مطبعة جامعة الموصل

